فهرست كتاب قصص الانبياء المسمى بعرائس المجالس

﴿ تمت ﴾

كتاب قصص الانبياء المسمى بالعرائس تأليف
الامام العالم العلامة أبى اسحق أحمد بن
محمد ابن ابراهيم الثعلبى تغمده
الله برحمته وأسكنه
فسيح جنته
آمين

﴿ وبهامشه مختصر روض الرياحين فى مناقب ﴾
﴿ الصالحين للعلامة اليافعى نفع الله تعالى به ﴾
﴿ ومتعه فى الفردوس مع أهل قربه ﴾

﴿ محل مبيعه بمكتبة ملتزمه ﴾
﴿ حضرة الشيخ محمد على المليجى الكتبى الشهير ﴾
﴿ قريبا من الجامع الازهر المنير بمصر ﴾

﴿ طبع ﴾
بالمطبعة العامرة الشرفية سنة ١٣٢٤ هجريه
لصاحبها ومديرادارتها حضرة السيد حسين أفندى شرف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حق حمده والصلاة على محمد وآله (قال) الاستاذ أبو اسحق أحمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبى رحمه الله تعالى هذا كتاب يشتمل على قصص الانبياء المذكورة فى القرآن بالشرح والله المستعان وعليه التكلان

﴿باب فى ذكر بعض وجوه الحكمة فى تقصيصه تعالى أخبار الماضين على سيد المرسلين﴾

قال الله تعالى وكلا نقص عليك من أنباء الرسل مانثبت به فؤادك قالت الحكماء ان الله تعالى قص على المصطفى صلى الله عليه وسلم أخبار الماضين من الانبياء والامم الخالية لخمسة أمور أى حكم (الحكمة الاولى) منها أنه اظهار لنبوّته صلى الله عليه وسلم ودلالة على رسالته وذلك أن النبى صلى الله عليه وسلم كان أميا لم يختلف الى مؤدب ولا الى معلم ولم يفارق وطنه بمدة يمكنه فيها الانقطاع الى عالم يأخذ عنه علم الاخبار ولم يعرف له طلب شىء من العلوم الى أن كان من أمره ما كان فنزل عليه جبريل عليه السلام ولقنه ذلك فأخذ يحدث الناس باخبار من مضى من القرون وسير الانبياء الماضين والملوك المتقدمين فمن كان من قومه عاقلا موفقا صدق بما يوحى الله اليه واخباره اياه بذلك فآمن به وصدقه وكان ذلك معجزة له ودليلا على صحة نبوّته ومن كان منهم عدوا معاندا حسده وجحده وأنكر ما جاء به وقال كما أخبر الله تعالى وقالوا أساطير الاولين اكتتبها فهى تملى عليه بكرة وأصيلا قال الله تعالى تكذيبا لهم وتصديقا للنبى عليه السلام قل أنزله الذى يعلم السر فى السموات والارض (والحكمة الثانية) انه انما قص عليه القصص ليكون له أسوة وقدوة بمكارم أخلاق الرسل والانبياء المتقدمين والاولياء والصالحين فيما أخبر الله تعالى عنهم وأثنى عليهم ولتنتهى أمته عن أمور عوقبت أمم الانبياء بمخالفتها عليها واستوجبوا من الله بذلك العذاب والعقاب فتمم الله له بذلك معالى الاخلاق فلما امتثل أمر الله تعالى واستعمل أدب الانبياء أثنى الله عليه فقال تعالى وانك لعلى خلق عظيم ولذلك قالت عائشة رضى الله تعالى عنها حين سئلت عن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم كان خلقه القرآن (والحكمة الثالثة) أنه انما قص عليه القصص تثبيتا له واعلاما بشرفه وشرف أمته وعلو أقدارهم وذلك أنه لما نظر الى أخبار الامم قبله علم أنه عوفى هو وأمته من كثير مما امتحن الله به الانبياء والاولياء وخفف عنهم فى الشرائع ورفع عنهم الاثقال والاغلال التى كانت على الامم الماضية كما قال بعض المتأولين فى تفسير قوله تعالى وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ان النعمة الظاهرة تخفيف الشرائع والباطنة تضعيف الصنائع قال تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وقال تعالى وما جعل عليكم فى الدين من حرج وقال تعالى يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا فلما قص الله تعالى هذه القصص على نبيه رأى فضل نفسه وفضل أمته وعلم أن الله خصه هو وأمته بكرامات لم يخص بها أحدا من الانبياء والامم فوصل قيام ليله بنهاره

بسم الله الرحمن الرحيم (الحمد) لله العظيم المنان * الرحيم الرحمن * الذى خلق الانسان * وزينه بنطق اللسان * وفضل من شاء من عباده * وهداه الى طريق الايمان * وشرف هذه الامة بالصلاة والصيام وتلاوة القرآن * وجعل منهم الاولياء والاصفياء والشهداء والصالحين أهل العرفان وأولى الفضل والايمان شرح لهم صدورهم وغفر لهم ذنوبهم وهداهم الى صراط مستقيم صراط الله العزيز المنان * أنعم عليهم بانعامه وجاد عليهم باكرامه وسقاهم من كؤس محبته فانتعشت من شراب قربه القلوب والابدان ووعدهم بالنظر الى وجهه الكريم فتوّجهم بتاج الوقار وألبسهم من حلل رضائه ألوان * فسبحان من فضله عميم وجوده عظيم ولطفه قديم وهو الباقى وكل من عليها فان (أحمده) على طول الازمان * وأتوب اليه وأستغفره استغفارا يوجب الغفران * وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له الرحيم الرحمن * وأشهد أن سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله

وصيامه بقيامه لايفترعن عبادة ربه أداء لشكره حتى تورمت قدماه فقيل يارسول الله أليس قد غفر الله لك ماتقدم من ذنبك وماتأخر قال أفلا أكون عبدا شكورا ثم افتخر عليه السلام فقال بعثت بالحنيفية السمحة (والحكمة الرابعة) أنه انما قص الله تعالى عليه القصص تأديبا وتهذيبا لامته وذلك أنه ذكر الانبياء وثوابهم والاعداء وعقابهم ثم ذكر فى غير موضع تحذيره اياهم عن صنع الاعداء وحثهم على صنع الاولياء فقال تعالى لقد كان فى يوسف واخوته آيات للسائلين وقال لقد كان فى قصصهم عبرة لاولى الالباب وقال وهدى وموعظة للمتقين ونحوها من الآيات وكان الشبلى رحمه الله تعالى يقول فى هذه الآيات اشتغل العام بذكر القصص واشتغل الخاص بالاعتبار من القصص (والحكمة الخامسة) أنه قص عليه أخبار الانبياء والاولياء الماضين احياء لذكرهم وآثارهم ليكون المحسن منهم فى ابقائه ذكره مثبتا له تعجيل جزاء فى الدنيا حتى يبقى ذكره وآثاره الحسنة الى قيام الساعة كما رغب خليل الله ابراهيم عليه السلام فى ابقاء الثناء الحسن فقال واجعل لى لسان صدق فى الآخرين والناس أحاديث يقال ما مات ميت والذكر يحييه وقيل ما أنفق الملوك والاغنياء الاموال على المصانع والحصون والقصور الا لبقاء الذكر * وأنشدنا ناصر بن محمد المروزى قال أنشدنى الدريدى

وانما المرء حديث بعده * فكن حديثا حسنا لمن وعى

﴿مجلس فى صفة خلق الارض﴾

قال الله تعالى الذى جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء الآية ونظائرها كثيرة فى القرآن ﴿واعلم﴾ ان الكلام فى نعت خلق الارض على سبعة أبواب

﴿الباب الاول فى بدء خلق الارض وكيفيتها﴾

روت الرواة بألفاظ مختلفة ومعان متفقة أن الله تعالى لما أراد أن يخلق السموات والارض خلق جوهرة خضراء أضعاف طباق السموات والارض ثم نظر اليها بالهيبة فصارت ماء ثم نظر الى الماء فغلا وارتفع منه زبد ودخان وبخار وأرعد من خشية الله فمن ذلك اليوم يرعد الى يوم القيامة وخلق الله من ذلك الدخان السماء فذلك قوله تعالى ثم استوى الى السماء وهى دخان أى قصد وعمد الى خلق السماء وهى بخار وخلق من ذلك الزبد الارض فأول ماظهر من الارض على وجه الماء مكة فدحا الله الارض من تحتها فلذلك سميت أم القرى يعنى أصلها وهو قوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها ولما خلق الله الارض كانت طبقا واحدا ففتقها وصيرها سبعا وذلك قوله تعالى أولم ير الذين كفروا أن السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما ثم بعث الله تعالى من تحت العرش ملكا فهبط الى الارض حتى دخل تحت الارضين السبع فوضعها على عاتقه احدى يديه فى المشرق والاخرى فى المغرب باسطتين قابضتين على قرار الارضين السبع حتى ضبطها فلم يكن لقدميه موضع قرار فاهبط الله تعالى من أعلى الفردوس ثورا له سبعون ألف قرن وأربعون ألف قائمة وجعل قرار قدمى الملك على سنامه فلم تستقر قدماه فاحدر الله ياقوتة خضراء من أعلى درجة من الفردوس غلظها مسيرة خمسمائة عام فوضعها بين سنام الثور الى أذنه فاستقرت عليها قدماه وقرون ذلك الثور خارجة من اقطار الارض وهى كالحسكة تحت العرش ومنخر ذلك الثور فى البحر فهو يتنفس كل يوم نفسا فاذا تنفس مد البحر واذا رد نفسه جزر ولم يكن لقوائم الثور موضع قرار فخلق الله تعالى صخرة خضراء غلظها كغلظ سبع سموات وسبع أرضين فاستقرت قوائم الثور عليها وهى الصخرة التى قال لقمان لابنه يابنى انها ان تك مثقال حبة من خردل فتكن فى صخرة أو فى السموات أو فى الارض يأت بها الله الآية * روى ان لقمان لما قال له هذه الكلمة انفطرت من هيبتها مرارته ومات وكانت آخر موعظة فلم يكن للصخرة مستقر فخلق الله تعالى نونا وهو الحوت العظيم اسمه لوتيا وكنيته بلهوت ولقبه بهموت فوضع الصخرة على ظهره وسائر جسده خال قال والحوت على البحر والبحر على متن الريح والريح على القدرة وثقل الدنيا وما عليها حرفان من كتاب الله تعالى قال لهما الجبار كونى فكانت فذلك قوله عز وجل انما أمرنا لشىء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون ولذلك قال بعض حكماء الشعراء

لاتخضعن لمخلوق على طمع * فان ذلك نقص منك فى الدين * واسترزق الله مما فى خزائنه فان رزقك بين الكاف والنون * واستغن بالله عن دنيا الملوك كما استغنى الملوك بدنياهم عن الدين

(وقال) كعب الاحبار ان ابليس تغلغل الى الحوت الذى على ظهره الارض فوسوس اليه وقال له أتدرى ما على ظهرك ياوتيا من الامم والدواب والشجر والجبال وغيرها لو نفضتها ألقيتهم عن ظهرك أجمع فكان [illegible]

خيرالخلائق من انس وجان اللهم فصل وسلم على هذا النبى الكريم والرسول العظيم صلاة وسلاما دائمين متلازمين على طول الزمان

﴿أما بعد﴾ فهذه فوائد جليلة عظيمة نقلت من كتاب روض الرياحين فى مناقب بعض الصالحين أعاد الله علينا من بركاتهم فى الدارين فبذكرهم تنزل الرحمات * وتحل البركات وقد أوردت فيها من أخبار السادات * ومناقب القادات * ومحاسن أهل السعادات * بروايات صحيحات ايزول عن مطالعها الهموم والفكر ويطرب سامعها المحاسن تلك السير * فسماعها ينعش الابدان ومطالعتها تزيل الاحزان * وهذا أوان الشروع فى ذلك ونسأل الله تعالى أن ينفعنا باوليائه وأن يحشرنا فى زمرة أهل ولائه ﴿فمنها ماحكى عن سيدى ذى النون المصرى رضى الله عنه﴾ قال ركبت البحر مرة وركب معى شاب صبيح الوجه فلما توسطنا البحر فقد صاحب المركب كيسا فيه مال ففتش كل من كان فى المركب فلما وصل الى الشاب ليفتشه وثب من المركب حتى جلس فى البحر فقام له الموج على مثال السرير ونحن ننظر اليه من المركب ثم قال يامولاى ان هؤلاء اتهمونى وانى أقسم عليك ياحبيب قلبى ان تأمر كل دابة من هذا البحر ان تخرج رأسها وفى فم كل واحدة منهن جوهرة قال ذو النون فما تم

ال فيهم لو تيا أن يفعل ذلك فبعث الله تعالى اليه دابة فدخلت فى منخره فوصلت الى دماغه فعج الحوت الى الله تعالى منها فاذن الله تعالى لها فخرجت قال كعب الاحبار فوالذى نفسى بيده انه لينظر اليها وتنظر اليه ان هم بشئ من ذلك عادت كما كانت وهذا الحوت الذى أقسم الله تعالى به فقال ن والقلم وما يسطرون ثم قالوا ان الارض كانت تتكفأ على الماء كما تتكفأ السفينة على الماء فأرساها الله تعالى بالجبال وذلك قوله تعالى والجبال أرساها وقوله تعالى والجبال أوتادا وقوله تعالى وألقى فى الارض رواسى أن تميد بكم يعنى لكى لا تتحرك بكم * قال على بن أبى طالب رضى الله عنه أول ما خلق الله الارض عجت وقالت يارب تجعل على بنى آدم يعملون على الخطايا ويلقون على الخبائث فاضطربت فارساها الله تعالى بالجبال فاقرها وخلق الله تعالى جبلا عظيما من زبرجدة خضراء خضرة السماء منه يقال له جبل قاف فاحاط بها كلها وهو الذى أقسم الله به فقال ق والقرآن المجيد وقال وهب ان ذا القرنين أتى على جبل قاف فرأى حوله جبالا صغارا فقال له من أنت قال أنا قاف قال فاخبرنى ما هذه الجبال التى حولك فقال هى عروقى فاذا أراد الله أن يزلزل أرضا أمرنى فحركت عرقا من عروقى فتزلزل الارض المتصلة به فقال ياقاف أخبرنى بشئ من عظمة الله تعالى فقال ان شأن ربنا العظيم تقصر عنه الصفات وتنقضى دونه الاوهام قال فاخبرنى بادنى ما يوصف منها قال ان ورائى أرضا مسيرة خمسمائة عام من جبال الثلج يحطم بعضها بعضا ومن وراء ذلك جبال من البرد مثلها ولولا ذلك الثلج والبرد لاحترقت الدنيا من حر جهنم قال زدنى فقال ان جبريل عليه السلام واقف بين يدى الله تعالى ترعد فرائصه فيخلق الله من كل رعدة مائة ألف ملك وهم صفوف بين يدى الله تعالى منكسو رؤسهم لا يؤذن لهم فى الكلام الى يوم القيامة فاذا أذن الله تعالى لهم فى الكلام قالوا لا اله الا الله وهو قوله تعالى يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من أذن له الرحمن وقال صوابا يعنى لا اله الا الله * وروى يزيد بن هرون عن العوام بن حوشب عن سليمان بن أبى سليمان عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال لما خلق الله تعالى الارض جعلت تميد فخلق الجبال وألقاها عليها فاستقامت فعجبت الملائكة من شدة الجبال فقالت يارب هل من خلقك شئ أشد من الجبال قال نعم الحديد فقالت يارب هل من خلقك شئ أشد من الحديد قال نعم النار فقالت يارب هل من خلقك شئ أشد من النار قال نعم الماء فقالت يارب هل من خلقك شئ أشد من الماء قال نعم الريح فقالت يارب هل من خلقك شئ أشد من الريح قال نعم الانسان يتصدق بيمينه فيخفيها عن شماله

﴿الباب الثانى فى حدود الارض ومسافتها وأطباقها وسكانها﴾

(روى) عبد الله بن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال بين كل أرض الى التى تليها مسيرة خمسمائة عام وهى سبعة أطباق الارض الاولى هذه فيها سكانها والارض الثانية مسكن الريح ومنها تخرج الرياح المختلفة كما قال تعالى وتصريف الرياح وفى الارض الثالثة خلق وجوههم مثل وجوه بنى آدم وأفواههم مثل أفواه الكلاب وأيديهم كايدى الانس وأرجلهم كارجل البقر وآذانهم كآذان المعز وأشعارهم كاصواف الضأن لا يعصون الله طرفة عين ليس لهم أثواب ليلنا نهارهم ونهارهم ليلنا والارض الرابعة فيها حجارة الكبريت التى أعدها الله لاهل النار تسجر بها جهنم قال النبى صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده ان فيها الاودية من كبريت لو أرسلت فيها الجبال الرواسى لانماعت قال وهب بن منبه هى مثل الكبريت الاحمر الصخرة منها مثل الجبل العظيم وهى التى قال الله تعالى فيها وقودها الناس والحجارة * أخبرنا أبو بكر بن عبدوس بن المزنى قال أخبرنا أبو عبد الله محمد بن يونس المقرى قال حدثنا محمد بن منصور قال حدثنا أحمد بن الليث قال حدثنا أبو حفص عمر بن حفص القشيرى قال حدثنا على بن الحسين قال سمعت منصور بن عمار يقول بينما أنا أردت الحج اذ دفعت الى الكوفة ليلا وكانت ليلة مدلهمة فانفردت من أصحابى ثم دنوت الى زقاق باب دار فسمعت بكاء رجل وهو يقول فى بكائه الهى وعزتك وجلالك ما أردت بمعصيتى مخالفتك ولكنى عصيتك اذ عصيتك بجهلاتى وخالفتك اذ خالفتك لشقوتى فالآن من عذابك من ينقذنى وبحبل من اتصل اذا انقطع حبلك عنى واذنوباه واغوثاه بالله قال منصور فأبكانى والله فوضعت فمى على شق الباب وقلت أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ان الله هو السميع العليم بسم الله الرحمن الرحيم يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة الآية قال فسمعت عند ذلك اضطرابا شديدا ثم خمد الصوت فوضعت حجرا على الباب لاعرف الموضع فلما أصبحت غدوت اليه فاذا

الشاب كلامه حتى رأينا دواب البحر قد أخرجت رؤسها وفى فم كل واحدة منهن جوهرة تتلالا وتلمع كالبرق ثم وثب الشاب ثانيا من البحر فى الموج وصار يمشى ولم تبتل قدماه وهو يقول اياك نعبد واياك نستعين حتى غاب عن بصرى قال ذوالنون فحملنى ذلك على السياحة وتذكرت قول النبى صلى الله عليه وسلم لا يزال فى أمتى ثلاثون رجلا قلوبهم على قلب ابراهيم خليل الرحمن كلما مات واحد أبدل الله مكانه واحدا ﴿وحكى عن سيدى ابراهيم الخواص رضى الله عنه﴾ أنه قال طالبتنى نفسى فى وقت من الاوقات بالخروج الى بلاد الروم فخوفت نفسى أن تكفينى ذلك فصرت على نفى الخاطر فلم تلتفت الى ذلك فخرجت أخترق ديارهم وأجول أقطارهم والعناية تكنفنى والرعاية تحفنى لا ألقى نصرانيا الا غض بصره عنى وتباعد منى الى أن أتيت مدينة من المدائن فرأيت على بابها رجالا لابسين السلاح وبأيديهم آلات الكفاح فلما رأونى أتوا الى وقالوا أطبيب أنت قلت نعم فقالوا أجب الملك فحملت اليه فلما رآنى قال أنت الطبيب قلت نعم فقال الملك احملوه اليها وعرفوه بالشرط قبل الدخول عليها قال ابراهيم فاخبرونى وقالوا ان للملك ابنة قد أصابها اعتلال شديد وقد أعيا الاطباء علاجها وما من طبيب دخل عليها

بأكفان

بأكفان أصلحت وعجوز تدخل الدار باكية وتخرج باكية فقلت لها يا هذه من هذا الميت لك فقالت اليك عني ياعبد الله لاتجدد على أحزاني فقلت انى أريد هذا الوجه الله الكريم لعلك تستودعيني دعوة فانى منصور بن عمار واعظ أهل العراق قالت يامنصور هذا ولدى قلت فما كانت صفته قالت كان من آل رسول الله صلى الله عليه وسلم يكتسب ما يكتسب فيجعله أثلاثا ثلثا لى وثلثا للمساكين وثلثا يفطر عليه وكان يصوم النهار و يقوم الليل حتى اذا كان آخر ليلة أخذ فى بكائه وتضرعه فمر رجل فى هذه الليلة وتلا آية من كتاب الله تعالى فلم يزل حبابى يضطرب حتى أصبح وقد فارق الدنيار حمه الله تعالى * وقال منصور بن عمار دخلت يوما خربة فوجدت شابا يصلى صلاة الخائفين فقلت لنفسى ان لهذا الفتى لشأنا عظيما لعله من أولياء الله تعالى فوقفت حتى فرغ من صلاته فلما سلم سلمت عليه فرد على فقلت له ألم تعلم أن فى جهنم واديا يسمى لظى نزاعة للشوى تدعو من أدبر وتولى وجمع فأوعى فشهق شهقة وخر مغشيا عليه فلما أفاق قال زدنى فقلت يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة الآية فخر ميتا فلما كشفت ثيابه عن صدره رأيت عليه مكتوبا بقلم القدرة فهو فى عيشة راضية فى جنة عالية قطوفها دانية فلما كانت الليلة الثانية نمت فرأيته فى المنام جالسا على سرير وعلى رأسه تاج فقلت له ما فعل الله بك فقال آتانى ثواب أهل بدر وزادنى فقلت له لم قال لانهم قتلوا بسيف الكفار وأنا قتلت بسيف الملك الجبار * والارض الخامسة فيها عقارب أهل النار كامثال البغال لها أذناب كامثال الرماح لكل ذنب منها ثلثمائة وستون فقارا فى كل فقار ثلثمائة وستون فرقا من السم كل فرق منها ثلثمائة وستون قلة من السم لو وضعت قلة من ذلك السم فى وسط الارض لمات جميع أهل الدنيا من نتنه وفسد منه كل شئ وفيها أيضا حيات أهل النار كامثال الاودية لكل حية منها ثمانية عشر ألف ناب كل ناب منها كالنخلة الطويلة فى أصل كل ناب ثمانية عشر ألف قلة من السم لو أمر الله حية منها أن تضرب بناب من أنيابها أعظم جبل فى الارض لهدته حتى يعود رميا وانها لتلقى الكافر فتسمه فتقطع مفاصله * والارض السادسة فيها دواوين أهل النار وأعمالهم وأرواحهم الخبيثة اسمها سجين قال الله تعالى كلا ان كتاب الفجار لفى سجين * والارض السابعة جعلها الله مسكنا لابليس وجنوده وفيها عرشه فى أحد جانبيه سموم وفى الآخر زمهرير وقد احتوشته جنوده من المردة وعتاة الجن ومنها يبث سراياه وجنوده فأعظمهم عنده منزلة أعظمهم فتنة لبنى آدم * وروى سلمة بن كهيل عن أبى الزرقاء عن عبد الله قال الجنة اليوم فى السماء السابعة فاذا كان غدا جعلها الله حيث يشاء والنار اليوم فى الارض السفلى فاذا كان غدا جعلها الله حيث يشاء وأما بعد قعر الارض فكافيك به حديث قارون حيث خسف الله به الارض وبداره وبأمواله ففى الخبر انه يخسف به كل يوم مقدار قامة فلا يبلغ قعرها الى يوم القيامة وقال النبى عليه الصلاة والسلام بينما رجل يتبختر فى برديه وينظر فى عطفيه وقد أعجبته نفسه خسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة

﴿ الباب الثالث فى ذكر الايام التى خلق الله تعالى فيها الارض ﴾

قال الله تعالى قل أئنكم لتكفرون بالذى خلق الارض فى يومين الآية قال أبو اسحق قال شبلك بيدى أبو بكر محمد بن أحمد القطان قال شبلك بيدى أحمد بن الحسين بن شاذان قال شبلك بيدى ابراهيم بن يحيى قال شبلك بيدى صفوان بن سليم قال شبلك بيدى أيوب بن خالد الانصارى قال شبلك بيدى عبد الله بن أبى رافع قال شبلك بيدى أبو هريرة قال شبلك بيدى أبو القاسم محمد صلى الله عليه وسلم فقال خلق الله الارض يوم السبت والجبال يوم الاحد والاشجار يوم الاثنين والظلمات يوم الثلاثاء والنور يوم الاربعاء والدواب يوم الخميس وآدم يوم الجمعة

﴿ الباب الرابع فى ذكر أسمائها وألقابها ﴾

* قال وهب بن منبه الاولى من الارض تسمى أديما والثانية بسيطا والثالثة ثقيلا والرابعة بطيحا والخامسة متاقلة والسادسة ماسكة والسابعة ثرى * ﴿ وأما أسماؤها المذكورة فى القرآن ﴾ فهى سبعة أيضا سماها الله فراشا فقال الذى جعل لكم الارض فراشا وسماها قرارا فقال أم من جعل الارض قرارا وسماها رتقا فقال أولم ير الذين كفروا أن السموات والارض كانتا رتقا وسماها بساطا فقال والله جعل لكم الارض بساطا وسماها مهادا فقال ألم نجعل الارض مهادا وسماها ذات الصدع فقال والارض ذات الصدع يعنى بالنبات وسماها كفاتا فقال ألم نجعل الارض كفاتا * قال خالد بن سعيد كنت أمشى مع الشعبى بظهر الكوفة فنظر الى بيوت الكوفة

وعالجها ولم تبرأ الا قتله الملك فانظر الى نفسك قبل الدخول اليها قال ابراهيم فقلت لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثم قلت ان الملك ساقنى اليها فادخلونى عليها فأخذونى ومضوا بى اليها فلما وصلت الى باب القصر اذا هى تنادى من داخل الباب ادنوا بالطبيب فلى وله سر عجيب فبينما أنا كذلك اذا شيخ كبير قد فتح الباب مسرعا وقال ادخل فدخلت فاذا بيت مبسوط مفروش بأنواع الفرش وستر موضوع ومن خلفه أنين ضعيف يخرج من جسد نحيف قال ابراهيم فقعدت من داخل الباب متفكرا وأردت أن أسلم فتذكرت قول النبى صلى الله عليه وسلم لاتبدؤا اليهود والنصارى بالسلام فأمسكت عن السلام فنادت من داخل الستر أين سلام التوحيد والاخلاص يا أبا اسحق يا خواص قال فتعجبت من اجابتها بمخبآت الضمائر ثم قالت يا ابراهيم سألت رب العزة البارحة أن يرسل الى وليا من أوليائه يكون على يديه الخلاص فنوديت سيحضر عندك ابراهيم الخواص قال ابراهيم فقلت لها متى خطر عليك هذا الامر فقالت منذ أربع سنين وقد لاح لى الحق المبين فهو المحدث والانيس والمقرب والجليس فلما رأوا حالى رمقونى بالعيون ورمونى بالجنون فما دخل على

فقال هذه كفات الاحياء ثم نظر الى المقبرة فقال هذه كفات الاموات * ويحكى أن عبد الله بن طاهر لما قدم نيسابور صحبه من أولاد المجوس شاب متطبب يدعي تحقيق الكلام وأظهر مسئلة تحير بقي الانفس بالنار وكان يزعم أن الجسد كثيف منتن في حال الحياة فاذا مات فلا حكمة في دفنه والتسبب الى زيادة نتنه وان الواجب احراقه واذراء رماده فقيل لبعض الفقهاء ان الناس قد افتتنوا بمقالة هذا المجوسي فكتب الفقيه الى عبد الله بن طاهر أن اجمع بيننا وبين هذا المجوسي لنسمع منه فاجتمعوا عند عبد الله فلما تكلم المجوسي بمقالته تلك قال له الفقيه أخبرنا عن صبي تدعيه أمه وحاضنته أيهما أولى به فقال له الام فقال ان هذه الارض هي الام منها خلق الخلق فهي أولى بأولادها أن يردوا اليها فأفحم المجوسي وأنشد في معناه لامية بن أبي الصلت

والارض معقلنا وكانت أمنا * فيها مقابرنا وفيها نولد

* وسئل يحيى بن معاذ الرازي ان ابن آدم يدري أن الدنيا ليست بدار قرار فلم يطمئن اليها قال لانه منها خلق فهي أمه وفيها نشأ فهي عشه ومنها رزق فهي عيشه واليها يعود فهي كفاته وهي ممر الصالحين الى الجنة

﴿ الباب الخامس في ذكر ما زين الله به الارض ﴾

وهي سبعة أشياء الازمنة وزين الازمنة بأربعة أشهر قال الله تعالى ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا في كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها أربعة حرم فالاربعة الاشهر الحرم منها ثلاثة سرد وواحد فرد فالثلاثة السرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم والفرد رجب والامكنة وزينها بأربعة أشياء مكة والمدينة وبيت الله المقدس ومسجد العشائر وزينها أيضا بالانبياء عليهم الصلاة والسلام وزين الانبياء بأربعة ابراهيم الخليل وموسى الكليم وعيسى الوجيه ومحمد الحبيب صلوات الله عليهم أجمعين وهم أهل الكتب وأصحاب الشرائع وأولو العزم وزينها أيضا بآل محمد صلى الله عليه وسلم وزينهم أيضا بأربعة علي وفاطمة والحسن والحسين رضي الله عنهم (وروى) يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك قال صلى بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة الفجر فلما انفتل من الصلاة أقبل علينا بوجهه الكريم فقال معاشر المسلمين من افتقد الشمس فليستمسك بالقمر ومن افتقد القمر فليستمسك بالزهرة ومن افتقد الزهرة فليستمسك بالفرقدين فقيل يارسول الله ما الشمس وما القمر وما الزهرة وما الفرقدان فقال أنا الشمس وعلي القمر وفاطمة الزهرة والحسن والحسين الفرقدان في كتاب الله تعالى لا يفترقان حتى يردا علي الحوض وزينها أيضا بالصحابة وزينهم أيضا بأربعة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي وهم الخلفاء الراشدون والائمة المرضيون رضي الله عنهم أجمعين (وروى) عن أنس بن مالك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لا يجتمع حب هؤلاء الاربعة الا في قلب مؤمن قال أنس قد اجتمع حبهم في قلبي والحمد لله وزينها أيضا بالمؤمنين وزينهم بأربعة العلماء والقراء والغزاة والعباد وزينها أيضا بأنواع الحيوانات والنباتات والجمادات

﴿ الباب السادس في عاقبتها وما لها وآخر حالها ﴾

﴿اعلم﴾ أن الله تعالى وعدها بسبعة أشياء * أحدها التبديل وهو قوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض وفي الخبر يؤتى بأرض بيضاء من فضة كالخبز النقي الحواري لم يعص عليها قط طرفة عين ولا وصم فيها ولا قصم مستوية كالصلب المهند * والثاني الزلزلة قال الله تعالى اذا زلزلت الارض زلزالها الآية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يقبض العلم وتكثر الزلازل وتظهر الفتن ويكثر الهرج قيل وما الهرج يارسول الله قال القتل فاذا أكلت أمتي الربا كانت الزلزلة واذا جاروا في الحكم اجترأ عليهم العدو واذا ظهرت الفاحشة كان الوباء والموت واذا منعوا الزكاة قحطوا ولولا البهائم لم يمطروا وفي الحديث ان الارض تزلزلت على عهد عمر رضي الله عنه فأخذ بعضادتي منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا أهل المدينة انكم رجفتم وان الرجف من كثرة الربا والزنا ونقصان الثمر من قلة الصدقة وانكم أحدثتم أشياء حتى أعجلتم فهل أنتم منتهون أو يفر عمر من بين أظهركم * والثالث البروز قال الله تعالى وترى الارض بارزة يعني لفصل القضاء * والرابع الرج قال الله تعالى اذا رجت الارض رجا قال المفسرون كما يرج الصبي في المهد حتى ينكسر كل شيء عليها فرقا من ربها * والخامس الرجف قال تعالى يوم ترجف الارض والجبال * والسادس المد حتى تتخلى وتلقي ما في بطنها قال تعالى واذا الارض مدت وألقت ما فيها وتخلت * والسابع الدك قال تعالى اذا دكت الارض دكا دكا

قال ابراهيم فقلت لها وما الذي أوصلك اليه قالت براهينه الواضحة وآياته اللائحة فاذا وضح لك السبيل شاهدت المدلول والدليل قال ابراهيم فبينما أنا أكلمها اذا الشيخ الموكل بها قد دخل عليها وقال لها ما فعل طبيبك هذا قالت عرف العلة وأصاب الدواء وظهر على يديه السرور وقابلني بالبرور قال ابراهيم فسار الشيخ للملك وأخبره بمقالتها فصرت أتردد عليها مدة سبعة أيام فقالت يا أبا اسحق أريد الهجرة معك الى بلاد الاسلام فقلت وكيف يكون ذلك ومن يتجاسر على الخروج من تلك العساكر والجنود فقالت يا ابراهيم لا تخف ان الذي أدخلك علي وساقك الي هو الذي يخرجني معك ولم يشعر بنا أحد فقلت نعم انه على كل شيء قدير فلما كان الغد خرجنا من باب من الابواب فحجبت عنا العيون بارادة من من يقول للشيء كن فيكون فوالذي وفقها وهداها ما رأيت أصبر منها على الصيام والقيام وحرمت على عينيها لذيذ المنام وجاورت بيت الله الحرام مدة سبعة أعوام ثم قضت نحبها ولحقت بربها وصار بباب المعلى قبرها رحمة الله عليها ونفعنا بها في الدنيا والآخرة آمين

وقال

وقال تعالى فدكتادكة واحدة * ويحكى أن الربيع بن خيثم كان اذا قرأ هذه الآية أخذ بجلد ذراعيه ويقول ياجماه ويادماه أين أنتما يومئذ

﴿الباب السابع فى وجوه الارض المذكورة فى القرآن﴾

وهى سبعة * أولها مكة خاصة قال الله تعالى فى الرعد والانبياء أولم يروا أنا نأتى الارض ننقصها من أطرافها يعنى أرض مكة والوجه الثانى أرض المدينة قال الله تعالى ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها يعنى أرض المدينة وقال تعالى ان أرضى واسعة وقال تعالى وان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها والثالث أرض الشأم وذلك قوله تعالى ادخلوا الارض المقدسة الآية يعنى بلاد الشأم وقال تعالى ونجيناه ولوطا الى الارض التى باركنا فيها للعالمين والوجه الرابع أرض مصر قال تعالى وكذلك مكنا ليوسف فى الارض أى أرض مصر وقوله تعالى اجعلنى على خزائن الارض انى حفيظ عليم وقوله فلن أبرح الارض أى أرض مصر وقوله تعالى ان فرعون علا فى الارض وقال ويستخلفكم فى الارض أى أرض مصر والخامس أرض المشرق فذلك قوله تعالى ان يأجوج ومأجوج مفسدون فى الارض والسادس الارضون كلها وذلك قوله تعالى ومامن دابة فى الارض الا على الله رزقها وقوله تعالى ومامن دابة فى الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم يعنى بالامم فى التصاوير أمثالكم فى التسخير وقال تعالى ولو أن مافى الارض من شجرة أقلام وقال تعالى الذى جعل لكم الارض فراشا والسابع أرض الجنة فذلك قوله تعالى ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الارض يرثها عبادى الصالحون وقوله تعالى وأورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين

﴿مجلس فى ذكر خلق السموات ومايتصل به﴾

وترتيب الكلام فى هذا المجلس أيضا على سبعة أبواب لقول وهب بن منبه كادت الاشياء أن تكون سبعا فالسموات سبع والارضون سبع والجبال سبع والبحار سبع وعمر الدنيا سبعة آلاف والايام سبعة والكواكب سبعة وهى السيارة والطواف بالبيت سبعة أشواط والسعى بين الصفا والمروة سبعة ورمى الجمار سبعة وأبواب جهنم سبعة ودركاتها سبعة وامتحان يوسف عليه السلام سبع سنين قال تعالى فلبث فى السجن بضع سنين وايتاؤه ملك مصر سبع سنين وقال الملك انى أرى سبع بقرات سمان وكرامة الله تعالى للمصطفى صلى الله عليه وسلم سبع قال الله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثانى والقرآن العظيم والقرآن سبعة أسباع وتركيب ابن آدم على سبعة أعضاء وخلقه من سبعة أشياء قال الله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الى قوله فتبارك الله أحسن الخالقين ورزق الانسان وغذاؤه من سبعة أشياء قال الله تعالى فلينظر الانسان الى طعامه الى قوله متاعا لكم ولانعامكم وأمر بالسجود على سبعة أعضاء

﴿الباب الاول فى بدء خلق السموات﴾

(يروى) فى الاخبار المشهورة المأثورة أن الله سبحانه وتعالى لما أراد أن يخلق السموات والارض خلق جوهرة مثل السموات السبع والارضين السبع ثم نظر اليها نظر هيبة فصارت ماء ثم نظر الى الماء فغلا وارتفع وعلاه زبد ودخان فخلق من الزبد الارض ومن الدخان السماء وذلك قوله تعالى ثم استوى الى السماء وهى دخان أى قصد ثم فتقها بعد أن كانت طبقة واحدة فصيرها سبع سموات قال الله تعالى أولم ير الذين كفروا أن السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما

﴿الباب الثانى فى جواهرها وأجناسها﴾

(قال) الربيع بن أنس سماء الدنيا موج مكفوف والثانية من صخرة والثالثة من حديد والرابعة من نحاس والخامسة من فضة والسادسة من ذهب والسابعة من ياقوتة بيضاء

﴿الباب الثالث فى هيئتها وحدودها﴾

قال الله تعالى ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق قال ابن عباس رحمه الله تعالى خلق الله السموات مثل القباب فسماء الدنيا قد شدت أقطارها بالثانية والثانية بالثالثة وكذلك الى السابعة والسابعة بالعرش فذلك قوله تعالى بغير عمد ترونها وعمادها من فوقها (وعن أبى هريرة) رضى الله عنه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه وهم يتفكرون فقال فيم أنتم تتفكرون قالوا نتفكر فى الخالق فقال لهم تفكروا فى الخلق ولا تتفكروا فى الخالق فانه لاتحيط به الفكرة تفكروا فى أن الله خلق السموات سبعا والارضين سبعا وتحت كل أرض خمسمائة عام وبين السماء والارض خمسمائة عام وتحت كل سماء خمسمائة عام وبين كل سماءين خمسمائة عام وفى السماء السابعة بحر عمقه مثل ذلك كله وفيه ملك قائم لايجاوز الماء كعبه

* وحكى عنه أيضا رضى الله تعالى عنه * أنه قال خرجت من بلدى على عادتى الى سياحتى طالبا مكة من غير ركب ولا قافلة فتهت عن الطريق فبينما أنا متحير اذا أنا براهب نصرانى قد أقبل على واعترضنى فى الطريق ثم قال لى ياراهب المسلمين هل الى مرافقتك سبيل فقلت له لا أمنعك عن مرادك فمشينا ثلاثة أيام لم نستطعم فيها بطعام فقال الراهب ابراهيم ياراهب المسلمين ما نحتاج فى أمرنا مخبرا وقد مضنا الجوع فهات ماعندك قال ابراهيم فتوجهت الى الله عز وجل وقلت الهى وسيدى ومولاى لاتفضحنى بين يدى عدوى وعدوك قال فما أتممت دعائى حتى نزلت لنا مائدة عليها خبز ولحم وتمر وماء فأكلنا وشربنا ومضينا ثلاثة أيام أخر لم نأكل فيها شيأ فلما أصبحنا ابتدرت الراهب وقلت له ياراهب النصارى هات ماعندك قال فتوجه الراهب الى الله عز وجل واذا بمائدتين عليهما كما كان على الاولى من الخبز واللحم والتمر والماء قال ابراهيم فلما رأيت ذلك قلت للراهب وعزته وجلاله لا آكل من ذلك حتى تخبرنى فقال الراهب يا ابراهيم لما صحبتك حل نظرك على فعرفت أن الذى عليه نفسى محال وقد ضيعت زمنى فى اتباع الضلال فتوسلت الى الله واعتمدت عليه بكرامتك لديه أن

﴿الباب الرابع فى أسمائها وألقابها﴾

(قال) وهب بن منبه أول اسماء الدنيا دينا والثانية ديقا والثالثة رتيع والرابعة فيلون والخامسة طقطاق والسادسة سمساق والسابعة اسحاقائل * وأما أسماؤها المذكورة فى القرآن فسبعة أولها البناء قال الله تعالى والسماء بناء والسقف قال الله تعالى وجعلنا السماء سقفا محفوظا والطرائق قال الله تعالى وجعلنا فوقكم سبع طرائق والطباق قال الله تعالى الذى خلق سبع سموات طباقا والشداد قال الله تعالى وبنينا فوقكم سبعا شدادا والرتق والفتق قال الله تعالى كانتا رتقا ففتقناهما والدخان قال الله تعالى ثم استوى الى السماء وهى دخان * وروى أن الملائكة قالت يارب لو أن السماء والارض حين أمرتهما عصياك ما كنت صانعا بهما قال كنت آمر دابة من دوابى فتبتلعهما قالت يارب فأين تلك الدابة قال فى مرج من مروجى قالت يارب فأين ذلك المرج قال فى علم من علومى قالت الملائكة سبحان ذى البسط القوى * وقد ورد عن الضحاك بن مزاحم الهلالى حديث غريب حسن جامع لما تقدم من الابواب فى صفة السموات وحدودها وهيئتها وما فيها وأهلها وسكانها وأسمائها وألقابها وهو ما أخبرنا أبو عبد الله الحسين بن محمد بن الحسين العدل حدثنا محمد بن جعفر قال أخبرنا الحسن بن علويه قال حدثنا اسمعيل بن عيسى قال حدثنا اسحق بن بشر عن جويبر عن الضحاك ومقاتل قالا خلق الله عز وجل سماء الدنيا وزينها وهى ماء ودخان وغلظها مسيرة خمسمائة عام وبينها وبين الارض مسيرة خمسمائة عام ولونها كلون الحديد المجلى واسمها برقيعا وبينها وبين السماء الثانية مسيرة خمسمائة عام وفيها ملائكة خلقوا من نار وريح وعليهم ملك يقال له الرعد وهو ملك موكل بالسحاب والمطر يقول سبحان ذى الملك والملكوت وخلق السماء الثانية على لون النحاس وغلظها مسيرة خمسمائة عام وبينها وبين السماء الثالثة مسيرة خمسمائة عام وفيها ملائكة على ألوان شتى صفوف لو قيست شعرة بين مناكبهم لما انقاست رافعون أصواتهم يقولون سبحان ذى العزة والجبروت واسمها قيدوم وخلق الله فيها ملكا يقال له حبيب نصفه من نار ونصفه من ثلج وبينهما رتق فلا النار تذيب الثلج ولا الثلج يطفئ النار وهو يقول يا من ألف بين الثلج والنار ألف بين قلوب عبادك ومنها الى السماء الثالثة مسيرة خمسمائة عام ولون السماء الثالثة كلون الشبه وغلظها مسيرة خمسمائة عام واسمها الماعون وفيها ملائكة ذوو أجنحة الملك منهم له جناحان وله أربعة أجنحة وله ستة أجنحة وجوه شتى رافعون أصواتهم بالتسبيح يقولون سبحان الحى الذى لا يموت أبدا صفوف قيام كأنهم بنيان مرصوص لو قيست شعرة بين مناكبهم ما انقاست لا يعرف أحد منهم لون صاحبه من خشية الله تعالى وخلق الله السماء الرابعة وبينها وبين السماء الثالثة مسيرة خمسمائة عام وغلظها خمسمائة عام ولونها كلون الفضة البيضاء واسمها فيلون وفيها ملائكة يضعفون على ملائكة السماء الثالثة وكذلك أهل كل سماء أكثر عددا من السماء التى تليها الى الضعف وفى السماء الرابعة ملائكة لا يحصى عددهم الا الله تعالى وهم كل يوم فى زيادة وذلك قوله تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو قال وهم قيام وركوع وسجود على ألوان شتى من العبادة يبعث الله تعالى الملك منهم فى أمر من أموره فينطلق الملك ثم ينصرف فلا يعرف صاحبه الذى الى جانبه من شدة العبادة وهم يقولون سبوح قدوس ربنا الرحمن الذى لا اله الا هو قال وخلق الله السماء الخامسة وغلظها مسيرة خمسمائة عام ولونها على لون الذهب واسمها اللاحقون ومنها الى السماء السادسة مسيرة خمسمائة عام وفيها ملائكة يضعفون على ملائكة الاربع سموات وهم ركوع وسجود لم يرفعوا أبصارهم ولا يرفعونها الى يوم القيامة فاذا كان يوم القيامة قالوا ربنا لم نعبدك حق عبادتك وخلق الله السماء السادسة وغلظها مسيرة خمسمائة عام ومنها الى السماء السابعة مسيرة خمسمائة عام وفيها جند الله الاعظم الاكبر الكروبيون لا يحصى عددهم الا الله تعالى وعليهم ملك جنده سبعون ألف ملك وكل ملك منهم جنوده سبعون ألف ملك وهم الذين يبعثهم الله فى أموره الى أهل الدنيا رافعون أصواتهم بالتهليل والتسبيح واسمها عاروس وهى من ياقوتة حمراء ثم خلق الله السماء السابعة غلظها مسيرة خمسمائة عام فيها جنود الله تعالى من الملائكة وعليهم ملك وهو على سبعمائة ألف ملك كل ملك منهم له من الجنود مثل قطر السماء وتراب الثرى والسهل والرمل وعدد الحصى والورق وعدد كل خلق فى سبع سموات وسبع أرضين ويخلق الله سبحانه وتعالى فى كل يوم ما يشاء واسمها الرقيع وهى من درة بيضاء

لا يفضحنى معك فكان ما رأيت وقد أقول كما تقول أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن سيدنا محمدا رسول الله قال ابراهيم ففرحت بذلك فرحا شديدا وسرنا حتى دخلنا مكة شرفها الله تعالى فلما قضينا ما كان علينا من فرائض الحج أقمنا بها أياما قلائل فلما كان بعض الايام فقدته فمضيت الى الحرم فوجدته قائما يصلى فلما أحس بى أسرع فى صلاته فلما سلم من الصلاة التفت الى وقال يا ابراهيم قد آن لقاء الله تعالى فاحفظ حق مرافقتى اك وصحبتى معك ثم شهق شهقة فمات رحمة الله عليه قال ابراهيم فتأسفت عليه أسفا شديدا ثم جهزته ودفنته فلما كان الليل رأيته فى المنام وهو فى أحسن صورة وعليه ثياب من السندس والاستبرق فقلت له ألست صاحبى بالامس قال نعم ففرحت بذلك فرحا شديدا ثم قلت له ما فعل الله بك قال يا ابراهيم أتيته بذنوب كثيرة فمحاها عنى لحسن ظنى به وجعلنى كما صحبتك فى الدنيا جارك فى الآخرة رضى الله تعالى عنه ونفعنا به * وروى أن غلاما كان لجعفر الصادق رضى الله عنه صب الماء على يدى سيده يوما من الايام فسقط الاناء من يده فى الطست فطار الماء على ثوبه فنظر اليه نظرة منكرة فقال الغلام يا مولاى

ومن

ومن السماء السابعة الى مكان يقال له مرهو تامسيرة خمسمائة عام وعليه جنود الله من الملائكة وهم رؤساء الملائكة وهم أعظمهم سوى الروح وحملة العرش الملك منهم له وجوه شتى وأجنحة شتى وأنوار شتى فى جسده لا يشبه بعضهم بعضا رافعون أصواتهم بالتهليل ينظرون الى العرش لا يطرفون لو أن الملك منهم نشر جناحه لطبق الدنيا بريشة من جناحه ولا يعلم عددهم الا الله تعالى ومن فوق ذلك غمامة غلظها كغلظ سبع سموات وسبع أرضين ومن السماء السابعة اليها كما بين سبع سموات وسبع أرضين والعرش فوق ذلك فى عليين لا يعلم منتهاه الا الله تعالى

﴿ الباب الخامس فى ذكر الايام التى خلق الله الاشياء فيها ﴾

روت الرواة أن الله تعالى ابتدأ خلق الاشياء يوم الاحد الى يوم الخميس وخلق فى يوم الخميس ثلاثة أشياء السموات والملائكة والجنة الى ثلاث ساعات بقيت من يوم الجمعة فخلق فى الساعة الاولى الاوقات والآجال وفى الثانية الارزاق وفى الثالثة آدم عليه الصلاة والسلام وذلك قوله عز وجل فقضاهن سبع سموات فى يومين وأوحى فى كل سماء أمرها الآية

﴿ الباب السادس فى ذكر ما زين الله به السموات ﴾

وهى عشرة أشياء * الشمس قال الله تعالى وجعل الشمس سراجا وقال تعالى سراجا وهاجا * والقمر قال الله تعالى وجعل القمر فيهن نورا * والكواكب قال الله تعالى انا زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وهى على ضربين منها معلق كتعليق القناديل فى المساجد ومنها مركب كتركيب الفص فى الخاتم وهى مع كثرتها مختلفة الصور ما خلق الله تعالى منها كوكبا على مثال كوكب * وفى بعض الاخبار ما يكون من حيوان فى الارض ولا دابة تدب دون العرش الا وفى خلق الكواكب مثلها * والعرش قال الله تعالى رفيع الدرجات ذو العرش * روى جعفر بن محمد عن أبيه عن جده أنه قال فى العرش تمثال جميع ما خلق الله تعالى فى البر والبحر وقال هذا تأويل قوله تعالى وان من شىء الا عندنا خزائنه وان ما بين القائمة من قوائم العرش والقائمة الثانية لخفقان الطير المسرع ثمانين ألف عام والعرش يكسى كل يوم سبعين ألف لون من النور لا يستطيع أن ينظر اليه خلق من خلق الله تعالى والاشياء كلها فى العرش كحلقة ملقاة فى فلاة وان لله ملكا يسمى حزقيائيل له ثمانية عشر ألف جناح ما بين الجناح الى الجناح مسيرة خمسمائة عام فخطر له خاطر هل يقدر أن ينظر الى العرش فزاده الله تعالى فى الاجنحة مثلها فكان له ستة وثلاثون ألف جناح ما بين الجناح الى الجناح مسيرة خمسمائة عام ثم أوحى الله تعالى اليه أيها الملك طر فطار مقدار عشرين ألف سنة فلم يبلغ قائمة من قوائم العرش ثم ضاعف الله تعالى له فى الاجنحة القوة وأمره أن يطير فطار مقدار ثلاثين ألف سنة فلم يبلغ رأس قائمة من قوائم العرش فأوحى الله تعالى اليه أيها الملك لو طرت الى أن ينفخ فى الصور مع أجنحتك وقوتك ما بلغت ساق عرشى فقال الملك سبحان ربى الاعلى فأنزل الله سبحانه وتعالى سبح اسم ربك الاعلى فقال النبى صلى الله عليه وسلم اجعلوها فى سجودكم * وقال كعب الاحبار لما خلق الله تعالى العرش قال لم يخلق الله شيأ أعظم منى فاهتز فطوقه الله بحية لها سبعون ألف جناح فى كل جناح سبعون ألف ريشة فى كل ريشة سبعون ألف وجه فى كل وجه سبعون ألف فم فى كل فم سبعون ألف لسان يخرج من أفواهها كل يوم من التسبيح عدد قطر المطر وورق الشجر وعدد الحصى والثرى وعدد أيام الدنيا والملائكة أجمع فالتفت الحية بالعرش فالعرش الى نصف الحية وهى ملتوية به * والكرسى قال الله تعالى وسع كرسيه السموات والارض * وروى عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال الكرسى لؤلؤة طولها حيث لا يعلمه العالمون وقد جعل الله آية الكرسى أمانا لاهل الايمان من شر الشيطان * وروى اسمعيل بن مسلم عن أبى المتوكل الناجى عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه كان معه مفتاح بيت الصدقة وكان فيه تمر فذهب يوما ففتح الباب فاذا التمر قد أخذ منه ملء الكف ثم دخل يوما آخر فاذا هو قد أخذ منه مثل ذلك ثم دخل يوما آخر فاذا هو قد أخذ منه مثل ذلك فذكر ذلك أبو هريرة رضى الله عنه للنبى صلى الله عليه وسلم فقال له عليه الصلاة والسلام أيسرك أن تأخذه قال نعم قال اذا فتحت الباب فقل سبحان من سخرك لمحمد فذهب ففتح الباب وقال ذلك فاذا هو قائم بين يديه فقال له يا عدو الله أنت صاحب الفعل قال نعم ثم قال لا أعود ما كنت أخذت منه الا لاهل بيت فقراء من الجن فتركه ثم عاد فذكر ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم فقال أيسرك أن تأخذه قال نعم قال اذا فتحت الباب فقل مثل ذلك أيضا ففتح الباب وقال سبحان من سخرك لمحمد فاذا هو قائم بين يديه فقال له يا عدو الله أسر قد

والكاظمين الغيظ قال جعفر كظمت غيظى فقال الغلام والعافين عن الناس قال جعفر عفوت عنك فقال الغلام والله يحب المحسنين قال جعفر اذهب فأنت حر لوجه الله تعالى ولك ألف دينار من مالى وهذا من بعض كراماتهم وحسن أخلاقهم رضى الله تعالى عنهم

﴿ وحكى عن بعضهم ﴾ رضى الله عنه ونفعنا به قال رأيت بعض المذنبين فى النوم بعد موته فقلت ما فعل الله بك قال وزنت حسناتى وسيآتى فرجحت سيآتى على حسناتى فصرت متحيرا فبينما أنا كذلك اذ وقعت صرة من السماء فسقطت فى كفة الميزان فرجحت الميزان ثم سمعت قائلا يقول وان كان مثقال حبة من خردل أتينا بها وكفى بنا حاسبين ثم قال حلت الصرة فاذا فيها كف من تراب كنت ألقيته فى قبر مسلم فغفر الله لى بذلك وأدخلنى الجنة فانظر الى كرم الله تعالى وحسن لطفه بعباده

﴿ وحكى عن بعض الصالحين رضى الله تعالى عنه ﴾ أن ملكا بنى دارا وأحسن بناءها وزينها وصنع فيها طعاما ودعا الناس اليها وأجلس على بابها العبيد والغلمان يسألون كل من خرج ويقولون هل رأيتم عيبا فيها فيقولون لا وهم لا يمنعون احدا من الدخول ... اناس فى اخر الناس عليهم

عاهدتني أن لا تعود فقال دعني هذه المرة فاني لا أعود فتركه ثم عاد فأخذه الثالثة فقال أليس قد عاهدتني أن لا تعود لا أدعك اليوم حتى أذهب بك الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال لا تفعل فانك ان تدعني علمتك كلمة اذا قلتها لم يقربك أحد من الجن لا صغير ولا كبير ولا ذكر ولا أنثى قال له لتفعلن ان تركتك قال نعم قال فما هي قال الله لا اله الا هو الحي القيوم حتى ختمها فتركه فذهب فلم يعد بعد ذلك فذكر ذلك أبو هريرة للنبي صلى الله عليه وسلم فقال له أما علمت يا أبا هريرة هذه انه كذلك صدق الخبيث *واللوح *والقلم قال الله تعالى وكل شئ أحصيناه في امام مبين وقال تعالى ن والقلم وما يسطرون (وقال) ابن عباس ان مما خلق الله تعالى لوحا محفوظا من درة بيضاء دفتاه من ياقوتة حمراء كتابته نور وقلمه نور عرضه كما بين السماء والارض ينظر الله تعالى فيه كل يوم ثلثمائة وستين نظرة منها يخلق ويرزق ويحيي ويميت ويفعل ما يشاء فذلك قوله تعالى كل يوم هو في شان (ويروى) أن أول ما خلق الله القلم فنظر اليه نظرة هيبة وكان طوله كما بين السماء والارض فانشق نصفين وقال اكتب فقال يارب وما أكتب قال اكتب بسم الله الرحمن الرحيم ثم قال له اجر بما هو كائن الى يوم القيامة (ويحكى) أن ابن الزيات دخل على بعض الخلفاء فوجده مغموما فقال له روح عني يا ابن الزيات فأنشد يقول

الهم فضل والقضا غالب * وكائن ما خط في اللوح
فالتمس الروح وأسبابه * أيأس ما كنت من الروح

*والبيت المعمور (روى) الزهري عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان في سماء الدنيا بيتا يقال له البيت المعمور بحيال الكعبة وان في السماء السابعة بحرا من نور يقال له الحيوان يدخل فيه جبريل عليه السلام كل غداة فينغمس فيه انغماسة ثم يخرج فينتفض انتفاضة فيخرج منه سبعون ألف قطرة من نور فيخلق الله تعالى من كل قطرة ملكا فيؤمرون أن يأتوا البيت المعمور فيصلون فيه فيأتونه فيدخلونه ويصلون فيه ثم يخرجون فلا يعودون اليه الى يوم القيامة *وسدرة المنتهى قال الله تعالى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى (قال) كعب وغيره دخل حديث بعضهم في بعض هي شجرة في السماء السابعة مما يلي الجنة أصلها ثابت في الجنة وعروقها تحت الكرسي وأغصانها تحت العرش اليها ينتهي علم الخلائق كل ورقة منها تظل أمة من الامم يغشاها ملائكة كأنهم فراش من ذهب وعليها ملائكة لا يعلم عددهم الا الله تعالى ومقام جبريل عليه السلام وسطها والله أعلم *والجنة قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الجنة كيف هي قال من يدخل الجنة يحيى لا يموت وينعم لا يبأس لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه قيل يا رسول الله كيف بناؤها قال لبنة من ذهب ولبنة من فضة ملاطها مسك أذفر وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت وترابها من الزعفران (وروى) مجاهد عن مسروق عن أبي ذر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان السماء أطت وحق لها أن تئط ليس منها موضع أربع أصابع الا وفيه ملك ساجد أو راكع أو قائم أو قاعد يذكر الله تعالى لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولخرجتم الى صحراء تجأرون الى الله تعالى

﴿الباب السابع في ذكر مآلها وآخر حالها﴾

علم أن الله تعالى وعد السماء سبعة أشياء أحدها المور قال الله تعالى يوم تمور السماء مورا يعني تدور كدوران الرحى من هول يوم القيامة والثاني أخبر أنها تصير كالمهل فقال تعالى يوم تكون السماء كالمهل يعني دردي الزيت والثالث أخبر أنها تصير وردة كالدهان قال الله تعالى فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان والرابع الانشقاق قال الله تعالى اذا السماء انشقت والخامس الانفطار قال الله تعالى اذا السماء انفطرت والسماء منفطر به والانفطار أكثر من الانشقاق والسادس الانفراج قال الله تعالى واذا السماء فرجت والسابع الكشط قال الله تعالى واذا السماء كشطت أي نزعت من مكانها وطويت طيا قال الله تعالى يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب الآية وأحسن الشاعر حيث قال

اذا قيل من رب هذي السما * فليس سواه له مضطرب
ولو قيل رب سوى ربنا * لقال العباد جميعا كذب

﴿مجلس في ذكر خلق الشمس والقمر وصفة سيرهما وبدء أمرهما ومعادهما﴾

وهو ما أخبرنا أبو سعيد محمد بن عبد الله بن حمدون الثقة الامين بقراءتي عليه في صفر سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة قال أخبرني أبو حامد أحمد بن محمد بن الحسن الشرقي الحافظ قال حدثنا أبو الحسن أحمد بن يوسف السلمي قال

مرقعات فلما دخلوا أكلوا من تلك الوليمة تلقتهم العبيد والغلمان ثم سألوهم هل رأيتم عيبا فقالوا نعم رأينا عيبين اثنين قال فحبسوهم ورجعوا للملك فأخبروه بما قال هؤلاء فقال الملك ما كنت أرضى بعيب واحد فكيف أرضى بعيبين ثم قال ائتوني بهم فأحضروهم بين يديه فسألهم عن العيبين ماهما فقالوا تخرب الدار ويموت صاحبها فقال الملك هل تعرفون دارا لا تخرب ولا يموت صاحبها فقالوا نعم فقال الملك فأين هي فذكروا له الجنة ونعيمها وشوقوه اليها وذكروا له النار وخوفوه منها ودعوه الى عبادة الله تعالى فأجابهم الى ذلك وخرج من ملكه هاربا تائبا الى الله تعالى نسأله تعالى التوبة والمغفرة ﴿وحكى عن بعضهم رضي الله عنه ونفعنا به﴾ قال كان لي أخ في الله تعالى وكان من الاولياء وكان رجلا جميلا حسن الخلق طيب المحيا وكان له زوجة من أهل الخير والصلاح وكانت على قدمه فكانا يشتغلان في صنعة المراوح والاطباق فكنت أوده وأزوره وألتمس منه الدعاء فكنت كلما دخلت بيته وجدت عنده ريشا من ريش الطيور العالية مثل العنقاء والنسر والعقاب والطاوس على سائر الاجناس العجيبة يشتغل بذلك الريش صنعة المراوح فكنت أتعجب من

حدثنا أبو عصمة يحيى بن أبي مريم الخراساني قال أنبأنا مقاتل عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال بينما هو جالس ذات يوم من الايام اذ أتاه رجل فقال يا ابن عباس اني سمعت العجب من كعب الاحبار يذكر في الشمس والقمر وكان ابن عباس متكئا فاحتفز ثم قال وماذا قال قال زعم كعب الاحبار أنه يجاء بالشمس والقمر يوم القيامة كانهما ثوران عقيران فيقذفان في النار قال عكرمة فطارت من ابن عباس شفة ووقعت أخرى غضبا ثم قال كذب كعب الاحبار قالها ثلاثا بل هذه يهودية يريد ادخالها في الاسلام والله تعالى أكرم وأجل من أن يعذب اهل طاعته ألم تر الى قوله تعالى وسخر لكم الشمس والقمر دائبين يعني دأبهما في طاعته فكيف يعذب عبدين أثنى عليهما انهما دائبان في طاعته قاتل الله هذا الحبر وقبح حديثه ما أجرأه على الله وأعظم فريته على هذين العبدين المطيعين لله تعالى ثم استرجع مرارا ثم أخذ عودا من الارض فجعل ينكت به في الارض وظل كذلك ماشاء الله ثم انه رفع رأسه ورمى بالعود وقال ألا أحدثكم بما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول في الشمس والقمر وبدء خلقهما ومصير أمرهما قلنا بلى يرحمك الله تعالى فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن ذلك فقال ان الله تعالى لما أتقن خلقه احكاما ولم يبق الا آدم خلق شمسين من نور عرشه فأما ما كان من سابق علم الله تعالى أن يدعها شمسا فانه خلقها مثل الدنيا من مشارقها ومغاربها وأما ما كان من سابق علم الله أن يطمسها ويحولها قمرا فانه خلقها دون الشمس في العظم ولكن انما يرى صغرها من شدة ارتفاع السماء وبعدها عن الارض فلو ترك الله تعالى الشمس كما كان في بدء الامر لم يعرف الليل من النهار ولا النهار من الليل ولا يدري الاجير متى يعمل ولا متى يأخذ أجرته ولا يدري الصائم الى متى يصوم والى متى يفطر ولا تدري المرأة كيف تعتد ولا يدري المسلمون متى وقت صلاتهم ومتى وقت حجهم ولا يدري المدينون متى يحل دينهم ولا يدري الناس متى يزرعون ومتى يسكنون راحة لابدانهم وكان الله أنظر لعباده وأرحم بهم فأرسل جبريل عليه السلام فأمر جناحه على وجه القمر وهو يومئذ مثل الشمس ثلاث مرات فطمس عنه الضوء وبقي فيه النور فذلك قوله تعالى وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة فالسواد الذي في جوف القمر مثل الخطوط فيه انما هو أثر المحو ثم خلق الله تعالى الشمس من ضوء نوره ثم خلق الله تعالى للشمس عجلة فيها ثلثمائة وستون عروة ووكل بالشمس وعجلتها ثلثمائة وستين ملكا من الملائكة من أهل سماء الدنيا قد تعلق كل منهم بعروة من تلك العرى وخلق الله تعالى مشارق ومغارب في أقطار الارض وكنفي السماء ثمانين ومائة عين في المشرق من طينة سوداء وثمانين ومائة عين في المغرب مثل ذلك من طينة سوداء يفور غليانها كغلي القدر اذا اشتد غليانها وذلك قوله تعالى وجدها تغرب في عين حمئة ومعنى حمئة سوداء من طين فكل يوم وليلة لها مطلع جديد ومغرب جديد ما بين أولها مطلعا وأولها مغربا أطول ما يكون النهار في الصيف وآخرها مطلعا مشرقا ومغربا أقصر ما يكون النهار في الشتاء فذلك قوله تعالى رب المشرقين ورب المغربين يعني آخرها ههنا وأولها ههنا وترك ما بين ذلك من المشارق والمغارب ثم جمعها بعد ذلك فقال رب المشارق والمغارب فذلك عدة تلك العيون كلها ثم خلق الله تعالى بحرا دون سماء الدنيا بمقدار ثلاثة فراسخ فهو موج مكفوف قائم في الهواء باذن الله تعالى لا يقطر منه قطرة والنجوم كلها سابحة في ذلك البحر وهو جار في سرعة السهم وانطلاقه فهو في الهواء مستو كانه حبل ممدود ما بين المشرق والمغرب وتجري الشمس والقمر والخنس في سرعة دوران الرحا من أهوال يوم القيامة وزلازلها في ذلك البحر فذلك قوله تعالى وكل في فلك يسبحون والفلك في دوران العجلة في لجة غمرة ماء ذلك البحر والذي نفس محمد بيده لو بدت الشمس من دون ذلك البحر لاحرقت كل شيء على وجه الارض حتى الصخور والحجارة ولو بدا القمر من دون ذلك البحر لافتتن به أهل الارض حتى يعبدونه من دون الله تعالى الا ما شاء الله أن يعصمه من أوليائه وأهل طاعته (قال) ابن عباس رضي الله عنه قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه بأبي أنت وأمي يا رسول الله اذ ذكرت مجرى الخنس مع الشمس والقمر وقد أقسم الله تعالى بالخنس في القرآن مثل ما كان ذكرك اليوم فما الخنس فقال عليه السلام يا علي هن الكواكب الخمسة البرجيس وهو المشتري وزحل وعطارد وبهرام والزهرة فهذه الكواكب الخمسة الطالعات الجاريات مع الشمس والقمر في الفلك وأما سائر الكواكب فكلها معلقات في السماء كتعليق القناديل في المساجد وهي تدور مع السماء دورانا بالتسبيح والتقديس والصلاة لله تعالى ثم قال النبي صلى الله

ذلك فقلت له يا أخي من يأتيك بهذا الريش مع قلة خروجك للجبال والاودية فقال يا أخي ان الله سبحانه وتعالى سخر لي ملكا من الملائكة يأتيني بذلك في كل جمعة لاجل المعونة على القوت فلما كان في بعض الايام فقدته فمضيت اليه في بعض الاسواق التي كان يبيع فيها المراوح فلم أجده فمضيت الى داره وطرقت الباب فخرجت زوجته وقالت من بالباب فقلت لها فلان أخو زوجك يريد السؤال عنه هل هو غائب أم ضعيف فقالت يا سيدي انه مقيم الا أنه مشغول بذكر ربه عز وجل فقلت لها اني أحب أن أراه فاني مشتاق اليه فمضت وعادت الي وقالت ادخل فدخلت اليه فرأيته في بيت مبني له للعبادة وعليه أنوار السعادة فلما رآني قام الي واعتنقني وسلم علي سلام المحبين ثم جلسنا وتحدثنا ساعة فبينما نحن في الحديث اذا بمائدة قد وضعت بين أيدينا فيها من جميع الالوان فاكلنا من تلك المائدة فلما رفعت اذا بقدح من ماء قد وضع بين أيدينا فشربنا منه فما أكلت أحسن من ذلك الطعام ولا أحلى من ذلك الماء فعرفت أن ذلك الطعام والماء من الجنة ثم سألته بعد ذلك عن سبب امتناعه عن الخروج الى تسببه فتبسم وقال يا أخي وقع لي حكاية عظيمة فقلت وما هي فقال خرجت يوما

عليه وسلم وان أحببتم أن تستبينوا ذلك فانظر وادوران الفلك مرة من ههنا ومرة من ههنا وان لم تستبينوا الفلك بالمجرة وبياضها مرة من ههنا ومرة من ههنا فذلك دوران الشمس والقمر ودوران الكواكب معا كما يساوى هذه الخمسة ودورانها اليوم كما ترون فذلك صلاتها ودورانها يوم القيامة في سرعة دوران الرحا من أهوال يوم القيامة فذلك قوله تعالى يوم تمور السماء مورا يعني تدور ردورانا وتسير الجبال سيرا فاذا طلعت الشمس فانها تطلع من بعض تلك العيون على عجلتها ومعها ثلثمائة وستون ملكا ناشري أجنحتهم يجرونها في الفلك بالتسبيح والتقديس لله تعالى على قدر ساعات النهار والقمر كذلك على قدر ساعات الليل ما بين الطول والقصر في الشتاء كان ذلك أو في الصيف أو ما بينهما من الخريف والربيع فاذا أحب الله أن يبتلي القمر والشمس ويرى العباد آية من الآيات يستعتبهم رجوعا عن معاصيه واقبالا على طاعته تحركت الشمس عن العجلة وقال مرة خرت الشمس عن العجلة فتقع في غمر ماء ذلك البحر وهو الفلك فاذا أراد الله تعالى أن يعظم تلك الآية ليشتد خوف العباد وقعت الشمس كلها فلا يبقى على العجلة شيء منها فذلك حين يظلم النهار وتبدو النجوم وذلك هو المنتهى من كسوفها فاذا أراد الله أن يجعل آية دون آية وقع النصف منها أو الثلث أو الثلثان في الماء ويبقى سائر ذلك على العجلة وهو كسوف دون كسوف ابتداء الشمس والقمر وذلك تخويف للعباد واستعتاب من الله تعالى فاي ذلك كان صارت الملائكة الموكلة بعجلتها فرقتين فرقة منهم يقبلون على الشمس فيجرونها نحو العجلة والفرقة الاخرى تقبل على العجلة فتجرها الى الشمس وهم في ذلك يقودونها في الفلك على مقادير ساعات النهار أو ساعات الليل ليلا كان أو نهارا كيلا يزيد في طولها شيء *وقد ألهمهم الله تعالى علم ذلك وجعل لهم تلك القوة فالذي ترون من خروج الشمس والقمر بعد الكسوف قليلا قليلا من ذلك السواد الذي يعلوه فهو من غمر ماء ذلك البحر وهو خروجها من ذلك الماء فاذا أخرجوها كلها اجتمعت الملائكة كلهم فاحتملوها حتى يضعوها على العجلة وذلك حين تنجلي للعالم حتى يحمدوا الله تعالى على ما قواهم لذلك ويتعلقون بعرى العجلة حتى يجرونها باذن الله تعالى في لجة ذلك البحر حتى اذا بلغوا بها المغرب أدخلوها من بعض تلك العيون فتسقط من أفق السماء في العين ثم قال صلى الله عليه وسلم عجبت من خلق الله وما بين من القدرة فيما لم يخلق أتعجب منه ومن ذلك قول جبريل عليه السلام لسارة أتعجبين من أمر الله وذلك ان الله تعالى خلق مدينتين احداهما بالمشرق والاخرى بالمغرب على كل مدينة منها عشرة آلاف باب ما بين كل باب الى الآخر مسيرة فرسخ فاهل المدينة التي بالمشرق من بقايا عاد من نسل مؤمنيهم الذين كانوا آمنوا بهود عليه السلام واسمها بالسريانية برقيشا وبالعبرانية جابلقا واسم المدينة التي بالمغرب بالسريانية برجيسا وبالعبرانية جابرسانيوت على كل باب من هاتين المدينتين كل يوم عشرة آلاف رجل في الحراسة عليهم السلاح ومعهم الكراع لاتنوبهم تلك الحراسة بعد ذلك اليوم الى يوم ينفخ في الصور والذي نفس محمد بيده لولا كثرة هؤلاء القوم وضجيج أصواتهم لسمع أهل الدنيا وقع هذه الشمس حين تطلع وحين تغرب ومن ورائهم ثلاث أمم لا يعلم عددهم الا الله تعالى وهم منسك وتارس وتاويل ومن ورائهم يأجوج ومأجوج وان جبريل عليه السلام انطلق بي اليهم ليلة أسري بي الى السماء فدعوت يأجوج ومأجوج الى الله تعالى والى دينه وعبادته فابوا أن يجيبوني فهم في النار مع من عصى الله من ولد آدم وولد ابليس ثم انطلق بي الى هاتين المدينتين فدعوتهم الى الله تعالى والى دينه وعبادته فاجابوا وأنابوا فهم اخواننا في الدين من أحسن منهم فهو مع المحسنين ومن أساء فهو من المشركين ثم انطلق بي الى الامم الثلاث فدعوتهم الى دين الله وعبادته فابوا علي وكفروا بالله وكذبوا برسله فهم مع يأجوج ومأجوج وسائر من عصى الله تعالى في النار فاذا ما غربت الشمس رفع بها الى السماء السابعة في سرعة طيران الملائكة وتحبس تحت العرش فتستأذن من أين تؤمر بالطلوع من مغربها أم من مطلعها وتكسى ضوأ وان كان القمر فنورا على قدر ساعات الليل والنهار ثم ينطلق بها الى ما بين السماء السابعة وما بين أسفل درجات الجنان في سرعة طيران الملائكة فتنحدر حيال المشرق من سماء الى سماء فاذا وصلت الى هذه السماء فذلك حين ينفجر الفجر عن الصبح فاذا انحدرت من بعض تلك العيون فذلك حين يضيء الصبح فاذا وصلت الى هذا الوجه من السماء فذلك حين يضيء النهار فتلك مطالعها ومغاربها ما بين أولها عينا الى آخرها عينا في الطلوع والغروب فذلك تمام ستة أشهر ثم اذا رجعت كذلك من عين الى عين في الطلوع

والغروب

لبيع المراوح على عادتي فضيت الى أسواق بغداد فلم يفتح على بشيء ولم يكن عندنا شيء من القوت فخرجت ومضيت الى بعض الحارات حتى انتهيت الى حارة لبعض الوزراء فبينما أنا مار بها اذا بامرأة جالسة في قصر عال مشيد الاركان فلما رأتني أرسلت الى جارية من بعض جواريها كأنها قطعة من جبل فلما أقبلت على لم تمهلني دون ان احتملتني فلم أشعر بنفسي الا وأنا في وسط الدار فاحتملتني الجواري ثانيا الى ذلك القصر فاغشي على فلما أفقت نظرت الى سرير من عاج مرصع باليواقيت مزين بانواع الذهب والفضة فدهشت من ذلك واذا بامرأة قد أقبلت على كأنها من الحور العين وعليها من الحلي والحلل ما لا أقدر أن أصفه فلما دنت مني أغمضت بصري عنها فقالت مرحبا بك ضيافة ثلاثة أيام فتحيرت عند كلامها حيرة شديدة اذ لم أجد لي مخلصا أتخلص به منها فقلت لها لابد من ذلك فقالت نعم فقلت لها يكون ذلك بعد أن أصعد الى أعلى ذلك القصر وأرجع فقالت أنا أدلك على بيت الماء لقضاء حاجتك وأخدمك بنفسي فقلت لا يمكن ذلك الا أن أتوصل الى أعلى ذلك القصر ثم غلبت عليها بالحيلة فقامت وأرشدتني الى باب مغلق يتوصل منه الى أعلاه ثم فتحته وقالت أمض ولا تغب عني فصعدت مسرعا

والغروب الى آخرها ثمانية فذلك تمام السنة فعدة أيامها ولياليها ثلثمائة وستون ليلة وخلق الله تعالى عند المشرق حجابا من الظلمة ووضعه على البحر السابع مقدار عدة الليالي فى الدنيا منذ خلقها الله تعالى الى يوم تنصرف فاذا كان عند غروب الشمس أقبل ملك من الملائكة الذين قد وكلوا بالليل فيقبض قبضة من ظلمة ذلك الحجاب ثم يستقبل المغرب فلا تزال تلك الظلمة تخرج من خلال أصابعه قليلا قليلا وهو يراعى الشفق فاذا غاب الشفق أرسل الظلمة جميعا ثم ينشر جناحيه فيبلغان أقطار الارض وكنفى السماء ويجاوزان ماشاء الله خارجا فى الهواء فيسوق ظلمة الليل بجناحيه بالتسبيح والتقديس حتى يبلغ المغرب على قدر ساعات الليل فاذا بلغ المغرب أسفر الصبح من المشرق فضم جناحيه ثم يضم الظلمة كلها بعضها الى بعض فيقبضها بكفيه ثم يقبض عليها بكف واحد نحو قبضته التى تناولها من الحجاب بالمشرق ثم يضعها عند المغرب على البحر السابع فمن هناك ظلمة الليل اذا ما نقل ذلك الحجاب الى المشرق والى المغرب فاذا نفخ فى الصور انقضت أيام الدنيا فنور النهار من ضوء الشمس وظلمة الليل من قبل ذلك الحجاب فلا تزال الشمس والقمر كذلك من مطلعهما الى مغربهما الى ارتفاعهما الى السماء السابعة الى محبسهما تحت العرش حتى يأتى الوقت الذى وقته الله تعالى لتوبة العباد وتكثر المعاصى فى الارض ويذهب المعروف ولا يأمر به أحد ويفشو المنكر فلا ينهى عنه أحد فاذا فعلوا ذلك حبست الشمس مقدار ليلة تحت العرش وكلما سجدت واستأذنت ربها من أين تطلع فلا يؤذن لها ولا يرد لها جواب حتى يوافيها القمر فيسجد معها ويستأذن من أين يطلع فلا يؤذن لهما ولا يرد لهما جواب حتى يحبسهما مقدار ثلاث ليال للشمس وليلتين للقمر فلا يعرف طول تلك الليلة الا المتهجدون فى الارض وهم يومئذ عصابة قليلة فى الارض فى كل بلد من بلاد المسلمين فى هوان بين الناس وذلة فى أنفسهم فينام أحدهم تلك الليلة مقدار ما كان ينام قبلها من الليل ثم يقوم فيتوضأ ويدخل مصلاه فيصلى ورده ولا يصبح نحو ما كان يصبح كل ليلة قبل ذلك فينكر ذلك ويخرج فينظر الى السماء فاذا هو بالليل مكانه والنجوم قد استدارت فى السماء وصارت فى أماكنها من أول الليل فينكر ذلك ويظن فيها الظنون ويقول أخففت قراءتى أم قصرت صلاتى أم قمت قبل حينى قال ثم يقوم فيعود الى مصلاه فيصلى نحو صلاته ثم ينظر فلا يرى الصبح فيخرج أيضا فاذا هو بالليل مكانه فيزيده ذلك انكارا ويخالطه الخوف ويظن فى ذلك الظنون من السوء ثم يقول لعلى قصرت صلاتى أو خففت قراءتى أو قمت فى أول الليل ثم يعود وهو وجل خائف مشفق لما يتوقع من هول تلك الليلة فيقوم فيصلى أيضا مثل ورده كل ليلة قبل ذلك ثم ينظر فلا يرى الصبح فيخرج الثالثة فينظر الى السماء فاذا هو بالنجوم قد استدارت مع السماء فصارت فى أماكنها أول الليل فيشفق عند ذلك شفقة المؤمن العارف لما كان يحذر فيلحقه الخوف وتلحقه الندامة ثم ينادى بعضهم بعضا وهم قبل ذلك كانوا يتعارفون ويتواصلون فيجتمع المتهجدون من أهل كل بلدة فى تلك الليلة فى مسجد من مساجدهم يجأرون الى الله تعالى بالبكاء والصراخ بقية تلك الليلة فاذا تم لهما مقدار ثلاث ليال أرسل الله تعالى جبريل عليه السلام اليهما فيقول لهما ان الرب تعالى يأمركما أن ترجعا الى مغربكما فتطلعا منه انه لا ضوء لكما عندنا ولا نور فيبكيان عند ذلك وجلا من الله تعالى وخوف يوم القيامة بكاء يسمعه أهل السبع سموات ومن دونها وأهل سرادقات العرش ومن فوقها فيبكون جميعا لبكائهما لما خالطهم من خوف الموت وخوف يوم القيامة فترجع الشمس والقمر فيطلعان من مغربهما قال فبينما المتهجدون يبكون ويتضرعون الى الله تعالى والغافلون فى غفلتهم اذ نادى مناد ألا ان الشمس والقمر قد طلعا من مغاربهما فينظر الناس فاذا هم بهما أسودان لا ضوء للشمس ولا نور للقمر مثلهما فى كسوفهما قبل ذلك فذلك قوله تعالى وجمع الشمس والقمر وقوله تعالى اذا الشمس كورت فيرتفعان كذلك مثل البعيرين القرنين ينازع كل واحد منهما صاحبه استباقا ويتصارخ أهل الدنيا وتذهل الامهات عن أولادها والاحبة عن ثمرات فؤادها فتشتغل كل نفس بما كسبت فأما الصالحون والابرار فانه ينفعهم بكاؤهم يومئذ ويكتب لهم ذلك عبادة وأما الفاسقون والفجار فلا ينفعهم ويكتب عليهم حسرة فاذا ما بلغ الشمس والقمر سرة السماء وهى منتصفها جاءهما جبريل عليه السلام فيأخذ بقرونهما ويردهما الى المغرب فلا يغربهما من مغاربهما من تلك العيون ولكن يغربهما من باب التوبة فقال عمر بأبى أنت وأمى يارسول الله وما باب التوبة فقال ياعمر خلق الله تعالى بابا للتوبة خلف المغرب له مصراعان من ذهب مكللان بالدر والجوهر

الى أعلاه ونظرت الى الارض فرأيتها بعيدة فرفعت بصرى الى السماء وقلت سيدى لايخفى عليك أمرى الموت ولا معصيتك ثم هان على الوقوع من أعلى ذلك القصر فألقيت نفسى الى الارض فأرسل الله تعالى الى ملكا من الملائكة فاحتملنى على جناحه فلم أشعر بنفسى الا وأنا على باب دارى فحمدت الله تعالى على ذلك وأخبرت زوجتى فسجدت شكرا لله تعالى ثم عاهدت الله أن لا أخرج من بيتى حتى أموت فهذا حديثى ياأخى قال فخرجت من عنده متعجبا وقرأت هذه الآية ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لايحتسب فصار على ذلك الحال حتى مات رحمه الله تعالى ونفعنا به (وحكى عن الامام أبى القاسم الجنيد رضى الله عنه) أنه قال حججت سنة من السنين الى بيت الله الحرام وزيارة النبى عليه الصلاة والسلام فبينما أنا فى الطريق اذ سمعت صوتا موزونا يخرج من كبد محزون قال الجنيد فبادرت الى ذلك الصوت حتى أوقعنى بغلام كالقمر فلما رآنى قال مرحبا بك ياأبا القاسم قال فتعجبت منه عجبا شديدا وقلت له حبيبى ومن أعلمك باسمى ولم ترنى قبل ذلك فقال ألتستر وحى وروحك فى الملكوت فاعلمنى باسمك الحى الذى لايموت ثم قال بالله

مابين المصراع الى المصراع اربعون سنة للراكب المسرع فذلك الباب مفتوح منذ خلق الله تعالى الدنيا الى صبيحة تلك الليلة عند طلوع الشمس والقمر من مغربهما ولم يتب عبد من عباد الله تعالى توبة نصوحا منذ خلق الدنيا الى ذلك اليوم الا ولجت تلك التوبة فى ذلك الباب ثم ترفع الى الله تعالى فقال معاذ بن جبل بأبى أنت وأمى يارسول الله وما التوبة النصوح قال أن يندم العبد على الذنب الذى أصاب فيعتذر الى الله تعالى ثم لا يعود اليه كما لا يعود اللبن الى الضرع قال فيغربهما جبريل عليه السلام من ذلك الباب ثم يرد المصراعين ثم يلتئم ما بينهما فيصير كانه لم يكن فيما بينهما صدع قط واذا أغلق باب التوبة لم يقبل للعبد بعد ذلك توبة ولا تنفعه حسنة يعملها فى الاسلام الا من كان قبل ذلك محسنا فانه يجرى عليه ما كان يجرى عليه قبل ذلك اليوم فذلك قوله تعالى يوم يأتى بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت فى ايمانها خيرا فقال أبى بن كعب بأبى أنت وأمى يارسول الله فكيف بالشمس والقمر بعد ذلك وكيف بالناس والدنيا فقال يا أبى ان الشمس والقمر يكسيان النور والضوء بعد ذلك ثم يطلعان ويغربان كما كانا قبل ذلك وأما الناس فانهم مع ما رأوا من فظاعة تلك الآية وعظمتها يلحون على الدنيا ويجرون فيها الانهار ويغرسون فيها الاشجار ويبنون فيها البنيان وأما الدنيا فلو نتج الرجل منهم فيها مهرا لم يركبه حتى تقوم الساعة من لدن طلوع الشمس من مغربها الى أن ينفخ فى الصور فقال حذيفة جعلنى الله فداك يارسول الله فكيف بهم عند النفخ فى الصور قال ياحذيفة والذى نفسى بيده لينفخن فى الصور ولتقومن الساعة والرجل قد لاط حوضه فلا يشرع فيه الماء ولتقومن الساعة وقد أخذ ابن لقحته من تحتها فلا يشرب به ولتقومن الساعة والثوب بين الرجلين فلا ينشرانه ولا يطويانه ولا يبيعانه ولتقومن الساعة والرجل قد رفع لقمته الى فيه فلا يطعمها ثم تلا هذه الآية ولتأتينهم بغتة وهم لا يشعرون فاذا قامت الساعة قضى الله تعالى بين أهل الدارين وميز بين الفريقين أهل الجنة والنار وقبل أن يدخلوهما يدعو الله تعالى بالشمس والقمر فيجاء بهما أسودين لا نور لهما مكدرين قد وقعا فى الزلازل والبلايا وفرائصهما ترعد من هول يوم القيامة وهول ذلك اليوم ومن مخافة الرحمن تعالى فاذا كانا حذاء العرش خرا ساجدين لله تعالى ويقولان يا الهنا قد علمت طاعتنا لك ودأبنا فى طاعتك وسرعتنا المضى فى أمرك أيام الدنيا فلا تعذبنا بعبادة المشركين ايانا فقد علمت انا لن ندعوهم الى عبادتنا ولم نذهل عن عبادتك فيقول الله تعالى صدقتما انى قد قضيت على نفسى أن أبدئ وأعيد انى أعيدكما الى ما بدأتكما منه فارجعا الى ما خلقتكما منه فيقولان ربنا مم خلقتنا فيقول خلقتكما من نور عرشى فارجعا اليه فيتلمع من كل واحد منهما برقة تكاد تخطف الابصار نورا فيختلطان بنور العرش فذلك قوله تعالى يبدئ ويعيد قال عكرمة فقمت مع النفر الذين حدثوا عن كعب ما حدثوا به من أمر الشمس والقمر حتى أتيناه فاخبرناه بغضب ابن عباس وما وجد من حديثه وبما حدثنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهما بما بين مبدئهما الى معادهما فقال كعب الاحبار انى حدثت عن كتاب دارس منسوخ قد تداولته الايدى وابن عباس حدث عن كتاب حديث العهد بالرحمن جل جلاله ناسخ للكتب وعن سيد الانبياء والمرسلين خير البشر ثم قام فمشى الى ابن عباس فقال بلغنى ما كان من وجدك من حديثى وما حدثت به من كتاب الله تعالى ومن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وانى أستغفر الله من ذلك مع أنى لم أتقوله من تلقاء نفسى ولكن حدثت عن كتاب دارس فلا أدرى ما كان فيه من تبديل الكفار واليهود وأنت حدثت ما حدثت عن كتاب حديث العهد بالرحمن ناسخ للكتب وعن سيد المرسلين وأنا أحب أن تحدثنى بما حدثت به أصحابك من حديث الشمس والقمر فاحفظ عنك الحديث فاذا حدثت بشئ من أمر الشمس والقمر فيما بعد هذا اليوم كان هذا الحديث الذى تحدثنى به مكان حديثى الاول قال عكرمة فوالله لقد أعاد عليه ابن عباس الحديث وانى لاستقريه فى قلبى بابا بابا فما زاد شيأ ولا نقص شيأ ولا قدم ولا أخر فزادنى ذلك فى ابن عباس رغبة وللحديث حفظا والله أعلم

(مجالس فى قصة آدم عليه الصلاة والسلام وهى تشتمل على أبواب كثيرة)

(الباب الاول فى ذكر وجوه من الحكمة وخلق آدم عليه الصلاة والسلام)

قال الحكماء خلق الله تعالى الخلق ليظهر وجوده ولو لم يخلق لما عرف أنه موجود وليظهر كمال علمه وقدرته بظهور أفعاله المتقنة المحكمة لانها لا تتأتى الا من قادر حكيم وليعبد فانه يحب عبادة العابدين ويثيبهم عليها على قدر فضله

عليك ياجنيد اذا أنا مت فغسلنى وكفنى فى ثيابى هذه واطلع على هذه الرابية وناد الصلاة على هذا الغريب يرحمكم الله قال الجنيد

ثم ان الشاب عرق منه الجبين واشتد به الانين ثم قال بالله عليك ياجنيد اذا قضيت حجك ورجعت فاقصد بغداد واسأل عن درب الزعفرانى واسأل عن والدتى وعن ولدى وقل لهما ان الغريب يقرئكما السلام ثم شهق شهقة فمات رحمة الله تعالى عليه قال الجنيد فتأسفت عليه أسفا شديدا ثم غسلته وكفنته وطلعت على الرابية كما قال وناديت الصلاة على الغريب يرحمكم الله قال الجنيد واذا بجماعة قد أقبلوا من كل فج عميق كأنهم البدور فصلينا عليه ودفناه وانصرفت متحسرا عليه فلما قضيت حجى رجعت الى بغداد ثم سألت عن ذلك الدرب فأرشدت اليه فلما دخلت الدرب نظرت فاذا بصبيان يلعبون فى الزقاق فنهض من بينهم غلام صغير السن حسن الوجه فصيح اللسان فقال يا أبا القاسم لعلك جئت تخبرنى بموت والدى قال الجنيد فتعجبت من كلام الغلام على صغر سنه ومكاشفته ثم سلم على

لى قدر أفعالهم وان كان غنيا عن عبادة خلقه لا يزيد فى ملكه طاعة المطيعين ولا ينقص من ملكه معصية
العاصين قال الله تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون وليظهر احسانه لانه محسن فاوجدهم ليحسن اليهم
وليتفضل عليهم فيعامل بعضا بالعدل و بعضا بالفضل وخلق المؤمنين خاصة للرحمة كما قال عز و جل وكان
بالمؤمنين رحيما وقال تعالى ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم قال جعفر بن محمد الصادق
والضحاك بن مزاحم أى للرحمة خلقهم وليحمدوه لانه يحب الحمد ويروى أن آدم عليه السلام لما خلقه الله تعالى
وعرض عليه ذريته وجد فيهم الصحيح والسقيم والحسن والقبيح والاسود والابيض فقال يارب هلا سويت بينهم
فقال الله تعالى انى أحب أن أشكر (قال) أبو الحسن الفتال خلق الله تعالى الملائكة للقدرة وخلق الاشياء للعبرة
وخلقك للمحنة قال الله تعالى الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم (قال العلماء) خلقكم لاظهار القدرة ثم رزقكم
لاظهار الكرم ثم يميتكم لاظهار القهر والجبروت ثم يحييكم لاظهار العدل والفضل والثواب والعقاب ومنهم من
قال خلق الخلق جميعهم لاجل محمد صلى الله عليه وسلم (عن) قتادة عن سعيد بن المسيب عن ابن عباس قال أوحى
الله تعالى الى عيسى عليه السلام ياعيسى آمن بمحمد وأمر أمتك أن يؤمنوا به فلولا محمد ما خلقت آدم ولا الجنة ولا
النار ولقد خلقت العرش على الماء فاضطرب فكتبت عليه لا اله الا الله محمد رسول الله فسكن وقيل خلقهم لامر
عظيم غيبه عنهم لا يجليه حتى يحل بهم ما خلقهم له قال الله تعالى أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لا ترجعون
(وقال) على بن أبى طالب رضى الله عنه يا أيها الناس اتقوا الله فما خلق امرؤ عبثا فيلهو ولا أهمل سدى فيلغو
(وقال) الاوزاعى بلغنى أن فى السماء ملكا ينادى كل يوم ألا ليت الخلق لم يخلقوا وليتهم اذ خلقوا عرفوا لما خلقوا له
وقال بعضهم اذا ماتوا ثم خلقوا علموا لماذا خلقوا له وجلسوا فتذاكروا ماذا عملوا وكان أبو عبد الرحمن الزاهد
يقول فى مناجاته الهى غيبت عنى أجلى وأحصيت على عملى ولا أدرى الى أى الدارين منقلبى لقد أوقفتنى وقفة
المحزون أبدا ما أبقيتنى (وقال) أبو القاسم الحكيم ان الله تعالى جعل ابن آدم بين البلوى والبلى فما دام الروح فى
جسده فهو فى البلوى فاذا فارق الروح الجسد فهو فى البلى فأنى له السرور وهو بين البلوى والبلى (وقال) بعض
الحكماء يا ابن آدم انظر الى خطر مقامك فى الدنيا ان ربك حلف فقال لاملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين
وان ابليس حلف فقال فبعزتك لاغوينهم أجمعين الا عبادك منهم المخلصين وأنت يا مسكين بين الله تعالى وبين
ابليس مطروح ساه لاه والله أعلم

﴿الباب الثانى فى خلق آدم عليه الصلاة والسلام وكيفيته وصفته﴾

قال المفسرون بألفاظ مختلفة ومعان متفقة ان الله تعالى لما أراد خلق آدم عليه الصلاة والسلام أوحى الله الى
الارض انى خالق منك خلقا منهم من يطيعنى ومنهم من يعصينى فمن أطاعنى منهم أدخلته الجنة ومن عصانى
أدخلته النار ثم بعث اليها جبريل عليه السلام ليأتيه بقبضة من ترابها فلما أتاها جبريل ليقبض منها القبضة قالت
له الارض انى أعوذ بعزة الله الذى أرسلك ان لا تأخذ منى شيأ يكون فيه غدا للنار نصيب فرجع جبريل عليه
السلام الى ربه ولم يأخذ منها شيأ وقال يارب استعاذت بك فكرهت أن أقدم عليها فأمر الله عز و جل ميكائيل
عليه السلام فأتى الارض فاستعاذت بالله أن لا يأخذ منها شيأ فرجع الى ربه ولم يأخذ منها شيأ فبعث الله تعالى
ملك الموت فأتى الارض فاستعاذت بالله أن لا يأخذ منها شيأ فقال ملك الموت وانى أعوذ بالله أن أعصى له أمرا
فقبض قبضة من زواياها الاربع من أديمها الاعلى ومن سبخها وطينها وأحمرها وأسودها وأبيضها وسهلها
وحزنها فكذلك كان فى ذرية آدم الطيب والخبيث والصالح والطالح والجميل والقبيح ولذلك اختلفت صورهم
وألوانهم قال الله تعالى ومن آياته خلق السموات والارض واختلاف ألسنتكم وألوانكم ثم صعد بها ملك الموت
الى الله تعالى فامره أن يجعلها طينا ويخمرها فعجنها بالماء المر والعذب والملح حتى جعلها طينا وخمرها فلذلك
اختلفت أخلاقهم ثم أمر جبريل عليه السلام ان يأتيه بالقبضة البيضاء التى هى قلب الارض وبهاؤها ونورها
ليخلق منها محمدا صلى الله عليه وسلم فهبط جبريل عليه السلام فى ملائكة الفردوس المقربين الكروبيين
وملائكة الصفيح الاعلى فقبض قبضة من موضع قبر النبى صلى الله عليه وسلم وهى يومئذ بيضاء نقية فعجنت بماء
التسنيم ورعرعت حتى صارت كالدرة البيضاء ثم غمست فى أنهار الجنة كلها فلما خرجت من الانهار نظر الحق
سبحانه وتعالى الى تلك الدرة الطاهرة فانتفضت من خشية الله تعالى فتقطر منها مائة ألف قطرة وأربعة وعشرون

وأخذ بيدى وأتى الى باب دار وطرق الباب فخرجت لى عجوز عليها اسما الخير والصلاح فسلمت على وهى باكية العين حزينة
القلب ثم قالت يا جنيد
أين مات ولدى وقرة
عينى فلعله مات بعرفة
فقلت لها لا فقالت
لعله مات بمنى فقلت
لها لا فقالت لعله مات
بالمزدلفة فقلت لها لا
فقالت لعله مات
بالبادية تحت شجرة
غيلان فقلت لها نعم
قال فصاحت صيحة
عظيمة وقالت ياولداه
لا الى بيته أوصله ولا
معنا تركه ثم شهقت
شهقة فارقت روحها
الدنيا رحمة الله عليها
قال الجنيد فنظر
الغلام الى السماء وقال
الهى وسيدى ومولاى
لا مع أبى أخذتنى ولا
مع جدتى خلفتنى
اللهم بهما ألحقنى ثم
شهق شهقة فمات رحمة
الله تعالى عليهم أجمعين
قال الجنيد فأخذت
فى غسلهما وتجهيزهما
ودفنهما رحمة الله
عليهما والمسلمين

﴿وحكى عن السرى
السقطى رحمه الله
ونفعنا به﴾ قال كنت
جالسا ببيت المقدس
سنة من السنين عند
الصخرة وكان ذلك فى
أيام العشر وأنا متحسر
حزين على التخلف عن
الحج فى تلك السنة وقلت
فى نفسى ان الناس قد
توجهوا الى مكة ولم يبق الا ايام قلائل وأنا ههنا مقيم قال السرى فبكيت على فوتى تخلفى عن الحج فى تلك السنة فسمعت هاتفا يقول ياسرى

ألف قطرة فخلق الله سبحانه وتعالى من كل قطرة نبيا فكل الانبياء صلوات الله على نبينا وعليهم من نوره خلقوا صلى الله عليه وسلم ثم طيف بها فى السموات والارض فعرفت الملائكة حينئذ محمدا صلى الله عليه وسلم قبل ان تعرف آدم ثم عجنها بطينة آدم عليه الصلاة والسلام ثم تركها أربعين سنة حتى صارت طينا لازبا لينا ثم تركها أربعين عاما حتى صارت صلصالا كالفخار وهو الطين اليابس الذى اذا ضربته بيدك صلصل أى صوّت ليعلم أن أمره بالصنع والقدرة لا بالطبع والجبلة فان الطين اليابس لا ينقاد ولا يتأتى تصويره ثم جعله جسدا وألقاه على طريق الملائكة التى تهبط الى السماء وتصعد منه أربعين سنة فذلك قوله تعالى هل أتى على الانسان حين من الدهر الآية قال ابن عباس الانسان آدم والحين أربعون سنة كان آدم جسدا ملقى على باب الجنة وفى صحيح الترمذى بالاسناد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تفسير أول البقرة ان الله خلق آدم بيده من قبضة قبضها من جميع الارض من السهل والجبل والاسود والابيض والاحمر فجاءت الاولاد على ألوان الارض وسأل عبد الله بن سلام رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف خلق الله آدم عليه السلام فقال خلق رأس آدم وجبهته من تراب الكعبة وصدره وظهره من بيت المقدس وفخذيه من أرض اليمن وساقيه من أرض مصر وقدميه من أرض الحجاز ويده اليمنى من أرض المشرق ويده اليسرى من أرض المغرب ثم ألقاه على باب الجنة فكلما مر عليه ملأ من الملائكة عجبوا من حسن صورته وطول قامته ولم يكونوا قبل رأوا شيأ يشبهه من الصور فمر به ابليس فرآه فقال لامر ما خلقت ثم ضربه بيده فاذا هو أجوف فدخل فى فيه وخرج من دبره وقال لاصحابه الذين معه من الملائكة هذا خلق أجوف لا يثبت ولا يتماسك ثم قال لهم أرأيتم ان فضل هذا عليكم فما أنتم فاعلون قالوا نطيع ربنا فقال ابليس فى نفسه والله لئن فضل هذا على لاعصينه ولئن فضلت عليه لاهلكنه فذلك قوله تعالى وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون يعنى ما أظهرت الملائكة من الطاعة وأسر ابليس من المعصية وقوله تعالى الا ابليس أبى واستكبر وكان من الكافرين ﴿وفى﴾ الخبر أن جسد آدم عليه الصلاة والسلام كان ملقى أربعين سنة يمطر عليه مطر الحزن ثم أمطر عليه مطر السرور سنة واحدة فلذلك كثرت الهموم فى أولاده وتصير عاقبتها الى الفرح والراحة * وأنشدنا فى هذا المعنى أبو عوانة المهرجانى

يقولون ان الدهر يومان كله * فيوم محبات ويوم مكاره
وما صدقوا فالدهر يوم محبة * وأيام مكروه كثير البدائع

وأنشدنى ابن الاعرابى فقال

محن الزمان كثيرة لا تنقضى * وسروره يأتيك بالفلتات

وأنشدنى أبو بكر الصولى لابن المعتز

أى شئ يكون أعجب ممن ذا * لو تفكرت فى صروف الزمان
حادثات السرور توزن وزنا * والبلايا تكال بالقفزان

﴿الباب الثالث فى صفة نفخ الروح﴾

قال العلماء فلما أراد الله أن ينفخ فى آدم عليه السلام الروح أمرها أن تدخل فى فيه فقالت الروح مدخل بعيد القعر مظلم المدخل فقال للروح ثانية فقالت مثل ذلك وكذلك ثالثة الى أن قال فى الرابعة ادخلى كرها واخرجى كرها فلما أمرها الله تعالى بذلك دخلت فى فيه فأول ما نفخ فيه الروح دخلت دماغه فاستدارت فيه مقدار مائتى عام ثم نزلت فى عينيه * والحكمة فى ذلك أن الله تعالى أراد أن يرى آدم بدء خلقه وأصله حتى اذا تتابعت عليه الكرامات لا يدخله الزهو ولا العجب بنفسه ثم نزلت فى خياشيمه فعطس فحين فراغه من عطاسه نزلت الروح الى فيه ولسانه فلقنه الله تعالى أن قال الحمد لله رب العالمين فكان ذلك أول ما جرى على لسانه فأجابه ربه عز وجل وقال يرحمك ربك يا آدم للرحمة خلقتك قال تعالى سبقت رحمتى غضبى ثم نزلت الروح الى صدره وشراسيفه فأخذ يعالج القيام فلم يمكنه ذلك وذلك قوله تعالى وكان الانسان عجولا وقوله تعالى خلق الانسان من عجل فلما وصلت الروح الى جوفه اشتهى الطعام فهو أول حرص دخل جوف آدم عليه الصلاة والسلام ﴿وفى﴾ بعض الاخبار ان آدم عليه السلام لما قال له ربه يرحمك ربك يا آدم مد يده ووضعها على أم رأسه وقال أوّه فقال الله ما لك يا آدم فقال انى أذنبت ذنبا فقال من أين علمت ذلك فقال لان الرحمة للمذنبين فصارت تلك سنة فى أولاده اذا أصاب أحدهم مصيبة أو محنة وضع يده على رأسه وتأوّه ثم انتشرت الروح فى جسده كله فصار لحما ودما وعظاما وعروقا

وعصبا

لاتبك فان الله سبحانه وتعالى يبعث لك من يوصلك الى الحج فى هذه الساعة قال السرى فقلت كيف يكون ذلك وقد بقى أيام قلائل وأنا مقيم ببيت المقدس بعيد عن مكة فقال الهاتف ثانيا لا تخف فان الملك القدير يسهل عليك العسير قال السرى فسجدت شكرا لله عز وجل ثم جلست أرقب صدق الهاتف فبينما أنا كذلك اذا أنا بأربعة شبان قد دخلوا من باب المسجد كأن الشمس تشرق من وجوههم والنور يلمع من جباههم يقدمهم شاب عليه هيبة وجلالة وهم يمشون خلفه وعليهم لباس الشعر وفى أرجلهم نعال الخوص فدنوا من الصخرة ودعوا الله عز وجل فامتلأ المسجد من أنوارهم نورا قال السرى فقمت اليهم وقلت لعل هؤلاء يكونون هم الذين رحمنى ربى بهم ورزقنى صحبتهم قال السرى فدخلوا القبة والشاب قائم يناجى ربه ثم صلى كل منهم ركعتين قال فدنوت من الشاب لاسمع كلامه ومناجاته فبكى وكبر وصلى صلاة سلبت فؤادى فلما فرغ من صلاته جلس وجلست الثلاثة بين يديه قال السرى فدنوت منهم وسلمت عليهم فقال الشاب وعليك السلام ياسرى ياصاحب الهاتف الذى هتف بك اليوم وبشرك أن لايفوتك الحج

وعصيا ثم كساهما الله تعالى لباسا من ظفر وجعل يزداد كل يوم حسنا فلما ارتكب الذنب بدل بهذا الجلد وبقيت منه بقية فى أنامله ليتذكر به أول حاله (قال عبد الله بن الحرث) كانت الدواب تتكلم قبل خلق الله تعالى آدم عليه السلام وكان النسر يأتى الحوت فى البحر فيخبره بما فى البر ويخبره الحوت بما فى البحر فلما خلق الله تعالى آدم عليه السلام جاء النسر الى الحوت فقال لقد خلق الله اليوم خلقا ورأيت اليوم شيأ ليزلنى من وكرى وليخرجنك من البحر فلما أتم الله خلق آدم عليه الصلاة والسلام ونفخ فيه الروح قرطه وشنفه وصوره وختمه ومنطقه وألبسه من لباس الجنة وزينه بأنواع الزينة يخرج من ثناياه نور كشعاع الشمس ونور نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فى جبينه كالقمر ليلة البدر ثم رفعه على سرير وحمله على أكتاف الملائكة وقال لهم طوفوا به فى سمواتى ليرى عجائبها وما فيها فيزداد يقينا فقالت الملائكة لبيك ربنا سمعنا واطعنا فحملته الملائكة على أعناقها وطافت به فى السموات مقدار مائة عام حتى وقف على كل شىء من آياتها وعجائبها ثم خلق الله فرسا من المسك الاذفر يقال له الميمون له جناحان من الدر والجواهر فركبه آدم عليه الصلاة والسلام وجبريل آخذ بلجامه وميكائيل عن يمينه واسرافيل عن شماله فطافوا به السموات كلها وهو يقول السلام عليكم يا ملائكة الله فيقولون وعليك السلام ورحمة الله وبركاته فقال الله تعالى يا آدم هذه تحيتك وتحية المؤمنين من ذريتك فيما بينهم الى يوم القيامة ثم علمه الله تعالى الاسماء كلها (واختلف) العلماء فى هذه الاسماء فقال الربيع بن أنس أسماء الملائكة كلهم وقال عبد الرحمن ابن زيد بن أسلم أسماء ذريته وقال ابن عباس وأكثر الناس علمه اسم كل شىء حتى القصعة والقصيعة ثم أمر الله الملائكة بالسجود له كما قال الله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين وأكثر العلماء على ان الامر بالسجود لآدم انما توجه على الملائكة الذين كانوا مع ابليس خاصة دون سائر الملائكة وكان ذلك سجود تعظيم وتحية لا سجود صلاة وعبادة فلما أمرهم بالسجود سجدوا الا ابليس أبى واستكبر وكان من الكافرين

﴿الباب الرابع فى صفة خلق حواء عليهما السلام﴾ قال المفسرون لما أسكن الله آدم الجنة كان يمشى فيها وحشيا لم يكن له من يجالسه ويؤانسه فألقى الله تعالى عليه النوم فنام فأخذ الله ضلعا من أضلاعه من شقه الايسر يقال له القصيرى فخلق منه حواء من غير أن أحس آدم بذلك ولا وجد ألما ولو الم آدم من ذلك لما عطف رجل على امرأة ثم ألبسها من لباس الجنة وزينها بأنواع الزينة وأجلسها عند رأسه فلما هب آدم من نومه رآها قاعدة عند رأسه فقالت الملائكة لآدم يمتحنون علمه ما هذه يا آدم قال امرأة قالوا وما اسمها قال حواء قالوا صدقت ولم سميت حواء بذلك قال لانها خلقت من شىء حى قالوا ولماذا خلقها الله تعالى قال لتسكن الى وأسكن اليها وذلك قوله تعالى هو الذى خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها قال النبى صلى الله عليه وسلم خلقت المرأة من ضلع أعوج فان تقمها تكسرها وان تتركها تستمتع بها على عوجها (وقيل) الحكمة فى ان الرجال يزيدون على مرور الايام والاعوام حسنا وجمالا لانهم خلقوا من التراب والطين يزداد كل يوم جدة وجمالا والنساء يزددن على مرور الايام قبحا لانهن خلقن من اللحم واللحم يزداد على مرور الايام فسادا وفى بعض الاخبار ان آدم عليه السلام لما رأى حواء مد يده اليها فقالت الملائكة مه يا آدم فقال ولم وقد خلقها الله تعالى لى فقالت الملائكة حتى تؤدى مهرها فقال وما مهرها قالوا ان تصلى على محمد صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات قال ومن محمد قالوا آخر الانبياء من ولدك ولولا محمد ما خلقت ﴿وروى﴾ سعيد بن جبير عن عبد الله بن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد الله أن يخلق جارية بعث اليها ملكين أصفرين مكللين بالدر والياقوت فيضع أحدهما يده على رأسها ويضع الآخر يده على رجلها ويقولان بسم ربنا ونور ربك الله ضعيفة خلقت من ضعيفة المنفق عليها معان الى يوم القيامة

﴿الباب الخامس فى ذكر امتحان الله تعالى آدم عليه الصلاة والسلام وما كان منه فى ذلك﴾

قال أهل التاريخ لما أسكن الله تعالى آدم وحواء عليهما السلام الجنة أباح لهما نعيم الجنة كلها الا الشجرة واحدة وذلك قوله تعالى وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة الى قوله فتكونا من الظالمين (واختلفوا) فى هذه الشجرة التى هى شجرة المحنة فروى عن على رضى الله عنه هى شجرة الكافور وقال قتادة هى شجرة العلم وفيها من كل شىء السلام وقال محمد بن كعب ومقاتل هى السنبلة وقيل هى الحنطة وقيل هى الكرمة فوسوس لهما الشيطان حتى زين لهما الشجرة فأكلا منها ما نهاهما ربهما عن أكله من ثمرة تلك الشجرة وحسن لهما معصية الله تعالى فى

فى هذه السنة قال السرى فكدت أن أصعق وامتلأ قلبى فرحا وسرورا ثم قلت نعم ياسيدى هتف بى الهاتف قبل ورودكم بساعة فقال الشاب ياسرى كنا قبل أن يهتف بك الهاتف فى بلاد خراسان قاصدين بغداد فقضينا حوائجنا وعزمنا على التوجه الى بيت الله الحرام فاحببنا زيارة قبور الانبياء بالشام ثم بعد ذلك نقصد مكة شرفها الله تعالى وعظمها وقد قضينا حقوقهم وزيارتهم وأتينا الى هنا نزور بيت المقدس قال السرى فقلت له ياسيدى وما كنت تصنع بخراسان قال لاجل الاجتماع بابراهيم بن أدهم ومعروف الكرخى اخواننا فخرجنا جميعا نقصد مكة فجئت الى بيت المقدس وذهبا من طريق البادية الى مكة قال السرى فقلت يرحمك الله ان من خراسان الى بيت المقدس مسيرة سنة فقال ياسرى لو كانت الطريق ألف سنة العبيد عبيده والارض أرضه والزيارة بيته والقصد اليه والبلاغ عليه والقوة والقدرة له أماترى الشمس كيف تسير من المشرق الى المغرب فى يوم واحد فهى تسير بقوتها أم بقوة القادر وارادته فاذا كانت الشمس وهى جماد لاحساب عليها ولا عقاب تقطع من المشرق الى المغرب فى يوم واحد فليس ببعيد أن يبلغ عبد من عبيده من خراسان الى بيت المقدس

ذلك حتى أكلا منها وكان وصول عدو الله ابليس اليهما وتزيينه ذلك لهما على ما ذكر من أخبار أهل الأخبار أن ابليس أراد أن يدخل الجنة ليوسوس لآدم وحواء فمنعه الخزنة من ذلك فأتى الحية وكانت من أحسن الدواب التي خلقها الله تعالى لها أربعة قوائم كقوائم البعير وكانت من خزان الجنة وكانت لابليس صديقة فسألها أن تدخله الجنة في فمها فادخلته في فمها ومرت به على الخزنة وهم لا يعلمون فادخلته الجنة وكان قد دخل مع آدم الجنة لما دخل الجنة ورأى ما فيها من النعيم والكرامة فقال طيب لو كان خلدا فاغتنم ذلك الشيطان منه فأتاه من قبل الخلد وقيل ان ابليس لما سمع بدخول آدم الجنة حسده وقال يا ويلاه أنا أعبد الله منذ كذا وكذا ألف سنة ولم يدخلني الجنة وهذا خلق خلقه الله تعالى الآن فادخله الجنة فاحتال في اخراج آدم عليه السلام من الجنة فوقف على باب الجنة وتعبد ثلثمائة سنة هنالك حتى اشتهر بالعبادة وعرفوه بها وهو في كل ذلك ينتظر خروج خارج من الجنة يتوصل به الى آدم فمكث على باب الجنة ثلثمائة سنة لا يأذن الله تعالى في خروج خلق منها فبينما هو كذلك اذ خرج اليه الطاوس وكان سيد طيور الجنة فلما رآه ابليس قال له أيها الخلق الكريم من أنت وما اسمك فما رأيت من خلق الله أحسن منك قال أنا طائر من طيور الجنة اسمي طاوس فبكى ابليس فقال له الطاوس من أنت وما بكاؤك فقال له ابليس أنا ملك من الملائكة الكروبيين وانما بكيت تأسفا على ما يفوتك من حسنك وكمال خلقتك فقال له الطاوس أيفوتني ما أنا فيه قال بلى وانك تفنى وتبيد وكل الخلائق يبلون الا من تناول من شجرة الخلد فانهم المخلدون من تلك الخلائق فقال الطاوس وأين تلك الشجرة قال ابليس هي في الجنة قال الطاوس ومن يدلنا عليها قال ابليس أنا أدلك عليها ان أدخلني الجنة وقال الطاوس كيف لي بادخالك الجنة ولا سبيل الى ذلك لمكان رضوان فانه لا يدخل الجنة أحد ولا يخرج منها أحد الا باذنه ولكني سأدلك على خلق من خلق الله تعالى يدخلكها فانه ان قدر على ذلك أحد فهو هو دون غيره انه خادم خليفة الله تعالى آدم قال ومن هو قال الحية قال له ابليس فبادر اليها ان لنا فيه سعادة الابد لعلها تقدر على ذلك فجاء الطاوس الى الحية وأخبرها بما كان ابليس وما سمع منه وقال اني رأيت بباب الجنة ملكا من الكروبيين من صفته كيت وكيت فهل لك أن تدخليه الجنة ليدلنا على شجرة الخلد فاسرعت الحية نحوه فلما جاءته قال لها ابليس نحوا من مقالته للطاوس فقالت كيف لي بادخالك الجنة ورضوان اذا رآك لم يمكنك من دخولها فقال لها أتحول ريحا فتجعليني بين أنيابك قالت نعم فتحول ابليس لعنه الله ريحا ودخل في فم الحية فادخلته الجنة فلما دخل ابليس الجنة أراها الشجرة التي نهى الله تعالى عنها آدم وجاء حتى وقف بين يدي آدم وحواء عليهما السلام وهما لا يعلمان أنه ابليس فناح عليهما نياحة أحزنتهما فبكيا وكان أول من ناح فقالا له ما يبكيك فقال أبكي عليكما تموتان فتفارقان ما أنتما فيه من النعيم والكرامة فوقع ذلك في أنفسهما واغتما لذلك وبكى ابليس ومضى ثم ان ابليس أتاهما بعد ذلك وقد أثر قوله فيهما فقال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى قال نعم قال كل من هذه الشجرة شجرة الحنطة فقال نهاني ربي عنها فقال ابليس ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين فأبيا أن يقبلا منه فقاسمهما بالله انه لهما لمن الناصحين فاغترا بذلك وما كانا يظنان أن أحدا يحلف بالله كاذبا فبادرت حواء الى أكل الشجرة ثم زينت لآدم حتى أكلها (روى) محمد بن اسحق عن يزيد بن عبد الله بن قسيط قال سمعت الحسن بن محمد بن الحسين يقول سمعت أبي يقول سمعت جدي يقول سمعت سعد بن المسيب يحلف بالله ولا يستثني ان آدم ما أكل من الشجرة وهو يعقل ولكن حواء سقته الخمر حتى اذا سكر قادته اليها فأكل ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الخمر مجمع الخبائث وأم الذنوب ويقال لما قال الله تعالى لآدم وحواء لا تقربا هذه الشجرة قالا نعم لا نقربها ولا نأكل منها ولا يستثنيا في قولهما بمشيئة الله تعالى فوكلهما الله تعالى الى أنفسهما حتى أكلا المنهي عنها * وقال سمعت الحسن بن محمد بن الحسين يقول سمعت ابراهيم بن الأشعث يقول سمعت ابراهيم بن أدهم يقول لقد أورثتنا تلك الأكلة حزنا طويلا * وقال * الشبلي أول الدن دردي هذا أبونا آدم باع ربه بكف من حنطة فلما أكل من الشجرة المنهي عنها ابتلاه الله بعشرة أشياء (الاولى) معاتبته اياهما على ذلك بقوله ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين (والثانية) الفضيحة فانه لما أصابا الذنب بدت لهما سوآتهما وتهافت عنهما ما كان عليهما من لباس الجنة فتحير آدم وصار هاربا في الجنة فتلقته شجرة العناب فأخذت بناصيته وناداه

في ساعة واحدة فان الله تعالى له القدرة وخرق العوائد لمن يحب ويختار ثم قال ياسري عليك بعز الدنيا والآخرة واياك أن تصل الى ذل الدنيا والآخرة فقلت له ياسيدي أرشدني الى عز الدنيا والآخرة يرحمك الله تعالى فقال من أراد غنى بلا مال وعلما بلا تعلم وعزا بلا عشيرة فليخرج حب الدنيا من قلبه ولا يركن اليها ولا يطمئن قلبه لحبها قال السري فقلت له ياسيدي بالذي خصك بانواره وأطلعك على أسراره أين تقصد قال الحج الى بيت الله الحرام وزيارة قبر النبي عليه أفضل الصلاة والسلام فقلت له والله لا أفارقكم فان فراقكم علي أشد من فراق الروح للجسد فقال بسم الله وخرج فخرجت معهم من بيت المقدس فلم نزل نسير حتى قال ياسري هذا وقت الظهر فما تصلي فقلت بلى وعزمت على التيمم بالتراب فقال ان ههنا عين ماء عذب فعدل بنا عن الطريق فاذا بعين ماء أحلى من الشهد فتوضأت وشربت ثم قلت له والله ياسيدي لقد سلكت هذه الطريق مرارا عديدة ولم يكن هنا ماء فتبسم وقال الحمد لله على لطفه بعباده قال السري فصلينا صلاة الظهر وسرنا الى قريب العصر فبانت لنا أعلام الحجاز ولاحت لنا حيطان مدينة فقلت هذه أرض الحجاز فقال وصلت الى

ربه

ربه اقرارا مني يا آدم قال بلى يا رب ولكن حياء منك ولذلك قيل كفى بالمقصر حياء يوم القيامة (ويروى) ان آدم لما بدت سوآته وظهرت عورته طاف بأشجار الجنة يسأل منها ورقة يغطي بها عورته فزجرته أشجار الجنة حتى رحمته شجرة التين فأعطته ورقة فطفقا يعني آدم وحواء يخصفان عليهما من ورق الجنة فكافأ الله التين بأن سوى ظاهره وباطنه في الحلاوة والمنفعة وأعطاه الله ثمرتين في كل عام (والثالثة) أوهن جلده وصيره مظلما بعد ان كان جلده كله كالظفر وأبقى عليه من ذلك قدرا يسيرا على أنامله ليتذكر بذلك أول حاله (والرابعة) أخرجه من جواره ونودي أنه لا ينبغي أن يجاورني من عصاني فذلك قوله تعالى اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم في الأرض مستقر الآية يعني آدم وحواء وابليس والحية والطاوس فهبط آدم بسرنديب من أرض الهند وقيل على جبل من أرض الهند يقال له نود وقيل واسم وحواء بجدة بلد من أرض الحجاز وابليس بالابلة من أرض العراق وهي بالبصرة وقيل مشان والحية بأصبهان والطاوس بأرض بابل * ويقال ان الحكمة في اخراج آدم من الجنة انه كان في صلبه من لا يستحق الولاية ولا يصلح لحظيرة القدس فاذا أخرجهم من صلبه أعاده الله اليها خالدا فيها ويقال ان الله تعالى أخرج آدم من الجنة قبل أن يدخله فيها وذلك قوله تعالى اني جاعل في الأرض خليفة ولم يقل في الجنة * أخبرني نافل بن أذفر بن أحمد باسناده عن عثمان بن عطية قال سمعت الوضين بن عطاء يذكر ان آدم قال كنا نسلا من نسل الجنة فسبانا ابليس بالخطيئة الى الأرض فلا ينبغي لنا الفرح في الدنيا ولكن الحزن والبكاء ما دمنا في دار السباء حتى نرد الى الدار التي سبينا منها وقال الشاعر

يا ناظرا يرنو بعيني راقد * ومشاهد الايام غير مشاهد
منتك نفسك وصلة فأبحتها * سبل الرجاء وهن غير قواصد
تصل الذنوب الى الذنوب وترتجي * درج الجنان بها وفوز العابد
ونسيت ان الله أخرج آدما * منها الى الدنيا بذنب واحد

(والخامسة) الفرقة فرق بينه وبين حواء مائة سنة هذا بالهند وهذه بجدة فجاء كل واحد منهما يطلب صاحبه حتى قرب أحدهما من صاحبه فازدلفا فسميت المزدلفة واجتمعا بجمع فسمي جمعا وتعارفا بعرفة في يوم عرفة فسمي الموضع عرفات واليوم عرفة (السادسة) العداوة التي بينهم العداوة والبغضاء كما قال الله تعالى بعضكم لبعض عدو الانسان عدو الحية يشدخ رأسها حيث يراها والطاوس عدوه والحية عدوته تلدغه اذا أمكنها وابليس عدو لهم جميعا وفيه اشارة الى أن الأحباب اذا اجتمعوا وتعاونوا على معصية أعقبت معصيتهم عداوة كما قال الله تعالى الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين (والسابعة) النداء عليهم باسم العصيان فقال تعالى وعصى آدم ربه فغوى (وروى) أن ابراهيم عليه السلام تفكر ذات ليلة من الليالي في أمر آدم فقال يا رب خلقت آدم بيدك ونفخت فيه من روحك وأسجدت له ملائكتك وأسكنته جنتك بلا عمل ثم بزلة واحدة ناديت عليه بالمعصية وأخرجته من جوارك من الجنة فأوحى الله تعالى اليه يا ابراهيم أما علمت أن مخالفة الحبيب على الحبيب أمر شديد (والثامنة) تسليط العدو على أولاده وهو قوله تعالى وأجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم الآية (والتاسعة) جعل الدنيا سجنا له ولأولاده وابتلاهم بهواء الدنيا ومقاساة البرد والحر فيها ولم يكن لهم بها عهد لتعودهم هواء الجنة وهو كما قال الله تعالى لا يرون فيها شمسا ولا زمهريرا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الجنة سجسج لا حر فيها ولا قر (والعاشرة) التعب والشقاء وذلك قوله تعالى ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى فهو أول خلق عرق جبينه من التعب والنصب ﴿فصل﴾ وابتليت حواء وبناتها بهذه الخصال وبخمس عشرة خصلة سواهن (الاولى) الحيض يروى أنها لما تناولت الشجرة دميت الشجرة قال الله تعالى ان لك على أن أدميك أنت وبناتك في كل شهر مرة كما أدميت هذه الشجرة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحيض ان هذا شيء كتبه الله تعالى على بنات آدم (الثانية) ثقل الحمل (الثالثة) الطلق وألم الوضع قال الله تعالى حملته أمه كرها ووضعته كرها وفي الخبر لولا الزلة التي أصابت حواء كان النساء لا يحضن ولكن حليمات وكن يحملن سرا ويضعن سرا (الرابعة) نقصان دينها (الخامسة) نقصان عقلها عن أبي سعيد في حديث ذكره قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما رأيت من ناقصات عقل ودين أذهب للب الرجل الحازم من احداكن فقلن له وما نقصان عقلنا وديننا يا رسول الله قال أليس شهادة المرأة بنصف شهادة الرجل فذلك نقصان عقلها أوليس اذا حاضت المرأة

مكة فأخذني البكاء ثم قال يا سري ندخل معنا قلت نعم فدخلنا من باب الندوة فرأيت رجلين أحدهما كهل والآخر شاب فلما نظراه تبسما وقاما فعانقاه وقالا الحمد لله على سلامة فقلت له يا سيدي من هؤلاء فقال أما الكهل فابراهيم بن أدهم وأما الشاب فمعروف الكرخي قال السري فسلمت عليهما ثم جلسنا الى أن صلينا صلاة العصر والمغرب والعشاء بالحرم فقام كل منهم الى صلاته وقمت معهم بحسب طاقتي فغلبني النوم في المسجد فنمت فلما انتبهت لم أجد منهم أحدا فصرت كالمجنون الهائم وطفت عليهم في المسجد الحرام وفي مكة وفي منى فلم أجد منهم أحدا فرجعت باكيا حزينا على التخلف عنهم رضي الله عنهم أجمعين (وحكى عن عثمان الجرجاني رضي الله عنه) قال خرجت يوما من الكوفة أريد البصرة فرأيت في الطريق امرأة عجوزا عليها جبة من صوف وخمار من شعر وهي تمشي وتقول الهي ما أبعد الطريق على من لم تكن له دليلا وما أوحش الطريق على من لم تكن له أنيسا قال عثمان فدنوت منها وسلمت عليها فردت علي السلام وقالت من أنت يرحمك الله فقلت لها عثمان الجرجاني فقالت حياك الله يا عثمان أين تريد فقلت أريد البصرة لحاجة فقالت يا عثمان هلا أعلمت

تصل ولم تصم قلن بلى قال فذلك نقصان دينها (السادسة) ان ميراثها على النصف من ميراث الرجل قال الله تعالى للذكر مثل حظ الانثيين (السابعة) تخصيصهن بالعدة (الثامنة) جعلهن تحت أيدي الرجال كما قال تعالى الرجال قوامون على النساء وقال عليه السلام استوصوا بالنساء خيرا فانهن عوار عندكم (التاسعة) ليس لهن من الطلاق شيء ولا يملكن ذلك وانما هو للرجال (العاشرة) حرمن الجهاد (الحادية عشرة) ليس منهن نبي (الثانية عشرة) ليس منهن سلطان ولا حاكم (الثالثة عشرة) لا تسافر احداهن الا مع ذي رحم محرم (الرابعة عشرة) لا تنعقد بهن الجمعة (الخامسة عشرة) لا يسلم عليهن وعاقب ابليس لعنه الله تعالى بعشرة أشياء (أولها) عزله عن الولاية وكان له ملك الارض وملك سماء الدنيا وكان خازن الجنة (الثانية) أخرجه من جواره وأهبطه الى الارض (الثالثة) مسخ الله صورته فصيره شيطانا بعد ما كان ملكا (الرابعة) غير اسمه وكان اسمه عزازيل فسماه ابليس لانه أبلس من رحمة الله تعالى (الخامسة) جعله امام الاشقياء (السادسة) لعنه الله (السابعة) نزع منه المعرفة (الثامنة) أغلق عنه باب التوبة (التاسعة) جعله مريدا أي خاليا من الخير والرحمة (العاشرة) جعله خطيب أهل النار وعاقب الحية بخمسة أشياء قطع قوائمها وأمشاها على بطنها ومسخ صورتها بعد ان كانت أحسن الدواب وجعل غذاءها التراب وجعلها تموت كل سنة بالشتاء وجعلها عدوة بني آدم وهم أعداؤها حيث يرونها يقتلونها وأباح رسول الله صلى الله عليه وسلم قتلها في الصلاة وفي حال الاحرام * عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما سالمناهن منذ حاربناهن من ترك شيأ منهن خيفة منه فليس مني يعني الحيات أخبرنا ابن (٢) قال حدثنا عبد الله بن يونس قال أخبرنا داود عن محمد عن أبي الاعين العبدي عن أبي الاحوص الحسيني قال بينما ابن مسعود يخطب ذات يوم فاذا هو بحية تمشي على الجدار فقطع خطبته ثم ضربها بقضيب حتى قتلها ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قتل حية فكأنما قتل رجلا مشركا قد حل دمه

﴿الباب السادس في حال آدم بعد هبوطه الى الارض وما كان منه﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما لما أهبط آدم الى الارض الى جبل سرنديب وذكر أن ذروته أقرب من ذرا جبال الارض الى السماء وكانت رجل آدم على الجبل ورأسه في السماء يسمع دعاء الملائكة وتسبيحهم وكان آدم يأنس بذلك فهابته الملائكة واشتكت الى ربها فحطت قامته الى ستين ذراعا وكان قبل ذلك يمس رأسه السحاب فصلع وأخذ أولاده الصلع ولما نقص من قامته ذلك قال رب كنت جارك في دارك ليس لي رب سواك ولا رقيب دونك آكل فيها رغدا وأسكن حيث أحببت فاهبطتني الى هذا الجبل وكنت أسمع أصوات الملائكة وأراهم كيف يحفون بعرشك وأجد ريح الجنة وطيبها ثم أهبطتني الى الارض وحططتني الى ستين ذراعا فقد انقطع عني الصوت والنظر وذهبت عني رائحة الجنة فاجابه الله تعالى بمعصيتك يا آدم فقال آدم ذلك بك يارب * وقال وهب بن منبه لما أهبط الله آدم من الجنة واستقر جالسا على الارض عطس عطسة فسال أنفه دما فلما رأى سيلان الدم من أنفه ولم يكن رأى قبل ذلك دما هاله ما رأى ولم تشرب الارض الدم فاسود على وجهها كالحمم ففزع آدم من ذلك فزعا شديدا فذكر الجنة وما كان من الراحة فخر مغشيا عليه وبكى أربعين عاما فبعث الله اليه ملكا فمسح ظهره وبطنه وجعل يده على فؤاده فذهب عنه الحزن والغشي فاستراح مما كان يصيبه من الغم * قال شهر بن حوشب بلغني ان آدم عليه الصلاة والسلام لما أهبط الى الارض مكث ثلثمائة سنة لا يرفع رأسه حياء من الله تعالى * وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما بكى آدم وحواء على ما فاتهما من نعيم الجنة مائتي سنة ولم يأكلا ولم يشربا أربعين سنة ولم يقرب آدم حواء مائة سنة فلما أراد الله تعالى أن يرحم عبده آدم لقنه كلمات كانت سبب قبول توبته كما قال الله تعالى فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه الآية * واختلفوا في تلك الكلمات ما هي فقال ابن عباس هي أن آدم عليه السلام قال يارب ألم تخلقني بيدك قال بلى قال ألم تنفخ في من روحك قال بلى قال ألم تسبق لي رحمتك قبل غضبك قال بلى قال ألم تسكني جنتك قال بلى قال فلم أخرجتني منها قال لشؤم معصيتك قال أي رب أرأيت ان أنا تبت وأصلحت ترجعني الى الجنة فهي الكلمات * وقال عبد الله بن عمر ان آدم قال يارب أرأيت ما أتيته شيء ابتدعته من تلقاء نفسي أو شيء قدرته علي قبل أن تخلقني بيدك قال لا بل شيء قدرته عليك قبل أن أخلقك قال يارب فكما قدرته علي فاغفر لي * وقال محمد بن كعب القرظي هي قوله لا اله الا أنت سبحانك اللهم وبحمدك عملت سوأ وظلمت نفسي فتب علي انك أنت التواب الرحيم لا اله الا أنت سبحانك اللهم وبحمدك عملت سوأ وظلمت نفسي فاغفر لي

صاحب الحاجة يوجدهم اليك ولا ينفعك فقلت ليس بيني وبينه تلك المعرفة فقالت وما الذي قطعك عن معرفته قلت كثرة الذنوب فقالت والله بئس ماصنعت أما والله لو وصلت حبلك بحبله لتمسكت منه بأقوى سبب وقضى حوائجك من غير تعب قال عثمان فلما سمعت قولها بكيت وقلت لها أريد منك الدعاء فقالت أعانك الله على طاعته وجنبك معصيته قال فلما عزمت على الانصراف أخرجت من جيبي دراهم كانت معي فقسمتها بيني وبينها وقلت خذي هذه النفقة لتستعيني بها على حالك فقالت يا عثمان من أين لك هذه الدراهم فقلت لها اني رجل أصعد الى الجبل واحتطب منه حطبا وأحمله على رأسي وأبيعه في أسواق المسلمين وأنفق ثمنه فقالت نعم الكسب الحلال أحل ما أكل المرء من كسب يمينه ولكن يا عثمان لو صححت معاملة ذي الجلال واتكلت عليه حق الاتكال لكفاك حمل الاحطاب من رؤس الجبال ثم قالت يا عثمان أريد أن أريك كيف صححت معاملتي مع سيدي وصدق التوكل عليه فقلت بلى فبسطت يديها وهمهمت بشفتيها فاذا يداها مملوأتان دنانير فقالت خذ هذه أنت يا عثمان فوالله ما طبع عليها اسم ملك ولا سلطان واعلم انك لو أحببت مولاك لاغناك عن الخلق وكفاك

انك

انك انت الغفور الرحيم لا اله الا انت سبحانك اللهم وبحمدك رب عملت سوأ وظلمت نفسي فارحمني انك انت أرحم الراحمين * وقال سعيد بن جبير والحسن ومجاهد وعكرمة هي قوله تعالى ربنا ظلمنا أنفسنا الآية ثم أنزل الله تعالى ياقوتة من يواقيت الجنة ووضعها موضع البيت على قدر الكعبة لها بابان باب شرقي وباب غربي وفيها قناديل من نور ثم أوحى الله تعالى الى آدم أن لي حرما بحيال عرشي فأته فطف به كما يطاف حول عرشي وصل عنده كما يصلى عند عرشي فهنالك أستجيب دعاءك فانطلق آدم من أرض الهند الى أرض مكة لزيارة البيت وقيض الله له ملكا يرشده فكان كل موضع يضع عليه قدمه عمرانا وما تعداه مفاوز وقفارا فلما وقف بعرفات وكانت حواء طلبته وقصدته من جدة فالتقيا بعرفات يوم عرفة فسمي ذلك الموضع عرفات فلما انصرفا الى منى قيل لآدم تمن فقال أتمنى المغفرة والرحمة فسمي ذلك الموضع منى وغفر ذنبهما وقبل توبتهما ثم انصرفا الى أرض الهند قال مجاهد حدثني ابن عباس أن آدم حج من أرض الهند أربعين حجة على رجليه فقيل لمجاهد يا أبا الحجاج ألا كان يركب قال وأي شيء كان يحمله فوالله ان خطوته لمسيرة ثلاثة أيام وقال ابن عمر لما حج آدم عليه السلام البيت وقضى المناسك كلها تلقته الملائكة يهنونه بالحج وقبول التوبة فقالوا بر حجك يا آدم فداخله من ذلك شيء فلما رأت الملائكة منه ذلك قالوا يا آدم انا قد حججنا هذا البيت قبلك بألفي عام فتقاصرت الى آدم نفسه (وقال) أبو العالية خرج آدم من الجنة ومعه عصا من شجر الجنة وعلى رأسه تاج من شجر الجنة فلما صار الى الارض يبس ذلك الاكليل وتحات الورق فنبت منه أنواع الطيب فلذلك كان أصل كل طيب بالهند (وقال) ابن عباس رضي الله عنهما نزل آدم من الجنة ومعه طيب فزرع آدم شجر الهند في أوديتها وكان أصله من الجنة فامتلأ ما هنالك طيبا فمن ثم يؤتى بالطيب من الهند وأصله من ريح آدم عليه السلام وريحه من ريح الجنة وأنزل الله معه الحجر الاسود وكان أشد بياضا من الثلج وعصا موسى عليه السلام وكانت من آس الجنة طولها عشرة أذرع على طول موسى وقيل كانت من البان (وروى) سفيان عن منصور بن معمر عن ربعي بن خراش عن حذيفة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لما أهبط آدم من الجنة الى أرض الهند وعليه ذلك الورق الذي كان لباسه من الجنة فيبس وتطاير بأرض الهند فعبق شجر العود والصندل والمسك والعنبر والكافور من ذلك الورق فقالوا يا رسول الله المسك هو من الدواب أم من الشجر قال أجل انما هي دابة تشبه الغزال رعت من ذلك الشجر فصير الله المسك في سرتها فاذا رعت الربيع جعله الله مسكا وتساقط فينتفع به الآدميون قالوا يا رسول الله فأين يقع قال قال لي جبريل في ثلاث كور لا يكون في شيء من الارض الا فيها أرض الهند وأرض السعدي وأرض التبت قالوا يا رسول الله العنبر انما هي دابة في البحر قال أجل كانت هذه الدابة بأرض الهند ترعى في البر فبعث الله اليها جبريل عليه السلام فساقها وساقها بما معها فقذفها في البحر وهي أعظم ما تكون من الدواب غلظها ألف ذراع وانما ترمي به كما ترمي البقر أخثاءها فربما يخرج من جوفها العنبرة وزنها ألف رطل وخمسمائة رطل ونحو ذلك ثم ان آدم وجد ضربانا في رأسه وجسده فشكا ذلك الى الله تعالى فنزل عليه جبريل بشجرة الزيتون فأمره أن يأخذ ثمرها ويعصره فقال ان في هذه الشجرة شفاء من كل داء الا السام ودله جبريل عليه السلام على شجرة الاهليلج الابيض والاسود والاصفر فقال له ان ربك يقرئك السلام ويقول لك كل من هذه فانك لن تتداوى أنت وذريتك بدواء أفضل منها فيها شفاء من كل داء ان بقي في جوفك لم تخف منه وان خرج أخرج الداء كله وأبراه فأكله آدم فبرئ قال أهل الاخبار ان آدم عليه السلام لما أهبط الى الارض وأصاب جسده أذى الهواء وأحس به اشتكى وحشة بجسده وكان قد اعتاد هواء الجنة فشكا ذلك الى جبريل فقال انك تشكو العري فأنزل الله عليه ثمانية أزواج المذكورة في سورة الانعام من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين ثم أمره أن يذبح كبشا منها فذبحه ثم أخذ صوفه فغزلته حواء ونسجه آدم فجعل منه جبة لنفسه وجعل لحواء درعا وخمارا فلبساه وبكيا على ما فاتهما من لباس الجنة فحواء أول من غزلت وآدم أول من نسج ولبس الصوف (عن) ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ما تقول في حرفتي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وما حرفتك فقال أنا رجل حائك قال حرفة أبينا آدم عليه السلام وكان أول من نسج آدم وكان جبريل يعلمه وآدم تلميذه ثلاثة أيام وأن الله عز وجل يحب حرفتك فانها حرفة يحتاج اليها الاحياء والاموات فمن قال منكم التسمية فأبونا آدم خصمه ومن أنف منكم فقد أنف من آدم ومن لعنكم فقد لعن آدم ومن آذاكم فقد آذى

ثم نابت عني فلم أرها نفعنا الله تعالى بها آمين ﴿ وحكى عن بعض الصالحين رضي الله تعالى عنه أنه قال ﴾ كنت ملاحا بنيل مصر أعدي من الجانب الشرقي الى الجانب الغربي فبينما أنا يوما من الايام جالس في الزورق اذا أنا بشيخ ذي وجه مشرق قد أقبل علي وسلم علي وقال تحملني لله قلت نعم ثم قال ثانيا وتطعمني لله قلت نعم فطلع الزورق فعديته الى الجانب الغربي فكان عليه مرقعة وبيده عصا وركوة فلما نزل قال أريد أن أحملك أمانة قلت وماهي فقال اذا كان في غد عند الظهر تجدني ميتا تحت تلك الشجرة فغسلني وكفني في الكفن الذي تجده تحت رأسي وصل علي وادفني تحت تلك الشجرة فان قبري بها فاذا فرغت من أمري خذ هذه المرقعة والركوة والعصا فاذا جاءك من يطلبهم فادفعهم اليه قال فتعجبت منه ثم تركني ومضى فبت تلك الليلة متفكرا فلما أصبحت أنتظر الوقت الذي قال عليه الشيخ فلما جاء وقت الظهر نسيت فما ألهمت الا قريب العصر فسرت اليه مسرعا فوجدته تحت الشجرة ميتا ووجدت كفنا تحت رأسه تفوح منه رائحة المسك قال فغسلته وكفنته فيه وصليت عليه وحفرت تحت تلك الشجرة فوجدت قبرا مبنيا مرخما فدفنته فيه ثم عدت الى موضعي ليلا والمرقعة والركوة والعصا معي فلما

ادم وهو خصمهم يوم القيامة فلا تخالفوا وابشروا فان حرفتكم حرفة مباركة ويكون آدم قائدكم الى الجنة (وعن)
أبى أمامة الباهلى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بلباس الصوف تجدون قلاوة الايمان في قلوبكم عليكم بلباس
الصوف تعرفون به في الآخرة وان النظر في الصوف ليورث القلب التفكر والفكر يورث الحكمة والحكمة
تجرى فى الجوف مجرى الدم فمن كثر تفكره قل طمعه وكل من قل تفكره كثر طمعه وعظم بدنه وقسا قلبه والقلب
القاسى بعيد من الله بعيد من الجنة قريب من النار (قالوا) ثم ان آدم عليه الصلاة والسلام بعد ستر عورته اشتكى فقال
له جبريل ما الذى أصابك فقال أجد فى نفسى قلقا واضطرابا لا أجد انى العبادة منه سبيلا وانى أجد بين جنبى
و جلدى دبيبا كدبيب النمل فقال له جبريل ذلك يسمى الجوع قال وكيف الخلاص من ذلك قال سوف أهديك
الى ذلك فغاب عنه ثم جاءه بثورين أحمرين والعلاة يعنى السندان والمطرقة والمنفخة والكلبتين ثم جاء بشرر من
جهنم فوقع فى يد آدم فطار منه شرارة فوقعت فى البحر فدخل جبريل اليها وأتى بها فدفعها الى آدم فطارت منه
أيضا حتى فعل ذلك سبع مرات فذلك قول النبى صلى الله عليه وسلم ان ناركم هذه جزء من سبعين جزأ من نار جهنم
بعد ان غسلت بالماء سبع مرات فلما جاء بها فى الثامنة نطقت النار فقالت يا آدم انى لا أطيعك وانى منتقمة من
عصاة أولادك يوم القيامة فقال جبريل يا آدم انها لن تطيعك ولكنى أسجنها لك ولا ولادك ليكون لك ولا ولادك
فيها المنافع فسجنها فى الحجر والحديد فذلك قوله تعالى أفرأيتم النار التى تورون أأنتم الآية ويروى أن آدم لما
أخذ النار احترقت يده فخلى عنها فقال لجبريل ما لها تحرق يدى ولا تحرق يدك قال لانك عصيت الله وانى لم أعصه
ثم أمره جبريل باتخاذ آلة الحرث فهو أول من عمل الحديد ثم أتاه بصرة من حنطة فيها ثلاث حبات من الحنطة
فقال يا آدم لك حبتان ولحواء حبة فلذلك صار للذكر مثل حظ الانثيين وكان وزن الحبة مائة ألف درهم وثمانين
ألف درهم فقال آدم ما أصنع بهذا كله فقال يا آدم خذها فانها سبب سد جوعتك وبها أخرجت من الجنة وبها
تحيا فى الدنيا وبها تلقى الفتنة أنت وأولادك الى أن تقوم الساعة ثم أمره أن يشد الثورين ويكسر من الخشب
ويضعه عليهما ففعل ذلك وجعل يحرث الارض عليهما فهو أول من حرث الارض وبكى الثوران على ما فاتهما
من راحات الجنة فقطرت دموعهما على الارض فنبت منه الجاورس وبالا فنبت منه الحمص وروثا فنبت منه
العدس ثم كسر جبريل تلك الحبوب حتى كثرها ثم بذرها فنبتت من ساعته فقال آدم عليه الصلاة والسلام آكله
فقال لا اصبر حتى يدرك فلما سنبل وأفرك قال آكله قال لا وعلمه آدم الحصاد فلما حصد قال آكله قال لا
وعلمه الدياس فلما داس قال آكله قال لا وعلمه التنقية فلما نقاه قال آكله قال لا وجاءه بحجرين وعلمه الطحن
فلما طحنه قال آكله قال لا وعلمه العجن ويقال ان آدم عليه الصلاة والسلام لما نخل دقيقه فأمره جبريل أن يبث
النخالة فى الارض المستحصدة فنبت فيها الشعير فلما عجن قال آكله قال لا فأمره أن يحفر حفيرة ويضع الحطب
فيها ويوقد عليها نارا ففعل ذلك ثم وضع عجينه عليه فخبز حتى جعله خبز ملة فهو أول من خبز فلما أخرجه قال
آكله قال لا حتى يبرد فلما برد أكله فلما أكله دمعت عينا آدم عليه السلام وقال ما هذا التعب والنصب قال له
هذا وعدك الله الذى وعدك فذلك قوله تعالى ان هذا عدو لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى أما آن لك
أن تأكل من كد يمينك وعرق جبينك أنت وذريتك فلما استقر فى آدم من الطعام شكا من بطنه ولم يدر ما هو
فشكا ذلك الى جبريل عليه السلام فقال ذلك العطش قال فبم أسكنه فغاب عنه ثم عاد اليه ومعه المعول وقال له
احفر الارض فما زال يحفر حتى بلغ الى ركبتيه فنبع الماء من تحت رجليه ماء زلالا أبرد من الثلج وأحلى من
العسل [illegible] فشرب منه شربة فشبع بها فاطمأن ثم انه بعد ذلك وجد تشكيا أشد من الاول والثانى فقال
لجبريل [illegible] أجده قال لا أدرى فبعث الله اليه ملكا ففتق قبله ودبره ولم يكن قبل ذلك الطعام مخرج فلما
خرج منه ما آذاه وجد ريحه بكى على ذلك سبعين سنة (قالوا) لما أنزل الله الى آدم الحديد نظر الى قضيب
من حديد نابت على الجبل فقال هذا من هذا فجعل يكسر أشجارا قد عتقت ويبست فأوقد على ذلك الحديد
حتى ذاب وكان أول شئ ضرب منه مدية فكان يعمل بها ثم ضرب التنور الذى ورثه نوح عليه الصلاة والسلام
وهو الذى فار بالعذاب بالهند (قالوا) لما أهبط الله تعالى آدم عليه الصلاة والسلام أخرج معه من الجنة
قطعة من ذهب فلذلك يبقى الذهب لا يبلى بالثرى ولا يصدأ من الندى ولا تنقصه الارض ولا تأكله النار لانه من

طلع الفجر و بان الجو اذا أنا بشاب قد أقبل فحددت النظر اليه فعرفته وكان من بعض صبيان الملاهى يرقص و يغنى وعليه ثياب
رقاق وهو مخضوب
الكفين وطاره تحت
ابطه فدنا منى وسلم على
وقال لى أنت فلان بن
فلان قلت نعم فقال هات
الامانة التى عندك
وديعة لى فقلت وما هى
فقال مرقعة وعصا وركوة
فقلت ومن أين لك هذا
فقال لا أدرى الا أنى
كنت فى عرس فلان
بالامس وأنا أرقص
وأغنى الى أن أذن المؤذن
فنمت لاستريح فبينما أنا
نائم اذا رجل قد أيقظنى
وقال لى قم ان الله
سبحانه وتعالى قد
قبض روح فلان الولى
وجعلك مكانه فسر الى
فلان بن فلان فان الشيخ
أودع لك عنده وديعة
وهى مرقعة وعصا وركوة
قال فأخرجتهم اليه فخلع
ثيابه واغتسل فى البحر
وتوضأ ولبسها وأعطانى
أثوابه وقال تصدق بهذه
الثياب ثم سار وتركنى
فلم أدر أين ذهب فأقمت
يومى أبكى الى الليل فلما
نمت رأيت رب العزة فى
المنام وهو يقول يا فلان
أثقيل عليك أن مننت
على عبد من عبادى
كان عاصيا وقبلته انما
ذلك فضلى أوتيه من
شئت ورحمتى وسعت
كل شئ * وحكى عن
بعضهم رضى الله تعالى
عنه * أنه قال كنت ساكنا ببغداد وكان لى دويرة خراب فاحتجت بناء حائط سقطت منها فخرجت الى موقف

الجنة حمل (وقيل) ان الله تعالى زود آدم حين أهبطه الى الارض من الثمار ثلاثين نوعا عشرة منها فى القشور وعشرة لها نوى وعشرة لاقشور لها ولانوى فاما التى هى فى القشور فالجوز واللوز والفستق والبندق والخشخاش والبلوط والشاه بلوط والنارنج والرمان والموز وأما التى لها نوى فالخوخ والمشمش والاجاص والعناب والفرسك والرطب والغبيراء والنبق والزعرور والمقل وأما التى لاقشر لها ولانوى فالتفاح والسفرجل والكمثرى والعنب والتوت والتين والاترج والخرنوب والخيار والبطيخ (وقال) ابن جريج أهبط الله تعالى آدم عليه السلام ومعه آنية فيها بزر عريشة من عنب وريحانة فغرس آدم العريش فلما طلعت جاء ابليس فسرق ثمرها فقال له آدم ويلك أخرجتنى من الجنة ولاتريد أن تجعل لى رزقا فقال له ان لى فيها حقا قال وما حقك قال نشوها ولكم سائرها (وقال) ابن عباس هبط آدم من الجنة بثلاثة أشياء الآسة وهى سيدة رياحين الدنيا والسنبلة وهى سيدة طعام أهل الدنيا والعجوة وهى سيدة ثمار الدنيا (وروى) ابن عباس وعائشة وأبو هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ان العجوة من غراس الجنة وفيها شفاء وانها ترياق أول البكرة وعليكم بالتمر البرنى فكلوه فانه يسبح فى شجره ويستغفر لآكله (وقال) ابن عباس لما أهبط آدم الى الارض كان أول شئ أكله من الثمار التين وقال كعب أول من ضرب الدينار والدرهم آدم وقال لاتصلح المعيشة الا بهما وقال وهب بن منبه ان آدم لما أهبط الى الارض ورأى سعتها ولم ير فيها أحدا غيره فقال يارب أما لارضك هذه من عامر يسبحك ويحمدك ويقدسك غيرى قال الله تعالى سأجعل فيها من ولدك من يسبحنى ويحمدنى ويقدسنى وسأجعل فيها بيوتا ترفع بذكرى ويسبح فيها خلقى ويذكر فيها اسمى وسأجعل من ولدك يا آدم من يعبدنى حق عبادتى وسأجعل من تلك البيوت بيتا أخصه بكرامتى وأوثره باسمى فاسميه بيتى وأنطقه بعظمتى وعليه وضعت جلالى وأجعل ذلك البيت حرما آمنا يحرم بحرمته ماحوله وما فوقه وماتحته فمن حرمه بحرمتى استوجب بذلك كرامتى ومن أخاف أهله فيه فقد خفر ذمتى وأباح حرمتى واستوجب بذلك عذابى وعقابى وسأجعل هذا البيت اول بيت وضع للناس ببطن مكة مباركا يأتونه شعثا غبرا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق يرجون بالتلبية رجيجا ويضجون بالبكاء ضجيجا ويعجون بالتكبير عجيجا فمن اعتمره لايريد غيره فقد وفد الى وزارنى واستضافنى فحق على الكريم أن يكرم وفده وأضيافه وان يسعف كلا بحاجته يا آدم تعمره ما دمت حيا ثم تعمره الامم والقرون والانبياء من ولدك أمة بعد أمة وقرنا بعد قرن ثم ان الله تعالى مسح ظهر آدم بيده وأخرج منه كل نسمة هو خالقها الى يوم القيامة [illegible] بنعمان من عرفة قرية بمكة ثم أخذ عليهم الميثاق وكلمهم وقال ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين * وسئل عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن هذه الآية فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله خلق آدم ومسح ظهره فاستخرج منه ذرية وقال خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون ثم مسح ظهره فاستخرج ذرية وقال خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون فقال رجل يارسول الله ففيم العمل فقال ان الله تعالى اذا خلق العبد للجنة استعمله بعمل أهل الجنة فيدخل الجنة واذا خلق العبد للنار استعمله بعمل أهل النار حتى يموت على ذلك فهو من أهل النار (وقال) وهب بن منبه رحمه الله أوحى الله الى آدم بعد ما تاب عليه يا آدم انى أجمع لك العلم كله فى أربع كلمات واحدة لى وواحدة لك وواحدة بينى وبينك وواحدة فيما بينك وبين الناس فأما التى لى فتعبدنى لاتشرك بى شيأ وأما التى لك فاجزيك بعملك أحوج ماتكون اليه وأما التى بينى وبينك فمنك الدعاء ومنى الاجابة وأما التى بينك وبين الناس فان ترضى لهم ماترضى لنفسك فقال آدم يارب شغلت بطلب المعيشة والرزق عن التسبيح والعبادة ولست أعرف ساعات التسبيح فى أيام الدنيا فاهبط الله تعالى اليه ديكا فاسمعه أصوات الملائكة بالتسبيح فهو أول داجن اتخذه آدم من الخلق فكان الديك اذا سمع التسبيح فى السماء سبح فى الارض فيسبح آدم بتسبيحه (ويروى) ان الله تعالى أوحى الى آدم لما أراد أن يهبطه الى الارض يا آدم انى منزلك أنت وذريتك دارا مبنية على أربع قواعد أما الاولى فانى أقطع ماتصلون وأما الثانية فانى أفرق ماتجمعون وأما الثالثة فانى أخرب ماتبنون والرابعة أميت ماتلدون ولذلك قيل

لدوا للموت وابنوا للخراب * وكلكمو يصير الى ذهاب

(الباب السابع فى ذكر هبوط ابليس لعنه الله الى الارض وحاله فيها بعد اللعنة)

قال الله تعالى اهبطوا بعضكم لبعض عدو الآية (قال الشعبى) أنزل ابليس من السماء عليه عمامة لبس

البنائين لانظر رجلا للبناء الحائط فنظرت الى شاب نحيف ذى وجه نظيف فجئت اليه و وقفت بين يديه ثم قلت له يا حبيبى أتريد الخدمة فقال نعم فقلت سر على بركة الله تعالى فقال بشرط أشترطه عليك فقلت وماهو قال الاجرة درهم ودانق فقلت نعم قال واذا أذن المؤذن تدعنى أصلى مع الجماعة فقلت نعم فسار معى الى منزلى فخدم خدمة لم أر مثلها ولا أحسن منها فذكرت له الغداء فقال لا فعرفت انه صائم فلما جاء وقت صلاة الظهر وسمع الاذان قال الشرط ياسيدى فقلت نعم فحل حزامه وتوضأ وضوأ مارأيت أحسن منه ثم خرج الى الصلاة مع الجماعة فى المسجد ثم عاد الى خدمته الى أن سمع أذان العصر فقال الشرط ياسيدى فقلت له نعم فخرج وصلى العصر مع الجماعة وعاد الى خدمته فأتيت اليه وقلت له حبيبى ان خدمة البنائين الى العصر فاسترح فقال سبحان الله انما كانت خدمتى الى الليل قال فلما جاء الليل أخرجت له درهمين فلما رآهما قال ماهذا قلت والله ياسيدى هما من بعض أجرتك لاجتهادك فى خدمتى فرماهما الى وقال انه لا ازيد على ما بينى وبينك شيأ فرغبته فلم أقدر عليه فأخذ الدرهم والدانق

تحت ذقنه منها شىء أعور فى احدى رجليه نعل (وروى) ابن المبارك عن خالد عن حميد بن هلال انما كره أن يتخصر فى الصلاة لان ابليس هبط متخصرا (وروى) حماد عن ثابت وحميد عن عبد الله بن عبيد بن عمير أن ابليس قال يارب أخرجتنى من الجنة من أجل آدم وانى لا أستطيعه الا بسلطانك قال فأنت مسلط عليه قال يارب زدنى قال لا يولد له ولد الا ولد لك مثلاه قال يارب زدنى قال صدورهم مساكن لك وتجرى منهم مجرى الدم قال يارب زدنى قال أجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم فى الاموال والاولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا قال آدم يارب قد سلطته على وانى لا أمتنع منه الا بك قال لا يولد لك ولد الا وكلت به من يحفظه من قرناء السوء قال يارب زدنى قال الحسنة بعشرة أمثالها وأزيدها والسيئة بمثلها واحدة وأمحوها قال يارب زدنى قال قل ياعبادى الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الآية قال يارب زدنى قال التوبة لا أنزعها من ولدك ما كانت الروح فيهم قال يارب زدنى قال أغفر ولا أبالى قال حسبى (وروى) ان ابليس قال يارب لعنتنى وأخرجتنى من الجنة وجعلتنى شيطانا رجيما مذموما مدحورا وبعثت فى بنى آدم الرسل وأنزلت عليهم الكتب فما رسلى قال الكهنة قال فما كتبى قال الوشم قال فما حديثى قال حديثك الكذب قال فما قراءتى قال قراءتك الشعر قال فما مؤذنى قال مؤذنك المزمار قال فما مسجدى قال مسجدك السوق قال فما بيتى قال بيتك الحمام قال فما طعامى قال طعامك ما لم يذكر اسمى عليه قال فما شرابى قال شرابك كل مسكر قال فما مصايدى قال مصايدك النساء (وروى) مقاتل وجويبر عن الضحاك عن ابن عباس ان ابليس لما خرج من الجنة ألقى الله عليه الحرقة والغلمة فنكح نفسه فباض أربع بيضات فهى ذريته (وروى) اسحق بن بشر عن محمد بن اسحق قال بلغنى ان ابليس تزوج الحية التى دخل فى فيها حين كلم آدم عليه السلام بعد ما أخرج من الجنة فهى ذريته

﴿الباب الثامن فى ذكر ما روى من الاخبار فيمن تراءى له ابليس فرآه عيانا وكلمه شفاها﴾

يروى ان آدم التقى بابليس فى أرض فلاة فلامه على صنيعه وقال له ياملعون أى شىء هذا الذى أحللت بى غررتنى وأخرجتنى من الجنة وفعلت بى ما فعلت قال فبكى ابليس وقال يا آدم انى فعلت بك ما تقول وأنزلتك هذه المنزلة فمن فعل بى ما أنا فيه وأحلنى هذه المنزلة (ويروى) ان ابليس تصور لفرعون فى صورة الانس بمصر فى الحمام فأنكره فرعون فقال له ابليس ويحك اما تعرفنى فقال لا قال فكيف وانت خلقتنى ألست القائل أنا ربكم الاعلى (ويروى) ان سليمان عليه الصلاة والسلام سأل ابليس فقال أى الاعمال أحب اليك وأبغض الى الله تعالى فقال لولا منزلتك عند الله تعالى ما أخبرتك انى لست أعلم شيأ أحب الى وابغض الى الله تعالى من استغناء الرجل بالرجل والمرأة بالمرأة (ويروى) عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ما من آدمى الا وقد عمل خطيئة وهم بها الا يحيى بن زكريا فانه ما عمل خطيئة ولا هم بها وانه قال رب أرنى ابليس كما هو واعزم عليه ان لا يكتمنى شيأ أسأله عنه فأوحى الله تعالى الى ابليس أن ائت عبدى يحيى بن زكريا كما هبطت الى الارض ولا تكتمه شيأ يسألك عنه فأتاه وقال يا يحيى أنا ابليس أمرنى ربى ان آتيك كما هبطت الى الارض فنظر اليه يحيى فاذا على رأسه خطاطيف تطير وحقواه محفوفتان بأكوار كورهنا وكورهنا وفى رجليه خلاخيل فقال ما هذه الخطاطيف التى تطير على رأسك قال بها اخطف عقول بنى آدم قال فما هذه الخلاخيل التى فى رجليك قال أحركها لبنى آدم حتى يغنى أو يغنى له قال فأى ساعة انت على ابن آدم اقدر قال حين يمتلى شبعا وريا قال فهل وجدت فى نفسى شيأ قال لا قال ولا على حال قال نعم قدم اليك طعامك ذات ليلة وكنت قد صمت فشهيته اليك حتى أكلت أكثر من عادتك فتثاقلت عن وردك وعادتك فقال يحيى لا جرم لا أشبع أبدا فقال ابليس لا جرم لا أنصح آدميا أبدا * وقيل لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذوا فى جهازه وخرج الناس وخلا الموضع قال ابن عباس قال على بن أبى طالب رضى الله عنه لما وضعته صلى الله عليه وسلم على المغتسل اذ بهاتف يهتف من زاوية البيت ياعلى لا تغسلوا محمدا فانه طاهر مطهر قال فوقع فى قلبى من ذلك شىء وقلت ويلك من أنت فان النبى صلى الله عليه وسلم أمرنا بهذا وهذه سنته واذا بهاتف آخر يهتف بأعلى صوته غسله ياعلى فان الهاتف الاول كان الشيطان حسد محمدا صلى الله عليه وسلم ان يدخل قبره مغسلا قال على جزاك الله خيرا قد أخبرتنى ان ذلك ابليس فمن أنت قال أنا الخضر حضرت جنازة محمد صلى الله عليه وسلم ﴿ويحكى﴾ ان قوما من بنى اسرائيل تراءى لهم ابليس فقالوا له قف موقفا كنت تقفه بين يدى الله تعالى حسبما كنت تقف قبل

ان

وتوجه فلما كان الغد اتيت الى الموقف فلم أجده فسألت عنه فقيل لى انه لم يأت ههنا الا من السبت الى السبت فلما جاء السبت جئت اليه فوجدته فلما رآنى تبسم فقلت له باسم الله على الشرط الذى تعلمه فقال نعم وسار معى نخدم يومه كما تقدم وزاد على ذلك فدفعت اليه الاجرة فأخذها وسار فلما كان السبت الثالث أتيت الموقف فلم أجده فسألت عنه فقيل لى انه ضعيف فى خيمة فلانة وكانت امرأة عجوزلها خيمة فى الجبانة وكانت مشهورة بالصلاح والعبادة قال فسرت اليها فوجدت الشاب بها وهو مضطجع على الارض وليس تحته شىء وتحت رأسه لبنة ووجهه يتهلل نورا قال فسلمت عليه فرد على السلام فقعدت عند رأسه أبكى على صغر سنه وغربته ثم قلت له حبيبى ألك من حاجة فقال نعم اذا كان فى غد تأتى ههنا عند الضحى تجدنى ميتا فغسلنى وكفنى فى هذه الخيمة واحفر قبرى بها ولا تعلم بذلك أحدا وافتق جيب هذه الجبة وأخرج ما فيها وأمسكه عندك فاذا دفنتنى وفرغت من أمرى فصل الى هرون الرشيد وادفع له ماتجده فى الجيب واقرئه منى السلام

ان عصيت ربك فقال انكم لا تطيقون رؤية ذلك فأخرجوا عليه فوقف وقفة فلما نظروا اليه والى خشوعه وخضوعه تواضع آخرهم (ويروى) أن رجلا كان يلعن ابليس كل يوم ألف مرة فبينما هو ذات يوم نائم اذ أتاه شخص فأيقظه وقال قم فان الجدار ها هو يسقط فقال له من أنت الذى أشفقت على هذه الشفقة فقال له أنا ابليس فقال كيف هذا وأنا ألعنك كل يوم ألف مرة فقال هذا لما علمت من محل الشهداء عند الله تعالى فخشيت أن تكون منهم فتنال معهم ما ينالون

﴿ الباب التاسع فى قصة قابيل وهابيل ﴾

قال الله تعالى واتل عليهم نبأ ابنى آدم بالحق اذ قربا قربانا الى آخر القصة قال أهل العلم بقصص النبيين وأخبار الماضين ان حواء كانت تلد لآدم توأمين فى كل بطن غلاما وجارية الا شيثا فانها ولدته منفردا وكان جميع من ولدته حواء أربعين من ذكر وأنثى فى عشرين بطنا أولهم قابيل وتوأمته اقليما وآخرهم عبد المغيث وتوأمته أمة المغيث ثم كثر الله فى نسل آدم كما قال يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة الآية (قال ابن عباس) لم يمت آدم حتى رأى من ولده وولد ولده أربعين ألفا ورأى آدم فيهم الزنا وشرب الخمر والفساد واختلف العلماء فى وقت مولد قابيل وهابيل فقال بعضهم غشى آدم حواء بعد مهبطهما الى الارض بمائة سنة فولدت له قابيل وتوأمته اقليما فى بطن ثم هابيل وتوأمته لبودا فى بطن واحد (وقال) محمد بن اسحق عن بعض أهل العلم بالكتاب الاول ان آدم كان يغشى حواء فى الجنة قبل أن يهبط الى الارض فحملت له بقابيل وتوأمته فلم تجد عليهما وحما ولا نصبا ولا طلقا حين ولدتهما ولم تر معهما دما لطهارة الجنة فلما هبطا الى الارض واطمأنا بها تغشاها فحملت بهابيل وتوأمته لبودا فوجدت فيهما الوحم والنصب والطلق والدم حتى اذا شب أولاده زوج غلام هذا البطن جارية البطن الآخر وزوج جارية هذا البطن غلام البطن الآخر وكان الرجل منهم يتزوج أى اخواته شاء الا توأمته التى ولدت معه فانها لا تحل له وذلك انه لم يكن نساء يومئذ الا أخواتهم وأمهم حواء فلما ولد قابيل وتوأمته اقليما فى بطن واحد وهابيل وتوأمته لبودا فى بطن واحد وكان بينهما سنتان فى قول الكلبى وأدركوا أمر الله تعالى آدم أن ينكح لبودا أخت هابيل قابيل وينكح هابيل اقليما أخت قابيل وكانت أخت قابيل من أجمل النساء وأحسنهن خلقا فذكر آدم ذلك لولده هابيل فرضى وسخط قابيل وقال هى أختى ولدت معى فى بطن وهى أحسن من أخت هابيل فأنا أحق بها ونحن من أولاد الجنة وهما من أولاد الارض فأنا أحق بأختى فقال له أبوه انها لا تحل لك فأبى أن يقبل ذلك منه وقال ان الله تعالى لم يأمره بذلك وانما هو من رأيه فقال لهما آدم قربا قربانا فأيكما يقبل قربانه فهو أحق بها (وقال معاوية بن عمار) سألت جعفرا الصادق أكان آدم زوج ابنته من ابنه فقال معاذ الله لو فعل ذلك آدم لما رغب عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا كان دين آدم الا دين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى أهبط آدم وحواء الى الارض وجمع بينهما وولد له بنت فسماها عناق فبغت وهى أول من بغى فى الارض فسلط الله عليها من قتلها وولد لآدم على أثرها قابيل ثم ولد له هابيل فلما أدرك قابيل أظهر الله تعالى جنية من الجن يقال لها عمالة فى صورة انسية وخلق لها رحما وأوحى الله الى آدم أن زوجها من قابيل فزوجها منه فلما أدرك هابيل أهبط الله الى آدم حوراء فى صورة انسية وخلق لها رحما وكان اسمها تركه فلما نظر اليها هابيل رمقها أوحى الله الى آدم أن زوجها من هابيل ففعل فقال قابيل يا أبت ألست أكبر من أخى وأحق بما فعلت منه فقال يا بنى ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء فقال لا ولكنك آثرته على بهواك فقال له ان كنت تريد أن تعلم ذلك فقربا قربانا فأيكما يتقبل قربانه فهو أولى بها من صاحبه قالوا وكانت القرابين حينئذ اذا قبلت نزلت نار من السماء فأكلتها واذا لم تقبل لم تنزل نار لا كلها وأكلها السباع فخرجا يقربا وكان قابيل صاحب زرع فقرب صبرة من الطعام من أردإ زرعه وأضمر فى نفسه ما أبالى أيتقبل منى أم لا لا يتزوج أختى أبدا وكان هابيل راعيا صاحب ماشية فقرب كبشا سمينا من خيار ماشيته ولبنا وزبدا وأضمر فى نفسه الرضا بالله والتسليم لامره وقال اسمعيل بن رافع ان هابيل نتج له كبش فى غنمه فلما كبر لم يكن له مال أحب اليه منه وكان يحمله على ظهره فلما أمر بالقربان قربه قال فوضعا قربانهما على الجبل فنزلت نار من السماء فأكلت الكبش والزبد واللبن ولم تأكل من قربان قابيل حبة لانه لم يكن زاكى القلب وقبل قربان هابيل لانه كان زاكى القلب فما زال الكبش يرتع فى الجنة حتى فدى به ابن ابراهيم فذلك قوله تعالى فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر الى قوله من المتقين

قال فلما كان الغد وصلت الى تلك الخيمة فوجدته قد مات رحمة الله تعالى عليه قال فتأسفت عليه أسفا شديدا ثم أخذت فى غسله وتجهيزه وكفنته وصليت عليه فى الخيمة وحفرت قبره بها كما قال ثم فتقت جيبه فرأيت فيه ياقوتة تساوى ألف دينار قال فتعجبت من ذلك وقلت والله لقد زهد فى الدنيا كل الزهد قال فلما فرغت من أمره وانصرفت من عنده انتظرت خروج هرون الرشيد فلما خرج فى موكبه تعرضت له فى بعض الطريق ودفعت اليه الياقوتة فلما رآها خر مغشيا عليه فاحتوشتنى الخدمة وداروا بى فلما أفاق قال خلوا عنه ثم أخذ بيدى ومضى بى الى مجلسه وقال يا أخى ما فعل الله بصاحب هذه الياقوتة فقلت له مات الى رحمة الله تعالى ثم وصفت له كل ما كان منه قال فجعل الرشيد يبكى ويقول انتفع الولد وخاب الوالد ثم نادى يا فلانة فجاءت امرأة كأنها حورية فلما رأتنى أرادت أن ترجع فقال لها الرشيد أدخلى فدخلت وسلمت فرمى لها الياقوتة فلما رأتها صاحت صيحة وغشى عليها فلما أفاقت قالت يا أمير المؤمنين ما فعل بولدى صاحب هذه الياقوتة فقال لى صف لها صفته وقص عليها قصته قال فقصصت عليها ما كان منه فجعلت تبكى وتقول ما شوقنى

فنزلوا عن الجبل وتفرقوا وقد غضب قابيل لما رد الله قربانه وظهر فيه الحسد والبغي وكان يضمر هما قبل ذلك في نفسه الى أن أتى آدم مكة ليزور البيت فلما أراد أن يأتي مكة قال للسماء احفظي ولدي بالامانة فأبت فقال ذلك للارض والجبال فأبيا فقال ذلك لقابيل فقال نعم ترجع وتراه كما يسرك فرجع آدم وقد قتل قابيل هابيل فذلك قوله تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا يعني قابيل حين حمل أمانة أبيه ثم خانه قالوا فلما غاب آدم أتى قابيل الى هابيل وهو في غنمه فقال لاقتلنك قال ولم قال لان الله قبل قربانك ولم يقبل قرباني وتنكح أختي الحسناء وأنكح أختك الدميمة فيتحدث الناس انك خير مني وأفضل ويفتخر ولدك على ولدي فقال له هابيل وما ذنبي انما يتقبل الله من المتقين لئن بسطت الي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي اليك لاقتلك اني أخاف الله رب العالمين (قال) عبد الله بن عمران المقتول كان أشد ولكنه منعه التحرج أن يبسط الى أخيه يده قال الله تعالى فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله الآية أي طاوعته وساعدته فقتله قال السدي لما قصد قابيل هابيل زاغ هابيل في رؤس الجبال ثم أتاه يوما من الايام وهو نائم فرفع صخرة فشدخ بها رأسه فمات وقال ابن جريج لم يدر قابيل كيف يقتل أخاه فتمثل له ابليس وأخذ طيرا فوضع رأسه على حجر ثم شدخه بحجر آخر وكان لهابيل يوم قتل عشرون سنة واختلفوا في مصرعه وموضع قتله فقال ابن عباس على جبل نود وقال بعضهم على عقبة حراء وحكى محمد بن جرير الطبري قال جعفر الصادق بالبصرة موضع المسجد الاعظم فلما قتله تركه ولم يدر ما يصنع به لانه كان أول ميت على وجه الارض من بني آدم فقصدته السباع فحمله في جراب على ظهره سنة حتى تروح وعكفت عليه الطير والسباع ينظرون أين يرمي به فيأكله فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل أحدهما صاحبه ثم حفر له بمنقاره ورجليه حتى مكن له في الارض ثم ألقاه في الحفرة وواراه وقابيل ينظر اليه فلما رأى ذلك قال ياويلتي أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوأة أخي فأصبح من النادمين يعني على حمله لا على قتله وروى عن الاوزاعي قال حدثني المطلب بن عبد الله المخزومي لما قتل ابن آدم أخاه رجفت الارض بما عليها سبعة أيام ثم شربت الارض دمه كما تشرب الماء فناداه الله أين أخوك هابيل قال ما أدري ما كنت عليه رقيبا فقال الله تعالى ان دم أخيك ليناديني من الارض لم قتلت أخاك قال فأين دمه ان كنت قتلته فحرم الله على الارض من يومئذ أن تشرب دما بعده أبدا (وعن) الضحاك عن ابن عباس قال لما قتل قابيل هابيل وآدم بمكة اشتاك الشجر وتغيرت الاطعمة وحمضت الفواكه ومر الماء واغبرت الارض فقال آدم قد حدث في الارض حدث فأتى الهند فاذا قابيل قد قتل هابيل فأنشأ يقول وهو أول شعر قيل

تغيرت البلاد ومن عليها * فوجه الارض مغبر قبيح
تغير كل ذي طعم ولون * وقل بشاشة الوجه الصبيح

(وروى) عن ابن عباس أنه قال من قال ان آدم قال الشعر فقد كذب على الله ورسوله ورمى آدم بالمأثم وان محمدا صلى الله عليه وسلم والانبياء كلهم في النهي عن الشعر سواء قال الله تعالى وما علمناه الشعر وما ينبغي له ولكن لما قتل قابيل هابيل رثاه آدم وهو سرياني وانما يقول الشعر من تكلم بالعربية فلما قال آدم مرثيته في ابنه هابيل وهو أول شهيد على وجه الارض قال آدم لشيث يا بني انك وصيي فاحفظ هذا الكلام ليتوارثه الناس فلم يزل ينقل حتى وصل الى يعرب بن قحطان بن هود عليه السلام وكان يتكلم بالسريانية والعربية وهو أول من ركب الخيل وتكلم بالعربية وقال الشعر فنظر في المرثية فاذا هو سجع فقال ان هذا يقوم شعرا فرد المقدم الى المؤخر والمؤخر الى المقدم فوزنه شعرا فما زاد فيه ولا نقص حرفا من ذلك فقال

تغيرت البلاد ومن عليها * فوجه الارض مغبر قبيح
تغير كل ذي طعم ولون * وقل بشاشة الوجه الصبيح
وقابيل أذاق الموت هابيل * واحزنا لقد فقد المليح
ومالي لا أجود بسكب دمع * وهابيل تضمنه الضريح
وجاءت شعلة ولها رنين * لهابيل وقابيل يصيح
لقتل ابن النبي بغير جرم * فقلبي عند قتلته جريح
وجاورنا لعين ليس يفنى * عدو لا يموت فنستريح

وقالت حواء دع الشكوى فقد هلكا جميعا * بموت ليس بالثمن الربيح * وما يغني البكاء عن البواكي

اليك ياقرة عيني ليتني كنت أسقيك اذا لم تجد ساقيا او أنيسة لك اذا لم تجد مؤنسا ثم بكت بكاء شديدا فقال لي أمير المؤمنين يا أخي هذا ولدي كان من قبل ولايتي هذا الامر فكان يتردد على العلماء ويجالس الصلحاء فلما وليت هذا الامر نفر عني وتباعد مني فقلت لامه هذه ان ولدك انقطع الى الله سبحانه وتعالى فلا بد أن تصيبه الشدائد ومكابدة الاحزان فادفعي اليه هذه الياقوتة لينتفع بها عند الاحتياج اليها فدفعتها له فحرمت عليه أن يمسكها فغاب عنا حديثه الى أن رمى لنا دنيانا ولقي الله تعالى تقيا نقيا ثم قال يا أخي أرني قبره قال فخرجت به الى قبره فبكى بكاء طويلا وسألني الصحبة فقلت له يا أمير المؤمنين ان لي في ولدك عظة وعبرة ثم مضيت من عنده حزينا على ذلك الشاب رحمه الله تعالى ورضي عنه

* وحكي عن الاصمعي رضي الله تعالى عنه أنه قال * حججت سنة من السنين الى بيت الله الحرام وزيارة النبي عليه أفضل الصلاة والسلام فبينما أنا في الطريق اذا رجل اعرابي بيده سيف عريض ورمح طويل كان يقطع بهما الطريق لاخذ أسباب المسلمين وأموالهم فلما دنا مني أراد أن يأخذ أسبابي فأسرعت نحوه وسلمت عليه فرد علي السلام ثم قال من أين الرجل

اذا ما المرء غيب فى الضريح * فبك النفس وازل عن هواها * فلست مخلدا بعد الذبيح
فأجابهما ابليس لعنه الله شامتا بهما
تنح عن البلاد وساكنيها * ففى الجنات ضاق بك الفسيح
وكنت بها و زوجك فى رخاء * وقلبك من أذى الدنيا مريح * فما زالت مكايدتى ومكرى
الى أن فاتك الثمن الربيح * فلولا رحمة الجبار أضحى * بكفك من جنان الخلد ريح

(وقال) سالم بن أبى الجعد لما قتل قابيل هابيل مكث آدم مائة سنة لا يضحك ثم أتى فقيل له حياك الله واضحكك وأبكاك قال ولما مضى من عمر آدم مائة وثلاثون سنة وذلك بعد ما قتل قابيل هابيل بخمس سنين ولد له شيث وتفسيره هبة الله يعنى أنه خلف الله من هابيل وعلمه الله ساعات الليل والنهار وعبادة الخلق فى كل ساعة منها وأنزل الله عليه خمسين صحيفة وكان وصى آدم وولى عهده وأما قابيل فقيل له اذهب فذهب طريدا شريدا فزعا مرعوبا لا يأمن من رآه فأخذ بيد اخته اقليما وذهب بها الى عدن من أرض اليمن فأتى اليه ابليس وقال له انما أكلت النار قربان أخيك لانه كان يخدم النار ويعبدها فانصب أيضا أنت نارا تكون لك ولعقبك فبنى بيت النار فهو أول من نصب النار وعبدها قال وكان لا يمر بواحد من ولده الا رماه وكان لقابيل ولد أعمى ومعه ابن له فقال ابن الاعمى لابيه هذا أبوك قابيل فرمى الاعمى أباه قابيل فقتله قال فقال ابن الاعمى انه أبوك فرفع يده فلطمه فمات فقال الاعمى ويل لى قتلت أبى برميتى وقتلت ابنى بلطمتى قال مجاهد فعلقت احدى يدى قابيل الى فخذها وساقها وعلقت من يومئذ الى يوم القيامة ووجهت الى الشمس حيثما دارت وعليه فى الصيف حظيرة نار وفى الشتاء حظيرة ثلج قالوا واتخذ أولاد قابيل آلات اللهو من أنواع الطبول والمزامير والطنابير وانهمكوا فى اللهو وشرب الخمر والزنا وعبادة النار والاوثان والفواحش حتى أغرقهم الله بالطوفان فى زمن نوح عليه السلام وبقى نسل شيث عليه السلام والله أعلم

﴿الباب العاشر فى ذكر وفاة آدم عليه السلام﴾

ذكر أهل التاريخ وأصحاب الاخبار ان آدم عليه السلام مرض قبل موته أحد عشر يوما وأوصى الى ابنه شيث وكتب وصيته ودفعها الى شيث وأمره أن يخفى ذلك من ولد قابيل لان قابيل كان قد قتل هابيل حسدا منه له حين خصه آدم بتزويج اخته اقليما فخاف عليه أيضا أن يقتله حين خصه آدم بالعلم فاختفى شيث وولده بما عندهم من الوصية فلم يكن عند قابيل وولده علم ينتفعون به (وروى) أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لما أخرج الله ذرية آدم من ظهره فجعل يعرضهم على آدم فاذا قوم عليهم النور فقال يارب من هؤلاء الذين عليهم النور قال هؤلاء الانبياء والرسل واذا فيهم رجل يزهو وهو أضوؤهم نورا فقال يارب من هذا فقال ذلك داود فقال يارب كم عمره قال ستون سنة قال يارب زده فى عمره قال لا الا أن تزيده أنت من عمرك فقد جف القلم باعمار بنى آدم وكان عمر آدم ألف سنة فوهب له من عمره أربعين سنة فكتب الله عليه بذلك كتابا وأشهد عليه الملائكة فلما مضى من عمره تسعمائة وستون سنة جاءه ملك الموت ليقبضه فقال آدم عجلت على ياملك الموت قال ما فعلت بل أنت استوفيت أجلك قال آدم قد بقى من عمرى أربعون سنة قال انك وهبتها لابنك داود قال ما فعلت ولا وهبت له شيأ فأنزل الله الكتاب وأقام الملائكة شهودا ثم ان الله تعالى أكمل لآدم ألف سنة وأكمل لداود مائة سنة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نسى آدم فنسيت ذريته وجحد فجحدت ذريته فأمر الله بالكتاب والشهود من يومئذ (قال) ابن اسحق وغيره ثم ان آدم مات واجتمعت عليه الملائكة لانه صفى الرحمن فدفنته الملائكة وشيث واخوته فى مشارق الفردوس عند قرية هى أول قرية كانت فى الارض وكسفت عليه الشمس والقمر ستة أيام بلياليهن فلما اجتمعت عليه الملائكة بعث الله اليه بحنوط وكفن من الجنة وولیت الملائكة غسله ودفنه فغسلته بالسدر والماء وترا وكفنوه فى ثلاثة أثواب ثم لحدوا له ودفنوه ثم قال هذه سنة ولد آدم من بعده قال ابن عباس فلما مات آدم قال شيث لجبريل صل على آدم فقال له جبريل تقدم أنت فصل على أبيك فصلى عليه وكبر ثلاثين تكبيرة فاما خمس فهى الصلاة وأما خمس وعشرون فهى تفضيل لآدم * وقد اختلف فى موضع قبره فقال ابن اسحق فى مشارق الفردوس وقال غيره دفن بمكة وقيل فى غار أبى قبيس وهو غار يقال له الغار الكبير * وروى أبو صالح عن ابن عباس أنه قال مات آدم على جبل نود بالهند وقال ابن عباس لما كان أيام الطوفان حمل نوح تابوت

فقلت له فقير وعابر سبيل فقال ما صناعتك فقلت اقرأ القرآن وأعلمه لاطفال المسلمين فقال وما يكون القرآن فقلت كلام الله عز وجل فقال أولله كلام فقلت له نعم فقال الاعرابى فانشدنى من كلامه بيتا قال الاصمعى فقرأت بسم الله الرحمن الرحيم وفى السماء رزقكم وما توعدون فرمى الاعرابى سيفه ورمحه وقال تبا لقاطع طريق وخائف سبيل رزقه فى السماء ويطلبه فى الارض ثم تاب الى الله تعالى وعاهده أن لا يعود الى ما كان فيه قال الاصمعى ففرحت بذلك فرحا شديدا فلما كان العام الثانى خرجت حاجا الى بيت الله الحرام فبينما أنا طائف بالبيت اذا رجل عليه سيما الخير والصلاح قد أقبل نحوى وسلم على وقال ألست صاحبى بالعام الماضى فقلت نعم فقال أنشدنى من كلام الله عز وجل بيتا ثانيا قال الاصمعى فقرأت عليه فورب السماء والارض انه لحق مثل ما أنكم تنطقون قال فرفع الاعرابى رأسه وقال يا أصمعى وما الذى ألجأه الى هذا القسم ثم خر مغشيا عليه فحركته فاذا هو قد مات رحمة الله تعالى عليه ونفعنا به آمين ﴿وحكى عن بعضهم رضى الله تعالى عنه﴾ انه قال بينما النبى صلى الله عليه وسلم فى الطواف اذ سمع أعرابيا يقول يا كريم فقال النبى صلى الله عليه وسلم خلفه يا كريم

آدم فى السفينة فلما خرج من السفينة دفن آدم ببيت المقدس وكان وفاة آدم يوم الجمعة وعاشت حواء بعده سنة ثم ماتت فدفنت مع آدم عليهما السلام والله أعلم

﴿باب فى الخصائص التى خص الله بها آدم عليه السلام﴾

قال الاستاذ خلق الله آدم بيده ونفخ فيه من روحه وجعله خاتمة خلقته وخلقه فى أحسن صورة وأقسم عليه فقال عز من قائل والتين والزيتون وطور سينين وهذا البلد الأمين لقد خلقنا الانسان فى أحسن تقويم وألهمه الحمد حين عطس ثم قال له يرحمك ربك فسبقت له رحمته غضبه وأسكنه بعد خلقه الجنة بلا عمل وأباح له جميع الجنة الا شجرة واحدة وعلمه الاسماء كلها وأمر ملائكته بالسجود له وأمرهم بالملقين وجعله أبا البشر وجعله خليفته فى الارض وعرف الملائكة فضله عليهم ولعن ابليس من أجله مع كثرة عبادته وعاتب الملائكة بسببه وهو أول حامد وأول تائب وأول مجتبى وأول مصطفى وأول خليفة لله فى الارض وهو المميز لارواح الخبيثة من الطيبة وهو الباعث يوم القيامة بعث النار من ذريته فهذه ثلاث وعشرون خصلة من خصائصه صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم والله أعلم

﴿مجلس فى ذكر النبى ادريس عليه السلام﴾

قال الله تعالى واذكر فى الكتاب ادريس انه كان صديقا نبيا * قال أهل العلم بأخبار الماضين وقصص النبيين هو ادريس بن برد وقيل باريد بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث بن آدم واسمه أخنوخ وسمى ادريس لكثرة درسه الكتب وصحف آدم وشيث وأمه أشوت وكان ادريس أول من خط بالقلم وأول من خاط الثياب ولبس المخيط وأول من نظر فى علم النجوم والحساب بعثه الله الى ولد قابيل ثم رفعه الى السماء وكان سبب رفعه الى السماء على ما قال ابن عباس وأكثر الناس أنه سار ذات يوم فأصابه وهج الشمس فقال يا رب انى مشيت فى الشمس يوما فتأذيت فكيف بمن يحملها خمسمائة عام فى يوم واحد اللهم خفف عنه ثقلها واحمل عنه حرها فلما أصبح الملك وجد من خفة الشمس وحرها ما لا يعرف فقال يا رب خففت عنى حر الشمس فما الحال الذى قضيت على فيه فقال تعالى ان عبدى ادريس سألنى ان أخفف عنك ثقلها وحرها فأجبته الى ذلك فقال يا رب اجمع بينى وبينه واجعل بينى وبينه خلة فأذن الله له فكان ادريس يسأله وكان مما سأله أن قال أخبرت انك أكرم الملائكة على ملك الموت وأمكنهم عنده فاشفع لى اليه ليؤخر أجلى فأزداد شكرا وعبادة فقال الملك لا يؤخر الله نفسا اذا جاء أجلها قال قد علمت ذلك ولكنه أطيب لنفسى فقال أنا مكلمه لك وما كان يستطيع أن يفعل لاحد من بنى آدم فهو فاعل لك ثم حمله الملك على جناحه حتى رفعه الى السماء ووضعه عند مطلع الشمس ثم انه أتى الى ملك الموت فقال له لى اليك حاجة فقال له أفعل لك كل شئ أستطيعه فقال لى صديق من بنى آدم تشفع بى اليك لتؤخر أجله فقال ليس ذلك الى ولكن ان أحببت أعلمته أجله ومتى يموت فيتقدم فى نفسه قال نعم فنظر فى ديوانه فأخبره باسمه وقال انك كلمتنى فى انسان ما أراه يموت أبدا قال وكيف ذلك قال انى لا أجده يموت عند مطلع الشمس قال فانى أتيتك وتركته هنالك فقال له فانطلق فلا أراك تجده الا وقد مات والله ما بقى من أجل ادريس شئ فرجع الملك فوجده ميتا * وقال وهب كان يرفع له كل يوم من العبادة مثل ما يرفع لاهل الارض جميعهم فى زمنه فعجبت منه الملائكة واشتاق اليه ملك الموت فاستأذن الله فى زيارته فأذن له وأتاه فى صورة بنى آدم وكان ادريس يصوم الدهر فلما كان وقت افطاره دعاه الى طعامه فأبى أن يأكل وفعل ذلك ثلاث ليال فأنكره وقال له فى الليلة الثالثة انى أريد أن أعلم من أنت قال أنا ملك الموت استأذنت ربى أن أزورك وأصاحبك فأذن لى فى ذلك فقال له ادريس لى اليك حاجة قال وما هى قال اقبض روحى فأوحى الله تعالى اليه أن اقبض روحه فقبض روحه ثم رده الله عليه بعد ساعة فقال له ملك الموت فما الفائدة فى سؤالك قبض الروح قال لاذوق كرب الموت وغمه فاكون له أشد استعدادا ثم قال له لى اليك حاجة أخرى قال وما هى قال ترفعنى الى السماء لانظر اليها والى الجنة فأذن له فى ذلك فلما قرب من النار قال لى اليك حاجة قال وما تريد قال تسأل مالكا يفتح لى أبواب النار حتى أردها ففعل ذلك ثم قال فكما أريتنى النار فأرنى الجنة فذهب به الى الجنة واستفتحها ففتحت له أبوابها فدخلها فقال له ملك الموت أخرج لتعود الى مقرك فتعلق بشجرة وقال لا أخرج منها فبعث الله ملكا حكما بينهما فقال له الملك مالك لا تخرج قال لان الله تعالى قال كل نفس ذائقة الموت وقد ذقته وقال تعالى وان منكم الا واردها وقد وردتها وقال تعالى

فمشى الاعرابى الى جهة الركن اليمانى وقال يا كريم فقال النبى صلى الله عليه وسلم خلفه يا كريم فمشى الاعرابى الى جهة الميزاب وقال يا كريم فقال النبى صلى الله عليه وسلم خلفه يا كريم فالتفت الاعرابى الى النبى صلى الله عليه وسلم وقال يا صبيح الوجه يا رشيق القد أتهزأ بى لكونى اعرابيا والله لولا صباحة وجهك ورشاقة قدك لشكوتك الى حبيبى محمد صلى الله عليه وسلم قال فتبسم النبى صلى الله عليه وسلم وقال أما تعرف نبيك يا أخا العرب فقال الاعرابى لا فقال النبى صلى الله عليه وسلم فما ايمانك به فقال آمنت بنبوته ولم أره وصدقت برسالته ولم ألقه فقال النبى صلى الله عليه وسلم يا اعرابى اعلم انى نبيك فى الدنيا وشفيعك فى الآخرة قال فأقبل الاعرابى يقبل قدمى النبى صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم مه يا أخا العرب لا تفعل بى كما تفعل الاعاجم بملوكها فان الله سبحانه وتعالى بعثنى لا متكبرا ولا متجبرا بل بعثنى بالحق بشيرا ونذيرا قال فهبط جبريل على النبى صلى الله عليه وسلم وقال له يا محمد السلام يقرئك السلام ويخصك بالتحية والاكرام ويقول لك قل للاعرابى لا يغرنه كرمنا ولا حلمنا فغدا نحاسبه على القليل والكثير والفتيل

وما

وماهم منها بمخرجين فلست أخرج فقال الله تعالى لملك الموت دعه فانه باذنى دخل الجنة و بامرى لايخرج فهو حى هناك فتارة يعبد الله فى السماء الرابعة وتارة يتنعم فى الجنة والله أعلم

﴿قصة هاروت وماروت﴾

قال الله تعالى واتبعوا ماتتلو الشياطين على ملك سليمان الآية قال أهل التفسير ان الشياطين كتبوا السحر والنيرنجيات على لسان آصف فى مدة زوال ملك سليمان هذا ماعلم آصف بن برخيا سليمان الملك ثم دفنوها تحت مصلاه ولم يشعر بذلك سليمان فلمامات استخرجوها من تحت مصلاه وقالوا للناس ماملككم سليمان الابهذه قال السدى وذلك ان شيطانا تمثل على صورة انسان فاتى نفرا من بنى اسرائيل فقال هل أدلكم على كنز لاينفد أبدا قالوا نعم قال فاحفروا تحت كرسى سليمان وذهب معهم فاراهم المكان وقام ناحية فقالوا له أدن فقال لا ولكنى ههنا فان لم تجدوه فاقتلونى وذلك انه لم يكن أحد من الشياطين يدنو من الكرسى الا احترق فحفروا فوجدوا تلك الكتب فلما أخرجوها قال الشيطان ان سليمان كان يضبط الجن والانس والشياطين والطير بهذا ثم طار الشيطان وذهب فاما علماء بنى اسرائيل وصلحاؤهم فقالوا معاذ الله أن يكون هذا علم سليمان فان كان هذا علمه فقد هلك سليمان وأما الجهال والسفلة فاقبلوا على تعلمه ورفضوا كتب أنبيائهم فانزل الله هذه الآية اظهارا لعذر سليمان وبيانا لبراءته فهذه قصة الآية * وأما قصة هاروت وماروت فقال المفسرون ان الملائكة لما رأوا مايصعد الى السماء من أعمال بنى آدم الخبيثة وذنوبهم الكثيرة وذلك فى زمن ادريس النبى عليه السلام عيروهم بذلك وأنكروا عليهم وقالوا هؤلاء الذين جعلتهم خلفاء فى الارض واخترتهم فهم يعصونك فقال تعالى لو أنزلتكم الى الارض وركبت فيكم ماركبت فيهم لفعلتم مثل مافعلوا قالوا سبحانك ربنا ما كان ينبغى لنا أن نعصيك قال الله تعالى اختاروا ملكين من خياركم أهبطهما الى الارض فاختاروا هاروت وماروت وكانا من أصلح الملائكة وأعبدهم قال الكلبى قال الله تعالى اختاروا ثلاثة منكم فاختاروا عزا وهو هاروت وعزابيا وهو ماروت وعزرائيل وانما غير اسمهما لما اقترفا الذنب كما غير الله اسم ابليس وكان اسمه عزازيل فركب الله تعالى فيهم الشهوة التى ركبها فى بنى آدم وأهبطهم الى الارض وأمرهم أن يحكموا بين الناس بالحق ونهاهم عن الشرك والقتل بغير الحق والزنا وشرب الخمر فاما عزرائيل فانه لما وقعت الشهوة فى قلبه استقال ربه وسأله أن يرفعه الى السماء فاقاله ورفعه وسجد أربعين سنة ثم رفع رأسه ولم يزل بعد ذلك مطأطأ رأسه حياء من الله تعالى وأما الآخران فانهما ثبتا على ذلك يقضيان بين الناس يومهما فاذا أمسيا ذكرا اسم الله تعالى الاعظم وصعدا الى السماء قال قتادة فمامر عليهما شهر حتى افتتنا وذلك انه اختصم اليهما ذات يوم الزهرة وكانت من أجمل النساء قال على رضى الله عنه كانت من أهل فارس وكانت ملكة فى بلدها فلما رأياها أخذت بقلوبهما فراوداها عن نفسها فابت وانصرفت ثم عادت فى اليوم الثانى ففعلا مثل ذلك فقالت لا الا أن تعبدا ما أعبد وتصليا لهذا الصنم وتقتلا النفس وتشربا الخمر فقالا لاسبيل الى هذه الاشياء فان الله قد نهانا عنها فانصرفت ثم عادت فى اليوم الثالث ومعها قدح من خمر وفى نفسهما من الميل اليهما مافيها فراوداها عن نفسها فابت وعرضت عليهما ما قالت بالامس فقالا الصلاة لغير الله أمر عظيم وقتل النفس عظيم وأهون الثلاثة شرب الخمر فشربا الخمر فانتشيا ووقعا بالمرأة وزنيا بها فرآهما انسان فقتلاه قال الربيع بن أنس وسجدا للصنم فمسخ الله الزهرة كوكبا وقال على رضى الله عنه والسدى والكلبى انها قالت لاتدركانى حتى تعلمانى الذى تصعدان به الى السماء فقالا نصعد باسم الله الاعظم فقالت فما أنتما بمدركى حتى تعلمانيه فقال أحدهما لصاحبه علمها فقال انى أخاف الله فقال الآخر فاين رحمة الله تعالى فعلماها ذلك فتكلمت به وصعدت الى السماء فمسخها الله تعالى كوكبا * قال الاستاذ فعلى قول هؤلاء هى الزهرة بعينها وقال آخرون هى هذا الكوكب الاحمر واسمها بالفارسية ناهيد وبالقبطية بادخت يدل على صحة هذا القول ماأخبرنا به يحيى بن اسمعيل باسناده عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه قال كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا رأى سهيلا قال لعن الله سهيلا انه كان عشارا باليمن ولعن الله الزهرة فانها فتنت ملكين هاروت وماروت وقال مجاهد كنت مع ابن عمر ذات ليلة فقال لى ارمق الكوكب يعنى الزهرة فاذا طلعت فايقظنى فلما طلعت أيقظته فلما نظر اليها سبها سبا شديدا فقلت يرحمك الله تسب نجما ساما مطيعا فقال ان هذه كانت بغيا فلقى الملكان منها مالقيا وكذلك قال ابن عباس وأنكر الآخرون هذا القول وقالوا الزهرة من الكواكب السبعة

والقطمير فقال الاعرابى أو يحاسبنى ربى يارسول الله قال نعم يحاسبك ان شاء فقال الاعرابى وعزته وجلاله ان حاسبنى لاحاسبنه فقال صلى الله عليه وسلم وعلى ماذا تحاسب ربك ياأخا العرب فقال الاعرابى ان حاسبنى ربى على ذنبى حاسبته على مغفرته وان حاسبنى على معصيتى حاسبته على عفوه وان حاسبنى على بخلى حاسبته على كرمه قال فبكى النبى صلى الله عليه وسلم حتى ابتلت لحيته فهبط جبريل عليه السلام على النبى صلى الله عليه وسلم وقال يامحمد السلام يقرئك السلام ويقول لك يامحمد اقلل من بكائك فقد ألهيت حملة العرش عن تسبيحهم قل لاخيك الاعرابى لايحاسبنا ولانحاسبه فانه رفيقك فى الجنة ﴿وحكى عن عبد الرحمن بن المهذب رضى الله عنه أنه قال﴾ مررت يوما بسوق الرقيق فوجدت دلالا ينادى على عبد ويقول أبيعه على عيبه فقلت للدلال ماالعيب الذى فى هذا العبد فقال يامولاى سله فدنوت من الغلام وقلت ماالعيب الذى فيك فقال ياسيدى عيوبى كثيرة ولاأدرى بأيها شهرونى فقلت للدلال أخبرنى ماالعيب الذى فى هذا الغلام فقال به داء الجنون فقلت للغلام كيف يأتيك هذا الصرع أفى كل سنة أم فى كل شهر أم فى كل جمعة أم فى كل يوم فقال يامولاى

السيارة التي جعلها الله تعالى قواما للعباد وأقسم بها فقال تعالى فلا أقسم بالخنس الجوارى الكنس وانما كانت التي فتنت هاروت وماروت امرأة تسمى زهرة لجمالها فلما زنت مسخها الله شهابا فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم الزهرة ذكر تلك المرأة الموافقة لهذا الاسم فلعنها وكذلك سهيل العشار كان رجلا فلما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا النجم الموافق اسمه لاسم هذا الرجل لعنه يدل عليه ما روى قيس بن عباد عن ابن عباس في هذه القصة قال كانت امرأة فضلت على النساء بالحسن والجمال كما فضلت هذه الزهرة على سائر الكواكب قالوا فلما أمسى هاروت وماروت بعد ما قارفا الذنب هما بالصعود الى السماء فلم تطاوعهما أجنحتهما فعلما ما حل بهما فقصدا الى ادريس عليه السلام فاخبراه بأمرهما وسألاه أن يشفع لهما الى الله تعالى وقالا له انا رأيناك يصعد لك من العبادة مثل ما يصعد لجميع أهل الارض فاشفع لنا الى الله تعالى قال ففعل ادريس ذلك فخيرهما الله بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فاختارا عذاب الدنيا لانه ينقطع فهما ببابل يعذبان * واختلف العلماء في كيفية عذابهما فقال ابن مسعود هما معلقان بشعورهما الى قيام الساعة وقال مقاتل كبلا من أقدامهما الى أصول أفخاذهما وقال مجاهد ملئ جب نارا فجعلا فيه وقال عمرو بن سعيد هما معلقان منكسان في السلاسل يضربان بسياط الحديد وروى أن رجلا قصدهما لتعلم السحر فوجدهما معلقين بأرجلهما مزرقة أعينهما مسودة وجوههما ليس بين ألسنتهما وبين الماء الا أربعة أصابع وهما يعذبان بالعطش فلما رأى ذلك هاله مكانهما فقال لا اله الا الله فلما سمعا كلامه قالا لا اله الا الله من أنت قال رجل من الناس قالا له ومن أى أمة أنت قال من أمة محمد صلى الله عليه وسلم قالا أو بعث محمد صلى الله عليه وسلم قال نعم فحمدا الله تعالى وأظهرا الاستبشار فقال الرجل ومم استبشاركما قالا انه نبي الساعة وقد دنا انقضاء عذابنا وروى هشام عن عائشة أنها قالت قدمت امرأة من دومة الجندل جاءت تبتغى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد موته تسأله عن شئ دخلت فيه من أمر السحر ولم تعمل به فقالت عائشة لعروة يا ابن أختى فرأيتها تبكى حين لم تجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت تبكى حتى رحمتها ثم قالت انى لاخاف أن أكون قد هلكت ثم قالت كان لى زوج غاب عنى فدخلت على عجوز فشكوت لها ذلك فقالت ان فعلت ما آمرك به جعلته يأتيك فلما كان الليل جاءتنى بكلبين أسودين فركبت أحدهما وركبت هى الآخر فلم يكن كثير حتى وقفنا ببابل واذا برجلين معلقين بأرجلهما فقالا ما جاء بك فقلت أتعلم السحر فقالا انما نحن فتنة فلا تكفرى فارجعى من حيث أتيت فقلت لا قالا فاذهبى الى ذلك التنور فبولى فيه فذهبت لابول ففزعت فلم أفعل فرجعت فقالا فعلت قلت نعم فقالا هل رأيت شيأ فقلت لم أر شيأ فقالا لم تفعلى شيأ فارجعى الى بلادك ولا تكفرى فأبيت فقالا اذهبى الى ذلك التنور فبولى فيه فذهبت فاقشعر جلدى وخفت ثم رجعت اليهما فقلت قد فعلت فقالا ما رأيت قلت لم أر شيأ قالا كذبت لم تفعلى فارجعى الى بلادك ولا تكفرى فانك على رأس أمرك فقلت لا فقالا لى اذهبى الى ذلك التنور فبولى فيه فذهبت اليه فبلت فيه فرأيت فارسا مقنعا بحديد خرج منى حتى ذهب فى السماء وغاب حتى ما أراه فجئتهما فقلت قد فعلت قالا فما رأيت قلت رأيت فارسا مقنعا بالحديد خرج منى وذهب فى السماء فلم أره قالا صدقت ذلك ايمانك خرج منك فاذهبى فقلت للمرأة والله ما أعلم شيأ ولا قالا لى شيأ فقالت لا تريدين شيأ الا كان خذى هذا القمح فابذريه فبذرته ثم قلت له اطلع فطلع فقلت له احصد فحصد فقلت انفرك ففرك ثم قلت انطحن فطحن ثم قلت انخبز فخبز فلما رأيت انى لا أريد شيأ الا كان سقط فى يدى فرجعت وندمت والله يا أم المؤمنين ما فعلت شيأ قط ولا أفعله أبدا قال الاوزاعى بلغنى أن جبريل عليه السلام أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال يا جبريل صف لى النار فقال ان الله تعالى أمر بها فأوقد عليها ألف عام حتى احمرت ثم أوقد عليها ألف عام حتى اسودت فهى سوداء مظلمة لا يطفأ جمرها ولا يخمد لهبها والذى بعثك بالحق لو أن ثوبا من ثياب أهل النار ظهر لاهل الارض لماتوا جميعا ولو أن ذنوبا من شرابها صب فى ماء الارض جميعا لقتل من ذاقه ولو أن حلقة من السلسلة التى ذكرها الله وضعت على جبال أهل الارض جميعا لذابت وما استقلت ولو أن رجلا دخل النار وخرج لمات أهل الارض من نتن ريحه وتشويه خلقه وعظمه فبكى النبى صلى الله عليه وسلم وبكى جبريل لبكائه وقال أتبكى يا محمد وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال أفلا أكون عبدا شكورا وبكى جبريل فقال يا جبريل أتبكى وأنت الروح الامين أمين الله على وحيه قال أخاف ان أبتلى بما ابتلى به هاروت وماروت فهذا الذى منعنى من اتكالى على منزلتى عند ربى فأكون قد

اذا استولى داء المحبة على القلب سرى فى الاعضاء واذا استولى على الجوارح نشر خمار المحبة على سائر الجسد فيطيش العقل بذكر الحبيب فيحدث على القلب استغراقا وعلى البدن سكونا فيعتقده الجاهل جنونا قال عبد الرحمن فعلمت ان الغلام من أولياء الله تعالى فقلت للدلال كم ثمن هذا الغلام فقال مائتا درهم فقلت ولك عشرون فوزنت له الثمن وأخذت الغلام وأتيت به الى الدار ثم أمرته بالدخول فابى وقال ياسيدى ألك أهل فقلت نعم فقال ومن يستطيع النظر الى غير محرمه فقلت له قد أبحت لك ذلك فقال معاذ الله ولكن مهما كان لك من الحوائج قضيتها وأنا دون الباب قال عبد الرحمن فسكت عنه وتركته ثم أخرجت له الغداء فقال انى صائم فلما كان الليل أخرجت له العشاء فقال انى طاو فقام عندى فى دهليز الدار فخرجت اليه نصف الليل فوجدته قائما يصلى ولم يشعر بى فلما فرغ من صلاته سجد وبكى بكاء شديدا فسمعته يقول فى مناجاته الهى أغلقت الملوك أبوابها وبابك مفتوح للسائلين *الهى غارت النجوم ونامت العيون وأنت الحى القيوم الذى لا تأخذك سنة ولا نوم *الهى فرشت الفرش وخلا كل حبيب بحبيبه وأنت حبيب المتهجدين وأنيس المستوحشين *الهى

أمنت مكره فلم يزالا يبكيان حتى نودى من السماء ياجبريل و يا محمد ان الله تعالى قد أمنكما من غضبه فلا يعذبكما وان فضل محمد صلى الله عليه وسلم على سائر الانبياء كفضل جبريل على سائر الملائكة

﴿مجلس فى قصة نوح عليه السلام﴾

قال الله تعالى لنبيه عليه السلام واتل عليهم نبأ نوح اذ قال لقومه الآية وهو نوح بن لمك بن متوشلخ بن أخنوخ ابن برد بن مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث عليه السلام وأمه قينوش بنت راكيل وقيل بنت كابيل بن محوئيل بن أخنوخ أرسله الله تعالى الى ولد قابيل ومن تابعهم من ولد شيث * قال ابن عباس وكان بطنان من ولد آدم أحدهما يسكن السهل والآخر يسكن الجبل وكان فى رجال الجبل صباحة وفى نسائهم دمامة وكان فى نساء السهل صباحة وفى الرجال دمامة وان ابليس أتى رجلا من أهل السهل فى صورة غلام فآجر نفسه منه وكان يخدمه واتخذ ابليس شيأ مثل الذى يزمر به الرعاة فجاء منه بصوت لم يسمع الناس بمثله فبلغ ذلك من حولهم فاتوهم مستمعين اليه واتخذوه عيدا يجتمعون اليه فى السنة فتتبرج النساء للرجال والرجال لهن وان رجلا من أهل الجبل هجم عليهم وهم فى عيدهم فرأى النساء وصباحتهن فجاء الى أصحابه فأخبرهم بذلك فتحولوا اليهم فنزلوا معهم وظهرت الفاحشة فيهم وهو قوله تعالى ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى * قال ابن عباس كان آدم أوصى أن لا ينكح بنو شيث بنى قابيل فجعل بنو شيث آدم فى مغارة وجعلوا عليه حفاظا لئلا يقربه أحد من أولاد قابيل وكان الذى يأتونه و يستغفر لهم بنو شيث فقال مائة من بنى شيث صباح لو نظرنا مافعل بنو عمنا يعنون بنى قابيل فهبط المائة الى نساء السهل صباح الوجوه من بنى قابيل فاحتبس النساء الرجال ثم مكثوا ماشاء الله فقال مائة أخرى لو نظرنا مافعل اخوتنا فهبطوا من الجبل اليهم فاحتبستهم النساء ثم هبط بنو شيث كلهم فظهرت المعصية وتناكحوا واختلطوا وكثر بنو قابيل حتى ملؤا الارض وأكثروا الفساد فبعث الله اليهم نبيهم نوحا وهو ابن خمسين سنة فلبث فيهم ألف سنة الا خمسين عاما يدعوهم الى الله تعالى و يخوفهم بأسه و يحذرهم سطوته كما أخبر الله تعالى فى قوله قال رب انى دعوت قومى ليلا ونهارا فلم يزدهم دعائى الا فرارا وقال تعالى وقوم نوح من قبل انهم كانوا هم أظلم وأطغى وقال تعالى وقوم نوح من قبل انهم كانوا قوما فاسقين (و روى) الضحاك عن ابن عباس انه قال ان نوحا كان يضرب ثم يلف فى لبد ثم يلقى فى بيته فيرون انه قد مات ثم يخرج فيدعوهم حتى أيس من ايمان قومه فبعد ذلك جاء رجل ومعه ابنه يتوكأ على عصا فقال يابنى انظر الى هذا الشيخ اياك أن يغرك فقال ياأبت مكنى من العصا فأعطاه العصا فقال ضعنى فى الارض فوضعه فمشى اليه فضربه بالعصا فقال نوح رب قد ترى مايصنع بى عبادك فان يكن لك فى عبادك حاجة فاهدهم وان يكن غير ذلك فصبرنى الى أن تحكم بينى و بينهم وأنت خير الحاكمين فأوحى الله اليه انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون فآيسه من ايمان قومه وأخبره انه لم يبق فى أصلاب الرجال ولا أرحام النساء مؤمن فعند ذلك دعا عليهم وقال رب انهم عصونى الآية الى قوله ولا تذرن ودا ولا سواعا ولا يغوث و يعوق ونسرا وقد أضلوا كثيرا وهى أسماء أصنام لهم كانوا يعبدونها من دون الله وقوله تعالى رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا انك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا الا فاجرا كفارا وقوله تعالى ولا تزد الظالمين الا تبارا أى هلاكا ودمارا فأجاب الله دعاءه وأمره أن يصنع الفلك كما قال تعالى واصنع الفلك بأعيننا ووحينا الآية قال نوح يارب وما الفلك قال بيت من خشب يجرى على وجه الماء حتى أغرق أهل المعصية وأريح أرضى منهم قال نوح يارب أين الماء قال يانوح انى على ما أشاء قدير قال نوح يارب وأين الخشب قال اغرس الشجر فغرس الساج وأتى على ذلك أربعون سنة وكف فى تلك المدة عن الدعاء فلم يدعهم فاعقم الله تعالى أرحام نسائهم فلم يولد لهم ولد فلما أدرك الشجر أمره ربه أن يقطع الشجر فقطعه وجففه ثم قال يارب كيف أتخذ هذا البيت قال اجعله أزور على ثلاث صور رأسه كرأس الديك وجوفه كجوف الطير وذنبه كذنب الديك مائلا واجعلها مطبقة واجعل أبوابها فى جنبيها واجعلها ثلاث طبقات واجعل طولها ثمانين ذراعا وعرضها خمسين ذراعا وطولها فى السماء ثلاثين ذراعا والذراع الى المنكب هذا قول أهل الكتاب ثم بعث الله جبريل يعلم نوحا صنعة الفلك وكان نوح يقطع الخشب و يضرب الحديد و يهيئ عدة الفلك من القار وغيره وكان قومه يمرون عليه وهو فى عمله فيسخرون منه و يقولون يانوح قد صرت نجارا بعد النبوة ثم يقولون ألا ترون الى هذا المجنون يتخذ بيتا يسير به على الماء و يضحكون منه وذلك قوله تعالى و يصنع الفلك وكلما مر عليه ملأ من قومه سخروا منه

ان طردتنى عن بابك فالى باب من ألتجئ * الهى ان قطعتنى عن جنابك فالى جناب من التجئ * الهى ان عذبتنى فانى مستحق للعذاب والنقم وان عفوت عنى فانت أهل الجود والكرم ثم جلس و رفع يديه وبكى وقال ياسيدى لك أخلص العارفون و بفضلك نجا الصالحون و برحمتك أناب المقصرون ياجميل العفو أذقنى برد عفوك وحلاوة مغفرتك فان لم أكن أهلا لذلك فانت أهل لذلك يامن هو أهل التقوى وأهل المغفرة قال عبد الرحمن فدخلت موضعى ولم أشوش عليه فلما أصبح الصباح خرجت اليه وسلمت عليه وقلت له كيف نمت البارحة فقال ياسيدى أو ينام من يخاف النار والعرض على الملك الجبار والتوبيخ غدا على الذنوب والاوزار ثم بكى بكاء طويلا فقلت له أنت حر لوجه الله تعالى فبكى وقال ياسيدى كان لى أجران أجر العبودية وأجر الخدمة وقد ذهب عنى أحدهما أعتقك الله من حر نار جهنم قال عبد الرحمن فدفعت اليه نفقة فأبى قبولها وقال ان المتكفل بالارزاق حى لا يموت ثم خرج هائما على وجهه لا أدرى أين ذهب رضى الله عنه * واشوقاه الى أرباب القلوب * واحسرتاه على فوات المطلوب * يامحبوسا فى سجن الغفلة وأسير فى

على وادى الدجاز أيت خيام القوم مضروبة على شاطئ بحر كانوا قليلا من الليل ما يهجعون ولسمعت أطيار أشجانهم على

فيقول نوح ان تسخروا منافانا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه و يحل عليه عذاب مقيم وأوحى الله الى نوح أن عجل صنعة الفلك فقد اشتد غضبى على من عصانى فاستأجر نوح أجراء معه وأولاده سام وحام و يافث ينحتون معه السفينة فجعل السفينة طولها ستمائة ذراع وستون ذراعا وعرضها ثلثمائة وثلاثون ذراعا وطولها فى السماء ثلاثة وثلاثون ذراعا هذا قول ابن عباس فى رواية الضحاك وطلاها بالقار داخلها وخارجها وشدها بالدسر وهى مسامير الحديد وذلك قوله تعالى وحملناه على ذات ألواح ودسر وفجر الله له عين القار بجنب السفينة تغلى غليانا حتى طلاها به فلما فرغ من صنع السفينة أوحى الله اليه أن احمل فيها من كل زوجين اثنين من أنواع الحيوانات كلها حتى لا ينقطع نسلهم وحشرها الله اليهم من البر والبحر والسهل والجبل وقد جعل الله فوران التنور آية بينه و بين نوح وعهد الله اليه فقال اذا رأيت التنور قد فار فاركب أنت ومن معك على الفلك واحمل فيها من كل زوجين اثنين كما قال الله تعالى حتى اذا جاء أمرنا وفار التنور رأى عذابنا وهو الطوفان قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين الآية (واختلف) العلماء فى قوله تعالى وفار التنور فقال على بن أبى طالب رضى الله عنه يعنى طلع الفجر ونور الصبح وقال ابن عباس انبجس الماء من وجه الارض والعرب تسمى وجه الارض تنورا وقال قتادة التنور أشرف موضع فى الارض وأعلى مكان فيها وقال الحسن أراد بالتنور الذى يخبز فيه وكان تنورا من حجارة وكان لآدم ثم انتقل الى نوح فقيل له اذا رأيت الماء يفور من التنور فاركب أنت وأصحابك فنبع الماء من التنور فعلمت به امرأته فأخبرته واختلفوا فى موضعه قال مجاهد كان ذلك فى ناحية الكوفة (وروى) السدى عن الشعبى أنه كان يحلف بالله ما فار التنور الا فى ناحية الكوفة وقال اتخذ نوح السفينة فى جوف مسجد الكوفة وكان التنور عن يمين الداخل مما يلى باب كندة وكان فوران الماء علما لنوح ودليلا على هلاك قومه وقال مقاتل ذلك تنور آدم وانما كان بالشام فى موضع يقال له عين وردة وقال ابن عباس كان التنور بالهند والفوران الغليان فلما رآه نوح أيقن بنزول العذاب فحمل من كل زوجين اثنين من أنواع الحيوانات كما أمره الله تعالى (قال) ابن عباس أرسل الله المطر أربعين يوما وليلة فأقبلت الوحوش والطير والدواب الى نوح حين أصابها المطر وسخرت له فحمل منها من كل زوجين اثنين فكان أول ما حمل نوح فى الفلك من الدواب الذرة وآخر ما حمل الحمار فلما دخل الحمار بصدره تعلق ابليس بذنبه فلم تستقل رجلاه فجعل نوح يقول ادخل فينهض فلا يستطيع حتى قال ويحك ادخل وان كان الشيطان معك كلمة زلت بها لسانه فلما قالها نوح خلى الشيطان سبيله فدخل ودخل الشيطان معه فقال له نوح ما أدخلك يا عدو الله فقال ألم تقل ادخل ولو كان الشيطان معك قال اخرج يا عدو الله قال ما لك بد أن تحملنى معك وكان فيما يزعمون على ظهر الفلك (قال) مالك بن سليمان الهروى ان الحية والعقرب أتيا نوحا فقالا احملنا فقال انكما سبب الضرر والبلايا فلا أحملكما فقالا احملنا ونحن نضمن لك أن لا نضر أحدا ذكرك فمن قرأ حين يخاف مضرتهما سلام على نوح فى العالمين انا كذلك نجزى المحسنين انه من عبادنا المؤمنين لم يضراه (عن) وهب بن منبه قال لما أمر الله تعالى نوحا أن يحمل من كل زوجين اثنين قال كيف أصنع بالاسد والبقر وكيف أصنع بالعناق والذئب وكيف أصنع بالحمام والهر قال الله تعالى له من ألقى بينهم العداوة قال أنت يارب قال فانا أولف بينهم حتى لا يتضارا فحمل نوح السباع والدواب فى الطبقة الاولى فالقى الله على الاسد الحمى وشغله بنفسه عن الدواب والبقر ولذلك قيل

وما الكلب محموما وان طال عمره * لعمرك ما المحموم دوما سوى الاسد

و جعل الوحوش فى الطبقة الثانية وركب هو ومن معه من أولاد آدم فى الطبقة العليا وجعل الذرة معه فى الطبقة العليا شفقة عليها لئلا يطأها شئ * واختلفوا فى أهل السفينة الذين ذكرهم الله تعالى فى قوله تعالى وأهلك الا من سبق عليه القول منهم قال الضحاك كان نوح اذا أراد أن ترسو السفينة قال بسم الله فرست واذا أراد ان تجرى قال بسم الله فجرت على الماء فذلك قوله تعالى بسم الله مجراها ومرساها الآية * ومن آمن وما آمن معه الا قليل ومن هم وكم هم قال قتادة لم يكن فى السفينة الا نوح وامرأته وثلاثة من بنيه سام وحام و يافث ونساؤهم فجميعهم ثمانية فأصاب حام امرأته فى السفينة فدعا نوح ربه قال فتغيرت نطفته فجاءت بالسودان (قال الكلبى) أمر نوح أن لا يقرب ذكر أنثى مادام فى السفينة فوثب الكلب على الكلبة فدعا عليه نوح فقال نوح اللهم

أغصان أحزانهم تترنم بالحان و بالاسحار هم يستغفرون لذلهم السهر وصفاوقتهم من الكدر وخلوا بالمحبوب وفازوا بالمشاهدة والنظر شعر

هذا الحبيب مع المحبوب قد حضرا
وسامح الكل عما قد مضى وجرى
وقد أدار على العشاق خمرته
صرفا يكاد سناها يخطف البصرا
ياسعد كرر لنا ذكر الحبيب لقد
بلبلت أسماعنا يامطرب الفقرا
وما الركب الحمامات معاطفه
لاشك أن حبيب القوم قد حضرا
وعند ذا تنظر الاعلام قد رفعت
يؤمهم علم للوصل قد نشرا
فجلس الانس للمحبوب يجمعه
والكاس قد دار فيما بينهم سحرا
ومن سقاهم تجلى لا شبيه له
حاشاه يشبهه شمس ولا قمرا
فمن أتاه فقير الامداد له
سواه يكتبه من جملة الفقرا

هذا السماع الذى تشفى الصدور به * هذا الحبيب الذى قد حير الفكرا

اجعـله عسراوقال الاعمش كانوا سـبعة نوح وثـلاثة بنين وثلاث كنائن له وقال ابن اسحق كانوا عشرة سوى
نسائهم وهم نوح و بنوه سام وحام و يافث وستة أناس ممن كانوا آمنوا معـه وأز واجهم جميعا وقال مقاتل كانوا
سـبعين ونوح وامرأته و بنوه الثلاثة ونساؤهم فكان الجميع ثمانية وسـبعين نصفهم نساء ونصفهم رجال
وقال ابن عباس كانوا ثمانين انسانا وحمل نوح جسد آدم معه وجعـله معرضا حاجزا بين الرجال والنساء * قالوا
فلما ركب نوح فى الفلك وأدخل معه كل من آمن كان ذلك فى شهر آب بالرومية فلما دخلها وحمل معـه من حمل
تحركت ينابيع الارض والغوط الاكبر وأمطرت السماء كأفواه القرب كما قال تعالى ففتحنا أبواب السماء بماء
منهمر وفجرنا الارض عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر يعنى التقى ماء السماء وماء الارض فجعل الماء ينزل من السماء
و ينبع من الارض حتى كثر واشتد وكان بين ارسال الماء و بين احتمال الماء الفلك أربعين يوما وليلة ثم احتمل الماء
الفلك وكان كنعان بن نوح تخلف عن أبيـه قال قتادة لم يركب فى السفينة فناداه نوح وكان فى معزل يا بنى اركب
معنا ولا تكن مع الكافرين قال سآوى الى جبل يعصمنى من الماء قال لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم وكان
عهد كنعان الجبال أنها تحصن من المطر فظن ذلك كما كان فقال نوح لا عاصم اليوم من أمر الله الا من رحم وحال
بينهما الموج فكان من المغرقين وكثر الماء فارتفع فوق الجبال قال ابن عباس ارتفع على أعلى جبل فى الارض خمسة
عشر ذراعا (وروت) عائشة رضى الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو رحم الله أحدا من قوم نوح
لرحم المرأة أم الصبى وذلك انها خشيت عليه من الماء وكانت تحبه حبا شـديدا فخرجت به الى الجبـل حتى بلغت
قلته فلما بلغها الماء خرجت حتى استوت على الجبل وحملت الصبى فلما بلغ رقبتها رفعتـه بيدها حتى ذهب بهما
الماء فلو رحم الله أحدا منهم لرحم هذه قالوا ثم طافت السفينة بأهلها الارض كلها فى ستة أشهر لا تستقر على شئ حتى
أتت الحرم فلم تدخله ودارت بالحرم أسبوعا وقد رفع الله البيت الذى كان بحجه آدم صيانة له من الغرق وهو
البيت المعمور وخبأ جبريل الحجر الاسود فى جبل أبى قبيس فلما طافت السفينة بالحرم ذهبت فى الارض تسير بهم
حتى انتهت الى الجودى وهو جبـل حصين من أرض الموصـل فاستقرت عليـه قال مجاهد تشامخت الجبال
وتطاولت لئلا ينالها الماء فعلا الماء فوقها خمسة عشر ذراعا وتواضع لامر ربه الجودى فلم يغرق فأرست السفينة عليـه
فذلك قوله تعالى واستوت على الجودى (وقال) ابن عباس استوت السفينة على الجودى وقد باد ما على وجـه
الارض من الكفار ومن كل شئ فيه الروح والاشجار فلم يبق شئ من الحيوانات الا نوح ومن معـه فى الفلك
والاعوج بن عنق فـذلك قوله تعالى وقيل بعـدا للقوم الظالمين أى هلاكا (قال) ابن عباس كان عوج يحتجز
بالسحاب و يشرب منه من طوله و يتناول الحوت من قرار البحر فيشويه بعين الشمس يرفعه اليها ثم يأكله فقال
لنوح احملنى معك فقال اخرج يا عدو الله فانى لم أومر بحملك وطبق الله الماء على وجه الارض والجبال وما بلغ
ركبتى عوج بن عنق فلما استوت السفينة على الجودى قيل يا أرض ابلعى ماءك أى انشفى و يا سماء أقلعى أى احبسى
ماءك وغيض الماء أى ذهب ونقص فصار ما نزل من السماء هذه البحور التى فى الارض لانها آخر ما بقى فى الارض
من ماء الطوفان وبقى فى الارض أربعين سنة ثم ذهب (وروى) عن على بن زيد بن جدعان عن يوسف بن مهران
عن ابن عباس قال قال الحواريون لعيسى بن مريم عليه السلام لو بعثت لنا رجلا شهد السفينة يحدثنا عنها فانطلق
بهم حتى انتهى بهم الى كثيب من تراب فأخذ كفا من ذلك التراب فقال أتدرون ما هذا قالوا الله ورسوله أعلم قال
هذا كعب سام بن نوح قال ثم ضرب الكثيب بعصاه وقال له قم باذن الله فاذا هو قائم ينفض التراب عن رأسه وقد
شاب فقال له عيسى أهكذا اهلكت قال لا بل مت وأنا شاب ولكنى ظننت أنها الساعة فمن ثم شبت فقال له حدثنا عن
سفينة نوح قال كان طولها ألف ذراع ومائتى ذراع وعرضها ستمائة ذراع وكانت ثلاث طبقات طبقة فيها الدواب
والوحوش وطبقة فيها الانس وطبقة فيها الطير فلما كثرت أرواث الدواب أوحى الله الى نوح أن اغمز ذنب الفيل
فغمزه فوقع منه خنزير وخنزيرة فأقبلا على الروث فأكلاه فلما كثرت الفأر فى السفينة جعل يقرض حبالها وذلك
أنه تولد فى السفينة فأوحى الله تعالى الى نوح أن اضرب بين عينى الاسد فضرب فخرج من منخره سنور وسنورة
فأقبلا على الفأر فأكلاه فقال له عيسى كيف علم نوح ان البلاد قد يبست قال بعث نوح غرابا يأتيه بالخبر فوجد
جيفة فوقع عليها واشتغل عن الرجوع فدعا عليه نوح بالخوف فلذلك لا يألف البيوت ثم بعث الحمامة فجاءت بورق

صوفية عند ما ضاقت صدورهم * أزال عنهم جميع الشك والكدر * (وحكى عن محمد بن الفضل رضى الله تعالى عنه أنه قال)
رأيت شابا راقدا على
الارض وقد افترش
التراب تحته وهو يئن
أنينا شـديدا فقلت
لصاحبى اعدل بنا اليه
فلعله عليل فقال ما هذا
عليل هذا من المحبين
وفى الظاهر أنه مـن
المجانـين فقلبـه بحب
مـولاه مفتون وهـو
يعرف بعبيد المجنون
قال فتقربت اليه فاذا
هو شاب نحيف الجسم
وعليه جبة من صوف
بالية وهو يقول عجبا
لمن ذاق حلاوة محبتـه
كيف ينقطع عن خدمته
ثم لم يزل يردد القـول
حتى غشى عليه فقلت
لصاحـبى والله ما هو
بمجنون وانما المجنون
الذى لا يصل الى هذا
المقام فلما أفاق من
غشيتـه قال ما بالكم
تنظرون الى فقلنا
لعـل دواء يشـفى من
الداء الذى تجده فقال
الذى أبلى بالداء عنده
الدواء ولكن الذى
يتداوى يحتمى قلنا
بماذا يحتمى قال بترك
الحرام وتجنب الآثام
ومراقبة الملك العلام
والتهجد بالليل والناس
نيام ثم بكى بكاء طويلا
وبكينا معـه وقلنا له
نحن أضيافك فادع لنا
فقال لست من خيـل
هذا الميدان فأقسمنا عليه فقال جعل الله قراكم المغفرة ومثواكم الجنة وجعل ذكر الموت منى ومنكم

زيتون بمنقارها وطين برجليها فعلم أن البلاد قد جفت قال فطوقها بالخضرة التى فى عنقها ودعا لها أن تكون فى أنس وأمان فمن ثم تألف البيوت فقالوا يارسول الله ألا ننطلق به الى أهلنا فيجلس معنا ويحدثنا قال كيف يتبعكم من لا رزق له ثم قال له عد باذن الله تعالى فعاد ترابا ❊ قال أهل التاريخ أرسل الله الطوفان لثلاثة عشر يوما خلت من آب ومضى ستمائة سنة من عمر نوح ولتتمة ألفى سنة ومائة سنة وست وخمسين سنة من لدن أهبط آدم الى الارض وركب نوح ومن معه فى السفينة لعشر خلون من رجب وخرجوا منها فى العاشر من المحرم فلذلك سمى يوم عاشوراء وأقاموا فى الفلك ستة أشهر فلما هبط نوح ومن معه من الفلك سالمين صام نوح وأمر جميع من معه من الانس والوحوش والدواب والطير فصاموا شكرا لله تعالى ويقال ان نوحا وقومه كانت قد أظلمت عليهم أعينهم فى السفينة من دوام النظر الى الماء فأمروا بالاكتحال يوم عاشوراء الذى خرجوا فيه من السفينة (عن) ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اكتحل بالاثمد يوم عاشوراء لم ترمد عينه أبدا فلما خرج نوح ومن معه من السفينة اتخذ فى ناحية من أرض الجزيرة موضعا وابتنى هنالك قرية سموها سوق ثمانين لانه كان ابتنى فيها لمن آمن معه وهم ثمانون فهى اليوم تسمى سوق ثمانين فأوحى الله تعالى الى نوح أنه لا يعود الطوفان الى الارض أبدا وعاش نوح بعد ذلك ثلثمائة وخمسين سنة فكان جميع عمره ألف سنة الا خمسين عاما ثم قبضه الله تعالى اليه هذا هو أكثر أقاويل العلماء وكذلك هو فى التوراة وقال عون بن أبى شداد عاش نوح بعد الطوفان ألف سنة الا خمسين عاما وقيل ثلثمائة وخمسين سنة فعلى هذا القول يكون مبلغ عمر نوح ألفا وثلثمائة سنة (ويروى) انه قيل لنوح لما احتضر كيف وجدت الدنيا قال كبيت له بابان دخلت من أحدهما وخرجت من الآخر ولما حضرته الوفاة أوصى ابنه ساما وجعله ولى عهده وكان ولد له سام قبل الطوفان بثمان وسبعين سنة وقيل لما حضرته الوفاة دعا ابنه ساما وهو بكره فقال يابنى أوصيك باثنتين وأنهاك عن اثنتين فأما اللذان أنهاك عنهما فالاشراك بالله والكبر فانه لا يدخل الجنة من فى قلبه مثقال حبة من الشرك والكبر وأما اللذان أوصيك بهما فانى رأيتهما يكثران الولوج الى الله تعالى قول لا اله الا الله وسبحان الله فان قول لا اله الا الله لو جمعت السموات السبع والارضون السبع لخرقتهما حتى تبلغ الى ربها ولو جعلت لا اله الا الله فى كفة ميزان لرجحت بالسموات السبع والارضين السبع ومافيها وأوصيك بسبحان الله فانها صلاة الخلق وبها يرزقون ﴿ذكر خصائص نوح عليه السلام﴾ وهى خمسة عشر خصلة لم يسم أحد من الانبياء باسمه وسمى بذلك لكثرة نوحه على نفسه وكان أول نبى من أنبياء الشريعة وأول داع الى الله تعالى وأول نذير عن الشرك وأول من عذبت أمته لردهم دعوته وأهلك أهل الارض كلهم بدعائه ويقال ان الله تعالى أوحى اليه بعد الطوفان انى خلقت خلقى وأمرتهم بطاعتى فانتهكوا معصيتى فاشتد لذلك غضبى فعذبت بذنوب العاصين من لم يعصنى وعذبت بذنوب بنى آدم جميع خلقى فبى حلفت انى لا أعذب مثل هذا العذاب أحدا من خلقى بعدها ولكن أجعل الدنيا دولا بين عبادى ثم أجزيهم بأعمالهم اذا اجتمعوا عندى وكان عليه السلام أطول الانبياء عمرا وقيل له أكبر الانبياء وشيخ المرسلين وجعل معجزته فى نفسه لانه عمر ألف سنة ولم ينقص له سن ولم تنقص له قوة ولم يبالغ أحد من الرسل فى الدعوة مثل مابالغ وكان يدعو قومه ليلا ونهارا واعلانا واسرارا ولم يلق نبى من أمته من الضرب والشتم وأنواع الاذى والجفاء مالقى فلذلك قال الله تعالى وقوم نوح من قبل انهم كانوا قوما فاسقين وجعل ثانى المصطفى صلى الله عليه وسلم فى الميثاق والوحى قال الله تعالى واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وقال تعالى انا أوحينا اليك كما أوحينا الى نوح والنبيين من بعده وفى البعث هو أول من تنشق عنه الارض يوم القيامة بعد محمد صلى الله عليه وسلم وأعطاه الفلك وعلمه صنعته وحفظه بما فيه وأجراه فوق الماء وسماه شكورا فقال تعالى ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا وأكرمه بالسلامة والبركة فقال تعالى يانوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم ممن معك الآية (قال) محمد ابن كعب القرظى دخل فى ذلك السلام كل مؤمن ومؤمنة الى يوم القيامة وجعل ذريته هم الباقين فهو أول البشر وأصل النسل (وروى) عن الحسن عن سمرة بن جندب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ولد لنوح ثلاثة سام وحام ويافث فسام أبو العرب وفارس والروم وحام أبو السودان ويافث أبو الترك ويأجوج ومأجوج (قال) عطاء ودعا نوح على حام أن لا يعدو شعر ولده آذانهم وحيثما كان ولده يكونون عبيد الولد سام ويافث فلما هبط نوح وذريته من الفلك قسم الارض بين ولده أثلاثا فجعل لسام وسط الارض ففيها بيت المقدس والنيل

والفرات

على بال قال فانصرفنا عنه وقد عجبنا من استواء لفظه وعاشت قلوبنا بكلامه ووعظه ياهذا هذه حالة المجانين من حب الحبيب فكيف بك أيها العاقل اللبيب يدعوك مولاك فلا تجيب ويستحضرك فى حضرة قربه وأنت فى المغيب الى متى أنت تضيع عمرك ومالنت منه نصيب اللهم تب علينا ووفقنا لطاعتك يامجيب ﴿وحكى عن محمد بن أبى الفرج رضى الله تعالى عنه أنه قال﴾ احتجت فى شهر رمضان الى جارية تصنع الطعام فرأيت فى السوق جارية ينادى عليها بثمن يسير وهى مصفرة اللون نحيلة الجسم يابسة الجلد فاشتريتها رحمة لها وأتيت بها الى المنزل فقلت لها خذى أوعية وامضى معى الى السوق لنشترى حوائج رمضان فقالت ياسيدى أنا كنت عند قوم كل زمانهم رمضان فعلمت أنها من الصالحات فكانت تقوم الليل كله فى شهر رمضان فلما كانت ليلة العيد قلت لها امضى بنا الى السوق لنشترى حوائج العيد فقالت يامولاى أى حوائج العيد تريد حوائج العوام أم حوائج الخواص فقلت لها صفى لى حوائج العوام وحوائج الخواص فقالت ياسيدى حوائج العوام الطعام المعهود فى العيد وحوائج الخواص الاعتزال

والفرات ودجلة وسيحون وجيحون وذلك مابين قيسون الى شرقى النيل ومابين مجرى الجنوب الى مجرى الشمال وجعل لحام قسمه غربى النيل ومابين مجرى ريح الجنوب وماوراءه الى سيحون الى مجرى ريح الدبور وجعل قسم يافث من قيسون فماوراءه الى مجرى الصبا فذلك قوله تعالى وجعلنا ذريته هم الباقين وتركنا عليه فى الآخرين سلام على نوح فى العالمين انا كذلك نجزى المحسنين انه من عبادنا المؤمنين

﴿ مجلس فى قصة هود عليه السلام ﴾

قال الله تعالى والى عاد أخاهم هودا الى تتقون وهو عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وهو عاد الاولى وكانوا ينزلون اليمن وكانت منازلهم منها بالشحر والاحقاف كما قال الله تعالى واذكر أخا عاد اذ أنذر قومه بالاحقاف وقد خلت النذر الآية وهو رمال يقال لها رمل عالج وهى مابين عمان الى حضرموت وكانوا مع ذلك قد فشوا فى الارض وكثروا وقهروا وأهلها الفضل قوتهم التى آتاهم الله تعالى وكان قد أعطاهم الله من القوة والقامة مالم يعط غيرهم كما قال تعالى واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم فى الخلق بسطة أى عظما وطولا وقوة وشدة (قال) أبو حمزة اليمانى كان طول كل رجل منهم سبعين ذراعا وقال ابن عباس ثمانين ذراعا وقال الكلبى كان أطولهم مائة ذراع وأقصرهم ستين ذراعا (وقال) وهب كان رأس أحدهم كالقبة العظيمة وكانت عين الرجل منهم تفرخ فيها السباع وكذلك مناخرهم وكانوا أصحاب أوثان يعبدونها من دون الله تعالى فمنها صنم يقال له صدى وصنم يقال له هرد وصنم يقال له هبا فبعث الله اليهم هودا نبيا وهو من أوسطهم نسبا وأفضلهم حسبا وهو هود بن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح وقال محمد بن اسحق بن يسار وهود ابن عابر بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح وولد لشالخ عابر بعد أن مضى من عمره ثلاثون سنة فأمرهم هود أن يوحدوا الله تعالى ولا يجعلوا معه الها غيره وأن يكفوا عن ظلم الناس ولم يأمرهم فيما يذكر بغير ذلك فأبوا ذلك عليه وكذبوه وقالوا من أشد منا قوة وبنوا المصانع وبطشوا فيها بطش الجبارين كما قال تعالى أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون واذا بطشتم بطشتم جبارين فلما فعلوا ذلك أمسك الله عنهم المطر ثلاث سنين حتى أضر بهم ذلك وكان الناس فى ذلك الزمان اذا نزل بهم بلاء وجهد طلبوا من الله تعالى الفرج وكان طلبهم ذلك من الله تعالى عند بيته الحرام بمكة مسلمهم وكافرهم فيجتمع بمكة ناس كثير شتى مختلفة أديانهم وكلهم معظم لمكة عارف بحرمتها ومكانها عند الله تعالى وأهل مكة يومئذ العماليق وانما سموا العماليق لان أباهم عمليق ابن سام بن نوح وكان سيد العماليق اذ ذاك بمكة رجلا يقال له معاوية بن بكر وكانت أم معاوية اسمها ناهدة بنت الخبيرى رجل من عاد فلما قحط المطر عن عاد جهدوا وقالوا جهزوا منكم وفدا الى مكة فليستسقوا لكم فبعثوا منهم قيل بن عنز ولقيم بن هزال بن هزيل وعبيل بن ضد بن عاد الاكبر ومرثد بن سعد بن عقير وكان مسلما كتم اسلامه وجهلمة بن الخبيرى خال معاوية بن بكر ثم بعثوا أيضا لقمان بن عاد بن ضد بن عاد الاكبر فانطلق كل رجل من هؤلاء القوم ومعه رهط من قومه حتى بلغ عدد وفدهم سبعين رجلا فلما قدموا مكة نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارج الحرم فأنزلهم وأكرمهم وكانوا أخواله وأصهاره فأقاموا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان وهما قينتان لمعاوية بن بكر وكان مسيرهم شهرا ومقامهم شهرا فلما رأى معاوية طول مقامهم وقد بعثهم قومهم يستغيثون من البلاء الذى أصابهم شق ذلك عليه وقال هلك أخوالى وأصهارى وهؤلاء مقيمون عندى وهم ضيفى والله ما أدرى كيف أصنع بهم فاستحيي أن آمرهم بالخروج الى ما بعثوا اليه فيظنون أنه ضيق منى بمقامهم عندى وقد هلك من وراءهم من قومهم جهدا وعطشا فشكا ذلك من أمرهم الى قينتيه الجرادتين فقالتا له قل شعرا نغنيهم به ولا يدرون من قاله لعل ذلك يحركهم فقال معاوية بن بكر

ألا ياقيل ويحك قم فهينم * لعل الله يمنحنا غماما * فيسقى أرض عاد ان عادا
قد أمسوا لا يبينون الكلاما * من العطش الشديد فليس نرجوا * به الشيخ الكبير ولا الغلاما
وقد كانت نساؤهم بخير * فقد أمست نساؤهم عيامى * وان الوحش يأتيهم جهارا
ولا يخشى لعادى سهاما * وأنتم ههنا فيما اشتهيتم * نهاركم وليلكم تماما
فقبح وفدكم من وفد قوم * ولا لقوا التحية والسلاما

عن الخلق والتفريد والتفريغ للخدمة والتجريد والتقريب بالطاعة للملك المجيد والتزام ذل العبيد فقلت لها انما أريد حوائج الطعام فقالت ياسيدى أى طعام تعنى طعام الاجساد أم طعام القلوب فقلت لها صفيهما لى فقالت أما طعام الاجساد فهو القوت المعتاد وأما طعام القلوب فترك الذنوب واصلاح العيوب والتمتع بمشاهدة المحبوب والرضا بحصول المطلوب وحوائجه الخشوع والتقوى وترك الكبر والدعوى والرجوع الى المولى والتوكل عليه فى السر والنجوى ثم انها قامت تصلى فقرأت فى الركعة الاولى سورة البقرة الى آخرها ثم شرعت فى آل عمران الى آخرها فلم تزل تختم سورة بعد سورة حتى وصلت الى سورة ابراهيم الى قوله تعالى يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وما هو بميت ومن ورائه عذاب غليظ قال فلم تزل تكرر هذه الآية وتبكى الى أن أغمى عليها وسقطت الى الارض فحركتها فاذا هى ميتة رحمة الله تعالى عليها (وحكى) عن الاصمعى رضى الله عنه أنه قال خرجت حاجا الى بيت الله الحرام من طريق الشام فبينما نحن سائرون اذ خرج علينا أسد عظيم هائل المنظر فقطع على الركب الطريق فقلت لرجل بجانبى أما فى هذا الركب رجل يأخذ سيفا يرد

فمن غنتهم الجرادتان بهذا قال بعضهم لبعض ياقوم انما بعثكم قومكم يستغيثون بكم من هذا البلاء الذى نزل بهم وقد أبطأتم عليهم فادخلوا هذا الحرم فاستسقوا لقومكم فقال مرثد بن سعد وكان قد آمن بهود عليه السلام سرا انكم والله لاتسقون بدعائكم ولكن ان أطعتم نبيكم وأنبتم الى ربكم سقيتم فأظهر اسلامه عند ذلك قال جهلمة بن الخيبرى خال معاوية حين سمع قوله وعرف أنه قد تبع دين هود عليه السلام

أباسعد فانك من قبيل * ذوى كرم وانك من ثمود   فانا لانطيعك مابقينا * ولسنا فاعلين لما تريد
أتأمرنا لنترك دين رفد * ورمل وآل ضد والعبود   ونترك دين آباء كرام * ذوى رأى ونتبع دين هود

ثم قال لمعاوية بن بكر وأبيه بكر وكان شيخا كبيرا احبسا عنا مرثد بن سعد حتى لايقدم معنا مكة فانه قد تبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا مكة يستسقون لعاد بها فلما دخلوا مكة خرج مرثد بن سعد من منزل معاوية حتى أدركهم بمكة قبل أن يدعوا الله بشئ مما خرجوا اليه فلما انتهى قام يدعو الله ووفد عاد قد أخذوا يدعون فجعل يقول اللهم أعطنى سؤلى وحدى ولاتدخلنى فى شئ مما يدعو به وفد عاد وكان قيل بن عنز رأس وفد عاد قد أمرهم أن يؤمنوا عليه فقال وفد عاد اللهم أعط قيلا ماسألك واجعل سؤلنا مع سؤله وكان تخلف عن وفد عاد لقمان بن عاد ولم يدخل فى دعوتهم فقال اللهم انى جئتك وحدى فى حاجتى فاعطنى سؤلى وقال قيل بن عنز حين دعا واستسقى اللهم لم أجئ لمريض فأداويه ولالاسير فأفاديه اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم يا الهنا ان كان هود صادقا فاسقنا فانا قد هلكنا فأنشأ الله سحائب ثلاثة واحدة بيضاء وواحدة حمراء وواحدة سوداء ثم ناداه مناد من السحاب ألا ياقيل اختر لنفسك واحدة من هذه السحب الثلاث فقال قيل اخترت السحابة السوداء فانها أكثر السحاب ماء فناداه المنادى يقول اخترت ياقيل رمادا رمدا لم تبق من آل عاد أحدا الاوالدا تتركه ولاولدا الاجعلتهم رمما همدا الابنو اللؤيدة المهدا وبنو اللويدة رهط من هزال بن هزيل بن بكر وكانوا سكانا بمكة مع أخوالهم لم يكونوا مع عاد بأرضهم فهم عاد الآخرة فساق الله السحابة السوداء التى اختارها قيل بما فيها من النقمة الى عاد حتى خرجت عليهم من واد لهم يقال له المغيث فلما رأوها استبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فقال الله تعالى بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب أليم تدمر كل شئ بأمر ربها أى كل شئ مرت به وكان أول من أبصر مافيها وعرف انها ريح مهلكة امرأة من عاد يقال لها مهدد فلما تبينت مافيها من العذاب صاحت ثم صعقت فلما أفاقت قالوا ما رأيت قالت رأيت ريحا فيها كشهب النار أمامها رجال يقودونها (أخبرنا) الحسن بن محمد بن الحسين أنبأنا محمد بن جعفر أنبأنا الحسن بن علوة أنبأنا اسمعيل بن عيسى أنبأنا اسحق بن بشر أخبرنى المثنى بن الصباح عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال أوحى الله تعالى الى الريح العقيم أن تخرج على قوم عاد فتنتقم له منهم فخرجت بغير كيل ولاوزن على قدر منخر ثور حتى رجفت الارض مما بين المشرق والمغرب قال فقال الخزان يارب لن نطيقها ولو خرجت على حالها لاهلكت مابين مشارق الارض ومغاربها فأوحى الله اليها أن ارجعى فاخرجى على قدر خرم الخاتم وهى الحلقة قال فسخرها الله عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما أى دائمة متتابعة فلم تدع أحدا من عاد الا أهلكته وكان هود ومن معه قد اعتزلوا فى حظيرة مايصيبهم من الريح الا ماتلين جلودهم وتلذ به الانفس وانها من عاد لتطعن فتحملهم مابين السماء والارض وتدمغهم بالحجارة حتى هلكوا (وقال) محمد بن اسحق والسدى بعث الله على عاد الريح العقيم فلما دنت منهم نظروا الى الابل والرجال تطير بهم الريح بين السماء والارض فتبادروا البيوت فلما دخلوها دخلت عليهم الريح فأخرجتهم منها فهلكوا فلما أهلكهم الله تعالى أرسل عليهم طيرا سوداء تلقيهم فى البحر فألقتهم فيه (قال) ابن بشار لما خرجت الريح على عاد من الوادى قال تسعة رهط منهم أحدهم الخلجان وكان رئيسهم وكبيرهم فى ذلك الزمان تعالوا حتى نقوم على رأس الوادى فنردها فجعلت الريح تدخل تحت الواحد منهم فتحمله ثم ترمى به فيندق عنقه وكانت الريح تقلع الشجرة العظيمة بعروقها وتهدم عليهم بيوتهم وتقلعهم فتتركهم كما قال الله تعالى كأنهم أعجاز نخل خاوية حتى لم يبق منهم الا الخلجان فمال الى الجبل فأخذ بجانب منه فهزه فاهتز فى يده ثم أنشأ يقول

لم يبق الا الخلجان نفسه * يالك من يوم دهانى أمسه   ثبت الوطء شديد ابطشه * لولم يجئنى جئته وحبسته

فقال له هود ويحك ياخلجان أسلم تسلم فقال له مالى عند ربك اذا أسلمت قال الجنة قال فما هؤلاء الذين أراهم فى

عناهذا الاسد فقال أمارجل فلا أعرف ولكننى أعرف امرأة ترده من غير سيف فقلت وأين هى فقام وقمت معه الى هودج قريب منا فنادى يابنية انزلى وردى عنا هذا الاسد فقالت ياأبت أيطيب قلبك أن ينظر الى الاسد وهو ذكر وأنا أنثى ولكن قل له ابنتى فاطمة تقرئك السلام وتقسم عليك بالذى لاتأخذه سنة ولانوم الاماعدلت عن طريق القوم قال الاصمعى فوالله مااستتمت كلامها حتى رأيت الاسد ذاهبا أمامنا * هذه والله دلائل الصالحين وأمارة العارفين نفعنا الله تعالى بهم آمين * (وروى عن بعض الصالحين رضى الله تعالى عنه) * أنه رأى جارية فى البادية وهى تمشى وتفرح وليس معها أحد فقال من أين أقبلت فقالت له من عند الحبيب قال والى أين تريدين قالت الى الحبيب قال فما تستوحشين وحدك فى هذه البرية فرفعت صوتها ونادت بأعلاه يعلم مايلج فى الارض ومايخرج منها وما ينزل من السماء ومايعرج فيها وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير ثم قالت يابطال من استأنس بالله استوحش مما سواه ومن طلب رضاه صبر على قضاه ثم غابت عنى فلم أرها رضى الله تعالى عنها * (وحكى) * عن السرى السقطى

السحاب

السحاب كأنهم البخت قال هود ذلك الملائكة قال ان أسامت أيقيدنى ربك منهم لقومى قال ويحك هل رأيت ملكا يقيد من جنوده فقال لو فعل ما رضيت فجاءت الريح فألحقته بأصحابه وأهلكته وأفنى الله عادا سوى من بقى من قومهم بمكة ونواحيها (أخبرنا) الحسين بن محمد الدينورى أخبرنا أحمد بن محمد بن اسحق السنى أخبرنا أبو يعلى الموصلى أخبرنا اسحق بن أبى اسرائيل وعبيد الله بن عمر القواريرى أخبرنا جعفر بن سليمان الضبعى أخبرنا فرقد السنجى عن عاصم عن عمر والبجلى عن أبى أمامة الباهلى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يبيت قوم من هذه الامة على طعام وشراب ولهو فيصبحون قردة وخنازير ويصيبهم خسف وقذف فيقولون لقد خسف الليلة ببنى فلان وليرسلن عليهم الريح العقيم التى أهلكت عادا بشربهم الخمر وأكلهم الربا واتخاذهم القينات ولبسهم الحرير وقطعهم الارحام قالوا وخرج وفد عاد من مكة حتى مروا بمعاوية بن بكر فنزلوا عليه فبيناهم عنده اذ أقبل رجل على ناقة له فى ليلة مقمرة من أمصار عاد فأخبرهم بهلاك عاد فقالوا له أين فارقت هودا وأصحابه قال فارقتهم بساحل البحر فكأنهم شكوا فيما حدثهم به فقالت هزيلة بنت بكر صدق ورب الكعبة ومنور بن يعفر ابن أخى معاوية بن بكر معهم قالوا وقد قيل لمرثد بن سعد ولقمان بن عاد وقيل بن عنز حين دعوا بمكة قد أعطيتم مناكم فاختاروا لانفسكم فقال مرثد اللهم أعطنى برا وصدقا فأعطى ذلك وقد قيل أختار أن يصيبنى ما أصاب قومى فقيل له هلاك فقال لا أبالى لا حاجة لى فى البقاء بعد قومى فأصابه الذى أصاب عادا من العذاب فهلك وقال لقمان يارب أعطنى عمرا فقيل له اختر لنفسك بقاء سبع بعرات سمر من أظب عفر لا يمسها القطر أو عمر سبعة أنسر اذا مضى نسر حولت الى نسر آخر فاستحقر بقاء الابعار واختار عمر النسور فعمر سبعة أنسر فكان يأخذ الفرخ حين يخرج من بيضته فيأخذ الذكر منها لقوته فيربيه حتى اذا مات أخذ غيره فلم يزل يفعل مثل ذلك حتى أتى الى السابع وكان كل نسر يعيش ثمانين سنة فلما لم يبق غير السابع قال ابن أخ للقمان يا عم لم يبق من عمرك الا هذا النسر فقال لقمان يا ابن أخى هذا لبد ولبد بلسانهم الدهر فلما انقضى عمر لبد طارت النسور غداة من رأس الجبل ولم ينهض لبد فيها وكان نسور لقمان لا تغيب عنه قال فلما رأى لبد لم ينهض مع النسور قام الى الجبل لينظر ما فعل لبد فوجد لقمان فى نفسه وهنا لم يكن يجده قبل ذلك فلما انتهى الى الجبل رأى نسره لبدا واقفا بين النسور فناداه انهض لبد فذهب لينهض فلم يستطع فسقط ومات لقمان معه وفيه جرى المثل أتى أبد على لبد وقال النابغة الذبيانى

أضحت قفارا وأضحى أهلها احتملوا * أخنى عليها الذى أخنى على لبد

وقال محمد بن اسحق قال مرثد بن سعد حين سمع قول الراكب الذى أخبر بهلاك عاد

عصت عاد رسولهم فأمسوا * عطاشا ما تبلهم السماء * وسير وفدهم شهرا ليسقوا
فأردفهم مع العطش العناء * بكفرهم بربهم جهارا * على آثارهم عاد العفاء
ألا نزع الاله حلوم عاد * فان قلوبهم قفر هواء * من الرب المهيمن اذ عصوه
وما تغنى النصيحة والشقاء * فنفسى وابنتاى وأم ولدى * لنفس نبينا هود فداء
أتانا والقلوب مصمتات * على ظلم وقد ذهب الضياء * لنا صنم يقال له صمود
يقابله صدى والهباء * فأبصره الذين له أنابوا * وأدرك من يكذبه الشقاء
وانى سوف ألحق آل هود * واخوته اذا جن المساء

ثم انه لحق بهود ومن آمن معه وبقى هود ما شاء الله ثم مات وعمره مائة وخمسون سنة وقال أبو الطفيل عامر بن واثلة سمعت عليا رضى الله عنه يقول لرجل من أهل حضرموت هل رأيت كثيبا أحمر يخالطه مدرة حمراء وأراك وسدر كثير بناحية كذا وكذا من حضرموت قال نعم يا أمير المؤمنين انك لتنعته لى نعت رجل قد رآه قال لا ولكنى قد حدثت عنه فقال الحضرمى وما شأنه يا أمير المؤمنين فقال فيه قبر النبى هود عليه السلام أخبرنا أبو عمرو وأحمد بن أبى العرابى أنبأنا المغيرة بن عمرو بن الوليد بمكة فى المسجد الحرام بين الركن والمقام أنبأنا الفضل بن يحيى الجندى أنبأنا يونس بن محمد أنبأنا يزيد بن أبى حكيم عن سفيان الثورى عن عطاء عن السائب عن عبد الرحمن بن سابط أنه قال بين الركن والمقام وزمزم قبر تسعة وتسعين نبيا وان قبر هود وصالح وشعيب واسمعيل عليهم السلام فى تلك البقعة (وفى رواية أخرى) كان النبى من الانبياء اذا هلك قومه ونجا هو والصالحون معه يأتى مكة هو ومن

رضى الله تعالى عنه قال أرقت ليلة من الليالى فلم أستطع الغمض فقلت فى نفسى أخرج الى المقابر لعلى أعتبر برؤية القبور والتفكر فى البعث والنشور فيزول همى وغمى فخرجت اليها فما وجدت قلبى منشرحا لديها فقلت أدخل الاسواق لعلى باختلاط الناس يزول عنى الباس ففعلت ذلك فما انشرح قلبى هنالك فقلت أدخل المارستان وأنظر الى المرضى والمجانين والى أفعالهم لعلى أعتبر بأحوالهم فدخلت اليه فوجدت قلبى مقبلا عليه فقلت الهى وسيدى الى ههنا سيرتنى ولاجله من منامى أيقظتنى فنوديت فى سرى ما أتيناك الى هذا المكان الا ولنا فيه نبأ وشان قال السرى فتقدمت الى مكان المجانين فرأيت فيه جارية مصفرة اللون متغيرة ويداها مغلولتان الى عنقها وهى مشغولة بذكر الله تعالى قال السرى فقلت للقيم على المجانين ما شأن هذه الجارية فقال جارية اختل عقلها فحبسها مولاها فلما سمعت الجارية كلامه تنهدت وأنشدت تقول هذه الابيات

معشر الناس ما جننت ولكن * أنا سكرانة وقلبى صاحى
قد غللتم يدى ولم آت ذنبا * غير هتكى فى حبه وافتضاحى
أنا مفتونة بحب حبيب * لست أبغى عن بابه من براح

معه يعبدون الله تعالى حتى يموتوا والله أعلم

﴿مجلس فى قصة صالح عليه السلام﴾

قال الله تعالى والى ثمود أخاهم صالحا وهو ثمود بن عاثر بن ارم بن سام بن نوح وهو أخو جديس وأراد ههنا القبيلة قال أبو عمرو بن العلاء سميت ثمود القلة مائها والثمد الماء القليل وكانت مساكن ثمود الحجر بين الحجاز والشام وكان من قصتهم على ماذكر محمد بن اسحق بن يسار والسدى والكلبى ووهب بن منبه وكعب وغيرهم من أهل الكتب دخل كلام بعضهم فى بعض أن عادا الاولى لما أهلكهم الله تعالى وانقضى أمرهم عمرت ثمود بعدهم واستخلفوا فى الارض فخلوا فيها وكثروا وعمروا حتى جعل بعضهم يبنى المسكن من الحجر والمدر فينهدم وهو حى فلما رأوا ذلك اتخذوا من الجبال بيوتا فنحتوا منها وجابوها وجوفوها وكانوا فى سعة من معايشهم كما قال الله تعالى واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوّأكم فى الارض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون الجبال بيوتا فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا فى الارض مفسدين فخالفوا أمر الله وعبدوا غيره وأفسدوا فى الارض فبعث الله اليهم صالحا نبيا وهو صالح بن عبيد بن آسف بن ماسح بن عبيد بن حاذر بن ثمود وكانوا قوما عربا وكان صالح من أوسطهم نسبا وأفضلهم حسبا فبعثه الله تعالى اليهم رسولا فدعاهم الى الله تعالى والى عبادته فلم يتبعه الا قليل مستضعفون فلما ألح عليهم صالح بالدعاء والتبليغ وأكثر عليهم التخويف والتحذير سألوه أن يريهم آية تكون مصداقا لما يقول فقال اللهم أرهم آية ليعتبروا بها ثم قال لهم أى آية تريدون قالوا تخرج معنا لى عيدنا وكان لهم عيد يخرجون اليه بأصنامهم فى يوم معلوم من السنة فتدعو الهك وندعو آلهتنا فان استجيب لك اتبعناك وان استجيب لنا اتبعتنا فقال لهم صالح نعم فخرجوا بأوثانهم الى عيدهم ذلك وخرج صالح معهم فدعوا أوثانهم وسألوها أن لا يستجاب لصالح فى شىء مما يدعو به ثم قال جندع بن عمرو بن حواس وهو يومئذ سيد ثمود يا صالح أخرج لنا من هذه الصخرة يعنى الصخرة المنفردة عن الجبال فى ناحية الحجر يقال لها الكاثبة ناقة مخترجة جوفاء وبراء عشراء والمخترجة ما شاكلت البخت من الابل فان فعلت ذلك صدقناك وآمنا بك فأخذ عليهم صالح الميثاق أنه ان فعل ذلك صدقوه وآمنوا به ثم ان صالحا عليه السلام صلى ودعا الله تعالى بذلك فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها ثم تحركت الهضبة فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما سألوه لا يعلم ما بين جنبيها الا الله تعالى عظما وهم ينظرون ثم نتجت سقبا مثلها فى العظم فآمن به جندع بن عمرو ورهط من قومه وأراد أشراف ثمود أن يؤمنوا بصالح ويتابعوه فنهاهم ذؤاب بن عمرو بن لبيد والحباب صاحبا أوثانهم ورباب بن صمعر وكانوا من أشراف ثمود وكان لجندع بن عمرو ابن عم يقال له شهاب بن خليفة فأراد أن يسلم فنهاه أولئك الرهط فأطاعهم فقال رجل من ثمود

وكانت عصبة من آل عمرو * الى دين النبى دعوا شهابا
عزيز ثمود كلهم جميعا * فهمت أن يجيب ولو أجابا
لاصبح صالح فينا عزيزا * وما عدلوا بصاحبهم ذؤابا
ولكن الغواة من آل حجر * تولوا بعد رشدهم ذبابا

فلما خرجت الناقة قال صالح هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم معلوم فمكثت الناقة ومعها سقبها فى أرض ثمود ترعى الشجر وتشرب الماء فكانت ترد الماء يوما ولهم يوم فاذا كان يومها وضعت رأسها فى بئر بأرض الحجر يقال لها بئر الناقة لا ترفع الماء اليها فما ترفع رأسها الا وقد شربت جميع ما فيها ولا تدع قطرة ماء فيها فتتفحج ثم تروح عليهم فيحلبون من لبنها ما شاؤا فيشربون ويدخرون ويملؤن أوانيهم لكن تصدر من غير الفج الذى وردت منه لانها لا تقدر أن تصدر من حيث وردت لانه يضيق عليها قال أبو موسى الاشعرى أتيت أرض ثمود فذرعت مصدر الناقة فوجدته ستين ذراعا فاذا كان الغد من يومهم شربوا من الماء وقد أخرجه الله تعالى لهم من البئر وادخروا ما شاؤا قدر كفايتهم فى يوم الناقة وكانوا من ذلك فى سعة ودعة وكانت الناقة فى الصيف اذا كان الحر تطلع ظهر الوادى فتهرب منها أغنامهم وبقرهم وابلهم وتهبط الى بطن الوادى فى حره وحدته فكانت المواشى تنفر منها اذا رأتها واذا كان الشتاء سبقت الناقة فى بطن الوادى فتهرب مواشيهم الى ظهر الوادى فى البرد والحدة فأضر ذلك مواشيهم للبلاء والاختبار فكان مراتعها الجبال فكبر ذلك عليهم حتى حملوا على عقر الناقة فاحتالوا فى عقرها وكانت امرأة من ثمود يقال لها عنيزة بنت غنم بن مخلد وتكنى أم غنم وهى من بنى عبيد بن المهل وكانت امرأة

فصلاحى الذى رأيتم فسادى * وفسادى الذى رأيتم صلاحى قال السرى فلما سمعت كلامها أقلقنى وأبكانى وهيج لوعتى وأشجانى فلما رأت دمعى ينحدر على وجهى قالت يا سرى ما جهلت منذ عرفت ولا فترت منذ خدمت ولا قطعت منذ وصلت ولا حجبت منذ وقفت وأهل الدرجات يعرف بعضهم بعضا قال السرى فقلت لها يا جارية أراك للمحبة تذكرين وللتوحيد تظهرين فمن تحبين فقالت لمن تعرف علينا باكرامه وتحبب الينا بانعامه وجاد علينا بجزيل عطائه فهو قريب الى القلوب مفرج للكروب حليم على من عصاه مجيب لمن دعاه قال السرى فقلت من حبسك فى هذا المكان فقالت حاسدون مبغضون تعاونوا على ورمونى بالجنون وهم أحق بهذا الاسم منى وأنشدت تقول

يا من راى وحشتى فآنسنى * بالقرب من وصله فانعشنى
يا ساكنى لا خلوت من سكنى * دهرى ويا عدتى على الزمن
أوحشنى ما فقدت منه فقد * عاد باحسانه يقربنى
وجاد أيضا على منعطفا * كذاك قد كنت حين عرفنى
حسبى من الكون من شغفت به * أحببه مؤنسا ويصحبنى
وكنت فى غفلة فنبهنى

امرأة ذؤاب بن عمرو وكانت عجوزا مسنة ولها بنات حسان ومال كثير من الابل والبقر والغنم وامرأة أخرى يقال لها صدوق بنت المحيا بن مهر وكانت غنية جميلة ذات مواش كثيرة وكانتا هاتان المرأتان من أشد الناس عداوة لصالح وكانتا يحتالان فى عقر الناقة من كفرهما بصالح بما أضرت بمواشيهما وكانت صدوق عند ابن خال لها يقال له صنيم بن هراوة بن سعد بن الغطريف بن هلال فأسلم وحسن اسلامه وكانت صدوق قد فوّضت اليه مالها فانفقه على من أسلم معه من أصحاب صالح عليه الصلاة والسلام حتى نفد المال فاطلعت صدوق على اسلامه فعاتبته على ذلك فاظهر لها دينه ودعاها الى الله تعالى فأبت عليه وأخذت أولادها فغيبتهم فى بنى عمها الذين هى منهم فقال لها از وجهاردى على أولادى فلما ألح عليها قالت حتى أحاكمك الى بنى عمى وذلك ان بنى عمز وجها كانوا مسلمين فأبت أن تحاكمه اليهم فقال لها بنو عمها والله لتعطينه ولده طائعة أو كارهة فلما رأت ذلك أعطته أولاده ثم ان صدوق وعنيزة احتالتا فى عقر الناقة للشقاء الذى كتب عليهما فدعت صدوق رجلا من ثمود يقال له الحباب فامرته بعقر الناقة وعرضت عليه نفسها ان هو فعل ذلك فابى عليها ثم انها دعت ابن عم لها يقال له مصدع ابن مهرج وجعلت له نفسها ان هو عقر الناقة وكانت من أوفر الناس جمالا وأكثرهم مالا وأحسنهم كمالا فاجابها الى ذلك ودعت عنيزة قدار بن سالف من أهل قدح واسم أمه قديرة وكان رجلا أشقر أزرق قصيرا ويزعمون انه كان لزنية رجل يقال له صفوان ولم يكن لسالف ولكنه قد ولد على فراشه فقالت له يا قدار أعطيتك من بناتى أيما شئت على ان تعقر الناقة وكان قدار عزيزا فى قومه وذكره رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ انبعث أشقاها رجل عزيز فى قومه مثل أبى زمعة فانطلق قدار ومصدع فاستعانوا بمن استعانوا من ثمود فاتبعهم سبعة نفر وكانوا تسعة رهط كما قال الله تعالى وكان فى المدينة تسعة رهط يفسدون فى الارض ولا يصلحون فلقيهم هديات بن مبلع خال قدار وكان عزيزا من أهل الحجر ودعر بن غنم بن داعرة أخى مصدع وخمسة لم تذكر أسماؤهم فاجتمعوا على عقر الناقة قال السدى وغيره أوحى الله الى صالح أن قومك سيعقرون الناقة فقال لهم ذلك فقالوا ما كنا لنفعل ذلك فقال لهم انه سيولد فى شهركم هذا غلام يعقرها ويكون هلاككم على يديه فقالوا لا جرم لا يولد لنا فى هذا الشهر ولد الا قتلناه فولد لتسعة منهم فى ذلك الشهر تسعة بنين فذبحوا أولادهم وولد للعاشر ابن فابى أن يذبح ابنه وكان بكره لم يولد له قبل ذلك شىء وكان ابن العاشر أزرق أحمر فنبت نباتا سريعا وكان اذا مر بالتسعة ورأوه ندموا على ذبح أولادهم وقالوا لو كان أبناؤنا أحياء لكانوا مثل هذا فغضب التسعة على صالح لانه كان سبب قتل أولادهم فتقاسموا بالله لنبيتنه وأهله قالوا نخرج فترى الناس أنا قد خرجنا الى سفر فنأتى الغار فنكمن فيه حتى اذا كان الليل وخرج صالح الى مسجده أتيناه فقتلناه ثم نرجع الى الغار فنكمن فيه ثم ننصرف بعد ذلك الى رحالنا فنقول ما شهدنا مهلك أهله وانا لصادقون فيصدقوننا ويظنون انا قد خرجنا الى سفر وكان صالح لا ينام الليل معهم فى القرية وكان يأوى الى مسجد يقال له مسجد صالح يبيت فيه فى الليل فاذا أصبح أتاهم ووعظهم وذكرهم فاذا أمسى خرج الى المسجد فبات فيه فلما دخلوا الغار وأضمروا انهم يخرجون اليه بالليل فيقتلونه سقطت عليهم صخرة من الغار فقتلتهم فانطلق رجال ممن كان قد اطلع على ذلك الى الغار فاذا هم رضخ فرجعوا يصيحون فى القرية يا عباد الله ما قنع صالح أن أمرهم بقتل أولادهم حتى قتلهم فاجتمع أهل القرية على عقر الناقة (وقال) ابن اسحق انما كان تقاسم التسعة على تبييت صالح عليه السلام بعد عقرهم الناقة وانذار صالح اياهم بالعذاب وذلك أن التسعة الذين عقروا الناقة قالوا هلم فلنقتل صالحا فان كان صادقا كنا عجلنا قتله وان كان كاذبا كنا قد ألحقناه بناقته فاتوه ليلا ليبيتوه فى أهله فرمتهم الملائكة بالحجارة فلما أبطؤا على أصحابهم أتى أصحابهم منزل صالح فوجدوهم مشدوخين قد رضخوا بالحجارة فقالوا لصالح أنت قتلتهم وهموا به فقامت عشيرته دونه وأخذوا السلاح وقالوا لهم والله لا تقتلونه أبدا فقد وعدكم بان العذاب نازل بكم فى ثلاث فان كان صادقا لم تزيدوا ربكم عليكم الا غضبا وان كان كاذبا فانتم من وراء ما تريدون فانصرفوا عنهم ليلتهم تلك (قال) السدى وغيره فلما ولد ابن العاشر يعنى قدارا وكان يشب فى كل يوم شباب غيره فى الجمعة ويشب فى الجمعة شباب غيره فى الشهر ويشب فى الشهر شباب غيره فى السنة فلما كبر جلس مع أناس يصيبون من الشراب فارادوا ماء يمزجون به شرابهم وكان ذلك اليوم شرب الناقة فوجدوا الماء قد شربته الناقة فاشتد عليهم ذلك وقالوا ما نصنع باللبن لو كنا نأخذ الماء

وكنت فى رقدة فأيقظنى قال السرى فقلت لها ما الاسم فقالت دع الاسم يكفيك فما سمعت بغنيك فبينما نحن كذلك اذ أقبل سيدها فقال للموكل عليها أين بدعة فقال قد دخل عليها الشيخ السرى فكلمها بكلام أصغت اليه فدخل سيدها فرأى السرى عندها فعظمه وقبل يده وقال يا سيدى لقد رحمت بركتك فقال له أى شئ أنكرت منها فقال يا سيدى هذه جارية كانت تضرب بالعود فاعجبتنى فشريتها بجميع مالى وهو عشرون ألف درهم لفرط حسنها وحسن ضربها بالعود وأملت أن أربح فيها مثل ثمنها فدخلت عليها فى بعض الايام والعود فى حجرها وهى تغنى وتنشد هذه الابيات

وحقك ما نقضت الدهر عهدا
ولا كدرت بعد الصفو ودا
ملأت جوانحى والقلب وجدا
فكيف أقر يا سكنى وأهدا
فيا من ليس لى مولى سواه
قد صيرتنى فى الناس عبدا

قال فلما فرغت من غنائها بكت بكاء طويلا ثم ضربت بالعود فى الارض فكسرته وجعلت تهيم وتصيح وهى ذاهلة العقل فاتهمتها بمحبة المخلوق ثم كشفت عن حالها فلم أجد لذلك أثرا قال السرى فقلت لها يا جارية أهكذا اجرى

الذى تشربه هذه الناقة فنسقيه انعامنا وحرثنا كان خيرا لنا فقال ابن العاشر هل لكم أن أعقرها قالوا نعم (وقال) كعب كان سبب عقرهم الناقة امرأة يقال لها ملكا كانت قد ملكت ثمود فلما أقبل الناس على صالح وصارت الرياسة اليه حسدته فقالت لامرأة يقال لها قطام وكانت معشوقة قدار بن سالف ولامرأة أخرى يقال لها قبال وكانت معشوقة مصدع بن مهرج وكان قدار ومصدع يجتمعان معهما كل ليلة يشربون الخمر فقالت لهما ملكا ان أتاكما الليلة قدار ومصدع فلا تطيعاهما وقولا لهما ان الملكة حزينة لاجل صالح وناقته فنحن لا نطيعكما حتى تعقرا الناقة فان عقرتماها أطعناكما فلما أتياهما قالتا لهما هذه المقالة فقالا نحن نعقرها (قال) ابن اسحق وغيره فانطلق قدار ومصدع وأصحابهما السبعة فرصدوا الناقة حتى صدرت عن الماء وقد كمن لها قدار فى أصل شجرة على طريقها وكمن لها مصدع فى أصل شجرة أخرى فمرت الناقة على مصدع فرماها بسهم فانتظم به عضلة ساقها وخرجت أم غنم وعنيزة وأمرت ابنتها وكانت من أحسن الناس وجها فتراءت لقدار واسفرت له عن وجهها وحرضته على عقر الناقة فشد عليها بالسيف فكشف عرقوبها فخرت راغية وطعن فى لبتها فنحرها وخرج أهل البلدة واقتسموها وأكلوا لحمها وكانت لما عقرها رغت فلما رأى سقبها ذلك انطلق حتى أتى جبلا منيعا يقال له ضوء وقيل اسمه قارة وروى ذلك مسندا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من حديث شهر بن حوشب عن عمر بن خارجة فأتى صالح عليه السلام فقيل له أدرك ناقتك فقد عقرت فأقبل وخرجوا يتلقونه ويعتذرون اليه ويقولون يانبى الله انما عقرها فلان ولا ذنب لنا فقال لهم صالح انظروا هل تدركون فصيلها فان أدركتموه فعسى أن يرفع عنكم العذاب فخرجوا يطلبونه فلما رأوه على الجبل ذهبوا ليأخذوه فأوحى الله الى الجبل فتطاول فى السماء حتى ماتناله الطير وجاء صالح عليه السلام فلما رآه الفصيل بكى حتى سالت دموعه ثم رغا ثلاثا وانفجرت الصخرة فدخلها فقال صالح عليه السلام لكل أمة أجل فتمتعوا فى داركم ثلاثة أيام ثم يأتيكم العذاب ذلك وعد غير مكذوب قال محمد بن اسحق بن يسار اتبع الفصيل أربعة نفر من التسعة الذين عقروا الناقة وفيهم مصدع وأخوه ذؤاب ولدا مهرج فرماه مصدع بسهم فانتظم قلبه ثم جر برجله فانزله وألقوا لحمه مع لحم أمه فقال لهم صالح عليه السلام انتهكتم حرمة الله فابشروا بعذاب الله تعالى ونقمته فقالوا مستهزئين به ومتى ذلك ياصالح وما آية ذلك وكانوا يسمون الايام فيوم الاحد الاول والاثنين أهون والثلاثاء دبار والاربعاء جبار والخميس مؤنس والجمعة العروبة والسبت شيار وفيه يقول الشاعر

أؤمل أن أعيش وان يومى * بأول أو بأهون أو جبار
أو المردى دبار فان أفته * فمؤنس أو عروبة أو شيار

قالوا وكان عقر الناقة يوم الاربعاء فقال لهم صالح عليه السلام حين سألوه عن وقت العذاب وآيته انكم تصبحون غداة مؤنس ووجوهكم مصفرة ثم تصبحون يوم العروبة ووجوهكم محمرة ثم تصبحون يوم شيار ووجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب يوم الاول فأصبحوا يوم الخميس ووجوههم مصفرة كأنما طليت بالخلوق صغيرهم وكبيرهم ذكرهم وأنثاهم فأيقنوا بالعذاب وعرفوا أن صالحا قد صدقهم فطلبوه ليقتلوه فخرج صالح عليه السلام هاربا منهم حتى لحق الى بطن من ثمود يقال لهم بنو غنم فنزل على سيدهم رجل منهم يقال له نفيل ويكنى أبا هدب وهو مشرك فغيبه عنهم فلم يقدروا عليه فغدوا على أصحاب صالح ليعذبوهم ليدلوهم عليه فقال رجل من أصحاب صالح يقال له مبدع بن هرم يانبى الله انهم ليعذبوننا لندلهم عليك أفندلهم قال نعم فدلهم عليه مبدع فأتوا أبا هدب فكلموه فى ذلك فقال نعم هو عندى وليس لكم اليه سبيل فاعرضوا عنه وتركوه وشغلهم عنه ما أنزل الله تعالى بهم من عذابه فجعل بعضهم يخبر بعضا بما يرون فى وجوههم فلما أمسوا صاحوا بأجمعهم ألا قد مضى يوم من الاجل فلما أصبحوا اليوم الثانى اذا وجوههم محمرة كأنما خضبت بالدم فصاحوا وضجوا وبكوا وعرفوا أن العذاب واقع بهم فلما أمسوا صاحوا بأجمعهم ألا قد مضى يومان من الاجل وحضركم العذاب فلما أصبحوا اليوم الثالث اذا وجوههم مسودة كأنما طليت بالقار فصاحوا جميعا قد حضركم العذاب فلما كان ليلة الاحد خرج صالح عليه السلام من بين أظهرهم وخرج معه من آمن حتى جاؤا الشام فنزلوا رملة فلسطين فلما أصبح القوم تكفنوا وتحنطوا وكان حنوطهم الصبر والمر وكانت أكفانهم الانطاع ثم ألقوا أنفسهم بالارض فجعلوا يقلبون أبصارهم الى السماء مرة والى الارض مرة لايدرون من أين يأتيهم العذاب فلما اشتد الضحى من يوم الاحد أتتهم صيحة من

عليك فجاوبته بهذا الكلام شعرا جاوبنى الحق من جنانى * وكان وعظى على لسانى قربنى منه بعد بعد * وخصنى منه واصطفانى أجبت لما دعيت طوعا ملبيا للذى دعانى وخفت لما جننت فيه مايوقع الحب بالامانى قال السرى فقلت لسيدها أطلقها وعلى دفع ثمنها فصاح سيدها وافقراه من أين لك ثمن هذه الجارية قال السرى فقلت لا تعجل وامكث فى هذا المكان حتى آتيك بثمنها قال السرى فمضيت الى منزلى وعيناى تذرفان بالدموع وقلبى بسبب حبها موجوع وصرت أتضرع الى الله تعالى وأتوجه اليه وأتوكل فى قضاء حاجتى عليه فبينما أنا كذلك اذا قارع يقرع الباب فقلت من بالباب فقال حبيب من الاحباب فنظرت فاذا هو شاب من أحسن الناس وجها ومعه خادم على رأسه خمس بدر فقلت من أنت يرحمك الله فقال أحمد بن المثنى قد أعطانى الجبار جل جلاله ومابخل على بعطائه ورزقنى من الاموال مايعجز عن حمله الرجال فبينما أنا نائم اذ هتف بى هاتف من قبل الله عز وجل فقال ياأحمد هل لك فى معاملتنا فقلت وقد زال النوم عنى ومن أولى بذلك منى فنادانى أن احمل الى الشيخ السرى خمس بدر يعطيها المولى بدعة ليفك أسرها من الرق ويحظى منها بالعتق فلنا بها عناية ولطف السماء

السماء فيها صوت كل صاعقة وصوت كل شيء له صوت في الارض فقطعت قلوبهم في صدورهم فلم يبق فيهم صغير ولا كبير الا هلك كما قال عز وجل فأصبحوا في دارهم جاثمين كأن لم يغنوا فيها الا أن ثمود كفروا ربهم ألا بعدا لثمود ولم ينج منهم الا جارية مقعدة يقال لها ذريعة بنت شاف وكانت كافرة شديدة العداوة لصالح فأطلق الله لها رجليها بعد ما عاينت العذاب أجمع فخرجت كأسرع شيء يكون حتى أتت قرحا وهو وادي القرى حد ما بين الحجاز والشام فأخبرتهم بما عاينت من العذاب وما أصاب ثمود ثم استسقت من الماء فسقيت فلما شربت ماتت ﴿وروى﴾ أبو الزبير عن جابر بن عبد الله قال لما مر النبي صلى الله عليه وسلم بالحجر في غزوة تبوك قال لأصحابه لا يدخلن أحد منكم هذه القرية ولا تشربوا من مائها ولا تدخلوا على هؤلاء المعذبين الا أن تكونوا باكين أن يصيبكم مثل الذي أصابهم ثم قال أما بعد فلا تسألوا رسولكم الآيات هؤلاء قوم صالح سألوا رسولهم الآية فبعث الله لهم الناقة فكانت ترد من هذا الفج وتصدر من هذا الفج فتشرب ماءهم يوم وردها وأراهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتقى الفصيل حين ارتقى في الغار فعتوا عن أمر ربهم وعقروها فأهلك الله تعالى من تحت أديم السماء منهم في مشارق الارض ومغاربها الا رجلا واحدا يقال له أبو رغال وهو أبو ثقيف كان في حرم الله تعالى فمنعه حرم الله من عذاب الله تعالى فلما خرج أصابه ما أصاب قومه ودفن معه غصن من ذهب وأراهم رسول الله صلى الله عليه وسلم قبر أبي رغال فنزل القوم فابتدروه بأسيافهم وبحثوا عليه فاستخرجوا ذلك الغصن من الذهب ثم تقنع رسول الله صلى الله عليه وسلم بثوبه وأسرع السير حتى جاوز الوادي وقال أهل العلم توفي صالح عليه السلام بمكة وهو ابن ثمان وخمسين سنة وذلك انه انتقل من الشام الى مكة بعد ما أهلك الله تعالى قومه وكان يعبد الله تعالى هناك حتى مات وكان قد أقام في قومه عشرين سنة (أخبرنا) محمد بن عبد الله بن حمدون قال أخبرنا عبد الله بن محمد بن الحسن قال حدثنا عبد الله بن هاشم حدثنا وكيع بن الجراح حدثنا قتيبة أبو عثمان عن أبيه عن الضحاك بن مزاحم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا علي أتدري من أشقى الاولين قال قلت الله ورسوله أعلم قال عاقر الناقة قال يا علي أتدري من أشقى الآخرين قال قلت الله ورسوله أعلم قال قاتلك والله أعلم ﴿مجلس في قصة ابراهيم عليه السلام والنمروذ﴾ وهو ابراهيم بن تارخ بن ناحور بن ساروغ بن أرغو بن فالغ بن عابر بن شالخ بن قينان بن أرفخشذ بن سام بن نوح وكان اسم أبي ابراهيم الذي سماه به أبوه تارخ فلما صار مع النمروذ قيما على خزائن آلهته سماه آزر وقال مجاهد ان آزر ليس اسم أبيه وانما هو اسم صنم وقال ابن اسحق ليس هو اسم صنم بل هو لقب عيب به وهو بمعنى معوج وقيل هو بالنبطية الشيخ الهرم وولد لناحور تارخ بعد ما مضى من عمره سبع وعشرون سنة وهذا المجلس يشتمل على أبواب والله أعلم

﴿الباب الاول في مولد ابراهيم عليه السلام﴾

اختلف العلماء في الموضع الذي ولد فيه فقال بعضهم كان مولده بالسوس من أرض الاهواز وقال بعضهم كان مولده ببابل من أرض السواد بناحية يقال لها كوثا وقال بعضهم كان مولده بالوركاء ناحية في حدود كسكر ثم نقله أبوه الى الموضع الذي كان به نمروذ من ناحية كوثا وقال بعضهم كان مولده بحران ولكن أبوه نقله الى أرض بابل وقال عامة السلف من أهل العلم ولد ابراهيم عليه السلام في زمن نمروذ بن كنعان وكان بين الطوفان وبين مولد ابراهيم عليه السلام ألف ومائتان وثلاث وستون سنة وذلك بعد خلق آدم عليه السلام بثلاثة آلاف وثلثمائة وسبع وثلاثين سنة ونمروذ الذي ولد في ملكه ابراهيم هو نمروذ بن كنعان بن سنجاريب بن كوش بن حام ابن نوح ﴿وفي الحديث﴾ ملك الارض أربعة مؤمنان وكافران فأما المؤمنان فسليمان بن داود وذو القرنين عليهما السلام وأما الكافران فنمروذ وبختنصر وكان نمروذ أول من وضع على رأسه التاج وتجبر في الارض ودعا الناس الى عبادته وكان له كهان ومنجمون فقالوا انه يولد في بلدك في هذه السنة غلام يغير دين أهل الارض ويكون هلاكك وزوال ملكك على يديه ويقال انهم وجدوا ذلك في كتب الانبياء (وقال السدي) رأى نمروذ في منامه كأن كوكبا طلع فذهب بضوء الشمس والقمر حتى لم يبق لهما ضوء ففزع من ذلك فزعا شديدا ودعا السحرة والكهنة والقافة وهم الذين يخطون في الارض وسألهم عن ذلك فقالوا هو مولود يولد في ناحيتك هذه السنة يكون هلاكك وهلاك أهل بيتك على يديه قال فأمر نمروذ بذبح كل غلام يولد في تلك الناحية تلك السنة وأمر بعزل الرجال عن النساء وجعل على كل عشرة رجلا رقيبا أمينا فاذا حاضت المرأة خلى بينه وبينها اذ أمن

ورعاية فحملت اليك هذا المال وأطلعتك على الحال قال السرى فسجدت شكرا لله تعالى وأخذت بيد أحمد ومضينا الى المارستان واذا بالموكل عليها يلتفت يمينا وشمالا فلما رآني قال مرحبا ادخل عليها فانها الهفانة ولها عند الله حرمة ومكانة قال فدخلنا عليها فسمعناها تقول شعرا

قد تصبرت الى أن
عيل في حبك صبري
وكتمت الوجد لكن
ليس يخفى فيك أمري
ان تكن عني راض
لا أبالي طول دهري
أنت لي خير أنيس
يا مني سؤلي وذخري
من يرد يعتق رقي
ويفك اليوم أسري
غيرك اللهم ربي
أنت لي كاشف ضري

قال فبينما هي تنشد اذ أقبل مولاها وهو يبكي وينتحب قال السرى فقلت له لا بأس عليك قد أتيناك بالذي وزنته في الجارية بربح خمسة آلاف درهم فقال لا والله فقلت بربح عشرة آلاف درهم فقال لا والله فقلت بربح المثل فقال لا والله ولو أعطيتني الدنيا بما فيها لما قبلت منها شيأ ولكن هي حرة لوجه الله تعالى قال السرى فقلت له أخبرني ما الخبر فقال يا أستاذي أتاني البارحة آت في النوم وهو يبكي في المنام وأغلظ على في الكلام وقال تهين ولية لنا باعد والله

المواقعة فاذا طهرت عزل الرجل عنها فرجع آزر أبو ابراهيم فوجد امرأته قد طهرت من الحيض فوقع عليها في طهرها فحملت بابراهيم عليه السلام (وقال) محمد بن اسحق بعث نمروذ الى كل امرأة حبلى بقريته فحبسها عنده الا ما كان من أم ابراهيم فانه لم يعلم بحبلها وذلك انها كانت جارية حديثة السن لم تعرف الحبل ولم يبن في بطنها ﴿وقال السدى﴾ خرج نمروذ بالرجال الى العسكر ونحاهم عن النساء تخوفا من ذلك المولود أن يكون فمكث كذلك ما شاء الله ثم بدت له حاجة الى المدينة فلم يأتمن عليها أحدا من قومه الا آزر فدعاه وقال له ان لى اليك حاجة أحب انى أوصيك بها ولم أبعثك الا لثقتى بك فاقسمت عليك أن لا تدنو من أهلك ولا تواقعها فقال آزر أنا أشح على دينى من ذلك فأوصاه بحاجته ثم بعثه فدخل المدينة وقضى حاجته ثم قال لو دخلت الى أهلى فنظرت اليهم فلما نظر الى أم ابراهيم لم يتمالك حتى وقع عليها فحملت بابراهيم عليه السلام (قال ابن عباس) لما حملت أم ابراهيم قال الكهان للنمروذ ان الغلام الذى أخبرناك به قد حملت به أمه هذه الليلة فأمر نمروذ بذبح الغلمان فلما دنت ولادة أم ابراهيم وأخذها المخاض خرجت هاربة مخافة أن يطلع عليها فيقتل ولدها فوضعته في نهر يابس ثم لفته في خرقة ووضعته في حلفاء ورجعت فأخبرت زوجها بابنها وأنها قد ولدت وأن الولد في موضع كذا فانطلق أبوه فأخذه من ذلك المكان وحفر له سردابا عند نهر فواراه وسد عليه بابه بصخرة مخافة السباع وكانت أمه تختلف اليه فترضعه (وقال السدى) لما عظم بطن أم ابراهيم خشى آزر أن يذبح فانطلق بها الى أرض بين الكوفة والبصرة يقال لها وركاء فأنزلها في سرب من الارض وجعل عندها ما يصلحها وجعل يتعهدها ويكتم ذلك من أصحابه فولدت ابراهيم عليه السلام في ذلك السرب فشب فكان وهو ابن سنة كابن ثلاث سنين وصار من الشباب بحالة أسقطت عنه طمع الذباحين ثم ذكر آزر لأصحابه أن له ابنا كبيرا فانطلق به اليهم (قال ابن اسحق) لما وجدت أم ابراهيم الطلق خرجت ليلة الى مغارة وكانت قريبا منها فولدت فيها ابراهيم عليه السلام وأصلحت من شأنه ما يصلح بالمولود ثم سدت عليه المغارة ورجعت الى بيتها ثم كانت تطالعه في المغارة فتجده حيا يمص ابهامه قال أبو روق كانت أم ابراهيم كلما دخلت على ابراهيم عليه السلام وجدته يمص ابهامه فقالت ذات يوم لأنظرن الى أصابعه فوجدته يمص من أصبع ماء ومن أصبع لبنا ومن أصبع عسلا ومن أصبع سمنا (قال ابن اسحق) وكان آزر سأل أم ابراهيم عن حملها ما فعل فقالت ولدت غلاما فمات فصدقها وسكت عنها وكان اليوم على ابراهيم عليه الصلاة والسلام في الشباب كالشهر والشهر كالسنة فلم يمكث ابراهيم عليه السلام في المغارة الا خمسة عشر يوما حتى جاء الى أبيه آزر فأخبره أنه ابنه وأخبرته بما كانت صنعت في شأنه فسر آزر بذلك وفرح فرحا شديدا

﴿الباب الثانى في خروج ابراهيم عليه السلام من السرب ورجوعه الى قومه
ومحاجته اياهم في الدين والقائهم اياه في النار وما يتعلق بذلك﴾

﴿قال أهل العلم بسير الماضين﴾ لما شب ابراهيم عليه السلام وهو في السرب قال لأمه من ربى قالت أنا قال فمن ربك قالت أبوك قال فمن رب أبى قالت له نمروذ قال فمن رب نمروذ فقالت له اسكت فسكت ثم رجعت الى زوجها فقالت أرأيت الغلام الذى يحدث أنه يغير دين أهل الارض فانه ابنك ثم أخبرته بما قال لها فأتاه أبوه آزر فقال له ابراهيم عليه السلام يا أبتاه من ربى قال أمك قال فمن رب أمى قال أنا قال فمن ربك قال نمروذ قال فمن رب نمروذ فلطمه لطمة وقال اسكت وذلك قوله عز وجل ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل وكنا به عالمين ثم قال لأبويه أخرجانى فأخرجاه من السرب فانطلقا به حتى غابت الشمس فنظر ابراهيم عليه السلام الى الابل والبقر والغنم والخيل يراح بها فسأل أباه ما هذه فقال ابل وخيل وبقر وغنم فقال ما لهذه بد من أن يكون لها رب خالق ثم نظر وتفكر في خلق السموات والارض وقال ان الذى خلقنى ورزقنى وأطعمنى وسقانى لربى ما لى اله غيره ثم نظر فاذا المشترى قد طلع ويقال الزهرة وكانت تلك الليلة في آخر شهر فرأى الكوكب قبل القمر فقال هذا ربى فذلك قوله تعالى فلما جن عليه الليل رأى كوكبا قال هذا ربى فلما أفل قال لا أحب الآفلين فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربى فلما أفل قال لئن لم يهدنى ربى لأكونن من القوم الضالين فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى هذا أكبر ولانه رأى ضوأها أعظم فلما أفلت قال يا قوم انى برىء مما تشركون انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا وما أنا من المشركين قالوا وكان أبوه يصنع الاصنام فلما ضم ابراهيم الى نفسه جعل يصنع الاصنام ويعطيها ابراهيم ليبيعها فذهب بها ابراهيم عليه السلام فينادى من يشترى ما يضر ولا ينفع فلا يشترى أحد منه فاذا

فانتبهت مرعوبا وقد هانت على الدنيا وخرجت عن جميع ما أملكه لله تعالى وأنا هارب اليه عسى أن يقبلنى ثم بكى وخرج على وجهه هائما قال السرى فالتفت الى أحمد بن المثنى فوجدته يبكى وينتحب ودموعه تجرى على خده وقد ظهرت آثار القبول عليه فقلت ما يبكيك يا أحمد فقال ما رضينى مولاى الى ما ندبنى اليه ولا وجدت لمالى قبولا بين يديه أشهدك انى قد خرجت عنه وهو صدقة لوجه الله تعالى قال السرى فقلت ما كان أعظم بركات بدعة على الجميع ثم قامت بدعة ونزعت جميع ما كان عليها ولبست جبة من صوف وخمارا من شعر وخرجت هائمة على وجهها فخرجنا معها وهى تنشد وتقول شعرا
هربت منه اليه
بكيت منه عليه
وحقه وهو مولى
لازلت بين يديه
حتى أنال وأحظى
ما قد رجوت اليه
(قال الراوى) فما زلنا نتبعها حتى خرجت الى ظاهر المدينة وهى تنشد وتقول هذه الابيات شعرا
يا حبيب القلوب أنت حبيبى * يا سرور السرور أنت سرورى * يا حياة النفوس أنت حياتى * وأنيسى وأنت نور لنورى
قال السرى ثم مضت حتى بارت

بارت عليه ذهب بها الى نهر فضرب رؤسها وقال لها اشربى كسدت استهزاء بقومه وبما هم عليه من الضلالة والجهالة حتى فشا عيبه اياها واستهزاؤه بها فى قومه وأهل قريته فحاجه قومه فى دينه فقال لهم أتحاجونى فى الله وقد هدان الآيات الى قوله عز وجل وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم حتى خصمهم وغلبهم بالحجة ثم ان ابراهيم عليه السلام دعا أباه آزر الى دينه فقال يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيأ الى آخر القصة فابى أبوه الاجابة الى ما دعاه اليه ثم ان ابراهيم عليه السلام جاهر قومه بالبراءة مما كانوا يعبدون وأظهر دينه فقال أفرأيتم ما كنتم تعبدون أنتم وآباؤكم الاقدمون فانهم عدو لى الا رب العالمين قالوا فمن تعبد أنت قال رب العالمين قالوا تعنى نمروذ فقال لا الذى خلقنى فهو يهدين الى آخر القصة ففشا ذلك فى الناس حتى بلغ نمروذ الجبار فدعاه فقال له يا ابراهيم أرأيت الهك الذى بعثك وتدعو الى عبادته وتذكر من قدرته التى تعظمه بها على غيره ما هو قال ابراهيم عليه السلام ربى الذى يحيى ويميت قال نمروذ أنا أحيى وأميت قال ابراهيم كيف تحيى وتميت قال آخذ رجلين قد استوجبا القتل فى حكمى فاقتل أحدهما فاكون قد أمته ثم أعفو عن الآخر فاتركه فأكون قد أحييته فقال له ابراهيم عند ذلك ان الله يأتى بالشمس من المشرق فائت بها من المغرب فبهت عند ذلك نمروذ ولم يرجع اليه شيأ ولزمته الحجة فذلك قوله عز وجل فبهت الذى كفر الآية ثم ان ابراهيم عليه السلام أراد أن يرى قومه ضعف الاوثان التى كانوا يعبدونها من دون الله وعجزها الزاما للحجة عليهم فجعل يتهيأ لذلك فرصة ويحتال فيه الى ان حضرهم عيد لهم (قال السدى) كان لهم فى كل سنة عيد يخرجون اليه ويجتمعون فيه فكانوا اذا رجعوا من عيدهم دخلوا على الاصنام فسجدوا لها ثم عادوا الى منازلهم فلما كان ذلك العيد قال أبو ابراهيم يا ابراهيم لو خرجت معنا الى عيدنا أعجبك ديننا فخرج معهم ابراهيم فلما كان ببعض الطريق ألقى نفسه وقال انى سقيم أشتكى رجلى فتولوا عنه وهو صريع فلما مضوا نادى فى آخرهم وقد بقى ضعفاء الناس وتالله لأكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين فسمعوها منه (وقال مجاهد) وقتادة انما قال ابراهيم عليه السلام هذا فى سر من قومه ولم يسمع ذلك الا رجل واحد منهم وهو الذى أفشاه عليه قالوا ثم رجع ابراهيم عليه السلام من الطريق الى بيت الآلهة فاذا فى البيت بهو مستقبل باب البهو صنم عظيم يليه أصغر منه الى باب البهو واذا هم قد جعلوا طعاما فوضعوه بين يدى الآلهة وقالوا اذا كان حين رجوعنا فرجعنا وقد باركت الآلهة فى طعامنا أكلنا فلما نظر ابراهيم عليه السلام الى الاصنام والى ما بين أيديهم من الطعام قال لهم على طريق الاستهزاء ألا تأكلون فلما لم تجبه قال ما لكم لا تنطقون فراغ عليهم ضربا باليمين وجعل يكسرهن بفأس فى يده حتى لم يبق الا الصنم الاكبر فعلق الفأس فى عنقه ثم خرج فذلك قوله عز وجل فجعلهم جذاذا الا كبيرا لهم لعلهم اليه يرجعون فلما جاء القوم من عيدهم الى بيت آلهتهم ورأوها بتلك الحالة قالوا من فعل هذا بآلهتنا انه لمن الظالمين قالوا سمعنا فتى يذكرهم يقال له ابراهيم هو الذى نظنه صنع هذا فبلغ ذلك نمروذ الجبار اشراف قومه فقالوا فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون عليه أنه هو الذى فعل ذلك وكرهوا أن يأخذوه بغير بينة قاله قتادة والسدى وقال الضحاك لعلهم يشهدون بما نصنع به ونعاقبه فلما أحضروه قالوا له أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا ابراهيم قال ابراهيم بل فعله كبيرهم هذا غضب من أن تعبدوا معه هذه الاصنام الصغار وهو أكبر منها فكسرهن فاسألوهم ان كانوا ينطقون قال النبى صلى الله عليه وسلم لم يكذب ابراهيم عليه السلام الا ثلاث كذبات كلها فى الله تعالى قوله انى سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا وقوله للملك الذى عرض لسارة هى أختى فلما قال لهم ابراهيم ذلك رجعوا الى أنفسهم فقالوا انكم أنتم الظالمون هذا الرجل فى سؤالكم اياه وهذه آلهتكم التى فعل بها ما فعل حاضرة فاسألوها وذلك قول ابراهيم عليه السلام فاسألوهم ان كانوا ينطقون فقال قومه ما نراه الا كما قال (وقيل) انكم أنتم الظالمون بعبادتكم الاوثان الصغار مع هذا الكبير ثم نكسوا على رؤسهم متحيرين فى أمره وعلموا أنها لا تنطق ولا تبطش فقالوا لقد علمت ما هؤلاء ينطقون فلما اتجهت الحجة عليهم لابراهيم عليه السلام قال لهم أفتعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيأ ولا يضركم أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلا تعقلون فلما لزمتهم الحجة وعجزوا عن الجواب قالوا حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين قال عبد الله بن عمران الذى أشار عليهم بتحريق ابراهيم عليه السلام بالنار رجل من الاكراد قال شعيب الجبائى اسمه هيزون فخسف الله تعالى به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة قال فلما أجمع نمروذ وقومه على احراق ابراهيم عليه السلام حبسوه فى

غابت عن أعيننا ثم أتى مولاها وصحبنى وكذلك أحمد بن المثنى برهة من الزمان الى أن توفى سيدها وبقيت أنا وأحمد بن المثنى فعزمنا على الحج الى بيت الله الحرام فبينما نحن نطوف بالكعبة اذا بصوت مقروح يخرج من كبد مجروح وهو ينشد وهو يقول هذه الابيات

قد تهتكت بحبك
كيف لى منك بقربك
فترفق بفؤاد
يشتكى شدة بعدك
حيث يا نفس اذا لا
يغفر ربك ذنبك
فاسألى العفو جهارا
والرضا من عند ربك

قال السرى فاتبعت الصوت فاذا بامرأة كالخيال ذاهلة العقل والبال فلما رأتنى قالت السلام عليك يا سرى فقلت وعليك السلام من أنت يرحمك الله فقالت لا اله الا الله وقع التناكر بعد المعرفة أنت الى الآن محجوب وقلبك مسلوب ثم قالت أنا بدعة قال السرى فقلت لها ما الذى أفادك الحق بعد انفرادك عن الناس فقالت شعرا

أفادنى كل المنى
وخص قلبى بالغنى
وقد أزال سيدى
عن باطنى ثقل العنا
ان لم يداركنى بما
أرجو والامن أنا

قال فلما فرغت من كلامها بكت وانتحبت وهاجت واضطربت ثم رفعت رأسها وقالت يا سيدى ومولاى فاز أهل التقى ونجا من اتقى وخاب

بيت و بنوا له بنيانا كالحظيرة فذلك قوله عز وجل قالوا ابنوا له بنيانا فالقوه فى الجحيم ثم جمعوا له من أصلب الحطب وأصناف الخشب حتى ان كانت المرأة لتمرض فتقول لئن عافانى الله تعالى لاجمعن حطبا لابراهيم وكانت المرأة تنذر فى بعض ماتطلب مما تحب أن تدرك لئن أصابته لتحتطب حطبا وتجعله فى النار التى يحرق بها ابراهيم احتسابا فى دينها (قال ابن اسحق) كانوا يجمعون الحطب شهرا حتى اذا كثر الحطب وجمعوا منه ماأرادوا أشعلوا النار فى كل ناحية بالحطب فاشتعلت النار حتى ان كان الطير ليمر بها فيحترق من شدة وهجها ثم عمدوا الى ابراهيم عليه السلام فرفعوه على رأس البنيان وقيدوه ثم اتخذوا منجنيقا باشارة ابليس لعنه الله تعالى حيث لم يتمكنوا من القائه فى النار من شدة حرها فاتخذوا المنجنيق ووضعوه فيه مقيدا مغلولا صلوات الله عليه فضجت السموات والارض والجبال ومن فيهما من الملائكة وجميع الخلق الا الثقلين ضجة واحدة وقالوا أى ربنا ابراهيم ليس فى أرضك أحد يعبدك غيره يحرق فى النار فائذن لنا فى نصرته فقال الله تعالى لهم ان استعان بشئ منكم أو دعاه فلينصره فقد أذنت لكم فى ذلك وان لم يدع غيرى فانا أعلم به وأنا وليه فخلوا بينى وبينه فلما أرادوا القاءه فى النار أتاه ملك المياه فقال ان أردت أخمدت النار فان خزائن المياه والامطار بيدى وأتاه خازن الريح فقال ان شئت طيرت النار فى الهواء فقال ابراهيم عليه السلام لاحاجة لى اليكم ثم رفع رأسه الى السماء فقال اللهم أنت الواحد فى السماء وفى الارض ليس فى الارض أحد يعبدك غيرى وروى المعتمر عن أبى بن كعب عن أرقم ان ابراهيم عليه السلام قال حين أوثقوه ليلقوه فى النار لا اله الا أنت سبحانك رب العالمين لك الحمد ولك الملك لاشريك لك ثم رموا به بالمنجنيق الى النار فى موضع شاسع فاستقبله جبريل عليه السلام فقال ياابراهيم ألك حاجة قال أما اليك فلا قال جبريل فسل ربك فقال ابراهيم عليه السلام حسبى من سؤالى علمه بحالى حسبى الله ونعم الوكيل وفى الخبر أن ابراهيم عليه السلام انما نجا بقوله حسبى الله ونعم الوكيل قال الله عز وجل يانار كونى بردا وسلاما على ابراهيم (قال السدى) كان جبريل عليه السلام هو الذى ناداها بامر الله تعالى قال على بن أبى طالب رضى الله عنه وابن عباس لو لم يقل وسلاما لمات ابراهيم من بردها ولم يبق حينئذ نار فى الارض الا طفئت ظنت انها تعنى قال كعب الاحبار وروى قتادة والزهرى ماانتفع أحد من الارض يومئذ بنار ولا أحرقت النار يومئذ شيأ الا وثاق ابراهيم عليه السلام ولم يبق يومئذ دابة الا أطفأت عنه النار الا الوزغ فلذلك أمر النبى صلى الله عليه وسلم بقتله وسماه فويسقا قال السدى فأخذت الملائكة بضبعى ابراهيم فاقعدته على الارض فاذا عين ماء وورد أحمر ونرجس قالوا فاقام ابراهيم فى النار سبعة أيام قال المنهال بن عمرو قال ابراهيم خليل الله ما كنت أياما قط أنعم منى عيشا من الايام التى كنت فيها فى النار (قال) ابن اسحق وغيره وبعث الله ملك الظل فى صورة ابراهيم عليه السلام فقعد فيها الى جنب ابراهيم وهو يؤنسه فأتاه جبريل عليه السلام بقميص من حرير وقال له ياابراهيم ان ربك يقول أما علمت أن النار لاتضر أحبابى وألبسه القميص ثم أشرف نمروذ من صرح له عال ونظر الى ابراهيم عليه السلام ومايشك أنه قد هلك فرآه جالسا فى روضة ورأى الملك قاعدا الى جنبه وحوله نار تحرق ماجمعوا من الحطب فناداه نمروذ ياابراهيم كبير الهك الذى بلغت قدرته أن حال بينك وبين النار حتى لم تضرك ياابراهيم فهل تستطيع أن تخرج منها قال نعم قال فهل تخشى ان أقمت فيها أن تضرك قال لا قال فقم فاخرج منها فقام ابراهيم عليه السلام يمشى فيها حتى خرج منها فلما خرج اليه قال له ياابراهيم من الرجل الذى رأيت معك فى مثل صورتك قاعدا الى جنبك قال ملك الظل أرسله الى ربى ليؤنسنى فيها فقال نمروذ ياابراهيم انى مقرب الى الهك قربانا لما رأيت من قدرته وعزمه فيما صنع بك حين أبيت الا عبادته وتوحيده انى ذابح له أربعة آلاف بقرة فقال له ابراهيم لايقبل الله منك شيأ ما كنت على دينك هذا حتى تفارقه الى دينى فقال ياابراهيم لاأستطيع ترك ملكى ولكن سوف أذبحها له فذبحها وقربها ومنع العذاب عن ابراهيم ثم انه قال لابراهيم نعم الرب ربك ياابراهيم (قال الشعبى) ألقى ابراهيم عليه السلام فى النار وهو ابن ست عشرة سنة وذبح اسحق وهو ابن سبع سنين وولدته سارة رضى الله عنها وهى ابنة تسعين سنة وكان مذبحه من بيت المقدس على ميلين ولما علمت سارة بما أراد باسحق بقيت يومين وماتت فى اليوم الثالث (قال ابن اسحق) استجاب لابراهيم عليه السلام رجال من قومه حين رأوا ماصنع الله عز وجل به من جعل النار عليه بردا وسلاما على خوف من نمروذ وملئهم فآمن به لوط وكان ابن أخيه

من حظه الطرد والشقا فاسألك ياسيدى الاماقربت الوصل واللقا وقد تواجهت عليك خذنى اليك فلا حاجة لى فى البقا ثم صرخت ووقعت الى الارض فحركتها فاذا هى ميتة رحمة الله عليها قال فنظر اليها أحمد ابن المثنى فطار قلبه وحار لبه ثم بكى وانتحب واهتز واضطرب وأصعد الزفرات وأظهر الحسرات ثم صرخ ووقع على الارض فحركته فاذا هو قد مات قال السرى فتعجبت من حالهما وقرب آجالهما وأخذت فى غسلهما وتجهيزهما ودفنهما رحمة الله تعالى عليهما ونفعنا بهما ﴿وحكى عن السرى أيضا رضى الله تعالى عنه أنه قال﴾ حججت سنة من السنين الى بيت الله الحرام وزيارة النبى عليه أفضل الصلاة والسلام فبينما أنا فى الطريق اذا أنا بامرأة حسناء ذات جمال بديع فقلت لها ياجارية أين تريدين فقالت الى بيت الحبيب فقلت لها ان الطريق بعيدة فقالت بعيدة على كسلان أو ذى ملالة وأما على العشاق فهى قريبة قالت انهم يرونه بعيدا ونراه قريبا قال فلما وصلت الى بيت الله الحرام رأيتها تطوف بالبيت فقالت ياسرى أنا تلك الخادمة لمولاى جئته بضعفى فحملنى بقوته هذه صفات قوم فارقوا ديار اللهو وخلعوا اثياب الزهو وآثروا المحبوب وهو

وهو لوط بن هاران بن تارخ وهاران هو أخو ابراهيم عليه السلام وكان لهما أخ ثالث يقال له ناحور بن تارخ فهاران أبو لوط وناحور أبو تنويل وتنويل أبو لابان ورفقا بنت تنويل امرأة اسحق بن ابراهيم أم يعقوب وليا وراحيل زوجتا يعقوب عليه السلام وهما ابنتا لابان وآمنت أيضا به سارة وهي بنت عمه وهي سارة بنت هاران الاكبر عم ابراهيم عليه السلام وقال السدى كانت سارة بنت ملك حران وذلك أن ابراهيم ولوطا عليهما السلام انطلقا قبل الشام فلقي ابراهيم سارة وهي ابنة ملك حران وكانت قد طعنت على قومها في دينهم فتزوجها ابراهيم عليه السلام على أن لا يغيرها (قال ابن اسحق) خرج ابراهيم عليه السلام من كوثا من أرض العراق مهاجرا الى ربه عز وجل وخرج معه لوط وسارة عليهما السلام كما قال الله تعالى فآمن له لوط وقال انى مهاجر الى ربى فخرج حتى نزل حران فمكث بها ما شاء الله تعالى أن يمكث ثم خرج منها حتى قدم مصر ثم خرج من مصر الى الشام فنزل السبع من فلسطين وهي برية الشام ونزل لوط بالمؤتفكة وهي من السبع على مسيرة يوم وليلة فبعثه الله تعالى نبيا فذلك قوله عز وجل ونجيناه ولوطا الى الارض التى باركنا فيها للعالمين يعنى الشام فبركتها أن بعث منها أكثر الانبياء وهي الارض المقدسة وأرض المحشر والمنشر وبها ينزل عيسى بن مريم عليه السلام وبها يهلك الله تعالى المسيخ الدجال بباب لد وهي أرض خصبة كثيرة الاشجار والانهار والثمار يطيب فيها العيش للغنى والفقير (قال أبي بن كعب) ما من ماء عذب الا وينبع أصله من تحت الصخرة التى ببيت المقدس ثم يتفرق في الارض والله أعلم

﴿الباب الثالث في ذكر مولد اسمعيل واسحق عليهما السلام ونزول اسمعيل وأمه هاجر الحرم وقصة بئر زمزم﴾

(قال أهل العلم بسير الماضين) لما نجى الله تعالى خليله ابراهيم عليه السلام آمن به من آمن وتابعوه على فراق قومهم واظهار البراءة منهم فقالوا انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم أيها المعبودون من دون الله وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أيها العابدون حتى تؤمنوا بالله وحده ثم خرج ابراهيم عليه السلام مهاجرا الى ربه وخرج معه لوط عليه السلام وتزوج ابراهيم عليه السلام بابنة عمه سارة فخرج يلتمس الفرار بدينه والامان على عبادته لربه حتى نزل حران فمكث بها ما شاء الله أن يمكث ثم خرج منها مهاجرا حتى قدم مصر وبها فرعون من الفراعنة الاولى وكانت سارة من أحسن النساء وأجملهن وكانت لا تعصى ابراهيم عليه السلام في شئ وبذلك أكرمها الله تعالى قال فأتى الجبار رجل وقال له ان ههنا رجلا معه امرأة من أحسن النساء ووصف له حسنها وجمالها فأرسل الجبار الى ابراهيم عليه السلام فجاءه فقال له ما هذه المرأة منك فقال هي أختي وتخوف ان قال هي امرأتي أن يقتله فقال له زينها وأرسلها الى حتى أنظر اليها فرجع ابراهيم الى سارة عليهما السلام وقال لها ان هذا الجبار قد سألني عنك فأخبرته انك أختي فلا تكذبيني عنده فانك أختي في كتاب الله عز وجل وانه ليس في هذه الارض مسلم غيرى وغيرك ثم أقبلت سارة الى الجبار وقام ابراهيم عليه السلام يصلى فلما دخلت عليه ورآها أهوى اليها يتناولها بيده فيبست يده الى صدره فلما رأى الجبار ذلك أعظم أمرها وقال لها سلى ربك أن يطلق يدى فوالله لا آذيتك فقالت سارة اللهم ان كان صادقا فأطلق له يده فأطلق الله تعالى يده (وفي بعض الاخبار المسندة) أنه فعل ذلك ثلاث مرات يقصد أن يتناولها فتيبس له يده فلما رأى ذلك ردها الى ابراهيم ووهب لها هاجر وهي جارية قبطية فأقبلت الى ابراهيم فلما أحس بها ابراهيم انفتل من صلاته قال مهيم فقالت كفى الله كيد الفاجر وأخدمني هاجر قال محمد بن سيرين كان أبو هريرة اذا حدث بهذا الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فتلك أمكم يا بنى ماء السماء * وفي بعض الاخبار أن الله تعالى رفع الحجاب بين ابراهيم وسارة حتى كان ينظر اليها من وقت خروجها من عنده الى وقت انصرافها اليه كرامة لها وتطييبا لقلب ابراهيم عليه السلام قالوا وكانت هاجر جارية ذات هيئة فوهبتها سارة لابراهيم فقالت انى أراها امرأة وضيئة فخذها لعل الله تعالى أن يرزقك منها ولدا وكانت سارة قد منعت الولد حتى أسنت فوقع ابراهيم على هاجر فولدت له اسمعيل عليه السلام * روى محمد بن اسحق عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك الانصارى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا افتتحتم مصر فاستوصوا بأهلها خيرا فان لهم ذمة ورحما قال ابن اسحق فسألت الزهرى ما الرحم الذى ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال كانت هاجر أم اسمعيل منهم قالوا ثم خرج ابراهيم من مصر الى الشام وهاب ذلك الملك الذى كان بها وأشفق من شره فنزل السبع من أرض فلسطين واحتفر بها بئرا واتخذ بها مسجدا

بالنفوس والآثار ووقفوا بين يديه في حلل الانكسار هجر والراحة في الاوطان والاوطار فلله درهم خلعوا ثياب الاصطبار ومزقوا ستر الاستتار وأفشوا وجدهم مع كتمان الاسرار نادائهم بالعناية في الاصلاب والارحام حرام عليكم أن تنظروا الى غيرى حرام وجمع لهم مجلس مناجاته وسقاهم لذيذ شراب مصافاته يا هذا هل لك في هذا المجلس نديم هل لك في هذا الغرام غريم هل لك في هذا الربع أنيس هل لك في هذه الروضة جليس فاذا أردت أيها العبد رضاء الرب اللطيف فتقرب اليه بقلب منكسر وجسم نحيف (قيل) انه لما نزل البلاء على أيوب عليه السلام أتاه طاوس السماء جبريل عليه السلام بأمر الله عز وجل فقال له يا أيوب سينزل بك مولاك من البلاء والاهوال ما يعجز عن حمله الجبال فقال أيوب ان دمت على مواصلة الحبيب سأصبر حتى يقال عجيب عجيب فنودى يا أيوب استعد للائى واصبر على نزول حكمى وقضائى وكان السبب في ابتلائه أن ابليس اللعين حسده وتحيل عليه بأنواع الحيل والمكر فلم يقدر عليه فقال الهى انما سبب شكر أيوب لك وطاعته ما وسعت له في الاموال والاولاد والارزاق والعافية فلو سلطتني عليه وسلبته ذلك لما أطاعك طرفة عين فقال الله جل جلاله اذهب

وكان ماء تلك البئر معينا ظاهرا وكانت غنمه تردها فقام ابراهيم عليه السلام بالسبع مدة ثم ان أهلها آذوه فيها ببعض الاذى فخرج منها حتى نزل بناحية من أرض فلسطين بين الرملة وايليا ببلد يقال لها قطة فلما خرج من بين أظهرهم نضب ماء تلك العين وذهب فندم أهل السبع جميعا على ما صنعوا وقالوا أخرجنا من بين أظهرنا رجلا صالحا فاتبعوا اثره حتى أدركوه وسألوه أن يرجع فقال ما أنا براجع الى بلد أخرجت منه قالوا ان الماء الذى كنت تشرب ونشرب معك منه قد نضب وذهب فأعطاهم سبعة أعنز من غنمه وقال اذهبوا بها معكم فانكم اذا أوردتموها البئر ظهر الماء حتى يكون معينا ظاهرا كما كان فاشربوا منها ولا تقربنها امرأة حائض فخرجوا بالاعنز فلما وقفت على البئر ظهر الماء فكانوا يشربون منها وهى على تلك الحال حتى أتتها امرأة طامث فاغترفت منها فركد ماؤها الى الذى هو عليه اليوم وأقام ابراهيم عليه السلام ببلده وكان يضيف من نزل به وقد وسع الله تعالى عليه وبسط له من الرزق والمال والخدم فلما أراد الله تعالى هلاك قوم لوط عليه السلام بعث اليه رسله يأمرونه بالخروج من بين أظهرهم وأمرهم أن يبدؤا بابراهيم عليه السلام ويبشروه وسارة باسحق ومن وراء اسحق يعقوب فلما نزلوا على ابراهيم عليه السلام وكان الضيف قد حبس عنه خمسة عشر يوما حتى شق عليه ذلك وكان لا يأكل الا مع ضيف ما أمكنه فلما رآهم على صورة الرجال سر بهم ورأى ضيوفا لم يضيف مثلهم حسنا وجمالا فقال لا يخرج لهؤلاء القوم الا أنا فخرج فجاء بعجل سمين حنيذ وهو المشوى بالحجارة فقربه اليهم فأمسكوا أيديهم عنه فقال لهم ألا تأكلون فلما رأى أيديهم لا تصل اليه نكرهم وأوجس منهم خيفة حيث لم يأكلوا من طعامه فقالوا يا ابراهيم لا نأكل طعاما الا بثمن قال فان لهذا ثمنا قال وما ثمنه قال تذكرون اسم الله تعالى على أوله وتحمدونه على آخره فنظر جبريل الى ميكائيل عليهما السلام وقال يحق لهذا أن يتخذه ربه خليلا ثم قالوا لا تخف انا أرسلنا الى قوم لوط وامرأته سارة قائمة تخدمهم وابراهيم قاعد معهم فلما أخبروه بما أرسلوا به وبشروه باسحق ويعقوب ضحكت سارة واختلف العلماء فى العلة الجالبة لضحكها ما هى فقال السدى انما ضحكت سارة حيث لم يأكلوا من طعامهم وقالت يا عجبا لاضيافنا هؤلاء انا نخدمهم بأنفسنا تكرمة لهم وهم لا يأكلون طعامنا وقال قتادة ضحكت من غفلة قوم لوط وقرب العذاب منهم وقال مقاتل والكلبى ضحكت من خوف ابراهيم من ثلاثة وهم فيما بين خدمه وحشمه وقال ابن عباس ضحكت تعجبا من أن يكون لها ولد على كبر سنها وسن زوجها وكانت هى بنت تسعين سنة وابراهيم ابن مائة وعشرين سنة قال السدى قالت سارة لجبريل عليه السلام لما بشرها بالولد على حالة الكبر ما آية ذلك فأخذ بيده عودا يابسا فلواه بين أصابعه فاهتز أخضر فقال ابراهيم هو لله اذا ذبيح وقال مجاهد وعكرمة فضحكت أى حاضت فى الوقت تقول العرب ضحكت الارنب اذا حاضت وقال السدى وابن يسار وغيرهما من أهل الاخبار فحملت سارة باسحق وقد كانت حملت هاجر باسمعيل فوضعتا معا وشب الغلامان فبيناهما يتناضلان ذات يوم وقد كان ابراهيم عليه السلام سابق بينهما فسبق اسمعيل فأخذه وأجلسه فى حجره وأجلس اسحق الى جانبه وسارة تنظر اليه فغضبت وقالت عمدت الى ابن الامة فأجلسته فى حجرك وعمدت الى ابنى فأجلسته الى جنبك وقد جعلت أن لا تضرنى ولا تسوءنى وأخذها ما يأخذ النساء من الغيرة فحلفت لتقطعن بضعة منها ولتغيرن خلقها ثم ثاب اليها عقلها فبقيت متحيرة فى ذلك فقال لها ابراهيم عليه السلام اخفضيها واثقبى أذنيها ففعلت ذلك فصارت سنة فى النساء ثم ان اسمعيل واسحق عليهما السلام اقتتلا ذات يوم كما تفعل الصبيان فغضبت سارة على هاجر وقالت لا تساكنينى فى بلد واحد وأمرت ابراهيم عليه السلام أن يعزلها عنها فأوحى الله تعالى الى ابراهيم عليه السلام أن يأتى بهاجر وابنها مكة فذهب بهما حتى قدم مكة وهى اذ ذاك عضاه وسلم وسمر وبحواليها خارج مكة ناس يقال لهم العماليق وموضع البيت يومئذ ربوة حمراء فقال ابراهيم عليه السلام لجبريل عليه السلام ههنا أمرت أن تضعهما قال نعم فعمد بهما الى موضع الحجر فأنزلهما فيه وأمر هاجر أم اسمعيل أن تتخذ عريشا ثم قال ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون ثم انصرف فأتبعته هاجر وقالت الى من تكلنا فجعل لا يرد عليها شيأ فقالت آلله أمرك بهذا قال نعم فقالت اذا لا يضيعنا ثم انصرف راجعا الى الشام وكان مع هاجر شنة فيها ماء فنفد الماء فعطشت وعطش الصبى فنظرت أى الجبال أدنى فى

فقد سلطتك عليه وانه لن يغيره ذلك قال فأول يوم ابتلاه بأخذ الاولاد فزاد فى الخدمة واجتهد غاية الاجتهاد وفى اليوم الثانى أخذ الاموال فأحرقها ومزقها فقال أيوب العطايا عطاياه ان شاء سلبها وان شاء أطلقها وفى اليوم الثالث نفخ ابليس فى جسده وهو فى صلاة الفجر فلعب الدود فى جميع بدنه ولم يزل يذكر الله تعالى فى سره وعلانيته وقال الحمد لله الذى اصطفانى لخدمته ومن على بفضله وخيره ولم يشغلنى بغيره قال ولم يزل أيوب ذاكرا لربه حامدا وشاكرا الى أن تمزق جلده وذاب لحمه ودق عظمه فصار الدود يغدو فى جسدى ويروح وهو بالشكوى لا يبوح وكان كلما سقط من جسده دودة الى الارض يردها الى مكانها ويقول كلى فهذه مائدة من جسده ممدودة قال فنزل الامين جبريل عليه السلام فسلم عليه فلم يرد عليه السلام لاشتغال لسانه عن الكلام فسلم عليه ثانيا قال فرد عليه السلام فسأله عن عدم الرد فى أول مرة فقال يا أخى يا جبريل ان الملك الودود أرسل الى أضيافا من الدود لاطعمهم من لحمى على مائدة عظمى فكان بعض أضيافى على لسانى فخشيت أن أرد عليك السلام فتسقط من مكانها فأكون سببا لمنع قوتها أو أطالب برزقها

الارض فصعدت الصفا وتسمعت هل تسمع صوتا أو ترى انسيا فلم تسمع شيأ ولم تر أحدا ثم انها سمعت أصوات سباع الوادي نحو اسمعيل فاقبلت اليه بسرعة لتؤنسه ثم سمعت صوتا نحو المروة فسعت وما تريد الدين كالانسان المجهود فهي أول من سعى بين الصفا والمروة ثم صعدت الى المروة فسمعت صوتا كالانسان الذي يكذب سمعه حتى استيقنت وجعلت تدعو وسمع ايل تعني يا الله قد أسمعتني صوتك فاغثني فقد هلكت وهلك من معي فاذا هي بجبريل عليه السلام فقال لها من أنت فقالت سرية ابراهيم عليه السلام تركني وابني ههنا قال والى من وكلكما قالت وكلنا الى الله تعالى قال لقد وكلكما الى كريم كاف ثم جاء بهما وقد نفد طعامهما وشرابهما حتى انتهى بهما الى موضع زمزم فضرب بقدمه ففارت عين فلذلك يقال لزمزم ركضة جبريل عليه السلام فلما نبع الماء أخذت هاجر شنة لها وجعلت تستقي فيها تدخره فقال لها جبريل عليه السلام انهاري وجعلت أم اسمعيل تحبسها حبسا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا انها عجلت لكانت زمزم عينا معينا وقال لها جبريل لاتخافي الظمأ على أهل هذه البلدة فانها عين يشرب منها ضيفان الله تعالى وقال لها أما ان أبا هذا الغلام سيجيء فيبنيان لله تعالى بيتا هذا موضعه قالوا ومرت رفقة من جرهم تريد الشام فرأوا الطير على الجبل فقالوا ان هذا الطير لحائم على ماء فاشرفوا فاذا هم بالماء فقالوا لهاجر ان شئت كنا معك فآنسناك والماء ماؤك فأذنت لهم فنزلوا معها وهم أول سكان مكة فلذلك كانت العرب تقول في تلبيتها

لاهم ان جرهما عبادك * الناس طارف وهم تلادك * وهم قديما عمروا بلادك

فكانوا هنالك حتى شب اسمعيل وماتت هاجر فتزوج اسمعيل امرأة من جرهم وأخذ لسانهم فتعرب بهم فهم أولاده العرب المتعربة * ثم ان ابراهيم عليه السلام استأذن سارة أن يزور هاجر وابنها فأذنت له واشترطت عليه أن لاينزل فقدم ابراهيم عليه السلام مكة وقد ماتت هاجر ويقال انه قدمها راكبا البراق فلما قدمها ذهب الى بيت اسمعيل فقال لامرأته أين صاحبك قالت ليس ههنا ذهب يتصيد وكان اسمعيل يخرج من الحرم يتصيد ثم يرجع وكان مولعا بالصيد نخص بالقنص والفروسية والرمي والصراع فقال لها ابراهيم عليه السلام هل عندك ضيافة هل عندك طعام أو شراب قالت ليس عندي شيء وما عندي أحد فقال لها ابراهيم اذا جاء زوجك فاقرئيه مني السلام وقولي له فليغير عتبة بابه فذهب ابراهيم عليه السلام ودخل اسمعيل فوجد ريح أبيه فقال لامرأته هل جاءك أحد فقالت جاءني شيخ صفته كذا وكذا كالمستخفة بشأنه قال فما قال لك قالت قال اقرئي زوجك السلام وقولي له فليغير عتبة بابه فطلقها وتزوج أخرى فلبث ابراهيم عليه السلام ماشاء الله ثم استأذن سارة ان يزور اسمعيل فأذنت له واشترطت عليه أن لاينزل فجاء ابراهيم عليه السلام حتى انتهى الى باب اسمعيل فقال لامرأته أين صاحبك قالت ذهب يتصيد وهو يجيء الآن ان شاء الله تعالى فانزل يرحمك الله قال لها هل عندك ضيافة قالت نعم فجاءت باللبن واللحم فدعا لهم بالبركة فلو جاءت يومئذ بخبز أو بر أو شعير أو تمر لكانت مكة أكثر أرض الله برا وشعيرا وتمرا ثم قالت له انزل حتى أغسل رأسك وشعثك فلم ينزل فجاءته بالمقام فوضعته عند شقه الايمن فوضع قدمه عليه فبقي أثر قدمه فيه فغسلت شق رأسه الايمن ثم حولت المقام الى شقه الايسر فغسلت شق رأسه الايسر فقال لها اذا جاء زوجك فاقرئيه السلام وقولي له قد استقامت عتبة بابك فلما جاء اسمعيل وجد ريح أبيه فقال لامرأته هل جاء أحد قالت نعم جاءني شيخ أحسن الناس وجها وأطيبهم ريحا فقال لي كذا وكذا وقلت له كذا وكذا وغسلت له رأسه وهذا موضع قدميه على المقام فقال ذلك ابراهيم عليه الصلاة والسلام (وقال) أنس ابن مالك رأيت في المقام أثر أصابع ابراهيم عليه السلام وعقبيه وأخمص قدميه غير أنه أذهبه مسح الناس بايديهم (وأخبرنا) محمد بن أحمد بن عبدون قال أخبرنا محمد بن حمدون بن خالد حدثنا محمد بن ابراهيم حدثنا هدبة بن خالد حدثنا أبو يحيى بن جابر بن مسح الجرشي قال سمعت مسافر بن شيبة يقول سمعت عبد الله بن عمر يقول أشهد ثلاث مرات أني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الركن والمقام ياقوتتان من يواقيت الجنة طمس الله نورهما ولولا أن طمس الله نورهما لاضا آما بين المشرق والمغرب (الباب الرابع في القول على بقية قصة زمزم) (روت الرواة) عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال قال عبد المطلب بن هاشم بينا أنا نائم في الحجر اذ أتاني آت فقال لي احفر طيبة قلت وما طيبة فذهب عني ولم يجبني فلما كانت الليلة الثانية جاءني فقال احفر درة قلت وما

وأكون عاصيا لربي وربها (وحكى عن الامام محمد بن ادريس الشافعي رضي الله تعالى عنه أنه قال) رأيت بمكة نصرانيا يدعى بالاسقف وهو يطوف بالكعبة فقلت له ما الذي زهدك عن دين آبائك فقال بدلت خيرا منه فقلت كيف كان ذلك فقال وقع لي حكاية عجيبة ونكتة غريبة وذلك أني ركبت البحر في مركب فلما توسطنا البحر كسرت بنا المركب فنجوت على لوح منها فمازالت الامواج تدفعني حتى رمتني في جزيرة من جزائر البحر فرأيت فيها أشجارا كثيرة ولها ثمار أحلى من الشهد وألين من الزبد ورأيت فيها نهرا عذبا فقلت الحمد لله على ذلك فها أنا آكل من تلك الثمار وأشرب من ذلك الماء حتى يأتي الله بالفرج فلما ذهب النهار وجاء الليل خفت على نفسي من الدواب والهوام فعلوت شجرة وجلست على غصن من أغصانها فنمت على ذلك الغصن فلما كان وسط الليل اذا دابة على وجه الماء تسبح الله تعالى بلسان فصيح وتقول لا اله الا الله العزيز الغفار محمد رسول الله النبي المختار أبو بكر صاحبه في الغار عمر مفتاح الامصار عثمان القتيل في الدار علي سيف الله على الكفار فعلى مبغضهم لعنة الله الملك الجبار ومأواه جهنم وبئس القرار فمازالت تقول هذه الكلمات

دردةفذهب عنى ولم يجبنى فلما كانت الليلة الثالثة أتانى فقال احفر المصنونة قلت وما المصنونة فذهب عنى فلما كان من الغد رجعت الى مضجعى فنمت فجاءنى فقال احفر زمزم فقلت وما زمزم وكانت قد درست وغار ماؤها لما مضت أيام اسمعيل عليه السلام قال بئر يستقى الحجيج منه عند منحر قريش عند نقرة الغراب وقرية النمل فلما تبين له قام فدخل على موضعها وعرف انه قد صدق فغدا بمعوله ومعه الحرث بن عبد المطلب وليس له ولد غيره يومئذ فلما نامت بها قريش قاموا اليه فقالوا يا عبد المطلب انها من آثار أبينا اسمعيل وان لنا فيها حقا فاشركنا فيها فقال ما أنا بفاعل ان هذا شئ خصصت به دونكم وأعطيته من بينكم قالوا له فانصفنا فانا غير تاركيك حتى نخاصمك قال فاجعلوا بينى وبينكم من شئتم أخاصمكم اليه قالوا كاهنة بنى سعد بن هذيل قال نعم وكانت من أطراف الشام فركب عبد المطلب ومعه نفر من بنى عبد مناف فركب من كل قبيلة من قريش نفر قال والارض اذ ذاك مفاوز فخرجوا حتى اذا كانوا ببعض تلك المفاوز نفد ما كان معهم من الماء حتى أيقنوا بالهلكة فاستسقوا من معهم من قبائل قريش فأبوا عليهم وقالوا انا بمفازة وانا نخشى على أنفسنا أن يصيبنا مثل ما أصابكم فلما رأى عبد المطلب ما صنع القوم قال لاصحابه ماذا ترون قالوا ان رأينا تبع لرأيك فأمرنا بما شئت قال فانى أرى أن يحفر كل رجل منكم لنفسه حفرة بما يجد من القوة فكل من مات منا دون صاحبه دفنه فى حفرته قال فحفروا وجلسوا ينتظرون الموت ثم قال عبد المطلب وما لنا لا نضرب فى الارض فعسى الله تعالى أن يرزقنا ماء فارتحلوا ومن معهم من قريش ينظرون اليهم ما هم فاعلون وتقدم عبد المطلب الى راحلته فركبها فلما أن انبعثت به انفجرت من تحت حوافر دابة عبد المطلب عين ماء عذب فكبر عبد المطلب وكبر أصحابه ثم نزل فشرب منه وشرب أصحابه حتى رووا وملؤا أسقيتهم ثم دعا القبائل من قريش فقال هلموا الى الماء فقد سقانا الله تعالى وايا كم فشربوا وسقوا ثم قالوا قد والله قضى الله لك علينا يا عبد المطلب والله لا نخاصمك فى زمزم أبدا ان الذى سقاك هذا الماء فى هذه الفلاة فهو ساقيك زمزم فارجع فرجع ورجعوا حتى وافوا مكة وخلوا بينه وبين زمزم ولما جن الليل رأى عبد المطلب فى منامه كان قائلا يقول له

يا أيها المدلج احفر زمزم * انك ان حفرتها لم تندم

وهى تراث من أبيك الاعظم * تسقى الحجيج حافلا لم ينقم

فلما سمعه عبد المطلب قال وأين موضع زمزم قيل له عند قرية النمل حيث ينقر الغراب الاعصم قال فغدا عبد المطلب ومعه ابنه الحرث فوجد قرية النمل ووجد الغراب ينقر عند الوثنين اساف ونائلة اللذين كانت قريش تعبدهما وتنحر عندهما فجاء بالمعول وقام ليحفر حيث أمر اليه فقامت قريش وقالوا والله لا نتركك أن تحفرها وثنانا ومنحرنا عندها وكانت قريش حسدوه على ذلك لانهم أخبروا ان جرهما لما سكنت مكة أودعت فى زمزم أموالا وأسلحة للمصطفى صلى الله عليه وسلم لما أخبرت أن الله تعالى باعث فى هذه القرية نبيا من صفته وحاله كيت وكيت ولم يكونوا عرفوا موضعها فلما أخبر بذلك عبد المطلب نازعوه فى ذلك فقال بعضهم لبعض دعوه فهو فربما يخطئ الموضع فحفر غير بعيد فظهرت له العلامات فكبر فعرفوا انه لم يخطئ فتمادى حتى بلغ الى تمثالين من ذهب وهما الغزالان اللذان دفنتهما جرهم ووجد فيها سيوفا ودروعا فقالت له قريش يا عبد المطلب لنا معك فى هذا شركة قال لا ولكن نضرب بالقداح عليه قالوا وكيف نصنع قال اجعلوا للكعبة قدحين ولى قدحين ولكم قدحين فمن خرج قدحاه على شئ كان له ومن تخلف قدحاه فلا شئ له قالوا أنصفت فجعل قدحين أصفرين للكعبة وقدحين أسودين لعبد المطلب وقدحين أبيضين لقريش ثم أعطوا القداح التى تضرب بها عند هبل وقام عبد المطلب يدعو فخرج السهمان الاصفران على الغزالين للكعبة وخرج الاسودان على الاسياف والادرع لعبد المطلب وتخلف قدحا قريش قال فعلق عبد المطلب الاسياف والادرع بباب الكعبة وضرب فى الباب الغزالين الذهب فكان أول ذهب حليت به الكعبة وكانت الرياسة والتقدمة لعبد المطلب قبل حفر زمزم فلما حفرها وأخرج منها ما أخرج ازداد بذلك فى قريش عظما وجاها ومنزلة وعافت الحجيج المياه التى كانت بمكة ونواحيها وأقبلوا على زمزم لما كان من عذوبة مائها لكونها من أثر اسمعيل عليه السلام وافتخرت بذلك بنو عبد مناف على قريش وعلى سائر العرب والله أعلم ﴿الباب الخامس فى صفة بناء الكعبة وبدء أمرها الى وقتنا هذا﴾

(أخبرنا) أبو عمر وأحمد بن أبى أحمد الفراتى أخبرنا الحسن بن المغيرة بن عمر بن الوليد الغربى بمكة حدثنا أبو

الى أن طلع الفجر فلما همت بالانصراف قالت لا اله الا الله الملك المجيد محمد رسول الله الهادى الرشيد أبو بكر الصديق الصادق الشديد عمر ابن الخطاب سور من حديد عثمان بن عفان القتيل الشهيد على ابن أبى طالب ذو البأس الشديد فعلى مبغضهم لعنة الرب المجيد قال فلما وصلت تلك الدابة الى البراذا رأسها رأس نعامة ووجهها وجه انسان وقوائمها قوائم بعير وذنبها ذنب سمكة فخفت على نفسى منها فالتفتت الى وقالت قف فوقفت لها فقالت لى ما دينك فقلت لها دين النصرانية فقالت بئس الدين ويحك يا خاسر ارجع الى دين الحنيفية فانك قد حللت بفناء قوم من مؤمنى الجن ولا ينجو منهم الا كل مسلم قال فقلت لها وكيف الاسلام فقالت تشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله قال فقلتها فقالت كمل اسلامك بالترضى عن أبى بكر وعمر وعثمان وعلى فقلت ذلك ثم قلت لها من أخبركم بذلك فقالت قوم حضروا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعوه يقول اذا كان يوم القيامة تأتى الجنة فتنادى بلسان طلق اللهم انك قد وعدتنى أن تشيد أركانى فيقول لها الجليل جل جلاله قد شيدت أركانك بأبى بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله تعالى عنهم

عبد المفضل بن محمد بن ابراهيم المفضل حدثنا عبد الله بن أبي غسان اليماني حدثنا أبو همام حدثنا محمد بن زياد عن ميمون بن مهران عن ابن عباس قال قال اليماني قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان البيت قبل هبوط آدم عليه السلام ياقوتة من يواقيت الجنة والبيت المعمور الذي في السماء يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يعودون اليه الى يوم القيامة حذاء الكعبة الحرام وان الله تعالى أهبط آدم عليه السلام الى موضع الكعبة وهو مثل الفلك من شدة رعدته وأنزل عليه الحجر الاسود وهو يتلألأ كأنه لؤلؤة بيضاء فأخذه آدم فضمه اليه استئناسا به ثم أخذ الله تعالى من بني آدم ميثاقهم فجعله في الحجر ثم أنزل الله تعالى على آدم العصا ثم قال يا آدم تخط فتخطى فاذا هو بارض الهند فمكث هناك ماشاء الله أن يمكث ثم استوحش الى البيت فقيل له حج يا آدم فاقبل يتخطى فصار موضع كل قدم قرية وما بين ذلك مفاوز حتى قدم مكة فلقيته الملائكة فقالت بر حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفي عام ثم قال فما كنتم تقولون حوله قالوا كنا نقول سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر فكان آدم اذا طاف بالبيت قال هذه الكلمات وكان آدم يطوف بالبيت سبعة أسابيع خمسة أسابيع بالليل وبالنهار أسبوعين فقال آدم يارب اجعل لهذا البيت عمارا يعمرونه من ذريتي فأوحى الله تعالى اليه اني معمره بنبي من ذريتك اسمه ابراهيم أتخذه خليلا أقضي على يديه عمارته وأنيط له سقايته وأورثه حله وحرمه ومواقفه وأعلمه مشاعره ومناسكه فلما فرغ من بنائه نادى يا أيها الناس ان الله تعالى بنى بيتا فحجوه فاسمع ما بين الخافقين فاقبل من يحج هذا البيت من الناس يقولون لبيك لبيك وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان آدم عليه السلام سأل ربه عز وجل فقال يارب أسألك لمن مات في هذا البيت من ذريتي لا يشرك بك شيأ أن تلحقه بي في الجنة فقال الله تعالى يا آدم من مات في الحرم لا يشرك بي شيأ بعثته آمنا يوم القيامة (وروت الرواة) باسانيد مختلفة ان آدم عليه السلام لما أهبط الى الارض كان رجلاه في الارض ورأسه في السماء يسمع كلام أهل السماء ودعاءهم وتسبيحهم ويأنس اليهم فهابته الملائكة واشتكت ذلك الى الله عز وجل فنقصه الله تعالى الى ستين ذراعا بذراع آدم فلما فقد آدم عليه السلام ما كان يسمع من أصوات الملائكة وتسبيحهم استوحش وشكا ذلك الى الله عز وجل فأنزل الله تعالى ياقوتة من يواقيت الجنة فكانت على موضع البيت الآن ثم قال يا آدم اني أهبطت لك بيتا تطوف به كما يطاف حول عرشي وتصلي عنده كما كنت تصلي عند عرشي فتوجه آدم عليه السلام الى مكة ورأى البيت فطاف به (وروى) أبو صالح عن ابن عباس قال أوحى الله تعالى الى آدم عليه السلام ان لي حرما بحيال عرشي فانطلق فابن لي بيتا فيه ثم حف به كما رأيت الملائكة يحفون بعرشي فهنالك أستجيب لك ولولدك من كان منهم في طاعتي قال آدم رب كيف لي بذلك ولا أقوى عليه ولا أهتدي اليه فقيض الله له ملكا فانطلق نحو مكة فكان آدم عليه السلام اذا مر بروضة وبمكان يعجبه قال للملك انزل بي ههنا فيقول له الملك مكانك حتى قدم مكة فكان كل مكان نزل فيه عمرانا وكل مكان تعداه مفاوز وقفارا ثم بنى البيت فلما فرغ من بنائه خرج به الملك الى عرفات فأراه المناسك كلها التي يفعلها الناس كلها اليوم ثم قدم به مكة وطاف بالبيت أسبوعا ثم رجع الى أرض الهند فمات على نور * قال أبو يحيى بائع القت قال لي مجاهد لقد حدثني عبد الله بن عباس ان آدم نزل حين نزل بالهند ولقد حج منها أربعين حجة على رجليه فقلت له يا أبا الحجاج ألا كان يركب قال وأي شيء كان يحمله والله ان خطوته مسيرة ثلاثة أيام * وقال وهب بن منبه ان آدم عليه السلام لما أهبط الى الارض فرأى سعتها ولم ير فيها أحدا غيره قال يارب أما لهذه الارض عامر يسبح بحمدك ويقدس لك غيري قال الله تعالى اني سأجعل فيها من ولدك من يسبح بحمدي ويقدسني وسأجعل فيها بيوتا ترفع بذكري ويسبح فيها خلقي ويذكر فيها اسمي وسأجعل من تلك البيوت بيتا أخصه بكرامتي وأوثره باسمي وأسميه بيتي أنطقه بعظمتي وعليه وضعت جلالي ثم أجعل ذلك البيت حرما آمنا يحرم بحرمته من حوله ومن تحته ومن فوقه فمن حرمه بحرمتي فقد استوجب بذلك كرامتي ومن أخاف أهله فقد ضيع ذمتي وخفر ذمتي وأباح حرمتي أجعله أول بيت وضع للناس يأتونه شعثا غبرا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق يضجون بالتلبية ضجيجا ويثجون بالبكاء ثجيجا ويعجون بالتكبير عجيجا فمن أثره لا يريد غيره فقد وفد وزارني وضافني وحق على الكريم أن يكرم وفده وأضيافه وأن ينعم ويتفضل ويسعف كلا بحاجته تعمره يا آدم ما كنت حيا ثم يعمره الامم والقرون والانبياء من ولدك أمة بعد أمة وقرنا بعد قرن فهكذا كان بدء أمر الكعبة حرسها الله تعالى ثم كانت على ذلك الى أيام الطوفان فلما كان أيام الطوفان رفعه الله تعالى الى

أجمعين ثم قالت الداية تريد أن تكون عندنا أو الرجوع الى أهلك فاخترت الرجوع الى أهلي فقالت امكث مكانك حتى تأتيك مركب قال فمكثت مكاني ونزلت الداية الى البحر فغابت عن عيني غير ساعة واحدة حتى مرت على مركب عظيمة وفيها ركاب فاشرت اليهم تحملوني معهم فنظرت فاذا في المركب اثنا عشر رجلا كلهم نصارى فاخبرتهم بخبري وقصصت عليهم قصتي فاسلموا كلهم فعلمت ان لهؤلاء الاقوام سرا عظيما اذ ببركتهم حصل لنا الاسلام ونلنا أعلى مقام ولله الحمد على التوفيق وبلوغ المرام وأنشدت أقول شعرا

قوم لهم عند رب العرش منزلة ... وحرمة وبشارات واكرام
فازوا بصحبة خير الخلق واتصفوا ... وصفه فهم للناس أعلام
ففي أبي بكر الصديق قد وردت ... آثار فضل لها في الذكر أحكام
وبعده عمر الفاروق صاحبه ... به تكمل في الآفاق اسلام
وهكذا البر عثمان الشهيد له ... في الليل ورد وبالقرآن قوام
وللامام علي المرتضى منح ... له احترام واعزاز واكرام
هم الصحابة للمختار قد وضحوا ... طرق الهدى وعلى الخيرات قد داموا

السماء الرابعة وبعث جبريل عليه السلام حتى خبأ الحجر الاسود في جبل أبي قبيس صيانة له من الغرق فكان موضع البيت خاليا الى زمان ابراهيم عليه السلام ثم ان الله تعالى أمر ابراهيم بعد ما ولد له اسمعيل واسحق عليهما السلام ببناء بيت له يعبد فيه ويذكر اسمه فلم يدر ابراهيم في أي موضع يبنيه فسأل الله عز وجل أن يبين له ذلك (واختلف) العلماء في كيفية بيان ذلك فقال قوم بعث الله تعالى اليه السكينة لتدله على موضع البيت كما حدث سماك بن حرب عن خالد بن عرعرة ان رجلا قام الى علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال ألا تخبرني عن البيت أهو أول بيت وضع للناس فقال لا ولكنه أول بيت وضع فيه البركة وضع فيه مقام ابراهيم عليه السلام ومن دخله كان آمنا وان شئت أنبأتك كيف بني ان الله عز وجل أوحى الى ابراهيم عليه السلام أن ابن لي بيتا في الارض فضاق بذلك ابراهيم ذرعا فارسل الله عز وجل السكينة وهي ريح خجوج ولها رأسان فاتبع أحدهما صاحبه حتى انتهيا الى صاحبه فتطوقت على موضع البيت كطوق الجحفة وأمر ابراهيم أن يبني حيث تستقر السكينة فبنى بيته وقال آخرون أرسل الله تعالى اليه سحابة على قدر الكعبة فجعلت تسير معه الى أن قدم مكة فوقفت في موضع البيت ونودي يا ابراهيم ابن على ظلها لا تزد ولا تنقص وقال بعضهم ان الذي خرج مع ابراهيم عليه السلام من الشام لدلالته على موضع البيت جبريل عليه السلام وذلك قوله عز وجل واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت الآية قالوا فجعل ابراهيم يبنيه واسمعيل يناوله الحجارة وكان ابراهيم عبرانيا واسمعيل عربيا فألهم الله تعالى أحدهما لسان صاحبه فكان ابراهيم عليه السلام يقول هب لي كينا يعني هات لي حجرا فيقول له اسمعيل هاك خذه فبنيا الكعبة من خمسة أجبل طور سيناء وطور زيتا ولبنان والجودي وبنيت قواعده من حراء قال فبقي حجر فذهب اسمعيل يبتغيه ثم رجع فوجده قد ركب الحجر في مكانه فقال يا أبت من أتاك بهذا الحجر فقال له أتاني به من لم يكلني اليك ثم قال ابراهيم لاسمعيل ائتني بحجر حسن أضعه على الركن ليكون علما للناس فناداه أبو قبيس يا ابراهيم ان لك عندي وديعة فهاك خذها فاخرج ابراهيم عليه السلام الحجر الاسود من جبل أبي قبيس وركبه في موضعه فلما فرغ ابراهيم واسمعيل من بناء البيت وأتما دعوا ربهما فذلك قوله تعالى واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم الى قوله وأرنا مناسكنا وتب علينا انك أنت التواب الرحيم فأجاب الله تعالى دعاءهما وأرسل جبريل عليه السلام اليهما ليعلمهما مناسك الحج فخرج بهما يوم التروية الى منى فصلى بهما الظهر والعصر والمغرب والعشاء ثم بات بهما حتى أصبح فصلى بهما الصبح ثم غدا بهما الى عرفة فقام بهما هنالك حتى اذا مالت الشمس جمع بين الصلاتين الظهر والعصر ثم راح بهما الى الموقف من عرفة فوقف بهما على الموضع الذي يقف عليه الناس اليوم فلما غربت الشمس دفع بهما الى المزدلفة فجمع بين الصلاتين المغرب والعشاء ثم بات بهما حتى طلع الفجر ثم صلى بهما صلاة الغداة فوقف بهما على قزح حتى اذا أسفر الصبح أفاض بهما الى منى فاراهما كيف يرميان الجمار ثم أمرهما بالذبح وأراهما المنحر من منى وأمرهما بالحلق ثم أفاض بهما الى البيت فاوحى الله تعالى الى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين ثم أمر الله تعالى ابراهيم عليه السلام أن يؤذن في الناس بالحج فقال يا رب وما يبلغ صوتي فقال عليك الاذان وعلى البلاغ فعلا ثبيرا ونادى يا عباد الله ان ربكم قد بنى بيتا فحجوه وأجيبوا داعي الله فسمعوا ما بين السماء والارض وما بين الابحر ومن في أصلاب الرجال وأرحام النساء فاجابه كل من آمن بالله ممن سبق في علم الله تعالى أن يحج الى يوم القيامة لبيك اللهم لبيك (وقال) عبد الله بن الزبير لعبيد بن عمير استقبل ابراهيم عليه السلام اليمن والمشرق والمغرب والشام فدعا الى الحج فاجيب لبيك اللهم لبيك وذلك قوله عز وجل وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق الآيات فلم يزل البيت على ما بناه ابراهيم عليه السلام الى سنة خمس وثلاثين من مولد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وذلك قبل مبعثه بخمس سنين فهدمت قريش الكعبة ثم بنتها وكان السبب في ذلك على ما ذكر محمد ابن اسحق وغيره من أهل الاخبار أن الكعبة كانت رضمة فوق القامة فارادوا رفعها وتسقيفها وكان البحر قد رمى بسفينة الى جدة لرجل من تجار الروم فتحطمت فاخذوا خشبها فاعدوه لسقفها وكان بمكة رجل قبطي نجار فهيأ لهم في أنفسهم بعض ما يصلحها وكانت حية تخرج من بئر الكعبة التي يطرح فيها ما يهدى لها كل يوم فتشرف على جدار الكعبة وكانوا يهابونها وذلك أنه كان لا يدنو منها أحد الا كشرت وفتحت فاها فكانوا يهابونها فبينما هي ذات

عليهم من سلام الله أطيبه * ما أفطر الناس يوم الشك أو صاموا وروى عن أبي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال دخلت الجنة فبينما أنا أطوف برياضها وأنهارها وأشجارها اذ رأيت شجرة فضربت بيدي الى ثمرة فاخذتها فانفلقت في يدي عن أربع قطع فخرج من كل قطعة حورية لو أخرجت طرفها لفتنت أهل السموات والارض وان أظهرت كفها الغلب ضوؤه ضوء الشمس والقمر ولو تبسمت لملات ما بين السماء والارض مسكا فقلت لمن أنت فقالت لابي بكر الصديق رضي الله عنه فقلت لها امضي الى قصر بعلك فمضت وقلت للثانية لمن أنت فقالت لعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فقلت لها امضي الى قصر بعلك فمضت ثم قلت للثالثة لمن أنت فقالت للمختضب بدمه المقتول ظلما وعدوانا عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه فقلت لها امضي الى قصر بعلك فمضت وقلت للرابعة لمن أنت فسكتت ثم قالت يا رسول الله ان الله سبحانه وتعالى خلقني على حسن فاطمة وقد سماني باسمها وزوجني لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه قبل أن تزوج بفاطمة الزهراء بألف عام * وهم خلفاء النبي صلى الله عليه وسلم وأنصاره وأتباعه وهم حاكون

يوم على جدار الكعبة كما كانت تصنع فبعث الله طائرا فاختطفها فذهب بها وقالت قريش انا نرجو أن الله تعالى
قد رضي ما أردناه من عمارة بيته وان عندنا عاملا رفيقا وخشبا وقد كفانا الله تعالى الحية وذلك بعد حرب الفجار
بخمس عشرة سنة فلما أجمعوا أمرهم على هدمها وبنائها قام أبو وهب بن عمرو بن عمير بن عامر بن عمرو بن مخزوم
فتناول من الكعبة حجرا فوثب من يده حتى رجع الى موضعه فقال يا معشر قريش لا تدخلوا في بنائها من كسبكم
الا طيبا ولا تدخلوا فيها من مهر بغي ولا بيع ربا ولا مظلمة أحد من الناس ثم ان الناس هابوا هدمها فقال الوليد بن
المغيرة أنا أبدأكم في هدمها فأخذ المعول ثم قام عليها وهو يقول اللهم لا نريد الا الخير ثم هدم من ناحية الركنين
فتربص الناس به تلك الليلة وقالوا ننظره فان أصيب لم نهدم منها شيأ ورددناها كما كانت وان لم يصبه شيء فقد رضي
الله تعالى بما فعلنا فأصبح الوليد من ليلته غاديا على عمله فهدم وهدم الناس معه حتى انتهى الهدم الى الاساس
أفضوا الى حجارة خضر كأنها أسنمة الابل آخذ بعضها ببعض فأدخل رجل من قريش عتلة بين حجرين منها ليقلع
أحدهما فلما تحرك الحجر تحركت مكة بأسرها فعلموا أنهم قد انتهوا الى الاساس ثم ان القبائل قد اجتمعت لبنائها
فجعلت كل قبيلة تجمع على حدتها ثم بنوا فلما بلغوا في البنيان الى موضع الركن اختصموا فيه فكل قبيلة
أرادت أن تضعه في صفة دون الاخرى حتى تحالفوا وتحالفوا وتواعدوا للقتال فقربت بنو عبد الدار جفنة مملوءة
دما ثم تعاقدوا هم وبنو عدي بن كعب على الموت وأدخلوا أيديهم في ذلك الدم فسموا لعقة الدم بذلك فمكثوا أربع
ليال أو خمس ليال على ذلك ثم انهم اجتمعوا في المسجد وتشاوروا وتناصفوا فزعم بعض الرواة أن أبا أمية بن
المغيرة كان حينئذ أسن قريش كلها فقال لهم يا معشر قريش اجعلوا بينكم فيما تختلفون فيه أول من يدخل عليكم
من باب هذا المسجد يقضي بينكم فيه فرضوا بذلك وتوافقوا عليه فكان أول من دخل عليهم محمد رسول الله صلى
الله عليه وسلم فلما رأوه قالوا هذا محمد الامين قد رضينا به فلما انتهى اليهم وأخبروه الخبر قال هلموا الى ثوب فأتوا
به فأخذ الركن فوضعه فيه بيده ثم قال لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعا ففعلوا ذلك حتى اذا
بلغوا به موضعه وضعه بيده ثم بني عليه قالوا فكانت الكعبة كذلك على ما بنته قريش الى سنة أربع وستين من
الهجرة حتى حاصر الحصين بن نمير السكوني عبد الله بن الزبير فقذفوا البيت بالمنجنيق وأخذوا يرتجزون
ويقولون حطارة مثل الفنيق المزبد * نرمي بها عيدان هذا المسجد
وقال آخر منهم كيف ترى صنيع أم فروة * تأخذهم من الصفا والمروة
أم فروة اسم منجنيق فمالت حيطان الكعبة مما رميت به من حجارة المنجنيق وانها مع ذلك احترقت وكان السبب
فيه أنهم كانوا يوقدون حولها فاقبلت شرارة هبت بها الريح فاحرقت باب الكعبة واحترق خشب البيت (وقال
الواقدي) حدثني عبد الله بن زيد قال حدثني عروة بن أذينة قال قدمت مكة مع أمي يوم احترقت الكعبة وقد
خلصت اليها النار ورأيت الركن قد اسود وانصدعت منه ثلاثة أمكنة فقلت ما أصاب الكعبة فأشاروا الى رجل
من أصحاب ابن الزبير قالوا احترقت بسبب هذا أخذ قبسا في رأس رمح له فطارت الريح به فضربت أستار الكعبة
بين الركن اليماني والحجر الاسود (وقال) بعضهم كان السبب في ذلك امرأة كانت تبخر البيت فطارت شرارة من
النار فاحترق البيت وكان أول ما تكلم الناس في القدر يومئذ فقال قوم هو من قدرة الله وقال قوم ليس من
قدرة الله قالوا فهدم عبد الله بن الزبير الكعبة حتى سواها بالارض وكان الناس يطوفون بها من وراء الاساس
ويصلون الى موضعها وجعل الحجر الاسود عنده في تابوت في خرقة من حرير وجعل ما كان من حلي البيت وما
وجد فيه من ثياب وطيب عند الحجبة في خزانة البيت ثم أعاد بناءه وقال ان أمي اسماء بنت أبي بكر حدثتني أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لعائشة لولا حداثة عهد قومك بالكفر لرددت الكعبة على أساس ابراهيم ولزيد
في الكعبة الحجر وان قريشا أعوزتهم النفقة فأخرجوا الحجر من البيت ولجعلت لها بابين بابا شرقيا وبابا غربيا فامر
به ابن الزبير فحفر فوجدوا قلاعا أمثال الابل فحركوا منها صخرة فبرقت برقة فقال أقروها على أساسها فبناها ابن
الزبير وأدخل فيها الحجر وجعل لها بابين يدخل من أحدهما ويخرج من الآخر فكانت الكعبة على ما بناها ابن
الزبير الى سنة أربع وسبعين حتى قتل الحجاج بن يوسف الثقفي عبد الله بن الزبير وولي الحجاز من قبل عبد الملك
ابن مروان فنقض الحجاج بنيان الكعبة الذي كان بناه ابن الزبير بأمر عبد الملك وأعادها الى بنائها الاول بمشهد

به يوم القيامة الى دار الكرامة رضي الله تعالى عنهم ورضي الله عنا بهم آمين * وحكي عن رافع بن عبد الله رضي الله عنه انه قال *
قال لي هاشم بن يحيى الكناني ألا أحدثك حديثا رأيته بعيني وسمعته بأذني وشهدته بنفسي ونفعني الله به فعسى أن ينفعك فقلت حدثني يا أبا الوليد فقال غزونا أرض الروم في سنة ثمان وثمانين وكان معنا رجل يقال له سعيد بن الحرث وكان ذا حظ من العبادة يصوم النهار ويقوم الليل فان سرنا درس القرآن وان أقمنا ذكر الله تعالى فجاءت ليلة خفنا فيها فخرجت أنا واياه نحرس القوم وكنا محاصرين العدو عند حصن من الحصون صعب علينا امره فرأيت من سعيد من العبادة في تلك الليلة وصبره على التعب ما تعجبت منه فلما طلع الفجر قلت له يرحمك الله ان لنفسك عليك حقا فلو رحمتها كان خيرا لك فبكى وقال يا أخي انما هي أنفاس تعد وعمر يفنى وأيام تنقضي وأنا رجل أرتقب الموت قال فابكاني ذلك فقلت له أقسمت عليك بالله ما دخلت الخيام واسترحت فدخل ونام قليلا وأنا جالس ظاهر الخيمة
فسمعت كلاما في الخيمة ولم يكن في الخيمة سواه فتقدمت اليه فاذا هو يضحك في نومه ويتكلم بكلام فحفظت من كلامه ان قال لا أحب أن

مسايخ من قريش فهى اليوم على مابناها الحجاج الاما كان من قلع القرمطى صاحب البحرين لعنه الله الحجر الاسود عام أوقع بالحجيج بمكة فذهب به مع من أسر من الحاج الى البحرين ثم أخذ منه ورد الى موضعه وذلك على يد شيخنا أبى اسحق ابراهيم بن محمد بن يحيى البرمكى النيسابورى رحمة الله عليه

﴿الباب السادس فى ذكر أمر الله تعالى خليله عليه السلام بذبح ولده﴾

قال الله تعالى فلما بلغ معه السعى قال يابنى انى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى قال ياأبت افعل ماتؤمر ستجدنى ان شاء الله من الصابرين * واختلف السلف من علماء المسلمين فى الذى أمر ابراهيم عليه السلام بذبحه من ابنيه بعد اجماع أهل الكتاب على انه كان اسحق عليه السلام فقال قوم هو اسحق واليه ذهب من الصحابة عمر ابن الخطاب رضى الله عنه وعلى بن أبى طالب ومن التابعين وأتباعهم كعب الاحبار وسعيد بن جبير والقاسم بن أبى برة ومسروق بن الاجدع وعبد الرحمن بن أبى سابط وأبو الهذيل والزهرى والسدى (روى) شعبة عن أبى اسحق عن ابى الاحوص قال افتخر رجل عند عبد الله بن مسعود قال أنا فلان بن فلان ابن الاشياخ الكرام فقال عبد الله ذاك يوسف بن يعقوب بن اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله (وروى) سفيان عن زيد بن أسلم عن عبيد الله بن عبيد بن عمير عن أبيه عن جده قال قال موسى عليه السلام يارب يقولون ياإله ابراهيم واسحق ويعقوب فلم قالوا ذلك ان ابراهيم لم يعدل بى شيأ قط الا اختارنى عليه وان اسحق جادنى بالذبح فهو بغير ذلك أجود وان يعقوب كلما زدته بلاء زادنى حسن ظن (وروى) حمزة بن الزيات عن أبى اسحق عن أبى ميسرة قال قال يوسف عليه السلام لملك مصر أترغب ان تأكل معى وأنا والله يوسف بن يعقوب نبى الله ابن اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله * وقال الآخرون هو اسمعيل والى هذا القول ذهب عبد الله بن عمر وأبو الطفيل عامر بن واثلة وسعيد بن المسيب والشعبى ويوسف بن مهران ومجاهد وكان الشعبى يقول رأيت قرنى الكبش منوطين بالكعبة (وروى) عمر بن عبيد عن الحسن البصرى انه كان لايشك فى أن الذى أمر بذبحه من ابنى ابراهيم عليه السلام هو اسمعيل وهى رواية عطاء بن أبى رباح عن عبد الله بن عباس قال المفدى اسمعيل وزعمت اليهود انه اسحق وكذبت اليهود (وروى) محمد بن اسحق عن محمد بن كعب القرظى انه كان يقول ان الذى أمر الله تعالى ابراهيم بذبحه من ابنيه اسمعيل وانا لنجد ذلك فى كتاب الله تعالى فى قصة الحق عن ابراهيم عليه السلام وما أمر به من ذبح ابنه أنه اسمعيل وذلك أن الله عز وجل يقول حين فرغ من قصة المذبوح من ابنى ابراهيم وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين وقال تعالى فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب يقول بابن وابن ابن فلم يكن يأمره بذبح اسحق وله فيه من الله تعالى من الموعود ماوعده وما الذى أمر بذبحه الا اسمعيل قال محمد بن كعب القرظى فذكرت ذلك لعمر بن عبد العزيز وهو خليفة اذ كنت معه بالشأم فقال لى عمر ان هذا الشىء ما كنت أنظر فيه وانى لاراه كما قلت ثم أرسل الى رجل كان عنده بالشأم وكان يهوديا فأسلم وحسن اسلامه وكان يرى أنه من علماء اليهود فسأله عمر بن عبد العزيز عن ذلك وأنا عنده فقال له أى ابنى ابراهيم الذى كان أمر بذبحه فقال اسمعيل ثم قال والله ياأمير المؤمنين ان اليهود لتعلم ذلك ولكنهم يحسدونكم معشر العرب على أن يكون أبوكم الذى كان أمر الله بذبحه لما فيه من الفضل الذى ذكر أنه كان منه بصبره على ما أمر به فهم يجحدون ذلك ويزعمون انه اسحق لان اسحق أبوهم وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كلا القولين ولو كان فيهما قول صح بالاجماع لم يعزه أبو عبد الله الى غيره * فأما الرواة التى روت عنه ان الذبيح اسحق فأخبرنى أبو عبد الله بن الحسين بن محمد عن العباس بن عبد المطلب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى أراد ابراهيم أن يذبحه اسحق وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال الذى فداه الله بذبح عظيم اسحق وأخبرنا أبو عبد الله أخبرنا أحمد بن جعفر بن حمدان أخبرنا يوسف بن عبد الله بن ماهان أخبرنا موسى بن اسمعيل أنبأنا المبارك عن الحسن عن الاحنف بن قيس عن العباس بن عبد المطلب عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يشفع اسحق بعدى فيقول يارب صدقت نبيك وجدت بنفسى للذبح فلا تدخل النار من لايشرك بك شيأ قال فيقول الله وعزتى لا أدخل النار من لايشرك بى شيأ وأخبرنا أبو طاهر محمد بن المفضل بن محمد بن اسحق المزنى قراءة عليه سنة ثلاثة وثمانين وثلثمائة أنبأنا جدى أبو بكر بن محمد بن اسحق بن خزيمة امام الائمة أنبأنا على بن حجر أنبأنا عمر بن حفص عن أبان عن أبى

أرجع ثم مد يده اليمنى كأنه يلتمس شيأ ثم ردها ردا رفيقا وهو يضحك ثم قال والليلة ثم وثب من نومه وهو يرتعد فاحتضنته الى صدرى مليا وهو يلتفت يمينا وشمالا حتى سكن وعاد اليه فهمه فجعل يهلل ويكبر فقلت ما الخبر حدثنى فقال نعم فقلت سمعتك يا أخى تقول لا أحب ان أرجع ورأيتك مددت يدك ثم رددتها برفق فقال لا أخبرك فأقسمت عليه فقال وتكتم ذلك فقلت نعم ياسيدى فقال رأيت القيامة قد قامت وخرج الناس من قبورهم شاخصين منتظرين أمر ربهم فبينما أنا كذلك اذ أتانى رجلان لم أر أحسن منهما فسلما على فرددت عليهما السلام فقالا لى ياسعيد أبشر قد غفر ذنبك وشكر سعيك وقبل عملك واستجيب دعاؤك وعجلت لك البشرى فانطلق معنا حتى نريك ما أعد الله لك من النعيم فانطلقت معهم حتى أخرجانى من الموقف واذا أنا بخيل لاتسبقها خيل كأنها البرق الخاطف أو هبوب الريح العاصف فركبنا وسرنا حتى انتهينا الى قصر شاهق لايبلغ الطرف منتهاه كأنه صنع من فضة وله نور يتلألأ فلما وصلنا اليه انفتح بابه من قبل أن نستفتح فدخلنا فرأينا شيأ لايبلغه الواصفون ولا يخطر على قلب بشر وفيه من الحور

هريرة

هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله خيرنى بين ان يغفر لنصف امتى و بين أن اخبئ شفاعتى
فاخترت شفاعتى و رجوت أن يكون ذلك أعم لامتى ولولا الذى سبقنى اليه العبد الصالح لتعجلت منها دعوتى
وذلك ان الله تعالى لما فرج عن اسحق كرب الذبح قيل له يا اسحق سل تعط فقال أما والذى نفسى بيده لا تعجلنها
قبل نزغة الشيطان اللهم من مات لا يشرك بك شيأ فاغفر له وأدخله الجنة * وأما الرواة التى روت عنه صلى الله
عليه وسلم ان الذبيح اسمعيل فروى عمر بن عبد الرحمن الخطابى باسناده عن الصباحى قال كنا عند معاوية بن
أبى سفيان فذكر وا أن الذبيح اسمعيل أو اسحق فقال على الخبير سقطتم كنت عند رسول الله صلى الله عليه
وسلم فجاءه رجل فقال يا رسول الله أعد على ما أفاء الله عليك يا ابن الذبيحين فضحك رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقيل يا أمير المؤمنين ومن الذبيحان فقال ان عبد المطلب لما حفر زمزم نذر لربه ان سهل الله عليه أمرها
ليذبحن أحد ولده قال فخرج السهم على عبد الله فمنعه أخواله وقالوا له افد ولدك بمائة من الابل ففداه بمائة من
الابل والثانى اسمعيل فهذا ما ورد من الاخبار وفى القرآن ما يدل على صحة كل واحد من القولين فاما الدليل على
أنه اسحق فهو ان الله تعالى أخبر عن ابراهيم عليه السلام حين فارق قومه مهاجرا الى الشام مع سارة ولوط وقال انى
ذاهب الى ربى سيهدين انه دعا فقال رب هب لى من الصالحين يعنى ولدا صالحا من الصالحين وذلك قبل أن يعرف
هاجر وقبل أن تصير له أم اسمعيل ثم اتبع ذلك الخبر عن اجابة دعوته وتبشيره اياه بغلام حليم وعن رؤيا ابراهيم أن
يذبح ذلك الغلام الذى بشر به حين بلغ معه السعى وليس فى القرآن انه بشر بولد ذكر الا باسحق وأما الدليل على
أنه اسمعيل فما ذكرناه من حديث القرنين وقد صح الخبر ان قرنى الكبش كانا معلقين بالكعبة الى أن احترق
البيت فاحترق القرنان فى أيام ابن الزبير والحجاج وهذا أدل دليل على أن الذبيح اسمعيل ﴿وأما قصة الذبح وصفته
وفعل ابراهيم بابنه عليهما السلام﴾ قال السدى باسناده لما فارق ابراهيم الخليل عليه السلام قومه مهاجرا الى
الشام هاربا بدينه كما قال تعالى وقال انى ذاهب الى ربى سيهدين دعا الله أن يهب له ابنا صالحا من سارة فقال رب
هب لى من الصالحين فلما نزل به أضيافه من الملائكة المرسلين الى المؤتفكة بشروه بغلام حليم فقال ابراهيم لما
بشر به هو اذن لله ذبيح فلما ولد الغلام و بلغ معه السعى قيل له أوف بنذرك الذى نذرت قربانا الى الله تعالى وكان
هذا هو السبب فى أمر الله خليله ابراهيم عليه السلام بذبح ابنه فقال ابراهيم عند ذلك لاسحق انطلق نقرب قربانا
الى الله تعالى وأخذ سكينا وحبلا ثم انطلق معه حتى ذهب به بين الجبال فقال له الغلام يا أبت أين قربانك فقال يا بنى
انى أرى فى المنام انى أذبحك أى رأيت لفظه مستقبل ومعناه الماضى فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر
ستجدنى ان شاء الله من الصابرين قال ابن اسحق كان ابراهيم اذا زار هاجر واسمعيل حمل على البراق فيغدو
من الشام فيقيل بمكة ويرجع من مكة فيبيت عند أهله بالشام حتى اذا بلغ اسمعيل معه السعى وأخذ بنفسه ورجاه
لما كان يأمل فيه من عبادة ربه وتعظيم حرماته رأى فى المنام أن يذبحه فلما أمر بذلك قال لابنه يا بنى خذ الحبل والمدية
ثم انطلق بنا الى هذا الشعب لنحتطب فلما خلا ابراهيم بابنه فى شعب ثبير أخبره بما أمر به وقال يا بنى انى أرى فى المنام
أنى أذبحك الآية فقال له ابنه الذى أراد أن يذبحه يا أبت اشدد رباطى حتى لا أضطرب واكفف عنى ثيابك حتى
لا ينتضح عليها دمى فينقص أجرى وتراه أمى فتحزن واشحذ شفرتك وأسرع بمر السكين على حلقى ليكون أهون
للموت على فان الموت شديد فاذا أتيت أمى فاقرئها منى السلام فان رأيت أن ترد قميصى اليها فافعل فانه عسى أن يكون
أسلى لها عنى فقال له ابراهيم نعم العون يا بنى أنت على ما أمر الله به ففعل ابراهيم ما أمره ابنه ثم انه أقبل عليه يقبله وقد
ربطه وهو يبكى والابن يبكى حتى استنبع الدموع تحت خده ثم انه وضع السكين على حلقه فلم يجزع ولم يعمل
السكين شيأ قال السدى وضرب الله تعالى صفيحة من نحاس على حلقه فقال عند ذلك الابن يا أبت كبنى على
وجهى فانك ان نظرت الى وجهى رحمتنى وأدركتك على رقة تحول بينك و بين أمر الله ففعل ابراهيم ذلك
فذلك قوله تعالى فلما أسلما وتله للجبين ثم انه وضع السكين على قفاه فانقلبت ونودى يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا
الآية هذه ذبيحتك فداء لابنك فاذبحها دونه فنظر ابراهيم عليه السلام فاذا هو بجبريل عليه السلام ومعه كبش
أعين أملح أقرن فكبر الكبش وكبر ابراهيم وكبر ابنه فذلك قوله تعالى وفديناه بذبح عظيم قال سعيد بن جبير وغيره
عن ابن عباس خرج عليه الكبش من الجنة قد رعى فيها أربعين خريفا وروى عنه أيضا ان الكبش الذى فدى

والوصائف والولدان بعدد النجوم فلما رأونا أخذوا فى حسن أنغام من القول الحسن مختلف الالحان وهم يقولون هذا ولى الله قد
جاء فرحبا به وسهلا
فسرنا حتى انتهينا الى
مجالس ذات أسرة من
ذهب وهاج مكللة
بالجواهر محفوفة
بكراسى من اليواقيت
وعلى كل سرير جارية
أحسن من الشمس
والقمر لا يستطيع
أحد من الخلق أن
يصفها وفى وسطهن
واحدة عالية عليهن
فى طولها وكمالها
وجمالها فقال الرجلان
هذا منزلك وهؤلاء
أهلك وهنا مقيلك ثم
انصرفا عنى فوثبت
الجوارى الى بالترحيب
والاستبشار كما يكون
من أهل الغائب عند
قدومه عليهن ثم
حملونى حتى أجلسونى
على السرير الاوسط
الى جانب الجارية ثم
قلن هذه زوجتك
ولك أخرى مثلها وقد
طال انتظارهن اليك
فكلمتها وكلمتنى فقلت
لها وأين أنا فقالت فى
جنة المأوى فقلت
من أنت فقالت أنا
زوجتك الخالدة
فقلت وأين الاخرى
فقالت فى قصرك
الآخر فقلت لها أقيم
اليوم عندك وأتحول
فى غد الى الاخرى ثم
مددت يدى اليها
فردتها ردا رفيقا ثم قالت
أما اليوم فلا فانك راجع الى الدنيا وستقيم ثلاثا فقلت لا أحب أن أرجع فقالت لابد من ذلك وستفطر عندنا بعد الثلاثة أيام ان شاء الله تعالى

به عن ابراهيم عليهما السلام هو الكبش الذى قربه هابيل بن آدم فتقبل منه فأرسل ابراهيم ابنه واخذ الكبش وأتى به المنحر من منى فذبحه فوالذى نفس ابن عباس بيده لقد كان أول الاسلام وان رأس الكبش لمعلق بقرنيه فى ميزاب الكعبة قد وخش يعنى يبس وروى عمرو بن عبيد عن الحسن عن أبيه أنه كان يقول مافدى اسمعيل الا بكبش من الاروى أهبط عليه بثبير وهى رواية أبى صالح عن ابن عباس قال كان وعلا * وروى أبو هريرة عن كعب الاحبار وابن اسحق عن رجال قالوا لما رأى ابراهيم فى المنام أن يذبح ابنه قال الشيطان والله لئن لم أفتن عند هذا آل ابراهيم والا لم أفتن أحدا منهم أبدا فتمثل لهم الشيطان رجلا فأتى أم الغلام فقال لها أتدرين أين ذهب ابراهيم بابنك قالت ذهب به ليحتطب من هذا الشعب فقال لا والله ما ذهب به الا ليذبحه قالت كلا هو أرحم به منى وأشد حبا له من ذلك فقال لها انه يزعم ان الله أمره بذلك فقالت له ان كان أمره بذلك فقد أحسن فى امتثال طاعة ربه وفى استسلامه لامر الله تعالى فخرج الشيطان من عندها هاربا حتى أدرك الابن وهو يمشى على أثر أبيه فقال له يا غلام هل تدرى أين يذهب بك أبوك قال نحتطب لاهلنا من هذا الشعب قال لا والله ما يريد الا ذبحك قال ولم قال يزعم ان الله أمره بذلك قال له فليفعل ما أمره الله به فسمعا وطاعة لامر الله تعالى فلما امتنع منه الغلام أقبل على ابراهيم فقال له أين تريد أيها الشيخ قال أريد هذا الشعب لحاجة لى فقال والله انى لارى الشيطان قد جاءك فى منامك يأمرك بذبح ابنك هذا فعرفه ابراهيم فقال له اليك عنى يا ملعون فوالله لامضين لامر ربى فرجع ابليس لعنه الله بغيظه لم يصب من ابراهيم وأهله شيأ مما أراد وقد امتنعوا منه بعون الله وتأييده * وروى أبو الطفيل عن ابن عباس رضى الله عنهما أن ابراهيم عليه السلام لما أمر بذلك عرض له ابليس عند المشعر الحرام فسابقه فسبقه ابراهيم عليه السلام ثم ذهب الى جمرة العقبة فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم عرض له عند الجمرة الوسطى فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم أدركه عند الجمرة الكبرى فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم مضى ابراهيم عليه السلام لامر الله تعالى فهذه قصة الذبح وقال أمية بن أبى الصلت الثقفى فى ذلك شعرا

ولابراهيم الموفى بنذر * احتسابا وحامد الاجزال
بكره لم يكن ليصبر عنه * ولو رآه فى معشر اقتال
أبنى انى نذرتك لله * شحيطا فاصبر فذلك حالى
واشدد العضد عند جبذى للسكين * جبذ الاسير للاغلال
ولذمدية تخايل فى اللحم * غلاما جبينه كالهلال
بينما يخلع السراويل عنه * فكه ربه بكبش حلال
خذ ذا فدا لابنك انى * للذى قد فعلتما غير قالى
ربما تجزع النفوس من الامر * له فرجة كحل العقال

﴿الباب السادس فى هلاك النمرود بن كنعان وما أحل الله تعالى به من نقمته وقصة الصرح﴾

قال الله تعالى قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون * روت الرواة بأسانيد مختلفة أن أول جبار كان فى الارض النمرود بن كنعان وكان الناس يخرجون اليه ويمتارون من عنده الطعام فخرج اليه ابراهيم يمتار مع من يمتار وكان النمرود اذا مر به الناس قال لهم من ربكم قالوا أنت حتى مر به ابراهيم قال له من ربك قال ربى الذى يحيى ويميت قال أنا أحيى وأميت قال ابراهيم فان الله يأتى بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر ورد ابراهيم بغير طعام فرجع ابراهيم الى أهله فمر بكثيب أعفر فقال لا آخذن من هذا فآتى به أهلى فتطيب به قلوبهم حين أدخل عليهم فأخذ ابراهيم منه فأتى به أهله فوضع متاعه ثم نام فقامت امرأته الى متاعه ففتحته فاذا هو بأجود دقيق رأته فأخذته وصنعت منه طعاما فلما أفاق قدمته اليه وكان عهد أهله ان ليس معهم شئ ولا عندهم طعام فقال لهم من أين هذا فقالت من الطعام الذى جئت به فعلم ابراهيم ان الله رزقه فحمد الله وشكره ثم ان النمرود ذا الجبار لما حاجه ابراهيم عليه السلام فى ربه قال ان كان ما يقول ابراهيم حقا فلا أنتهى حتى أعلم من فى السماء فبنى صرحا عظيما عاليا ببابل ورام منه الصعود الى السماء لينظر الى اله ابراهيم فيما يزعم * قال ابن عباس ووهب كان طول الصرح من السماء خمسة آلاف ذراع وقال مقاتل وكعب كان طوله فرسخين ثم عمد الى أربعة أفراخ من النسور فعلفها اللحم والخبز ورباها حتى شبت واستفلحت ثم قعد فى تابوت ومعه غلام وقد حمل قوسه ونشابه وجعل لذلك التابوت بابا من أعلاه وبابا من أسفله ثم ربط التابوت بأرجل النسور وعلق اللحم على عصا

ثم نهضت من مجلسها ثم نهضت أودعها فاستيقظت يا أخى ولا صبر لى عنها قال هشام فغلبنى البكاء وقلت هنيأ لك يا سعيد حمدا لله شكرا فقد كشف الله لك عن ثواب عملك فقال هل رأى أحد غيرى ما رأيت فقلت لا فقال بالله عليك يا أخى اكتم ما سمعت منى ما دمت فى الحياة ثم قام فتطهر وتطيب وأخذ سلاحه وتوجه الى موضع القتال وهو صائم فقاتل الى الليل ثم انصرف فتحدث الناس بقتاله وقالوا ما رأينا مثل ما فعل سعيد اليوم حتى انه كان يطرح نفسه تحت سهام العدو وحجارتهم فكلهم ينثنون عليه قال فقلت فى نفسى لو يعلمون شأنه لتنافسوا فى مثل عمله ثم مكث قائما يصلى الى آخر الليل ثم أصبح صائما يقاتل أبلغ مما فعل بالامس قال أبو الوليد فانطلقت معه لانظر ماذا يكون منه فلم يزل يلقى نفسه فى المهالك الى غاية النهار وهو لا يصل اليه شئ مما كانوا يرمونه عليه من الحجارة وغيرها حتى غربت الشمس فجاءه سهم فى منحره فخر صريعا وأنا أنظر اليه وهو يضحك فضجت الناس وبادروا اليه فأخذوه وجاؤا به الى الخيام وقد مات رحمة الله تعالى عليه فقلت له هنيأ لك يا سعيد ما ذا تنتظر الليلة يا ليتنى كنت معك قال هشام فعض على شفته السفلى وضحك فى موته وقال الحمد لله

فوق

فوق التابوت ثم خلى عن النسور فطارت وصعدت طمعا فى اللحم حتى أبعدت فى الهواء فقال النمرود لغلامه افتح الباب الاعلى وانظر الى السماء هل قربنا منها ففتح الباب الاعلى ونظر فاذا السماء على هيئتها ثم قال افتح الباب الاسفل فانظر الى الارض كيف تراها ففتح فقال أرى الارض مثل اللجة البيضاء والجبال كالدخان وطارت النسور وارتفعت حتى حالت الريح بينها وبين الطيران فقال لغلامه افتح البابين ففتح الاعلى فاذا السماء كهيئتها وفتح الباب الاسفل فاذا الارض سوداء مظلمة ونودى أيها الطاغى الباغى أين تريد قال عكرمة فأمر عند ذلك غلامه فرمى بسهم فعاد السهم متلطخا بالدم فقال كفيت شغل اله السماء واختلفوا فى ذلك السهم من أى شئ تلطخ فقال عكرمة من سمكة فى بحر معلق فى الهواء بين السماء والارض قربت نفسها لله تعالى وقال بعضهم أصاب السهم طائرا من الطير فتلطخ من دمه ثم أمر النمرود غلامه أن يصوب العصا وينكس اللحم ففعل ذلك فهبطت النسور بالتابوت فسمعت الجبال حفيف التابوت والنسور ففزعت وظنت أنه أمر حدث فى السماء وأن الساعة قد قامت فذلك قوله تعالى وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم أى جزاء مكرهم وان كان مكرهم لتزول منه الجبال وقرأ على وعمر وابن مسعود وان كان مكرهم لتذل منه الجبال بالذال ثم ان الله تعالى أرسل ريحا على صرح النمرود فألقت رأسه فى البحر فخر عليهم الباقى وانقلبت بيوتهم وأخذت النمرود رعدة وتبلبلت ألسن الناس حين سقط صرح النمرود من الفزع فتكلموا بثلاث وسبعين لسانا فلذلك سميت بابل لتبلبل الألسنة فيها فذلك قوله تعالى فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون وذلك أن الله تعالى بعث الى النمرود ملكا أن آمن حتى أتركك على ملكك قال فهل رب غيرى فجاءه الثانية والثالثة فأبى عليه فقال له الملك اجمع جموعك الى ثلاثة أيام فجمع النمرود جموعه وجنوده فأمر الله تعالى الملك أن يفتح عليه بابا من البعوض ففعل فطلعت الشمس ذلك اليوم فلم يروها من كثرة البعوض فبعثها الله تعالى على النمرود وقومه فأكلت لحومهم وشربت دماءهم فلم يبق منهم الا العظام والنمرود كما هو لم يصبه شئ من ذلك فبعث الله اليه بعوضة فدخلت فى منخره حتى وصلت الى دماغه فمكث أربعمائة سنة تضرب رأسه بالمطارق فأرحم الناس به من جمع يديه ثم يضرب بهما رأسه وكان جبارا أربعمائة سنة فعذبه الله أربعمائة سنة كمدة ملكه ثم ان البعوضة أكلت دماغه وأهلكه الله سبحانه وتعالى وخذله

﴿الباب السابع فى ذكر وفاة سارة وهاجر وذكر وفاة أزواج ابراهيم وولده﴾

قال الله تعالى أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته الآية قال أهل العلم بأخبار الماضين ماتت سارة وهى ابنة مائة وسبع وعشرين سنة بالشام بقرية الجبابرة من أرض كنعان فى حبرون فى مزرعة اشتراها ابراهيم عليه السلام ودفنت بها وكانت هاجر ماتت قبل سارة بمكة فدفنت فى الحجر فلما ماتت سارة تزوج ابراهيم بامرأة من بعدها من الكنعانيين يقال لها قطورا بنت يقطان فولدت له ستة نفر يقشان وزمران ومدان ومدوأشبق وشوخ وتزوج أيضا بامرأة أخرى من العرب اسمها حجون بنت أهيب فولدت له خمسة بنين كيسان وفروخ وأميم ولوطان ونافس فكان جميع بنى ابراهيم مع اسحق واسمعيل ثلاثة عشر وكان اسمعيل بكره وأكبر أولاده فأنزل اسمعيل بأرض الحجاز واسحق بأرض الشام وفرق سائر ولده فى البلاد فقالوا لابراهيم يا أبانا أنزلت اسحق معك واسمعيل بقربك وأمرتنا أن ننزل بأرض الغربة والوحشة قال بذلك أمرت ثم علمهم اسما من أسماء الله تعالى فكانوا يستسقون به ويستنصرون

﴿الباب الثامن فى ذكر وفاة ابراهيم عليه السلام﴾

قال أهل التاريخ والسير لما أراد الله تعالى قبض روح ابراهيم عليه السلام أرسل اليه ملك الموت فى صورة شيخ هرم قال السدى باسناده وكان ابراهيم كثير الاطعام يطعم الناس ويضيفهم فبينما هو يطعم الناس اذا هو بشيخ كبير يمشى فى الجادة فبعث اليه بحمار فركبه فلما أتاه قدم اليه الطعام فجعل الشيخ يأخذ اللقمة ويريد أن يدخلها فاه فيدخلها فى عينه مرة وفى أذنه مرة ثم اذا أدخلها فى فيه وحصلت فى جوفه خرجت من دبره وكان ابراهيم قد سأل ربه أن لا يقبض روحه حتى يكون هو الذى يسأله الموت فقال الشيخ حين رأى حاله ما بالك يا شيخ تصنع هكذا فقال يا ابراهيم من الكبر قال ابن كم أنت قال كيت وكيت فحسب ابراهيم فوجد عمره يزيد على عمر ابراهيم سنتين فقال له ابراهيم انما بينى وبينك سنتان فاذا بلغت ذلك صرت مثلك قال نعم فقال ابراهيم اللهم اقبضنى قبل

مما رأيتموه من اخيكم هذا فأقبل الناس بأجمعهم فأخبرتهم بحكايته وما كان منه فما رأيت باكيا كاليوم ثم كبرنا تكبيرا اضطرب له العسكر وشاع الحديث وبلغ الخبر الى مسلمة فجاء وقد وضعناه لنصلى عليه فقلت صل عليه أيها الامير فقال بل يصلى عليه الذى عرف من أمره ما عرف فصلينا عليه ودفناه فى موضعه وبات الناس يتحدثون به فلما طلع النهار تذاكرنا حديثه وصاح المسلمون صيحة واحدة وحملوا على المشركين وفتح الله تعالى ذلك الحصن فى ذلك اليوم ببركته رحمة الله تعالى عليه ونفعنا به فى الدارين آمين

﴿وحكى عن أبى يعقوب الطبرى رضى الله تعالى عنه أنه قال﴾ خرجت فى سفر أريد الشام فوقعت فى التيه أياما حتى أشرفت على الهلاك فبينا أنا كذلك اذ رأيت راهبين سائرين كأنهما قد خرجا من مكان واحد يريدان دير الهما بالقرب فملت اليهما وقلت لهما اين تريدان فقالا لا ندرى فقلت لهما فمن اين أقبلتما فقالا لا ندرى الا أنا فى ملكه وبين يديه فقال فعجبت من ذلك وقلت فى نفسى ان هذين الراهبين متحققان التوكل دونك وقلت لهما ائذنا لى فى الصحبة

ذلك فقام الشيخ فقبض نفسه وكان الشيخ ملك الموت وكان عمر ابراهيم مائتي سنة وقيل مائة وخمس وتسعون سنة ودفن عند قبر سارة في مزرعة حبرون

﴿ الباب التاسع في ذكر خصائص ابراهيم عليه السلام ﴾

هو ابراهيم خليل الرحمن قال الله تعالى واتخذ الله ابراهيم خليلا وهو سيد الفتيان (روى) في الحديث أنه قيل للنبي صلى الله عليه وسلم ياسيد البشر قال ذاك ابراهيم وهو أبو الضيفان وكان لايتغدى ولايتعشى الامع ضيف وربما مشى ميلين أو أكثر حتى يجد ضيفا وضيافته قائمة الى يوم القيامة وهي الشجرة المباركة التي قال الله تعالى يوقد من شجرة مباركة الآية وصح انه دعا الله تعالى أن يجعل النبوة في نسله فاستجاب له وجعل النبوة في شعبي اسمعيل واسحق عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت على ثمانية آلاف نبي أربعة آلاف من بني اسرائيل وهو المجعول له لسان الصدق في الآخرين فليس من نبي تجري ألسنة الخلق كلهم بتصديقه وتفضله وتبجله كل أمة غيره وذلك بدعائه عليه السلام واجعل لي لسان صدق في الآخرين وهو المبتلى بأنواع البلاء والمشهود له بالوفاء قال الله تعالى واذ ابتلى ابراهيم ربه بكلمات فأتمهن وقال وابراهيم الذي وفى أي بما أمر به وهو الامة القانت قال الله تعالى ان ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين الى آخر الآية ومعنى الامة أنه كان معلما للخير وقد اجتمع فيه من خلال الخير وأنواع الفضل ما يجمع في أمة كما قال الشاعر

ليس على الله بمستنكر * أن يجمع العالم في واحد

وهو الذي أوتي رشده من قبل بلوغه وهو امام الموحدين وجعل له لسان الحجة في التوحيد فدعا الخلق الى الحق لسان الحجة من صغره الى كبره قال تعالى وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم الآية وأول من سماه الله حنيفا سماه قال تعالى ولكن كان حنيفا مسلما وبرأه من دعاوى اليهود والنصارى وشهد له بالاسلام والاخلاص فقال تعالى ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا الآية وهو أول من اختتن (قال) أبو منصور الحمشاري حدثنا أبو عباس المعقلي أخبرنا عبد الحكيم أخبرنا ابن وهب أخبرنا يحيى بن نصر قال قرئ على ابن وهب أخبرنا ابن سمعان عن محمد بن المنكدر عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال اختتن ابراهيم عليه السلام بالقدوم وهو ابن مائة وعشرين سنة ثم عاش بعد ذلك ثمانين سنة (وأخبرنا) الحسين بن محمد بن فنجويه أخبرنا محمد بن مخلد بن جعفر أخبرنا الحسن بن علويه أخبرنا اسمعيل بن عيسى أخبرنا اسحق بن بشر عن مقاتل عن الضحاك عن ابن عباس قال ان ابراهيم أول من أضاف الضيف وأول من ثرد الثريد وأول من لبس النعلين وأول من قسم الفيء وأول من قاتل بالسيف وأول من اختتن واختتن على رأس مائة وعشرين سنة من ميلاده ختن نفسه في موضع يقال له القدوم بالقدوم وهو الفأس وذلك أنه كان وقع بينه وبين العمالقة وقعة عظيمة فقتل من الفريقين خلق عظيم فلم يعرف ابراهيم أصحابه ليدفنهم فجعل الختان علامة لاهل الاسلام فاختتن يومئذ بالقدوم وهو أول من اتخذ السراويل (أخبرنا) الحسن الدينوري أخبرنا أحمد بن شداد بن عمر بن أحمد القطان أخبرنا محمد بن اسمعيل بن حسان أخبرنا وكيع أخبرنا جرير بن حازم عن واصل مولى ابن عيينة قال أوحى الله تعالى الى ابراهيم عليه السلام ياابراهيم انك أكرم أهل الارض علي فاذا سجدت فلا تر الارض عورتك فاتخذ السراويل وهو أول من شاب فلما رآه هاله ذلك فقال يارب ماهذا قال الوقار فقال يارب زدني وقارا وهو أول من أقام المناسك وذلك بدعوته حيث قال وأرنا مناسكنا فاستجيب له وهو أول من ضحى وهو الذي بوأ الله له مكان البيت وأراه ذلك بعد دروسه حتى بناه قال الله تعالى واذ بوأنا لابراهيم مكان البيت الآية وهو أول من ألقي في النار في الله فجعلت النار عليه بردا وسلاما وهو أول نبي أحيا الله له الموتى بسؤاله حيث قال رب أرني كيف تحيي الموتى الآية وهو الذي كان اذا سافر وتمنى سارة واشتاق اليها رفع الله له الحجاب بينه وبينها حتى يراها حيث كان وهو الذي يكسى حلة بيضاء يوم القيامة ويوضع له منبر عن يسار عرش الرحمن قال النبي عليه الصلاة والسلام تحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلا بهما وأول من يكسى ابراهيم خليل الرحمن وهو الكفيل لاطفال المسلمين والقائد لاهل الجنة وهو أول من قص شاربه وأول من قلم أظفاره وأول من استحد وأول من نتف الابط وأول من استاك وأول من فرق شعره وأول من تمضمض وأول من استنشق وأول من استنجى بالماء وأول من هاجر قال الله تعالى فآمن له لوط وقال اني مهاجر الى ربي وجعل مقامه قبلة للناس قال الله تعالى واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى

معكما فقالا ذلك الليلة فسرنا حتى أمسينا قاما الى صلاتهما وقمت الى صلاة المغرب فتيممت وصليت فلما نظرا الى حين تيممت وصليت تعجبا من ذلك فلما فرغا من صلاتهما بحث أحدهما في الارض فانفجرت عين ماء والى جانبه طعام موضوع فزدت تعجبا من ذلك فقالا لي أدن وكل واشرب قال فأكلنا وشربنا وتوضأت للصلاة ثم غار الماء وذهب الطعام فلما كانت الليلة الثانية فعل الثاني كما فعل الاول فلما كانت الليلة الثالثة قالا لي يامسلم الليلة نوبتك قال محمد ابن يعقوب فاستحييت من قولهما وداخلني هم شديد وأمر غريب وقلت في نفسي اللهم اني أعلم أن ذنوبي لم تدع لي عندك جاها ولكن أسألك بجاه نبيك محمد صلى الله عليه وسلم أن لا تفضحني عندهما ولا تشمتهما بدين نبيك محمد صلى الله عليه وسلم قال فاذا بعين ماء قد انفجرت وبطعام كثير الى جانبها فأكلنا وشربنا ثم حمدنا الله تعالى على ذلك قال فلم تزل على تلك الحالة حتى بلغت النوبة الثالثة فلما ظهر الماء والطعام غلبني البكاء فلم أستطع رده فأصابهما مثل ما أصابني وارتفعت أصواتنا بالبكاء فلما فرغنا قالا لي ما يبكيك فقلت نعم رجل مسرف على

وجعله

وجعله اماما للناس قال الله تعالى انى جاعلك للناس اماما وقال تعالى قد كانت لكم أسوة حسنة فى ابراهيم وأمر محمدا خير الانبياء وأمته خير الامم باتباع ملته قال تعالى ثم أوحينا اليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا وقال قل بل ملة ابراهيم حنيفا وسماه حليما منيبا أوّاها قال تعالى ان ابراهيم لحليم أوّاه منيب الحليم السيد الذى يملك نفسه عند الغضب والاواه الذى يكثر التأوه عند ذكر الذنوب والمنيب المقبل بقلبه الى ربه فهذه ستة وأربعون خصلة من خصاله التى أكرمه الله بها (ويروى) ان الله تعالى أوحى الى ابراهيم يا ابراهيم انك لما سلمت مالك الى الضيفان وابنك الى القربان ونفسك الى النيران وقلبك الى الرحمن اتخذناك خليلا (وروى) أبو ادريس الخولانى عن أبى ذر الغفارى قال قلت يارسول الله كم كتابا أنزل الله تعالى قال مائة صحيفة وأربعة كتب أنزل الله تعالى على آدم عشر صحائف وعلى شيث خمسين صحيفة وعلى ادريس ثلاثين صحيفة وعلى ابراهيم عشر صحائف وأنزل التوراة والانجيل والزبور والفرقان قال فقلت يارسول الله فما كانت صحف ابراهيم قال كانت أمثالا كلها أيها الملك المبتلى المسلط المغرور انى لم أبعثك لتجمع الدنيا بعضها على بعض ولكنى بعثتك لترد عنى دعوة المظلوم فانى لا أردها ولو كانت من كافر وكان فيها أمثال على العاقل مالم يكن مغلوبا على عقله أن يكون له أربع ساعات ساعة يناجى فيها ربه وساعة يتفكر فيها فى صنع الله تعالى وساعة يحاسب فيها نفسه على ماقدم وأخر وساعة يخلو فيها لحاجته من الحلال والحرام فى المطعم والمشرب وغيرهما وعلى العاقل أن لا يكون ظاعنا الا فى ثلاث تزود لمعاده ومؤنة لمعاشه ولذة فى غير محرم وعلى العاقل أن يكون بصيرا بزمانه مقبلا على شانه حافظا للسانه ومن علم ان كلامه شر من عمله قل كلامه فيما لا يعنيه والله عن كل محذور يغنيه

﴿مجلس فى ذكر بعض أخبار اسمعيل واسحق ابنى ابراهيم عليهم السلام﴾

وقد ذكرنا سير ابراهيم الخليل بابنه اسمعيل وهاجر الى مكة واسكانه اياهما بها ولما كبر اسمعيل وبلغ النكاح تزوج امرأة من جرهم فكان من أمرها ماقدمناه ذكره ثم طلقها بامر أبيه ثم تزوج امرأة أخرى يقال لها السيدة بنت مضاض بن عمرو الجرهمى وهى التى قال لها ابراهيم حين قدم مكة اذا جاء زوجك فاقرئيه منى السلام وقولى له قد استقامت عتبة بابك فولدت السيدة لاسمعيل اثنى عشر رجلا نابتا وقيذارا وأديل وبسام ومسمع وذوما ومسا وحرا وفيما وبطور ونافس وقيدما ومن نابت وقيذار ابنى اسمعيل نشر الله تعالى العرب ثم نبأ الله تعالى اسمعيل فبعثه الى العماليق وقبائل اليمن فلما حضرت اسمعيل الوفاة أوصى الى أخيه اسحق أن يزوج ابنته من عيص بن اسحق وعاش اسمعيل مائة وسبعة وثلاثين سنة ودفن بالحجر عند قبر أمه هاجر (وروى) عمر بن عبد العزيز أنه قال شكا اسمعيل الى ربه تعالى حر مكة فأوحى الله تعالى اليه أنى فاتح لك بابا من الجنة يجرى عليك روحها الى يوم القيامة وفى ذلك المكان دفن ✽ وأما حديث اسحق عليه السلام فانه نكح رفقا بنت بتويل فولدت له عيصا ويعقوب بعد ما مضى من عمره ستون سنة ✽ ولهما قصة عجيبة على ماذكره السدى ✽ قال حملت رفقا فى بطن واحد بغلامين فلما أرادت أن تضع اقتتل الغلامان فى بطنها فأراد يعقوب أن يخرج قبل عيص فقال عيص والله لئن خرجت قبلى لاعترضن فى بطن أمى فأقتلها فتأخر يعقوب وخرج عيص قبله فسمى عيصا لانه عصى فخرج قبل يعقوب وسمى الآخر يعقوب لانه خرج آخرا بعقب عيص وكان يعقوب أكبرهما فى البطن ولكن عيصا خرج قبله فلما كبر الغلامان كان عيص أحبهما الى أبيه ويعقوب أحبهما الى أمه وكان عيص صاحب صيد فلما كبر اسحق وعمى قال لعيص يابنى أطعمنى لحم صيد واقترب منى أدع لك بدعاء دعا لى به أبى وكان عيص رجلا أشعر ويعقوب رجلا أجرد فخرج عيص يطلب الصيد فسمعت أمه الكلام فقالت ليعقوب يابنى اذهب الى الغنم فاذبح منها شاة واشوها والبس جلدها ثم قدمها الى أبيك وقل له أنا ابنك عيص ففعل ذلك وأتى الى أبيه وقال يا أبتاه كل فقال من أنت قال أنا عيص فمسه وقال المس مس عيص والريح ريح يعقوب فقالت له امرأته هو ابنك عيص فادع له فقال قدم طعامك فقدمه فأكل منه ثم قال له أدن منى فدنا منه فدعا له أن يجعل فى ذريته الانبياء والملوك ثم قام يعقوب من عنده وجاء عيص بعده فقال يا أبت قد جئتك بالصيد الذى أردته فقال يابنى قد سبقك أخوك يعقوب فغضب عيص وقال والله لاقتلنه فقال يابنى قد بقيت لك دعوة فهلم أدع لك بها فقدم اليه فدعا له فقال ان تكون ذريتك عدد التراب ولا يملكهم أحد غيرهم ثم ان أم يعقوب قالت ليعقوب الحق بخالك فكن عنده خشية

نفسى وليس لى عند الله من الجاه والمنزلة ما يبلغنى هذه الكرامة فقالا لى وكيف ظهر لك فقلت انما توسلت اليه بجاه نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أن لا يفضحنى معكما فاستجاب لى فقالا قد عرفنا أن دينه الحق وهو عند الله عظيم فامدد يديك فانا نشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله قال فاسلمنا وخرجنا جميعا الى مكة شرفها الله تعالى فاقمنا بها مدة وخرجنا الى الشام فتفرقنا فوالله ماذكرتهما الا وهانت على الدنيا وصغرت فى عينى (وأنشدت شعرا فى المعنى)

لما رأيتك حاضرا
فى القلب زادبى المخار
وبقيت فيك محيرا
والقلب ليس له قرار
فامزج كؤسى بالرضا
جهرا فما عنها اصطبار
دارت على موسى الكليـ
ـم فلاح نحو الطور نار
لطفت فذاقها الـ
ـاحباب نحو الحب طاروا
بذلوا اليه نفوسهم
وعلى خيول القوم غاروا
واليه فى بحر الهوى
ركبوا وبالارواح ساروا
طلبوه حقا بالقلو
ب وعندما نظروه حاروا
هاموا به حتى لقد
أنست بقربهم الديار
ورأوا اشارات الهوى
لاحت لديهم فاستناروا
هذان راهبان لاح

لهما قدر خرم ابرة من الايمان فرأوا الطريق وسلكوا منهج التصديق وأنت يا مسكين عمرك قد انقضى ومضى فى

عليه أن يقتله عيص فانطلق يعقوب الى خاله وكان يسير فى الليل ويكمن بالنهار فلذلك سماه الله اسرائيل وهو أول من سرى بالليل فأتى يعقوب الى خاله وكان اسحق أمره أن لا ينكح امرأة من الكنعانيين وأمره أن ينكح امرأة من بنات خاله لبان بن ناهر وأن يعقوب لما مكث عند خاله خطب ابنته راحيل وكان له ابنتان ليا وهى الكبرى وراحيل وهى الصغرى فقال له هل لك من مال تزوجك عليه فقال لا لكن أخدمك أجيرا حتى تستوفى صداق ابنتك فقال له ان صداقها أن تخدمنى سبع حجج فقال يعقوب تزوجنى راحيل لانها أصغر ولاجلها أخدمك فقال له خاله ذلك بينى وبينك فرعى له يعقوب سبع سنين فلما وفى له شرطه دفع له ابنته الكبرى ليا وأدخلها عليه ليلا فلما أصبح وجد غير ما شرط فجاءه يعقوب وهو فى ناد من قومه فقال له غررتنى وخدعتنى واستحللت عملى سبع سنين ودلست على غير امرأتى فقال له خاله يا ابن أختى أردت أن لا يدخل على فى ذلك العار والسبه وأنا خالك ووالدك متى رأيت الناس يزوجون الصغرى قبل الكبرى فهلم فاخدمنى سبع سنين أخرى حتى أزوجك الاخرى وكان الناس يومئذ يجمعون بين الاختين الى أن بعث موسى وأنزلت التوراة فرعى له يعقوب سبع سنين أخرى فدفع اليه راحيل فولدت له ليا أربعة أسباط روبيل وكان أكبرهم ويهوذا وشمعون ولاوى وولدت له راحيل يوسف وبنيامين وهو بالعربية شداد وانما سمى بنيامين لان أمه راحيل ماتت فى نفاسها وبامين بالعربية الشكل وكان لبان دفع الى ابنتيه حين جهزهما الى يعقوب أمتين يقال لاحداهما زلفة وللاخرى بلهة فوطئ الامتين يعقوب فولدت كل واحدة منهما ثلاثة أسباط فولدت زلفة ليعقوب دان ونفتالى وروبالون وولدت له بلهة جادو يشجر وآشر فكان بنو يعقوب اثنى عشر رجلا اثنان من راحيل وأربعة من ليا وثلاثة من زلفة وثلاثة من بلهة وهم الذين سماهم الله تعالى الاسباط وسموا بذلك لان كل واحد منهم ولد قبيلة والسبط فى كلام العرب الشجرة الملتفة الكثيرة الاغصان والاسباط من بنى اسرائيل كالشعوب من العجم والقبائل من العرب ثم ان يعقوب فارق خاله لبان وانصرف بولده وامرأتيه وجاريتيه المذكورات الى منزل أبيه من فلسطين على تخوف شديد من أخيه عيص فلم ير منه الا خيرا فنازل أخاه وتألفه وتلطفه حتى ترك له البلاد وتنقل فى الشام وصار الى السواحل ثم عبر الى الروم فاستوطنها فصار ذلك له ولولده من بعده *وقال ابن اسحق تزوج عيص بن اسحق بنت عمه نسمة بنت اسمعيل بن ابراهيم فولدت له الروم بن عيص فكل بنى الاصفر من ولده وكان عيص فيما يذكر يسمى آدم لادمته ولذلك سمى ولده بنى الاصفر قالوا وعاش اسحق بعد ما ولد له عيص ويعقوب مائة سنة وتوفى وله مائة وسبعون سنة ودفنه أبناؤه عند قبر أبيه ابراهيم عليهما السلام فى مزرعة حبرون والله أعلم

(مجلس فى قصة لوط عليه الصلاة والسلام)

وهو لوط بن هاران بن تارح ابن أخى ابراهيم عليه السلام وانما سمى لوطا لان حبه لاط بقلب ابراهيم عليه السلام أى تعلق به ولصق ومنه حديث أبى بكر رضى الله عنه حين ذكر عمر اللهم غفرا لولا ذاك ألوط أى ألصق بالقلب وكان ابراهيم يحبه حبا شديدا وكان من أمر لوط فيما ذكر أهل العلم بأخبار الانبياء وذكر وهب فى المبتدا أنه شخص من أرض بابل مع عمه ابراهيم مؤمنا به متبعا له على دينه مهاجرا معه الى الشام ومعهما سارة بنت ناحور وشخص معه تارح أبو ابراهيم مخالفا لابراهيم فى دينه ومقيما على كفره الى أن وصلوا الى حران ومكثوا بها فمات تارح وهو آزر أبو ابراهيم بحران على كفره وشخص ابراهيم ولوط وسارة الى الشام ثم مضوا الى مصر فوجدوا بها فرعونا من فراعنتها يقال له سنان بن عاران بن عبيد بن عوج بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه الصلاة والسلام فرجعوا عودا الى أرض الشام فنزل ابراهيم فلسطين وأنزل لوطا الاردن فبعثه الله تعالى الى أرض سدوم وما يليها وكانوا أهل كفر بالله وركوب فواحش كما أخبر الله عنهم بقوله تعالى أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين أئنكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون قال عمرو بن دينار ما كان يرى ذكر على ذكر حتى كان قوم لوط وقال تعالى أئنكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل وتأتون فى ناديكم المنكر فكان قطعهم السبيل فيما ذكر أهل التأويل أن اتيانهم الفاحشة مع من ورد بلدهم واتيانهم المنكر فى ناديهم قال المفسرون هو أنهم كانوا يجلسون فى مجالسهم على الطريق فيحذفون من مر بهم ويتضارطون فى مجالسهم وينكح بعضهم بعضا فى الطريق وقال مجاهد كانوا يجامعون الرجال فى مجالسهم على الطريق وروى أبو صالح عن أم هانئ أنها قالت سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية فقال كانوا

العصيان وزمانك قد ذهب فى الخسران وأنت فى بحر الغفلة غريق وقد هبت نسمات القبول والتوفيق وأنت سكران بخمر المعاصى لا تفيق (وعن عبد الله القرشى رحمه الله تعالى أنه قال) كنت أصحب ابراهيم ابن أدهم رحمه الله تعالى وأسرح معه فسرنا يوما من الايام نريد الحجاز فمشينا ثلاثة أيام لم نستطعم فيها بطعام ولا شراب فقلت له أتعرف ما بى من الجوع ياسيدى قال فرمق بطرفه الى السماء بعد أن جلس وجلست بجانبه فاذا رغيف سخن قد سقط فى حجرى فرفع ابراهيم رأسه الى وقال كل فأكلت نصفه وشبعت ثم سرنا فمررنا بقافلة قد حبسها الاسد عن المسير فتقدم ابراهيم اليه وقال له يا قسورة ان كنت قد أمرت فينا بشئ فامض الى ما أمرت به والا فاذهب فولى الاسد هاربا وسار القوم فقالوا بالله عليك ياسيدى الا ما دعوت لنا فنحن نخاف فى السفر فقال لهم قولوا اللهم احرسنا بعينك التى لا تنام واكنفنا بكنفك الذى لا يرام وارحمنا بقدرتك علينا فلا تهلكنا وأنت رجاؤنا قال عبد الرحمن فلقيت رجلا من أهل القافلة بعد مدة فسألته فقال والله مذ كنا ندعو بهذا الدعاء الذى علمه لنا الشيخ ما رأينا سبعا ولا لصا ثم ركب معنا ذلك

يجلسون على الطريق فيحذفون من مر بهم ويسخرون به وهو المنكر الذى كانوا يأتونه وكان لوط ينهاهم عن ذلك ويدعوهم الى عبادة الله تعالى ويتوعدهم على اصرارهم على ماهم عليه ويأمرهم بالتوبة منه ويخوفهم من العذاب الاليم فلا يزجرهم عن ذلك وعده ولا يزيدهم وعظه الا تماديا وعتوا واستعجالا بعذاب الله تعالى وانكارا وتكذيبا ويقولون له ائتنا بعذاب الله ان كنت من الصادقين حتى سأل لوط ربه أن ينصره عليهم فقال رب انصرنى على القوم المفسدين فاجاب الله دعاءه وبعث جبريل وميكائيل واسرافيل عليهم السلام لاهلاكهم وبشارة ابراهيم عليه السلام بالولد فاقبلوا مشاة فى صورة رجال مرد حسان حتى نزلوا على ابراهيم عليه السلام فتضيفوه وبشروه باسحق وقد مضت القصة فلما فرغوا من ذلك وأخبروا ابراهيم أن الله تعالى بعثهم لاهلاك قوم لوط ناظرهم ابراهيم وحاجهم فى ذلك كما قال الله تعالى فلما ذهب عن ابراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا فى قوم لوط وكان جداله اياهم على ماذكر ابن عباس وغيره أنهم لما قالوا له انا مهلكوا أهل هذه القرية قال لهم أتهلكون قرية فيها أربعمائة مؤمن قالوا لا قال أفتهلكون قرية فيها ثلثمائة مؤمن قالوا لا قال أفتهلكون قرية فيها مائتا مؤمن قالوا لا قال أفتهلكون قرية فيها مائتا مؤمن قالوا لا قال أفتهلكون قرية فيها أربعون مؤمنا قالوا لا قال أفتهلكون قرية فيها أربعة عشر مؤمنا قالوا لا وكان ابراهيم يعدهم أربعة عشر بامرأة لوط فسكت عنهم واطمأنت نفسه وروى سعيد عن ابن عباس قال قال الملك لابراهيم ان كان فيهم خمسة يصلون رفع عنهم العذاب فلما عرف ابراهيم حال قوم لوط قال للرسل ان فيها لوطا قالها اشفاقا منه عليه فقالت له الرسل نحن أعلم بمن فيها لننجينه وأهله الا امرأته (قال) قتادة فى هذه الآية لا ترى المؤمن الا يحوط المؤمن ثم مضت رسل الله تعالى نحو سدوم فلما انتهوا اليها لقوا لوطا فى أرض له يعمل فيها قال قتادة راويا عن حذيفة ان الله تعالى قال للملائكة لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط أربع شهادات فأتوه فقالوا انا متضيفوك الليلة فانطلق بهم فلما مشى ساعة التفت لهم وقال أوما بلغكم أمر هذه القرية قالوا وما أمرها قال أشهد بالله انها لشر قرية فى الارض وما أعلم على وجه الارض أناسا أخبث منهم قال ذلك أربع مرات فدخلوا معه منزله وعلم لوط أنه سيحتاج الى المدافعة عن أضيافه وخاف عليهم من قومه فذلك قوله تعالى ولما جاءت رسلنا لوطا سىء بهم وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب أى شديد (قال السدى) باسناده لما خرجت الملائكة من عند ابراهيم نحو قرية لوط فأتوها نصف النهار فلما بلغوا سدوم لقوا ابنت لوط تستسقى الماء لاهلها وكان له ابنتان اسم الكبرى ريثا والاخرى غيثا فقالوا لها يا جارية هل من منزل قالت نعم مكانكم لا تدخلوا حتى آتيكم ففزعت عليهم من قومها ثم أتت أباها فقالت يا أبتاه أدرك فتيانا على باب المدينة ما رأيت وجوه قوم قط أحسن منهم لئلا تأخذهم قومك فيفضحوك وقد كان قومه نهوه أن يضيف رجالا فقالوا له خل عنا فلنضيف الرجال فذلك قوله تعالى أولم ننهك عن العالمين فجاء بهم لوط الى منزله ما يعلم بهم أحد الا أهل بيت لوط فخرجت امرأته فاخبرت قومها بذلك وقالت ان فى بيت لوط رجالا ما رأيت مثلهم حسنا قط (قال أبو حمزة الثمالى) بلغنا أن العلم الذى كان بين امرأة لوط وقومه اذا أتتهم الضيفان يقول رسولها هيئوا النار ملحا تدعوهم بذلك الى الفاحشة باضياف لوط فبلغنا أن الله تعالى مسخها ملحا قالوا فلما أخبرت امرأة لوط قومها باضياف زوجها جاء قومه يهرعون اليه أى يسرعون ويهرولون فلما أتوه قال لهم لوط يا قوم اتقوا الله ولا تخزون فى ضيفى أليس منكم رجل رشيد وقال لهم هؤلاء بناتى هن أطهر لكم قالوا أولم ننهك عن العالمين أن تضيف الرجال وقالوا لقد علمت ما لنا فى بناتك من حق وانك لتعلم ما نريد فلما لم يقبلوا منه ما عرض عليهم قال لو أن لى بكم قوة أو آوى الى ركن شديد قالوا فما بعث الله نبيا بعده الا فى ثروة من قومه ومنعة من عشيرته وقال صلى الله عليه وسلم لما قرأ هذه الآية رحم الله أخى لوطا لقد كان يأوى الى ركن شديد قال ابن عباس وغيره وغلق لوط بابه والملائكة معه فى الدار وهو يناظرهم ويناشدهم من وراء الباب وهم يعالجون تسور الدار فلما رأت الملائكة ما لقى لوط من الكرب والنصب والتعب بسببهم قالوا له يا لوط ان ركنك لشديد وانهم آتيهم عذاب غير مردود انا رسل ربك لن يصلوا اليك فاسر باهلك بقطع من الليل الآية ثم قالوا له افتح الباب ودعنا واياهم ففتح الباب فدخلوا فاستأذن جبريل عليه السلام ربه فى عقوبتهم فاذن له فقام فى الصورة التى يكون فيها فنشر جناحيه وله جناحان وعليه وشاح من در منظوم وهو براق الثنايا أجلى الجبين ورأسه حبك مثل المرجان كانه الثلج بياضا وقدماه الى الخضرة فضرب بجناحه وجوههم فطمس أعينهم وأعماهم فذلك قوله تعالى ولقد

الرجل فى مركب فى البحر فعصفت الريح وهاجت الامواج واضطرب المركب وخفنا من الغرق فخافت الناس وبكوا وضجوا فقال الرجل يا قوم معنا فى السفينة رجل صالح كان من أمره كذا وكذا فاسألوه أن يدعو لكم فاتوا اليه وهو نائم فى ناحية المركب ملفوف رأسه فى الكساء قال فايقظناه وقلنا له يا سيدى ما ترى من حالنا وما نحن فيه من الشدة والغرق فرفع رأسه الى السماء وقال اللهم أريتنا قوتك وقدرتك فارنا حلمك وعفوك قال فما استتم كلامه حتى سكن الريح وهدأ الموج وسارت السفينة قال عبد الرحمن فلما نزلنا من السفينة سرنا أياما فهلكت من الجوع وشكوت اليه فاخذ المزود ورقى الى شجرة البلوط فملا المزود من أوراقها ثم أتى به الى وقال كل فاذا هو رطب حتى ما أكلت ألذ منه ولا أطيب قال وعطشت معه فى بعض السياحات ليلا فشكوت اليه ذلك فقال لى اشرب فنظرت الى دلو تدلى فى الهواء وفيه ماء لم أذق أطيب منه طعما ولا أحسن منه ريحا فشربت منه حتى رويت فكنت بعد ذلك أصوم فى الهواجر فلا أجوع ولا أعطش فهذا كله ببركته ولله در رجال ما تركوا فى قلوبهم لغير محبوبهم مجالا قد أسبلوا العبرات على الوجنات (شعر)

لله در رجال واصلوا السهرا

* واستعذبوا الوجد والتبريح والفكرا * فهم نجوم الهدى والليل يعرفهم * اذا نظرتهم هم سادة بررا * كل غدا قلبه

راودوه عن ضيفه فطمسنا أعينهم الآية فصاروا لا يعرفون الطريق ولا يهتدون الى بيوتهم ثم انهم انصرفوا وهم يقولون النجاة النجاة ان في بيت لوط أسحر قوم في الارض وقالوا للوط جئتنا بقوم سحرة سحرونا كن كما كنت حتى نصبح يتوعدونه فلما علم لوط أن أضيافه رسل ربه وأنهم أرسلوا بهلاك قومه قال لهم اهلكوهم الساعة فقال له جبريل ان موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب ثم أمره أن يسرى باهله بقطع من الليل ولا يلتفت منهم أحد الا امرأته فلما كان السحر خرج لوط وأهل بيته ومعه امرأته فذلك قوله تعالى الا آل لوط نجيناهم بسحر نعمة من عندنا كذلك نجزي من شكر فلما أصبحوا أدخل جبريل جناحه تحت أرضهم فاقتلع قريات قوم لوط الاربع وكان في كل قرية مائة ألف فرفعهم على جناحه بين السماء والارض حتى سمع أهل سماء الدنيا صياح ديوكهم ونباح كلابهم ثم كفأها وقلبها فجعل عاليها سافلها كما قال الله تعالى فجعلنا عاليها سافلها ثم أتبع شاردهم ومسافرهم بالحجارة فذلك قوله تعالى وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل منضود مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد أي ممن يفعل كفعلهم * أخبرنا الحسين بن محمد بن فنجويه أخبرنا مخلد بن جعفر الباقرحي أخبرنا الحسين بن علويه أخبرنا اسمعيل بن عيسى أخبرنا اسحق بن بشر أخبرني جويبر ومقاتل عن الضحاك عن ابن عباس عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لاسمع العواصف والقواصف من الرعد فاخشى أنها الحجارة التي أعدت لقوم لوط أو من يفعل بفعلهم وأخبرنا أبو بكر بن محمد بن أحمد بن عقيل القطان أخبرنا أبو الفضل عبدوس بن الحسين بن منصور أخبرنا أبو حاتم الرازي أخبرنا أبو اليمان الحكم بن نافع الحمصي عن صفوان بن عمرو قال كنت عند عبد الملك بن مروان الى أن أتى شعيب قاضي حمص وكان رجلا عالما فسأله كم عقوبة اللوطي قال أن يرموه بالحجارة كما رجم قوم لوط فان الله تعالى قال وأمطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين وقال تعالى وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل فقبل عبد الملك ذلك منه واستحسنه قالوا وكان الرجل منهم يتحدث في قريته التي يكون فيها فيأتيه الحجر فيقتله قال وسمعت امرأة لوط الهدة فالتفتت وقالت واقوماه فادركها حجر فقتلها فذلك قوله تعالى الا امرأته كانت من الغابرين أي الباقين في العذاب وقال تعالى انه مصيبها ما أصابهم الآية * أخبرنا الحسين بن محمد بن الحسين أخبرنا موسى بن محمد بن علي أخبرنا الحسين بن علويه أخبرنا اسمعيل ابن عيسى قال أخبرنا المسيب قال سمعت أبا روق يقول ان امرأته كانت من الغابرين أي خلقت فمسخت حجرا وكانت تسمى هلسفع وقال غيره اسمها واعلة قالوا وكانت قرى قوم لوط خمسا سدوم وعامورا ودومة وساعورا فاما سدوم فهي القرية العظمى وكان في هذه القرية أربعة آلاف فاحتملها جبريل على جناحه فقلبها فلذلك سميت المؤتفكات أي المنقلبات وأما القرية الخامسة فانها تسمى صفرة ونجت من العذاب لان أهلها آمنوا بلوط وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لجبريل عليه السلام ان الله تعالى سماك باسماء ففسرها لي قال وصفك في قوله تعالى ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم أمين فاخبرني عن قوتك قال يا محمد رفعت قرى قوم لوط من تخوم الارض على جناحي في الهواء حتى سمعت ملائكة سماء الدنيا أصواتهم وأصوات الديكة ثم قلبتها ظهرا لبطن قال فاخبرني عن قوله تعالى مطاع قال ان رضوان خازن الجنان ومالكا خازن النيران متى قلت لهما أو كلفتهما فتح أبواب الجنان أو النيران فتحاها قال فاخبرني عن قوله تعالى أمين قال ان الله أنزل من السماء مائة وأربعة كتب على أنبيائه لم يأتمن عليها غيري * أخبرنا عبد الله بن الحسين بن محمد الثقفي أخبرنا أبو عثمان بن أحمد بن سمعان البزار أخبرنا عبد الله بن قحطبة أخبرنا ياسر بن توبة أخبرنا محمد بن راموز أخبرنا أبو بكر بن عياش قال سألت أبا جعفر أعذب الله النساء من قوم لوط بعمل رجالهم فقال الله تعالى أعدل من ذلك بل استغنى الرجال بالرجال والنساء بالنساء فوجب عليهم العذاب جميعا * أخبرنا ابن فنجويه أخبرنا مخلد بن جعفر أخبرنا الحسين بن علويه أخبرنا اسمعيل بن عيسى أخبرنا اسحق بن بشر حدثني مقاتل بن سليمان قال قلت لمجاهد يا أبا الحجاج هل بقي من قوم لوط أحد قال لا الا رجل بقي أربعين يوما وكان بمكة فجاء حجر ليصيبه في الحرم فقام اليه ملائكة الحرم فقالوا للحجر ارجع من حيث جئت فان الرجل في حرم الله فوقف الحجر خارج الحرم أربعين يوما بين السماء والارض حتى قضى الرجل حاجته فلما خرج أصابه الحجر خارج الحرم فقتله * عن مقاتل عن أبي نضرة عن أبي سعيد قال ما عمل ذلك قوم لوط انما كانوا ثلاثين رجلا ونيفا لا يبلغون الاربعين فأهلكهم الله

جميعا

بالله مشتغلا * عن سواه وللذات قد هجرا
يمسي ويصبح في وجد وفي قلق * مما جناه من العصيان منذعرا
يقول يا سيدي قد جئت معترفا * بالذنب فاغفره لي يا خير من غفرا
حملت ذنبا عظيما لا أطيق له * ولم أطع سيدي في كل ما أمرا
عصيته وهو يرخي ستره كرما * يا طالما قد عفا عني وقد سترا
يا طالما كان لي في كل نائبة * اذا استغثت به في كربة نصرا
واني تائب مما جنيت وقد * وافيت بابك يا مولاي معتذرا
لعل تقبل عذري ثم تجبرني * يوم الحساب اذا قدمت منكسرا
وقد أتيت بذل راجيا كرما * اليك يا سيد السادات مفتقرا
هاقد تشفعت بالهادي النبي ومن * فاق النبيين والاملاك والوزرا
تالله لو لم يكن في الارض ما نبتت * زرع ولا أنزل الباري لها مطرا
متى أسير الى ذاك الجناب متى * أحظى برؤيته أقضي بها وطرا

صلى عليه الله الدرش ماركضت * نوق وما زمزم الحادى لها وسرى * ﴿وحكى عن أبى سليمان الدارانى رحمه الله تعالى

جميعا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لتأمرن بالمعروف ولتنهن عن المنكر أو ليعمنكم العقوبة جميعا

﴿مجلس فى قصة يوسف بن يعقوب واخوته عليهم الصلاة والسلام﴾

قال الله تعالى نحن نقص عليك أحسن القصص الآية قال سعد بن أبى وقاص قالت الصحابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو حدثتنا فأنزل الله تعالى الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها الآية فقالوا يارسول الله لو قصصت علينا فأنزل الله تعالى نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا اليك هذا القرآن الآية فدلهم الله تعالى فى هذه الآية على أحسن القصص واختلف العلماء فى سبب تسمية الله تعالى قصة يوسف عليه السلام من بين الاقاصيص أحسن القصص فقال بعض أهل المعانى معنى الآية قصة حسنة لفظه لفظ المبالغة وحكمه حكم الصفة كقوله تعالى وهو أهون عليه قال الشاعر ان الذى سمك السماء بنى لنا * بيتا دعائمه أعز وأطول أراد عزيزة طويلة واجراه الباقون على الظاهر فقالوا هى أحسن القصص ثم اختلفوا فى وجهها فروى مقاتل عن سعيد بن جبير قال اجتمع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى سلمان الفارسى فقالوا ياسلمان حدثنا عن التوراة بأحسن ما فيها فأنزل الله تعالى نحن نقص عليك أحسن القصص يعنى أن قصص القرآن أحسن مما فى التوراة وقيل سمى الله هذه القصة أحسن القصص لانها ليست قصة فى القرآن تتضمن من العبر والحكم والعجائب واللطائف ما تضمنت هذه القصة ولذلك قال الله تعالى لقد كان فى يوسف واخوته آيات للسائلين وقال تعالى لقد كان فى قصصهم عبرة لأولى الالباب وقيل سماها أحسن القصص لحسن مجازاة يوسف اخوته وصبره على أذاهم واغضائه عند الالتقاء بهم عن ذكر ما تعاطوه معه وكرمه فى العفو عنهم حيث قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وقيل ان فيها ذكر الانبياء والصالحين والملائكة والشياطين والجن والانس والانعام والطير وسير الملوك والمماليك والعلماء والتجار والعقلاء والجهلاء وحال الرجال والنساء ومكرهن وحيلهن وفيها أيضا ذكر العفة والتوحيد وعلم السير وتعبير الرؤيا وآداب السياسة والمعاشرة وتدبير المعاش فصارت أحسن القصص لما فيها من المعانى الجزيلة والفوائد الجليلة التى تصلح للدين والدنيا وتجمع خيرى الدنيا والعقبى قال أهل الاشارة سماها الله أحسن القصص لما فيها من ذكر المحب والمحبوب ﴿الباب الاول فى ذكر نسبه عليه الصلاة والسلام﴾ هو يوسف الصديق بن يعقوب الصفى بن اسحق الذبيح بن ابراهيم الخليل عليهم السلام بذلك سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم كريما وآباءه كرماء * عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم صلوات الله عليهم اختلفوا فى معنى اسم يوسف فقال أكثر الفقهاء هو اسم عبرى فلذلك لا يجر وقال بعضهم هو اسم عربى سمعت الاستاذ أبا القاسم الحبيبى يقول سمعت أبى يقول سمعت أبا الحسن الاقطع وكان حكيما فسئل عن يوسف فقال الاسف فى اللغة الحزن والاسيف العبد واجتمعا فيه فلذلك سمى يوسف

﴿الباب الثانى فى صفة يوسف عليه الصلاة والسلام وحليته ونعت خلقه وصفة صورته﴾

قال الله تعالى فلما رأينه أكبرنه الآية * أخبرنا أبو عبد الله الثقفى أخبرنا عمر بن أحمد بن عثمان أخبرنا محمد بن محمد بن سليمان أخبرنا محمد بن حميد الرازى أخبرنا سلمة بن الفضل عن محمد بن اسحق عن روح بن القاسم قال حدثنى عمارة عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مررت ليلة أسرى بى الى السماء فرأيت يوسف فقلت ياجبريل من هذا فقال هذا يوسف قالوا فكيف رأيته يارسول الله قال كالقمر ليلة البدر وأخبرنى الحسن بن محمد أخبرنا أحمد بن جعفر بن حمدان أخبرنا حامد بن سعدان أخبرنا أبى أخبرنا يعقوب أخبرنا الوليد بن مسلم عن ثابت عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أعطى يوسف شطر الحسن وعن أبى اسحق ابن عبد الله بن أبى فروة قال كان يوسف اذا سار فى أزقة مصر يرى تلألؤ وجهه على الجدران كما يرى نور الشمس والقمر على الجدران * قال كعب الاحبار ان الله تعالى مثل لآدم ذريته بمنزلة الذر فأراه الانبياء عليهم السلام نبيا نبيا وأراه فى الطبقة السادسة يوسف متوجا بتاج الوقار متزرا بحلة الشرف مرتديا برداء الكرامة مقمصا بقميص البهاء وفى يده قضيب الملك وعن يمينه سبعون ألف ملك وعن يساره سبعون ألف ملك ومن خلفه أمم الانبياء لهم زجل بالتسبيح والتقديس وبين يديه شجرة السعادة تزول معه حيثما زال وتحول معه حيثما حال

ونفعنا به﴾ أنه كان يقول فى بعض مناجاته سيدى لئن طالبتنى بذنبى لاطالبنك بعفوك ولئن طالبتنى ببخلى لاطالبنك بجودك وكرمك ولئن طالبتنى باساءتى لاطالبنك باحسانك ولئن أدخلتنى النار لاخبرن أهلها بمحبتى لك فنودى ياأبا سليمان لاندخلك النار ولانعذبك بها أبدا بل ندخلك الجنة لتخبر أهلها بمحبتنا لك ولاتخبر أهل النار بمحبتك لنا فان مكان المحبين الجنة ومكان الاعداء النار اخوانى المحبة عروس مهرها النفوس ولها تخضع الرقاب والرؤس وهى تجلى على أهلها الاسرار وتصفو بها الاكدار وتروق معانى أبكار الافكار وهى للعارف نور وللجاهل نار اذا مزجت خمرة المحبة على أهل جنة الوصال يتنعمون فيها بالغدو والآصال والحبيب يتجلى عليهم بلا حجاب وملائكة السرور يدخلون عليهم من كل باب فالذين يتلون كتاب الله طوبى لهم وحسن مآب متكئين فيها على الارائك نعم الثواب

﴿وحكى عن يوسف بن الحسين رحمه الله تعالى﴾ أنه قال سمعت ذا النون المصرى رضى الله عنه يقول بينما أنا فى شوارع مصر اذ رأيت

فلما رآه آدم قال الهى من هذا الكريم الذى أبحت له بحبوحة الكرامة و رفعته الدرجة العالية قال يا آدم هذا ابنك المحسود على ما آتيته يا آدم أنحله قال آدم قد أنحلته ثلثى حسن ذريتى ثم ان آدم ضم يوسف الى صدره وقبل بين عينيه وقال يابنى لاتأسف فأنت يوسف فأول من سماه يوسف آدم فقسم الله تعالى ليوسف من الجمال الثلثين وقسم بين العباد الثلث وكان يشبه آدم عليه السلام يوم خلقه الله تعالى بيده وصوّره ونفخ فيه من روحه قبل أن يصيب المعصية وقد كان الله أعطى آدم الحسن والجمال والبهاء يوم خلقه فلما عصى نزع ذلك منه وأعطاه يوسف عليه السلام ثم لما تاب عليه وهبه ثلث الجمال الذى كان انتزعه منه وذلك ان الله تعالى أحب أن يرى العباد أنه قادر على مايشاء فاعطى يوسف من الحسن والجمال مالم يعطه أحدا من الناس ثم أعطاه العلم بتأويل الرؤيا وكان يخبر بالامر الذى يرى فى المنام أنه سيكون كذا وكذا من قبل أن يكون ذلك الامر علمه الله ذلك كما علم الاسماء كلها لآدم فكان حسن يوسف كضوء النهار وكان يوسف أبيض اللون جميل الوجه جعد الشعر ضخم العينين مستوى الخلقة غليظ الساقين والعضدين والساعدين خميص البطن أقنى الانف صغير السرة وكان بخده الايمن خال أسود وكان ذلك الخال يزين وجهه وكان بين عينيه شامة بيضاء كأنها القمر ليلة البدر وكانت أهداب عينيه تشبه قوادم النسور وكان اذا تبسم رؤى النور من ضواحكه واذا تكلم رأيت شعاع النور يشرق من بين ثناياه لا يقدر بنو آدم ولا أحد على وصف يوسف عليه الصلاة والسلام ويقال انه ورث الحسن من جده اسحق بن ابراهيم وكان أحسن الناس واسحق هو الضاحك بالعبرانية وهو ورث الحسن من أمه سارة فان الله تعالى صوّرها على صورة الحور العين ولكن لم يعطها صفاءهن وأعطى يوسف من الحسن والجمال وصفاء اللون ونقاء البشرة مالم يعطه أحدا من العالمين وانه كان ليأكل البقول والفواكه فترى حين يزدردها فى حلقه وفى صدره حتى تصل الى بطنه وورثت سارة الحسن من جدتها حوّاء وقال وهب الحسن عشرة أجزاء ليوسف تسعة وواحد بين سائر الناس (وعن) عبد الله بن مسعود عن النبى عليه السلام قال هبط جبريل عليه السلام فقال يا محمد ان الله تعالى يقول لك كسوت حسن يوسف من نور الكرسى وكسوت وجهك من نور عرشى وقيل لبعض الحكماء أيوسف أحسن أم محمد فقال كان يوسف من أحسن الناس ومحمد صلى الله عليه وسلم أحسن الناس ويدل عليه حديث جابر بن عبد الله قال نظرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه حلة حمراء ونظرت الى القمر ليلة البدر فهو أحسن فى عينى من القمر ﴿القول فى القصة﴾ قال أهل العلم بقصص الانبياء وأخبار الماضين كان ابتداء أمر يعقوب ويوسف عليهما السلام وبدء محبة يعقوب له وايثاره على سائر ولده ان الله تعالى أنبت ليعقوب شجرة فى صحن داره فكان كلما ولد له ولد أخرج الله تعالى من تلك الشجرة غصنا فكان كلما كبر الغلام وشب طال ذلك الغصن وغلظ فاذا بلغ ذلك الغلام قطع يعقوب ذلك الغصن ودفعه اليه فولد له عشرة بنين فاخرج الله تعالى من تلك الشجرة عشرة قضبان فلما ولد له يوسف لم يخرج الله تعالى من الشجرة شيأ فلما كبر وشب قال لابيه يانبى الله انه ليس أحد من اخوتى الا وله غصن الا أنا فادع الله تعالى أن يخصنى بغصن من الجنة فرفع يعقوب يديه الى السماء وقال اللهم انى أسألك أن تهب ليوسف غصنا من الجنة يفتخر به على جميع اخوته فهبط جبريل عليه الصلاة والسلام ومعه قضيب من الجنة من الزبرجد الاخضر فقال ليوسف خذ هذا فكان يوسف يأخذه ويخرج به مع اخوته قال فرأى يوسف فيما يرى النائم وهو اذ ذاك صبى كان قضيبه غرس فى الارض فعلق وتدلت أغصانه وأثمرت من كل ثمرة ثم أتى بأغصان اخوته فغرست حوله فلم تعلق ولم تفرّع ولم تثمر واذا بغصن يوسف أقصرها وأصغرها لم يزل يتعالى فى السماء ويطول حتى طال على أغصان اخوته ثم هب الريح فاقتلعت أغصان اخوته من أصولها وألقتها فى البحر وثبت غصن يوسف فى الارض قائما فانتبه فزعا مرعوبا فقال له أبوه ما الذى دهاك يابنى فقص عليه رؤياه فبلغ اخوته فقالوا يا ابن راحيل لقد رأيت عجبا يوشك أن تدعى انك مولانا ونحن عبيدك فشق عليهم رؤياه وحسدوه بعض الحسد قال وهب رأى يوسف هذه الرؤيا يعنى الغصن وهو ابن سبع سنين ثم انه رأى وهو ابن اثنتى عشرة سنة الرؤيا التى قصها الله علينا فى كتابه اذ قال تعالى اذ قال يوسف لابيه يا أبت انى رأيت أحد عشر كوكبا الآية وكان ينومه الى جانبه فبينما يوسف نائم عند أبيه ليلة من الليالى اذ رأى الرؤيا التى ذكرها الله تعالى فى كتابه العزيز وكانت ليلة الجمعة فانتبه من منامه فزعا مرعوبا فالتزمه يعقوب وضمه

جارية مسفرة عن وجهها وهى تمشى من غير خمار فقلت لها ياجارية أما تستحى من الله تعالى فقالت ياذا النون وما يصنع الخمار بوجه علاه الاصفرار قال ذو النون فقلت لها عساك تناولت شيأ من شراب القوم فقالت اسكت يابطال شربت البارحة بكاس وده مسرورة فأصبحت بحبه مخمورة قال ذو النون فقلت لها ياجارية عسى فائدة منك أو وصية أحفظها عنك فقالت ياذا النون عليك بالسكوت حتى يتهموك بأنك مبهوت وارض من الله باليسير من القوت يبنى لك بيت فى الجنة من الياقوت قيل أوحى الله تعالى الى نبيه داود عليه السلام ياداود احببنى وأحبب من يحبنى وحببنى الى عبادى فقال داود يارب كيف أحبك وأحب من يحبك واحببك الى عبادك فقال تذكرنى لهم وتذكرهم آلائى ونعمائى فانهم لم يعرفوا منى الا الجميل والاحسان * قيل أوحى الله تعالى الى نبيه الخليل عليه السلام ياابراهيم انك لى خليل وانا لك خليل فاحذر ان اطلع على قلبك فاجده مشغولا بغيرى فينقطع حبك منى فانى انما أختار لحبى من لو أحرقته بالنار لم يلتفت قلبه عنى ولم يشتغل بغيرى فاذا كان كذلك اسكنت محبتى فى قلبه

الى صدره وقيل بين عينيه وقال ياحبيب أبيه ماالذى أصابك فقال ياأبت رأيت رؤيا أفزعتنى فقال يابنى خيرا رأيت ماالذى رأيت قال يوسف رأيت كأن أبواب السماء فتحت وقد أشرق منها النور فاستنارت النجوم وأشرقت الجبال و زخرت البحار وعلت أمواجها وسبحت الحيتان بأنواع اللغات و رأيت كأنى ألبست رداء أشرقت الارض من حسنه ونوره و رأيت كأن مفاتيح خزائن الارض ألقيت بين يدى فبينما أنا كذلك اذ رأيت أحد عشر كوكبا انقضت من السماء ومعها الشمس والقمر فخر والى ساجدين فقال يعقوب يابنى لاتقصص رؤياك على اخوتك الآية ثم عبر رؤياه فقال وكذلك يجتبيك ربك و يعلمك من تأويل الاحاديث الآية قال فسمعت امرأة يعقوب ماقال يوسف لابيه فقال لها يعقوب اكتمى ماقال يوسف ولاتخبرى أولادى بذلك فقالت نعم فلما أقبل أولاد يعقوب من مراعيهم أخبرتهم بالرؤيا التى أمرها يعقوب بكتمها فانتفخت أوداجهم واقشعرت جلودهم غضبا على يوسف وقالوا ماعنى بالشمس غير أبينا ولا بالقمر غيرك ولا بالكواكب غيرنا ثم قالوا ان ابن راحيل يريد أن يتملك علينا فيقول أنا سيدكم وأنتم عبيدى فحسدوه على ذلك فلذلك قيل فى الحكمة لاتأمنن قارئا على صحيفة ولاشابا على امرأة ولا امرأة على سر (و روى) الحكم بن ظهير عن اسمعيل السدى عن عبد الرحمن عن جابر بن عبد الله قال جاء رجل من اليهود يقال له نستار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله أخبرنى عن النجوم التى رآها يوسف ساجدة له ماأسماؤها فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يجبه بشئ حتى نزل جبريل عليه السلام فأخبره بأسمائها فأرسل الى اليهودى ودعاه وقال له ان أخبرتك بأسمائها أتسلم قال نعم فقال له جريان والطارق والذيال وذو الكتفين والفرغ و وثاب وعمودان وقابس والمصبح والفليق والضروح رآها يوسف فى أفق السماء ساجدة له فلما قص رؤياه على أبيه قال أرى شيأ مشتتا يجمعه الله لك فقال اليهودى هذه والله أسماؤها ويقال كان بين رؤيا يوسف فى الغصن ورؤياه فى الكواكب سبع سنين فلما كان من أمر رؤيا يوسف ما كان وانضاف الى ذلك تخصيص أبيه يعقوب اياه بالمحبة والقربة حسده اخوته وحملهم الحسد على أن تآمروا بينهم فى أن يفرقوا بينه و بين أبيه بضرب من الاحتيال و يهلكوه فيما بينهم كما أخبر الله عنهم فى قوله تعالى اذ قالوا ليوسف وأخوه أحب الى أبينا منا ونحن عصبة ان أبانا لفى ضلال مبين أى خطائين فى ايثاره يوسف وأخاه علينا اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين أى تائبين فاستعدوا التوبة قبل وقوع الذنب قال قائل منهم وهو يهوذا وكان أفضلهم وأعقلهم لاتقتلوا يوسف فان القتل عظيم وألقوه فى غيابة الجب وهو البئر غير المطوية يلتقطه بعض السيارة ان كنتم فاعلين قيل للحسن أيحسد المؤمن فقال للسائل ما أنساك بنى يعقوب ولهذا قيل الاب جلاب والاخ سلاب فعند ذلك أجمعوا رأيهم أن يدخلوا على يعقوب و يكلموه فى ارسال يوسف معهم الى البرية فقال لهم روبيل وهو أكبر ولد يعقوب ان أباكم لايأمنكم على يوسف ولكن انطلقوا بنا الى يوسف حتى نلعب بين يديه فاذا نظر الينا كيف نمرح ونلعب اشتاق الى ذلك فأقبلوا على يوسف وهو قاعد يسبح فجعلوا يتلاعبون و يتضاحكون بين يديه فلما رأى يوسف ذلك اشتاق الى اللعب معهم فأقبل عليهم وقال يااخوتاه أهكذا تلعبون فى مراعيكم قالوا نعم يايوسف انك لو رأيتنا ونحن نلعب فى مراعينا لتمنيت أن تكون معنا فشوّقوه الى ذلك حتى كان هو الطالب اليهم فقال لهم يااخوتاه انطلقوا الى أبى واسألوه أن يرسلنى معكم فأقبلوا الى يعقوب و وقفوا بين يديه صفا وكانوا يفعلون هكذا اذا أرادوا أن يسألوه حاجة فلما رآهم بين يديه وقوفا صفوفا قال لهم ماحاجتكم قالوا ياأبانا مالك لاتأمنا على يوسف وانا له لناصحون نحوطه ونحفظه حتى نرده اليك أرسله معنا غدا نرتع ونلعب فى الصحراء وانا له لحافظون فقال لهم يعقوب انى ليحزننى أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون لاتشعرون بذلك قال ابن عباس وغيره انما قال ذلك يعقوب لانه رأى فى منامه كأن يوسف على رأس جبل وكان عشرة من الذئاب قد شدوا عليه ليأكلوه واذا ذئب منها يحمى عنه وكأن الارض قد انشقت فدخل فيها يوسف فلم يخرج منها الا بعد ثلاثة أيام فلما رأى يعقوب هذه الرؤيا خاف على يوسف من الذئب فلذلك قال لهم وأخاف أن يأكله الذئب * أخبرنا الحسين بن محمد بن فتحويه أخبرنا عبد الله بن شبة أخبرنا أبو نعيم عبد الرحمن بن قريش أخبرنا محمد بن عمرو بن الحكم الهروى أخبرنا مالك بن سليمان القروى أخبرنا عبيد الله بن عمر العمرى عن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لاتلقنوا الناس الكذب فيكذبوا فان بنى يعقوب لم يعلموا أن الذئب يأكل

فتواترت عليه ألطافى فقربته منى و وهبته محبتى فأى نعيم يعدل ذلك عندى وأى شرف أشرف منه لدى فوعزتى لاشفين صدره بالنظر الى وذلك أنى محب لمن أحبنى (اخوانى) اذا كانت محبته سبقت للعبد بالعناية القديمة كيف لايسلك العبد الطريق المستقيمة كما قيل ان الله تعالى يقول ياجبريل أنم فلانا وأيقظ فلانا فالمحب بين يدى محبوبه قائم ولخدمته ملازم وفى حبه دائم فاعليه من العاذل واللائم

(شعر)

ياعاذل القلب فى صبابته ولائم الصب فى تصابيه
أترك ملامى وخل عنك عذلى
الحب معنى ولست تدريه فى ضميرى من لاأبوح به
وفى فؤادى من لاأسميه قد أدهش الطرف فى محاسنه
وحير القلب فى معانيه محجب والقلوب تشهده
مغيب والغرام يبديه و وجهه حيث كنت واجدنى
لاشئ يخفيه أو يواريه ان جئته ضارعا بأملى
يقول لبيك فى تعاليه هاأنا دان ومنك مقترب
فخذ من الوصل ورد صافيه

* (وعن ذى النون المصرى رحمه الله تعالى) * أنه قال رأيت فتى ظاهره الجنون و باطنه الفنون فعلمت أنه محب مولاه مفتون فسمعته يبكى و يقول فى مناجاته مولاى قربت المحبين وطردتنى فا[illegible]نى وخصصتهم بالوصل

الانسان حتى لقيهم أبوهم فلما القيهم وقال انى أخاف أن يأ كله الذئب قالوا أ كله الذئب فقال بنوه لئن أ كله الذئب ونحن عصبة أى عشرة رجال انا اذا لخاسرون عجزة مغلوبون ثم قالوا يا نبى الله كيف يأ كله الذئب وفينا شمعون اذا غضب لايسكن غضبه حتى يصيح فاذا صاح لاتسمعه حامل الا وضعت مافى بطنها وفينا يهوذا اذا غضب شق السبع نصفين فلما سمع يعقوب منهم ذلك اطمأن اليهم وأقبل يوسف حتى وقف بين يدى أبيه ثم قال له يا أبت أرسلنى معهم قال أوتحب ذلك يا بنى قال نعم قال اذا كان غدا أذنت لك فى ذلك فلما أصبح يوسف لبس ثيابه وشد عليه منطقته وأخذ قضيبه وخرج مع اخوته ثم عمد يعقوب الى السلة التى حمل فيها ابراهيم زاد اسحق فحمل فيها زاد اليوسف وخرج ليشيعهم فقالوا يا نبى الله ارجع فقال يعقوب يا بنى أوصيكم بتقوى الله وبحبيبى يوسف أسألكم بالله ان جاع أطعموه وان عطش فاسقوه وقوموا عليه ولاتتعبوه ولاتخذلوه وكونوا متواصلين متراحمين قالوا نعم يا أبانا كلنا لك ولد وهو أخونا كاحدنا بل له الفضل علينا بحبك اياه فقال نعم يا بنى الله خليفتى عليكم مع انى خائف أن أكون قد ضيعته ثم انه أقبل على يوسف فالتزمه وضمه الى صدره وقبل بين عينيه ثم قال استودعك الله رب العالمين وانصرف راجعا (روى) السدى ورجاء عن ابن مسعود وابن عباس وناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم واسحق بن بشر بن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس ومقاتل عن ابن بحيرة عن كعب الاحبار عن سعيد بن أبى عروبة عن الحسن دخل كلام بعضهم فى بعض قالوا أرسل يعقوب يوسف مع اخوته فأخرجوه مظهرين له الكرامة فلما برزوا به الى البرية أظهروا له العداوة وضربوه فجعل يستغيث بهم واحدا بعد واحد وهم يضربونه فلا يرى منهم رحيما وأخذوا ما كان زوده يعقوب وأطعموه الكلاب وضربوه حتى كادوا يقتلونه وعطش عطشا شديدا فقال لهم اسقونى جرعة من ماء قبل أن تقتلونى فلم يسقوه فعند ذلك بكت الملائكة رحمة ليوسف فلما رأى يوسف أن ليس أحد منهم يعطف عليه جعل يصيح ويقول يا أبتاه يا يعقوب لو تعلم ما يصنع بابنك بنو الاماء فلما هموا بقتله قال لهم يهوذا وكان ابن خالة يوسف وأحسنهم فيه رأيا أليس انكم قد أعطيتمونى موثقا أن لاتقتلوه فعند ذلك أجمعوا على القائه فى الجب كما قال الله تعالى فلما ذهبوا به وأجمعوا أن يجعلوه فى غيابة الجب فانطلقوا به الى الجب ليطرحوه فيه وكان ذلك الجب فى الاردن بين مدين ومصر وقيل بين طبرية والقدس على قارعة الطريق فى واد من أوديتها على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب وكانت بئرا وحشة مظلمة أسفلها واسع وأعلاها ضيق يهلك من طرح فيها من سعة أسفلها لا يمكنه الصعود وكان ماؤها ملحا وكان الجب من حفر سام بن نوح ويسمى جب الاحزان فلما أرادوا أن يلقوه فيه جعلوا يدلونه فى البئر فيتعلق بشفير البئر فربطوا يديه الى عنقه ونزعوا قميصه فقال يا اخوتاه ردوا على قميصى أستتر به عورتى ويكون لى كفنا بعد مماتى وأطلقوا يدى أطرد بهما عنى هوام الجب فقالوا له ادع الشمس والقمر والاحد عشر كوكبا تلبسك وتؤنسك فدلوه فى البئر بحبل فلما بلغ نصفها قطعوا الحبل ليسقط فيموت فيه فأخرج الله تعالى على وجه الماء صخرة ململمة لينة ورفعها الى يوسف فوقف عليها وجعل يوسف يبكى فنادوه فظن أنها رحمة لحقتهم فأجابهم فهموا أن يرضخوه بالحجارة فيقتلوه فمنعهم يهوذا وقال لقد أعطيتمونى موثقا أن لاتقتلوه قالوا فلما ألقى يوسف فى الجب أضاء له الجب وعذب ماؤه حتى كان يغنيه عن الطعام والشراب ويبعث الله تعالى اليه ملكا فحل عنه قيده وكان ابراهيم حين ألقى فى النار جرد من ثيابه وقذف فى النار عريانا فأتاه جبريل عليه السلام بقميص من حرير الجنة فألبسه اياه وكان ذلك القميص عند ابراهيم فلما مات ابراهيم ورثه اسحق فلما مات اسحق ورثه يعقوب منه فلما شب يوسف جعل يعقوب ذلك القميص فى تعويذ وعلقه فى عنقه لما كان يخاف عليه من العين وكان لايفارقه فلما ألقى فى الجب عريانا جاءه الملك وكان عليه التعويذ فأخرج القميص وألبسه اياه وجعل يؤنسه بالنهار (ويروى) أن الملك أتاه بسفرجلة من الجنة فأطعمه اياه فلما أمسى يوسف نهض الملك ليذهب فقال له يوسف انك اذا خرجت عنى أستوحش فقال له الملك قل اذا هبت شيأ يا صريخ المستصرخين يا غياث المستغيثين يا مفرج كرب المكروبين قد ترى مكانى وتعرف حالى ولايخفى عليك شئ من أمرى فلما دعا يوسف بهذا الدعاء بعث الله اليه سبعين ملكا فحفوا به وآنسوه فى البئر ثلاثة أيام فلما كان فى اليوم الرابع أتاه جبريل عليه السلام وقال يا غلام من طرحك ههنا فى هذا الجب قال اخوتى لابى قال ولم قال حسدونى على منزلتى من أبى قال أتحب أن تخرج من هذا الجب قال نعم

منك وهجرتنى فوا كربى وأيقظتهم للقيام بين يديك وأنمتنى فوا ندمى ولذذتهم فى السحر بمناجاتك ومالذذتنى فوا ألمى ثم أخذ فى البكاء والنحيب قال ذو النون فحرك منى ما كان ساكنا وهيج من شوقى ما كان كامنا فقلت له يا فتى ماهذا البكاء فقال يا ذا النون أخبرنى سواد الثوب يزول بالماء والصابون وسواد القلب يزول بماذا قال ذو النون فقلت أنا والله فى طلب ما أنت فى طلبه وما وقعت منه الا فى الحيرة والتيه وأنشد يقول شعرا

رأى سوادى فقلت ويلى
أشد منه سواد قلبى
طلبت منه لذاك غسلا
فقال لى ليس ذا بصعب
كذاك قلبى به سواد
فازددت كربا بالعظم كربى

(اخوانى) سكنت نار المحبة فى القلوب فاستنارت بأنوار المحبوب قال بعضهم سبعة أشياء لاتتم معرفة الرب الا بها اخلاص النية لله عز وجل وصدق العزيمة مع الله والصدق فى الله والشوق الى الله وحسن الظن بالله والخوف من الله فهذه السبعة لاتتم معرفة الله الا بها كما أن المصباح لايوقد الا بسبعة أشياء لابد منها الزناد والحجر والحراق والكبريت والمسرجة والزيت والفتيلة فبدون هذه السبعة أشياء لاسبيل الى ايقاد المصباح فاذا أردت يا هذا ايقاد مصباح

قال

ل قل ياصانع كل مصنوع و ياجابر كل مكسور و ياحاضر كل ملاو ياشاهد كل نجوى و ياقريبا غير بعيد و يامؤنس كل وحيد و ياغالبا غير مغلوب و ياعلام الغيوب و ياحيا لايموت و يامحيي الموتى لااله الا أنت سبحانك أسألك يامن له الحمد يابديع السموات والارض يامالك الملك و ياذا الجلال والاكرام أسألك أن تصلى على محمد وعلى آل محمد وأن تجعل لى من أمرى ومن ضيقى فرجا ومخرجا وترزقنى من حيث أحتسب ومن حيث لاأحتسب فقالها يوسف فجعل الله له من الجب مخرجا ومن كيد اخوته فرجا وأتاه ملك مصر من حيث لايحتسب وأوحى الله اليه وهو فى البئر لتنبئن اخوتك بما عملوا وهم لايعلمون أنك يوسف فذلك قوله تعالى لتنبئنهم بأمرهم هذا وهم لايشعرون (وقال مجاهد) خرج يوسف من عند يعقوب وهو ابن ست سنين لم يثغر وجمع الله بينهما وهو ابن أربعين سنة (أخبرنا) أبو عبد الله الدينورى أخبرنا أبو العباس أحمد بن محمد بن يوسف الصرصرى أخبرنا أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى أخبرنا عمران القزاز أخبرنا عبد الوارث أخبرنا يونس عن الحسن قال ألقى يوسف فى الجب وهو ابن سبع عشرة سنة وكان فى العبودية والملك والسجن ثمانين سنة وعاش بعد ذلك ثمانية وعشرين سنة ومات وهو ابن مائة وخمس وعشرين سنة * رجعنا الى قصة يوسف عليه السلام واخوته بعد ماألقى فى الجب فلما ألقوه فى الجب عمدوا الى سخلة من الغنم فذبحوها ولطخوا قميص يوسف بدمها وشووها وأكلوا لحمها ثم انهم رجعوا الى يعقوب وهو قاعد على قارعة الطريق ينتظرهم متى يأتون بيوسف فلما دنوا منه اصطرخوا صراخ رجل واحد ورفعوا أصواتهم بالبكاء فعلم يعقوب أنهم قد أصيبوا بمصيبة فلما وافوه اجتمعوا وتقدموا بين يديه وشقوا جيوبهم وبكوا ففزع يعقوب وقال مالكم يابنى وأين يوسف قالوا ياأبانا انا ذهبنا نستبق أى ننتضل وكذلك هو فى قراءة عبد الله وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين وهذا قميصه ملطخ بدمه فذلك قوله تعالى وجاؤا أباهم عشاء يبكون وانما فعلوا ذلك ليكونوا فى الظلمة أجرأ على الاعتذار وترويرما مكروا فقد قالوا لاتطلب الحاجة فى الليل فان الحياء فى العينين ولا تعتذر بالنهار من قبح فعلك فتتلجلج فى الاعتذار فلا تقدر على اتمامه (روى) الشعبى قال جاءت امرأة الى شريح فجعلت تبكى فقال رجل ألا ترى الى هذه المرأة المسكينة كيف تبكى فقال شريح قد جاء اخوة يوسف عشاء يبكون ثم انه أنشد فى معناه

أغرك من شيخ بكاء وملقه * أم اللحية البيضاء للنتف مطلقه

فان بنى يعقوب جاؤا أباهم * عشاء وهم يبكون زورا ومخرقه

ل فلما قالوا ياأبانا انا ذهبنا نستبق أى ننتضل وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب الآية الى قوله بدم كذب لانه لم يكن دم يوسف وانما كان دم شاة وقرأت عائشة بدم كدب بدال غير معجمة أى طرى فلما قالوا ذلك ليعقوب بكى بكاء شديدا وقال لهم أرونى قميصه فأروه فقال تالله مارأيت كاليوم ولا ذئبا أحلم من هذا أكل ابنى ولم يشق له جيبا ولا خرق له شقا وصاح صيحة وخر مغشيا عليه فلم يفق الا بعد ساعة طويلة فلما أفاق بكى بكاء شديدا ثم أخذ القميص وجعل يشمه ويقبله ويضعه على وجهه وعينيه (أخبرنا) ابن فنجويه أخبرنا أحمد بن ابراهيم بن شاذان أخبرنا عبيد الله بن ثابت أخبرنا أبو سعيد الاشج أخبرنا اسامة حدثنى زكريا عن سماك عن الشعبى قال كان فى قميص يوسف ثلاث آيات لما جاؤا به الى أبيه فقالوا أكله الذئب فقال أبوه لئن أكله الذئب لشق قميصه وحين سعى نحو الباب فشقت قميصه من خلف فعرف العزيز أنه لو كان هو الذى راودها لكان الشق من بين يديه وحين ألقى على وجهه فارتد بصيرا * قالوا فلما أصبح اخوة يوسف من الغد رجعوا الى مراعيهم فقال بعضهم لبعض قد رأيتم ما كان من تكذيب أبيكم البارحة فان أردتم أن يصدقكم ويخرجكم من الملامة فروا بنا على الجب فنخرج يوسف منه ونفرق بين أضلاعه ولحمه ونجىء به الى يعقوب فقال لهم يهوذا ياأخوتاه أين العهد الذى بينى وبينكم والله لئن فعلتم ماتقولون لاخبرن يعقوب بما كان منكم اليه ثم لاكونن لكم عدوا ما بقيت فتركوه ثم انهم رجعوا الى أبيهم عشاء فقال لهم يعقوب ان كنتم صادقين أن الذئب أكله فأين الذئب ائتونى به فعمدوا الى حبالهم وعصيهم فأخذوها ومضوا الى الصحراء فاصطادوا ذئبا وشدوه وأوثقوه كتافا ثم حملوه الى يعقوب وأوقفوه بين يديه فقال حلوا عقاله خلوه فقال له يعقوب أقبل فاقبل الذئب يتخطى القوم حتى وقف بين يدى يعقوب منكسا رأسه فقال له يعقوب أيها الذئب أكلت ولدى وقرة عينى وحبيب قلبى وثمرة فؤادى لقد أورثتنى حزنا طويلا وألما عظيما قال فتكلم الذئب وقال لا وحق شيبتك يانبى الله ما أكلت لك ولدا وان لحومكم ودماءكم

الشكر وفتيلة الصبر ثم تعلق المصباح فى سلاسل التضرع الى ربك فعند ذلك يتوقد نوره فى قلبك (وحكى عن محمد بن أحمد المقيد رحمه الله تعالى) انه قال سمعت الجنيد رضى الله تعالى عنه يقول كنت نائما عند السرى السقطى رضى الله تعالى عنه ليلة من الليالى فايقظنى وقال ياجنيد رأيت كأنى وقفت بين يدى الله تعالى فقال ياسرى خلقت الخلق فادعى كلهم محبتى وخلقت الدنيا فهرب منى تسعة اعشارهم وبقى العشر وخلقت الجنة فهرب منى تسعة أعشار العشر وبقى عشر العشر فسلطت عليهم ذرة من البلاء فهرب منى تسعة اعشار عشر العشر وبقى عشر عشر العشر فقلت للباقين لا الى الدنيا أردتم ولا الى الجنة طلبتم ولا من البلاء هربتم فما الذى تريدون وما الذى تطلبون فقالوا أنت المراد ولو قطعتنا بالبلاء لم نحل عن المحبة والوداد فقلت لهم انى مسلط عليكم من البلاء والاهوال مالا تقوم بحمله الجبال أتصبرون على البلاء قالوا بلى اذا كنت أنت المبلى لنا فافعل ماشئت لنا فهؤلاء عبادى حقا وأحبابى صدقا (الخوانى)

معشر الانبياء محرمة علينا واني لمظلوم مكذوب علي واني لذئب غريب من بلاد مصر فقال له يعقوب وما أدخلك أرض كنعان قال جئت لاجل قرابة لي من الذئاب أزورهم وأصلهم فعند ذلك قال يعقوب لاولاده بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل وهو الذي لا جزع فيه ولا شكوى والله المستعان على ما تصفون * قال ابن عباس انما كان سبب بلاء يعقوب أنه ذبح شاة وهو صائم فاستطعمه جار له فلم يطعمه فابتلاه الله تعالى بأمر يوسف قال فمكث يوسف في الجب ثلاثة أيام فلما كان اليوم الرابع ودعا بالدعاء الذي علمه جبريل عليه السلام جاءت سيارة أي رفقة مارة من قبل مدين تريد مصر فأخطؤا الطريق وضلوا عنها حتى نزلوا قريبا من الجب قال وكان الجب في قفر بعيد من العمران وانما هو للرعاة والمجتازة وكان ماؤه مالحا فعذب حين ألقي فيه يوسف فلما نزلت السيارة أرسلوا رجلا من العرب من أهل مدين يقال له مالك بن دعر ليطلب لهم ماء فذلك قوله تعالى وجاءت سيارة فأرسلوا واردهم فأدلى دلوه قالوا والوارد الذي يتقدم الرفقة الى الماء فيهيء الارشية والدلاء فوصل الوارد الى البئر فأدلى دلوه أي أرسلها فتعلق يوسف بالحبل فلما وصل الى فم البئر ورآه مالك بن دعر رأى أحسن ما يكون من الغلمان فقال مالك يا بشراي هذا غلام يبشر أصحابه أنه أصاب عبدا وأسروه بضاعة قال المفسرون أسر مالك بن دعر وأصحابه أمر يوسف من التجار الذين معهم وقالوا لهم هو بضاعة استبضعناها من بعض الناس الى مصر خيفة أن يطلبوا منهم فيه الشركة ان علموا حاله قال وكان يهوذا يأتي يوسف بالطعام كل يوم سرا من اخوته فأتاه ذلك اليوم كما كان يفعل فلم يجده في البئر فنظر فاذا هو بمالك وأصحابه نزولا ويوسف معهم فرجع يهوذا وأخبر اخوته بذلك فأتوا الى مالك وقالوا له هذا عبد لنا أبق منا وكتم يوسف حاله مخافة أن يقتلوه فقال مالك أنا أشتريه منكم فباعوه منه فذلك قوله تعالى وشروه بثمن بخس دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين أي باعوه بثمن ناقص ظالم حرام لان ثمن الحر حرام ثم بين الثمن فقال دراهم معدودة وانما قال ذلك لانهم كانوا في ذلك الزمان لا يزنون ما كان وزنه أقل من أوقية أربعين درهما انما كانوا يعدونها عدا فاذا بلغ أوقية وزنوه لان أقل أوزانهم وأصغرها يومئذ أوقية أربعون درهما (واختلف) العلماء في عدد الدراهم التي باعوا بها يوسف فقال ابن مسعود وابن عباس وقتادة والسدي عشرون درهما واقتسموها بينهم درهمين درهمين وقال مجاهد اثنان وعشرون درهما وقال عكرمة أربعون درهما وانما باعوه بهذا القدر لانهم كانوا فيه من الزاهدين لم يعلموا كرامته على الله ولا منزلته عند الله ويقال ان السبب في استرقاق يوسف وبيعهم اياه ان ابراهيم دخل مصر في بعض الازمنة فلما خرج منها شيعه زهادهم وعبادهم حفاة مشاة الى أربعة فراسخ تعظيما له واجلالا ولم يترجل لهم ابراهيم فأوحى الله اليه لئن لم تنزل لعبادي وهم يمشون معك حفاة لاعاقبنك بأن يباع ولد من أولادك في هذه المدينة ثم ان مالك بن دعر انطلق هو وأصحابه بيوسف ومعه اخوته يقولون لهم استوثقوا منه فانه آبق سارق كاذب وقد برئنا اليكم من عيوبه فحمله مالك على ناقة له وساروا به الى مصر وكان طريقهم على قبر أمه فلما رأى قبر أمه لم يتمالك ان رمى نفسه عن الناقة الى القبر وهو يقول يا أمي يا راحيل حلي عنك عقدة الردى وارفعي رأسك من الثرى وانظري الى ولدك يوسف وما لقي بعدك من البلايا أماه لو رأيت ضعفي وذلي لرحمتيني يا أماه لو رأيتيني وقد نزعوا قميصي وشدوني وفي الجب ألقوني وعلى حر وجهي لطموني وبالحجارة رجموني ولم يرحموني وكما تباع العبيد باعوني وكما يحمل الاسير حملوني (قال كعب الاحبار) فسمع يوسف مناديا من خلفه وهو يقول اصبر وما صبرك الا بالله قال فافتقده مالك على الناقة التي كان عليها فلم يجده فصاح في القافلة الا ان الغلام قد رجع الى أهله فطلب القوم يوسف فرأوه فأقبل عليه رجل منهم فقال يا غلام قد أخبرنا مواليك بأنك آبق سارق فلم نصدق حتى رأيناك تفعل ذلك فقال والله ما أبقت ولكنكم مررتم على قبر أمي فلم أتمالك أن رميت نفسي على قبرها قال فرفع مالك بن دعر يده ولطم حر وجهه وجره حتى حمله على ناقته وروي أنهم قيدوه فذهبوا به حتى قدموا مصر قال مالك ما نزلت منزلا ولا ارتحلت الا استبان لي بركة يوسف وكنت أسمع تسليم الملائكة عليه صباحا ومساء وكنت أنظر الى غمامة بيضاء تظله وتسير فوق رأسه اذا سار وتقف على رأسه اذا وقف فلما قدموا مصر أمره مالك بن دعر أن يغتسل فاغتسل وألبسه ثوبا حسنا وعرضه للبيع فاشتراه قطفير بن رحيب وهو العزيز بمصر ونواحيها وكان على خزائن الملك الاعظم وكان الملك يومئذ بمصر ونواحيها الريان بن الوليد بن ثروان بن أراشة بن فاران بن عمرو بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام ويروى ان هذا الملك ما مات حتى آمن بيوسف وتبعه على دينه ثم مات ويوسف

البلاء موكل بالمحبين قد أضنى منهم الاجساد وتمكن من القلوب فلا يزالون كذلك حتى يصلوا الى المحبوب وأنشد بعض العارفين يقول شعرا

بنى الله للاحباب بيتا سماؤه هموم وأحزان وحيطانه الضر *
وحصباؤه كرب وغم وسقفه سقام وآلام يضيق بها الصدر

وأدخلهم فيه وأغلق بابه * وقال لهم مفتاح بيتكم الصبر * (وعن ابراهيم الخواص رضي الله تعالى عنه ونفعنا به أنه قال * كان عتبة الغلام من الخواص المعروفين بالاخلاص وكان يزورني في بعض الايام والليالي وكان صائم الدهر قائم الليل فبات عندي ليلة فقدمت اليه العشاء ليفطر عليه فلم يفطر عندي الا على الماء فلما صلى العشاء الاخيرة أحرم وقام يصلي الى السحر فسمعته يقول في مناجاته سيدي ان تعذبني فانا لك محب وان ترحمني فانا لك محب ثم بكى وشهق شهقة عظيمة وخر مغشيا عليه فلما أفاق قلت له يا عتبة كيف كانت ليلتك فصرخ صرخة عظيمة ثم قال يا ابراهيم ذكر العرض على أسرع الحاسبين قطع أوصال المحبين ثم غشي عليه فلما أفاق رفع رأسه وقال يا سيدي أتراك تعذب من أحبك بالنيران أو تبتلي قلبه بالهجران فسمع هاتفا

حي ثم ملك بعده قابوس بن مصعب بن معاوية بن نمير بن السلواس بن فاران بن عمر و بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام وكان كافرا فدعاه يوسف الى الاسلام فأبى أن يسلم (قال ابن عباس) لما دخلوا مصر تلقى قطفير السيارة وابتاع يوسف من مالك بن دعر بعشرين دينارا وزوج نعال وثوبين أبيضين (وقال وهب بن منبه) قدمت السيارة الى مصر فدخلوا بيوسف الى السوق يعرضونه للبيع فترافع الناس في ثمنه وتزايدوا حتى بلغ ثمنه وزنه مسكا وورقا وحريرا فابتاعه قطفير بهذا الثمن من مالك فلما اشتراه أتى به منزله وقال لامرأته أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا واسمها راعيل بنت رعيائيل قاله اسحق بن يسار * وأخبرني ابن فتحويه أخبرنا ابن أبي شيبة أخبرنا أبو حامد المسيامي أخبرنا أبو هاشم الرفاعي قال اسم امرأة العزيز بكا بنت فيوش قالوا فقال لها أكرمي مثواه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولدا نتبناه وقال ابن اسحق كان قطفير لا يأتي النساء وكانت امرأته راعيل حسناء ناعمة في ملك ودنيا (أخبرنا) أبو بكر الجوزقي أخبرنا أبو العباس الدعولي بسرخين أخبرنا علي بن الحسين الهلالي أخبرنا أبو نعيم أخبرنا زهير عن ابن اسحق عن أبي عبيد عن عبد الله بن مسعود قال أفرس الناس ثلاثة العزيز حين تفرس في يوسف وقال لامرأته أكرمي مثواه والمرأة التي أتت موسى فقالت لابيها يا أبت استأجره وأبو بكر حين استخلف عمر قال الله تعالى وكذلك مكنا ليوسف في الارض يعني أرض مصر قال أهل الكتاب لما تم ليوسف في الارض ثلاثون سنة استوزره فرعون مصر وجعله على خزائنه فذلك قوله تعالى وكذلك مكنا ليوسف في الارض ولنعلمه من تأويل الاحاديث الآية قالوا فلما أتى العزيز بيوسف الى منزله وقال لامرأته أكرمي مثواه فتأملته امرأة العزيز ورأت حسنه وجماله وقع حبه في قلبها وعشقته فراودته أي طلبت منه متابعتها على هواها وذلك قوله تعالى وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الابواب وقالت هيت لك أي هلم تدعوه الى نفسها فقال يوسف عند ذلك معاذ الله انه ربي أحسن مثواي يعني زوجك قطفير سيدي انه أحسن مثواي انه لا يفلح الظالمون يعني ان فعلت هذا فخنته في أهله بعد ما أكرمني وائتمنني فأنا ظالم له ولا يفلح الظالمون قال الله تعالى ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه ومعنى الهم بالشيء ما حدث المرء به نفسه ولم يفعل ذلك بعد قال الشاعر

همت ولم أفعل وكدت وليتني * تركت على عثمان تبكي حلائله

أما ما كان من هم يوسف بالمرأة وهمها به فاختلف أهل العلم في ذلك قال السدي وابن اسحق لما أرادت امرأة العزيز مراودة يوسف عن نفسه جعلت تذكر له محاسن نفسه وتشوقه الى نفسها فقالت له يا يوسف ما أحسن شعرك قال هو أول شيء ينتثر من جسدي قالت يا يوسف ما أحسن عينيك قال هما أول ما يسيل في الارض من جسدي قالت ما أحسن وجهك قال التراب يأكله فلم تزل تأمره مرة وتعظمه أخرى وتدعوه الى اللذة وهو شاب مستقبل يجد شبق الشباب وهي حسناء جميلة حتى لان لها لما يرى من كلفها به ولم يتخوف منها حتى خلوا في بعض البيوت وهم بها (وروى) اسحق بن يسار عن جويبر عن الضحاك ومقاتل جميعا عن ابن عباس فيما كان من محاورتهما قال قالت يا يوسف ما أحسن شعرك قال هو أول شيء يبلى اذا مت قالت يا يوسف ما أحسن وجهك قال ربي تعالى صورني في الرحم قالت يا يوسف قد أنحلت جسمي بصورة وجهك قال الشيطان يعينك على ذلك قالت يا يوسف الجنينة قد التهبت نارا قم فاطفها فقال ان أطفأتها فنها احتراقي قالت يا يوسف الجنينة قد عطشت قم فاسقها قال من كان المفتاح بيده فهو أحق أن يسقيها مني قالت يا يوسف بساط الحرير قد بسط لك قم فاقض حاجتي قال اذا يذهب نصيبي من الجنة قالت يا يوسف ادخل معي تحت الستر فأسترك به قال ليس شيء يسترني من ربي تعالى ان عصيته قالت يا يوسف ضع يدك على صدري تشفني بذلك قال سيدي أحق بذلك مني قالت أما سيدك فأسقيه كأسا فيه زئبق الذهب فيتناثر لحمه ويتساقط عظمه ثم ألقيه في الاستبرق وألقيه في القبطون يعني المخدع لا يعلم به أحد من الناس وأولئك ملكه قليله وكثيره قال فان الجزاء يوم الجزاء قالت يا يوسف اني كثيرة الدر والياقوت والزمرد فأعطيك ذلك كله حتى تنفقه في مرضاة سيدك الذي في السماء فأبى يوسف (قال ابن عباس) فجرى الشيطان فيما بينهما فضرب باحدى يديه الى جنب يوسف وباليد الاخرى الى جنب المرأة حتى جمع بينهما قال ابن عباس فبلغ من هم يوسف الى أن حل الهميان وجلس منها مجلس الرجل الخائن (وروى) جابر عن الضحاك عن ابن عباس همت بيوسف أن يفترشها وهم بها يعني تمناها أن تكون له زوجة * وأما البرهان الذي رآه يوسف وكان

يقول حاشاه أن يعذب من أحبه واجتباه واختاره واصطفاه وأنشد يقول شعرا في وصف حبك ما يغني عن الغزل * وفي حديثك ما يلهي عن العذل
ملكت كلي فكل منك محتمل
فالامر أمرك ليس الامر من قبلي
وحق حبك ما قلبي بمنقلب
لي سواك وما حبي بمرتحل
ولو سفكت دمي عمدا بلا سبب
لكان عين الرضا حقا بلا ملل
(وعن أبي بكر بن عبد الله رضي الله تعالى عنه) أنه قال تهت في بادية العراق أياما فلم أجد أحدا أرافقه فبينما أنا سائر ذات يوم اذ رأيت خيمة من شعر لبعض العرب فقصدتها فاذا على باب تلك الخيمة ستر مسبل فسلمت على من في الخيمة فردت على السلام عجوز من داخل الخيمة ثم قالت من أين الرجل قلت من مكة قالت وأين تريد قلت الشام فقالت أرى سيحك سيح البطالين هلا لزمت زاوية تعبد الله فيها ثم قالت هل تحسن شيأ من القرآن قلت نعم فقالت اقرأ عليّ آخر سورة الفرقان قال فقرأتها فصرخت صرخة عظيمة وغشي عليها فلما أفاقت قرأت عليّ آيات فاقشعر جسدي لقراءتها ثم قالت اقرأ علي ثانيا ما قرأته قال فقرأته فلحقها مثل ما لحقها في المرة الاولى ثم مكثت طويلا فقلت في

سبب العصمة وصرف الفاحشة عنه فاختلفوا فيه (أخبرنا) أبو الحسين عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الطبرانى أخبرنا حسن بن عطية عن اسرائيل بن أبى حصين عن أبى سعيد قال ابن عباس فى قوله تعالى لولا أن رأى برهان ربه قال مثل له يعقوب فضرب بيده على صدره فخرجت شهوته من أنامله وقال الحسن ومجاهد وعكرمة والضحاك انفرج له سقف البيت فرأى يعقوب عاضا على أصبعه قال فكل بنى يعقوب ولد له اثنا عشر ولدا الا يوسف فانه ولد له أحد عشر ولدا من أجل ما نقص من شهوته حين رأى صورة أبيه فاستحيا منه وقال قتادة رأى صورة يعقوب فقال له يعقوب يا يوسف أتعمل عمل السفهاء وأنت مكتوب فى ديوان الانبياء (وقال السدى) نودى يا يوسف لا تواقعها انما مثلك ما لم تواقعها مثل الطير فى جو السماء لا يطاق ومثلك ان واقعتها مثله اذا مات ووقع فى الارض لا يقدر أن يدفع عن نفسه ومثلك ما لم تواقعها مثل الثور الصعب الذى لا يعمل عليه ومثلك ان واقعتها مثل الثور الذى يموت فيدخل النمل فى أصل قرنيه فلا يستطيع أن يدفع عن نفسه (أخبرنا) عبد الله بن حامد بن محمد الاصفهانى أخبرنا أحمد بن محمد بن يزيد السكونى أخبرنا محمد بن ابراهيم بن خالد بن عمر بن حفص البصرى ببغداد أخبرنا خالد بن يزيد البصرى أخبرنا جرير عن ليث عن مجاهد عن ابن عباس فى قوله تعالى ولقد همت به وهم بها فقد حل سراويله وقعد منها مقعد الرجل من امرأته فاذا بكف قد بدت فيما بينهما ليس لها عضد ولا معصم مكتوب فيها وان عليكم لحافظين كراما كاتبين يعلمون ما تفعلون فقام هاربا وقامت فلما ذهب عنهما الروع والرعب عادت وعاد فلما قعد منها مقعد الرجل من امرأته اذا الكف قد بدت بينهما ليس لها عضد ولا معصم مكتوب فيها واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله الآية فقام هاربا وقامت فلما ذهب عنهما الرعب عادت وعاد فلما قعد منها مقعد الرجل من امرأته اذا الكف قد بدت بينهما ليس لها عضد ولا معصم مكتوب فيها ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا فقام هاربا وقامت فلما ذهب عنهما الرعب عادت وعاد فلما قعد منها مقعد الرجل من امرأته قال الله تعالى لجبريل عليه السلام يا جبريل أدرك عبدى قبل أن يصيب الخطيئة فانحط جبريل عاضا على أصبعه أو كفه وهو يقول يا يوسف أتعمل عمل السفهاء وأنت مكتوب عند الله فى الانبياء قال الله تعالى كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين (أخبرنا) يعقوب بن أحمد أخبرنا محمد بن عبد الله النعمانى أخبرنا عبد الله بن أحمد بن عامر الطبرستانى حدثنى أبى قال حدثنى على بن موسى الرضا حدثنى أبى عن أبيه جعفر بن محمد الصادق حدثنى أبى عن أبيه على بن الحسين فى قوله تعالى لولا أن رأى برهان ربه قال قامت امرأة العزيز الى الصنم فظللت دونه بثوب قال فقال لها يوسف ما هذا قالت أستحى أن يرانا فقال لها يوسف أتستحين ممن لا يسمع ولا يبصر ولا يفقه ولا أستحى أنا ممن خلق الاشياء كلها وعلمها * قالوا فلما رأى يوسف البرهان قام مبادرا الى باب البيت هاربا مما أرادته فاتبعته المرأة فذلك قوله تعالى واستبقا الباب يعنى تبادر يوسف وراعيل الى الباب أما يوسف ففرارا من ركوب الفاحشة وأما المرأة فطلبا ليوسف ليقضى حاجتها التى راودته عنها فأدركته فتعلقت بقميصه من خلفه فجذبته اليها مانعة له من الخروج فقدت أى خرقت وشقت قميصه من دبر أى من خلفه لان يوسف كان الهارب والمرأة الطالبة فلما خرجا ألفيا سيدها لدى الباب أى وجدا زوجها قطفير عند الباب جالسا مع ابن عم لراعيل فلما رأته هابته وقالت سابقة بالقول لزوجها ما جزاء من أراد بأهلك سوأ يعنى الزنا الا أن يسجن أو عذاب أليم يعنى الضرب بالسياط (عن ابن عباس) وهذا كالمثل السائر خذ اللص قبل أن يأخذك فقال يوسف بل هى راودتنى عن نفسى فأبيت وفررت منها فأدركتنى وشقت قميصى قال نوف الشامى ما كان يوسف يريد أن يذكرها فلما قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوأ غضب وقال هى راودتنى عن نفسى وشهد شاهد من أهلها واختلفوا فى هذا الشاهد من هو (قال) سعيد بن جبير والضحاك كان صبيا فى المهد أنطقه الله تعالى يدل عليه حديث ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال تكلم أربعة فى المهد وهم صغار ابن ماشطة بنت فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج الراهب وعيسى بن مريم وقال الحسن وعكرمة وقتادة ما كان صبيا ولكن كان رجلا حكيما وله رأى وكان من خاصة الملك وقال السدى هو ابن عم راعيل كان جالسا مع زوجها على الباب فحكم بما أخبر الله تعالى عنه ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين فلما رأى قميصه قد من دبر عرف خيانة امرأته وبراءة يوسف عليه السلام فقال انه من كيدكن ان كيدكن عظيم ثم أقبل على يوسف فقال

نفسى أرى ماتت أم لا فرجعت ذاهبا وتركتها مقدار نصف ميل فأشرفت على واد فيه عربان فابتدرنى غلامان ومعهما جارية فقال لى أحدهما أتيت على الخيمة الشعر التى فى الفلاة قلت نعم قال أبها حس يسمع قلت لا فقال ماتت ورب الكعبة فمضيت مع الغلامين حتى انتهينا الى الخيمة ودخلت الجارية فكشفت عن وجه العجوز فاذا هى ميتة فتعجبت من ذلك ثم قلت للجارية من هذان الغلامان فقالت هما شريفان جعفريان وهذه أختهما ولها منذ ثلاثين سنة لم تستأنس بكلام أحد من الناس واذا نزلوا بواد اعتزلت عنهم بعيدا وضربت خيمتها فى الفلاة فكانت تأكل فى كل ثلاثة أيام مرة واحدة رضى الله عنها (اخوانى) الى متى تشتغلون باللذات الفانيات عن الباقيات الصالحات فبادروا الى الاوقات واستدركوا الهفوات وكفوا عن الشبهات اما أيقظكم منادى الشتات اما هزكم حديث الصالحين والصالحات اذا جاء النهار قطعوه بمقاطعة اللذات واذا أقبل الليل ضجوا بحنين الاصوات ليس لهم الى غير محبوبهم التفات (شعر)

حياتنا باطل غرور * وعمرنا ذاهب قصير

يا

يايوسف اعرض عن هذا الحديث لاتذكره لاحد ثم قال لامرأته واستغفرى لذنبك انك كنت من الخاطئين أى من المذنبين حين راودت شابا عن نفسه وخنت زوجك فلما استعصم كذبت عليه (قالوا) فشاع أمر يوسف وراعيل وتحدث الناس بذلك وقال نسوة فى المدينة وهن امرأة الساقى وامرأة الخباز وامرأة صاحب الدواة وامرأة صاحب السجن وامرأة الحاجب امرأة العزيز تراود فتاها عن نفسه أى عبدها الكنعانى قد شغفها حبا أى دخل حبه فى شغاف قلبها وهو حجابه وغلافه انا لنراها فى ضلال مبين أى خطا بين حيث تراود عبدها عن نفسه فلما سمعت راعيل بمكرهن أى بقولهن وحديثهن وقال ابن اسحق يعنى بكيدهن وذلك انما قلنه مكرا بها لتريهن يوسف لما بلغهن من حسنه وجماله فاتخذت راعيل مائدة ودعت أربعين امرأة منهن هؤلاء اللواتى عيرنها فذلك قوله تعالى أرسلت اليهن وأعتدت لهن متكأ أعتدت أى هيأت لهن مجلسا للطعام ومايتكئن عليه من النمارق والوسائد (عن ابن عباس) وسعيد بن جبير وقتادة يعنى هيأت طعاما وقرأ مجاهد متكا خفيفا غير مهموز وهو كل طعام تحزه بالسكين وقال وهب أعتدت لهن اترجا وبطيخا وموزا ورمانا وردا وآتت كل واحدة منهن سكينا وقالت ليوسف أخرج عليهن وكانت قد أجلسته فى مجلس غير المجلس الذى هن فيه جلوس فخرج عليهن يوسف فلما رأينه أكبرنه وهالهن أمره وبهتن وقطعن أيديهن بالسكاكين اللاتى معهن وهن يحسبن أنهن يقطعن الاترج وغيره (قال قتادة) أبن أيديهن حتى ألقينها فما أحسسن الا بالدم ولم يجدن من حز الايدى ألما لشغل قلوبهن بيوسف عليه السلام (وقال وهب) بلغنى أن سبعا من الاربعين امرأة متن فى ذلك المجلس وجدا بيوسف عليه السلام وقلن حاش لله أى معاذ الله ماهذا بشرا ان هذا الاملك كريم فقالت راعيل عند ذلك للنسوة فذلكن الذى لمتننى فيه أى فى حبه وشغفى به ثم انها أبدت لهن الميل الذى عندها فقالت ولقد راودته عن نفسه فاستعصم أى امتنع واستعصى فقالت النسوة ليوسف أطع مولاتك فقالت راعيل لئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين فاختار يوسف حين عاودته المرأة فى المراودة وتوعدته بالسجن على المخالفة فقال رب السجن أحب الىّ مما يدعوننى اليه والاتصرف عنى كيدهن أصب اليهن أى أمل وأتابعهن وأكن من الجاهلين فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن انه هو السميع العليم ثم بدا لهم أى العزيز وأصحابه من بعد مارأوا الآيات الدالة على براءة يوسف وهو قد القميص من دبر وخمش الوجه وقطع النسوة أيديهن ليسجننه حتى حين (قال السدى) وذلك أن المرأة قالت لزوجها ان هذا العبد العبرانى قد فضحنى فى الناس يعتذر اليهم ويخبرهم انى راودته عن نفسه ولست أطيق أن أعتذر بعذرى فاما أن تأذن لى أخرج فأعتذر واما أن تحبسه كما حبستنى فحبسه بعد علمه ببراءته دفعا للتهمة عن امرأته وذلك ان الله تعالى جعل ذلك الحبس تطهيرا ليوسف من همه وتكفير الزلته قال ابن عباس عثر يوسف ثلاث عثرات حين هم بها فسجن وحين قال اذكرنى عند ربك فلبث فى السجن بضع سنين وحين قال لاخوته انكم لسارقون قالوا ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل * ولما سجن يوسف دخل معه السجن فتيان وهما غلامان كانا للوليد بن الريان ملك مصر الاكبر أحدهما خبازه وصاحب طعامه واسمه مجلب والآخر ساقيه وصاحب شرابه واسمه بيوص غضب عليهما الملك فحبسهما وذلك أنه بلغه عنهما أن خبازه يريد أن يسمه وان ساقيه وافقه على ذلك وكان السبب فيه ان جماعة من مصر أرادوا المكر بالملك واغتياله فدسوا الى هذين الغلامين وضمنوا لهما مالا ليسما الطعام للملك والشراب فأجاباهم الى ذلك ثم ان الساقى نكل عنه والخباز غش الملك وقبل الرشوة فسم الطعام فلما حضر وقته وأحضر الطعام قال الساقى أيها الملك لاتأكل فان الطعام مسموم وقال الخباز لاتشرب فان الشراب مسموم فقال الملك للساقى اشرب فشرب فلم يضره فقال للخباز كل من طعامك فأبى فجرب ذلك الطعام فى دابة من الدواب فأكلته فهلكت فامر الملك بحبسهما وكان يوسف عليه السلام لما دخل السجن قال لاهله انى أعبر الاحلام فقال أحد الفتيين لصاحبه هلم نجرب علم هذا العبد العبرانى فنتراءى له فسألاه من غير أن يكونا رأيا شيأ قال عبد الله بن مسعود مارأى صاحبا يوسف شيأ وانما كانا تحالما ليجربا علمه وقال قوم بل كانت رؤياهما على صحة وحقيقة فسألاعنها وقال مجاهد لما رأى الفتيان يوسف قالا له والله لقد أحببناك حين رأيناك فقال لهما يوسف أنشدكما الله تعالى لاتحبانى فوالله ما أحبنى أحد قط الادخل على من حبه بلاء لقد أحبتنى عمتى فدخل علىّ من حبها بلاء ثم أحبنى أبى فدخل علىّ من حبه بلاء ثم أحبتنى زوجة صاحبى فدخل على من حبها

والناس فى غفلة نيام * وقد دعتهم لها القبور * والعمر يمضى وليس تدرى * مثل سنين بنا تدور * يانفس ماسرفهو حزن * لاتحسبى انه سرور * فاذكرى الموت واستعدى * له فقد جاءك النذير

(وعن السرى السقطى رضى الله تعالى عنه) أنه قال مررت بسكران وهو ملق على الارض والخمر يطفح من فيه وهو يقول الله الله قال فتعجبت من ذلك ورفعت بصرى الى السماء وقلت الهى لسان يذكرك لايكون هكذا ثم طلبت ماء فغسلت له فمه وانصرفت فلما أفاق أخبره جماعة من الناس ان السرى السقطى فعل معك كذا وكذا فخجل الرجل واستحيا ولام نفسه ووبخها وقال ويحك يانفسى اذا لم تستحى من الله ومن أوليائه فمن تستحين ثم ندم وتاب مما كان فيه وأقسم على نفسه أن لايعود قال السرى فبت تلك الليلة متفكرا فى أمر ذلك الرجل فرأيت رب العزة فى المنام وهو يقول ياسرى أنت طهرت فمه من أجلنا ونحن طهرنا قلبه من أجلك قال السرى فلما أصبحت فرحت بذلك فرحا شديدا ثم سألت عن ذلك الرجل فوجدته فى بعض المساجد وهو قائم يصلى فلما فرغ من صلاته سلم علىّ وقال جزاك الله عنى خيرا قال السرى فقلت ياسيدى

بلاء فلا تحبانى بارك الله فيكما قال فابيا الا حبه والفاه حيث كان وجعل يعجبهما ما يريان من فهمه وعقله وقد كانا رأيا حين دخلا السجن رؤيا فاتيا يوسف فقال الساقى أيها العالم انى رأيت كأنى فى بستان فاذا أنا بأصل كرمة عليها ثلاث عناقيد من عنب فجنيتها وكان كاس الملك بيدى فعصرتها وسقيت الملك شربة فذلك قوله تعالى قال أحدهما انى أرانى أعصر خمرا يعنى عنبا بلغة عمان يدل عليه قراءة ابن مسعود أعصر خمرا أى عنبا وقال الخباز انى رأيت كأن فوق رأسى ثلاث سلال فيها خبز تأكل الطير منه نبئنا بتأويله انا نراك من المحسنين أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن عقيل أخبرنا عبيد الله بن محمد بن ابراهيم بن قالويه أخبرنا محمد بن يزيد السلمى أخبرنا أبو الربيع الزهرانى أخبرنا خلف بن خليفة أخبرنا سليم عن الضحاك بن مزاحم فى قوله تعالى انا نراك من المحسنين قال كان احسانه اذا مرض رجل فى السجن قام عليه فاذا ضاق عليه وسع له وان احتاج جمع له وسأل ربه وقال قتادة بلغنا أن احسانه كان يداوى مريضهم ويعزى حزينهم ويجتهد لربه وقال لما انتهى يوسف الى السجن وجد فيه قوما قد انقطع رجاؤهم واشتد بلاؤهم وطال حزنهم فجعل يقول ابشروا واصبروا وتؤجروا ان فى هذا الاجر ثوابا فقالوا يا فتى بارك الله فيك ما أحسن وجهك وخلقك وحديثك لقد بورك لنا فى جوارك انا لانحب أن نكون فى غير هذا المكان منذ رأيناك لما تخبرنا به من الاجر والكفارة والطهارة فى ذلك فمن أنت يا فتى قال أنا يوسف ابن صفى الله يعقوب ابن ذبيح الله اسحق ابن خليل الله ابراهيم عليهم السلام فقال له عامل السجن والله يا فتى لو استطعت لخليت سبيلك ولكن سأحسن جوارك وأحسن ايثارك فكن فى أى بيت شئت قال فكره يوسف أن يعبر لهما ما سألاه لما علم فى ذلك من المكروه على أحدهما فاعرض يوسف عن سؤالهما وأخذ فى غيره فقال لا يأتيكما طعام ترزقانه الا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما فقالا له هذا فعل الكهنة والسحرة فقال ما أنا بكاهن ولا ساحر ولكن ذلكما مما علمنى ربى ثم بين لهما دينه ومذهبه فقال انى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة هم كافرون واتبعت ملة آبائى ابراهيم واسحق ويعقوب الى آخر الآية فأراهما يوسف فطنته ودرايته ثم دعاهما الى الاسلام وأقبل عليهما وعلى أهل السجن وكان بين أيديهم أصنام يعبدونها من دون الله فقال الزاما للحجة ياصاحبى السجن أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار ما تعبدون الآية ثم فسر رؤياهما لما ألحا عليه فقال ياصاحبى السجن أما أحدكما وهو الساقى فيسقى ربه خمرا يعنى الملك ويعود الى منزلته التى كان عليها وأما العناقيد الثلاثة فانها ثلاثة أيام يبقى فى السجن ثم يخرج وأما الآخر فيصلب والسلال التى رآها فى المنام ثلاثة أيام يبقى فى السجن ثم يخرج فيصلب فتأكل الطير من رأسه (قال ابن مسعود) ثم لما سمعا قول يوسف عليه السلام قالا ما رأينا شيأ انما كنا نلعب ونجرب علمك هذا فقال يوسف قضى الامر الذى فيه تستفتيان أى فرغ الامر الذى عنه تسألان (أخبرنا) عبد الله بن حامد بن محمد الوزان أخبرنا محمد بن عبد الله الصفار أخبرنا أحمد بن مهران عن أبى رزين العقيلى قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الرؤيا على رجل طائر مالم تعبر فاذا عبرت وقعت وان الرؤيا جزء من ستة وأربعين جزأ من النبوة وأحسبه قال لاتقصها الا على ذى رأى وعقل وقال صلى الله عليه وسلم الرؤيا لاول عابر فقال يوسف عليه السلام عند ذلك للذى علم انه ناج منهما وهو الساقى اذكرنى عند ربك يعنى الملك وقل له فى السجن غلام محبوس ظلما فانساه الشيطان ذكر ربه الآية والبضع ما بين الثلاثة الى العشرة وأكثر المفسرين على أن البضع فى هذه الآية سبع سنين (وقال) وهب بن منبه أصاب أيوب البلاء سبع سنين وعذب بختنصر بالمسخ سبع سنين وترك يوسف فى السجن سبع سنين (وروى) يونس عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله أخى يوسف لولا كلمته ما لبث فى السجن ما لبث يعنى قوله اذكرنى عند ربك ثم بكى (وقال الحسن) نحن اذا نزل بنا أمر فزعنا الى الناس (وقال) مالك بن دينار لما قال يوسف للساقى اذكرنى عند ربك قيل له يا يوسف اتخذت من دونى وكيلا لأطيلن حبسك فبكى يوسف وقال يارب أنسى قلبى كثرة البلوى فقلت ما قلت فويل لاخوتى (ويحكى) ان جبريل عليه السلام دخل على يوسف وهو فى السجن فلما رآه يوسف عرفه وقال يا أخا المنذرين مالى أراك بين الخاطئين فقال له جبريل عليه السلام يا طاهر ابن الطاهرين يقرأ عليك السلام رب العالمين ويقول لك ما استحييت منى أن استشفعت بالآدميين فوعزتى لالبثنك فى السجن بضع سنين قال يوسف يا أخى يا جبريل وهو فى ذلك راض عنى قال نعم قال اذا لا أبالى (وقال كعب الاحبار) قال جبريل

وكيف تسأل عن حالى وقد أخبرك به المولى الكريم حين قال لك وقد طهرنا قلبه من أجلك قال السرى فتعجبت من ذلك وقلت من أخبرك بذلك فقال الذى طهر قلبى من سواه وجاد على بعفوه ورضاه (وعن السرى أيضا رضى الله عنه) أنه قال دخلت الجبانة فرأيت بهلولا المجنون على قبر متمرغا على التراب فقلت له ما جلوسك ههنا فقال عند قوم اذا حضرت عندهم لا يؤذونى وان غبت عنهم لا يغتابونى فقلت له يا هذا ان الخبز قد غلا فقال والله ما أبالى ولو صارت كل حبة بدينار علينا ان نعبده كما أمرنا وعليه ان يرزقنا كما وعدنا (وقيل) ان رابعة العدوية رضى الله عنها مرت برجل وهو يذكر الجنة وما أعد الله فيها لاهلها فقالت له يا هذا الى متى تشتغل بالاغيار عن الواحد القهار ويحك عليك بالجار ثم الدار فقال لها اذهبى يا مجنونة فقالت لست بمجنونة وانما المجنون من لم يفهم ما أقول ثم قالت يا مسكين الجنة سجن من لم يكن الله أنيسه وجليسه ألا ترى الى آدم عليه السلام لما كان فى الجنة يرتع فلما تعرض له ابليس للاكل من الشجرة صارت عليه سجنا وابراهيم الخليل لما حفظ سر مولاه قربه واجتباه ولما طرح فى النار صارت عليه بردا وسلاما وانشدت تقول شعرا

ليوسف ان الله تعالى يقول لك من خلقك قال الله تعالى قال فمن حببك الى أبيك قال الله تعالى قال فمن آنسك في البئر وأنت عريان قال الله تعالى قال فمن نجاك من كرب البئر قال الله تعالى قال فمن علمك تأويل الرؤيا قال الله تعالى قال فكيف استغثت بآدمي مثلك قالوا فلما انقضت سبع سنين قال الكلبي وهذه السبع سوى الخمس التي كانت قبلها وذلك انه حبس خمس سنين قبل أن يستشفع بالساقي وهو قوله تعالى ليسجننه حتى حين فلما استشفع بالساقي وقال له اذكرني عند ربك بقي في السجن سبع سنين فلما انتهت محنته ودنا فرجه وراحته رأى ملك مصر الاكبر وهو الريان بن الوليد رؤيا عجيبة فهالته وذلك انه رأى سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات عجاف فابتلعت العجاف السمان فدخلت في بطونهن فلم ير منها شيأ ورأى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها وأفركت وسبعا أخر يابسات قد استحصدت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبتها فجمع السحرة والكهنة ومعبريه وقصها عليهم وقال يا أيها الملأ أفتوني في رؤياي ان كنتم للرؤيا تعبرون أي تفسرون قالوا أضغاث أحلام مخاطة مشتبهة التأويل أباطيل وما نحن بتأويل الاحلام بعالمين وقال الذي نجا منهما أي من الفتيين وهو الساقي وادكر بعد أمة أي وتذكر حاجة يوسف بعد حين قال ابن عباس بعد أمة أي بعد سنين أنا أنبئكم بتأويله فارسلون أي الى السجن (قال) ابن عباس رضي الله عنهما لم يكن السجن في المدينة فبعثوه فأتى ليوسف فقال له أيها الصديق يعني فيما عبرت لنا من الرؤيا والصديق هو كثير الصدق أفتنا في سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف الى قوله لعلهم يعلمون أي فضلك وعلمك فقال له يوسف تزرعون سبع سنين دأبا الى قوله وفيه يعصرون فرجع الساقي الى الملك وأخبره بما أفتاه به يوسف من تأويل رؤياه كالنهار وعرف الملك أن الذي قال كائن فقال الملك ائتوني بالذي عبر رؤياي هذه فلما جاء الرسول الى يوسف أبى أن يخرج معه حتى يعرف عذره وبراءته ويعرف صحة أمره من قبل النسوة فقال للرسول ارجع الى ربك أي سيدك الملك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن ان ربي بكيدهن عليم (قال ابن عباس) لو خرج يوسف يومئذ قبل ان يعلم الملك شأنه مازالت في نفسه منه حاجة يقول هو هذا الذي راود امرأتي وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد عجبت من أخي يوسف وكرمه وصبره والله تعالى يغفر له حين سئل عن البقرات السمان والعجاف ولو كنت مكانه ما أخبرتهم حتى أشترط أن يخرجوني ولو كنت مكانه ولبثت في السجن ما لبث لاسرعت الاجابة وبادرت الباب ولم أبتغ العذر والله انه كان لحليما ذا أناة قال فرجع الرسول الى الملك من عند يوسف برسالته فدعا الملك النسوة اللاتي قطعن أيديهن وامرأة العزيز فقال لهن ما خطبكن اذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق أنا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين فلما سمع ذلك يوسف قال ذلك ليعلم أني لم أخنه بالغيب وأن الله لا يهدي كيد الخائنين فقال له جبريل ولا حين هممت بها يا يوسف فقال يوسف عند ذلك وما أبرئ نفسي الآية فلما تبين للملك عذر يوسف وعرف أمانته وكفايته وديانته وعلمه وعقله قال ائتوني به أستخلصه لنفسي فلما جاء الرسول الى يوسف قال له أجب الملك الآن فخرج يوسف ودعا لاهل السجن بدعاء يعرف الى اليوم وذلك أنه قال اللهم عطف عليهم قلوب الاخيار ولا تعم عنهم الاخبار فهم أعلم الناس بالاخبار الى اليوم في كل بلدة فلما خرج يوسف من السجن كتب على بابه هذا قبر الاحياء وبيت الاحزان وتجربة الاصدقاء وشماتة الاعداء ثم انه اغتسل وتنظف من درن السجن ولبس ثيابا جددا حسانا وقصد الى الملك قال وهب فلما وقف بباب الملك قال حسبي ربي من دنياي حسبي ربي من خلقه عز جاره وجل ثناؤه ولا اله غيره فلما دخل على الملك قال اللهم اني أسألك بخيرك من خيره وأعوذ بك من شره وشر غيره فلما نظر اليه الملك سلم عليه يوسف بالعربية فقال له الملك ما هذا اللسان قال لسان عمي اسمعيل ثم انه دعا بالعبرانية ثانيا فقال له الملك ما هذا اللسان قال لسان أبي يعقوب قال وهب وكان الملك يتكلم بسبعين لسانا فكلما كلم يوسف بلسان أجابه بذلك اللسان فأعجب الملك ما رأى منه وكان يوسف ابن ثلاثين سنة فلما رأى الملك حداثة سنه وغزارة علمه قال لمن عنده ان هذا علم تأويل رؤياي ولم تعلمه الكهنة والسحرة ثم انه أجلسه وقال له اني أحب أن أسمع رؤياي منك شفاها فقال يوسف نعم أيها الملك رأيت سبع بقرات سمان شهب حسان غير عجاف كشف لك عنهن نهر النيل فطلعن عليك من شاطئه تشخب اخلافهن لبنا فبينما أنت كذلك تنظر اليهن وقد أعجبك حسنهن اذ نضب النيل فغار ماؤه وبدا قعره فخرج

(وقيل) كان حبيب النجار رحمه الله تعالى من الاولياء الاخيار وكان يقوم الليل ويصوم النهار ويؤثر بطعامه عند الافطار ويبيت طاويا في خدمة الملك الغفار فاذا كان وقت الاسحار ناجى ربه بلسان الذل والانكسار وقال الهي غرقت في بحار غفلتي وركضت في ميدان صبوتي وعثرت في أذيال زلتي في تربة شقوتي ومالي غيرك أعتمد عليه ولا أعرف بابا غير بابك ألتجئ اليه وها أنا عبدك الذليل المذنب قد وقفت ببابك ولذت بجنابك فان لم تغفر لي فوا ذلي وحسرتي وان لم تعف عني فوا طول حيرتي ثم يسجد فلا يرفع رأسه حتى يطلع الفجر فاذا صلى وفرغ من صلاته شرع في قراءة القرآن من أول الختمة الى آخرها بقية اليوم كله فلما مات كان آخر آية تلاها في سورة يس قوله تعالى اني اذا لفي ضلال مبين فلما دفن في قبره حضر اليه الملكان فقالا له ما ربك وما دينك فقال اني آمنت بربكم فاسمعون قيل ادخل الجنة قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين * فلله درهم من أقوام قاموا ويناجون الحبيب والناس في غفلاتهم

من حمئه وحله سبع بقرات عجاف شعث غبر ملصقات البطون ليس لهن ضروع ولا أخلاف ولهن أنياب وأضراس وأكف كأكف الكلاب وخراطيم كخراطيم السباع فاختلطن بالسمان وافترسنهن افتراس السباع وأكلن لحمهن ومزقن جلودهن وحطمن عظامهن ومششن مخهن فبينما أنت تنظر وتتعجب كيف غلبنهن وهن مهازيل ثم لم يظهر فيهن سمن ولا زيادة بعد أكلهن اذا سبع سنبلات خضر وسبع أخر سود يابسات فى منبت واحد عروقهن فى الثرى والماء فبينما أنت تقول فى نفسك ماهذا هؤلاء خضر مثمرات وهؤلاء سود يابسات والمنبت واحد وأصولهن فى الماء اذ هبت ريح فردت أوراق السود اليابسات على الخضر المثمرات فأشعلت فيهن النار فأحرقتهن وصرن سودا متغيرات فهذا آخر ما رأيت من الرؤيا ثم انك انتهبت مذعورا فقال له الملك والله ماشأن هذه الرؤيا وان كانت عجبا بأعجب مما سمعته منك فاترى فى رؤياى أيها الصديق فقال يوسف الصديق انى أرى أيها الملك أن تجمع الطعام وتزرع زرعا كثيرا فى هذه السنين المخصبة وتبنى الاهرام والخزائن وتجعل الطعام فيها بقصبه وسنبله ليكون أبقى له ويكون قصبه وسنبله علفا للدواب وتأمر الناس فيرفعون من طعامهم الخمس فيكفيك الطعام الذى جمعته لاهل مصر ومن حولها ثم تأتيك الخلق من جميع النواحى فيمتارون منك بحكمك فيجتمع عندك من الكنوز مالا يجتمع لاحد قبلك فقال له الملك ومن لى بهذا ومن يجمعه ويبيعه لى ويكفينى الشغل فيه فقال له يوسف اجعلنى على خزائن الارض انى حفيظ عليم أى كاتب حاسب وقيل حفيظ لما استودعتنى عليم بسنى المجاعة وبلغة من يأتينى فقال له الملك ومن أحق به منك وولاه ذلك كله وقال له انك اليوم لدينا مكين أمين (أخبرنى) الحسين بن محمد بن الحسين الثقفى بن مخلد بن علويه أخبرنا اسمعيل بن جعفر الباقرى أخبرنا الحسين بن علويه أخبرنا اسمعيل بن عيسى قال أخبرنا اسحق بن بشر عن جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله أخى يوسف لو لم يقل اجعلنى على خزائن الارض لاستعمله من ساعته ولكن لاجل سؤاله اياه أخر عنه ذلك سنة فأقام عند الملك فى بيته سنة وروى سفيان عن أبى سنان عن عبد الله بن أبى الهذلى قال قال الملك ليوسف انى أريد أن تخالطنى فى كل شئ غير أنى آنف أن تأكل معى فقال له يوسف انى أحق ان آنف بذلك منك لانى أنا ابن يعقوب اسرائيل الله ابن اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله فصار بعد ذلك يأكل معه قال ابن عباس فلما انصرفت السنة من يوم سأل الامارة دعاه الملك فتوجه بتاجه وقلده بسيفه وحلاه بخاتمه وأمر له بسرير من الذهب مكلل بالدر والياقوت فضرب عليه قبة من استبرق وكان طول السرير ثلاثين ذراعا وعرضه عشرة أذرع وعليه ثلاثون فراشا وستون نمرقة ثم أمره أن يخرج فخرج متوجا ولونه كالثلج ووجهه كالقمر بياضا يرى فيه الناظر وجهه لصفاء لونه ثم انطلق حتى جلس على السرير فدانت له الملوك ولزم الملك وفوض اليه أمر مصر وعزل قطفير عما كان عليه وجعل يوسف مكانه ثم مات قطفير عن قريب فزوج الملك يوسف براعيل امرأة قطفير فلما دخل عليها قال لها أليس هذا خيرا مما كنت تريدين منى فقالت له أيها الصديق لا تلمنى فانى كنت امرأة حسناء ناعمة كما رأيت فى ملك ودنيا وكان صاحبى لا يأتى النساء وكنت كما جعلك الله فى صورتك وهيئتك فغلبتنى نفسى فلما بنى بها يوسف وجدها عذراء فأصابها فولدت له ابنين افرائيم وميشا بنى يوسف عليه السلام واستوثق ليوسف ملك مصر فأقام فيهم العدل فأحبه الرجال والنساء فذلك قوله تعالى وكذلك نجزى المحسنين وكذلك مكنا ليوسف فى الارض يعنى أرض مصر يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع أجر المحسنين وللبحترى فى هذا المعنى

أما فى رسول الله يوسف أسوة * لمثلك محبوسا على الظلم والافك
أقام جميل الصبر فى السجن برهة * فآل به الصبر الجميل الى الملك

وكتب بعضهم الى صديق له هذه الابيات وراء مضيق الخوف متسع الامن * وأول مفروج به آخر الحزن
فلا تيأسن فالله ملك يوسفا * خزائنه بعد الخلاص من السجن

قال فلما اطمأن يوسف فى ملكه وخلت السنين المخصبة ودخلت المجدبة جاءت بهول لم تعهد الناس مثله فأصاب الناس الجوع فلما كان بدء القحط نام الملك فبينما هو نائم اذ أصابه الجوع فهتف الملك يا يوسف الجوع الجوع فقال يوسف هذا أوان القحط والجوع فلما دخل أول سنة من سنى الجدب هلك فيها كل شئ أعدوه من السنين

نائمون ويتعملون أثقال الوجد والغرام ويفرحون بالليل اذا جن الظلام فهم فى جنات الخلد يتنعمون والى وجه الحبيب ينظرون الآن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون شعر

لله قوم بذكره اشتغلوا
وفى حمى قربه لقد نزلوا
ليس لهم غير ذكره فرج
فهم حقيقا مرادهم حصلوا * من ذاق وصل الحبيب هام ولم
يكنه منزل ولا طلل
بروحهم فى وصاله سمحوا
وحققوا ربحهم وما جهلوا
قاموا يناجونه وقد علموا
أنهم للمعاد قد عملوا
فاستعذبوا الصعب فى هواه وقد
لذ لهم فى رضاه ما حملوا

(قيل) كان أبو يزيد البسطامى رحمه الله تعالى يقول فى مناجاته الهى لست أعجب من حبى لك وأنا عبد حقير وانما أعجب من حبك لى وأنت ملك قدير (وكان) يحيى بن معاذ الرازى يقول فى مناجاته الهى ليس العجب من عبد ذليل يحب ربا جليلا بل العجب من رب جليل يحب عبدا ذليلا (قال) بعض العارفين رضى الله تعالى عنه الحب حب يزرع فى أرض القلوب ويسقى بماء العقول فينمو على قدر طيب الارض وصفو الماء والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذى خبث لا يخرج الا نكدا (وعن) أنس بن مالك رضى الله

عنه أنه قال ثلاثة من كن فيه وجد بهن حلاوة الايمان أن يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما وأن يحب المرء أخاه لله تعالى وأن يكره

المخصبة فجعل أهل مصر يبتاعون من يوسف الطعام فباعهم فى أول سنة بالنقود من الذهب والفضة حتى لم يبق فى مصر درهم ولا دينار الا قبضه وباعهم فى السنة الثانية بالحلى والحلل والجواهر حتى لم يبق فى أيدى الناس منها شئ وباعهم فى السنة الثالثة بالمواشى والدواب حتى احتوى عليها أجمع وباعهم فى السنة الرابعة بالعبيد والاماء حتى لم يبق عبد ولا أمة الا أخذه وباعهم فى السنة الخامسة بالضياع والعقار والدور حتى احتوى عليها ولم يبق لاحد ملك وباعهم فى السنة السادسة بأولادهم فان الرجل كان يشترى بولده الحنطة أو الشعير من شدة السنة فلم يبق لاحد ولد ذكر ولا أنثى الا مماليك له وباعهم فى السنة السابعة برقابهم وأرواحهم حتى لم يبق بمصر حر ولا عبد ولا أمة الا صار ملكا له فتعجب الناس من أمر يوسف وقالوا تالله ما رأينا ملكا أجل من هذا وأعظم ثم قال يوسف للملك كيف رأيت صنع ربى فيما خولنى فما ترى فى هذا فقال له الملك الرأى رأيك وانما نحن لك تبع فقال يوسف انى أشهد الله وأشهدك أنى قد أعتقت أهل مصر جميعا ورددت عليهم عقارهم وعبيدهم وأولادهم (وروى) ان يوسف كان لا يشبع من الطعام فى تلك الايام فقيل له أتجوع وبيدك خزائن الارض فقال انى أخاف ان شبعت أن أنسى الجائع (ويروى) ان يوسف أمر طباخ الملك أن يجعل غذاءه نصف النهار مرة واحدة فى اليوم والليلة وأراد بذلك أن يذوق الملك طعم الجوع فلا ينسى الجائع ويحسن الى المحتاجين ففعل الطباخ ذلك فمن ثم جعل الملوك غذاءهم نصف النهار وقصد الناس مصر من كل ناحية يمتارون فجعل يوسف لا يمكن أحدا منهم وان كان عظيما من أكثر من حمل بعير تقسيطا بين الناس وتوسيعا عليهم فتزاحم الناس عليه قالوا وأصاب أرض كنعان وبلاد الشأم من القحط والشدة ما أصاب سائر البلاد ونزل بيعقوب من ذلك ما نزل بالناس فأرسل بنيه الى مصر يطلب الميرة وامسك عنده بنيامين أخا يوسف لامه فجاء بنو يعقوب الى يوسف عليه السلام وكانوا عشرة وكان منزلهم بالقرب من أرض فلسطين من ثغور الشام وكانوا أهل بادية ومواش فلما دخلوا عليه عرفهم يوسف وانكروه لما أراد الله تعالى أن يبلغ يوسف ما أراده قال ابن عباس وكان بين ان قذفوه فى الجب وبين ان دخلوا عليه أرض مصر أربعون سنة فلذلك أنكروه وقيل انه كان متزييا بزى فرعون مصر فكانت عليه ثياب الحرير جالسا على سرير وفى عنقه طوق من ذهب وعلى رأسه تاج من ذهب فلذلك لم يعرفوه وقيل كان بينهم وبينه ستر فلذلك أنكروه وقال بعض الحكماء المعصية تورث النكرة ولذلك قال تعالى وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون قالوا فلما نظر اليهم يوسف وكلموه بالعبرانية قال لهم أخبرونى من أنتم وما أمركم فانى أنكرت شأنكم فقالوا نحن قوم من أهل الشام رعاة أصابنا الجهد فجئنا نمتار فقال لعلكم عيون جئتم تنظرون عورة بلادى فقالوا لا والله ما نحن بجواسيس وانما نحن اخوة بنو أب واحد شيخ كبير صديق الله نبى من أنبياء الله تعالى يقال له يعقوب قال فكم أنتم قالوا نحن كنا اثنى عشر فذهب منا أخ الى البرية فهلك فيها وكان أحب الى أبينا منا قال كم أنتم ههنا قالوا عشرة قال فاين الآخر قالوا عند أبينا لانه أخو الذى هلك من أمه فأبونا يتسلى به قال فمن يعلم ان الذى تقولون حق فقالوا أيها الملك انا ببلاد لا نعرف فيها فقال يوسف فائتونى بأخيكم الذى من أبيكم ان كنتم صادقين فانى أرضى بذلك قالوا ان أبانا يحزن على فراقه وسنراوده عنه قال فضعوا بعضكم عندى رهينة حتى تأتونى بأخيكم فاقترعوا بينهم فأصاب القرعة شمعون وكان أبرهم بيوسف فخلفوه عنده فذلك قوله تعالى ولما جهزهم بجهازهم قال ائتونى بأخ لكم من أبيكم الآية الى قوله وانا لفاعلون فقال عند ذلك يوسف لفتيانه أى لغلمانه الذين يكيلون الطعام اجعلوا بضاعتهم أى ثمن طعامهم (قال ابن عباس) كانت بضاعتهم النعال والادم (وقال قتادة) كانت ورقا فى رحالهم لعلهم يعرفونها اذا انقلبوا الى أهلهم لعلهم يرجعون واختلف العلماء فى السبب الذى فعل ذلك يوسف بهم من أجله فقال الكلبى تخوف يوسف أن لا يكون عند أبيه من الورق ما يرجعون به اليه مرة أخرى وقيل خشى أن يشق أخذ ذلك منهم على أبيه اذ كانت السنة سنة جدب وقيل رأى لؤما أخذ ثمن الطعام من أبيه واخوته مع احتياجهم اليه فرده عليهم من حيث لا يعلمون تكرما وتفضلا وقيل فعل ذلك لانه علم ان ديانتهم وأمانتهم تحملهم على رد البضاعة ولا يستحلون امساكها فيرجعون اليه لاجلها فلما رجعوا الى أبيهم قالوا يا أبانا قدمنا على خير رجل أنزلنا وأكرمنا كرامة لو كان رجلا من ولد يعقوب ما أكرمنا كرامته فقال لهم يعقوب اذا أتيتم ملك مصر فاقرؤا عليه منى السلام وقولوا له ان أبانا يصلى عليك ويدعو لك بما أوليتنا ثم انه قال لهم أين شمعون فقالوا ان

أن يعود للكفر بعد أن
أنقذه الله تعالى منه كما
يكره أحدكم أن يقذف
فى النار (وعن) أبى
هريرة رضى الله تعالى
عنه انه قال قال
رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان الله تعالى
يقول يوم القيامة أين
المتحابون فى جلالى
اليوم أظلهم فى ظلى
يوم لا ظل الا ظلى
(وقيل) كان لعبد
الله بن الحسين جارية
أعجمية وكانت من
أولياء الله تعالى قال
فرأيتها فى بعض
الليالى وقد قامت من
منامها فأحسنت
الوضوء وقامت الى
صلاتها فلما فرغت
من صلاتها خرت
ساجدة لله تعالى وهى
تقول سيدى بحبك لى
الا ما غفرت لى قال
فقلت لها ويحك
لا تقولى هكذا ولكن
قولى بحبى لك فقالت
اليك عنى يا بطال
فلولا حبه لى ما أنامك
وأقامنى وأوقفنى بين
يديه وبحبه لى أخرجنى
من ديوان المشركين
وكتبنى فى ديوان
المؤمنين قال عبد الله
فقلت لها اذهبى
فأنت حرة لوجه الله
تعالى فقالت مولاى
كان لى أجران فصار لى

 أجر واحد أعتق الله جسدك من النار ثم قالت هذا عتق مولاى الاصغر فكيف عتق مولاى الاكبر ثم خرت ساجدة

الملك ارتهنه لنأتيه بنيامين ثم أخبروه بالقصة فقال لهم ولم أخبرتموه بذلك فقالوا له انه أخذنا وقال انكم جواسيس حيث كلمناه بلسان العبرانية ثم قصوا عليه القصة وقالوا يا أبانا منع منا الكيل فأرسل معنا أخانا نكتل يعني بنيامين وانا له لحافظون فقال لهم يعقوب هل آمنكم عليه الا كما أمنتكم على أخيه من قبل الآية (قال كعب) لما قال يعقوب فالله خير حافظا وهو أرحم الراحمين قال الله وعزتي وجلالي لأردن عليك كلاهما بعدما توكلت علي قالوا ولما فتحوا متاعهم الذي حملوه من مصر وجدوا بضاعتهم أي ثمن طعامهم ردت اليهم قالوا يا أبانا ما نبغي هذه بضاعتنا ردت الينا ونمير أهلنا ونحفظ أخانا ونزداد كيل بعير ذلك كيل يسير فقال لهم يعقوب لن أرسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله لتأتنني به الا أن يحاط بكم أي تهلكوا جميعا (وروى) جويبر عن الضحاك عن ابن عباس في قوله تعالى لتأتنني به الا أن يحاط بكم الى قوله حتى تؤتون موثقا من الله ومن قبل يعني حتى تحلفوا لي بحق محمد خاتم النبيين وسيد المرسلين أن لا تغدروا بأخيكم ففعلوا ذلك فلما آتوه موثقهم قال يعقوب الله على ما نقول وكيل أي شاهد بالوفاء فلما أرادوا الخروج من عنده قال لهم لا تدخلوا مصر من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة وذلك أنه خاف عليهم العين لانهم كانوا ذوي جمال وهيبة وصور حسان وقامات ممتدة وكانوا أولاد رجل واحد فأمرهم أن يتفرقوا في دخولهم البلد لئلا يصابوا بالعين ثم قال لهم وما أغني عنكم من الله من شئ ان الحكم الا لله عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم وكان لمصر أربعة أبواب فدخلوا من أبوابها كلها ما كان يغني عنهم من الله من شئ صدق عليه السلام فيما قال الى قوله تعالى ولكن أكثر الناس لا يعلمون ولما دخلوا على يوسف في الكرة الثانية قالوا يا أيها العزيز هذا أخونا الذي أمرتنا ان نأتيك به قد جئناك به قال لهم أحسنتم وأصبتم وستحمدون على ذلك عندي ثم انه أنزلهم وأكرمهم وأضافهم وأجلس كل اثنين منهم على مائدة فبقي بنيامين على مائدة وحده وحيدا فبكى وقال لو كان أخي يوسف حيا لأجلسني معه فقال لهم يوسف لقد بقي أخوكم هذا وحيدا فريدا ثم أجلسه يوسف معه على مائدته فجعل يؤاكله فلما كان الليل أمرلهم يوسف بمثل ذلك وقال لهم ليبت كل اثنين منكم على فراش واحد فلما بقي بنيامين وحده قال يوسف هذا ينام معي على فراشي فبات معه فجعل يوسف يضمه اليه ويشم ريحه حتى أصبح فجعل روبيل يقول ما رأينا مثل هذا فلما أصبح قال لهم اني لأرى هذا الرجل الذي جئتم به ليس له أخ يؤنسه فان تشاؤا أضمه الي ليكون منزله معي ثم ان يوسف أنزلهم منزلا وأجرى عليهم الطعام والشراب وأنزل أخاه لامه معه فذلك قوله تعالى آوى اليه أخاه فلما خلا به قال له ما اسمك قال بنيامين قال له ما بنيامين قال المثكل وذلك انه لما ولد فقد أمه قال وما اسم أمك قال راحيل بنت ليان بن ناحور قال فهل لك من ولد قال نعم قال كم قال عشرة بنين قال فما أسماؤهم قال لقد اشتققت أسماؤهم من اسم أخ لي من أمي هلك اسمه يوسف فقال يوسف لقد اضطرك ذلك الى حزن شديد فما أسماؤهم قال بالعا وأخير وأشكل وأحيا وخير ونعمان وورد ورأس وحيم وعيم قال فما هذه الاسماء قال أما بالعا فانه أخي ابتلعته الارض وأما أخير فانه كان بكر أمي وأما أشكل فانه كان أخي لابي وأمي ومني وأما أحيا فلكونه كان حيا وأما خير فانه كان خيرا حيث كان وأما نعمان فانه كان ناعما بين أبويه وأما ورد فانه كان بمنزلة الورد في الحسن وأما رأس فانه كان مني بمنزلة الرأس من الجسد وأما حيم فأعلمني أبي انه حي وأما عيم فلو رأيت غرته لقرت عيني وتم سروري فقال له يوسف أتحب أن أكون أخاك بدل أخيك ذلك الهالك فقال بنيامين أيها الملك ومن يجد أخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل قال فبكى يوسف عليه السلام وقام اليه وعانقه وقال اني أنا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون ولا تعلمهم بشئ من هذا ثم ان يوسف أوفى لاخوته الكيل وحمل لبنيامين بعيرا باسمه قال كعب لما قال له اني أنا أخوك قال بنيامين فاني لا أفارقك قال يوسف اني قد علمت باغتمام الوالد فان حبستك زاد غمه ولا يمكنني حبسك الا بعد اشتهارك بأمر فظيع فقال لا أبالي افعل ما تريد فقال يوسف اني أدس صاعي هذا في رحلك ثم أنادي عليكم بالسرقة ليتهيأ لي ردك بعد تسريحك قال افعل فذلك قوله تعالى فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رحل أخيه وكانت مشربة يشرب بها الملك وكانت كاسا من ذهب مكللا مرصعا بالجواهر جعلها يوسف مكيالا يكال بها ثم انهم ارتحلوا وأمهلهم يوسف حتى ظعنوا ثم ان يوسف أمر بهم فادركوا وحبسوا عن المسير ثم أذن مؤذن أيتها العير انكم لسارقون فوقفوا فلما قرب منهم الرسول قال لهم ألم نحسن منزلتكم ونكرم ضيافتكم ونوف كيلكم وفعلنا لكم ما لم نفعل لغيركم قالوا بلى وما

لله تعالى فحركتها فاذا هي ميتة رحمة الله تعالى عليها فقلت هذه والله صفات المحبين المتعلقة قلوبهم بمحبة رب العالمين (وأنشدت) أقول شعرا

الحب فيه حلاوة ومرارة
وتنسك وتهتك بشائر
ماشاء يصنع بالمحب فانما
حكم الهوى بيد الحبيب الآمر
لو كنت أملك في الهوى أمر الذي
أهوى لكان مؤانسي ومسامري

(وقيل) لبعض المحبين كيف رأيت المحبة قال وقفت على ساحل بحر زاخر ليس له آخر وقرب مني قارب من تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا فركبت موافقة له واتباعا له فأجابت الروح من دعاها بسم الله مجراها ومرساها فلما توسطت اللجة توعرت سبيل الحجة فما زلت حتى جمعني في مجمع بحر يحبهم ويحبونه فانا بين البقاء والفناء حتى وصلت الى ذلك الفناء والهناء (شعر)

حروف المحبة ممزوجة
تبشرنا ببلوغ المنى
فميم الممات وحاء الحياة
وباء البلاء وهاء الهنا
فلا تطمئن بطيب اللقا
وطول البقاء بدون الفنا
جنينا الوصال بحد النصال
فان تلق سمر القنا تلقنا
فلا تجزعن لمر النكال
* وحر الوبال ففيه الهنا
ومت مثل ما مات أهل الهوى * فماتوا اشتياقا فنالوا المنى

ذلك قال سقاية الملك فقدناها ولم نتهم عليها غيركم قالوا تالله لقد علمتم ماجئنا لنفسد فى الارض وما كنا سارقين وانا منذ قطعنا هذه الطريق لم نرد أحدا بسوء واسألوا عنا من مررنا به هل أضررنا أحدا أو افسدنا شيأ وانا قد رددنا الدراهم لما وجدناها فى رحالنا فلو كنا سارقين مارددناها وفى الحديث انهم لما دخلوا مصر كموا أفواه دوابهم لئلا تتناول من حروث الناس شيأ فقال الرسول انه صاع الملك الاكبر الذى يتكهن فيه وانه ثمتنى عليه فان لم أجده تخوفت ان تسقط منزلتى عنده وأفتضح فى مصر فمن رده على فله حمل بعير من طعام وأنا به زعيم أى كفيل قالوا معاذ الله أن نسرق فقال المؤذن واصحابه فاجزاؤه أى جزاء من وجد فى رحله ان كنتم كاذبين قالوا جزاؤه من وجد فى رحله فهو جزاؤه كذلك نجزى الظالمين فقال الرسول عند ذلك لابد من تفتيش أمتعتكم ولستم ببارحين حتى أفتشها ثم انه انصرف بهم الى يوسف فبدأ باوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه لازالة التهمة وكان يفتش أمتعتهم واحدا واحدا (قال قتادة) ذكر لنا انه كان لايفتح متاعا ولا ينظر فى وعاء أحد الا استغفر الله تعالى مما قذفهم به حتى لم يبق الا الغلام فقال ماأظن أن هذا الغلام أخذ شيأ فقالت اخوته والله مانتركك حتى تنظر فى رحله فانه أطيب لنفسك ولانفسنا فلما افتحوا متاعه استخرجوا الصاع منه فلما أخرج الصاع من رحل بنيامين نكس اخوته رؤسهم من الحياء ثم أقبلوا على بنيامين فقالوا ايش الذى صنعت بنا وفضحتنا وسودت وجوهنا يا ابن راحيل لايزال لنا منكم بلاء أخذت هذا الصاع فقال لهم بنيامين بل بنو راحيل الذين لايزال لهم منكم بلاء ذهبتم باخى الى البرية فاهلكتموه ان الذى وضع الصاع فى رحلى هو الذى وضع الدراهم فى رحالكم ثم انهم قالوا ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل وهذا هو المثل السائر وعذر شر من جرمه واختلف العلماء فى السرقة التى وصفوا بها يوسف قال سعيد بن جبير وقتادة السرقة التى وصفوا بها يوسف انه سرق صنما لجد أبى أمه من ذهب فكسره وألقاه فى الطريق وقال ابن جريج أمرته أمه وكانت مسلمة أن يسرق صنما لخاله من ذهب فاخذه وكسره وقال مجاهد جاء سائل يوما فسرق يوسف بيضة من البيت وأعطاها السائل وقال ابن عيينة دجاجة فناولها السائل فعيروه بها وقال وهب كان يخبأ الطعام من المائدة للفقراء وقال الضحاك وغيره كان أول مادخل على يوسف من البلاء ان عمته بنت اسحق كانت أكبر ولد اسحق وكانت منطقة اسحق عندها وكانوا يتوارثونها بالكبر وكانت راحيل أم يوسف ماتت فحضنته عمته وأحبته حبا شديدا وكانت لاتصبر عنه فلما ترعرع و بلغ سنوات وقع حبه فى قلب يعقوب فاتاها وقال لها يا أختاه سلمى الى يوسف فوالله ماأصبر عنه ساعة واحدة فقالت له ماأنا بتاركته فلما ألح عليها يعقوب قالت دعه عندى أياما أنظر اليه لعل ذلك يسلينى عنه ففعل ذلك فلما اخرج يعقوب من عندها عمدت الى منطقة اسحق فحزمت يوسف بها تحت ثيابه ثم انها قالت فقدت منطقة اسحق فانظروا من أخذها فالتمست فلم توجد فلما فتشوا أهل البيت وجدوها مع يوسف فقالت والله انه ليسلم لى أصنع فيه ماشئت وكان ذلك حكم آل ابراهيم فى السارق فاتاها يعقوب فاخبرته بذلك فقال ان كان هذا فهو مسلم لك لاأستطيع غير ذلك فامسكته بعلة المنطقة فما قدر عليها يعقوب يأخذه منها حتى ماتت فهو الذى قال اخوته ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل فاسرها يوسف فى نفسه ولم يبدها لهم قال أنتم شر مكانا والله أعلم بما تصفون (قال الرواة) لما دخلوا على يوسف واستخرجوا الصواع من رحل بنيامين دعا يوسف بالصاع فنقره ثم أدناه من أذنه ثم قال ان صاعى هذا ليخبرنى انكم كنتم اثنى عشر رجلا وانكم انطلقتم باخ فبعتموه لكم فلما سمع بنيامين قام فسجد ليوسف وقال أيها الملك سل صواعك هذا عن أخى أحى هو فنقره ثم قال له حى وسوف تراه فقال بنيامين اصنع بى ماشئت فانه ان علم بى سوف يستنقذنى قال فدخل يوسف الى منزله ثم انه بكى وتوضأ فقال بنيامين أيها الملك انى أريد أن تضرب صواعك هذا فيخبرك بالحق من الذى سرقه فجعله فى رحلى فنقره ثم انه قال ان صواعى غضبان وهو يقول كيف تسألنى عن صاحبى الذى سرقنى وقد رأيت مع من كنت قال وكان بنو يعقوب اذا غضبوا لم يطاقوا فغضب روبيل وقال أيها الملك والله لئن لم تتركنا وتترك أخانا لاصيحن صيحة لايبقى فى مصر امرأة حامل الا ألقت مافى بطنها وقامت كل شعرة فى جسده فخرجت من ثيابه وكان بنو يعقوب اذا غضبوا ومس أحدهم الآخر ذهب غضبه فقال يوسف لابنه قم الى جنب روبيل ومسه فقام الغلام الى جنبه فمسه فسكن غضبه فقال روبيل ان فى هذا البيت لشيأ من ولد يعقوب فقال يوسف من يعقوب فغضب روبيل وقال أيها الملك لاتذكر يعقوب فانه اسرائيل الله ابن اسحق ذبيح

وماضرهم حين ناديتهم على طور سيناء انى أنا * (وحكى عن أبي يزيد البسطامي رضي الله تعالى عنه) انه قال كنت يوما فى سياحتى متلذذا بخلوتى وراحتى مستغرقا فى فكرى مستأنسا بذكرى اذ نوديت فى سرى يا أبا يزيد امض الى دير سمعان واحضر مع الرهبان فى يوم عيدهم القربان فلنا فى ذلك نبأ وشان قال فاستعذت بالله من هذا الخاطر وقلت لست أخاطر فلما كان الليل أتانى الهاتف فى المنام وأعاد على ذلك الكلام فانتبهت من منامى مرعوبا ومن هذا الامر مفكرا مكروبا فنوديت جهارا يا أبا يزيد لا بأس عليك أنت عندنا من الاولياء الاخيار ومكتوب فى ديوان الابرار فالبس زى الرهبان واشدد من أجلنا الزنار فعليك فى ذلك جناح ولا انكار قال أبو يزيد فقمت مسرعا من باكر وامتثلت الاوامر ولبست زى الرهبان وحضرت معهم فى دير سمعان فلما حضر كبيرهم واجتمعوا وأنصتوا اليه واستمعوا ارتج عليه المقام فلم يطق الكلام كان فى فيه لجام فقال له القسيسون والرهبان ما الذى يمنعك عن الكلام أيها الربان فنحن بقولك نهتدى وبعلمك نقتدى فقال مامنعنى عن أن أتكلم وابتدى الا من رجل بينكم محمدى وقد جاء لدينكم ممتحنا وعليكم

الله ابن ابراهيم خليل الله قال يوسف أنت اذا ان كنت صادقا صادق فلما أراد يوسف أن يحتبس أخاه عنده
و يصير بحكمه وانه أولى به منهم واحتبسه ورأوا ان لا سبيل لهم الى تخليصه منه سألوه أن يخليه لهم و يعطونه واحدا
منهم بدله فقالوا يا أيها العزيز ان له أبا شيخا كبيرا كلفا بحبه فخذ أحدنا مكانه انا نراك من المحسنين قال يوسف معاذ
الله ان نأخذ الا من وجدنا متاعنا عنده ولم يقل من سرق تحرزا عن الكذب انا اذا لظالمون ان أخذنا بريئا بسقيم
فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا أى خلا بعضهم ببعض متناجين متشاورين فقال كبيرهم يعنى فى العقل وهو
شمعون عن مجاهد وقال قتادة والسدى كبيرهم فى السن وهو روبيل ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقا من
الله فى هذا الغلام لتردونه ومن قبل ما فرطتم فى يوسف أى من قبل هذا قصرتم فى شأن يوسف فلن أبرح الارض
يعنى أرض مصر حتى يأذن لى أبى فارجع الى الملك فاناجزه القتال أو يحكم الله لى وهو خير الحاكمين ارجعوا الى
أبيكم فقولوا يا أبانا ان ابنك سرق وما شهدنا الا بما علمنا أى نحن رأينا سرقته معه وما كنا للغيب حافظين حين
سألناك ان ترسله معنا ولو علمنا الغيب انه يسرق ما ذهبنا به معنا واسئل القرية يعنى واسئل أهل القرية التى
كنا فيها والعير التى أقبلنا فيها يعنى قوما صحبوهم من أهل كنعان وانا لصادقون لك فى قولنا فرجعوا الى
يعقوب بذلك القول فقال يعقوب بل سولت لكم أنفسكم أمرا فصبر جميل وهو الذى لا جزع فيه عسى الله أن
يأتينى بهم جميعا يعنى يوسف و بنيامين انه هو العليم الحكيم وتولى عنهم يعقوب وقال يا أسفا على يوسف وذلك انه
لما بلغه خبر بنيامين تكامل حزنه و بلغ جهده وهيج حزنه على يوسف فاعرض عنهم وقال يا أسفا على يوسف
والاسف أشد الحزن (وروى) سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لم تعط أمة من الامم عند المصيبة انا لله وانا اليه راجعون الا أمة محمد صلى الله عليه وسلم ألا ترى الى يعقوب
حين أصابه على ابنه ما أصابه من الحزن لم يسترجع انما قال يا أسفا على يوسف (وقال الحسن) كان بين خروج
يوسف من عند أبيه الى يوم الالتقاء معه ثمانون سنة لم تجف عيناه من الدموع وما كان على وجه الارض أكرم
على الله تعالى من يعقوب فلما شكى و بكى قال له ولده تالله تفتؤ تذكر يوسف حتى تكون حرضا أى مريضا
ذاهب العقل من الهم أو تكون من الهالكين فقال يعقوب لما رأى غلظتهم وجفوتهم انما أشكو بثى وحزنى
الى الله لا اليكم وفى الحديث ان يعقوب كبر وضعف حتى سقط حاجباه على عينيه وكان يرفعهما بخرقة فقال له
بعض جيرانه قد انهشمت وفنيت ولم تبلغ من السن ما بلغ أبوك فما بلغ بك ما أرى فقال طول الزمان وكثرة
الاحزان فاوحى الله تعالى الى يعقوب أتشكونى الى خلقى فقال يا رب خطيئة أخطأتها فاغفرها لى قال قد
غفرت لك فكان بعد ذلك اذا سئل قال انما أشكو بثى وحزنى الى الله (أخبرنى) الحسين بن فتحويه أخبرنا أحمد
ابن الحسن بن حامد أخبرنا الحسين بن أيوب أخبرنا عبد الله بن أبى زياد أخبرنا سيار بن حاتم عن عبد الله بن
السمط قال سمعت أبى يقول بلغنا أن رجلا قال ليعقوب ما الذى اذهب بصرك قال حزنى على يوسف قال فما
الذى قوس ظهرك قال حزنى على أخيه فأوحى الله تعالى اليه يا يعقوب أتشكونى وعزتى وجلالى لا أكشف
ما بك حتى تدعونى فقال عند ذلك انما أشكو بثى وحزنى الى الله فاوحى الله تعالى اليه وعزتى وجلالى لو كانا ميتين
لاخرجتهما لك حتى تنظر اليهما وانما وجدت عليكم لانكم ذبحتم شاة فقام ببابكم مسكين يستطعم فلم تطعموه
منها شيأ وان أحب الناس الى من خلقى الاسخياء ثم المساكين فصنع طعاما ثم قال من كان صائما فليفطر الليلة
عند آل يعقوب (وقال) وهب بن منبه أوحى الله تعالى الى يعقوب أتدرى لم عاقبتك وحبست عنك يوسف
ثمانين سنة قال لا يا الهى قال لانك شويت عناقا وقترت على جارك وأكلت ولم تطعمه ويقال ان سبب ابتلاء
يعقوب بفقد يوسف أنه كان له بقرة ولدها عجل فذبح عجلها بين يديها وكانت تخور فلم يرحمها يعقوب فأخذه
الله بذلك فابتلاه بفقد أعز ولده اليه ثم ان يعقوب قال لبنيه يا بنى اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا
من روح الله الآية قال السدى لما أخبره ولده بخبر العزيز وقوله وفعله أحست نفس يعقوب وطمع وقال
لعله يوسف (وروى) أنه كان رأى ملك الموت فى المنام فسأله هل قبضت روح يوسف فقال لا وانه والله حى
يرزق وروى أنه رأى ملك الموت وقد زاره فقال له السلام عليك يا أيها الكظيم فاقشعر جلده وارتعدت
فرائصه ورد عليه السلام ثم قال له من أنت ومن أدخلك هذا البيت وقد أغلقت على نفسى بابى كيلا

معتدى فقالوا أرنا اياه لنقتله الآن فقال لاتقتله الا بدليل و برهان فقالوا له افعل ما تريد فنحن ما حضرنا الا لنستفيد قال فقام
كبيرهم على قدميه
ونادى يا محمدى بحق
محمد عليك الا ما نهضت
قائما على قدميك
لننظر اليك فقام أبو
يزيد ولسانه لا يفتر عن
التسبيح والتقديس
والتحميد فقال له
البترك يا محمدى أريد أن
أسألك عن مسائل فان
أجبت عنها اتبعناك
وان عجزت عنها قتلناك
فقال سل عما تريد من
المعقول والمنقول و الله
شاهد على ما نقول قال
فاخبرنى عن واحد
لا ثانى له وعن اثنين
لا ثالث لهما وعن ثلاثة
لا رابع لهم وعن أربعة
لا خامس لهم وعن
خمسة لا سادس لهم وعن
ستة لا سابع لهم وعن
سبعة لا ثامن لهم وعن
ثمانية لا تاسع لهم وعن
تسعة لا عاشر لهم وعن
عشرة كاملة وعن أحد
عشر وعن اثنى عشر
وعن ثلاثة عشر وعن
أربعة عشر تكلموا
مع رب العالمين وأخبرنا
عن قوم كذبوا وأدخلوا
الجنة وعن قوم صدقوا
وأدخلوا النار وأخبرنا
أين مستقر روحك
فى جسدك وعن
الذاريات ذروا وعن
الحاملات وقرا وعن
الجاريات يسرا وعن
المقسمان أمرا وأخبرنا
عن شئ تنفس بغير روح وعن قبر مشى بصاحبه وعن ماء لا نزل من السماء ولا نبع من الارض وعن أربعة لا من

يدخل على أحد وأشكو بثي وحزني الى الله فقال له يا نبي الله أنا الذي أيتم الاولاد وأرمل الازواج وأفرق بين الجماعات قال فانت اذا ملك الموت قال نعم فقال له يا ملك الموت أنشدك الله الا أخبرتني هل تقبض روح من تأكله السباع قال نعم قال فاخبرني عن الارواح أتقبضها مجموعة أو متفرقة روحا روحا قال أقبضها روحا روحا قال فهل مرت بك روح يوسف في الارواح قال لا قال فجئتني زائرا أم داعيا فقال يا نبي الله ما جئتك الا مسلما فان الله تعالى لا يميتك حتى يجمع بينك وبين يوسف ولو كان في الصخرة التي عليها قرار الارضين وما أذن الله لي في زيارتك الا لابشرك وأجيبك عما تسألني عنه وان شئت أعلمتك لماذا ابتليت بفقد ولدك قال له فاعلمني يا عزرائيل فقال يا اسرائيل الله هل تذكرت الجارية التي اشتريتها عام كذا في شهر كذا ثم فرقت بينها وبين أبويها قال نعم يا ملك الموت كانه كان بالامس فقال له ملك الموت فلاجل ذلك ابتليت بفقد الولد وهل تعلم لماذا ابتليت بفقد البصر قال لا قال أمرت يوما بذبح جذعة فذبحتها وشويتها في يوم كذا في شهر كذا فمر تميم العابد لعبد الصالح لك وهو صائم ما أفطر منذ أسبوع فاشتم قتار الشوى فلم تطعمه شيأ فعند ذلك أعتق يعقوب من كان بحضرته من العبيد والاماء وأمر ان يذبح كل يوم من أغنامه كبشان ويفرق لحمهما على الفقراء والمساكين فقبل الله ذلك منه وشكره عليه وأتاه الفرج فعند ذلك قال يعقوب يا بنى اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه الى قوله تعالى الا القوم الكافرون (قال قتادة) ذكر لنا أن نبي الله يعقوب عليه السلام ما ساء ظنه بالله تعالى في طول بلائه ساعة قط من ليل أو نهار فعند ذلك خرج اخوة يوسف راجعين الى مصر وهذه كرة ثالثة فدخلوا على يوسف فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز أي الملك بلغة مصر مسنا وأهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة أي قليلة رديئة لا تنفق في ثمن الطعام الا بتجاوز من البائع فيها * واختلف المفسرون في هذه البضاعة ما هي فقال ابن عباس كانت دراهم رديئة زيوفا لا تنفق الا بوضيعة وقال ابن أبي مليكة رضي الله عنه كانت خلقة الغرائر والحبال ورثة المتاع وقال عبد الله بن الحرث والحسن كانت أمتعة الاعراب الصوف والسمن والاقط وقال الضحاك كانت النعال والادم والسويق المقلى فأوف لنا الكيل وتصدق علينا ان الله يجزى المتصدقين قال الضحاك لم يقولوا ان الله يجزيك ان تصدقت علينا لانهم لم يعلموا انه مؤمن وقال عبد الجبار بن العلائى سئل سفيان عن عيينة هل حرمت الصدقة على أحد من الانبياء سوى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فقال سفيان ألم تسمع قول الله تعالى وتصدق علينا أراهم سفيان أن الصدقة كانت لهم حلالا وانما حرمت على نبينا عليه الصلاة والسلام فقال لهم يوسف مجيبا لهم عند ذلك هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه اذ أنتم جاهلون * واختلف العلماء في السبب الذي حمل يوسف على هذا القول الذي كان بدء فرج يعقوب وراحته وآخر بلائه ومحنته فقال محمد بن اسحق ذكر لنا أنهم لما كلموه بهذا الكلام غلبته نفسه وأدركته الرقة فارفض دمعه باكيا ثم باح لهم بالذي كان يكتم فقال هل علمتم ما فعلتم الآية وقال الكلبي انما قال ذلك حين حكى لاخوته ان مالك بن دعر قال اني وجدت غلاما في بئر من حاله كيت وكيت فابتعته من قوم بكذا وكذا درهما فقالوا له أيها الملك نحن بعنا هذا الغلام فاغتاظ يوسف من ذلك وأمر بقتلهم فذهبوا بهم ليقتلوهم فولى يهوذا وهو يقول كان يعقوب يبكي ويحزن لفقد واحد منا حتى كف بصره فكيف اذا أتاه خبر قتل بنيه كلهم ثم انهم قالوا له ان أنت فعلت بنا ذلك فابعث بامتعتنا الى أبينا فانه بمكان كذا وكذا فذلك الوقت رحمهم وبكى وقال لهم ذلك القول * وقال بعضهم انما قال ذلك حين قرأ كتاب أبيه اليه وذلك ان يعقوب لما قيل له ان ابنك سرق كتب الى يوسف كتابا من يعقوب اسرائيل الله ابن اسحق ذبيح الله ابن ابراهيم خليل الله الى عزيز مصر المظهر العدل والموفى الكيل أما بعد فانا أهل بيت موكل بنا البلاء فاما جدي فابتلى بالنمرود فشدت يداه ورجلاه وألقى في النار فجعلها الله عليه بردا وسلاما وأما أبي فشدت يداه ورجلاه ووضع السكين على قفاه ليذبح ففداه الله بذبح عظيم وأما أنا فكان لي ابن وكان أحب أولادي الى فذهب به اخوته الى البرية ثم أتوني بقميصه ملطخا بالدم وقالوا قد أكله الذئب فذهبت عيناي من بكائي عليه ثم كان لي ابن آخر وكان أخاه من أمه وكنت أتسلى به فذهبوا به ثم رجعوا وقالوا انه سرق وأنت حبسته لذلك وانا أهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فان رددته على والا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك فلما قرأ يوسف الكتاب لم يتمالك نفسه من البكاء وعيل صبره فأظهر لهم أمره وقال بعضهم انما قال ذلك حين سأل أخاه بنيامين هل لك ولد قال نعم ثلاثة بنين قال فما سميتهم قال سميت الاكبر منهم يوسف قال ولم قال محبة لك ولذكرك قال فما سميت الثاني قال ذئبا قال ولم والذئب

الجن ولا من الانس ولا من الملائكة ولا من ظهر أب ولا من بطن أم وأخبرنا عن أول دم اهريق في الارض وعن شيء خلقه الله ثم استعظمه وعن أفضل النساء وعن أفضل البحار وعن أفضل الجبال وعن أفضل الدواب وعن أفضل الشهور وعن أفضل الليالي وعن الطامة وعن شجرة لها اثنا عشر غصنا في كل غصن ثلاثون ورقة في كل ورقة خمس زهرات اثنان منها في الشمس وثلاثة في الظل وعن شيء حج الى بيت الله الحرام وليس له روح ولا وجبت عليه فريضة وأخبرنا كم نبي خلقه الله وكم مرسل منهم وغير مرسل وعن أربعة أشياء يختلف طعمها ولونها والاصل واحد وأخبرنا عن النقير والفتيل والقطمير وعن السبد واللبد والطم والرم وأخبرنا عما يقول الكلب في نبيحه وما يقول الحمار في نهيقه وما يقول الثور في نعيره وما يقول الفرس في صهيله وما يقول البعير في رغائه وما يقول الطاوس في صياحه وما يقول الدراج في صفيره وما يقول البلبل في تغريده وما يقول الضفدع في تسبيحه وما يقول الناقوس في نقيره وأخبرنا عن قوم أوحى الله اليهم لا من الجن ولا من الانس ولا من الملائكة وأخبرنا أين يكون الليل اذا جاء النهار وأين يكون النهار اذا جاء

سبع عاقر قال لاذكرك به قال فاسميت الثالث قال دما قال ولم قال لاذكرك به فلما سمع يوسف هذه المقالة خنقته العبرة ولم يتمالك ان قال لاخوته هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه اذ أنتم جاهلون قالوا أئنك لانت يوسف قال ابن اسحق لما قال يوسف لاخوته هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه كشف عنه الغطاء ورفع عنه الحجاب فعرفوه فقالوا أئنك لانت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخي (وروى) جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال قال لهم يوسف هل علمتم ما فعلتم الآية ثم تبسم وكان اذا تبسم كان ثناياه اللؤلؤ المنظوم فلما أبصروا ثناياه شبهوه بيوسف فقالوا له مستفهمين أئنك لانت يوسف (وروى) عطاء عن ابن عباس انه قال ان اخوة يوسف لم يعرفوه حتى وضع التاج عن رأسه وكان له في فرقه علامة وكان ليعقوب مثلها وكان لاسحق مثلها وكان لسارة مثلها شبه الشامة فلما رفع التاج عن رأسه ورأوا الشامة عرفوه وقالوا له أئنك لانت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخي قد من الله علينا ان جمعنا بعد ما فرقتم بيننا انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين ثم انهم أقروا بفضل يوسف عليهم وجرمهم اليه فقالوا تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين فقال يوسف وكان حليما كريما موفقا لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين (قال) السدي وغيره فلما عرفهم يوسف بنفسه سألهم عن أبيه فقال ما فعل أبي من بعدي قالوا ذهبت عيناه فاعطاهم قميصه (قال الضحاك) كان ذلك القميص من نسج الجنة وكان فيه ريح الجنة لا يقع على مبتلى ولا على سقيم الا صح وعوفي فاعطاهم يوسف ذلك القميص وهو الذي كان لابراهيم وقد مضت قصته فقال لهم اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه أبي يأت بصيرا واتوني باهلكم أجمعين فلما فصلت العير من مصر متوجهين الى كنعان قال أبوهم يعقوب اني لاجد ريح يوسف لولا أن تفندون أي تسفهون (ويروى) أن ريح الصبا استأذنت ربها أن تأتي يعقوب بريح يوسف قبل أن يأتيه البشير بالقميص فأذن لها فاتته بها قال ابن عباس وجد يعقوب ريح يوسف من مسيرة ثمان ليال (وقال مجاهد) وذلك انه هبت ريح فصفقت القميص فاحتملت الصبا ريح القميص الى يعقوب فوجد ريح الجنة فعلم انه ليس في الارض من رياح الجنة الا ما كان من ذلك القميص فمن ثم قال اني لاجد ريح يوسف لولا أن تفندون فقال له بنو بنيه تالله انك لفي ضلالك القديم فلما أن جاء البشير وهو يهوذا بن يعقوب قال ابن مسعود جاء البشير من بين يدي العير وقال السدي قال يهوذا ليوسف أنا ذهبت بالقميص ملطخا بالدم الى يعقوب فاخبرته أن يوسف أكله الذئب فاعطني اليوم قميصك لاخبره انك حي فافرحه كما أحزنته (قال) ابن عباس حمله يهوذا وخرج ماشيا حاسرا حافيا وجعل يعدو حتى أتى أباه وكان معه سبعة أرغفة لم يستوف أكلها حتى بلغ كنعان وكانت المسافة ثمانين فرسخا فلما أتاه بالقميص ألقاه على وجهه فارتد بصيرا قال الضحاك رجع اليه بصره بعد العمى وقوته بعد الضعف وشبابه بعد الهرم وسروره بعد الحزن (عن) أبي هريرة رضي الله عنه قال كان يعقوب عليه السلام أكرم أهل الارض على ملك الموت وان ملك الموت استأذن ربه في أن يأتي يعقوب فأذن له فجاءه فقال له يعقوب يا ملك الموت أسألك بالذي خلقك هل قبضت نفس يوسف فيمن قبضت من النفوس فقال لا ثم قال له ملك الموت يا يعقوب ألا أعلمك كلمات قال بلى قال قل يا ذا المعروف الذي لا ينقطع أبدا ولا يحصيه أحد غيرك قال فدعا بها يعقوب في تلك الليلة فلم يطلع الفجر حتى طرح القميص على وجهه فارتد بصيرا فقال لهم عند ذلك ألم أقل لكم اني أعلم من الله ما لا تعلمون قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين قال سوف أستغفر لكم ربي الآية (قال) أكثر المفسرين أخر ذلك الى السحر من ليلة الجمعة فوافق ذلك ليلة عاشوراء وذلك ان الدعاء في الاسحار لا يحجب عن الله تعالى فلما انتهى يعقوب الى الوعد قام الى الصلاة بالسحر فلما فرغ منها رفع يديه الى الله عز وجل وقال اللهم اغفر لي جزعي على يوسف وقلة صبري عنه واغفر لولدي ما جنوا على أخيهم يوسف فاوحى الله اليه اني قد غفرت لك ولهم أجمعين وقال وهب كان يستغفر لهم كل ليلة جمعة في نيف وعشرين سنة (أخبرنا) الحسين بن محمد بن فنجويه أخبرنا عبد الله بن محمد بن شيبة أخبرنا أحمد بن السفر بن ثوبان البصري أخبرنا اسحق بن زياد الارملي أخبرنا الفضل ابن حميد البغدادي أخبرنا اسحق بن زياد وابن ضمرة عن رجاء بن أبي سلمة عن عطاء الخراساني قال طلب الحوائج الى الشباب أيسر منها الى الشيوخ ألا ترى قول يوسف لاخوته لا تثريب عليكم اليوم وقول يعقوب سوف أستغفر لكم ربي * وروى * ان يعقوب قال للبشير لما أخبره بحياة يوسف كيف يوسف قال له

الليل فقال أبو يزيد هل بقي مسائل غير هذه المسائل فقال لا فقال ان فسرتها لكم وأجبت عنها تؤمنوا بالله و رسوله محمد صلى الله عليه وسلم فقالوا نعم فقال اللهم أنت الشاهد على ما يقولون (أما) سؤالكم عن واحد لا ثاني له فهو الله عز وجل (وأما) سؤالكم عن اثنين لا ثالث لهما فهما الليل والنهار لقوله تعالى وجعلنا الليل والنهار آيتين (وأما) سؤالكم عن ثلاثة لا رابع لها فهي العرش والكرسي والقلم (وأما) سؤالكم عن أربعة لا خامس لها فهي الكتب المنزلة وهي التوراة والانجيل والزبور والفرقان (وأما) سؤالكم عن خمسة لا سادس لها فهي الصلوات الخمس المفروضات على كل مسلم ومسلمة (وأما) سؤالكم عن ستة لا سابع لها فهي الستة أيام التي ذكرها الله في كتابه العزيز بقوله ولقد خلقنا السموات والارض وما بينهما في ستة أيام (وأما) سؤالكم عن سبعة لا ثامن لها فهي السموات السبع لقوله تعالى الذي خلق سبع سموات طباقا (وأما) سؤالكم عن ثمانية لا تاسع لهم فهم حملة العرش لقوله تعالى ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية (وأما) سؤالكم عن تسعة لا عاشر لهم فهم تسعة رهط الذين يفسدون في الارض

انه ملك مصر فقال يعقوب ما أصنع بالملك على أي دين تركته قال على دين الاسلام فقال يعقوب الآن تمت النعمة (وقال الثوري) لما التقى يعقوب ويوسف عليهما السلام عانق كل واحد منهما صاحبه وبكيا فقال يوسف يا أبت بكيت علي حتى ذهب بصرك ألم تعلم أن القيامة تجمعنا قال بلى يا بني ولكن خشيت أن تسلب دينك فيحال بيني وبينك يوم القيامة قالوا وكان يوسف قد بعث مع البشير جهازا ومائتي راحلة وسأله أن يأتيه بأهله وولده أجمعين فتهيأ يعقوب للخروج الى مصر فلما دنا يعقوب من مصر كلم يوسف الملك الاكبر الذي فوقه فخرج مع يوسف في أربعة آلاف من الجند وركب أهل مصر معهما يتلقون يعقوب وكان يعقوب يمشي متوكئا على يهوذا فنظر يعقوب الى الجند والناس فقال يا يهوذا هذا فرعون مصر الاكبر فقال لا هذا ابنك فلما دنا كل واحد منهما من صاحبه ذهب يوسف يبدؤه بالسلام فمنعه الله من ذلك وكان يعقوب أفضل وأحق بذلك منه فابتدأه يعقوب بالسلام فقال السلام عليك يا مذهب الاحزان فلما دخلوا على يوسف آوى اليه أبويه ورفعهما على العرش وأبواه يعقوب وخالته ليا فسمى الخالة أما كما سمى العم أبا في قوله تعالى قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق وقال الحسن نشر الله راحيل أم يوسف من قبرها حتى سجدت له تحقيقا للرؤيا فذلك قوله تعالى وخروا له سجدا وكانت تحية الناس يومئذ السجود ولم يرد بالسجود وضع الجباه على الارض فلما رأى يوسف أبويه واخوته قد خروا له سجدا اقشعر عند ذلك جلده وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا الآية (قال وهب) دخل يعقوب وولده مصر وهم اثنان وسبعون انسانا ما بين رجل وامرأة وخرجوا منها مع موسى ومقاتلتهم ستمائة ألف وخمسمائة وبضع وسبعون رجلا سوى الذرية والهرمى والزمنى وكانت الذرية ألف ألف سوى المقاتلة *وقال الفضيل بن عياض بلغنا ان يعقوب عليه السلام لما دخل مصر ورأى يوسف ومملكته فكان يطوف يوما من الايام في خزائنه فرأى خزانة مملوءة قراطيس بيضا فقال له يا بني لقد تغيرت بعدي لك هذه القراطيس وما حملت بطاقة منها تكتب الي كتابا فقال يوسف هذه القراطيس كلها لك كنت كلما ازداد شوقي وكثر حنيني آخذ ورقة حتى أكتب اليك يا أبت فيمنعني جبريل ان أكتب اليك فأترك كما في هذه الخزانة حتى بلغت هذا المبلغ فسأل يعقوب جبريل عن ذلك فقال منعني ربي فسأل الله عن ذلك فأوحى الله اليه لانك قلت أخاف أن يأكله الذئب فهلا خفتني هذه العقوبة لاجل تخوفك من غيري (وروى) صالح المري عن يزيد الرقاشي عن أنس بن مالك قال ان الله تعالى لما جمع ليعقوب شمله خلا ولده نجيا فقال بعضهم لبعض أليس قد علمتم ما فعلتم بالشيخ يعقوب وبيوسف قالوا بلى قالوا فان عفوا عنكم فكيف لكم بربكم فاستقام أمرهم على أن أتوا الشيخ فأتوه وجلسوا بين يديه ويوسف الى جنب أبيه قاعد فقالوا يا أبانا أتيناك على أمر لم نأتك بمثله قط ونزل بنا أمر لم ينزل بنا مثله قط والانبياء أرحم البرية فقال ما بكم يا بني فقالوا ألست تعلم ما كان منا اليك والى أخينا يوسف قال بلى قد علمت قالوا فلستما قد عفوتما عنا قالا بلى قالوا فان عفوكما لا يغني عنا شيأ اذا كان الله تعالى لم يعف عنا قال فما تريدون يا بني قالوا نريد أن تدعو الله لنا فاذا جاءك الوحي من عند الله بانه هل عفا الله عنا فان أجابك بانه قد عفا عنا جمعنا قرت أعيننا واطمأنت قلوبنا والا فلا قرت لنا عين في الدنيا أبدا فقام الشيخ واستقبل القبلة وقام يوسف خلفه وقاموا كلهم خلفهما أذلة خاشعين فدعا يعقوب وأمن يوسف عليهما السلام فلم يجب فيهم قريبا من عشرين سنة قال صالح المري ثم نزل جبريل عليه السلام على يعقوب فقال ان الله تعالى بعثني اليك أبشرك بانه قد أجاب دعوتك في ولدك وانه قد عفا عما صنعوا وانهم قد انعقدت مواثيقهم بعدك على النبوة قالوا فاقام يعقوب بمصر بعد موافاته بأهله وولده أربعا وعشرين سنة باغبط حال وأهنأ عيش وأتم راحة وأدوم سلامة ثم حضرته الوفاة فلما احتضر جمع بين بنيه وقال ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق ثم قال يا بني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون ثم انه أوصى الى يوسف أن يحمل جسده الى الارض المقدسة حتى يدفنه عند أبيه اسحق وجده ابراهيم ففعل ذلك ونقله الى بيت المقدس في تابوت من ساج وخرج معه يوسف في عسكره واخوته وعظماء أهل مصر ووافق ذلك يوم وفاة عيص فدفنا في يوم واحد وكان عمرهما جميعا مائة وسبعا وأربعين سنة لانهما ولدا في بطن واحد وقبرا في قبر واحد (قال) فلما جمع الله ليوسف شمله وأقر له عينه وأتم له تفسير رؤياه وكان موسعا عليه في ملك الدنيا ونعيمها وعلم أن ذلك لا يدوم له وانه لا بد من فراقه فأراد نعيم الجنة

لقوله تعالى وكان في المدينة تسعة رهط يفسدون في الارض ولا يصلحون (وأما) سؤالكم عن عشرة كاملة فهي فروض مكة التي وجبت على الحاج وهو محرم لقوله تعالى فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة (وأما) سؤالكم عن احدى عشر فهم اخوة يوسف عليه السلام (وأما) سؤالكم عن اثني عشر فهي عدة الشهور (وأما) سؤالكم عن ثلاثة عشر فهي رؤية يوسف عليه السلام لقوله تعالى اني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر (وأما) سؤالكم عن قوم كذبوا وادخلوا الجنة فهم اخوة يوسف وجاؤا على قميصه بدم كذب (وأما) سؤالكم عن قوم صدقوا وأدخلوا النار فهم اليهود والنصارى لقوله تعالى وقالت اليهود ليست النصارى على شئ وقالت النصارى ليست اليهود على شئ فهم صدقوا ودخلوا النار (وأما) سؤالكم عن مستقر الروح في الجسد فانها تكون بين أذنيك في صورة الوجه (وأما) سؤالكم عن الذاريات ذروا فهي الرياح الاربع (وأما) الحاملات وقرا فهي السحب (وأما) سؤالكم عن الجاريات يسرا فهي السفن الجارية في البحار (وأما) سؤالكم عن المقسمات أمرا فهم الملائكة الذين يقسمون على الناس أرزاقهم في

ليلة النصف من شهر شعبان (وأما) سؤالكم عن أربعة عشر تكلموا مع رب العالمين فهي السموات السبع والارضون السبع

اذ هو أفضل منه فتاقت نفسه الى الجنة فتمنى الموت ودعا به ولم يتمن نبي قبله ولا بعده الموت فقال رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الاحاديث الآية ﴿وروى﴾ ان يوسف لما حضرته الوفاة جمع اليه قومه من بني اسرائيل وهم ثمانون رجلا وأعلمهم بحضور أجله ونزول أمر الله تعالى به فقالوا يانبي الله نحب أن تعرفنا كيف تتصرف الاحوال بنا بعد خروجك من بين أظهرنا والى مايؤل اليه أمرنا وديننا وملتنا فقال لهم ان أمركم يستقيم على ما أنتم عليه وتستقيمون على دينكم الى أن يبعث رجل جبار عات من القبط يدعى الربوبية فيقهركم ويذبح أبناءكم ويستحيي نساءكم ويسومكم سوء العذاب فتمد أيامه مدة مديدة ثم يخرج من بني اسرائيل من ولد لاوى بن يعقوب رجل اسمه موسى بن عمران رجل طوال جعد الشعر آدم اللون فينجيكم الله من أيدى القبط على يده قال فجعل كل من بني اسرائيل يسمي ابنه عمران ويسمي عمران ابنه موسى قال وكان ليوسف ديك وكان عمره خمسمائة سنة فقال لهم يوسف انه يستقيم أمركم مادام يصرخ فيكم هذا الديك فاذا ولد هذا الجبار يسكن فلا يصرخ مدة ولايته حتى اذا انقضت مدة ولايته وأذن الله تعالى بمولد هذا النبي فيصرخ هذا الديك ويعود الى صراخه ويكون ذلك علامة انقضاء ملك الجبار وظهور نبي الله في الارض فمازالوا يراعون الحال الى أن سكن صراخ الديك فوجوا له واكتأبوا وأيقنوا بوهي أركان دينهم واظلال ما آذنهم به يوسف من مولد الجبار واعتزلوا لذلك واجتمعوا الى أن صرخ ذلك الديك فاستبشروا وتصدقوا وفرحوا واستيقنوا بالفرج والراحة ثم مات يوسف عليه السلام وكان قد أوصى الى أخيه يهوذا واستخلفه على بني اسرائيل فتوفاه الله طيبا طاهرا ودفن في النيل في صندوق من رخام وذلك انه لما مات تشاح الناس عليه كل يحب أن يدفن في محلتهم لما يرجون من بركته حتى هموا بالقتال فرأوا أن يدفن في النيل حيث تتفرق المياه بمصر فيمر الماء عليه ثم يصل الى جميع مصر فيكونون كلهم فيه شرعا واحدا ففعلوا ذلك وكان قبره في النيل الى أن حمله موسى عليه السلام معه حين خرج من مصر ببني اسرائيل فنقله الى الشام ودفنه بأرض كنعان خارج الحصن حيث هو اليوم فلذلك تنقل اليهود موتاهم الى الشام من فعل ذلك فيهم (وروى) يونس بن عمران عن أبي موسى قال نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم باعرابي فاكرمه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أكرمتنا فاحسنت سل حاجتك فقال ناقة نرحلها وعنز نحلبها أهلي فقال صلى الله عليه وسلم أعجز هذا ان يكون مثل عجوز بني اسرائيل فقالوا يارسول الله وما عجوز بني اسرائيل فقال ان بني اسرائيل لما خرجوا ضلوا الطريق وأظلم عليهم الليل فقالوا ما هذا فقال علماؤهم ان يوسف لما حضرته الوفاة أخذ علينا موثقا من الله لانخرج من مصر حتى ننقل عظامه معنا قال موسى فمن يعلم موضع قبره قالوا عجوز لبني اسرائيل فبعث اليها موسى فاتته فقال دليني على قبر يوسف فقالت له وتعطيني حكمي قال وما حكمك قالت أن أكون معك في الجنة فكره أن يعطيها حكمها فأوحى الله اليه أن اعطها حكمها ففعل (ويروى) من طريق آخر ان هذه العجوز كانت مقعدة عمياء فقالت لموسى ألا أخبرك بموضع قبر يوسف قال نعم فقالت لا أخبرك حتى تعطيني أربع خصال تطلق رجلي وتعيد الى بصري وشبابي وتجعلني معك في الجنة قال فكبر ذلك على موسى فأوحى الله تعالى اليه أن اعطها ماسألت فانك انما تعطي على ففعل فانطلقت بهم الى موضع عين في مستنقع ماء فاستخرجوه من شاطئ النيل في صندوق من مرمر فلما حملوا تابوته طلع القمر وأضاء الطريق مثل النهار فاهتدوا به وحملوه (وقال) أهل التاريخ عاش يوسف بعد موت يعقوب عليه السلام ثلاثا وعشرين سنة ومات وهو ابن مائة وعشرين سنة صلوات الله عليه وعلى جميع الانبياء والمرسلين والحمد لله رب العالمين

﴿مجلس في قصة موسى بن ميشا بن يوسف عليه السلام﴾

وهو موسى الاول وقد ذكرنا فيما مضى ان يوسف عليه السلام ولد له ابنان أحدهما يقال له افرائيم والآخر ميشا وابنة يقال لها رحمة وهي امرأة النبي أيوب عليه السلام فولد لافرائيم نون وولد لنون يوشع وهو فتى موسى بن عمران وخليفته على بني اسرائيل وأما ميشا فولد له موسى فنبأه الله تعالى فزعم أهل التوراة أنه صاحب الخضر والعامة من العلماء أن صاحب الخضر موسى بن عمران وكذلك روى عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال) أهل العلم بالتاريخ لما مات يعقوب ويوسف عليهما السلام وآل الامر الى الاسباط كثروا ونموا وظهر فيهم ملوك فغيروا واسيرتهم وأفسدوا في الارض وفشا فيهم السحر والكهانة فبعث الله تعالى اليهم موسى بن ميشا رسولا يدعوهم الى عبادة الله وأداء أمره واقامة سنته وذلك قبل مولد موسى بن عمران بمائتي سنة فاطاعه قوم منهم

لقوله تعالى فقال لها وللارض ائتيا طوعا أو كرها قالتا أتينا طائعين (وأما) سؤالكم عن قبر مشى بصاحبه فهو حوت يونس عليه السلام (وأما) سؤالكم عن شئ تنفس بغير روح فهو الصبح (وأما) سؤالكم عن ماء لانزل من السماء ولانبع من الارض فهو الذي بعثته بلقيس الى سليمان عليه السلام في قارورة وكان من عرق الخيل (وأما) سؤالكم عن أربعة لامن الجن ولا من الانس ولا من الملائكة ولامن ظهر أب ولامن بطن أم فهي كبش اسمعيل وناقة صالح وآدم وحواء (وأما) سؤالكم عن شئ خلقه الله ثم أنكره فهو صوت الحمار كما قال الله تعالى ان أنكر الاصوات لصوت الحمير (وأما) سؤالكم عن أول دم أهريق على وجه الارض فهو دم هابيل لما قتله قابيل (وأما) سؤالكم عن شئ خلقه الله واستعظمه فهو كيد النساء لقوله تعالى ان كيدكن عظيم (وأما) سؤالكم عن شئ أوله عود وآخره روح فهي عصا موسى عليه السلام لقوله تعالى وما تلك بيمينك ياموسى

وعصاه آخرون (وقال وهب بن منبه وغيره) كان مما أوحى الله اليه أن قل لقومك انى برىء ممن سحر أو سحر له أو تكهن أو تكهن له أو تطير أو تطير له من آمن بى صادقا وتوكل على فانى كنت له كافيا ومثيبا وكفيته هم دينه ودنياه وكنت له خير معين وهاد وكنت عند ظنه بى ومن عدل عنى ووثق بغيرى فأنا أغنى الشركاء عن الشرك أكله الى من وثق به دونى ومن وكلته الى غيرى فليستعد للفتنة والعذاب ومن تباعد عنى كنت عنه أشد تباعدا ومن تقرب الى كنت اليه أشد تقربا منه الى وقل لعبادى لا تغفلوا عن ذكرى وليكثروا ذكر الموت عند كل شهوة فانه يميت الشهوات واللذات كلها قالوا فلبث فيهم ما شاء الله أن يلبث يقيم أمرهم ويصلح أحوالهم ثم مات صلى الله عليه وسلم وعلى جميع الانبياء والمرسلين والله تعالى أعلم

﴿ مجلس فى ذكر بقية عاد وقصة شديد وشداد وصفة ارم ذات العماد ﴾

قال الله تعالى ألم تر كيف فعل ربك بعاد ارم ذات العماد الآية (روى) سفيان عن منصور عن أبى وائل قال ان رجلا يقال له عبد الله بن قلابة خرج فى طلب ابل له قد ضلت أى شردت فبينما هو فى بعض صحارى عدن فى تلك الفلوات اذ وقع على مدينة عليها حصن حول ذلك الحصن قصور عظيمة وأعلام طوال فلما دنا منها ظن أن فيها من يسأله عن ابله فلم ير فيها أحدا الا داخلا ولا خارجا فنزل عن ناقته وعقلها وسل سيفه ودخل من باب الحصن فاذا هو ببابين عظيمين لم ير فى الدنيا أعظم منهما ولا أطول واذا خشبهما من أطيب عود وعليهما نجوم من ياقوت أصفر وياقوت أحمر ضوؤها قد ملأ المكان فلما رأى ذلك أعجبه ففتح أحد البابين فاذا هو بمدينة لم ير الراؤن مثلها قط واذا هو بقصور معلقة تحتها أعمدة من زبرجد وياقوت وفوق كل قصر منها غرف مبنية بالذهب والفضة واللؤلؤ والياقوت والزبرجد على كل باب من أبواب تلك القصور مصراع مثل مصراع باب تلك المدينة من عود رطب قد نضدت عليه اليواقيت وقد فرشت تلك القصور باللؤلؤ وبنادق المسك والزعفران فلما رأى ذلك ولم ير هناك أحدا أخذه الفزع ثم انه نظر الى الازقة فاذا فى كل زقاق منها أشجار قد أثمرت وتحتها أنهار تجرى فى قنوات من فضة أشد بياضا من الثلج فقال هذه الجنة التى وصفها الله لعباده فى الدنيا والحمد لله الذى أدخلنى الجنة ثم انه حمل من لؤلؤها وبنادق المسك والزعفران ولم يستطع أن يقلع من زبرجدها شيأ ولا من يواقيتها لانها كانت مثبتة فى أبوابها وجدرانها وكان اللؤلؤ وبنادق المسك والزعفران منثورة بمنزلة الرمل فى تلك القصور والغرف فأخذ منها ما أراد وخرج حتى أتى ناقته فركبها ثم انه سار يقفو أثر ناقته حتى رجع الى اليمن فأظهر ما كان معه وأعلم الناس بأمره وباع بعض ذلك اللؤلؤ وكان قد اصفر وتغير لونه من طول الزمان الذى مر عليه ففشا خبره حتى بلغ معاوية بن أبى سفيان فأرسل رسولا الى صاحب صنعاء وكتب اليه باشخاصه فأشخصه حتى قدم على معاوية فخلا به ثم سأله عما عاين فقص عليه أمر المدينة وما رأى فيها فاستعظم ذلك معاوية وأنكر ما حدثه به وقال له ما أظن ما تقوله حقا فقال له يا أمير المؤمنين ان معى من متاعها الذى هو مفروش فى قصورها وغرفها فقال له وما هو قال اللؤلؤ وبنادق المسك والزعفران فقال له أرنى اياه فعرض عليه مما حمله من تلك المدينة من اللؤلؤ وبنادق المسك فشم البنادق فلم يجد لها ريحا فأمر ببندقة منها فدقت فسطع ريحها مسكا وزعفرانا فصدقه عند ذلك ثم قال معاوية كيف أصنع حتى أعرف اسم هذه المدينة ولمن هى ومن بناها والله ما أعطى أحد مثل ما أعطى سليمان بن داود عليه السلام وما أظن انه كان له مثل هذه المدينة فقال له بعض جلسائه ما كان لسليمان مدينة مثل هذه وما يوجد خبر هذه المدينة فى زماننا هذا الا عند كعب الاحبار فان رأى أمير المؤمنين أن يبعث اليه ويأمر باشخاصه ويغيب عنه هذا الرجل فى موضع هنا بحيث يسمع كلامه وحديثه ووصفه للمدينة حتى يتبين أمر هذه المدينة على مثل هذه الصفة فان كعبا يخبر أمير المؤمنين بخبرها وأمر هذا الرجل ان كان دخلها الان مثل هذه المدينة على مثل هذه الصفة لا يستطيع هذا الرجل دخولها الا أن يكون قد سبق له فى الكتاب دخولها فيعرف ذلك فأرسل معاوية الى كعب الاحبار فلما حضر قال له يا أبا اسحق انى دعوتك لامر رجوت أن يكون علمه عندك فقال له يا أمير المؤمنين على الخبير سقطت سل عما بدا لك فقال له أخبرنا يا أبا اسحق هل بلغك أن فى الدنيا مدينة مبنية بالذهب والفضة وعمدها من زبرجد وياقوت وحصى قصورها وغرفها اللؤلؤ وأنهارها فى الازقة تجرى تحت الاشجار فقال كعب والذى نفس كعب بيده لقد ظننت انى سأموت قبل أن يسألنى أحد عن تلك المدينة وما فيها ولكن أخبرك بها يا أمير المؤمنين وان هى ومن بناها أما تلك المدينة فهى حق على ما بلغ أمير المؤمنين وعلى ما وصفت له وأما

الآية (وأما) سؤالكم عن أفضل النساء فحواء أم البشر وخديجة وعائشة وآسية ومريم ابنة عمران (وأما) سؤالكم عن أفضل البحار فسيحون وجيحون والفرات ونيل مصر (وأما) سؤالكم عن أفضل الجبال فهو الطور (وأما) سؤالكم عن أفضل الدواب فهى الخيل (وأما) سؤالكم عن أفضل الشهور فشهر رمضان (وأما) سؤالكم عن أفضل الليالى فليلة القدر (وأما) سؤالكم عن الطامة فهى يوم القيامة (وأما) سؤالكم عن شجرة لها اثنا عشر غصنا فى كل غصن ثلاثون ورقة فى كل ورقة خمس زهرات اثنان فى الشمس وثلاثة فى الظل فهى السنة والاغصان هى الشهور والاوراق هى الايام والخمس زهرات هى الخمس صلوات فى اليوم والليلة (وأما) سؤالكم عن شئ حج الى البيت الحرام وطاف وليس له روح ولا وجب عليه فريضة فهى سفينة نوح عليه السلام (وأما) سؤالكم عن أربعة مختلف طعمها ولونها والاصل واحد فهى العينان والاذنان والانف والفم فماء العينين مالح وماء الاذنين مر وماء الانف حامض وماء الفم حلو (وأما) سؤالكم عن النقير والفتيل والقطمير فالنقير النقرة التى فى ظهر النواة والفتيل هو الذى فى باطنها والقطمير هو القشر الذى فوقها (وأما)

الذى بناها فشداد بن عاد وأما المدينة فهى ارم ذات العماد التى لم يخلق مثلها فى البلاد فقال له معاوية يا أبا اسحق حدثنا بحديثها يرحمك الله فقال كعب يا أمير المؤمنين ان عادا كان له ابنان سمى أحدهما شديدا والآخر شدادا فهلك عاد وبقى ولداه بعده فملكا وتجبرا وقهرا كل البلاد وأخذاها عنوة وقهرا حتى دان لهما جميع الناس ولم يبق أحد فى زمانهما الا دخل فى طاعتهما الا فى شرق الارض ولا فى غربها وانهما لما صفا لهما ذلك وقر قرارهما مات شديد بن عاد وبقى شداد فملك وحده ولم ينازعه أحد وكانت له الدنيا كلها وكان مولعا بقراءة الكتب القديمة وكان كلما مر فيها على ذكر الجنة دعته نفسه أن يجعل تلك الصفة لنفسه فى الدنيا عتوا على الله تعالى وكفرا فلما وقر ذلك فى نفسه أمر بصنعة تلك المدينة التى هى ارم ذات العماد وأمر على صنعتها مائة قهرمان مع كل قهرمان ألف من الاعوان ثم قال لهم انطلقوا الى أطيب بقعة فى الارض وأوسعها واعملوا الى فيها مدينة من ذهب وفضة وياقوت وزبرجد ولؤلؤ وتحت تلك المدينة أعمدة من زبرجد وياقوت وعلى المدينة قصور ومن فوق القصور غرف واغرسوا تحت القصور غرائس فيها أصناف الثمار كلها وأجروا فيها الانهار تحت الاشجار فانى أرى فى الكتب صفة الجنة وانى أحب أن أتخذ مثلها فى الدنيا وأتعجل سكناها فقالت له قهارمته كيف لنا بالقدرة على ما وصفت لنا من الزبرجد والياقوت واللؤلؤ والذهب والفضة فنبنى منها مدينة كما وصفت لنا فقال لهم شداد ألستم تعلمون أن ملك الدنيا كلها بيدى قالوا بلى قال فانطلقوا الى كل موضع به معدن من معادن الزبرجد والياقوت والذهب والفضة وأى بحر فيه لؤلؤ فوكلوا به من كل قوم رجالا تخرج لكم ما فى كل معدن من تلك الارض ثم انطلقوا الى ما فى أيدى الناس من ذلك تأخذوه سوى ما يأتيكم به أصحاب المعادن فان معادن الدنيا فيها كثير من ذلك وما فيها مما لا تعلمون أكثر وأعظم مما كلفتم به من صنعة هذه المدينة (قال) فخرجوا من عنده وكتب معهم الى كل ملك فى الدنيا كتابا يأمره أن يجمع لهم ما فى بلاده من الجواهر وأن يحفر معادنها فانطلق تلك القهارمة وأعطوا كل ملك من الملوك كتابا بأخذ ما يوجد فى مملكته فبقوا على تلك الحالة عشر سنين حتى جمعوا ما يحتاجون الى ارم ذات العماد من الزبرجد والياقوت واللؤلؤ والذهب والفضة وأخذ موضعا كما أرادوا وصف لهم فقال معاوية يا أبا اسحق كم عدد أولئك الملوك الذين كانوا تحت يد شداد قال كانوا مائتين وستين ملكا قال فخرج عند ذلك الفعلة والقهارمة فتفرجوا فى الصحارى ليتخذوا ما يوافق غرضه فلم يجدوا ذلك الا فى أرض أبين من بلاد عدن فوقعوا بها على صحراء عظيمة نقية من التلال والجبال واذا هم بعيون مطردة فقالوا هذه صفة الارض التى أمرنا بها فأخذوا بقدر ما أمرهم به من العرض والطول ثم جعلوا لها حدودا محدودة ثم عمدوا الى مواضع الازقة التى فيها الماء فأجروا فيها القنوات لتلك الانهار ثم وضعوا الاساس من صخور الجزع اليمانى وعجنوا طين ذلك الاساس من دهن البان والمحلب فلما فرغوا من وضع الاساس وأجروا فيها القنوات أرسل الملوك اليهم الجواهر والذهب والفضة فمنهم من بعث بالعمد مضروبة ومنهم من بعث بالذهب والفضة مصنوعة مفرغة ومنها فدفعوا كل ذلك الى أولئك القهارمة والوزراء فأقاموا فيها حتى فرغوا من بنائها على ما أراد شداد فقال له معاوية يا أبا اسحق انى لاحسبهم أقاموا فى بنائها زمانا من الدهر قال نعم يا أمير المؤمنين انى لاجد فى التوراة انهم أقاموا فى بنائها ثلثمائة سنة فقال معاوية كم كان عمر شداد صاحبها قال كان عمره سبعمائة سنة فقال له معاوية يا أبا اسحق لقد أخبرتنا خبرا عجيبا فحدثنا فقال يا أمير المؤمنين انما سماها الله تعالى ارم ذات العماد من أجل العماد التى تحتها من الزبرجد والياقوت وليس فى الدنيا مدينة من الزبرجد والياقوت غيرها فلذلك قال التى لم يخلق مثلها فى البلاد قال كعب انهم لما أتوه وأخبروه بفراغهم منها قال انطلقوا فاجعلوا عليها حصنا واجعلوا حول الحصن ألف قصر عند كل قصر ألف علم ويكون فى كل قصر من تلك القصور وزير من وزرائى ويكون كل علم منها عليه ناطور فرجعوا وعملوا تلك القصور والاعلام والحصن ثم انهم أتوه فأخبروه بالفراغ مما أمرهم به قال فأمر ألف وزير من خاصته أن يهيئوا أسبابهم ويعملوا على النقلة الى ارم ذات العماد وأمر رجالا أن يسكنوا تلك الاعلام وأن يقيموا فيها ليلهم ونهارهم وأمر لهم بالعطاء والارزاق وأمر الملك من أراد من نسائه وخدمه أن يتجهز والى ارم ذات العماد فأقاموا فى جهازهم عشرين سنة ثم سار الملك بمن أراد الى أرض أبين وخلف من قومه أكثر مما سار به فلما استقل وسار اليها ليسكنها وبلغ منها موضعا وبقى بينه وبين دخولها مسيرة يوم وليلة بعث الله تعالى عليه وعلى كل من كان معه صيحة من السماء فأهلكتهم جميعا ولم يبق أحد منهم ولم

عما يقول الحمار فى نهيقه فانه يرى الشيطان ويقول لعن الله العشار (وأما) سؤالكم عما يقول الكلب فى نبيحه فانه يقول ويل لاهل النار من غضب الجبار (وأما) سؤالكم عما يقول الفرس فى صهيله فانه يقول سبحان حافظى اذا التقت الابطال واشتغلت الرجال بالرجال (وأما) سؤالكم عما يقول البعير فى رغائه فانه يقول حسبى الله وكفى بالله وكيلا (وأما) سؤالكم عما يقول البلبل فى تغريده فانه يقول فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون (وأما) سؤالكم عما يقول الضفدع فى تسبيحه فانه يقول سبحان المعبود فى البرارى والقفار سبحان الملك الجبار (وأما) سؤالكم عما يقول الناقوس فى نقيره فانه يقول سبحان الله حقا حقا انظر يا ابن آدم فى هذه الدنيا غربا وشرقا ما ترى فيها أحدا يبقى (وأما) سؤالكم عن قوم أوحى الله اليهم لا من الجن ولا من الانس ولا من الملائكة فهو النحل لقوله تعالى وأوحى ربك الى النحل الآية (وأما) سؤالكم
عن الليل أين يكون اذا جاء النهار وعن النهار أين يكون اذا جاء الليل فانهما يكونان فى غامض علم الله تعالى ثم قال أبو يزيد هل بقى معكم يدخل

يدخل شداد ولا من كان معه ارم ذات العماد ولم يقدر أحد منهم على الدخول فيها حتى الساعة فهذه صفة ارم ذات العماد وانه سيدخلها رجل من المسلمين فى زمانك هذا و يرى ما فيها فيحدث بما عاين ولا يصدق فقال له معاوية يا أبا اسحق هل تصفه لنا قال نعم هو رجل أحمر أشقر قصير على حاجبه خال وعلى عنقه خال يخرج فى طلب ابل له فى تلك الصحارى فيقع على ارم ذات العماد فيدخلها و يحمل مما فيها وكان الرجل جالسا عند معاوية فالتفت كعب فرأى الرجل فقال هو ذلك الرجل يا أمير المؤمنين قد دخلها فاسأله عما حدثت به فقال معاوية يا أبا اسحق ان هذا من خدمى ولم يفارقنى قال قد دخلها والا سوف يدخلها وسيدخلها اهل هذا الدين فى آخر الزمان فقال معاوية يا أبا اسحق لقد فضلك الله على غيرك من العلماء ولقد أعطيت من علم الاولين والآخرين مالم يعطه أحد فقال يا أمير المؤمنين والذى نفس كعب بيده ما خلق الله فى الارض شيأ الا وقد فسره فى التوراة لعبده موسى عليه السلام تفسيرا وان هذا القرآن أشد وعيدا وكفى بالله شهيدا ووكيلا (قال الشعبى) أخبرنا دغفل الشيبانى عن رجل من حضرموت فقال له بسطام انه وقع على حفيرة شداد بن عاد فى جبل من جبال حضرموت مطل على البحر قال كنت أسمع فى صباى الى ان اكتهلت بمغارة فى جبل من جبالها وان الناس تهيب دخولها فلم أحفل بما كنت أسمع من ذلك فبينما أنا فى نادى قومى اذ أنشدوا حديث تلك المغارة وأطنبوا فى ذكرها ووصفوا موضعها فقلت لقومى انى غير منته عن هذه المغارة حتى أدخلها فهل فيكم من يساعدنى فقال فتى منهم حديث السن أنا أصاحبك فقلت يا ابن أخى أتجسر على ذلك قال عندى ما عند رجل من شدة الجاش وقوة القلب فهيأنا شمعة وحملنا معنا أدوات عظيمة مملوءة ماء وطعاما مقدار ما يقوم بنا ونقدر على حمله ثم مضينا نحو ذلك الجبل الذى فيه المغارة وكان مشرفا على البحر فى المكان الذى يركب منه أهل حضرموت البحر فلما انتهينا الى باب تلك المغارة حزمنا علينا ثيابنا وأشعلنا الشمعة ثم ذكرنا الله تعالى ودخلناها ومعنا تلك الادوات من الماء والطعام فاذا مغارة عظيمة عرضها عشرون ذراعا وطولها علوا نحو خمسين ذراعا فمشينا فيها وهو بنا فى طريق أملس مستو ثم أفضينا الى درج عادية عرض الدرجة عشرون ذراعا فى سمك عشرة أذرع فحملنا أنفسنا على نزول تلك الدرج فقلت لصاحبى هلم الى يدك فكنت آخذ بيده حتى ينزل فاذا نزل وقام فى الدرجة تعلقت بطرف الدرجة وتشبثت حتى يتناول رجلى على منكبه فلم نزل كذلك وذلك دأبنا عامة يومنا حتى نزلناها وكانت مقدار مائة درجة فافضينا الى أزج عظيم محفور فى الجبل فى طول مائة ذراع وعرض أربعين ذراعا وسمكه فى السماء قدر مائة ذراع وفى صدره سرير من ذهب منضد بصنوف الجواهر وفوقه رجل عادى عظيم الجسم قد أخذ طول ذلك الازج وعرضه وهو مضطجع على ظهره كهيئة النائم وعليه سبعون حلة بمقدار طوله وعرضه منسوجة تلك الحلل بقضبان الذهب والفضة واذا ذلك الازج يضىء من ثقب عرضه ذراعان وارتفاعه ثلاثة أذرع خارجا الى فضاء لم يدر ماهو واذا على رأس السرير لوح من ذهب عظيم فيه كتابة ما لها مثل وهى كتابة كاتب عاد كتبها فى زمانه محفورة تلك الكتابة فى اللوح حفرا فطلعنا ودنونا من ذلك الرجل ومسسنا تلك الحلل فصارت رميما وبقيت قضبان الذهب ثمة فجمعناها فكانت مقدار مائة رطل فجعلناها فى أزرنا وأردينا وأردنا قلع شىء من تلك الجواهر المنضد بها السرير فلم نقدر عليها لوثاقتها فتركناها وهجم علينا الليل ونحن فى ذلك الازج وعرفنا ذهاب النهار بذهاب ذلك الضوء الذى كان يدخل من ذلك الثقب فبتنا ليلتنا فى ذلك الازج وطفئت الشمعة التى كانت معنا فلما أصبحنا قلت لصاحبى ماترى قال أما الرجوع من حيث جئنا فلا سبيل اليه لارتفاع هذه الدرج وانا لا نستطيع صعودها لا سيما والشمعة قد طفئت ولكن هلم بنا نلزم هذا الضوء الذى نراه فى هذا الثقب فانى أرجو ان نخرج منه الى الفضاء ان شاء الله تعالى فقلت له لعمرى ان هذا لهو الرأى فنهضنا بما معنا من تلك القضبان التى من الذهب وحملنا معنا ذلك اللوح الذى كان عند رأس السرير وسرنا من ذلك الثقب فلم نزل نمشى فى طريق ضيق مقدار مائة ذراع حتى خرجنا منه الى كهف فى ذلك الجبل كهيئة الحائط وقد حف بذلك الكهف البحر فجلسنا على باب ذلك الثقب ثلاثة أيام بلياليها نتقوت ببقية الماء والطعام الذى كان معنا فلما كان اليوم الرابع نظرنا الى مركب قد أقبل فى البحر فلوحنا اليه فنظر الينا أهله فارسلوا الينا القارب فنزلنا من باب ذلك الثقب نزولا شاقا حتى وثبنا الى القارب فلما خرجنا من البحر اقتسمنا ذلك الذهب بيننا وصار ذلك اللوح الى بقسطى ثم ان أنفسنا دعتنا الى العود الى ذلك السرب مما يلى الثقب فركبنا قاربا وسرنا فى البحر نحو المكان

مسائل غير ذلك فقالوا الاقفال أخبرونى عن مفتاح الجنة ومفتاح السموات ماهو قال فسكتوا ولم يتكلموا فقال أبو يزيد سألتمونى عن مسائل كثيرة فأجبت عنها وقد سألتكم عن مسئلة واحدة فلم تجيبوا عنها أعجزتم عنها فقالوا نعم ثم التفتوا الى كبيرهم وقالوا أوعجزت عن ذلك فقال ماعجزت ولكن أخاف أن لاتوافقونى فقالوا بل نوافقك فانك كبيرنا ومهما قلت لنا سمعناه ووافقناك عليه فقال مفتاح الجنة والسموات لا اله الا الله محمد رسول الله فقالوها وأسلموا عن آخرهم وحسن اسلامهم وخرجوا من الدير وأخربوه وبنوه مسجدا وقطعوا زنانيرهم فهنالك نودى أبو يزيد شددت من أجلنا زنارا فقطعنا من أجلك خمسمائة زنار * اخوانى انظروا الى هؤلاء كلهم قد كانوا كفارا فى ظلمات العمى فانقذهم الله تعالى من الردى بنور الهدى فكل ذلك ببركة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فانظروا الى كلمة الاخلاص ما أعظم بركاتها وما أنجح حركاتها فرطبوا ألسنتكم بها لتنالوا بركة احسانها وتظفروا بحلاوة امتنانها وتدخلوا حرم أمانها فانها حصن منيع ودرع رفيع وقد قال الله تعالى فى كتبه المنزلة أكثروا من قول لا اله الا الله فانها حصنى ومن دخل حصنى أمن من عذابى وقال بعض

الذى خرجنا منه نخفى علينا مكانه فعلمنا انالم نرزق منه الاما أخذنا فرجعنا وأن اللوح مكث عندى حولا لا أحد أحدا يقرؤه لى حتى أتانا رجل من اهل صنعاء حميرى كان يحسن قراءة تلك الكتابة فأخرجنا اليه اللوح فقرأه فاذا فيه مكتوب هذه الابيات اعتبرنى أيها المغرور بالعمر المديد أناشداد بن عاد* صاحب الحصن العميد

وأخو القوة والبأ * ساء والملك الحشيد ان أهل الارض طرا * لى من خوف وعيد

وملكت الشرق والغر * ب بسلطان شديد وبفضل الملك والعد * ة فيه والعديد جاءنا هود وكنا *

فى ضلال قبل هود فدعانا لو قبلنا * كان بالامر الرشيد فعصيناه ونادينا * ألا هل من محيد

فأتتنا صيحة تهوى من الافق البعيد فتوافينا كزرع * وسط بيداء حصيد

(قال دغفل) سألت علماء حمير عن شداد وقلت انه أصيب وقد كان دنا من ارم ذات العماد فكيف وجد فى تلك المغارة وهى بحضرموت فقالوا انه لما هلك هو ومن معه من الصيحة على مرحلة من تلك المدينة ملك من بعده مزيد بن شداد وقد كان أبوه خلفه على ملكه بحضرموت فامر بحمل أبيه الى حضرموت فحمل مطليا بالصبر والكافور ثم أمر بحفر تلك المغارة فحفرت واستودعه فيها على ذلك السرير الذى من الذهب والله أعلم

﴿مجلس فى قصة أصحاب الرس﴾

قال الله تعالى وعادا وثمودا وأصحاب الرس اختلف العلماء أهل التفسير وأصحاب الاقاصيص فيهم فقال سعيد بن جبير والكلبى والخليل بن أحمد دخل كلام بعضهم فى بعض وكل أخبر بطائفة من حديث أصحاب الرس ان أصحاب الرس بقية ثمود قوم صالح وهم أصحاب البئر التى ذكرها الله تعالى فى كتابه فى قوله تعالى وبئر معطلة وقصر مشيد وكانوا بفلج اليمامة نزولا على تلك البئر وكل ركية لم تطو بالحجارة والآجر فهى رس وكان لهم نبى يقال له حنظلة بن صفوان وكان بأرضهم جبل يقال له فتح مصعدا فى السماء ميلا وكانت العنقاء تبيت به وهى كاعظم ما يكون من الطير وفيها من كل لون وسموها العنقاء لطول عنقها وكانت فى ذلك الجبل تنقض على الطير فتأكلها فجاعت ذات يوم وأعوزها الطير فانقضت على صبى فذهبت به فسميت عنقاء مغرب لانها تغرب بما تأخذه ثم انقضت على جارية حين ترعرعت فأخذتها فضمتها الى جناحين لها صغيرين سوى الجناحين الكبيرين فشكوا ذلك الى نبيهم فقال اللهم خذها واقطع نسلها وسلط عليها آية تذهب بها فأصابتها صاعقة فاحترقت فلم ير لها أثر بعد ذلك فضربت بها العرب مثلا فى أشعارها وحكمها وأمثالها ثم ان أصحاب الرس قتلوا نبيهم فأهلكهم الله تعالى (وقال بعض العلماء) بلغنى انه كان رسان أما أحدهما فكان أهله أهل بدو وعمود وأصحاب غنم ومواش فبعث الله اليهم نبيا فقتلوه ثم بعث اليهم رسولا آخر وعضده بولى فقتلوا الرسول وجاهدهم الولى حتى أفحمهم وكانوا يقولون الهنا فى البحر وكانوا على شفيره وكان يخرج اليهم من البحر شيطان فى كل شهر خرجة فيذبحون عنده ويتخذونه عيدا فقال لهم الولى أرأيتم ان خرج الهكم الذى تدعونه وتعبدونه الى وأطاعنى تجيبوننى الى ما دعوتكم اليه قالوا بلى فأعطوه على ذلك العهود والمواثيق فانتظر حتى خرج ذلك الشيطان على صورة حوت راكبا أربعة أحوات وله عنق مستعلية على رأسه مثل التاج فلما نظروا اليه خروا له سجدا فخرج الولى اليه وقال له ائتنى طوعا أو كرها باسم الله الكريم فنزل عند ذلك من على اخوته فقال له الولى ائتنى راكبا عليهن لئلا يكون القوم من أمرهم على شك فأتى الحوت وأتت به الحيتان حتى أفضوا به الى البرية يجرونه ويجرهن فلما رأوا ذلك سخروا به وكذبوه ونقضوا العهود فبعث الله اليهم ريحا فألقتهم فى البحر ومواشيهم جميعا وما كانوا يملكون من ذهب وفضة وآنية فأتى الولى الصالح الى البحر وأخذ الذهب والفضة والاوانى فقسمه على أصحابه بالسوية حتى الصغير والكبير وانقطع ذلك النسل (وأما الآخر) فانهم قوم كان لهم نهر يدعى الرس ينسبون اليه وكان فيهم انبياء كثيرة لا يقوم فيهم نبى الا قتلوه وذلك النهر بمنقطع أذربيجان بينها وبين أرمينية فاذا قطعته مدبرا دخلت فى حد أرمينية واذا قطعته مقبلا دخلت فى حد أذربيجان وكان من حولهم من أهل أرمينية يعبدون الاوثان ومن قدامهم من أهل أذربيجان يعبدون النيران وهم كانوا يعبدون الجوارى العذارى فاذا تمت لاحداهن ثلاثون سنة قتلوها واستبدلوا غيرها وكان عرض نهرهم ثلاثة فراسخ وكان يرتفع فى كل يوم وليلة حتى يبلغ أنصاف الجبال التى حوله وكان لا ينصب فى بحر ولا بر فاذا خرج من حدهم يقف

الصحابة من قال لا اله الا الله مخلصا من قلبه ومدها بالتعظيم غفر الله تعالى له أربعة آلاف ذنب فان لم يكن عليه ذلك يغفر من ذنوب أهله وجيرانه قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما الليل والنهار أربعة وعشرون ساعة وحروف لا اله الا الله محمد رسول الله أربعة وعشرون حرفا فمن قال لا اله الا الله محمد رسول الله كفر الله بكل حرف ذنوب ساعة فلا يبقى عليه ذنب فانظروا يا اخوانى كيف خص الله هذه الامة بهذه الرحمة فاجعلوا استكرارها شغلكم تفوزوا برضوان ربكم ﴿وعن وهب ابن منبه رضى الله تعالى عنه انه قال﴾ لما خلق الله آدم عليه السلام ونفخ فيه من روحه ففتح عينيه فنظر الى باب الجنة فرأى مكتوبا عليه لا اله الا الله محمد رسول الله فقال يارب وهل خلقت خلقا أعز عليك منى فقال الجليل جل جلاله نعم يا آدم هو نبى من ذريتك ابعثه آخر الزمان بالآيات والبرهان فهو خير الانبياء وأمته خير الامم قال فلما خلق الله تعالى حواء ركب فيه الشهوة فقال آدم يارب زوجنى بها فقال الله تعالى هات مهرها فقال يارب

وبدو رثم برجع اليهم فبعث الله تعالى اليهم ثلاثين نبيا فى شهر واحد فقتلوهم جميعا فبعث الله تعالى اليهم نبيا وأيده بنصره وبعث معه وليا فجاهدهم فى الله حق جهاده ثم بعث اليه ميكائيل حين نابذوه وكان فى أوان وقوع الحب فى الارض وكانوا عند ذلك أحوج ما يكونون الى الماء فغور نهرهم فى البحر وانصب ما فى أسفله وأتى الى عيونه من فوق فسدها وبعث الله اليه خمسمائة من الملائكة أعوانا له ففرقوا ما بقى فى وسط نهرهم ثم أمر الله جبريل فنزل فلم يدع فى أرضهم عينا ولا نهرا الا أيبسه باذن الله تعالى وأمر ملك الموت فانطلق الى المواشى فأماتها دفعة واحدة وأمر الرياح الاربع الجنوب والشمال والدبور والصبا فصمت ما كان لهم من متاع وألقى الله تعالى عليهم الثبات ثم خفقت الرياح الاربع بذلك المتاع أجمع فرمته فى رؤس الجبال وبطون الاودية وأما ما كان من حلى وتبر وآنية فان الله تعالى أمر الارض فابتلعته فأصبحوا لا شاة عندهم ولا بقرة ولا مال يعودون اليه ولا ماء يشربون ولا طعام يأكلون فآمن بالله عند ذلك قليل منهم وهداهم الله الى غار فى جبال طريق من خلفه فنجوا وكانوا أحدا وعشرين رجلا وأربع نسوة وصبيين وكان عدة الباقى من الرجال والنساء والذرارى ستمائة ألف ماتوا عطشا وجوعا ولم يبق منهم باقية ثم عاد القوم الى منازلهم فوجدوها قد صار أعلاها أسفلها فدعا القوم عند ذلك مخلصين أن يجيئهم بماء وزرع وماشية ويجعله قليلا لئلا يطغوا فأجابهم الله تعالى الى ذلك لما علم من صدق نياتهم واخلاصهم وقالوا انه لا يبعث الله رسولا الى من يليهم ويقاربهم الا أعانوه وصدقوه وعضدوه فعلم الله منهم الصدق فأطلق لهم نهرهم وزادهم على ما سألوه فأقام أولئك القوم فى طاعة الله ظاهرا وباطنا حتى مضوا وانقرضوا وحدث من بعدهم من نسلهم قوم أطاعوا الله فى الظاهر ونافقوا فى الباطن وأملى الله تعالى لهم وكان عليهم قادرا وكانت معاصيهم أكثر من طاعتهم وخالفوا أولياء الله فبعث الله عليهم من فارقهم وخالفهم فأسرع فيهم القتل وبقيت منهم شرذمة فسلط الله عليهم الطاعون فلم يبق منهم أحد وبقى نهرهم ومنازلهم وما فيها مائتى عام لا يسكنها أحد ثم أتى الله بقوم بعد ذلك فنزلوها وكانوا صالحين فأقاموا فيها ستين سنة ثم أحدثوا فاحشة فجعل الرجل يدعو بنته وأخته وزوجته فيبيت معها جاره وأخاه وصديقه يلتمس بذلك البر والصلة ثم ارتفعوا من ذلك الى نوع آخر ترك الرجال والنساء حتى شبقن واستغنى الرجال بالرجال فجاءت للنساء شيطانة فى صورة امرأة وهى الدلهان بنت ابليس وهى أخت الشيطان وكانا فى بيضة واحدة فشهت للنساء ركوب بعضهن بعضا وعلمتهن كيف يصنعن فاصل ركوب النساء بعضهن بعضا من الدلهان فسلط الله تعالى على هؤلاء القوم صاعقة فى أول ليلهم وخسفا فى آخره وصيحة مع الشمس فلم يبق منهم باقية وبادت منازلهم ولا أحسب منازلهم اليوم مسكونة (وروى) على بن الحسين زين العابدين عن أبيه عن جده على بن أبى طالب رضوان الله عليهم ان رجلا من أشراف بنى تميم يقال له عمر أتاه فقال يا أمير المؤمنين أخبرنى عن أصحاب الرس وفى أى عصر كانوا وأين كانت منازلهم ومن كان ملكهم وهل بعث الله اليهم رسولا أم لا وبماذا أهلكوا فانى أجد فى كتاب الله عز وجل ذكرهم ولا أجد خبرهم فقال له أمير المؤمنين على رضى الله عنه لقد سألنى عن حديث ما سألنى عنه أحد قبلك ولا يحدثك به أحد بعدى كان من قصتهم يا أخا تميم انهم كانوا قوما يعبدون شجرة صنوبر يقال لها شاب درخت وكان يافث بن نوح غرسها على شفير عين يقال لها دوسان كانت أنبعت لنوح عليه السلام بعد الطوفان وانما سموا أصحاب الرس لانهم رسوا نبيهم فى الارض وذلك قبل سليمان بن داود عليهما السلام وكان لهم اثنتا عشرة قرية على شاطئ نهر يقال له الرس من بلاد المشرق وبهم سمى ذلك النهر ولم يكن يومئذ فى الارض نهر أغزر منه ولا أعذب منه ولا قرى أكثر سكانا وعمرانا منها وكان أعظم منازلهم اسفنديا وهى التى كانت ينزلها ملكهم وكان يسمى تركون بن عابور بن نوش بن سارب بن النمر وذبن كنعان فرعون ابراهيم عليه السلام وفيها العين التى يسقون منها الصنوبرة التى كانوا يعبدونها وقد غرسوا فى كل قرية منها حبة من طلع تلك الصنوبرة فنبتت تلك الحبة وتصير شجرة عظيمة ثم حرموا ماء تلك العين والانهار فلا يشربون منها هم ولا انعامهم ومن فعل ذلك قتلوه ويقولون هى حياة آلهتنا فلا ينبغى لاحد أن ينقص من حياتها ويشربون هم وأنعامهم من نهر الرس الذى عليه قراهم وقد جعلوا فى كل شهر من السنة فى كل قرية عيدا يجتمع اليه أهلها ويضربون على تلك الشجرة مظلة من الحرير فيها أصناف الصور ثم يأتون بشاة وبقر فيذبحونها قربانا للشجرة ويشعلون فيها النيران بالحطب الكثير فاذا سطع

وما مهرها فقال تصلى على صاحب هذا الاسم مائة مرة وأنا أزوجك بها فقال آدم يارب ان فعلت ذلك تزوجنيها فقال الله عز وجل نعم فصلى آدم عليه السلام مائة مرة على النبى صلى الله عليه وسلم فزوجه الله بها ﴿وقال بعض الصوفية رضى الله عنه﴾ كان لى جار مسرف على نفسه بالمعاصى فلما مات رأيته فى المنام وهو فى دار السلام فقلت له بم نلت هذه المنزلة قال حضرت بمجلس الذكر فسمعت المحدث يروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقول انه من صلى على صلاة ورفع بها صوته وجبت له الجنة ثم رفع المحدث صوته بالصلاة ورفعنا أصواتنا وجميع القوم فغفر لنا فى ذلك اليوم (قال) ورأت امرأة ولدها بعد موته يعذب فحزنت على ذلك وبكت ثم رأته بعد ذلك فى النور والرحمة قال فسألته عن ذلك فقال مر بنا رجل فوقف بوسط المقبرة وصلى على النبى صلى الله عليه وسلم وأهدى ثواب صلاته لجميع الاموات فجعل نصيبى من ذلك الرحمة والمغفرة فغفر لى ﴿وقال بعض [illegible] رضى الله تعالى عنه﴾ صليت ليلة من الليالى صلاة العشاء الاخيرة فلما جلست للتشهد نسيت الصلاة على النبى صلى الله عليه وسلم فرأيته فى المنام وهو يقول يا هذا نسيت الصلاة علينا

دخان تلك الذبائح وقتارها وبخارها في الهواء وحال بينهم وبين النظر للسماء خروا سجدا للشجرة يبكون ويتضرعون اليها أن ترضى عنهم وكان الشيطان يجيء فيحرك أغصانها ويصيح في ساقها صياح الصبي عبادي قد رضيت عنكم فطيبوا انفسا وقروا عينا فيرفعون عند ذلك رؤسهم ويشربون الخمر ويضربون المعازف فيكونون على ذلك يومهم وليلتهم ثم ينصرفون حتى اذا كان عيد قريتهم العظمى اجتمع اليه صغيرهم وكبيرهم فيضربون عند شجرة الصنوبر والعين سرادقا من ديباج وعليه أنواع الصور وله اثناعشر بابا كل باب لاهل قرية منهم فيسجدون للصنوبرة من خارج السرادق ويقربون اليها الذبائح أضعاف ما قربوا للشجرة التي في قراهم فيجيء ابليس عند ذلك فيحرك الصنوبرة تحريكا شديدا ويتكلم من جوفها كلاما جهوريا يعدهم ويمنيهم باكثر مما وعدتهم الشياطين جميعا فيرفعون رؤسهم من السجود ولهم من الفرح والسرور ما لا يفيقون ولا يتكلمون معه فيديمون الشرب والمعازف ويكونون على ذلك اثني عشر يوما وليلة بعدد أعيادهم في السنة ثم انهم ينصرفون فلما طال كفرهم بالله تعالى وعبادتهم غيره بعث الله اليهم نبيا من بني اسرائيل من ولد يهوذا بن يعقوب فلبث فيهم زمنا طويلا يدعوهم الى الله تعالى ويعرفهم ربوبيته فلا يتبعونه ولا يسمعون مقالته فلما رأى شدة ما هم فيه من الغي والضلالة وتركهم قبول ما دعاهم اليه من الرشد والصلاح حضر عند قريتهم العظمى وقال يارب ان عبادك أبوا تصديقي ودعوتي اليهم وما أرادوا الا التكذيب والكفر بك ثم غدوا يعبدون شجرة لا تنفع ولا تضر فأيبس شجرهم أجمع وأرهم قدرتك وسلطانك فاصبح القوم وقد يبس شجرهم كله فهالهم ذلك وخضعوا فصاروا فرقتين فرقة قالوا سحر هذا الرجل الذي زعم انه رسول رب السماء آلهتكم ليصرف وجوهكم عنها الى الهه وفرقة قالت بل غضبت عليكم آلهتكم حين رأت هذا الرجل يعيبها ويقع فيها ويدعوكم الى عبادة غيرها فحجبت حسنها وبهاءها وجمالها لكي تغضبوا لها فتنتصروا منه فاجمعوا أمرهم على قتله فاتخذوا امثال بيت واتخذوا أنابيب طوالا من رصاص واسعة الافواه ثم انهم أرسلوها الى قرار العين واحدة فوق الاخرى مثل البرابخ ونزحوا ما فيها من الماء ثم حفروا في قرارها بئرا ضيقة العين عميقة فرسوا فيها نبيهم وألقوا على فمها صخرة عظيمة ثم أخرجوا الانابيب من الماء وقالوا الآن نرجوا أن ترضى عنا آلهتنا اذا رأت انا قتلنا من كان يقع فيها ويصد عن عبادتها ودفناه تحت كبيرها يشتفي فيه فيعود لها نورها ونضرتها كما كان فبقوا على ذلك عامة يومهم ويسمعون أنين نبيهم وهو يقول سيدي ومولاي ترى ضيق مكاني وشدة كربي فارحم ضعف ركني وقلة حيلتي وعجل قبض روحي ولا تؤخر اجابة دعوتي حتى مات عليه السلام فقال الله تعالى لجبريل عليه السلام انظر عبادي هؤلاء الذين غرهم حلمي وامنوا مكري وعبدوا غيري وقتلوا رسلي وأنا المنتقم ممن عصاني ولم يخش عقابي واني حلفت بعزتي لاجعلنهم عبرة ونكالا للعالمين فبيناهم في عيدهم اذ غشيتهم ريح عاصف حمراء فتحيروا فيها وذعروا منها وتضام بعضهم الى بعض ثم ان الارض صارت من تحتهم كحجر كبريت تتوقد وأظلتهم سحابة سوداء فالقت عليهم حجرا كالقبة يلتهب فأذاب أبدانهم كما يذوب الرصاص في النار فنعوذ بالله من غضبه ودرك نقمته انه هو السميع العليم ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا والله أعلم

﴿ مجلس في ذكر قصة نبي الله أيوب وبلائه عليه السلام ﴾

قال الله تعالى واذكر عبدنا أيوب اذ نادى ربه الآية وقال تعالى وأيوب اذ نادى ربه اني مسني الضر وأنت أرحم الراحمين وقال وهب وكعب وغيرهما من أهل الكتب كان أيوب رجلا من الروم وكان رجلا طويلا عظيم الرأس جعد الشعر حسن العينين والخلق قصير العنق غليظ الساقين والساعدين وكان مكتوبا على جبهته المبتلى الصابر وهو أيوب بن أموص بن تارخ بن روم بن عيص بن اسحق بن ابراهيم عليهم السلام وكانت أمه من ولد لوط بن هاران وكان الله قد اصطفاه ونبأه وبسط عليه الدنيا وكان له الثنية من أرض الشام كلها سهلها وجبلها وما كان فيها وكان له من أصناف المال كله من الابل والبقر والغنم والخيل والحمير ما لا يكون لرجل أفضل منه في العدة والكثرة وكان له بها خمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد لكل عبد امرأة وولد ومال ويحمل آلة كل فدان أتان ولكل أتان ولد من الاثنين الى فوق الخمسة وكان الله أعطاه أهلا وولدا من رجال ونساء وكان امرأ تقيا رحيما بالمساكين يكفل الارامل والايتام ويكرم الضيف ويبلغ ابن السبيل وكان شاكرا لانعم الله تعالى مؤديا لحقه قد

فقلت يارسول الله اشتغلت بالثناء على الله فقال أما علمت ان الله سبحانه وتعالى لا يقبل الثناء عليه الا بالصلاة على أما سمعت قول الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما فقمت من نومي وأنشدت شعرا

صلوا على من أتت حقا بشائره ... الهاشمي الذي طابت عناصره
هو النبي الذي شاعت رسالته ... في الخلق طرا وقد عمت مآثره
هو الرسول الذي تسعى الملوك له ... على الرؤس فتأتيهم مفاخره
هذا الطبيب لهذي الناس كلهم ... يشفي العليل ولمكسور جابره
صلى عليه اله العرش ما طلعت ... شمس وما ناح فوق الغصن طائره

﴿ وعن سفيان الثوري رضي الله تعالى عنه ﴾ أنه قال بينما أنا أطوف بالبيت اذ رأيت رجلا لا يرفع قدما ولا يضع قدما الا وهو يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم فقلت له ياهذا انك تركت التسبيح والتهليل بالصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم فهل عندك في هذا شيء فقال من أنت عافاك الله فقلت سفيان الثوري فقال لولا انك عارف أهل زمانك لما أطلعتك على حالي وأخبرتك

امتنع من عدو الله ابليس أن يصيب منه ما أصاب من أهل الغنى من الغرة والغفلة والتشاغل والسهو عن أمر الله تعالى بما هو فيه من الدنيا وكان معه ثلاثة قد آمنوا به وصدقوه وعرفوا فضله رجل من أهل اليمن يقال له اليفن ورجلان من بلاده يقال لاحدهما مالك وللآخر ظافر وكانوا كهولا (قال وهب) ان لجبريل عليه السلام بين يدى الله مقاما ليس لاحد من الملائكة مثله فى القربة والفضيلة وان جبريل هو الذى يتلقى الكلام فاذا ذكر الله تعالى عبدا بخير تلقاه جبريل ثم ميكائيل ثم من حوله من الملائكة المقربين والحافين من حول العرش فاذا شاع ذلك فى الملائكة المقربين صارت الصلاة على ذلك العبد من أهل السموات فاذا صلت عليه ملائكة السموات هبط عليه بالصلاة الى ملائكة الارض وكان ابليس لا يحجب عن شئ من السموات وكان يقف فيهن حيثما أراد ومن هنالك وصل الى آدم حين أخرجه من الجنة فلم يزل على ذلك يصعد الى السماء حتى رفع الله تعالى عيسى عليه السلام فحجب عن أربعة وكان يصعد فى ثلاث فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم حجب عن الثلاثة الباقية فهو وجنوده محجوبون عن جميع السموات الى يوم القيامة الا من استرق السمع فاتبعه شهاب مبين قال فسمع ابليس تجاوب الملائكة بالصلاة على أيوب وذلك حين ذكر الله وأثنى عليه فادركه البغى والحسد وصعد سريعا حتى صعد فى السماء موقفا كان يقفه فقال يا الهى نظرت فى أمر عبدك أيوب فوجدته عبدا أنعمت عليه فشكرك وعافيته فحمدك ثم لم تختبره لا بشدة ولا بلاء وأنا لك زعيم لئن ضربته ببلاء ليكفرن بك ولينسينك فقال الله تعالى انطلق اليه فقد سلطتك على ماله فانقض عدو الله حتى بلغ الارض ثم جمع عفاريت الشياطين وعظماءهم فقال لهم ماذا عندكم من القوة والمعرفة فانى قد سلطت على مال أيوب وزوال المال هى المصيبة الفادحة والفتنة التى لا تصبر عليها الرجال فقال عفريت من الشياطين أعطيت من القوة ما لو شئت تحولت اعصارا من نار فأحرقت كل شئ آتى عليه فقال له ابليس فائت الابل فاحرقها ورعاتها فانطلق يؤم الابل وذلك حين وضعت رؤسها وثبتت فى مراعيها فما شعر الناس حتى صارت من تحت الارض اعصار من نار تنفخ فيه رياح السموم لا يدنو منها أحد الا احترق فلم يزل يحرقها ورعاتها حتى أتى على آخرها فلما فرغ منها تمثل ابليس على قعود منها فى صفة راعيها ثم انطلق يؤم أيوب حتى وجده قائما يصلى فقال له يا أيوب قال لبيك فقال هل تدرى ما الذى صنع ربك الذى اخترته وعبدته بابلك ورعاتها فقال أيوب انها ماله أعارنيها وهو أولى بها ان شاء تركها وان شاء أخذها وقد تحققت وطيبت النفس أنى ومالى للفناء والزوال فقال له ابليس فان ربك أرسل اليها نارا من السماء فاحترقت كلها وبقى الناس مبهوتين وقوفا عليها يتعجبون منها فمنهم من يقول ما كان أيوب يعبد شيأ وما كان الا فى غرور ومنهم من يقول لو كان اله أيوب يقدر على أن يصنع شيأ لمنع وليه من حريق مواشيه ومنهم من يقول بل هو الذى فعل ما فعل فشمت به عدوه وفجع به صديقه فقال أيوب الحمد لله الذى أعطانى وحيث شاء نزع منى عريانا خرجت من بطن أمى عريانا أعود الى القبر وعريانا أحشر الى ربى ليس ينبغى لك أن تفرح حين أعارك الله وتجزع حين قبض عاريته فهو أولى بك وبما أعطاك ولو علم الله فيك أيها العبد خيرا لنقل روحك من تلك الارواح وصيرك شهيدا مع الشهداء ولكنه علم فيك شرا فطهرك وخلصك من البلاء كما يخلص الزوان من القمح الخالص فرجع ابليس الى أصحابه خائفا ذليلا وقال لهم ماذا عندكم من القوة انى لم أكلم قلبه فقال عفريت من عظمائهم عندى من القوة ما لو شئت صحت صوتا لا يسمعه ذو روح الا خرجت مهجة نفسه فقال له ابليس فائت الغنم ورعاتها فانطلق يؤم الغنم ورعاتها حتى اذا توسطها صاح صوتا ماتت منه الغنم جميعا وماتت رعاتها ثم ان ابليس خرج متمثلا بقهرمان الرعاة حتى جاء الى أيوب وهو قائم يصلى فقال له مثل قوله الاول ورد عليه أيوب مثل ما قال فى النوبة الاولى ثم ان ابليس رجع الى أصحابه فقال ماذا عندكم من القوة فانى لم أكلم قلب أيوب فقال عفريت من عظمائهم عندى من القوة ما اذا شئت تحولت ريحا عاصفا تنسف كل شئ تأتى عليه حتى لا يبقى منه شئ فقال له ابليس فائت الفدادين والحرث فانطلق يؤمهم حتى قرب من الفدادين واستوى فى الحرث وأولادهم رتوع فلم يشعروا حتى هبت ريح عاصف تنسف كل شئ من ذلك حتى كأنه لم يكن ثم ان ابليس خرج متمثلا بقهرمان الحرث حتى جاء الى أيوب وهو قائم يصلى فقال له مثل قوله الاول فاجابه أيوب بمثل جوابه الاول فجعل ابليس يصيب ماله الاول فالاول حتى أتى على آخره (قال) وأيوب كلما انتهى اليه هلاك مال من ماله حمد الله وأحسن الثناء عليه ورضى بالقضاء ووطن نفسه بالصبر على البلاء حتى ما بقى له مال فلما رأى ابليس أنه

بسرى ثم قال خرجت من بلدى أنا ووالدى حاجين الى بيت الله الحرام وزيارة النبى عليه أفضل ٨٧ الصلاة والسلام فبينما نحن فى بعض المنازل اذ مرض والدى مرضا شديدا فمكثت لاعلة فبينما أنا عند رأسه اذ هو قد مات واسود وجهه قال فحللت ازارى وغطيت به وجهه وحصل عندى غم عظيم وحل بى خطب جسيم حيث مات على تلك الحالة فى بلاد الغربة ولا يمكننى اخفاء ذلك الحال عن الناس وصرت مفكرا فى أمرى لا أدرى ما أصنع فبينما أنا كذلك اذ غلبنى النوم فنمت فاذا أنا برجل لم أر أحسن منه وجها ولا أنظف منه ثيابا ولا أطيب منه رائحة وهو يرفع قدما ويضع قدما حتى دنا من والدى ثم كشف الازار عن وجهه ومر بيده عليه فعاد أبيض يلوح منه نور ثم ولى راجعا فتعلقت بثوبه وقلت من أنت الذى من الله على والدى بك فى هذه البرية قال فتبسم وقال أنا محمد رسول الله صاحب القرآن كان والدك مسرفا على نفسه وكان يكثر الصلاة على فلما نزل به ما نزل استغاث بى فاغثته وأنا غياث من أكثر الصلاة على فانتبهت فرأيت وجه أبى أبيض يلوح منه نور ساطع (اخوانى) أكثروا من الصلاة على هذا النبى الكريم فان الصلاة عليه تكفر الذنب العظيم

قد أفنى ماله ولم ينل منه شيأ ولا نجح فى شئ من أعماله شق عليه ذلك وصعد سريعا ووقف الموقف الذى كان يقفه وقال الهى ان أيوب يرى أنك مهما متعته من نفسه وولده فانت معطيه المال فهل أنت مسلطى على ولده فانه الفتنة المضلة والمصيبة التى لا تقوم لها قلوب الرجال ولا يقوى عليها صبرهم فقال الله تعالى له انطلق فقد سلطتك على ولده فانقض عدو الله حتى جاء بنى نبى الله أيوب وهم فى قصرهم فلم يزل يزلزله حتى تداعى القصر من قواعده ثم جعل يناطح بجدره بعضها بعضا فرماهم بالخشب والجندل حتى مثل بهم كل مثلة ثم رفع بهم القصر وقلبه فصاروا منكسين ثم ان ابليس انطلق الى أيوب متمثلا بالمعلم الذى كان يعلمهم الحكمة وهو جريح مشدوخ الرأس والوجه يسيل دمه من دماغه فاخبره بذلك وقال له يا أيوب لو رأيت بنيك كيف عذبوا وكيف قلب بهم القصر وكيف نكسوا على رؤسهم تسيل دماؤهم وأدمغتهم من أنوفهم وشفاههم ولو رأيت كيف شقت بطونهم فتناثرت أمعاؤهم لتقطع قلبك فلم يزل يقول هذا ويردده حتى رق أيوب عليه وبكى وقبض قبضة من التراب فوضعها على رأسه فاغتنم ابليس الفرصة منه لذلك فصعد سريعا بالذى كان من جزع أيوب مسرورا ثم لم يلبث أيوب أن أبصر فاستغفر وشكر فصعد قرناؤه من الملائكة باستغفاره وتوبته فبدر وا ابليس وسبقوه الى الله والله أعلم بما كان فوقف ابليس خاسئا ذليلا فقال يا الهى انما هوّن على أيوب خطر المال والولد انه يرى انك مهما متعته بنفسه فانت تعيد له المال والولد فهل أنت مسلطى على نفسه وبدنه فانى لك زعيم لئن ابتليته فى جسده لينسينك وليكفرن بك وليجحدن نعمتك فقال الله تعالى انطلق فقد سلطتك على جميع جسده ولكن ليس لك سلطان على لسانه وقلبه ولا عقله وكان والله أعلم به انه لم يسلطه عليه الا رحمة ليعظم له الثواب ويجعله عبرة للصابرين وذكرى للعابدين فى كل بلاء نزل بهم ليتأسوا به فى الصبر ورجاء الثواب فانقض عدو الله سريعا فوجد أيوب ساجدا فقبل أن يرفع أتاه من قبل الارض فى موضع وجهه ونفخ فى منخريه نفخة اشتعل منها جسده فذهل وخرج به من فرقه الى قدميه ثآليل مثل أليات الغنم ووقعت فيه حكة لا يملكها ولا يتماسك عن حكها فحكها باظفاره حتى سقطت كلها ثم حكها بالمسوح الخشنة حتى قطعها ثم بالفخار والحجارة الخشنة فلم يزل يحكها حتى نزل لحمه وتقطع وتغير وأنتن فاخرجه أهل القرية فجعلوه على كناسة وجعلوا له عريشا فرفضه خلق الله كلهم غير امرأته رحمة بنت افرائيم بن يوسف بن يعقوب عليه السلام وكانت تختلف اليه بما يصلحه وتكرمه فلما رأى أصحابه الثلاثة ما ابتلاه الله به اتهموه ورفضوه من غير أن يتركوا دينه فلما طال به البلاء انطلقوا اليه وهو فى بلائه فبكتوه ولاموه وقالوا له تب الى الله من الذنب الذى عوقبت به (قال) وكان حضر معه فتى حديث السن وكان قد آمن به وصدقه فقال انكم تكلمتم أيها الكهول وكنتم أحق بالكلام لاسنانكم ولكنكم قد تركتم من القول أحسن من الذى قلتم ومن الرأى أصوب من الذى رأيتم ومن الامر أجمل من الذى أتيتم وقد كان لايوب عليكم من الحق والذمام أفضل من الذى وصفتم فهل تدرون أيها الكهول حق من انتقصتم وحرمة من انتهكتم من الرجل الذى عبتم واتهمتم ألم تعلموا أن أيوب نبى الله وحبيبه وخيرته وصفوته من أهل الارض فى يومكم هذا ثم انكم لم تعلموا ولا أطلعكم الله تعالى على انه سخط شيأ من أمره منذ آتاه ما آتاه الى يومكم هذا ولا علمتم انه نزع منه شيأ من الكرامة التى أكرمه الله بها ولا ان أيوب غير الحق فى طول ما صحبتموه الى يومكم هذا فان كان البلاء هو الذى أزرى به عندكم ووضعه فى أنفسكم فقد علمتم ان الله تعالى يبتلى النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ثم ان بلاءهم ليس دليلا على سخطه عليهم ولا لهوانهم عليه ولكنه كرامة وخيرة لهم ولو كان أيوب ليس هو من الله بهذه المنزلة الا انكم آخيتموه على وجه الصحبة لكان لا يجمل بالحكيم أن يعذل أخاه عند البلاء ولا يعيره بالمصيبة ولا يعيبه بما لا يعلم وهو مكروب حزين ولكنه يرحمه ويبكى معه ويستغفر الله له ويحزن لحزنه ويدله على رشد أمره وليس بحكيم ولا رشيد من جهل هذا فالله الله أيها الكهول فقد طال لكم فى عظم الله وجلاله وذكر الموت ما يقطع ألسنتكم ويكسر قلوبكم ألم تعلموا ان لله عبادا أسكتتهم خشيته من غير عى ولا بكم وانهم لهم الفصحاء النبلاء البلغاء الالباء العالمون بالله وآياته ولكنهم اذا ذكروا عظمة الله انقطعت ألسنتهم واقشعرت جلودهم وانكسرت قلوبهم وطاشت عقولهم اعظاما لله تعالى واعزازا واجلالا فاذا استفاقوا استبقوا الى الله تعالى بالاعمال الزاكية الصالحة يعدون أنفسهم مع الخاطئين الظالمين وانهم برآء ويعدون أنفسهم مع المفرطين المقصرين وانهم لاكياس أقوياء ولكنهم لا يستكثرون لله الكثير ولا يرضون له بالقليل ولا يدلون عليه بالاعمال

وتهدى الى صراط مستقيم وتقى قائلها من عذاب الجحيم ويحظى بالجنة دار النعيم (وعن عبد الرحمن بن جعفر رحمه الله تعالى) أنه قال كنت بالبصرة أصلى الخمس فى مسجد بجوارى وكان ذلك المسجد يعرف بالخشابين وكان فيه امام مغربى يدعى بأبى سعيد وكان رجلا مشهورا بالخير والصلاح وكان يتكلم فى المسجد بعد صلاة الصبح بكلام لا يفهمه أحد فخرجت فى بعض السنين حاجا الى بيت الله الحرام وكانت سنة شديدة الحر فكنت أسبق الركب وأنام حتى يلحقنى رفاقى فنمت ليلة من الليالى على عادتى وكنت عادلا عن الطريق فسار الركب ولم يشعر بى رفاقى فصرت نائما حتى طلعت الشمس والتهبت وأنا لا أدرى كيف الطريق فرفعت طرفى الى السماء وقلت الهى وسيدى الى ههنا حملتنى وعن بيتك قطعتنى فما ضرك لو وصلتنى ثم سرت حتى عييت من المسير وقوى على حر الهجير فايست من الحياة وانطرحت على كثيب من رمل أنتظر الموت فبينما أنا كذلك اذا شخص يناديني باسمى فقمت ونظرت فاذا هو الشيخ أبو سعيد قال فسلمت عليه فرد على السلام ثم ناولنى رغيفا سخنا فأكلته فأسند رمقى ثم ناولنى ركوة فيها

فهم

ماء أحلى من الشهد وأبرد من الثلج وأبيض من اللبن فشربت منها وغسلت وجهي فعادت روحي ثم قال اتبعني يا عبد الرحمن ففرحت بذلك فقال البث ههنا فالركب يأتيك بعد ثلاثة أيام ثم ناولني رغيفا ومضى فكنت كلما أكلت من ذلك الرغيف لقمة شبعت فأقام الرغيف عندي ثلاثة أيام الى أن جاء الركب واجتمعت برفاقي فلما وقفنا بعرفة رأيت الشيخ وهو واقف عند الصخرات مشغول بالدعاء فلما فرغ سلمت عليه فرد على السلام وقال ألك حاجة يا عبد الرحمن فقلت يا سيدي أريد دعاءك فدعا لي ثم نزلنا من الجبل ولم أره بعد ذلك فلما قضيت الحج وسرت الى البصرة أتيت الى المسجد لانظره فلما نظرته قام الي وسلم علي وصافحني وعصر على يدي ففهمت منه أن اكتم سرك قال فلما أقيمت الصلاة وفرغنا سألت المؤذن عن غيبة الشيخ في أيام الحج عن المسجد فحلف المؤذن أن الشيخ أبا سعيد لم يكن قطع الصلوات الخمس في المسجد أبدا ولا ساعة واحدة قال عبد الرحمن فعلمت أنه من الخواص الابدال و السادة الرجال أعاد الله علينا من بركاتهم وصالح دعواتهم في الدنيا والآخرة آمين (وعن عبد الصمد البغدادي) رضي الله عنه أنه

فهم مروعون مفزعون خاشعون مستكتون فقال أيوب ان الله تعالى يزرع الحكمة بالرحمة في قلب المؤمن الكبير والصغير فتى نبتت في القلب أظهرها الله تعالى على اللسان وليس تكون الحكمة من قبل السن والشيب ولا طول التجربة فاذا جعل الله العبد حكيما في الصبا لم تسقط منزلته عند الحكماء وهم يرون من الله تعالى عليه نور الكرامة ثم ان أيوب أقبل على الثلاثة وقال آتيتموني غضابا رهبتم قبل أن تسترهبوا وبكيتم قبل أن تضربوا كيف بكم لو قلت لكم تصدقوا عني بأموالكم لعل الله يخلصني وقربوا عني قربانا لعل الله يتقبلها ويرضى عني وانكم قد أعجبتكم أنفسكم وظننتم انكم قد عوفيتم باحسانكم فهنيئا لكم بغيتم وتعززتم ولو نظرتم فيما بينكم وبين ربكم ثم صدقتم لوجدتم لكم عيوبا سترها الله عليكم بالعافية التي ألبسكم اياها وقد كنت فيما خلا الرجال توقرني وأنا مسموع كلامي معروف حقي منتصف من خصمي فأصبحت اليوم وليس لي رأي ولا كلام معكم فأنتم اليوم أشد على من مصيبتي ثم انه أعرض عنهم وأقبل على ربه مستغيثا متضرعا اليه فقال رب لاى شئ خلقتني ليتني اذ كرهتني ماخلقتني ياليتني كنت حيضة ألقتني أمي أو ليتني قد عرفت الذنب الذي أذنبت والعمل الذي عملت فصرفت وجهك الكريم عني لو كنت أمتني وألحقتني بآبائي فالموت كان أجمل لي يا الهي ألم أكن للغريب دارا وللمسكين قرارا ولليتيم وليا وللارملة قيما الهي أنا عبد ذليل ان أحسنت فالمنة لك وان أسأت فبيدك عقوبتي جعلتني للبلاء غرضا وللفتنة نصيبا لقد وقع على البلاء لو سلطته على جبل لضعف عن حمله فكيف يحمله ضعفي الهي تقطعت أصابعي فاني لأرفع الأكلة من الطعام الا بيدي جميعا فما يبلغان في الاعلى الجهد مني الهي تساقطت لهواتي ولحم رأسي فما بين أذني من سداد بل احداهما ترى من الاخرى وان دماغي ليسيل من في الهي تساقط شعر عيني كانما أحرق بالنار وجهي وحدقتاي متدليتان على خدي وورم لساني حتى ملأ في فما أدخل فيه طعاما الا غصني وورمت شفتاي حتى غطت العليا أنفي والسفلى ذقني وتقطعت أمعائي في بطني واني لادخل الطعام فيخرج كما دخل ما أحسه ولا ينفعني وذهبت قوة رجلي فكانهما قد يبستا ولا أطيق حملهما وذهب المال فصرت أسأل بكفي ويطعمني من كنت أعوله اللقمة الواحدة فيمن بها علي ويعيرني الهي هلك أولادي ولو بقي واحد منهم أعانني على بلائي ونفعني قد ملني أهلي وعقني أرحامي وتنكرت لي معارفي ورغب عني صديقي وقطعني أصحابي وجحدت حقوقي ونسيت صنائعي أصرخ فلا يصرخونني وأعتذر فلا يعذرونني دعوت غلامي فلم يجبني وتضرعت لامتي فلم ترحمني وان قضاءك هو الذي أذلني وأدناني وأهانني وأغامني وان سلطانك هو الذي أسقمني وأنحل جسمي ولو أن ربي نزع الهيبة التي في صدري فأطلق لساني لاتكلم بملء فمي ولو كان ينبغي للعبد أن يحاج عن نفسه لرجوت أن يعافيني عند ذلك مما بي ولكنه ألقاني وتخلى عني فهو يراني ولا أراه ويسمعني ولا أسمعه ولا نظر الي فرحمني ولا دنا مني ولا أدناني فأتكلم ببراءتي وأخاصم عن نفسي فلما قال ذلك أيوب وأصحابه عنده أظلته غمامة حتى ظن أصحابه أنه عذاب ثم نودي يا أيوب ان الله تعالى يقول لك ها أنا قد دنوت منك فلم أزل منك قريبا فقم فادل بعذرك وتكلم ببراءتك وخاصم عن نفسك واشدد عليك ازارك وقم مقام جبار فانه لا ينبغي أن يخاصمني الاجبار مثلي ولا ينبغي أن يخاصمني الا من يجعل الزمام في فم الاسد والسخال في فم العنقاء واللجم في فم التنين ويكيل مكيالا من النور ويزن مثقالا من الريح ويصرصرة من الشمس ويرد أمس لقد منتك نفسك أمرا ما يبلغ بمثل قوتك ولو كنت اذ منتك نفسك ذلك ودعتك اليه تذكرت أي مرام رامت بك أأردت أن تكاثرني بضعفك أم أردت أن تخاصمني بعيك أم أردت أن تحاججني بخطئك أين كنت مني يوم خلقت الارض فوضعتها على أساسها هل علمت بأي مقدار قدرتها أم كنت معي تمر بأطرافها أم تعلم ما بعد زواياها أم على أي شئ وضعت أكنافها بطاعتك حمل الماء الارض أم بحكمتك كانت الارض على الماء غطاء أين كنت مني يوم رفعت السماء سقفا في الهواء لا معاليق تمسكها ولا تحملها دعائم من تحتها هل يبلغ من حكمتك أن تجري وتسير نجومها أم هل بأمرك يختلف ليلها ونهارها أين كنت مني يوم سجرت البحار وأنبعت الانهار أقدرتك حبست أمواج البحار على حدودها أم قدرتك فتحت الارحام حين بلغت مدتها أين أنت مني يوم صببت الماء على التراب ونصبت شوامخ الجبال هل لك أن تطيق حملها أم كنت تدري كم مثقال ما فيها أين الماء الذي أنزلته من السماء هل تدري كم بلدة أهلكتها وكم من قطرة أحصيتها وقسمت الارزاق أم قدرتك تثير السحاب وتنثر الماء هل تدري ما أصوات الرعد أم من أي شئ لهب البرق وهل رأيت عمق البحر أم هل تدري ما بعد الهواء أم هل تدري أين

خزانة النهار بالليل وأين طريق النور و بأى لغة تتكلم الاشجار أين خزانة الريح وأين جبال البرد أم هل تدرى
من جعل العقول فى أجواف الرجال ومن شق الاسماع والابصار ومن ذلت الملائكة لملكه ومن قهر الجبارين
بجبروته وقسم أرزاق الدواب والعباد بحكمته ومن قسم للاسد أرزاقها وعرف الطير معاشها وعطفها على أفراخها
ومن أعتق الوحوش من الخدمة وجعل مساكنها البرية لاتأنس بالاصوات ولاتهاب السلاطين أبحكمتك
عطفت عليها أمهاتها حتى أخرجت لها طعامامن أجوافها وآثرتها بالعيش على نفوسها أم بحكمتك يبصر العقاب
الصيد البعيد وانحافى أماكن الفلاأين أنت يوم خلقت البهموت مكانهافى منقطع التراب واللوتيا يحملان الجبال
والقرى والعمران أنيابهما كانهماشجر الصنوبر الطوال ورؤسهما كأنها الجبال وعروق أفخاذهما كانها
عمد النحاس أأنت ملأت جلودهما لحما أم أنت ملأت رؤسهما دماغا هل لك فى خلقهما من شرك أم لك بالقوة التى
غلبتهما يدان أم هل يبلغ من قوتك أن تضع يديك على رؤسهما أم تقعد على طريق فتحبسهما أو تصدهما عن
قوتهما أين أنت يوم خلقت التنين ورزقه فى البحر ومسكنه فى السماء وعيناه تتوقدان نارا ومنخراه يثوران
دخانا أذناه مثل قوس السحاب يثور منهما لهب كانه أعصار العجاج جوفه يحرق ونفسه يلتهب وزبده جمر كامثال
الصخور وكان ضرب أسنانه أصوات الصواعق وكان نظر عينيه لمع البرق تمر به الجيوش وهو متكئ لايفزعه
شئ ليس فيه مفصل زبر الحديد عنده مثل التبن والنحاس عنده مثل الخيوط لايفزع من النشاب ولايخشى وقع
الصخور على جسده ويطير فى الهواء كانه عصفور فذاك كل شئ يمر به هل أنت آخذه بأحبولتك وواضع اللجام
فى شدقه هل تحصى عمره أم هل تعرف أجله أم تعرف رزقه أم هل تدرى ماذا خرب من الارض وماذا يخرب فيما
بقى من عمره أم هل تطيق غضبه حين يغضب أم تأمره فيطيعك تبارك الله أحسن الخالقين فقال أيوب عليه السلام
قصرت عن هذا الامر الذى ورد على ليت الارض انشقت لى فذهبت ولم أتكلم بشئ يسخطربى حين اجتمع على
البلاء الهى قد جعلتنى لك مثل العدو وقد كنت تعرفنى وتعرف نصحى وقد علمت أن كل الذى ذكرت صنع يديك
وتدبير حكمتك وأعظم من هذا الوشئت علمت أن لايعجزك شئ ولاتخفى عليك خافية ولاتغيب عنك غائبة من
هذا الذى يظن أن يسر عنك سرا وأنت تعلم مايخطر على القلوب وقد علمت منك فى بلائى هذا مالم أكن أعلم
وخفت أن يكون أمرا أكثر مما كنت أخاف انما كنت أسمع بصوتك فأما الآن فهو نظر العين انما تكلمت حين
تكلمت لتعذرنى وسكت حين سكت لترحمنى كلمة زلت عن لسانى فلن أعود وقد وضعت يدى على فمى وعضضت
على لسانى وألصقت بالتراب خدى ودست فيه وجهى لصغارى وسكت حين أسكتتنى خطيئتى فاغفر لى ماقلت
فلن أعود لشئ تكرهه منى فقال الله تعالى ياأيوب نفذ فيك حكمى وسبقت رحمتى غضبى اذا أخطأت فقد غفرت
لك ماقلت ورحمتك ورددت عليك أهلك ومالك ومثلهم معهم لتكون لمن خلفك آية وتكون عبرة لاهل البلاء
وعزاء للصابرين فاركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب فيه شفاء وقرب عن أصحابك قربانا واستغفر لهم فانهم
قد عصونى فيك فركض برجله فانفجرت له عين فدخل فيها فاغتسل فأذهب الله عنه ما كان فيه من البلاء ثم انه
خرج وجلس فأقبلت امرأته فقامت تلتمسه فى مضجعه فلم تجده فقامت متكدرة كالوالهة فمرت به فقالت ياعبد
الله هل لك علم بالرجل المبتلى الذى كان ههنا فقال لها وهل تعرفينه اذا رأيتيه فقالت نعم وكيف لاأعرفه فتبسم وقال
هاأناهو فعرفته لما ضحك فاعتنقته (قال) ابن عباس والذى نفسى بيده مافارقته من عناقه حتى مر بهما كل
ما كان لهما من المال والولد وذلك قوله تعالى وأيوب اذ نادى ربه أنى مسنى الضر الآية واختلف العلماء فى وقت
ندائه ومدة بلائه والسبب الذى قال لاجله مسنى الضر (حدثنا) الامام أبو الحسين محمد بن على بن سهل املاء فى
شهر ربيع الاول سنة أربع وثمانين وثلثمائة أخبرنا أبو طالب عمر بن الربيع بن سليمان الخشاب بمصر أخبرنا يحيى
ابن أيوب العلاف أخبرنا سعيد بن أبى مريم أخبرنا نافع بن يزيد عن عقيل عن ابن شهاب عن أنس بن مالك قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نبى الله أيوب لبث فى بلائه ثمانى عشرة سنة فرفضه القريب والبعيد
الارجلين من اخوانه كانا يغدوان اليه ويروحان فقال أحدهما لصاحبه والله لقد أذنب أيوب
ذنبا ماأذنبه أحد من العالمين فقال له صاحبه وماذاك قال منذ ثمانى عشرة سنة له فى البلاء لم يرحمه
الله ويكشف مابه فلما راحا الى أيوب لم يصبر الرجل حتى ذكر ذلك فقال أيوب ماأدرى ماتقولان غير ان

قال كنت أتجر من بغداد الى بلاد اليمن وأحج فى كل سنة فبينما أنا فى بعض السنين فى الطريق بين منى وعرفة اذ رأيت شابا
حسن الشباب نقى
الاثواب كأن على
وجهه قنديلا من نور
وهو راقد على الرمل
وتحت رأسه حجر وهو
يعالج سكرات الموت
قال فتقدمت اليه
وسلمت عليه فرد على
السلام فقلت ألك
حاجة أيها الشاب
فقال نعم تقيم عندى
ساعة حتى أقضى نحبى
وألحق بربى فقلت
ماالذى تريد قال اذا
أنامت فوارنى فى
التراب وخذ هذه
المضدة ورح الى
صنعاء اليمن واسأل
عن الدرب الفلانى
وقل لاهلى عثمان
يقرئكن السلام ثم
غاب عن الكلام ساعة
طويلة حتى حسبت
أنه مات ثم أفاق بعد
ذلك وهو يقرأ هذه
الآية هذا ماوعد
الرحمن وصدق
المرسلون ثم شهق شهقة
فارق الدنيا رحمة الله
تعالى عليه قال عبد
الصمد فغسلته وكفنته
ووجهه يضئ ويتلألأ
ثم صليت عليه فى جماعة
ثم دفناه وأخذت
المضدة معى فلما وصلت
الى صنعاء اليمن سألت
عن الدرب فأرشدت
اليه فخرجت الى عجوز
وبنات فدفعت اليهن
تلك الوديعة فلما رأوها جدوا فى البكاء والنحيب ثم خرت العجوز مغشيا عليها فلما أفاقت قالت أين صاحب هذه المضدة

الله

الله تعالى يعلم انى كنت أمر بالرجلين يتنازعان فيذكران الله تعالى فأرجع الى بيتى فأنكفئ عنهما كراهة أن يذكرا الله تعالى الا فى حق قال وكان يخرج لحاجته واذا قضى حاجته أمسكت امرأته بيده حتى يبلغ فلما كان ذات يوم أبطأ عليها وذلك ان الله تعالى أوحى الى أيوب فى مكانه أن اركض برجلك الآية فاستبطأته فذهبت لتنظر ما شأنه فأقبل عليها وقد أذهب الله تعالى عنه ما أصابه من البلاء وهو أحسن ما كان فلما رأته قالت له هل رأيت نبى الله المبتلى فقال انى أنا هو وكان له أندران اندر للقمح واندر للشعير فبعث الله تعالى سحابتين فلما كانت احداهما على اندر القمح أفرغت فيه الذهب حتى فاض وأفرغت الأخرى فى أندر الشعير الورق حتى فاض (ويروى) ان الله تعالى أمطر عليه جرادا من ذهب فجعل يحثو منها فى ثوبه فناداه يا أيوب ألم أغنك عما ترى قال بلى يارب ولكن لا غنى لى عن فضلك ورزقك ورحمتك ومن يشبع من نعمتك (وقال الحسن) كان أيوب عليه السلام مطروحا على كناسة فى مزبلة لبنى اسرائيل سبع سنين وأشهرا تختلف فيه الدواب وقال وهب لم يكن بأيوب أكلة وانما كان يخرج منه مثل يدى النساء ثم يتفقأ قال الحسن ولم يبق له مال ولا ولد ولا صديق ولا أحد يقربه غير رحمة امرأته صبرت معه تخدمه وتأتيه بطعام وتحمد الله معه اذا حمده وأيوب على ما به لا يفتر عن ذكر الله تعالى والثناء عليه والصبر على ما ابتلاه الله فصرخ عدو الله ابليس صرخة جمع بها جنوده من أقطار الارض جزعا من صبر أيوب فلما اجتمعوا عليه قالوا له ما حاجتك قال لهم أعيانى هذا العبد سألت ربى أن يسلطنى على ماله وولده فلم أدع له مالا ولا ولدا فلم يزده ذلك الا صبرا وثناء على الله ثم سلطت على جسده فتركته قرحة ملقى على كناسة لا يقربه الا امرأته وقد افتضحت من ربى فاستعنت بكم لتعينونى عليه فقالوا له أين مكرك أين عملك الذى أهلكت به من مضى قال بطل ذلك كله فى أيوب فأشيروا على قالوا نشير عليك بما أتيت به آدم حين أخرجته من الجنة من أين أتيته قال من قبل امرأته قالوا فشأنك بأيوب من قبل امرأته فانه لا يستطيع ان يعصيها وليس أحد يقربه غيرها قال أصبتم فانطلق حتى أتى امرأته وهى تطلب الصدقة فتمثل لها فى صورة رجل فقال أين بعلك يا أمة الله فقالت هو ذاك يحك قروحه وتتردد الدواب فى جسده فلما سمع منها طمع أن تكون كلمة جزع فوسوس لها وذكرها ما كانت فيه من النعيم والمال وذكرها جمال أيوب وشبابه وما هو فيه اليوم من الضرر وان ذلك لا ينقطع عنه أبدا قال الحسن فصرخت فلما صرخت علم أنها قد جزعت فأتاها بسخلة وقال لها ليذبح أيوب هذه لى ويبرأ قال فجاءت تصرخ وقالت يا أيوب الى متى يعذبك ربك ولا يرحمك أين المال أين الماشية أين الولد أين الصديق أين لونك الحسن قد تغير وصار مثل الرماد وأين جسمك الحسن قد بلى وهو يتردد فيه الدود اذبح هذه السخلة واسترح فقال لها أيوب أتاك عدو الله فنفخ فيك فأجبته ويلك أرأيت ما تبكين عليه مما كنا فيه من المال والولد والصحة من أنعم به علينا قالت الله قال فكم متعنا به قالت ثمانين سنة قال فمنذ كم ابتلانا الله بهذا البلاء قالت منذ سبع سنين قال ويلك والله ما عدلت ولا أنصفت ربك ألا صبرت فى هذا البلاء الذى ابتلانا به ربنا ثمانين سنة كما كنا فى الرخاء والله لئن شفانى الله لاجلدنك مائة جلدة كما أمرتينى أن أذبح لغير الله تعالى وطعامك وشرابك الذى تأتينى به على حرام لا أذوق مما تأتينى به شيأ بعد أن قلت هذا فاعزبى عنى لا أراك فطردها فذهبت فلما رأى أيوب امرأته وقد طردها وليس عنده طعام ولا شراب ولا صديق خر لله ساجدا وقال رب مسنى الضر ثم رد الامر الى ربه وسلم فقال وأنت أرحم الراحمين فقيل له ارفع رأسك فقد استجيب لك اركض برجلك الآية فركض برجله فنبعت عين ماء فاغتسل فلم يبق من دائه شئ ظاهر الا سقط أثره وأذهب الله منه كل ألم وداء وكل سقم وعاد اليه شبابه وجماله أحسن مما كان وأفضل مما مضى ثم انه ضرب برجله فنبعت عين أخرى فشرب منها فلم يبق فى جوفه داء الا خرج فقام صحيحا وكسى حلة قال فجعل يلتفت يمينا وشمالا فلا يرى شيأ مما كان له من أهل وولد ومال الا وقد ضاعفه الله تعالى فخرج حتى جلس على مكان مشرف ثم ان امرأته قالت أرأيت ان كان قد طردنى الى من أكله أدعه حتى يموت جوعا وعطشا ويضيع فتأكله السباع فوالله لارجعن اليه فرجعت فلم تر الكناسة ولا الحال التى كانت تعهدها وقد تغيرت الامور فجعلت تطوف حيث كانت الكناسة وتبكى وأيوب ينظر اليها قال وهابت صاحب الحلة أن تأتيه فتسأله فأرسل اليها أيوب فدعاها وقال لها ما تريدين يا أمة الله فبكت وقالت أريد ذلك المبتلى الذى كان منبوذا على هذه الكناسة لا أدرى أضاع أم ما ذا فعل به فقال أيوب عليه السلام ما كان منك فبكت وقالت بعلى فهل رأيته فقال

فاخبرتها بخبره فقالت هو والله ولدى عثمان وهؤلاء اخوانه ترك أهله وحشمه وخدمه و زهد فى الدنيا وخرج سائحا على وجهه لاندرى أين ذهب فجزاك الله عن ولدى خيرا الهى ان كنت لا ترحم الا المجتهدين فمن للمقصرين وان كنت لا تقبل الا على المخلصين فمن للمسيئين وان كنت لا تقبل الا على الطائعين فمن للعاصين وان كنت لا ترحم الا المحسنين فمن الخاطئين أنت أكرم الاكرمين وأرحم الراحمين (وعن أبى الاشول السائح رحمه الله تعالى ونفعنا به) قال رأيت غلاما بطريق مكة وهو قائم يصلى عند بعض الاميال قد انقطع عن القافلة فوقفت أنظر اليه فأطال صلاته فلما سلم قلت له سلام عليك فقال وعليك السلام فقلت له انك قد انقطعت عن الركب ألك رفيق يؤنسك حتى تلحقه فبكى وقال نعم فقلت وأين هو فقال أمامى وخلفى وعن يمينى وعن شمالى فعلمت انه عارف فقلت له أمعك زاد فقال نعم فقلت وأين هو فقال فى قلبى اخلاصى لربى فقلت له فهل لك فى مرافقتى فقال الرفيق يشغل عن ذكر الله ولا أحب أحدا يشغلنى عن ذكر الله تعالى طرفة عين فقلت من أين تأكل فقال الذى غذانى فى ظلمة الاحشاء صغيرا يتكفل برزقى كبيرا فتى احتجت الى طعام

وهل تعرفينه اذا رأيتيه قالت وهل يخفى على ثم انها جعلت تنظر اليه وهى تهابه وقالت أما انه كان أشبه خلق الله بك اذ كان صحيحا قال فأنا أيوب أمرتنى أن أذبح لابليس فانى أطعت الله وعصيت الشيطان فردعلى ماترين (وقال كعب) كان أيوب فى بلائه سبع سنين وقال وهب لبث فى ذلك البلاء ثلاث سنين لم يزد يوما واحدا فلما غلب أيوب ابليس لعنه الله ولم يستطع له على شئ اعترض امرأته على هيئة ليست كهيئة بنى آدم فى العظم والجسم والجمال على مركب ليس من مراكب الناس له عظم و بهاء وجمال فقال لها أأنت صاحبة أيوب المبتلى قالت نعم قال فهل تعرفينى قالت لا قال أنا اله الارض وأنا الذى صنعت بصاحبك ماصنعت وذلك انه عبد اله السماء وتركنى وأغضبنى ولو سجد لى سجدة واحدة رددت عليكما ما كان لكما من مال وولد فانهم عندى ثم أراها اياهم فى بطن الوادى الذى لقيها فيه (قال وهب) وقد سمعت أنه قال لها لو أن صاحبك أكل طعاما لم يسم عليه لعوفى مما هو فيه من البلاء والله أعلم وأراد عدو الله أن يأتيه من قبلها و رأيت فى بعض الكتب ان ابليس قال لرحمة وان شئت اسجدى لى سجدة واحدة حتى أرد عليك الاولاد والمال وأعافى زوجك فرجعت الى أيوب فاخبرته بما قال لها وما أراد فقال لقد أراد عدو الله أن يفتنك عن دينك ثم ان أيوب أقسم ان عافاه الله ليضربنها مائة جلدة فقال عند ذلك مسنى الضر من طمع ابليس فى سجود حرمتى له ودعائه اياها واياى الى الكفر قالوا ثم ان الله تعالى رحم رحمة امرأة أيوب بصبرها معه على البلاء وخفف عنها وأراد أن يبر يمين أيوب فأمره أن يأخذ جماعة من الشجر مبلغ مائة قضيب خفافا لطافا فيضربها بها ضربة واحدة كما قال تعالى وخذ بيدك ضغثا فاضرب به ولا تحنث الآية وقد كانت امرأة أيوب تتكسب وتعمل للناس وتجيئه بقوته فلما طال عليها البلاء وسئمها الناس فلم يستعملها أحد التمست يوما من الايام ماتطعمه فما وجدت شيأ فجزت قرنا من رأسها فباعته برغيف وأتته به فقال لها أين قرنك فأخبرته فقال عند ذلك مسنى الضر وقيل انما قال ذلك حين قصد الدود قلبه ولسانه فخشى أن يفتر عن الذكر والفكر وقيل انما قال ذلك حين وقعت الدودة من فخذه فأخذها وردها الى موضعها وقال لها كلى فقد جعلنى الله طعامك فعضته عضة زاد ألمه على جميع ماقاسى من عض الديدان وقال عبد الله بن عمر كان لايوب أخوان فأتياه فقاما من بعيد لايقدران على الدنو منه من نتن ريحه فقال أحدهما لصاحبه لو كان الله علم فى أيوب خيرا ما ابتلاه بما ترى قال فما سمع أيوب شيأ كان أشد عليه من تلك الكلمة وما جزع من شئ أصابه جزعه من تلك الكلمة فعند ذلك قال مسنى الضر ثم قال اللهم ان كنت تعلم انى لم أبت ليلة شبعانا قط وأنا أعلم بمكان جائع فصدقنى فصدقه وهما يسمعان ثم قال اللهم ان كنت تعلم انى لم أتخذ قميصا قط وأنا أعلم بمكان عريان فصدقنى فصدقه وهما يسمعان فخر لله ساجدا وقيل معناه مسنى الضر من شماتة الاعداء يدل عليه ماروى انه قيل له بعد ماعوفى ما كان أشد عليك فى بلائك فقال شماتة الاعداء وأنشد بعضهم فى معناه

كل المصائب قد تمر على الفتى * فتهون غير شماتة الحساد
ان المصائب تنقضى أيامها * وشماتة الاعداء بالمرصاد

(وقال الجنيد) فى هذه الآية عرفه فاقة السؤال ليمن عليه بكرم النوال وذلك قوله تعالى فكشفنا مابه من ضر وآتيناه أهله الآية (واختلف العلماء) فى كيفية ذلك فقال قوم لما ابتلى الله أيوب فى الدنيا مثل له أهله فاما الذين هلكوا فانهم لم يردوا عليه فى الدنيا وانما وعد الله أيوب أن يؤتيه اياهم فى الآخرة وقال وهب كان له سبع بنات وثلاث بنين وقال آخرون بل ردهم الله تعالى اليه بأعيانهم وأعطاه أهله ومثلهم معهم وهذا قول ابن مسعود وابن عباس وقتادة وكعب قالوا أحياهم الله تعالى وآتاه مثلهم وهذا القول أشبه بظاهر الآية (وذكر) ان عمر أيوب كان ثلاثا وتسعين سنة وانه أوصى عند موته الى ابنه حومل وان الله بعث بعده بشر بن أيوب نبيا وسماه ذا الكفل وأمره بالدعاء الى توحيده وانه كان مقيما بالشام طول عمره حتى مات وكان مبلغ عمره خمسا وتسعين سنة وان بشرا أوصى الى ابنه عبدان وان الله تعالى بعث بعده شعيبا عليه السلام والله أعلم

﴿مجلس فى قصة ذى الكفل عليه السلام﴾

هذا المجلس يأتى بعد فى آخر الكتاب بعد قصة السبع وما كتب ههنا زيادة فى المجلس المذكور (روى) الاعمش عن المنهال بن عمرو وعن عبد الله بن الحرث ان نبيا من الانبياء قال من يكفل لى أن يقوم الليل و يصوم النهار ولا يغضب فقام شاب فقال أنا فقال له اجلس ثم انه أعاد مثل قوله الاول فقام ذلك الشاب فقال أنا فقال له اجلس ثم

حضر بين يدى فقلت له هل من حاجة فقال نعم اذا رأيتنى بعد هذا اليوم فلا تكلمنى فقلت بالله أسألك ياسيدى ان تدعولى فقال حجبك الله عن كل معصية وشغلك بما يقربك اليه فقلت ياسيدى فاين اللقاء بعد ذلك اليوم فقال مابقى لقاء بعد هذا اليوم فان كنت من أهل القرب فاطلبنى غدا فى منازل المقربين ثم غاب عن عينى فلم أره رضى الله تعالى عنه ونفعنا به آمين ﴿وعن مالك بن دينار رضى الله تعالى عنه﴾ انه قال كان لى جار مسرف على نفسه لايعرف يومه من أمسه فاجتمعت الجيران الى يشكونه فأحضرته وقلت له ماهذا قد كثر عصيانك فاما أن تتوب واما ان تخرج من هذا المحل فقال أنا فى ملكى لا أخرج منه فقلت له نشكوك الى السلطان فقال أنا من أصحاب السلطان فقلت ندعو الله عليك فقال ربى أرحم منكم ثم نهض من عندى فلما كان الليل رفعت يدى الى السماء فى وقت الاسحار وأردت أن أدعو عليه فهتف بى هاتف يامالك لاتدع عليه فانه من أوليائنا قال مالك فقمت من ساعتى وطرقت عليه الباب فخرج وظن انى جئت اليه لاخرجه من محله فخرج وهو يبكى و يعتذر و يقول ياسيدى السمع والطاعة أنا أخرج من المحل فقلت له لا بأس

انه

نه أعاد قوله ثالثا فقال الشاب أنا فقال له تقوم الليل وتصوم النهار ولا تغضب قال نعم فمات ذلك النبى فجلس ذلك الشاب مكانه يقضى بين الناس فكان لا يغضب فجاءه الشيطان فى صورة انسان ليغضبه وهو صائم يريد أن يفطر فضرب الباب ضربا شديدا فقال من هذا فقال رجل له حاجة فارسل اليه رجلا فقال لا أرضى بهذا الرجل فارسل معه آخر فقال لا أرضى فخرج اليه فأخذ بيده وانطلق معه حتى اذا كان فى السوق خلاه وذهب فسمى ذا الكفل وقال بعضهم ذو الكفل بشر بن أيوب الصابر بعثه الله بعد أبيه رسولا الى أرض الروم فآمنوا به وصدقوه واتبعوه ثم ان الله تعالى أمرهم بالجهاد فكفوا عن ذلك وضعفوا وقالوا يا بشر انا قوم نحب الحياة ونكره الممات ومع ذلك نكره أن نعصى الله تعالى ورسوله فلو سألت الله أن يطيل أعمارنا ولا يميتنا الا اذا شئنا لنعبده ونجاهد أعداءه فقال لهم بشر لقد سألتمونى عظيما وكلفتمونى شططا ثم انه قام وصلى ودعا وقال الهى أمرتنى بتبليغ الرسالة فبلغتها وأمرتنى أن أجاهد أعداءك وأنت تعلم انى لا أملك الا نفسى وان قومى قد سألونى فى ذلك ما أنت أعلم به منى فلا تؤاخذنى بجريمة غيرى فانا أعوذ برضاك من سخطك وبعفوك من عقوبتك قال فأوحى الله تعالى اليه يا بشر انى سمعت مقالة قومك وانى قد أعطيتهم ما سألونى طولت أعمارهم فلا يموتون الا اذا شاؤا فكن كفيلا لهم منى بذلك فبلغهم بشر رسالة الله وأخبرهم بما أوحى الله اليه وتكفل لهم بذلك كما أمر الله تعالى فسمى ذا الكفل ثم انهم توالدوا وكثروا ونموا حتى ضاقت عليهم بلادهم وتنغصت معيشتهم وتأذوا بكثرتهم فسألوا بشرا أن يدعو الله أن يردهم الى آجالهم فأوحى الله تعالى الى بشر أما علم قومك ان اختيارى لهم خير من اختيارهم لانفسهم ثم انهم ردوا الى أعمارهم فماتوا بآجالهم قال فلذلك كثرت الروم حتى يقال ان الدنيا دارهم خمسة أسداسها الروم وسموا روما لانهم نسبوا الى جدهم روم بن عيص بن اسحق بن ابراهيم عليه السلام قال وهب وكان بشر بن أيوب المسمى ذا الكفل مقيما بالشام حتى مات وكان عمره خمسا وتسعين سنة والله أعلم

﴿ مجلس فى ذكر قصة شعيب النبى عليه السلام ﴾

قال الله تعالى والى مدين أخاهم شعيبا الآية اختلف العلماء فى نسب شعيب فقال أهل التوراة هو شعيب بن صيفون بن عيفا بن ثابت بن مدين بن ابراهيم وقال محمد بن اسحق هو شعيب بن ميكائيل بن يشجر بن مدين بن ابراهيم واسمه بالسريانية يترون وأمه ميكيل ابنة لوط وكان شعيب عليه السلام أعمى فذلك قوله تعالى اخبارا عن قومه انا لنراك فينا ضعيفا أى ضريرا وكان يقال له خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه وان الله تعالى بعثه نبيا الى أهل مدين وهم أصحاب الايكة والايكة الشجر الملتف (وقال قتادة) بعثه الله تعالى الى أمتين أهل مدين وأصحاب الايكة قالوا وكان قوم شعيب أهل كفر بالله وبخس للناس وتطفيف فى المكاييل والموازين وكان الله قد وسع لهم فى الرزق وبسط لهم فى العيش استدراجا منه لهم فقال لهم شعيب يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان الآية ونظيرها فى الاعراف فأوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم الآية وذلك أنهم كانوا يجلسون على الطريق فيخبرون من قصد شعيبا ليؤمن به أنه كذاب فلا يفتننك عن دينك وكانوا يتوعدون المؤمنين بالقتل ويخوفونهم (قال السدى) وأبو روق كانوا عشارين (وقال) عبد الله بن زيد كانوا يقطعون الطريق (وقال) النبى صلى الله عليه وسلم رأيت ليلة أسرى بى خشبة على الطريق لا يمر بها ثوب أحد الا شقته ولا شئ الا خرقته فقلت ما هذا يا جبريل فقال هذا مثل أقوام من أمتك يقعدون على الطريق فيقطعونه ثم تلا ولا تقعدوا بكل صراط توعدون الآية وكان من قول شعيب وجواب قومه اياه ما ذكره الله تعالى فى سورة الاعراف وسورة هود وسورة الشعراء (قال المفسرون) وكان مما نهاهم عنه شعيب وعذبوا لاجله قطع الدنانير وذلك قوله تعالى قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا الى قوله الحليم الرشيد أى السفيه الغاوى وهو على الضد كما يقال للحبشى أبو البيضاء وكقوله تعالى ذق انك أنت العزيز الكريم (قال ابن عباس) رضى الله عنهما كان شعيب كثير الصلاة فلما كثر فسادهم وقل صلاحهم دعا عليهم فقال ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين فاجاب الله دعاءه فيهم فاهلكهم بالرجفة وهى الزلزلة عن الكلبى ويقال بالصيحة وبعذاب الظلة (قال) ابن عباس وغيره وهى ان الله تعالى فتح عليهم بابا من أبواب جهنم فارسل عليهم بردا وحرا شديدا فاخذ بأنفاسهم فدخلوا فى أجواف البيوت فلم ينفعهم ظل ولا ماء فانضجهم الحر فخرجوا هاربين الى البرية

غايتك ما جئتك لهذا وانما جئت اليك لاخبرك بما كان منى انى رفعت يدى وأردت أن أدعو عليك فهتف بى هاتف يا مالك لا تدع عليه فانه من أوليائنا قال فبكى الرجل بكاء شديدا وتاب من وقته وساعته فاصبح الناس يزورونه ويتبركون به وكثر الازدحام عليه فخرج حاجا الى مكة فى العام القابل فبينما أنا فى المسجد الحرام وقت الظهيرة مستظل بحائط واذا بجماعة قد اجتمعوا الى جانب المسجد وبينهم رجل ملقى على التراب فتأملته فاذا هو صاحبى وهو يعالج سكرات الموت قال مالك فجلست عند رأسه أبكى ففتح عينيه فرآنى ثم قال يا مالك أترى مولاى يعفو عن تلك الذنوب والسيئات ويرحم هذه العثرات فقد فارقت أهلى ووطنى وخرجت من ذلك المكان حياء منك وأنت مخلوق فكيف أقف غدا بين يدى الخالق جل وعلا ثم تنفس وشهق شهقة فمات رحمة الله تعالى عليه آمين ﴿وعن الجنيد رضى الله عنه﴾ انه قال عزمت على الحج الى بيت الله الحرام فى بعض الاعوام فركبت ناقتى ووجهتها نحو الكعبة شرفها الله تعالى وعظمها فلوت عنقها وردته نحو القسطنطينية فرددتها مرارا وهى تعود فقلت فى نفسى لله فى ذلك سر خفى فاطلقتها وقلت الهى وسيدى ومولاى ليس لى حيلة ان كنت

فبعث الله عليهم سحابة فاظلتهم ووجدوا لها بردا وجاءت ريح طيبة فنادى بعضهم بعضا فلما اجتمعوا تحت السحابة ألهبها الله عليهم نارا ورجفت الارض بهم فاحترقوا كما يحترق الجراد فى المقلى فصار وارمادا وذلك قوله تعالى فأصبحوا فى دارهم جاثمين كان لم يغنوا فيها وقال تعالى فأخذهم عذاب يوم الظلة انه كان عذاب يوم عظيم (قال ابن عباس) بلغنى أن رجلا من أهل مدين يقال له عمرو بن جلهم لما رأى الظلة فيها العذاب اقشعر جلده وقال

يا قوم ان شعيبا مرسل فذروا * عنكم شميرا وعمران بن شداد * انى أرى غيمة يا قوم قد طلعت
تدعو بصوت على خنانة الوادى * فانه لن يرى فيها ضحاء غد * الا الرقيم يمشى بين انجاد

وشمير وعمران كاهنان لهم والرقيم كلب لهم قال أبو عبد الله البجلى أبو جاد وحطى وهوز وكلمن وسعفص وقرشت أسماء ملوكهم وكان ملكهم يوم الظلة فى زمن شعيب كلمن فقالت أخت كلمن تبكيه حين هلك

كلمن أهد ركنى * هلكه وسط المحله سيد القوم أتاه الـحتف نارا وسط ظله جعلت نارا عليهم * دارهم كالمضمحله

قال الله تعالى الذين كذبوا شعيبا كأن لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين أى لهم الهلاك فى الدنيا والعذاب فى الآخرة ﴿مجلس فى ذكر صفى الله ونجيه موسى بن عمران عليه السلام وهو يشتمل على أبواب﴾

﴿الباب الاول فى ذكر نسب موسى عليه السلام﴾

قال الله تعالى واذكر فى الكتاب موسى انه كان مخلصا وكان رسولا نبيا وهو موسى بن عمران بن يصهر بن قاهث ابن لاوى بن يعقوب عليه السلام قال أهل العلم باخبار الاولين وسير الماضين ولد ليعقوب لاوى وقد مضى من عمره تسع وثمانون سنة ثم ان لاوى نكح نابتة بنت ماوى بن يشجب فولدت له غرسون ومرزى ومردى وقاهث ثم ان قاهث بعد أن مضى له من عمره ست وأربعون سنة نكح فاهى بنت مسين بن تنويل بن الياس فولدت له يصهر بن قاهث فنكح يصهر بن قاهث سميت بنت بتادم بن بركيا بن بشعان بن ابراهيم فولدت له عمران وقد مضى له من عمره ستون سنة وكان عمر يصهر مائة وسبعا وأربعين سنة فنكح عمران بن يصهر نحيب بنت شمويل ابن بركيا بن يشعان بن ابراهيم فولدت له هرون وموسى واختلف فى اسم أمهما فقال ابن اسحق نحيب وقيل ناجية وقيل يوخابيل وهو المشهور وكان عمر عمران مائة وسبعا وثلاثين سنة وولد له موسى عليه السلام وقد مضى من عمره سبعون سنة والله أعلم

﴿الباب الثانى فى ذكر مولد موسى عليه السلام﴾

قال أهل التاريخ لما مات الريان بن الوليد فرعون مصر الاول صاحب يوسف عليه السلام وهو الذى ولى يوسف خزائن أرضه وأسلم على يده فلما مات ملك بعده قابوس بن مصعب صاحب يوسف الثانى فدعاه يوسف الى الاسلام فأبى وكان جبارا وقبض الله يوسف فى ملكه وطال ملكه ثم هلك وقام بالملك بعده أخوه أبو العباس بن الوليد بن مصعب بن الريان بن اراشة بن ثروان بن عمرو بن فاران بن عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام وكان أغنى من قابوس وأكبر وأفجر وامتدت أيام ملكه وأقام بنو اسرائيل بعد وفاة يوسف عليه السلام وقد انتشروا وكثروا وهم تحت العمالقة وهم على بقايا من دينهم مما كان يوسف ويعقوب واسحق وابراهيم شرعوا فيه من الاسلام متمسكون به حتى كان فرعون موسى الذى بعثه الله اليه وقد ذكرنا اسمه ونسبه ولم يكن فيهم فرعون أعتى على الله ولا أعظم قولا ولا أقسى قلبا ولا أطول عمرا فى ملكه ولا أسوأ ملكا لبنى اسرائيل منه وكان يعذبهم ويستعبدهم وجعلهم خدما وخولا وصنفهم فى أعماله فصنف يبنون وصنف يحرثون وصنف يتولون الاعمال القذرة ومن لم يكن أهلا للعمل فعليه الجزية كما قال الله تعالى يسومونكم سوء العذاب وقد استنكح فرعون منهم امرأة يقال لها آسية بنت مزاحم رضى الله عنها من خيار النساء المعدودات ويقال هى آسية بنت مزاحم بن عبيد ابن الريان بن الوليد فرعون يوسف الاول وأسلمت على يد موسى قال مقاتل لم يسلم من أهل مصر الا ثلاثة آسية وحزقيل ومريم بنت ناموسى التى دلت موسى على قبر يوسف عليه السلام قالوا فعمر فرعون فيهم وهم تحت يده عمرا طويلا يقال انه أربعمائة سنة يسومهم سوء العذاب فلما أراد الله تعالى أن يفرج عنهم بعث موسى عليه السلام وكان بدء ذلك على ماذكره السدى عن رجاله أن فرعون رأى فى منامه كان نارا قد أقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر فأحرقتها وأحرقت القبط وتركت بنى اسرائيل فدعا فرعون الكهنة والسحرة والمعبرين

والمنجمين

تريد أن تردنى عن بيتك فالامر اليك قال فجعلت الناقة تسير سيرا جدا حتى دخلت القسطنطينية فلما دخلت البلد رأيت الناس فى هرج ومرج فسألت عن الخبر فقال بعض الناس ان ابنة الملك قد ذهب عقلها وهم يلتمسون لها طبيبا يداويها فقلت فى نفسى وعزة ربى لهذا صرفنى عن بيته فى هذا العام قال الجنيد فقلت لهم قد حضر الطبيب فقالوا أنت تداويها فقلت لهم نعم ان شاء الله تعالى قال فأخذوا بيدى وأتوا بى الى الملك وأخبروه بما قلت فاشترط على شروطا فامتثلت واستعنت بالله ثم أدخلت مخدعا فسمعت خشخشة الحديد وقائلا يقول ياجنيد تجذبك الناقة الينا وأنت تجذبها نحو الكعبة قال الجنيد فطاش عقلى من ذلك الكلام ثم دخلت فرأيت جارية لم ير الراؤن أحسن منها وهى مقيدة بالحديد ومسلسلة فقلت لها ماهذه الحالة فقالت ياطبيب القلوب صف لى صفة أنجو بها من الكروب قال الجنيد فقلت لها قولى لا اله الا الله محمد رسول الله فرفعت صوتها بقول لا اله الا الله محمد رسول الله فتساقطت الاغلال والسلاسل عنها فلما رأى أبوها ذلك قال ما أحسنك من طبيب أسألك بالله عليك ان تداوينى بما داويت به ابنتى هذه قال

والمنجمين فسألهم عن رؤياه فقالوا يولد فى بنى اسرائيل غلام يسلبك الملك ويغلبك على سلطانك ويخرجك وقومك من أرضك ويبدل دينك وقد أظلك زمانه الذى يولد فيه فأمر فرعون بقتل كل غلام يولد فى بنى اسرائيل فجمع القوابل من النساء من أهل مملكته وقال لهن لا يسقط على أيديكن غلام من بنى اسرائيل الا قتلته ولا جارية الا تركتها ووكل بهن وكلاء فكن يفعلن ذلك قال مجاهد لقد بلغنى انه كان يأمر بالقصب فيشق حتى يجعل أمثال الشفار ثم يصف بعضه الى بعض ثم يؤتى بالحبالى من بنى اسرائيل فيوقفن عليه فتجرح أقدامهن حتى ان المرأة منهن لتضع ولدها فيقع من بين رجليها فتظل تطؤه وتتقى به حد القصب عن رجليها لما بلغ من جهدها وكان يقتل الغلمان الذين فى وقته ويقتل من يولد بعدهم ويعذب الحبالى حتى يضعن ما فى بطونهن وأسرع الموت فى مشيخة بنى اسرائيل فدخل رؤس القبط على فرعون وقالوا له ان الموت قد وقع فى مشايخ بنى اسرائيل وان تذبح صغارهم وتميت كبارهم فيوشك أن يقع العمل علينا فأمر فرعون بذبح الولدان سنة وتركهم سنة فولد هرون فى السنة التى لا يذبح فيها أحد فترك وولد موسى فى السنة التى يذبحون فيها (قال) فولدت هرون أمه علانية آمنة فلما كان فى العام الذى أمر فيه بقتل الولدان حملت بموسى فلما أرادت وضعه حزنت من شأنه واشتد غمها فأوحى الله تعالى اليها أن أرضعيه فاذا خفت عليه فألقيه فى اليم الى قوله المرسلين فلما وضعته فى خفية أرضعته ثم انها اتخذت له تابوتا وجعلت مفتاح التابوت من داخل وجعلته فيه قال مقاتل وكان الذى صنع التابوت حزقيل مؤمن آل فرعون وقيل انه كان من بردى فاتخذت أم موسى التابوت وجعلت فيه قطنا محلوجا ووضعت فيه موسى وصيرت رأسه ثم ألقته فى النيل فلما فعلت ذلك وتوارى عنها أتاها الشيطان فوسوس اليها فقالت فى نفسها ماذا صنعت يا بنى لو ذبح عندى لواريته وكفنته وكان أحب الى من أن ألقيه بيدى فى البحر وأدخله الى دواب البحر ثم عصمها الله تعالى وانطلق الماء بموسى يرفعه الموج مرة ويخفضه أخرى حتى أدخله بين الاشجار عند دار فرعون الى روضة هى مستقى جوارى فرعون وكان بالقرب منها نهر كبير فى دار فرعون داخل فى بستانه فخرجت جوارى فرعون يغتسلن ويستقين فوجدن التابوت فأخذنه وظنن ان فيه مالا فحملنه على حالته حتى أدخلنه الى آسية فلما فتحنه رأت الغلام فألقى الله تعالى عليها المحبة منه فرحمته آسية وأحبته حبا شديدا فلما سمع الذباحون بأمره أقبلوا على آسية بشفارهم ليذبحوا الصبى فقالت آسية للذباحين انصرفوا فان هذا لا يزيد فى بنى اسرائيل فأنا آتى فرعون وأستوهبه اياه فان وهبه لى كنتم قد أحسنتم وان أمركم بذبحه فلا ألومكم ثم انها أتت به فرعون وقالت قرة عين لى ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا فقال فرعون قرة عين لك أما أنا فلا حاجة لى فيه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى يحلف به لو أقر فرعون أن يكون له قرة عين كما أقرت لهداه الله تعالى به كما هدى به امرأته ولكن الله تعالى حرمه ذلك قال فاراد أن يذبحه وقال انى أخاف أن يكون هذا من بنى اسرائيل وأن يكون هذا الذى هلاكنا على يده وزوال ملكنا فلم تزل آسية تكلمه حتى وهبه لها فلما آمنت آسية أرادت أن تسميه باسم اقتضاه حاله فسمته موسى لانه وجد بين الماء والشجر وهو بلغة القبط مو الماء وشى الشجر فعرب فقيل موسى (أخبرنا) ابن فنجويه أخبرنا مخلد بن جعفر أخبرنا الحسن بن علويه أخبرنا اسمعيل بن عيسى أخبرنا ابن بشير أخبرنى جويبر ومقاتل عن الضحاك عن ابن عباس قال ان بنى اسرائيل لما كثروا بمصر استطالوا على الناس وعملوا بالمعاصى ووافق خيارهم أشرارهم ولم يأمروا بالمعروف ولم ينهوا عن المنكر فسلط الله عليهم القبط فاستضعفوهم وساموهم سوء العذاب يذبحون أبناءهم قال وقال أبو الياس قال وهب بلغنى أنه ذبح فى طلب موسى سبعون ألف ولد قال اسحق عن ابن عباس ان أم موسى لما تقاربت ولادتها وكانت قابلة من القوابل التى وكلهن فرعون بحبالى بنى اسرائيل مصافية لام موسى فلما ضربها الطلق أرسلت اليها أم موسى فقالت نزل بى ما نزل فلينفعنى حبك اياى فقالت لها نعم فعالجت قبالها فلما وقع موسى على الارض أضاء لها نور بين عينى موسى فارتعش كل مفصل منها ودخل حب موسى فى قلبها ثم قالت لها يا هذه ما جئت اليك حين دعوتنى الا فى رأى قتل ولدك واخبار فرعون بذلك ولكن وجدت لابنك هذا حبا ما وجدت حب شئ مثله فاحتفظى بابنك فانى أراه هو عدونا فلما خرجت القابلة من عندها أبصرها بعض العيون فجاء الى بابها ليدخل على موسى فقالت أخته يا أماه هذا الحرس بالباب فطاش عقلها فلم تعقل ما تصنع به خوفا على موسى فلفت موسى فى خرقة وألقته فى التنور وهو مسجور وكان ذلك

الجنيد فقلت له قل لا اله الا الله محمد رسول الله فقالها وأسلم وحسن اسلامه ثم أتت أمها وأسمت وأسلم كل من كان فى البلد معهم قال الجنيد فعزمت على التوجه فقالت الجارية لا تعجل ياسيدى بالخروج فانى سألت الله أن يتوفانى وأنت حاضر حتى تقف على غسلى وتصلى على ثم تشهدت وخرت ميتة فغسلناها ودفناها رحمة الله تعالى عليها (وعن أبى بكر بن الفضيل رضى الله تعالى عنه) أنه قال سألت بعض أصدقائى وكان أصله روميا عن سبب اسلامه فامتنع أن يحدثنى فما زلت أقسم عليه حتى حدثنى فقال نزل بنا عساكر المسلمين فحاصرونا سنة من السنين فخرجنا اليهم وقاتلناهم فقتلوا منا جماعة وقتلنا منهم جماعة وأسروا منا جماعة وأسرنا منهم جماعة كما هى عادة العساكر فى القتال فأسرت أنا وحدى من المسلمين عشرة رجال وكانت لى فى الروم المنزلة فسلمت العشرة الى غلمانى فقيدوهم وحملوهم على البغال حتى تركوهم عندى فى السجن فبينما أنا يوما من الايام جالس بقصرى اذ جاءنى بعض غلمانى وقال ياسيدى ان أحد الموكلين قد أخذ من أحد الأسورين مالا وتركه يصلى قال فلما سمعت ذلك أحضرت الموكل بهم وقلت له أخبرنى ما الذى أخذته من هذا الأسير حتى تركته يصلى فقال نعم ياسيدى

الهاما من الله تعالى لما أراد الله بعبده موسى فدخلوا فاذا هو التنور مسجور وأم موسى لم يتغير لها لون ولم يظهر لها
لبن فقالوا لها ما أدخل عليك هذه القابلة قالت هى مصافية لى فدخلت على زائرة فخرجوا من عندها ورجع
اليها عقلها فقالت أخت موسى أين الصبى قالت لا أدرى فسمعت بكاء الصبى فى التنور فانطلقت اليه فوجدته قد
جعل الله تعالى عليه النار بردا وسلاما فاحتملته (قال اسحق بن بشر) عن جويبر ومقاتل عن الضحاك عن ابن
عباس قال ثم ان أم موسى لما رأت الحاح فرعون فى طلب الولدان خافت على ولدها فقذف الله فى نفسها أن تتخذ
له تابوتا ثم تقذفه فى اليم وهو النيل فانطلقت الى رجل نجار من أهل مصر من قوم فرعون فاشترت منه تابوتا صغيرا
قال لها النجار ما تصنعين بهذا التابوت فقالت أخبأ فيه ابنا لى وكرهت أن تكذب قال ولم قالت أخشى كيد فرعون
قال فلما اشترت التابوت وحملته وانطلقت انطلق النجار الى الذباحين ليخبرهم بأمرها فلما هم بالكلام أمسك الله
لسانه فلم ينطق فجعل يشير بيده فلم تدر الامناء ما يقول فلما أعياهم أمره قال كبيرهم اضربوه فضربوه وأخرجوه
فلما انتهى النجار الى موضعه رد الله عليه لسانه فتكلم فانطلق أيضا يريد الامناء فأتاهم ليخبرهم فأخذ الله تعالى
لسانه وبصره فلم يطق الكلام ولم يبصر شيأ فضربوه وأخرجوه فوقع فى واد يهوى فيه حيران فاشهد الله تعالى
عليه ان رد له لسانه وبصره أن لا يدل عليه وأن يكون معه يحفظه حيثما كان فعلم الله منه الصدق فرد عليه لسانه
وبصره فخر لله ساجدا وعلم ان ذلك من الله تعالى فآمن به وصدقه فانطلقت أم موسى به وألقته فى البحر وذلك
بعدما أرضعته ثلاثة أشهر وكان لفرعون يومئذ بنت ولم يكن له ولد غيرها وكانت من أكرم الناس عليه وكان لها
كل يوم ثلاث حاجات ترفعها اليه وكان بها برص شديد وكان فرعون قد جمع لها الاطباء من مصر والسحرة فنظروا
فى أمرها فقالوا له أيها الملك انا لا نرى برأها الا من قبل البحر شئ يؤخذ منه شبه الانسان فيؤخذ من ريقه ويلطخ
به برصها فتبرأ من ذلك وذلك فى يوم كذا وكذا من شهر كذا وكذا فى ساعة كذا وكذا حين تشرق الشمس فلما كان
فى يوم الاثنين غدا فرعون الى مجلس له كان على شفير النيل ومعه امرأته آسية بنت مزاحم وأقبلت بنت فرعون
وجواريها حتى جلست على شاطئ النيل مع جوار بها يلاعبن وينضحن الماء على وجوههن فبينما هن على ذلك
اذ أقبل النيل بالتابوت تضرب به الامواج فقال فرعون ان هذا الشئ فى البحر قد تعلق بالشجر ائتونى به فابتدروه
من كل جانب بالسفن حتى وضعوه بين يديه فعالجوا فتح الباب فلم يقدروا عليه وعالجوا كسره فلم يقدروا فدنت
منه آسية فرأت فى جوف التابوت نورا لم يره غيرها للامر الذى أراد الله تعالى من اكرامها وهدايتها فعالجته
ففتحت التابوت فاذا هى بصبى صغير فى مهده والنور بين عينيه وقد جعل الله رزقه فى ابهامه يمص منها لبنا فألقى
الله تعالى محبة موسى فى قلبها وأحبه فرعون وعطف عليه وأقبلت بنت فرعون عليه فلما أخرجوه من التابوت
عمدت بنت فرعون الى ما كان يسيل من ريقه فلطخت به برصها فبرأت فقبلته وضمته الى صدرها فقالت الغواة
من قوم فرعون أيها الملك انا نظن ان المولود الذى تحذر منه من بنى اسرائيل هو هذا ارم به فى البحر أو اقتله فهم
فرعون بقتله فاستوهبته منه آسية فوهبه لها ثم انه قال سميه فقالت قد سميته موسى لانه وجد بين الماء والشجر
قالوا ثم ان أم موسى قالت لاخته وكانت تسمى مريم قصيه أى اتبعى أثره واطلبيه هل تسمعين له ذكرا أحى هو أم
قد أهلكته دواب البحر ونسيت وعد الله فبصرت به عن جنب أى عن بعد وهم لا يشعرون انها أخته وكانت آسية
قد أرسلت الى من حولها من كل أنثى بها لبن لتختار له ظئرا تربى موسى فجعل كلما أخذته امرأة منهن لترضعه لم
يقبل ثديها حتى أشفقت آسية أن يمتنع من اللبن فيموت فأحزنها ذلك فأمرت به فأخرج الى السوق لتجتمع عليه
الناس ترجو أن تصيب له ظئرا يقبلها ويأخذ ثديها ويرضع منها فلم يقبل ثدى امرأة فذلك قوله عز وجل وحرمنا
عليه المراضع من قبل فقالت أخت موسى حين أعياهم أمره وأعيا الظؤرة هل أدلكم على أهل بيت يكفلونه لكم
وهم له ناصحون فأخذوها وقالوا لها وما يدريك بنصحهم له ولعلك قد عرفت هذا الغلام فدلينا على أهله فقالت
ما أعرفهم وانما نصحهم له وشفقتهم عليه من أجل رغبتهم فى ظؤرة الملك ورجاء منفعته فتركوها فانطلقت الى
أمها فاخبرتها بالخبر فأتت فلما وضعته على ثديها فى حجرها نزل اللبن من ثديها حتى ملأ جنبيه فانطلق البشير الى آسية
يبشرها أن قد وجدنا لابنك ظئرا فارسلت اليها فأتى بها فلما رأت ما يصنع بها قالت لها امكثى عندى ترضعى ابنى
هذا فانى لم أحب شيأ مثل حبه قط فقالت لا أستطيع ان أدع بيتى وولدى فيضيعوا فان طابت نفسك ان

انه فى كل وقت صلاة يدفع الى دينارا ذهبا فقلت هل معه شئ من ذلك فقال لا يا سيدى ولكنه اذا فرغ من صلاته يضرب الارض بيده
فيظهر له ذلك الدينار
قال فتعجبت من ذلك
وأحببت ان أعرف
حقيقة هذا الرجل فلما
كان من الغدا حضرت
الموكل به ولبست ثيابه
و وكلت نفسى بذلك فلما
جاء وقت صلاة الصبح
أومأ الى بأنه يريد الصلاة
ويدفع الى الدينار على
عادته فاشرت اليه
وقلت له ما آخذ الا
دينارين فقال نعم
فاطلقته يصلى فلما فرغ
من صلاته ضرب
الارض بيده ودفع الى
الدينارين فازددت
تعجبا من ذلك فلما جاء
وقت صلاة الظهر أومأ
الى كالمرة الاولى فقلت
له ما آخذ الا الخمسة
دنانير فقال نعم فلما
فرغ من صلاته دفع
الى الخمسة دنانير فلما
جاء وقت صلاة العصر
أشار الى كعادته فقلت
له ما آخذ الا العشرة
دنانير فقال نعم فلما
فرغ من صلاته دفع
الى العشرة دنانير فلما
جاء وقت المغرب أشار
الى فاشرت اليه لا آخذ
الا خمسة عشر دينارا
فقال نعم فلما فرغ دفع
الى ذلك فلما جاء وقت
العشاء الاخيرة أومأ
الى فقلت له لا آخذ الا
عشرين دينارا فقال
نعم فصلى وأحسن صلاته ودفع الى العشرين دينارا وقال اطلب ماشئت فان سيدى

تعطينيه فأذهب به الى بيتى و ولدى فيكون معى ولا أولى له الاخير افعلت والا فانى غير تاركة بيتى و ولدى وتذكرت أم موسى ما كان الله وعدها فتعاسرت على امرأة فرعون وأيقنت ان الله سبحانه وتعالى منجز وعده فرجعت بابنها الى بيتها من وقتها * وقيل كانت غيبة موسى عن أمه ثلاثة أيام ثم رده الله اليها وذلك قوله عز و جل فرددناه الى أمه كى تقر عينها ولا تحزن فلما جاءت أمه به الى بيتها كادت تقول هو ابنى فعصمها الله عز وجل فذلك قوله تعالى ان كادت لتبدى به لولا أن ربطنا على قلبها لتكون من المؤمنين وأنبته الله نباتا حسنا وحفظه فلما ترعرع قالت آسية لام موسى أحب أن تريني ابنى فوعدتها يوما تريها اياه فيه فقالت آسية لخواصها وقهارمتها لا يبقى منكن واحدة الا استقبلت ابنى بهدية وكرامة فانى باعثة بأمينة تحصى ما تصنع كل قهرمانة منكن فلم تزل الهدايا والتحف تستقبله من وقت أن خرج من بيت أمه الى أن دخل على امرأة فرعون فلما أن دخل عليها أكرمته وفرحت به وأعجبها ما رأت من حسن أثرها عليه ثم قالت لها انطلقى به الى فرعون ليكرمه فلما دخلت به على فرعون أخذه ووضعه فى حجره فتناول موسى لحية فرعون حتى جذبها ونتف منها بعض شعرات وكان فرعون طويل اللحية و يقال انه لطم وجهه (وفى بعض الروايات) أنه كان يلعب بين يدى فرعون و بيده قضيب صغير فضرب به على رأس فرعون فغضب غضبا شديدا وتطير منه وقال هذا عدوى المطلوب فأرسل الى الذباحين ليذبحوه فبلغ ذلك امرأة فرعون فجاءت تسعى الى فرعون وقالت له ما بدا لك فى هذا الصبى الذى وهبته لى فأخبرها بما فعل موسى فقالت له انما هو صبى لا يعقل وانما صنع هذا من صباه وأنا أجعل فيما بينى و بينك أمرا تعرف به الحق وأضع له حليا من الذهب والياقوت وأضع له جمرا فان أخذ الياقوت فهو يعقل فاذبحه وان أخذ الجمرة علمت أنه صبى ثم انها وضعت له طشتا فيه الذهب والياقوت وطشتا آخر فيه الجمر فمد موسى يده على انه أخذ الجوهر ليقبض عليه فحول جبريل عليه السلام يده الى الجمر فقبض على جمرة و وضعها فى فيه فجاءت على لسانه فأحرقته وذلك الذى قال فى قوله تعالى واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى فقالت له آسية ألا ترى الى فعله وأنه صبى لا يعقل فكف عن قتله وصرف الله عنه ذلك السوء فلم يزل عزيزا مكرما فى بيت فرعون وحببه الله اليه والى الناس كلهم حتى كان يحبه كل من يراه (و يروى) انه سئل ابليس هل أحببت أحدا من العالمين قال لا الا موسى بن عمران عليه السلام فقيل له وكيف ذلك فقال لان الله تعالى قال وألقيت عليك محبة منى فلم أتمالك أن أحببته

﴿ الباب الثالث فى ذكر حلية موسى بن عمران وهرون عليهما السلام ﴾

قال كعب الاحبار كان هرون بن عمران نبى الله رجلا فصيح اللسان بين الكلام اذا تكلم تكلم بتؤدة وعلم وكان أطول من موسى وكان على رأسه شامة وعلى طرف لسانه أيضا شامة سوداء وكان موسى بن عمران رجلا آدم اللون جعدا طويلا كانه من رجال أزدشنوءة وكان بلسان موسى عقدة وثقل وسرعة وعجلة وكان أيضا على طرف لسانه شامة سوداء

﴿ الباب الرابع فى قصة قتله القبطى وخروجه من مصر ووروده مدين ﴾

قال أهل التفسير لما بلغ موسى بن عمران أشده كان يركب مراكب فرعون و يلبس ما يلبس فرعون وكان يدعى موسى بن فرعون وامتنع به عن بنى اسرائيل كثير من الظلم والسخر التى كانت فيهم ولا يعلم الناس ان ذلك الا من قبل الرضاعة قالوا فركب فرعون ذات يوم مركبا وليس عنده موسى فلما جاء موسى قيل له ان فرعون قد ركب فركب موسى فى أثره وأدركه المقيل بأرض يقال لها منف فدخلها نصف النهار وقد أغلقت أسواقها وليس فى طرقها أحد وهى التى قال الله تعالى فيها ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها فبينما هو يمشى فى ناحية المدينة اذ هو برجلين يقتتلان أحدهما من بنى اسرائيل والآخر من آل فرعون كما قال الله تعالى فوجد فيها رجلين يقتتلان هذا من شيعته وهذا من عدوه الآية والذى من شيعته يقال له السامرى والذى من عدوه رجل من القبط كان خباز الفرعون واسمه فاتون وكان قد اشترى حطبا للمطبخ فسخر السامرى ليحمله فامتنع السامرى فلما مر به موسى استغاثه السامرى على القبطى فقال موسى للقبطى دعه فقال الخباز لموسى انما آخذه فى عمل أبيك وأبى أن يخلى سبيله فغضب موسى فبطش به وخلص السامرى من يده فنازعه القبطى فوكزه موسى فقتله وهو لا يريد قتله فذلك قوله تعالى فوكزه موسى فقضى عليه قال موسى هذا من عمل الشيطان انه عدو مضل مبين ثم قال رب انى ظلمت نفسى فاغفر لى فغفر له انه هو الغفور الرحيم (وقال وهب) أوحى الله الى موسى بن عمران وعزتى

انه من أولياء الله تعالى فلما أصبحت دعوته للحضور عندى ثم أكرمته وفككت قيوده وألبسته ثوبا حسنا وعظمته و بجلته ثم قلت له ياسيدى هل لك فى الاقامة عندنا فى بلادنا وأنت فى أعز مكان وأكرم محل ونكرمك غاية الاكرام أو الرجوع الى بلادك فاختار الرجوع الى بلاده فأحضرت له زادا وحملته بنفسى على بغل وأنفذت معه من أصحابى وغلمانى عشرة رجال وأوصيتهم بايصاله الى بلاده معظما مكرما وان لا يعترضه عارض ولا يؤذيه أحد و يمتثلوا جميع ما يأمرهم به و يفعلوا جميع ما يختاره ثم أحضرت دواة وقرطاسا وجعلت له علامة بينى و بينه وقلت له انه اذا وصل الى بلاده سالما يكتب تلك العلامة فى القرطاس خوفا عليه فى الطريق ثم ودعته وحملته بنفسى فقال لى توفاك الله على أحب الاديان اليه فوالله يا ابن الفضيل ما استتم كلامه حتى وقع فى قلبى حب الاسلام قال وكان مسيرة بلده من بلادنا خمسة أيام ذهابا وخمسة أيام ايابا فلما كان يوم السادس قدم على أصحابى وغلمانى ومعهم القرطاس بخطه

وجلالي لو كانت النفس التي قتلت أقرت لي طرفة عين اني اله خالق رازق لاذقتك طعم العذاب وانما عفوت عنك لانها لم تقر لي ساعة واحدة أني اله خالق رازق قالوا ولما قتل موسى القبطي لم يرهما الا الله تعالى والاسرائيلي فلما قتله أصبح في المدينة خائفا يترقب الاخبار فاتوا فرعون وقالوا له ان بني اسرائيل قد قتلوا رجلا من آل فرعون فخذ لنا بحقنا ولا ترخص لهم في ذلك فقال فرعون ائتوني بقاتله ومن يشهد عليه لانه لا يستقيم أن يقضي بغير بينة ولا يثبت ملك على الاخذ بالظلم فاطلبوا ذلك فبينما هم يطوفون لا يجدون بينة اذ مر موسى من الغد فرأى ذلك الاسرائيلي يقاتل فرعونيا فاستغاثه الاسرائيلي على قتال الفرعوني فصادف موسى وهو نادم على ما كان منه بالامس فكره الذي رآه فغضب موسى فمد يده وهو يريد أن يبطش بالفرعوني وقال للاسرائيلي انك لغوي مبين ففر الاسرائيلي من موسى وظن انه يبطش به من أجل أنه أغلظ عليه في الكلام وكان غضبان فلما أقبل لنصره ومد يده ظن أنه يريد قتله فقال له ياموسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالامس الآية وانما قال ذلك مخافة من موسى وظن أن يكون موسى أراده ولم يكن أراده وانما أراد الفرعوني فتنازعا فذهب الفرعوني فاخبرهم بما سمع من الاسرائيلي اذ كران موسى هو الذي قتل الرجل بالامس وهو المثل السائر العدو العاقل أحرى عليك من الصديق الاحمق وينشد في معناه

ان اللبيب اذا تزايد بغضه * أحرى عليك من الصديق الاحمق

قال فلما أخبر فرعون بذلك أرسل الذباحين وأمرهم بقتل موسى وقال لهم اطلبوه فانه غلام لا يهتدي الى الطريق فطلب موسى في ثنيات الطريق وكان موسى يسلك الطريق الاعظم فجاءه رجل من شيعته من أقصى المدينة يقال له حزقيل وكان على بقية من دين ابراهيم وكان أول من صدق بموسى وآمن به (ويروى) عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال سباق الامم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين حزقيل مؤمن آل فرعون وحبيب النجار صاحب يس وعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه بالجنة وهو أفضلهم قال فجاء حزقيل مؤمن آل فرعون فأخبر موسى بما أمر به فرعون من قتله واختصر طريقا حتى سبق الذباحين اليه فأخبره الخبر فذلك قوله تعالى وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال ياموسى ان الملا يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج اني لك من الناصحين فتحير موسى ولم يدر أين يذهب فجاءه ملك على فرس بيده عنزة فقال له اتبعني فأتبعه فهداه الطريق الى مدين (وروى) عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال خرج موسى من مصر الى مدين وبينهما مسيرة ثمان ليال ويقال نحو من الكوفة الى البصرة فلم يكن له طعام الا ورق الشجر فما وصل اليها الا وقد وقع خف قدمه وان خضرة البقل ترى من بطنه

﴿ الباب الخامس في دخول موسى مدين وتزويج شعيب ابنته اياه ﴾

قالت العلماء لما انتهى موسى الى أرض مدين في ثمان ليال نزل في أصل شجرة واذا تحتها بئر وهي التي قال الله تعالى ولما ورد ماء مدين وجد عليه امة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان اي تحبسان اغنامهما فقال لهما ما خطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء لانا امرأتان ضعيفتان لا نقدر على مزاحمة الرعاء فاذا سقوا مواشيهم سقينا أغنامنا من فضول حاجتهم وما بقي من حوضانهم وأبونا شيخ كبير تعنيان شعيبا * وروى حماد بن سلمة عن أبي حمزة عن ابن عباس قال اسم أبي امرأة موسى الذي استأجره ثيرون صاحب مدين ابن أخي شعيب النبي عليه السلام واسم احدى الجاريتين ليا ويقال حنونا والاخرى صفورا وهي امرأة موسى عليه السلام فلما قالتا ذلك لموسى رحمهما وكان هناك بئر على رأسها صخرة عظيمة وكان النفر من الرجال يجتمعون اليها حتى يرفعوها عن رأسها (وحكى الاستاذ) أبو سعيد عبد الملك بن أبي عثمان الواعظ أن تلك البئر غير البئر التي تسقي منها الرعاء قال وقد حضرتها ورأيتها قال فرفع موسى الصخرة عن رأسها وأخذ دلوا لهما وقال لهما اقدما غنمكما فسقى لهما أغنامهما حتى أرواها فرجعتا الى أبيهما سريعا قبل الناس وتولى موسى الى الظل ظل الشجرة وقال رب اني لما أنزلت الي من خير فقير قال ابن عباس لقد قال ذلك موسى ولو شاء انسان أن ينظر الى خضرة أمعائه من شدة الجوع لنظرها وما سأل الله تعالى الا أكلة وقال أبو جعفر محمد الباقر لقد قالها وانه لمحتاج الى شق تمرة قالوا فلما رجعتا الى أبيهما قال لهما ما أعجلكما وأسرع رواحكما اليه قالتا وجدنا رجلا صالحا فرحمنا فسقى لنا أغنامنا فقال لاحداهما اذهبي فادعيه الي فجاءته احداهما وهي التي تزوجها موسى وهي تمشي على استحياء فقالت له ان أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا فقام موسى فتقدمته وهو يليها أي يتبعها

والعلامة التي كانت بيني وبينه فسألتهم عن سرعة مجيئهم فقالوا لما خرجنا من عندك وهو معنا ووصلنا الى بلاده في ساعة واحدة من غير تعب ولا نصب فلما رجعنا سرنا في الطريق خمسة أيام بالجهد والتعب والنصب فقلت عند سماع ذلك منهم أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وان دين الاسلام حق ثم خرجت من بلاد الروم الى بلاد الاسلام وصار أمري الى ما ترى والحمد لله وحده

﴿ حكي عن بعضهم عفا الله عنه ﴾ أنه قال كان في زمن خلافة معاوية بن أبي سفيان رضي الله تعالى عنهما امرأة علوية وكان بنات لها ثلاث فضاق الحال عليها واشتد بها الفقر فبكت بناتها يوما من الايام من ألم الجوع فقالت المرأة لبناتها اصبرن حتى أطلب لكن شيأ من عند القاضي من بيت مال المسلمين قال فصبر بناتها عند سماع ذلك منها الى الصباح ثم مضت والدتهن الى بيت القاضي فلما وصلت استأذنت في الدخول فدخلت وسلمت على القاضي فرد عليها السلام ثم قال ما حاجتك ياشريفة فقالت له ياسيدي ان لي ثلاث بنات وقد تركتهن بالجوع وجئت اليك لعلك أن تتصدق علينا بشيء من بيت مال المسلمين قال فلما سمع القاضي كلامها قال لها غدا أعطيك شيأ فخرجت

فهبت

فهبت ريح فالصقت ثوب المرأة بردفها فكره موسى أن يرى ذلك منها فقال لها موسى امشي خلفي ودليني على الطريق فاذا أخطأت فارمي قدامي بحصاة حتى أنهج نهجا فانا بني يعقوب لا ننظر الى أعجاز النساء فنعتت له الطريق الى منزل أبيها ومشت خلفه حتى دخل على شعيب فسأل شعيب موسى عن حاله وقصته فأخبره الخبر فقال له لا تخف نجوت من القوم الظالمين فقالت احداهما وهي التي كانت الرسول الى موسى يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوي الامين (قال) النبي صلى الله عليه وسلم أصدق النساء فراسة امرأتان كلتاهما تفرستا في موسى فأصابتا احداهما امرأة فرعون حين قالت قرة عين لي ولك لا تقتلوه والاخرى بنت شعيب حيث قالت يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوي الامين وانما قالت القوي الامين لانه أزال الحجر العظيم الذي لا يرفعه الا أربعون رجلا فقال لها أبوها هبك انك عرفت قوته فما أعلمك بأمانته فأخبرته بما أمرها موسى من استدبارها اياه في الطريق فازداد فيه شعيب رغبة فقال له اني أريد أن أنكحك احدى ابنتي هاتين على أن تأجرني ثماني حجج الى قوله من الصالحين أي في حسن الصحبة معك والوفاء بشرطك فقال موسى بيني وبينك أيما الاجلين قضيت الآية وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سئل أي الاجلين قضى موسى قال أكملهما وأفضلهما وروي أنه قال قضى أوفاهما وتزوج بصغراهما

﴿ الباب السادس في ذكر نعت عصا موسى وبدء أمرها ﴾

اختلاف العلماء في اسمها والمنافع التي كانت فيها وما ظهر من دلالة قدرة الله فيها قالوا ثم ان شعيبا أمر ابنته أن تأتيه بعصا ليعطيها موسى فيستعين بها في رعايته فجاءته بعصا وكانت تلك العصا وديعة عنده دفعها اليه ملك على صورة رجل فردها عليها شعيب وأمرها أن تأتيه بعصا أخرى فما زالت ترجع وتأتيه بها بعينها لانها كانت كلما ردتها الى مكانها وأرادت أن تأخذ غيرها سقطت هي في يدها فما زالت كذلك حتى أخذها شعيب وأعطاها موسى فلما أعطاه اياها ندم على ذلك لانها كانت وديعة عنده فقال له شعيب رد علي العصا فأبى أن يردها عليه فتنازعا الى أن شرطا على أنفسهما أن يرتضيا حكم أول رجل يدخل عليهما فأتاهما ملك يمشي فتحاكما اليه فقال ضعوها على الارض فمن حملها فهي له فوضعها موسى على الارض فعالجها الشيخ فلم يطق حملها فأخذها موسى بيده فرفعها فلما رأى شعيب ذلك تركها له وفي رواية أخرى أن موسى لبث عند شعيب ما شاء الله ثم استأذنه في الانصراف فأذن له وقال له ادخل هذا البيت وخذ عصا من العصي تكون معك تدرأ بها السباع عنك وعن غنمك وكانت عصي الانبياء يومئذ عند شعيب فلما دخل موسى البيت وثبت اليه العصا فصارت في يده فخرج بها فقال له شعيب ردها وخذ غيرها وذلك ان شعيبا كان قد أخبر بأمر العصا ولم يدر شعيب أن صاحبها هو موسى فردها موسى الى البيت فألقاها وذهب ليأخذ غيرها فوثبت حتى صارت في يده ففعل ذلك مرارا فقال له شعيب ألم أقل لك خذ غيرها فقال له موسى قد رددتها مرات فكلما فعلت ذلك وثبت حتى تصير في يدي فعلم شعيب أن ذلك أمر يريده الله تعالى فقال له خذها (قالوا) وزوجه ابنته ورعى له موسى عشر سنين وولد لموسى أولاد من ابنة شعيب (قالوا) لما خرج موسى من مدين ووافى مصر كان شعيب يزوره في كل سنة فاذا أكل قام موسى على رأسه ثم يكسر له الخبز ويلقيه بين يديه ويقول له كل (وقال مقاتل) بل كان جبريل هو الذي دفع العصا الى موسى وهو متوجه الى مدين بالليل (قال كعب) لما قدم مكة عبد الله بن عمرو بن العاص قلت سلوه عن ثلاث فان أخبركم فانه عالم سلوه عن شيء من الجنة وضعه الله للناس وعن أول ما وضع في الارض وعن أول شجرة غرست في الارض فسئل عنها فقال عبد الله أما الشيء الذي وضعه الله للناس في الارض من الجنة فهو هذا الركن الاسود وأما أول ما وضع للناس في الارض فبئر برهوت باليمن يردها أرواح الكفار وأما أول شجرة وضعها الله تعالى في الارض فالعوسجة التي اقتطع منها موسى عصاه فلما بلغ ذلك كعبا قال صدق الرجل فعلى هذا القول انما اقتطع موسى عصاه من تلك الشجرة فأظهر الله فيها قدرته ومعجزة موسى فيها وقال ابن عباس كتب صاحب الروم الى معاوية يسأله عن أربعة أشياء لم يركضوا في رحم فلما قرأ معاوية الكتاب قال أخزاه الله وما علمي بما ههنا فقيل له اكتب الى ابن عباس ما سأله عن ذلك فكتب اليه يسأله عنها فكتب اليه ابن عباس في الجواب أما الاربعة التي لم يركضوا في رحم فآدم وحواء والكبش الذي فدي به اسمعيل وعصا موسى حيث ألقاها فصارت ثعبانا (وقال) أكثر العلماء كانت عصا موسى من آس الجنة وكان طولها عشرة أذرع على طول موسى حملها آدم من الجنة الى الارض فورثها

من عنده وجاءت الى البنات وهن يبكون من شدة الجوع فقالت لهن يا بناتي طيبن قلوبكن فقد وعدنا القاضي بأنه في غد يتصدق علينا وان شاء الله تعالى غدا أرجع اليه كما قال وآتيكم بشيء من عنده قال فباتوا تلك الليلة مستبشرين فلما أصبح الصباح ذهبت والدتهن الى بيت القاضي فوجدته جالسا على باب داره فسلمت عليه فرد عليها السلام ثم قالت له يا سيدي كنت وعدتني بالامس بشيء وقد جئتك طامعة في طلبه فلما سمع كلامها شتمها ونهرها وقال اذهبي عني فرجعت المرأة محرومة باكية وجاءت الى خرابة كانت مجاورة لبيتها فدخلت اليها وبكت بكاء شديدا وقالت الهي بأي وجه أرجع الى بناتي وبأي عين أنظر اليهن وبأي لسان أجيبهن وطال بكاؤها وزاد تضرعها وانتحابها قال وكان بالبلد نصراني يقال له سيدوك وكان ذا مال كثير وغلمان وكان قلبه رقيقا للاسلام فمضى بتلك الخرابة فسمع بكاء المرأة ونحيبها فطاش عقله وقال لبعض غلمانه ائتوني بهذه المرأة فذهب غلمانه اليها وأحضروها بين يديه فنظر اليها ودموعها تجري على خدها فقال ما يبكيك أيتها الشريفة فقالت ان لي ثلاث بنات وقد تركتهن بالجوع وقصت عليه قصتها فقال سيدوك لغلمانه أعطوها ألف دينار وبدلة من القماش قال فأعطوها

لناس صاغرا عن كابر الى أن وصلت الى شعيب فأعطاها موسى واختلف العلماء في اسمها فقال سعيد بن جبير اسمها ماسي وقال مقاتل بن سليمان اسمها نفعة وقال ابن حبان اسمها غيات وقال آخرون اسمها عليق

﴿ الباب السابع في صفة المآرب التي كانت فيها لموسى ﴾

قال أهل العلم بأخبار الماضين كان لعصا موسى شعبتان ومحجن في أسفل الشعبتين وسنان حديد في أسفلها وكان موسى اذا دخل مفازة ليلا ولم يكن قمر تضيء شعبتاها كالشمعتين من نار تضيئان له مد البصر وكان اذا أعوزه الماء دلاها في البئر فتمتد على قعر البئر و يصير في رأسها شبه الدلو فيستقي بها واذا احتاج الى الطعام ضرب الأرض بها فيخرج ما يأكل يومه وكان اذا اشتهى فاكهة من الفواكه غرسها في الارض فتخرج أغصان تلك الشجرة التي اشتهى موسى فاكهتها وأثمرت له من ساعتها ويقال كانت عصا موسى من اللوز وكان اذا جاع ركزها في الارض فأورقت وأثمرت وأطعمت وكان يأكل منها اللوز وكان اذا قاتل بها عدوه يظهر على شعبتيها تنينان يقتتلان وكان يضرب بها على الجبل الوعر الصعب المرتقى وعلى الحجر والشوك فتفرج له الطريق وكان اذا أراد عبور نهر من الانهار بلا سفينة ضرب بها عليه فانفلق و بدا له فيه طريق منفرج وكان يشرب من احدى شعبتيها العسل ومن الاخرى اللبن وكان اذا أعيا في طريقه ركبها فتحمله الى أي موضع شاء من غير ركض ولا تحريك وكانت تدله على الطريق وكانت تقاتل أعداءه عنه وكان اذا طلب منها الطيب فاح منها الطيب فيتطيب و يطيب ثوبه واذا كان في طريق فيه لصوص يخاف الناس جانبهم تكلمه العصا فتقول له خذ جانب كذا وكذا ولا تأخذ حيث كذا وكذا وكان يهش بها على غنمه و يدفع بها السباع عنها والحشرات والحيات واذا سافر وضعها على عاتقه وعلق عليها جهازه ومتاعه ومخلاته ومقلاعه وكساءه وطعامه وشرابه قال ابن حبان قال شعيب لموسى حين زوجه ابنته وسلم اليه أغنامه يرعاها اذهب بهذه الاغنام فاذا بلغت مفرق الطريق فخذ على يسارك ولا تأخذ على يمينك وان كان الكلأ بها أكثر فان هنالك تنينا عظيما أخشى عليك وعلى الاغنام منه فذهب موسى بالاغنام حتى اذا بلغ مفرق الطريق أخذت الاغنام ذات اليمين فاجتهد موسى أن يصرفها ذات الشمال فلم تطعه فخلاها على ما تريده ثم نام موسى والاغنام ترعى واذا التنين قد جاء فقامت العصا فحاربته فقتلته وأتت فاستلقت الى جانب موسى وهي دامية فلما استيقظ موسى رأى العصا دامية والتنين مقتولا فعلم موسى أن في تلك العصا قدرة وعرف أن لها شأنا فهذه مآرب موسى اذا كانت في يده وأما اذا ألقاها فيرى أنها كانت تنقلب حية كأعظم ما يكون من الثعابين سوداء مدلهمة تدب على أربع قوائم فتصير شعبتاها فاها وفيه اثنا عشر نابا وضرس لها صريف وصرير يخرج منها لهب النار و يصير محجنها عرفا لها كأمثال النار تلتهب وعيناها تلمعان كما يلمع البرق تهب منها رياح السموم فلا تصيب شيأ الا أحرقته تمر بالصخرة مثل الناقة الكوماء فتبتلعها حتى ان الصخور في جوفها لتقعقع وتمر بالشجرة فتقصمها بأنيابها وتحطمها وتبتلعها وجعلت تتلمظ وتتبرم كأنها تطلب شيأ تأكله وكانت تكون في عظم الثعبان وفي خفة الجان ولين الحية وذلك موافق لنص القرآن حيث يقول الله تعالى في موضع فاذا هي ثعبان مبين وفي موضع آخر كأنها جان وفي موضع آخر فاذا هي حية تسعى

﴿ الباب الثامن في ذكر خروج موسى عليه السلام من مدين وتكليم الله اياه في الطريق وارساله الى فرعون واستعانته بأخيه هرون وكيفية ذهابهما الى فرعون لتبليغ الرسالة ﴾

قال الله عز وجل فلما قضى موسى الاجل الآية قالت العلماء بسير الانبياء لما ورد موسى أرض مدين وأتى عليه من يوم وروده تسع سنين قال له شعيب اني وهبت لك كل بلقاء وابلق من نتاج أغنامي التي تضعها في هذه السنة يعني السنة العاشرة أراد بذلك مبرة موسى وصلة لابنته صفورا امرأة موسى قال فأوحى الله الى موسى أن اضرب بعصاك الماء الذي في مستقى الاغنام ففعل موسى ذلك ثم سقى الاغنام من ذلك الماء فما أخطأت واحدة من تلك الاغنام الا وضعت حملها مرتين ما بين أبلق و بلقاء فعلم شعيب أن ذلك رزق ساقه الله تعالى الى موسى وأهله فوفى موسى بشرطه وسلم اليه الاغنام التي وهبها منه وقضى موسى أتم الاجلين وأوفاهما فلما قضى موسى الاجل وسار بأهله منفصلا من أرض مدين وكان في أيام الشتاء ومعه امرأته وأغنامه وهي في شهرها لا تدري أتضع ليلا أو نهارا فانطلق في برية الشام عادلا عن المدائن والعمران مخافة الملوك الذين كانوا بالشام وكان أكبر همه يومئذ

ذلك فأخذته المرأة ودعت له بالاسلام وذهبت الى بناتها فاشترت لهن بدينار من ألوان الطعام ودخلت اليهن فأكلوا وشبعوا ثم قالت اللهم ارزقه من نعمائك في الجنة ثم فصلت لبناتها من ألوان الثياب قال فلما كان الليل رأى القاضي في منامه كأن القيامة قد قامت ثم أخذ القاضي ومضى به الى الجنة وجيء به الى قصر عالي البناء وهو من ذهب أحمر شراريفه من الدر الابيض يضيء بين كل شرافتين جارية من الحور العين أشرق من الشمس وأبهى من القمر فلما رأوه صاحوا في وجهه وقالوا يا محروم كنا لك كلنا وكان لك هذا القصر وهذه الجنة بما فيها من النعيم المقيم والآن صرنا لسيدوك النصراني ثم طردوا القاضي وأخرجوه من الجنة وأروه مقامه في النار فانتبه القاضي فزعا مرعوبا وهو يقول يا ويلتاه على ما فرط مني ثم خرج من وقته مسرعا حتى جاء الى بيت سيدوك النصراني وطرق عليه الباب فخرج له غلام من غلمان سيدوك النصراني وقال من بالباب فقال القاضي فرجع الغلام وأخبر مولاه أن القاضي بالباب فأذن له بالدخول فدخل فلما رآه سيدوك رحب به وأجلسه وقال ماحاجتك في هذا الليل فقال له القاضي هل عملت من خير في هذه الليلة فقال سيدوك اني بت في هذه الليلة سكران

طلب

طلب أخيه هرون واخراجه من مصر ان استطاع اليه سبيلا فسار موسى فى البرية غير عارف بطرقها فالجأه المسير الى جانب الطور الايمن الغربى فى عشية شاتية شديدة البرد وأظلم عليه الليل وأخذت السماء ترعد وتبرق وتمطر وأخذ امرأته الطلق فعمد موسى الى زنده فقدحه فلم ينور فتحير وقام وقعد اذلم يكن له عهد بمثل ذلك فى الزند وأخذ يتأمل ماقرب ومابعد تحيرا وضجرا ثم أخذ يتسمع طويلا هل يسمع حسا أو حركة فبينماهو كذلك اذآنس من جانب الطور نورا فحسبه نارا فقال لاهله امكثوا انى آنست نارا لعلى آتيكم منها بقبس أو أجد على النار هدى يعنى من يدلنى على الطريق وكان قد ضل الطريق فلما أتاها رأى نورا عظيما ممتدا من عنان السماء الى شجرة عظيمة هنالك واختلفوا فى تلك الشجرة ما كانت فقيل العوسجة وقيل العناب فتحير موسى وارتعدت فرائصه حيث رأى نارا عظيمة ليس لها دخان وهى تلتهب وتشتعل من جوف شجرة خضراء لاتزداد النار الاعظما ولا تزداد الشجرة الاخضرة فلما دنا موسى منها استأخرت عنه فلما رأى ذلك رجع عنها وخاف ثم ذكر حاجته الى النار فرجع اليها ودنت منه فنودى من شاطئ الوادى الايمن فى البقعة المباركة من الشجرة أن ياموسى فنظر فلم ير أحدا فنودى انى أنا الله رب العالمين فلما سمع ذلك علم أنه ربه تعالى فناداه ربه أن ادن واقرب فلما قرب وسمع النداء ورأى تلك الهيبة خفق قلبه وكل لسانه وضعفت بنيته وصار حيا كميت الا أن روح الحياة تتردد فيه من غير حراك وأرسل الله اليه ملكا يشد ظهره ويقوى قلبه فلما ثاب اليه عقله نودى فاخلع نعليك انك بالوادى المقدس طوى وكان السبب فى أمره بخلع نعليه ما أخبرنا حامد بن عبد الله الاصبهانى قال حدثنا يحيى السدى قال حدثنا أحمد ابن نجدة قال حدثنا الجمالى قال حدثنا عيسى بن يونس عن حميد عن عبد الله بن مسعود عن النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله فاخلع نعليك قال كانتا من جلد حمار ميت وفى بعض الاخبار غير مدبوغ (وقال مجاهد وعكرمة) انما قال فاخلع نعليك كى تمس راحة قدميه الارض الطيبة فتناله بركتها لانها قدست مرتين وقال سعيد بن جبير انما قال له ذلك لان الحفوة من أمارات التواضع والاحترام فقيل له طأ الارض حافيا كما تدخل الكعبة لتحصل من بركة الوادى وقال أهل الاشارة النعل عبارة عن المرأة وذلك تأويله فى المنام فقيل له فرغ قلبك من شغل أهلك ثم قال تعالى تسكينا لقلبه واذهابا للدهشة وما تلك بيمينك ياموسى قال هى عصاى الآية فقال الله تعالى ألقها ياموسى فالقاها فاذا هى حية تسعى قد صارت شعبتاها فماو محجنها عرفا فى ظهرها وهى تهتز لها أنياب وهى كما شاء الله أن تكون فرأى موسى أمرا فظيعا فولى موسى مدبرا ولم يعقب فناداه ربه تعالى أن ياموسى أقبل ولا تخف انك من الآمنين سنعيدها سيرتها الاولى أى نردها عصا كما كانت ويقال ان الحكمة فى أمر الله تعالى اياه بالقاء العصا قبل أن يصل الى فرعون لكى لايفزع منها موسى اذا رآها على تلك الحالة عند فرعون فلما أقبل موسى قال له خذها اذ كانت عصاك ولاتخف لانه كان ادعى الملك فقال هى عصاى فنبه على ذلك وكان على موسى جبة من صوف فلف كمه على يده وهو لها هائب فنودى أن احسر يدك فحسر كمه عن يده ثم أدخل يده تحت لحييها فلما أدخل يده قبض فاذا هى عصاه فى يده ويده بين شعبتيها حيث كان يضعها ثم قال له أدخل يدك فى جيبك تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى وانما قال فى جيبك لانه لم يكن لملبوسه كم واسع فضاق عليه فادخل يده فى جيبه ثم أخرجها فاذا هى نور تلتهب يكل عنه البصر ثم ردها فخرجت كما كانت على لون يده فقال الله تعالى فذانك برهانان من ربك الى فرعون وملئه الآية ثم قال له اذهب الى فرعون انه طغى فقال موسى رب انى قتلت منهم نفسا فأخاف أن يقتلون وأخى هرون هو أفصح منى لسانا الى قوله يكذبون فقال له ياموسى انى أوقفتك موقفا لا أجعل بعده لاحد عليك سلطانا دونى ولا ينبغى لمن بعدك أن يسمع كلامى وأنت فى أقرب الاماكن منى وعلى موسى يومئذ مدرعة من صوف قد خللها بخلال وجبة من صوف وثياب من صوف وقلنسوة من صوف والله تعالى يكلمه ويمهد اليه ويقول له ياموسى انطلق برسالتى وأنت بعينى وسمعى ومعك قوتى وبصرى بعثتك الى خلق ضعيف من خلقى بطر نعمتى وأمن مكرى وعبد دونى وغرته الدنيا حتى جحد حقى وأنكر ربوبيتى وزعم انه لايعرفنى وانى أحلف بعزتى وجلالى لولا الحجة والقدرة اللتان جعلتهما بينى وبين خلقى لبطشت به بطشة جبار يغضب لغضبه السموات والارض والبحار والجبال والشجر والدواب فلو أذنت للسماء لحصبته وللارض لابلعته وللجبال لدكدكته وللبحار لغرقته ولكن سقط من عينى وهان على وصغر عندى ووسعه حلمى وأنا الغنى

فمن أين لى فعل الخير قال فلم يصدقه القاضى وقال انى عملته فى هذه الليلة بعينه بألف دينار فقال سيدوك حريصا على هذه القضية أخبرنى حتى أبيعك قال فأخبره القاضى بما رآه فى منامه وما وقع من القاضى فلما سمع سيدوك النصرانى هذه الرؤيا وثب قائما على قدميه واغتسل ولبس ثيابا جديدة وجلس بين يدى القاضى وقال امدد يدك فانى أشهد أن لا اله الا الله وحده لاشريك له وأشهد أن محمدا رسول الله أرسله جاءنا بالهدى ودين الحق قال فخرج القاضى من عنده باكيا حزينا فانظر ياأخى الى البخل كيف جعل القاضى من أهل النار لبخله وجعل النصرانى من أهل الجنة بكرمه وختم له بالخير والاسلام ما أعجب هذا وما أحسنه

﴿وحكى عن ذى النون المصرى رضى الله تعالى عنه﴾ أنه قال بينما أنا أمشى على شاطئ النيل اذ رأيت عقربا يمشى فأخذت حجرا وأردت قتله فهرب منى مسرعا حتى وقع فى البحر فخرجت اليه ضفدعة فوثب العقرب على ظهرها ثم عامت به حتى للعت الى الجانب الآخر وأنا أنظر اليها فتعجبت من ذلك وتبعته فلما نزل العقرب عن ظهرها سار حتى أتى الى مكان فيه رجل نائم سكران وقد أتى اليه تنين عظيم يريد أن يلدغه فأسرع اليه ذلك العقرب ولدغ التنين فقتله فازددت تعجبا ثم حمدت الله سبحانه وتعالى وجئت

عنه وعن جميع خلقى وحق ذلك لى وأنا خالق الغنى والفقير لاغنى الا من أغنيته ولا فقير الا من أفقرته فابلغه رسالتى وادعه الى عبادتى وتوحيدى والاخلاص لى وحذره نقمتى وبأسى وذكره آياتى وأعلمه انه لايقوم لغضبى شئ وقل له فيما بين ذلك قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى ولا يهولنك ما ألبسته من لباس الدنيا فان ناصيته بيدى ولا يطرف ولا ينطق ولا يتنفس عن شئ الا بعلمى وأخبره بانى من العفو والمغفرة أسرع منى الى الغضب والعقوبة وقل له أجب ربك فانه واسع المغفرة وقد أمهلك فى طول هذه المدة وفى كلها تدعى الربوبية دونه وتصد عن عبادته وفى كل ذلك يمطر عليك السماء وينبت لك الارض ويلبسك العافية حتى لم تهرم ولم تسقم ولم تفتقر ولم تغلب ولو شاء لعاجلك بالنقمة ولسلبك ما أعطاك ولكنه ذو حلم عظيم ثم أمسك الكلام عن موسى سبعة أيام بلياليها ثم قيل له بعد سبع ليال أجب ربك ياموسى فيما كلمك فقال رب اشرح لى صدرى الى قوله تعالى بصيرا فقال الله تعالى قد أوتيت سؤلك ياموسى فجاهد بنفسك وأخيك وكان قد خطر فى قلب موسى ان فرعون فى بأس عظيم وجند كثير وأنا وأخى وحيدان فريدان فقال الله تعالى له انكما جندان عظيمان من جندى وأنا معكما أسمع وأرى وأبصركما وأكون معكما فلا تستضعفان ولا تستقلان ولو شئت أن آتيه بجنود لاقبل له بها فعلت ولكن ليعلم ذلك الشقى الضعيف الذى قد أعجبته نفسه وجنوده ان الفئة القليلة ولا قليل منى تغلب الفئة الكثيرة باذنى ولا يعجبنكما زينته ولا ما متع به ولا تمدا الى ذلك أعينكما فانها زهرة الحياة الدنيا وزينة المترفين ولو شئت أن أزينكما من زينة الدنيا وبهجتها ما يبهت فرعون وملاه اذا نظر اليها ويعلم ان مقدرته تعجز عما آتيتكما فعلت فلا تأسفا عما أزويه عنكما من متاع الدنيا وزينتها فان ذلك دأبى فى أوليائى وأصفيائى أذودهم عن نعيم الدنيا ولذاتها كما يذود الراعى الشفيق غنمه عن المراتع الرديئة لكى تستكملوا نصيبكم من كرامتى فى الآجل واعلم انه لايتزين أحد من عبادى بزينة هى أبلغ من الزهد فى الدنيا وهى زينة الابرار ويقال ان الله تعالى كلمه فى تلك المدة مائة ألف كلمة وأربعة عشر ألف كلمة يقول له مع كل كلمة قتلت نفسا بغير حق (وقيل) لموسى عليه السلام بم عرفت ان الله تعالى هو الذى كلمك فقال لان كلام المخلوق انما يسمع من جهة واحدة بحاسة واحدة وهى السمع وانى كنت أسمع كلام الله تعالى من جميع الجهات بجوارحى كلها فعرفت أنه كلام الله تعالى (قالوا) ولما صعد موسى الجبل لمناجاة الله تعالى صار الجبل عقيقا فلما نزل موسى عنه عاد الى حالته الاولى فلما رجع موسى شيعته الملائكة وكان قلب موسى مشغولا بولده وأراد أن يختنه فامر الله تعالى ملكا فديده ولم تزل قدمه عن موضعها حتى جاء به الملك ملفوفا فى خرقة وناوله الى موسى فأخذ حجرين فلك أحدهما بالآخر حتى حدده كالسكين من الحديد فختن به ابنه ثم ان الملك عالج المقطوع من المختون فتفل فيه فبرأ من ساعته باذن الله تعالى ثم ان الملك رده الى موضعه الذى جاء به منه ولم يزل أهل موسى مقيمين فى ذلك المكان لايدرون مافعل موسى حتى مر بهم راع من أهل مدين فعرفهم فاحتملهم وردهم الى مدين فكانوا عند شعيب حتى بلغهم خبر موسى بعد ما فلق البحر وجاوز ببنى اسرائيل وأغرق الله فرعون فبعث بهم شعيب الى مصر لموسى قالوا وخرج موسى من فوره ذلك لما بعثه الله الى مصر لاعلم له بالطريق وكان الله تعالى يهديه ويدله وليس معه زاد ولا سلاح ولا حمولة ولا صاحب له ولا شئ من الاشياء غير العصا ومدرعة صوف وقلنسوة صوف ونعلين وكان يظل صائما ويبيت قائما ويستعين بالصيد وبقول الارض حتى ورد مصر فلما قرب من مصر أوحى الله تعالى اليه لاتخف ولا تجزع ثم أوحى الله تعالى الى أخيه هرون يبشره بقدوم موسى ويخبره أنه قد جعله وزيرا له ورسولا معه الى فرعون وأمره أن يمر يوم السبت غرة ذى الحجة متنكرا الى شاطئ النيل ليلتقى بموسى تلك الساعة قال فخرج هرون وأقبل موسى فالتقيا على شاطئ النيل قبل طلوع الشمس واتفق انه كان يوم ورود الاسد الماء وكانت لفرعون أسد تحرسه فى غيضة محيطة بالمدينة من حواليها وكانت ترد الماء غبا وكان فرعون اذ ذاك فى مدينة حصينة عليها سبعون سورا وكان بين كل سورين بستانان وأنهار ذات مزارع وأرض واسعة فى ربض لكل سور سبعون ألف مقاتل ومن وراء تلك المدينة غيضة تولى فرعون غرسها بيده وعمل فيها وسقاها بالنيل وأسكنها الاسد فتناسلت وتوالدت حتى كثرت ثم اتخذها جندا من جنوده تحرسه وجعل خلال تلك الغيضة طرقا تفضى بمن سلكها الى أبواب المدينة معلومة ليس لتلك الابواب طرق غيرها فمن أخطأها وقع فى تلك الغيضة فأكله الاسود وكانت الاسود اذا وردت النيل ظلت عليه يومها كله ثم تصدر مع الليل قال فلما

الى ذلك الرجل وأيقظته فقام من نومه فزعا مرعوبا فلما رأى الثعبان ولى هاربا فقلت له لاتخف قد كفيت شره ثم قصصت عليه القصة فأطرق رأسه ساعة ثم رفعها وقال يارب هكذا تفعل بمن عصاك فكيف بمن أطاعك ثم قال وعزتك وجلالك ماعصيتك بعد هذا اليوم أبدا ثم ولى تائبا الى الله تعالى رحمة الله تعالى عليه

﴿وحكى عن ذى النون المصرى أيضا رضى الله تعالى عنه﴾ أنه قال بينما أنا طائف بالبيت الحرام سنة من السنين اذ نظرت الى شاب فى الطواف من أحسن الناس وجها وعليه مدرعة من الصوف وهو يضحك فى طوافه ويقول يامولاى هذه حضرة من يفتخر بعزك ولا يأنس بسواك قال ذو النون فدنوت منه وسلمت عليه وقلت حبيبى ومن الذى تعنى بهذا الكلام وانه يفتخر فقال ياعم انظر الى صاحب هؤلاء العبيد والغلمان قال فنظرت فاذا بشاب جميل وهو يمشى ويتبختر فى مشيه وأثوابه تجر على الارض فقلت له ياحبيبى ومن يكون هذا الشاب فقال ياعم هذا عبد الامير مكة يفتخر بكونه عبدا لامير مكة فكيف لاأفتخر وأنا عبد الملك المتعال الذى أمير مكة عبده والسلاطين وأهل السموات والارض تحت قضائه وقدره قال ذو النون فدنوت من ذلك الشاب المعجب

التقى

التقى موسى بهرون كان يوم ورودها فلما رأتهما الاسد مدت أعناقها ورؤسها اليهما وشخصت بأبصارها نحوهما وقذف الله فى قلوبهم الرعب فانطلقت نحو الغيضة مسرعة هاربة على وجوهها يطأ بعضها بعضا حتى اندست فى الغيضة وكان لها ساسة يسوسونها ويدودونها أى يغرونها ويسلطونها على الناس فلما أصابها ما أصابها خاف ساستها من فرعون ولم يشعروا من أين أوتوا ثم ان موسى وهرون انطلقا فى تلك الغيضة حتى وصلا الى باب المدينة الاعظم الذى هو أقرب أبوابها الى منزل فرعون وكان منه يدخل ويخرج وذلك ليلة الاثنين بعد هلال ذى الحجة بيوم فأقاما عليه سبعة أيام فكلمهما واحد من الحراس وقال لهما هل تدريان لمن هذا الباب فقال موسى ان هذا الباب والارض كلها وما فيها لرب العالمين وأهلها عبيد له فسمع ذلك الرجل كلاما لم يسمع مثله قط ولم يظن ان أحدا من العالمين يفصح بمثله فلما سمع الرجل ما سمع أسرع الى كبرائه الذين فوقه وقال لهم سمعت اليوم قولا وعاينت عجبا من رجلين هما عندى أعظم وأشنع وأفظع مما أصابنا فى الاسد وما كانا يقدران أن يقدما على ما قدما عليه الا بسحر عظيم وأخبرهم بالقصة فلم يزل ذلك الخبر يتداول بينهم حتى انتهى الى فرعون قال السدى باسناده سار موسى بأهله نحو مصر حتى أتاها ليلا فتضيف أمه وهى لا تعرفه فأتاها فى ليلة كانوا يأكلون فيها الطفيشل فنزل فى جانب الدار فجاء هرون فلما أبصر ضيفه سأل عنه أمه فأخبرته أنه ضيف فدعاه فأكل معه فلما قعدا وتحدثا سأله هرون من أنت فقال أنا موسى فقام كل واحد منهما الى صاحبه فاعتنقه فلما تعارفا قال له موسى يا هرون انطلق معى الى فرعون فان الله تعالى قد أرسلنا اليه فقال له هرون سمعا وطاعة فقامت أمهما وصاحت وضجت وقالت أنشدكما الله أن لا تذهبا الى فرعون فيقتلكما فأبيا عليها ومضيا لامر الله تعالى فانطلقا اليه ليلا فأتيا الباب والتمسا الدخول عليه ليلا فقرعا الباب ففزع فرعون وفزع البواب وقال فرعون من هذا الذى يضرب بابى فى هذه الساعة فأشرف عليهما البواب وكلمهما فقال له موسى انى أنا رسول رب العالمين ففزع البواب وأتى فرعون وأخبره بما سمع وقال له ان هنا انسانا مجنونا يزعم أنه رسول رب العالمين وقال ابن اسحق خرج موسى لما بعثه الله تعالى حين قدم مصر على باب فرعون هو وأخوه هرون يلتمسان الاذن عليه وهما يقولان انا رسول رب العالمين فمكثا فيما بلغنا سنتين يغدوان الى بابه ويروحان وفرعون لا يعلم بهما ولا يجترئ أحد أن يخبره بشأنهما حتى دخل عليه بطال له يلعب معه ويضحكه فقال له أيها الملك ان على بابك رجلين يقولان قولا عجيبا يزعمان أن لهما الها غيرك فقال فرعون أدخلوهما فأدخل موسى ومعه هرون عليهما السلام

﴿ الباب التاسع فى ذكر دخول موسى وهرون على فرعون ﴾

قال الله تعالى فائتيا فرعون فقولا انا رسول رب العالمين وقال تعالى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى ﴿ وروى ﴾ عمرو بن عبيد عن الحسن البصرى فى هذه الآية قال قال لهما أعذرا اليه لعله يتذكر أو يخشى فقولا له ان لك ربا ومعادا وان بين يديك جنة ونارا لعله عند ذلك يتذكر أو يخشى وعيدكما وهو عندى لا يتذكر ولا يخشى قال لكى لا يقول أهلكته قبل أن أعذر اليه قال فلما أذن فرعون لموسى وهرون دخلا عليه فلما وقفا عنده دعا موسى بدعاء وهو لا اله الا الله الحليم الكريم لا اله الا الله العلى العظيم سبحان رب السموات السبع والارضين السبع وما فيهن وما بينهن ورب العرش العظيم وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين اللهم انى أدرأ بك فى نحره وأعوذ بك من شره وأستعين بك عليه فاكفنيه بما شئت قال فتحول ما فى قلب موسى من الخوف أمنا وكذلك كل من دعا بهذا الدعاء وهو خائف أمن الله خوفه ونفس كربته وهون عليه سكرات الموت ثم ان فرعون قال لموسى من أنت فقال أنا رسول رب العالمين فتأمله فرعون فعرفه فقال له ألم نربك فينا وليدا ولبثت فينا من عمرك سنين وفعلت فعلتك التى فعلت وأنت من الكافرين معناه على ديننا هذا الذى هو الآن بعينه قال موسى فعلتها اذا وأنا من الضالين أى من المخطئين ولم أرد بذلك القتل ففررت منكم لما خفتكم فوهب لى ربى حكما وجعلنى من المرسلين ثم أقبل موسى ينكر عليه ما ذكره من يده عليه فقال وتلك نعمة تمنها على ان عبدت بنى اسرائيل أى اتخذتهم عبيدا تنتزع أبناءهم من أيديهم فتسترق من شئت وتقتل من شئت أى انما صيرنى اليك ذلك قال فرعون وما رب العالمين قال رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين قال فرعون لمن حوله من ملئه ألا تستمعون انكار المقالة موسى قال موسى ربكم ورب آبائكم الاولين قال فرعون ان رسولكم الذى أرسل اليكم لمجنون يعنى ما هذا بكلام رجل صحيح العقل اذ يزعم أن لكم الها غيرى قال موسى رب المشرق والمغرب وما بينهما

نفسه وقلت له ياهذا كم تبتختر وأنت عبد لأمير مكة وهذا الشاب متأخر وهو عبد مالك السموات والارض ويحك تأخر عنه فهو أحق بالتقدم منك فطوبى لك لو كنت مثله قال فطاف الشاب صاحب المدرعة الصوف وطاف الشاب الآخر وذهب الى بيته وقد أثرت فيه الموعظة فاشترى نفسه من سيده أمير مكة وتصدق بجميع ما معه وما تملكه يده ولبس مثل ما كان على الشاب صاحبه المدرعة الصوف وأقبل يطوف بالبيت فى اليوم الثانى قال ذو النون فلما رآنى قال ياسيدى أما تعرفنى فقلت من أنت يرحمك الله قال أنا الذى كنت بالامس أفتخر بعبودية أمير مكة فأنا اليوم أفتخر بعبودية ملك السموات والارض ثم قال ياسيدى أترى مولاى يقبلنى على ما كان منى من تلك الذنوب قال ذو النون فقلت نعم أبشر فانك اليوم حبيب رب العالمين أما علمت انه ملك يدعو المدبرين عنه فكيف بالمقبلين عليه فقال الشاب الآن طيبت قلبى بعد ما كان انصدع فجزاك الله عنى خيرا قال ذو النون فلما كان اليوم الثالث طلبته فلم أجده فسألت عنه فقال لى رجل امض معى الى بيته فمضيت معه الى بيت الشاب فوجدته قد مات فأسفت عليه أسفا شديدا وسألت عنه وقيل

ان كنتم تعقلون ثم قال فرعون لموسى لئن اتخذت الهاً غيرى لاجعلنك من المسجونين قال أولو جئتك بشيء مبين تعرف به صدقى وكذبك وحقى و باطلك قال فرعون فائت به ان كنت من الصادقين فألقى موسى عصا. فاذا هى ثعبان مبين فاتحة فاها قد ملأت ما بين جانبى القصر واضعة لحيها الاسفل فى الارض والاعلى على سور القصر حتى رأى بعض من كان خارجاً من مدينة مصر رأسها ثم توجهت لنحو فرعون تأخذه فانفض منها الناس وذعر منها فرعون ووثب عن سريره وأحدث حتى قام من بطنه فى يومه ذلك أربعين مرة وكان فيما يزعمون لا يسعل ولا يتمخط ولا يتصدع رأسه ولا تصيبه آفة مما يصيب الناس وما كان يقوم الا فى كل أربعين يوما مرة واحدة وكان أكثر ما يأكل الموز لانه لا يكون له ثقل فيحتاج الى القيام وكانت هذه الاشياء مما زين له ان قال ما قال لانه ليس له من الناس شبيه (قالوا) فلما قصدته الحية صاح ياموسى أنشدك بالله وحرمة الرضاع الا ما أخذتها وأمسكتها عنى وأنا أومن بك وأرسل معك بنى اسرائيل فأخذها موسى فعادت عصا كما كانت ثم ان موسى نزع يده من جيبه فأخرجها فقال له فرعون هذه يدك فما فيها فأدخلها موسى فى جيبه ثم أخرجها ولها نور ساطع فى السماء تكل عنه الابصار قد أضاء ما حولها ودخل ضوؤها البيوت ورؤى فى الكوى ومن وراء الحجب فلم يستطع فرعون النظر اليها ثم ردها موسى الى جيبه ثم أخرجها فاذا هى على لونها الاول قالوا فهم فرعون بتصديقه فقام اليه هامان وجلس بين يديه ثم انه قال له بينما أنت اله تعبد اذ أنت تابع لعبد فقال فرعون لموسى أمهلنى اليوم وغدا فأوحى الله لموسى أن قل لفرعون انك ان آمنت بالله وحده عمرتك فى ملكك ورددتك شابا طريا فاستنظره فرعون فلما كان من الغد دخل اليه هامان فأخبره فرعون بما وعده موسى من ربه فقال له هامان والله ما تعدل هذا عبادة هؤلاء لك يوما واحدا ونفخ فى منخره ثم قال له هامان أنا أردك شابا فأتى بالوشم فخضبه به فهو أول من خضب بالسواد فلذلك كرهه صلى الله عليه وسلم ونهى عنه فلما دخل عليه موسى ورآه على تلك الحالة هاله ذلك فأوحى الله تعالى اليه لا يهولنك ما رأيت فانه لن يلبث الا قليلا حتى يعود الى حالته الاولى (وفى بعض الروايات) ان موسى وهرون لما انصرفا من عند فرعون أصابهما مطر فى الطريق فأتيا على عجوز من أقرباء أمهما وكان فرعون وجه الطلب فى أثرهما فلما دخل عليهما الليل ناما فى دارها وجاء الطلب الى الباب والعجوز منتبهة فلما أحست بهم خافت عليهما فخرجت العصا من جانب الباب والعجوز تنظر اليها فقاتلتهم فقتلت منهم سبعة أنفس ثم عادت ودخلت الدار فلما انتبه موسى وهرون أخبرتهما العجوز بقصة الطلب ونكاية العصا فيهم ثم ان العجوز آمنت بهما وصدقتهما

﴿الباب العاشر فى قصة موسى وهرون مع فرعون والسحرة وخروجهم يوم الزينة الى الفضاء للمغالبة﴾

قالت العلماء بأخبار الانبياء ان موسى وهرون عليهما السلام وضع فرعون أمرهما وما أتيا به من سلطان الله تعالى على السحر فقال للملأ حوله ان هذان لساحران عليمان فماذا تأمرون قالوا اقتلهما فقال العبد الصالح حزقيل مؤمن آل فرعون أتقتلون رجلا أن يقول ربى الله الى قوله تعالى سبيل الرشاد وقال الملأ من قوم فرعون أرجئه وأخاه وابعث فى المدائن حاشرين يأتوك بكل سحار عليم وكانت لفرعون مدائن فيها سحرة معدة للامر اذا حزبه (وقال ابن عباس) قال فرعون لما رأى من سلطان الله تعالى فى اليد والعصا ما رأى انا لا نغالب موسى الا بمن هو مثله فأخذ غلمانا من بنى اسرائيل فبعث بهم الى قرية يقال لها الفرقاء يعلمونهم السحر كما يعلمون الصبيان فى الكتاب فعلموهم سحرا كثيرا ثم ان فرعون واعد موسى موعدا ثم بعث الى السحرة فجىء بهم ومعهم معلمهم فقال له ماذا صنعت فقال له معلمهم قد علمتهم سحرا عظيما كبيرا لا تطيقه سحرة الارض الا أن يكون أمرا من السماء فانهم لا طاقة لهم به ثم ان فرعون بعث الى الشرطة فى مملكته فلم يتركوا فى مملكته ساحرا الا أتوا به واختلفوا فى عدد السحرة الذين جمعهم فرعون فقال مقاتل كانوا اثنين وسبعين ساحرا غير رؤسهم وكان الذى يعلمهم السحر رجلين مجوسيين من أهل نينوى (وقال) كعب كانوا اثنى عشر ألفا وقال السدى كانوا بضعة وثلاثين ألفا وقال عكرمة سبعين ألفا وقال محمد بن المنكدر ثمانين ألفا والجامع لهذه الاقاويل ما روى أن فرعون جمع السحرة وهم سبعون ألفا فاختار منهم سبعة آلاف ليس فيهم الا من هو ساحر ماهر ثم اختار منهم سبعمائة ثم اختار منهم سبعين من كبارهم وعلمائهم قال مقاتل وكان اسم رأس السحرة شمعون وقال ابن جريج يوحنا

لى انه دخل بيته أمس ولزم محرابه و بكى على نفسه طول ليلته هذه فأصبح كما ترى قال ذو النون وعظناه فأصلحنا أمره ولم يبق أحد بمكة حتى حضر جنازته من الرجال والنساء والولدان بغير داع لهم وخرجوا يشيعون جنازته فلما دفناه وانصرفنا من عنده أخذنى البكاء والنحيب عليه فلما كان الليل رأيته فى المنام وهو فى أحسن صورة وعليه ثياب من السندس والاستبرق فلما رآنى قام الىّ واعتنقنى وقال ياسيدى أما تعرفنى قلت بلى مافعل الله بك قال غفر لى وتجاوز عنى وقال ياعبدى هذه جنتى وقد أبحتها لك فدونك ماشئت فأنا اليوم فى مقعد صدق عند مليك مقتدر اللهم انفعنا به وبعبادك الصالحين آمين (وحكى عنه أيضا رضى الله تعالى عنه) أنه قال ركبت فى مركب سنة من السنين الى بيت الله الحرام وكانت معى زوجتى وكانت حاملا فبينما نحن سائرون اذ كسرت بنا المركب فنجوت أنا وزوجتى على لوح من ألواح السفينة فبينما نحن على ذلك اللوح اذ بها قد ولدت غلاما فصاحت بى يارجل أدركنى فانى عطشانة فقلت ماترين حالنا وما نحن فيه من الغرق ثم رفعت بصرى الى السماء

وقال

وقال عطاء كان رأس السحرة بأقصى مدائن الصعيد وكانا أخوين فلما جاءهما رسول فرعون قالا لأمهما دلينا على قبر أبينا فدلتهما عليه فأتياه وصاحا باسمه فأجابهما فقالا له ان الملك وجه الينا رسولا لنقدم عليه لأنه أتاه رجلان ليس معهما سلاح ولا رجال ولهما عز ومنعة وقد ضاق الملك ذرعا من عزهما ومنعتهما ومعهما عصا اذا ألقياها لا يقوم لها شيء حتى تبلع الحديد والخشب والحجارة فأجابهما أبوهما وقال انظرا اذا هما ناما فان قدرتما أن تسلا العصا فسلاها فان الساحر لا يعمل سحره وهو نائم فان عملت العصا وهما نائمان فذلك أمر رب العالمين لا طاقة لكم به ولا للملك ولا لجميع أهل الدنيا ثم انهما أتياهما في خفية وهما نائمان ليأخذا العصا فقصدتهما العصا قال ثم انه وعد موسى غدوة يوم الزينة وكان يوم سوق لهم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان يوم عاشوراء ووافق ذلك يوم السبت أول يوم من السنة وهو يوم النيروز وكان يوم عيد لهم يجتمع اليه الناس من جميع الآفاق وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم كان مجمعهم بالميقات بالاسكندرية ويقال بلغ ذنب الحية الحجر برقة من وراء البحر يومئذ قالوا ثم ان السحرة قالت لفرعون أئن لنا لأجرا ان كنا نحن الغالبين قال فرعون نعم وانكم اذا لمن المقربين يعني في المنزلة فلما اجتمع السحرة والناس جاء موسى متكئا على عصاه ومعه أخوه هرون حتى أتيا المجمع وفرعون في مجلسه مع أشراف قومه فقال موسى للسحرة حين جاءهم ويلكم لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى فتناجى السحرة فيما بينهم فقال بعضهم لبعض ما هذا بقول ساحر فذلك قوله تعالى فتنازعوا أمرهم بينهم وأسروا النجوى فقالت السحرة لنأتينك اليوم بسحر لم تر مثله وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون وكانوا قد جاؤا بالعصي والحبال يحملها ستون بعيرا فلما أبوا الا الاصرار على السحر قالوا لموسى اما أن تلقي واما أن نكون نحن الملقين قال لهم موسى بل ألقوا أنتم حبالكم وعصيكم فألقوا فاذا هي حيات كأمثال الجبال قد ملأت الوادي يركب بعضها بعضا تسعى فذلك قوله تعالى يخيل اليه من سحرهم أنها تسعى الى قوله تعالى خيفة موسى فقال موسى والله انها كانت لعصيا في أيديهم ولقد عادت حيات وما عصاي هذه فلما حدث نفسه بذلك أوحى الله اليه لا تخف انك أنت الأعلى وألق ما في يمينك تلقف ما صنعوا انما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى ففرح موسى ثم انه ألقى عصاه من يده فاذا هي ثعبان مبين كأعظم ما يكون من الثعابين أسود مدلهم يدب على أربع قوائم قصار غلاظ شداد وهو أعظم وأطول من بختي عظيم وله ذنب يقوم عليه فيشرف فوق حيطان المدينة برأسه وعنقه وكاهله لا يضرب بذنبه على شيء الا حطمه وقصمه ويكسر بقوائمه الصخور والصم الصلاب ويطحن كل شيء ويصرم الحيطان والبيوت نفسه نار وله عينان يلتهبان نارا ومنخراه ينفخان سموما وعلى معرفته شعر كأمثال الرماح وصارت الشعبتان له فما سعته اثنا عشر ذراعا وفيه أنياب وأضراس لها فحيح وكشيش وصريف وصرير فلما تعرضت ما ألقت السحرة من حبالهم وعصيهم وهي تخيل في أعين الناس وعين فرعون أنها تسعى جعلت تلقفها وتبلعها واحدا واحدا حتى لم ير في الوادي لا قليلا ولا كثيرا مما ألقوا وانهزم قوم فرعون هاربين منقلبين فتزاحموا وتضاغطوا ووطئ بعضهم بعضا حتى مات منهم يومئذ في ذلك الزحام خمسة وعشرون ألفا وانهزم فرعون فيمن انهزم متخوفا مرعوبا ذاهبا عقله وقد استطلق عليه بطنه من يومه ذلك أربعمائة مرة فصار يحصل له ذلك أربعين مرة في كل يوم وليلة على الدوام الى أن هلك فلما انهزم الناس وعاين السحرة ما عاينوا قالوا لبعضهم لو كان ساحرا ما غلبنا ولا خفي علينا أمره ولو كان سحرا فأين حبالنا وعصينا فألقي السحرة سجدا قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهرون وكان فيهم اثنان وسبعون شيخا قد انحنت ظهورهم من الكبر وكانوا علماء رؤساء وكان رؤس السحرة خمسة نفر سابور وعادور وحفظ وخطط ومصفا وهم الذين آمنوا حين رأوا ما رأوا من سلطان الله تعالى فلما رأى فرعون ذلك أسف وقال لهم متجلدا آمنتم له قبل أن آذن لكم انه لكبيركم الذي علمكم السحر الى قوله تعالى أشد عذابا وأبقى قالوا لن نؤثرك على ما جاءنا من البينات الآية فقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف وصلبهم في جذوع النخل وهو أول من فعل ذلك فأصبحوا سحرة كفرة وأمسوا شهداء بررة ورجع فرعون مغلوبا مهزوما مكسورا ثم أبى الا الاقامة على الكفر والتمادي في الشر فتابع الله عليه الآيات وأخذه وقومه بالسنين الى أن أهلكهم ثم ان موسى عاد راجعا الى قومه والعصا على حالها حية تتبعه وتبصبص حوله وتلوذ به كما يلوذ الكلب الألوف بصاحبه والناس ينظرون اليها ويتعجبون منها وقد ملئوا رعبا فلم تزل العصا على هيئتها الحية

واذا برجل صالح في الهواء وبيده سلسلة من ذهب فيها ركوة من ياقوتة حمراء فيها ماء أشد بياضا من اللبن وأبرد من الثلج وأحلى من العسل فقال لي هناك اشرب فأخذتها منه وأسقيت المرأة وشربت فاذا هي أطيب رائحة من المسك فقلت له من أنت يرحمك الله فقال عبد من عباد الله تعالى فقلت له بم وصلت الى هذه المرتبة فقال تركت هواي لهواه فأسكنني في الهواء ثم غاب عن بصري فلم أره رضي الله تعالى عنه ونفعنا به آمين (وحكي عن بعضهم رضي الله تعالى عنه) أنه قال كان عندنا رجل حداد كان يدخل يده في النار ويخرج بها الحديد المحمى ولم تمسه النار فقصده رجل لينظر صدق ذلك الامر فلما دخل البلد سأل عن الحداد فدل عليه فلما نظر اليه وتأمله رآه يصنع كما وصف له فأمهله الرجل حتى فرغ من صنعته فأتاه وسلم عليه فرد عليه السلام فقال له الرجل اني ضيفك في هذه الليلة فقال له الحداد حبا وكرامة فمضى به الى منزله وتعشى معه وبات هو واياه فلم يزد على فرضه ونام الى الصبح فقال الرجل في نفسه لعله استتر مني في الليلة فبات عنده ثاني ليلة وهو على حاله لا يزيد على الفرض فقال له الرجل يا أخي اني سمعت بما أكرمك به ورأيته باديا عليك

والناس يتحدثون وينظرون اليها ويتصاعقون ويتضاغطون حتى دخل موسى عليه السلام عسكر بني اسرائيل فأخذ برأسها فاذا هي عصا كما كانت أول مرة وشنت الله على فرعون أمره ولم يجد الى موسى سبيلا واعتزل موسى مدينته ولحق بقومه وعسكره وكانوا مجتمعين الى أن صار واظافرين

﴿ الباب الحادي عشر في قصة حزقيل مؤمن آل فرعون وامرأته ومقتله وأولاده رضي الله عنهم أجمعين ﴾

قالت الرواة كان حزقيل من أصحاب فرعون نجارا وهو الذي صنع لام موسى التابوت حين ولدته وألقته في البحر وقيل انه كان خازنا لفرعون قد خزن له مائة سنة وكان مؤمنا مخلصا يكتم ايمانه الى أن ظهر موسى على السحرة فاظهر حزقيل أمره فاخذ يومئذ وقتل مع السحرة صلبا وهو الذي ذكره الله في القرآن في قوله تعالى وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سباق الامم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين حبيب النجار مؤمن آل يس وحزقيل مؤمن آل فرعون وعلى مؤمن آل محمد صلى الله عليه وسلم وهو أفضلهم وأما امرأة حزقيل فانها كانت ماشطة بنات فرعون وكانت مؤمنة من اماء الله الصالحات الا أنها كانت مع بنات فرعون تخدمهن وكان من قصتها ما أخبرنا به بالاسانيد عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما أسري بي مررت برائحة طيبة فقلت لجبريل عليه السلام ما هذه الرائحة قال هذه رائحة ماشطة آل فرعون وأولادها كانت تمشط ذات يوم بنت فرعون فوقع المشط من يدها فقالت بسم الله فقالت بنت فرعون أبي قالت لا بل ربي ورب أبيك فقالت لها لاخبرن بذلك أبي فلما أخبرته دعا بها وبولدها وقال لها من ربك فقالت ان ربي وربك الله فأمر بتنور من نحاس فأحمي وأمر بها وبولدها أن يلقوا فيه فقالت له ان لي اليك حاجة فقال وما هي قالت تجمع عظامي وعظام ولدي فتدفنها قال ولك ذلك لما لك علينا من الحق ثم أمر بأولادها فألقوا واحدا واحدا في التنور حتى اذا كان آخر أولادها ولدا صبيا رضيعا فقال اصبري يا أماه فانك على الحق فالقيت في التنور مع ولدها فسئل ابن عباس فيمن تكلم في المهد فقال تكلم في المهد أربعة عيسى بن مريم وشاهد يوسف وصاحب جريج وهذا الصبي

﴿ الباب الثاني عشر في ذكر آسية بنت مزاحم امرأة فرعون ومقتلها رحمها الله تعالى ﴾

قال الله تعالى وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون يقال ان امرأة فرعون آسية كانت من بني اسرائيل وكانت مؤمنة مخلصة وكانت تعبد الله سرا حتى انها كانت لتتعلل في قضاء حاجتها فتبرز فتصلي يومها في مبرزها خوفا من فرعون وكانت على تلك الحالة الى أن قتل فرعون امرأة حزقيل وكانت آسية متطلعة من كوة في قصر فرعون تنظر الى الماشطة امرأة حزقيل كيف تعذب وتقتل فلما قتلت الماشطة عاينت آسية الملائكة وقد عرجت بروحها لما أراد الله تعالى من كرامتها وما أراد لها من الخير فزادت يقينا بالله وتصديقا فبينما هي كذلك اذ دخل عليها فرعون وجعل يخبرها بخبر الماشطة امرأة حزقيل وما صنع بها فقالت له آسية الويل لك يا فرعون ما أجرأك على الله تعالى فقال لها لعلك قد اعتراك الجنون الذي اعترى صاحبتك فقالت ما اعتراني جنون ولكني آمنت بالله ربي وربك رب العالمين فدعا فرعون أمها وقال لها ان ابنتك قد أخذها الجنون الذي أخذ الماشطة ثم انه أقسم لتذوقن الموت أو لتكفرن باله موسى فخلت بها أمها وسألتها موافقة فرعون فيما أراد فابت وقالت تريدين أن أكفر بالله فلا والله ما أفعل ذلك أبدا فامر بها فرعون فمدت بين أربعة أوتاد ثم ما زالت تعذب حتى ماتت رحمها الله تعالى وذلك قوله تعالى وفرعون ذي الاوتاد عن ابن عباس قال أخذ فرعون امرأته آسية حين ابتدأ بها يعذبها لتدخل في دينه فمر بها موسى وهو يعذبها فشكت اليه باصبعها فدعا الله موسى أن يخفف عنها من العذاب فبعد ذلك لم تجد للعذاب ألما الى أن ماتت في عذاب فرعون فقالت وهي في العذاب رب ابن لي عندك بيتا في الجنة ونجني الآية فأوحى الله تعالى اليها أن ارفعي رأسك ففعلت فرأت البيت في الجنة من در فضحكت فقال فرعون انظروا الى الجنون الذي بها تضحك وهي في العذاب

﴿ الباب الثالث عشر في بناء الصرح ﴾

قال الله تعالى وقال فرعون يا هامان ابن لي صرحا الآية قالت العلماء كان الله تعالى قد أملى لفرعون في كل باب من أبواب التملك والتسلط والثروة والتنعم والترفع والتمتع ما قد استخف به رعيته من أهل مملكته حتى استعبدهم فعبدوه وادعى الربوبية فقبلوه مع ما أوتي من العمر الطويل والقوة والمنعة والسعة والجنود والشوكة والعدة والعدد وكان قد بلغ من صحة جسمه واعتدال طبيعته وخلقته وقوة تركيبه وبنيته أنه ربما لبث أربعين يوما وليلة لا يخرج

ثم نظرت الى اجتهادك فما رأيت عليك كثرة عمل ولم تزد على فرضك فمن أين لك هذه المرتبة فقال له الحداد يا أخي انه كان لي حديث عجيب وأمر مطرب غريب وذلك انه كان لي جارية جميلة وكنت بها مولعا فراودتها عن نفسها مرارا عديدة فلم أقدر عليها لاعتصامها بالورع فجاءت سنة قحط وجدب وعدم الطعام وعم الجوع الانام فبينما أنا يوما من الايام جالس ببيتي واذا قارع يقرع الباب فخرجت لانظر اليه فاذا بها واقفة بالباب فقالت يا أخي أصابني جوع شديد فهل لك أن تطعمني لله فقلت أما تعلمين ما أنا فيه من حبك وما أقاسيه من أجلك فما أطعمك الان مكنتيني من نفسك فقالت الموت ولا معصية الله تعالى ومضت الى منزلها فلما كان بعد يومين عادت الي وقالت لي كالمرة الاولى فأجبتها مثل جوابي الاول فدخلت وقعدت في البيت وقد أشرفت على الهلاك فلما جعلت الطعام بين يديها ذرفت عيناها بالدموع ثم قالت هذا لله فقلت لا الا أن تمكنيني من نفسك فقامت ولم تأكل منه شيأ وخرجت من عندي الى منزلها فلما كان بعد يومين اذا بها تقرع الباب فخرجت اليها وهي واقفة بالباب وقد قطع الجوع صوتها وقصم ظهرها فقالت يا أخي أعينني

منه شئ الامرة واحدة وهو مع ذلك يأكل ويشرب ولا يبزق ولا يتمخط ولا يتنحنح ولا يسعل ولا يأخذه وجع فى بطنه ولا ترمد عيناه ولا يمرض ولا تصيبه آفة فى نفسه ولا كراهة قالوا وبلغ من املاء الله تعالى له أنه كان يركب كل صعب وذلول من دوابه قال سعيد بن جبير ملك فرعون أربعمائة سنة لا يرى مكروها ولو كان فى تلك المدة أدركه جوع يوم أوحمى ليلة لما ادعى الربوبية وقدم على خطب عظيم وخطر جسيم فلم يمسه سوء ولا مكروه ولا تلقاه الا محبوب ومرغوب وكان له قصر من قصوره مشرف منيف على ألف درجة وسخر الله له دابة من دوابه يركبها فيصعد ذلك القصر عليها وكان يركبها صاعدا ونازلا مع ما أنعم الله تعالى به عليه استدراجا منه له فلما عاين من أمر موسى ما عاين لم يزده ذلك الا عتوا واستكبارا وعلم من قومه الرعب والخوف فخاف عليهم أن يؤمنوا بموسى ويجعلوه مكانه فاحتال لنفسه وعزم على بناء صرح يقوى به سلطانه ويشيد أركانه فقال لوزيره ياهامان ابن لى صرحا لعلى أبلغ الاسباب أسباب السموات فاطلع الى اله موسى وانى لأظنه كاذبا فمر هامان ببنيانه فجمع له العمال والفعلة ولم يترك أحدا يقدر عليه ممن يعمل البنيان الا جمعه لبنائه حتى اجتمع خمسون ألف بناء سوى الاتباع والاجراء ممن يطبخ الآجر والجص ويتخذ الخشب والابواب والمسامير فلم يزل يبنى الصرح ويسر الله تعالى له أمره استدراجا منه وآتاه الامر على ما يريده الى أن فرغ منه فى سبع سنين فارتفع ارتفاعا لم يبلغه بنيان أحد من الخلق منذ خلق الله السموات والارض فشق ذلك على موسى فاوحى الله تعالى اليه أن دعه وما يريد فانى مستدرجه وآخذه بغتة وانى مبطل كل ما عمله فى ساعة واحدة وكان ذلك الصرح اذا طلعت الشمس ضرب ظله نحو المغرب واذا غربت ضرب ظله نحو المشرق بحيث لا يعلمه الا الله تعالى فلما أتم بناءه بعث الله تعالى جبريل عليه السلام فضرب بجناحه الصرح ضربة فقطعه ثلاث قطع فوقعت قطعة منه فى البحر وقطعة فى الهند وقطعة فى المغرب قال الضحاك بعث الله جبريل فضرب بجناحه الصرح فقذف به على عسكر فرعون فقتل منهم ألفى ألف رجل قالوا ولم يبق أحد ممن عمل فيه الا أصابه موت أوحريق أو عاهة فما من نجار أوحداد أو بناء الا يبست يده وأما الذين كانوا يطبخون الآجر والجص فانهم احترقوا عن آخرهم وأما القهارمة والعمال فماتوا وكان تدمير فرعون من أمر الله تعالى على ذلك كله ما بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس فلما رأى فرعون ذلك من أمر الله تعالى علم ان حيلته لم تغن عنه شيأ فعزم على قتال موسى وقومه فامر أصحابه فنصبوا له الحرب ثم ان عسكر فرعون قالوا لموسى انك لساحر وأنت عبد من عبيد فرعون أبقت منه وكفرت نعمته وتربيت ونسيت احسانه اليك ومنته عليك حيث ألقتك أمك فى اليم فبحالك وبفضالك لما علمت ما أنت صائر اليه من سوء الحال فاستنقذك فرعون من الغرق واستدركك من الموت فآواك وكفلك وربالك واتخذك ولدا ثم فررت منه آبقا كافرا وجئته عدوا محاربا فلسنا بممتنعين عنك حتى نردك الى عبادته وخدمته أو نذيقك الذل والهوان فلما رأى الله تعالى ذلك وقد علم أنه لا يغنى عنهم ما جاءهم به موسى لما سبق فيهم من مكر الله النافذ وحقت عليهم كلمة العذاب ابتلاهم الله بالعذاب وبالآيات

(الباب الرابع عشر فى ذكر الآيات التى ابتلى الله بها فرعون وقومه حين دناهلاكهم اظهار القدرته والزاما لحجته)

قال الله تعالى ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات قال المفسرون هى العصا واليد البيضاء والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس وفلق البحر فقال تعالى ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات (قال قتادة) أما السنون فكانت ببواديهم ومواشيهم وأما نقص الثمرات فكان فى أمصارهم قال الله تعالى فارسلنا عليهم الطوفان الآية (واختلف المفسرون) فى ذلك الطوفان ما هو قال ابن عباس كان أول الآيات الطوفان هو الماء أرسل عليهم من السماء وقال مقاتل هو الماء طغى فوق حروثهم فأهلكها وقال الضحاك هو الغرق وقال مجاهد وعطاء هو الموت الذريع الجارف وروى ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال وهب هو الطاعون بلغة أهل اليمن أرسل الله الطاعون على أبكار آل فرعون فانقضوا فى ليلة فلم يبق منهم باقية وقال أبو قلابة الطوفان الجدرى فهم أول من عذب به فبقى فى الارض والجراد والقمل (واختلفوا) فى القمل ما هو فقال سعيد ابن جبير عن ابن عباس القمل هو السوس الذى يخرج من الحنطة وروى عن أبى طلحة أنه الذباب وقال مجاهد والسدى وقتادة والكلبى وغيرهم الجراد الطيارة التى لها أجنحة والقمل الصغار التى لا أجنحة لها وروى معمر

الحيل ولم أقدر على التوجه لاحد غيرك فهل لك أن تطعمنى لله فقلت مالم تمكننى من نفسك فاطرقت رأسها ساعة ثم دخلت فى البيت ولم يكن عندى طعام فقمت وأضرمت النار وصنعت لها طعاما فلما تجهز الطعام ووضعته بين يديها تداركنى لطف الله تعالى وقلت فى نفسى ويحك ياهذا ان هذه امرأة ناقصة عقل ودين تمتنع من طعام لاقدرة لها عليه وهى تتردد المرة بعد المرة من ألم الجوع وأنت لاتنتهى عن معصية الله تعالى ثم قلت اللهم انى تائب اليك مما كان منى انى لأقربها فى معصية أبدا فدخلت اليها وهى تأكل فقلت لها كلى ولاروع عليك فانه لله سبحانه وتعالى فلما سمعت ذلك رفعت رأسها الى السماء وقالت اللهم ان كان صادقا فحرم عليه النار فى الدنيا والآخرة قال فتركتها تأكل وقمت لازيل النار وكان ذلك فى زمن الشتاء فوقعت جمرة على قدمى فلم تحرقنى فدخلت اليها وأنا فرح مسرور وقلت أبشرى فان الله تعالى أجاب دعاءك فرمت اللقمة من يدها وسجدت شكرا لله تعالى وقالت اللهم أرينى مرادى فيه فاقبض روحى هذه الساعة فقبض الله روحها وهى ساجدة رحمة الله تعالى عليها ونفعنا بها وهذا حديث بأحى والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب

عن قتادة قال القمل أولاد الجراد وقال عبد الرحمن بن أسلم هو البراغيث وقال عطاء هو القمل دليله قراءة الحسن والقمل بفتح القاف وجزم الميم وقال أبو عبيدة هو الحمنان وهو ضرب من القردان قال أبو العالية أرسل الله الحمنان على دوابهم فأكلها حتى لم يبق منها شيء ولم يقدروا على المسير قال أمية بن أبي الصلت الثقفي

أرسل الذر والجراد عليهم * وعذابا فأهلكتهم دبورا

﴿باب في صفة تنزيل هذه الآيات وتفصيلها وكيفيتها﴾

قال ابن عباس وسعيد بن جبير وقتادة ومحمد بن اسحق وغيرهم من أصحاب الاخبار دخل حديث بعضهم في حديث بعض لما آمنت السحرة وصلبهم عدو الله فرعون ورجع عدو الله مغلوبا مقهورا انصرف موسى وهرون الى عسكر بني اسرائيل فأمر فرعون قومه أن يكلفوا بني اسرائيل مالا يطيقون فكان الرجل من القبط يجيء الى الرجل من بني اسرائيل يقول له انطلق معي فاكنس حشي واعلف دوابي واستق لي وتجيء القبطية الى الكريمة من بني اسرائيل فتكلفها مالا تطيق ولا يطعمونهم في كل ذلك خبزا فاذا انتصف النهار يقولون لهم اذهبوا فاكتسبوا لانفسكم ما تأكلون فشكوا ذلك الى موسى فقال لهم استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين قالوا ياموسى أوذينا من قبل ان تأتينا ومن بعد ماجئتنا كنا نطعم اذا استعملونا من قبل أن تأتينا فلما جئتنا استعملونا ولم يطعمونا فقال موسى عسى ربكم أن يهلك عدوكم يعني فرعون والقبط ويستخلفكم في الارض يعني الشأم ومصر فينظر كيف تعملون فلما أبى فرعون وقومه الا التمادي على الكفر والاقامة على الشر والظلم دعا موسى ربه فقال يارب ان عبدك فرعون قد طغى في الارض وبغى وعتا وان قومه نقضوا عهدك وأخلفوا وعدك رب خذهم بعقوبة تجعلها لهم نقمة ولقومي عظة ولمن بعدهم من الامم اعتبارا فتابع الله عليهم الآيات المفصلات بعضها في أثر بعض فأخذهم بالسنين ونقص من الثمرات ثم بعث الله عليهم الطوفان وهو الماء أرسل عليهم من السماء حتى كادوا يهلكون وبيوت بني اسرائيل وبيوت القبط مشتبكة مختلطة بعضها في بعض فامتلأت بيوت القبط حتى أقاموا في الماء الى تراقيهم من جلس منهم غرق ولم يدخل بيوت بني اسرائيل من الماء قطرة واحدة وفاض الماء على وجه أراضيهم وركد فلم يقدروا على أن يحرثوا ولا يعملون شيأ حتى جهدوا ودام ذلك عليهم سبعة أيام من السبت الى السبت فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا هذا العذاب فنؤمن بك ونرسل معك بني اسرائيل فدعا موسى ربه فرفع عنهم الطوفان فلم يؤمنوا ويرسلوا معه بني اسرائيل وعادوا الى أشر ما كانوا عليه فأنبت الله تعالى لهم تلك السنة من الكلا والزرع والثمرة مالم ينبت قبل ذلك فاعشبت بلادهم وأخصبت فقالوا هذا كنا نتمنى وما كان هذا الماء الا نعمة لنا وما يسرنا أنا لم نمطر فأقاموا شهرا في عافية ثم بعث الله عليهم الجراد فأكل عامة زرعهم وثمارهم وأوراق أشجارهم وزهرها حتى انها كانت لتأكل الابواب والثياب والامتعة وسقوف البيوت والخشب والمسامير من الحديد حتى تساقطت دورهم وابتلى الجراد بالجوع فجعل لايشبع وكان لايدخل بيوت بني اسرائيل ولا يصيبهم من ذلك شيء فعجوا وضجوا وقالوا ياموسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بني اسرائيل فأعطوه عهد الله وميثاقه فسأل موسى ربه فكشف الله عنهم الجراد بعد ما أقام عليهم سبعة أيام من السبت الى السبت ويقال ان موسى برز الى الفضاء فأشار الى المشرق بالعصا فذهب الجراد من حيث جاء كان لم يكن

﴿فصل في بعض ماورد من الاخبار الغريبة في الجراد﴾

أخبرني الحسن بن محمد باسناده عن جابر عن أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان يدعو على الجراد يقول اللهم اقطع الجراد اللهم اقطع دابرهم اللهم اقتل كبارهم وأهلك صغارهم وأفسد بيضه وخذ بأفواههم عن معايشنا وأرزاقنا انك سميع الدعاء فقال رجل من القوم كيف ذلك يارسول الله تدعو على جند من جنود الله بهلاكه وقطع دابره فقال انما الجراد نثرة حوت من البحر (قال ابن علاثة) وحدثني من رأى الحوت ينثره وباسناده عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدر الجراد مكتوب جند الله الاعظم وباسناده عن جابر بن عبد الله قال عدم الجراد في سنة من سني عمر بن الخطاب رضي الله عنه فلم يخبر عنه بشيء فاغتم لذلك فأرسل راكبا الى اليمن وراكبا الى الشام وراكبا الى العراق يسألون هل رأوا شيأ من الجراد أولا فأتاه الراكب الذي دخل اليمن بقبضة من الجراد فألقاها في يده فلما رآه كبر ثلاثا ثم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول خلق الله ألف أمة منها ستمائة في البحر وأربعمائة في البر

﴿وحكى عن بعضهم عفا الله تعالى عنه﴾ أنه قال كان في بني اسرائيل رجل عابد في كهف في الجبل لايراه أحد من الناس ولايرى أحدا وعنده عين ماء كان يتوضأ منها ويشرب منها ويقتات من نبات الارض وكان يصوم النهار ويقوم الليل لايفتر عن العبادة وعليه أنوار السعادة فسمع به موسى عليه السلام فقصده بالنهار فوجده مشغولا بالصلاة والاذكار ثم قصده بالليل فوجده مشغولا بمناجاة الجليل فسلم عليه موسى عليه السلام وقال له ياهذا ارفق بنفسك فان المولى كريم فقال يانبي الله أخاف أن أوخذ على غفلة فيقضي نحبي فأكون مقصرا بخدمة ربي فقال له موسى عليه السلام هل من حاجة الى مولاك ياهذا فقال نعم سله ان يعطيني رضاه ولا يشغلني باحد سواه حتى يقضي نحبي وألقاه قال فلما صعد موسى عليه السلام الى مناجاة ربه واستغرق في لذة كلام خالقه نسي كلام العابد فقال الله عز وجل ياموسى ماقال لك عبدي العابد فقال موسى يارب أنت أعلم بما قال فقال الله تعالى ياموسى اذهب اليه وقل له يتعبد ماشاء في الليل والنهار فانه من أهل النار لما سبق له من الذنوب والاوزار فأتاه موسى عليه السلام وأخبره بما قاله مولاه وماسبق من

فاول

فأول شيء يهلك من هذه الامم الجراد فاذا هلك الجراد تتابع مثل النظام اذا قطع سلكه وباسناده عن أبي أمامة الباهلي يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ان مريم ابنة عمران سألت ربها أن يطعمها لحما لا دم له فأطعمها الجراد فقالت اللهم أعشه بغير رضاع وتابع بينه بغير شباع فقلت يا أبا المضي ما الشباع قال الصوت وباسناده عن عبد الله بن ضمرة السلولي قال لما أخرج الله تعالى ابليس من الجنة قال لأتخذن من عبادك نصيبا مفروضا قال الله تعالى وأنا متخذ من خلقي جندا هو الجراد فقال ابليس وأنا جندي النساء من شبكتي التي لا تخطئ ابدا (أخبرنا) الحسين باسناده عن الاوزاعي يقول كان ببيروت رجل صالح يذكر أنه رأى رجلا صالحا راكبا على جرادة قال وعليه خفان طويلان أظنهما أحمرين وهو يقول الدنيا باطل باطل ما فيها ويقول بيده هكذا فحيث ما أشار ساق الجراد الى ذلك الموضع فبلغنا أن ذلك الرجل ملك الجراد قال فأقام قوم فرعون شهرا في عافية ثم بعث الله عليهم القمل وذلك أن موسى أمر أن يمشي الى كثيب أعفر بقرية من قرى مصر تدعى عين شمس فمشى موسى الى ذلك الكثيب وكان مهيلا عظيما فضربه بعصاه فانهال عليهم القمل فتتبع ما بقي من حروثهم وأشجارهم ونباتهم فأكلها ولحس الارض كلها وكان يدخل بين ثوب أحدهم وبين جلده فيعضه وكان يأكل أحدهم الطعام فيمتلئ قملا حتى ان أحدهم ليبني الاسطوانة بالجص ويزلقها حتى لا يرتقي فوقها شيء ثم يرفع فوقها الطعام فاذا صعد اليه ليأكله وجده ملئ قملا فما أصيبوا ببلاء كان أشد عليهم من القمل وأخذ القمل أشعارهم وأبشارهم وأشفار عيونهم وحواجبهم ولزمت جلودهم كأنها الجدري عليها ومنعتهم النوم والقرار ولم يستطيعوا لها حيلة وقال سعيد ابن جبير القمل السوس الذي يخرج من الحبوب فكان الرجل يخرج عشرة أقفزة الى الرحا فلا يرد منها ثلاثة أقفزة فلما رأوا ذلك شكوا الى موسى وصاحوا وقالوا يا أيها الساحر أي أيها العالم انا نتوب ولا نعود فادع لنا ربك بما عهد عندك يكشف عنا هذا العذاب فدعا موسى ربه فكشف عنهم القمل فانتشروا في أقطار الارض وأطراف البلاد بعد ما أقام عليهم سبعة أيام من السبت الى السبت ثم نكثوا العهد وعادوا الى أخبث أعمالهم وقالوا ما كنا قط أحق أن نستيقن أن موسى ساحر لنا الا اليوم فيجعل الرمل دواب فعلى ما ذا نؤمن ونرسل معه بني اسرائيل فقد أهلك زرعنا وحروثنا وأذهب أموالنا فما عسى أن يفعل أكثر مما فعل وعزة فرعون لا نصدق به أبدا ولا نتبعه فدعا عليهم موسى بعد ما أقاموا شهرا في عافية وقيل أربعين يوما فأوحى الله تعالى اليه وأمره أن يقوم على ضفة النيل فيغرز عصاه فيه ويشير بالعصا الى أدناه وأقصاه وأعلاه وأسفله ففعل ذلك فتتابعت له الضفادع بالنقيق من كل جانب حتى أعلم بعضها بعضا وأسمع أدناها ثم انها خرجت من النيل مثل الليل الدامس سراعا تؤم نحو باب المدينة فدخلت عليهم في بيوتهم بغتة وامتلأت منها أفنيتهم وآنيتهم وأبنيتهم وكان أحدهم لا يكشف ثوبا ولا اناء ولا طعاما ولا شرابا الا وجد فيه الضفادع وكان الرجل يجلس الى ذقنه في الضفادع ويهم أن يتكلم فتثب الضفادع في فيه وكان أحدهم ينام على فراشه وسريره فيستيقظ وقد ركبته الضفادع ذراعا بعضها فوق بعض وتصير عليه ركاما حتى لا يستطيع أن ينصرف الى شقه الايمن والايسر وكان أحدهم يفتح فاه لأكلته فتسبقه الضفدعة الى فيه وكانوا لا يعجنون شيأ من العجين الا تشدخت فيه ولا يطبخون قدرا الا امتلأت منه وكانت تثب في نيرانهم فتطفئها وفي طعامهم فتفسده فلقوا منها أذى شديدا (روى) عكرمة عن ابن عباس قال كانت الضفادع برية فلما أرسلها الله تعالى على فرعون سمعت وأطاعت فجعلت تقذف أنفسها في القدور وهي تفور وفي التنانير وهي مسجورة فأثابها الله تعالى بحسن طاعتها برد الماء قال فضجوا الى فرعون من ذلك وضاق عليهم أمرهم حتى كادوا يهلكون وصارت المدينة وطرقها مملوأة جيفا من كثرة ما يطؤنها بأقدامهم وأروحت البقاع كلها منها فلما رأوا ذلك بكوا وشكوا الى موسى وقالوا اكشف عنا هذا البلاء فانا نتوب هذه المرة ولا نعود فأخذ على هذا عهودهم ومواثيقهم ثم ان موسى دعا ربه فكشف عنهم الضفادع وذلك فيما يروى أن موسى أمر أن يهتف بعصاه ويميلها ففعل ذلك فانقشع ما كان منها حيا يلحق بالنيل وأرسل الله على الميت ريحا فنحتها عن مدينتهم بعد ما أقامت عليهم سبعة أيام من السبت الى السبت فأقاموا شهرا في عافية وقيل أربعين يوما ثم نقضوا العهد وعادوا الى كفرهم وتكذيبهم فدعا عليهم موسى فأرسل الله عليهم الدم وذلك أن الله تعالى أمر موسى أن يذهب الى شاطئ البحر فيضرب بعصاه ففعل ذلك فسال النيل عليهم دما وصارت مياههم كلها دما وما يسقون من الانهار والآبار لا

ذنوبه وخطاياه فقال العابد مرحبا بقضائه وحكمته وكل شيء بعين قدرته ثم بكى وقال ياموسى وعزته وجلاله مابرحت عن بابه ولو طردني ولا حلت عن جنابه ولو أحرقني ومزقني ثم أنشد يقول من الدوبيت

لو قطعني الغرام اربا اربا
ما زدت الى لقائك الا حبا
ما زلت به أسير وجد وضنى
حتى يقضي على هواه نحبا

(قال) فلما صعد موسى عليه السلام الى المناجاة قال الهي أنت أعلم بما قال عبدك العابد فقال الله عز وجل ياموسى اذهب اليه وبشره أنه من أهل الجنة وقد أدركته الرحمة والمنة وقل له تلقيت قضائي بالصبر والرضا ورضيت مني بأصعب الحكم والقضا فلو ملأت ذنوبك السموات والارض والفضا وملأت جميع الاقطار لغفرتها لك وأنا العزيز الغفار قال ففرح موسى عليه السلام وأخبره بما قاله العزيز العلام فخر العابد ساجدا لله تعالى وحمد ربه فما زال في سجوده حتى قضى نحبه رضي الله تعالى عنه ونفعنا به وغفر لنا وله آمين ﴿وحكى عن الضحاك رضي الله تعالى عنه﴾ أنه قال خرجت ليلة جمعة بالكوفة أريد المسجد وكانت ليلة مقمرة فاذا بشاب حسن الشباب نظيف الأثواب في بعض أرجاء المسجد ساجد لله تعالى وهو يجود بالبكاء لم أشك أنه ولي الله تعالى فدنوت منه لاسمع منه ما يقول

وجدوه دما أحمر عبيطا فشكوا ذلك الى فرعون وقالوا انا قد ابتلينا بهذا الدم وليس لنا شراب غيره فقال لهم انه قد سحركم موسى فكان يجتمع الرجلان على الاناء الواحد القبطى والاسرائيلى فيكون مايلى الاسرائيلى ماء ومايلى القبطى دما عبيطا وكان القبطى والاسرائيلى يستقيان من ماء واحد فيخرج ماء القبطى دما وماء الاسرائيلى ماء عذبا وكانا يقومان الى الجرة التى فيها ماء فيخرج للاسرائيلى ماء وللقبطى دم حتى ان المرأة من آل فرعون تأتى المرأة من بنى اسرائيل حين يجهدها العطش فتقول اسقينى من مائك فتسكب لها من جرتها أو تصب لها من قربتها فتعود فى الاناء دما حتى انها تقول لها اجعليه فى فيك ثم مجيه فى فى فتأخذ فى فيها ماء فاذا مجته صار دما قالوا والنيل على ذلك يسقى الزرع والشجر فاذا ذهبوا ليستقوا من بين الزرع عاد الماء دما عبيطا وان فرعون اعتراه العطش فى تلك الايام حتى انه اضطر الى مضغ الاشجار الرطبة فاذا مضغها صار ماؤها ملحا أجاجا ومرا زعاقا فمكثوا فى ذلك سبعة أيام لا يأكلون ولا يشربون الا الدم (وقال زيد بن أسلم) كان الدم الذى سلط عليهم الرعاف فلما ضجروا من ذلك قالوا لموسى عليه السلام ادع لنا ربك يكشف عنا هذا الدم فنؤمن بك ونرسل معك بنى اسرائيل فدعا موسى ربه فكشف عنهم ذلك وذلك أن موسى أمر أن يضرب النيل بعصاه ضربة أخرى فضربه فتحول ماء صافيا كما كان فلم يؤمنوا ولم يفوا بما عاهدوا عليه وذلك قوله تعالى فأرسلنا عليهم الطوفان الآيات قال نوف البكالى ابن امرأة كعب الاحبار مكث موسى فى آل فرعون عشرين سنة بعد ما غلب السحرة يريهم الآيات الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم وقال أصحاب الاخبار لما يئس موسى من ايمان فرعون وقومه ورآهم لا يزدادون الا الطغيان والكفر والتمادى والكبر دعا عليهم وأمن هرون عليهما السلام وهو ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا فى الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم فأجاب الله دعاءهما كما قال تعالى قد أجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان الآية قالوا وكان لفرعون وأصحابه من أثاث الدنيا وزهرتها وزينتها من الذهب والفضة واليواقيت وأنواع الحلى والجواهر ما لا يحصيه الا الله تعالى وكان أصل ذلك المال مما جمعه يوسف عليه السلام فى زمانه أيام القحط فبقى ذلك فى يد القبط فأوحى الله الى موسى عليه السلام انى مورث بنى اسرائيل ما فى أيدى آل فرعون من العروض والحلى وجاعله لهم جهازا وعيادا الى الارض المقدسة فاجعل لذلك عيدا تعتكف عليه أنت وقومك تشكروننى وتذكروننى وتعظموننى ذلك اليوم وتعبدوننى فيه لما أريكم من الظفر ونجاة الاولياء وهلاك الاعداء واستعير والعيد كم من آل فرعون الحلى وأنواع الزينة فانهم لا يمنعون عنكم للبلاء الحال بهم فى ذلك الوقت ولما قذفت فى قلوبهم لكم من الرعب ففعل موسى ذلك كما أمره الله تعالى فأمر فرعون بزينة أهله وولده وما كان فى خزائنه من أنواع الحلى فأعيرت لبنى اسرائيل لما أراد الله بذلك أن يفىء على موسى وقومه أفضل أموال أعدائهم بغير قتال ولا ايجاف خيل ولا رجل لطفا منه بهم وافضالا عليهم فلما دعا موسى عليهم مسخ الله الاموال التى بقيت فى أيديهم حجارة كلها حتى المنخل والدقيق (قال) محمد بن كعب القرظى سألنى عمر ابن عبد العزيز عن التسع آيات التى أراها الله فرعون وقومه فقلت الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والعصا واليد البيضاء والطمس وفلق البحر فقال عمر لا يكون الفقه الا هكذا ثم انه دعا بخريطة فيها أشياء مما كان أصيب لعبد العزيز بن مروان اذ كان فيها بقايا أموال فرعون فأخرج البيضة مشقوقة نصفين وانها الحجر والجوزة مشقوقة وانها الحجر والحمصة والعدسة (وروى) محمد بن اسحق عن رجل من أهل الشام كان بمصر قال قد رأيت نخلة مصر ومة وانها الحجر وقال لقد رأيت انسانا وما شككت انه انسان وانه الحجر وكان ذلك المسخ فى أرقائهم دون أحرارهم اذ العبيد من جملة أموالهم فلم يبق لهم مال الا مسخه الله تعالى ما خلا الذى بأيدى بنى اسرائيل من الحلى والجوهر وأنواع الزينة (وقال) ابن عباس أول الآيات العصا وآخرها الطمس قالوا وبلغنا أن الدنانير والدراهم صارت حجارة منقوشة لهيئتها صحاحا وأنصافا وأثلاثا وجعل سكرهم حجارة

﴿الباب الخامس عشر فى قصة اسراء موسى عليه السلام ببنى اسرائيل وخبر فلق البحر لهم﴾

قال الله تعالى وأوحينا الى موسى أن أسر بعبادى انكم متبعون قال العلماء بأخبار الانبياء أوحى الله تعالى الى موسى حين أراد اظهاره على عدوه أن اجمع بنى اسرائيل كل أهل أربعة بيوت فى بيت ثم اذبحوا أولاد الضأن واضربوا بدمائها على الابواب فانى مرسل على أعدائكم عذابا وانى سأرسل الملائكة فلا تدخل بيتا على بابه دم

وسامرها

فاذا هو يقول عليك ياذا الجلال معتمدى طوبى لعبد تكون مولاه طوبى لمن بات خائفا وجلا * يشكو الى ذى الجلال بلواه

وما به علة ولا سقم أكثر من حبه لمولاه

اذا خلا فى الظلام مبتهلا أجابه الله ثم لباه

قال ولم يزل يكرر من قوله عليك ياذا الجلال معتمدى وهو يبكى وأنا أبكى شفقة عليه ثم ذكر كلاما معناه انه رأى نورا ساطعا وسمع قائلا يقول هذا الجواب لبيك عبدى فأنت فى كنفى

وكل ما قلت قد سمعناه صوتك تشتاقه ملائكتى وذنبك الآن قد غفرناه

قال فقلت لعل هذه الرؤية والسماع المذكورين فى حالة النوم أو فى غيبة فسلمت عليه فرد على السلام فقلت له بارك الله لك فى ليلك وبارك فيك من أنت يرحمك الله فقال راشد بن سليمان فعرفته لما كنت أسمع من أمره وخبره وكنت أتمنى لقاءه فلم أقدر على ذلك حتى يسر الله تعالى لى فقلت له هل لك أن تصحبنى فقال هيهات وهل يأنس بالمخلوقين من يتلذذ بمناجاة رب العالمين أما والله لو خرج على عصرنا هذا أحد من أصحاب النيات الصحيحة لقالوا هؤلاء أحزاب لا يؤمنون بيوم الحساب ثم غاب عن بصرى

وساآمرها أن تقتل أبكار آل فرعون من أنفسهم وأموالهم فتسلمون أنتم ويهلكون هم ثم اخبزوا فطيرا فانه أسرع لكم ثم أسير بعبادي حتى تنتهي بهم الى البحر فيأتيك أمري فأمر موسى بني اسرائيل ففعلت ذلك فقالت القبط لبني اسرائيل لم تجعلون هذا الدم على أبوابكم فقالوا ان الله تعالى لمرسل العذاب عليكم فنسلم وتهلكون فقالت لهم القبط فما يعرفكم ربكم الا بهذه العلامة فقالوا هكذا أمرنا نبينا فأصبحوا وقد طعن أبكار آل فرعون وماتوا كلهم في ليلة واحدة وكانوا سبعين ألفا فاشتغلوا بدفنهم وبما نالهم من حزنهم على المصيبة وسرى موسى وقومه متوجهين الى البحر وهم ستمائة ألف وعشرون ألفا لا يعد فيهم ابن سبعين سنة لكبره ولا ابن عشرين سنة لصغره وهم المقاتلة سوى الذرية وكان موسى على الساقة وهرون على المقدمة فلما فرغ القبط من دفن أبكارهم وبلغهم خروج بني اسرائيل قال فرعون هذا عمل موسى وقومه قتلوا أبكارنا من أنفسنا ثم انهم خرجوا ولم يرضوا ان ساروا بأنفسهم حتى ذهبوا بأموالنا معهم فنادى فرعون في قومه كما قال الله تعالى فأرسل فرعون في المدائن حاشرين ان هؤلاء لشرذمة قليلون وانهم لنا لغائظون وانا لجميع حاذرون ثم ان فرعون تبعهم في قومه وعلى مقدمته هامان في ألف ألف وسبعمائة ألف كل رجل على حصان وعلى رأسه بيضة وبيده حربة وقال ابن جريج أرسل فرعون في اثر موسى وقومه ألف ألف وخمسمائة ألف ملك مسوّر مع كل ملك ألف رجل ثم خرج فرعون خلفهم في الدهم وكان في عسكر فرعون مائة ألف حصان أدهم سوى سائر الالوان وذلك حين طلعت الشمس وأشرقت كما قال الله تعالى فأتبعوهم مشرقين فلما تراءى الجمعان ورأت بنو اسرائيل غبار عسكر فرعون قالوا يا موسى أين ما وعدتنا من النصر والظفر هذا البحر قدامنا ان دخلنا غرقنا وفرعون خلفنا ان أدركنا قتلنا ولقد أوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا فقال موسى لقومه يا قوم استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وقال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الارض فينظر كيف تعملون

﴿فصل﴾ قالوا لما سار موسى ببني اسرائيل من مصر وأرادوا أن يسيروا وضرب الله عليهم التيه فلم يدروا أين يذهبون فدعا موسى عليه السلام مشايخ بني اسرائيل فسألهم عن ذلك فقالوا له ان يوسف عليه السلام لما مات بمصر أخذ على اخوته عهدا أن لا يخرجوا من مصر حتى يخرجوه معهم فيضعوه في الارض المقدسة فلذلك نالنا هذا الامر فسألهم عن موضع قبره فلم يعلموه فقام موسى ينادي أنشد الله كل من يعلم قبر يوسف الا أخبرني ومن لا يعلم صمت أذناه عن قولي فكان يمر بين رجلين ينادي فلا يسمعان قوله حتى سمعته عجوز من زمنهم فقالت له أرأيتك ان دللتك عليه أتعطيني ما سألتك فأبى عليها وقال حتى أستأذن ربي فأمره ربه أن يعطيها مناها فأعطاها ذلك فقالت اني أريد أن لا تنزل غرفة من الجنة الا نزلتها معك قال نعم قالت فاني عجوز كبيرة لا أستطيع أن أمشي فاحملني فحملها فلما دنت من النيل قالت له انه في جوف هذا الماء فادع الله أن يحسر عنه الماء فدعا الله تعالى فحسره عنه وقالت له احفر ههنا ففعل فاستخرجه وهو في صندوق من مرمر فحمله معه ودفنه في الارض المقدسة قال عروة ابن الزبير وقد كان الله تعالى أمر موسى أن يسير ببني اسرائيل اذا طلع الفجر فدعا ربه أن يؤخر طلوعه حتى يفرغ من أمر يوسف ففعل فمن ثم تحمل اليهود موتاهم من كل بلد الى الارض المقدسة من فعل نبيهم ذلك أخبرني الحسن بن محمد باسناده عن ابن أبي موسى الاشعري عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال نزل النبي صلى الله عليه وسلم باعرابي فأكرمه فقال له عليه السلام تعاهدنا فأتاه الاعرابي فقال له عليه السلام ما حاجتك قال له الاعرابي ناقة يا رسول الله برحلها وأعنز نحلبها أهلي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ثانية ما حاجتك فقال مالي حاجة غيرها فقال عليه السلام ان عجوز بني اسرائيل كانت أحسن مسئلة منه وذكر الحديث الذي في قصة يوسف قال فلما انتهى موسى الى البحر هاجت الريح وعادت ترمي بموج كالجبال فقال له يوشع بن نون يا كليم الله أين أمرت فقد غشينا فرعون والبحر أمامنا فقال موسى ههنا فخاض يوشع بن نون الماء فجاز البحر ولم يوار حافر دابته الماء وقال الذي يكتم ايمانه وهو حزقيل مؤمن آل فرعون يا كليم الله أين أمرت قال ههنا فكبح فرسه بلجامه حتى طار الزبد من شدقه ثم اقتحم البحر فارتسب في الماء فذهب القوم ليصنعوا مثل ذلك فلم يقدروا فجعل موسى لا يدري كيف يصنع فأوحى الله اليه ان اضرب بعصاك البحر وكان الماء في ذلك الوقت في غاية الزيادة فضرب موسى البحر بعصاه فلم يطعه فأوحى الله تعالى اليه أن كنه فضربه ثانيا وقال انفلق يا أبا خالد باذن الله تعالى

فلم أره فاشتقت الى مرافقته ثم سألت الله تعالى أن يجمعني به قبل الموت فلما كان بعض الاعوام خرجت حاجا الى بيت الله الحرام فاذا به في ظل الكعبة واذا بنفر يقرؤن عليه سورة الانعام فلما نظر الى تبسم وقال هذا لطف العلماء أو قال تواضع الاولياء ثم قام الى واعتنقني وسلم على وقال هل سألت الله تعالى أن يجمع بيننا قبل الموت قلت نعم فقال الحمد لله على ذلك ثم قلت له يرحمك الله أخبرني عما رأيت تلك الليلة وسمعت فشهق شهقة فظننت انه قد انفلق حجاب قلبه وخر مغشيا عليه ثم تفرق النفر الذين كانوا يقرؤن عليه فلما أفاق قلت يا أخي ما هؤلاء النفر الذين كانوا يقرؤن عليك فقال هم نفر من الجن فهم يقرؤن على القرآن ويحجون معي في كل عام ثم ودعني وقال جمع الله بيني وبينك في الجنة حيث لا فرقة ولا تعب ولا نصب ثم غاب عن بصري فلم أره رضي الله تعالى عنه ﴿وحكى عبد الله بن الاحنف رضي الله عنه﴾ أنه قال خرجت من مصر أريد الرملة لزيارة الشيخ الزبادي رضي الله تعالى عنه فرآني عيسى بن يونس المصري في الطريق فقال هل أدلك على خير لك فقلت نعم فقال عليك بصور فان فيه شيخا وشابا مجتمعا على حال المراقبة فلو نظرت اليهما نظرة لاغنتك باقي

فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم فلما انفلق البحر فاذا بالرجل الذى أقحم فرسه البحر واقف على فرسه لم يبتل سرجه ولا لبده وظهر فى البحر اثناعشر طريقا لاثنى عشر سبطا لكل سبط طريق وأرسل الله تعالى الريح والشمس على قعر البحر حتى صار يبسا كما قال الله تعالى فاضرب لهم طريقا فى البحر يبسا لا تخاف دركا ولا تخشى قال سعيد ابن جبير أرسل معاوية الى ابن عباس يسأله عن مكان لم تطلع فيه الشمس الا مرة واحدة فارسل اليه انه المكان الذى انفلق عنه البحر لبنى اسرائيل (أخبرنا) الحسن بن محمد باسناده عن عبد الله بن سلام أن موسى عليه السلام لما انتهى الى البحر قال يا من كان قبل كل شئ والمكون لكل شئ والكائن بعد كل شئ اجعل لنا فرجا ومخرجا فاوحى الله تعالى اليه أن اضرب بعصاك البحر فضرب بعصاه البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم (وروى) الاعمش عن شقيق عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا أعلمكم الكلمات التى تكلم بها موسى حين جاز البحر ببنى اسرائيل فقلنا بلى يا رسول الله قال قولوا اللهم لك الحمد واليك المشتكى وأنت المستعان وعليك التكلان ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم قال عبد الله فما تركتهن منذ سمعتهن من رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا فخاض بنو اسرائيل البحر كل سبط فى طريق وعلى جانبيه الماء كالجبل العظيم لا يرى بعضهم بعضا فخافوا وقال كل سبط قد قتل اخواننا فاوحى الله الى جبال الماء أن تشبكى فصار الماء شبكات كهيآت الطاقات فنظر بعضهم بعضا فاخذوا يجاوزون البحر وهم يرون بعضهم بعضا ويسمع بعضهم بعضا حتى عبروا البحر سالمين فذلك قوله تعالى واذ فرقنا بكم البحر أى فلقناو ميزنا لكم الماء يمينا وشمالا فانجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون وذلك أنه لما خرجت ساقة عسكر موسى من البحر وصلت مقدمة عسكر فرعون اليه فاراد موسى أن يدعو البحر ليرجع الى حالته الاولى فاوحى الله اليه ان اترك البحر رهوا أى ساكنا على حاله أنهم جند مغرقون فلما وصل جند فرعون الى البحر رأوه منفلقا فقال فرعون انظروا الى البحر كيف انفلق لهيبتى حتى أدرك أعدائى وعبيدى الذين أبقوا منى فاقتلهم فادخلوا البحر فهاب قومه ان يدخلوه ولم يكن فى خيل فرعون أنثى وانما كانت ذكورا كلها فجاء جبريل عليه السلام على فرس له أنثى وديق مشتهية للفحل وعليه عمامة سوداء فتقدمهم وخاض البحر فظن أصحاب فرعون أن الفارس منهم فلما شمت الخيول ريحها اقتحمت البحر فى أثرها حتى خاضوا كلهم وجاء ميكائيل على فرس خلف القوم يستحثهم ويقول لهم الحقوا باصحابكم فلما أراد فرعون أن يسلك طريق موسى نهاه وزيره هامان وقال له انى قد أتيت الى هذا الموضع مرارا ومالى عهد بهذا الطريق وانى أخاف ولا آمن أن يكون مكرا من الرجل يكون فيه هلاكنا وهلاك أصحابنا فلم يطعه فرعون وذهب معاجلا على حصانه ليدخل البحر فامتنع الحصان فجلده جبريل على رمكة بيضاء فصهلت فحمحم اليها حصان فرعون فخاض جبريل البحر فتبعها حصان فرعون فاقتحمه البحر فلما توافوا فى البحر وهم أولهم أن يخرج من البحر أمر الله تعالى البحر أن يأخذهم فالتطم عليهم فغرقهم أجمعين وذلك بمرأى من بنى اسرائيل فذلك قوله تعالى وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون يعنى الى مصارعهم وانفرد جبريل عليه السلام بفرعون فلما أدرك فرعون الغرق قال آمنت أنه لا اله الا الذى آمنت به بنو اسرائيل وأنا من المسلمين فقال له جبريل آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين ثم ان جبريل أراد فتياه وتوقيعه الذى فيه وقال له انما هذا فتياك الذى أفتيت به ثم جعل يدس فى فيه من حما البحر مخافة أن يعيد تلك الشهادة وفى الحديث أن جبريل عليه السلام قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما بغضت أحدا من الخلق ما بغضت رجلين أما أحدهما فمن الجن وهو ابليس عليه لعنة الله حين أبى أن يسجد لآدم والآخر من الانس وهو فرعون حين قال أنا ربكم الاعلى ولو رأيتنى يا محمد وأنا آخذ من حما البحر وأدسه فى فيه مخافة أن يقول كلمة التوحيد فيرحمه الله بها قالوا فلما سمعت بنو اسرائيل صوت التطام البحر قالوا لموسى ما هذه الضوضاء فقال لهم ان الله قد أهلك فرعون وكل من كان معه غرقا فقالوا لموسى ان فرعون لا يموت ألم تر أنه كان يلبث كذا وكذا يوما لا يحتاج الى شئ مما يحتاج اليه الانسان فامر الله تعالى البحر فالقاه على نجوة من الارض وعليه درعه حتى نظر اليه بنو اسرائيل فذلك قوله تعالى فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية فقال انه لو لم يخرجه الله ببدنه لشك فيه بعض الناس فلما جاوز موسى بنى اسرائيل البحر أتوا على قوم يعكفون على أصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون ان هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون (أخبرنى) الحسن بن

عمرك قال فسرت اليهما حتى دخلت عليهما وأنا جائع عطشان وابس على ما يسترنى من الشمس فوجدتهما مستقبلين للقبلة فسلمت عليهما وكلمتهما فلم يكلمانى فقلت أقسمت عليكما بالله العظيم الا ما كلمتمانى فرفع الشيخ رأسه وقال يا ابن الاحنف ما أقل سعيك حتى تفرغت الينا ثم أطرق رأسه فاقمت بين أيديهما حتى صلينا الظهر والعصر فذهب عنى الجوع والعطش والتعب فقلت للشاب عظنى بشئ يا سيدى أنتفع به فقال نحن أهل المصائب ليس لنا لسان العظة فاقمت عندهما ثلاثة أيام بلياليهن لم آكل ولم أشرب فلما كان عشية اليوم الرابع قلت فى نفسى لا بد من سؤالهما فى موعظة أنتفع بها فرفع الشاب رأسه وقال عليك بصحبة من يذكرك الله تعالى نظره ويعظك بلسان فعله لا بلسان قوله ثم التفت فلم أرهما فحزنت على فراقهما رضى الله تعالى عنهما ونفعنا بهما وبركاتهما آمين (وحكى عن ذى النون المصرى رضى الله تعالى عنه) أنه قال وصف لى رجل من السادة باليمن من الخائفين سماعلى المجتهدين وهو بصلاح الناس معروف وبالب والحكمة والخشوع موصوف قال فخرجت حاجا الى بيت الله الحرام وزيارة النبى عليه الصلاة والسلام فلما قضيت

محمد

حتى قصدت زيارته لاسمع كلامه وأنتفع بموعظته وكان مني جماعة يطلبون كما أطلب من البركة والدعاء وكان في جملتهم

محمد باسناده عن محمد بن قيس قال جاء يهودي الى علي بن أبي طالب كرم الله وجهه فقال يا أبا الحسن ما صبرتم بعد نبيكم خمسا وعشرين سنة حتى قتل بعضكم بعضا فقال بلى قد كان صبر وخير ولكنكم ما جفت أقدامكم من ماء البحر حتى قلتم يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة فلما أغرق الله تعالى فرعون ومن معه ونجى موسى ومن معه بعث موسى جندين عظيمين من بني اسرائيل كل جند اثنا عشر ألفا الى مدائن فرعون وهي يومئذ خالية من أهلها قد أهلك الله عظماءهم ورؤساءهم وقادتهم ومقاتلتهم فلم يبق منهم الا النساء والصبيان والمرضى والهرمى فأمر على الجندين يوشع بن نون وكالب بن يوقنا فدخلوا بلاد فرعون وغنموا ما كان فيها من أموالهم وكنوزهم فحملوا من ذلك ما استقلت به الحمول منها وما لم يطيقوا حمله باعوه من قوم آخرين فذلك قوله تعالى كم تركوا من جنات وعيون الى قوله تعالى فاكهين كذلك وأورثناها قوما آخرين الى آخر القصة ثم ان يوشع بن نون استخلف على قوم فرعون رجلا منهم وعاد الى موسى بمن معه من المسلمين غانمين شاكرين

﴿الباب السادس عشر في قصة ذهاب موسى الى الجبل لميقات ربه وصفة ايتاء الله تعالى له الالواح وانزاله التوراة وما يتعلق بذلك﴾

قال الله تعالى وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر وقال في موضع آخر واذ واعدنا موسى أربعين ليلة قال العلماء بقصص النبيين وسير الماضين ان موسى كان وعد بني اسرائيل وهو بمصر اذا خرجوا منها وهلك عدوهم أن يأتيهم بكتاب فيه ما يأتون وما يذرون فلما أهلك الله تعالى فرعون وقومه واستنقذ بني اسرائيل من أيديهم وأمنهم من عدوهم ولم يكن لهم كتاب ولا شريعة ينتهون اليها قالوا يا موسى ائتنا بالكتاب الذي وعدتنا به فسأل موسى ربه ذلك فأمره الله أن يصوم ثلاثين يوما ثم يتطهر ويطهر ثيابه ويأتي طور سيناء ليكلمه ويعطيه ذلك الكتاب فصام ثلاثين يوما فلما صعد الجبل أنكر خلوف فيه فتسوك بعود خرنوب (وقال أبو العالية) أخذ من لحاء الشجر فمصه فقالت له الملائكة انا كنا نشم من فيك رائحة المسك فأفسدتها بالسواك فأوحى الله تعالى اليه أن صم عشرة أيام أخر وقال له أما علمت أن خلوف فم الصائم أطيب عندي من رائحة المسك وكانت فتنتهم في العشرة الايام التي زادها الله تعالى على موسى فذلك قوله تعالى وواعدنا موسى ثلاثين ليلة ذا القعدة وأتممناها بعشر يعني من ذي الحجة (أخبرني) الحسن بن محمد باسناده عن أبي هريرة ان جميع الشهور تنقص ما خلا ذا القعدة لقوله تعالى وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر أي من ذي الحجة فتم ميقات ربه أربعين ليلة فلما مضت أربعون ليلة تطهر موسى وطهر ثيابه لميقات ربه فلما أتى طور سيناء كلمه ربه وناجاه وقربه وأدناه كما قال تعالى وقربناه نجيا (قال وهب) كان بين الله وبين موسى سبعين حجابا فرفعها الله كلها الا حجابا واحدا فتجلى موسى لكلام الله تعالى واشتاق الى رؤيته وطمع فيها فقال رب أرني أنظر اليك (قال السدي) لما كلم الله موسى غاص الخبيث ابليس في الارض حتى خرج من بين قدمي موسى فوسوس في قلبه وقال ان مكلمك الشيطان فعند ذلك سأل الرؤية فقال الله تعالى لن تراني وليس يطيق البشر النظر الي في الدنيا من نظر الي مات فقال الهي سمعت كلامك فاشتقت للنظر اليك ولأن أنظر اليك ثم أموت أحب الي من أن أعيش ولا أراك فقال له انظر الى الجبل وهو أعظم جبل في مدين يقال له زبير وذلك أن الجبال لما علمت أن الله يريد أن يتجلى لجبل منها تعاظمت وتشامخت رجاء ان يتجلى الله لها وجعل زبير يتواضع من بينها فلما رأى الله تواضعه رفعه من بينهن وخصه بالتجلي قال الله تعالى فان استقر مكانه فسوف تراني فتجلى الله تعالى للجبل (واختلف العلماء) في معرفة التجلي قال ابن عباس ظهر نوره للجبل وقال الضحاك أظهر الله تعالى من نور الحجب مثل منخر الثور وقال عبد الله بن سلام وكعب ما تجلى من عظمة الله تعالى للجبل الا كسم الخياط حتى صار دكا دكا وقال السدي ما تجلى الا قدر الخنصر يدل عليه ما روى ثابت عن أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قرأ هذه الآية فقال هكذا ووضع الابهام على المفصل الاعلى من الخنصر فساخ الجبل يعني غار وقال الحسن أوحى الله تعالى الى الجبل وقال هل تطيق رؤيتي فغار الجبل وساخ في الارض وموسى ينظر اليه حتى ذهب أجمع وقال أبو بكر بن عمر الوراق حكى لي عن سهل بن سعد الساعدي أن الله تعالى أظهر من بين سبعين ألف حجاب نورا قدر درهم فجعل الجبل دكا قال أبو بكر فعذب اذ ذاك كل ماء وأفاق كل مجنون وبرئ كل مريض وزال الشوك عن الاشجار واخضرت الارض وأزهرت وخمدت نار المجوس وخرت الاصنام لوجوهها وقال السدي ما تجلى للجبل الا قدر جناح بعوضة فصار الجبل دكا وقال ابن عباس ترابا وقال سفيان ساخ حتى وقع في

شاب عليه سيما الصالحين ومنظر الخائفين مصفر اللون من غير سقم أعمش العينين من غير رمد يحب الخلوة ويأنس بالوحدة كأنه قريب عهد بمصيبة فقيل له أن يرفق بنفسه فلم يجب وأنشد يقول شعرا

أيها العاذلون في الحب مهلا ... حاش لي عن هواه أني أسلا

كيف أسلو وقد تزايد وجدي ... وتبدلت بعد العز ذلا

قيل تبلى فقلت تبلى عظامي ... في هواكم وحبكم ليس يبلى

حبكم قد سرى لوسط فؤادي ... من قديم الزمان مذ كنت طفلا

قال ولم يزل الشاب في جملتنا حتى انتهينا الى اليمن فسألنا عن منزل شيخ فأرشدنا اليه فطرقنا عليه الباب فخرج الينا كأنه قد خرج من القبور فلما جلسنا بين يديه بدأ الشيخ الشاب بالسلام والكلام والمصافحة وأبدى له البشر والترحيب من دوننا فقال الشاب يا سيدي ان الله جعلكم أطباء للقلوب ولأوجاع الذنوب واني جزعا

 أغفل ودا تمكن وأعضل فان قدرت ان تتلطف ببعض مراهمك فافعل وأنشد يقول شعرا

ان داء الذنوب داء عظيم

البحر قال عطية العوفى صار رملا هائلا وقال الكلبى جعله دكا أى مكسرا جبالا صغارا * و بالاسناد عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا قال صار بعظمته ستة أجبل فوقعت ثلاثة فى المدينة أحد و ورقان و رضوى و وقعت ثلاثة بمكة ثور و ثبير و حراء وخر موسى صعقا قال ابن عباس مغشيا عليه وقال قتادة ميتا وقال الكلبى خر موسى صعقا يوم الخميس يوم عرفة وأعطى التوراة يوم الجمعة يوم النحر قال الواقدى لما خر موسى صعقا قالت الملائكة ما لابن عمران وسؤاله الرؤية (وفى بعض الكتب) أن ملائكة السموات والارض أتوا موسى وهو مغشى عليه فجعلوا يلكزونه بأرجلهم و يقولون يا ابن النساء الحيض أطمعت فى رؤية رب العزة وقال وهب لما سأل موسى الرؤية أرسل الله تعالى الضباب والصواعق والظلمة والرعد والبرق فأحاطت بالجبل الذى عليه موسى وأمر الله تعالى ملائكة السموات أن يعرضوا على موسى أربعة فراسخ من كل ناحية فمرت به الملائكة ملائكة سماء الدنيا كثيرا مثل البقر تنبع أفواههم بالتسبيح والتقديس بصوت عظيم كصوت الرعد الشديد ثم أمر الله تعالى ملائكة السماء الثانية أن اهبطوا على موسى فهبطوا عليه مثل الاسود لهم لجب بالتسبيح والتقديس ففزع موسى مما رأى وسمع واقشعرت كل شعرة فى جسده فقال ندمت على مسئلتى فهل ينجينى من مكانى الذى أنا فيه شئ ان خرجت وان قعدت مت فقال له خير الملائكة ورئيسهم ياموسى اصبر لما سألت فقليل من كثير ما رأيت ثم هبطت ملائكة السماء الثالثة كأمثال النسور لهم قصف و رجف ولجب شديد وأفواههم تنبع بالتسبيح والتقديس والتهليل كجلب الجيش العظيم ألوانهم كلهب النار ففزع موسى عليه السلام واشتد فزعه وأيس من الحياة فقال له رئيس الملائكة مكانك يا ابن عمران حتى ترى ما لا صبر لك عليه ثم هبطت عليه ملائكة السماء الرابعة لا يشبههم شئ من الذين مروا به ألوانهم كلهب النار وسائر خلقهم كالثلج الابيض أصواتهم عالية بالتسبيح والتقديس لا يقاربهم شئ من أصوات الذين مروا به ثم هبطت عليه ملائكة السماء الخامسة فى سبعة ألوان فلم يستطع موسى أن يتبعهم طرفه ولم ير مثلهم ولم يسمع مثل أصواتهم فامتلأ جوف موسى فزعا واشتد خوفه وكثر بكاؤه ثم قال له خير الملائكة وكبيرهم يا ابن عمران مكانك حتى ترى بعض ما لا تصبر عليه ثم أمر الله ملائكة السماء السادسة أن اهبطوا على عبدى الذى أراد رؤيتى فاعترضوا عليه فهبطوا وفى يد كل ملك منهم حربة طويلة تلتهب نارا أشد ضوأ من الشمس ولباسهم كلهب النار واذا سبحوا وقدسوا جاوبهم كل من كان قبلهم من ملائكة السموات كلهم يقولون بشدة أصواتهم سبوح قدوس رب العزة أبدا لا يموت وفى رأس كل ملك منهم أربعة أوجه فلما رآهم موسى رفع رأسه وصوته يسبح معهم و يبكى و يقول رب اذكرنى ولا تنس عبدك لا أدرى هل أتخلص مما أنا فيه أولا ان خرجت احترقت وان مكثت احترقت فقال له رئيس الملائكة وكبيرهم أوشك يا ابن عمران أن يشتد خوفك و ينخلع قلبك فاصبر للذى سألت ثم أمر الله تعالى أن يحمل عرشه ملائكة السماء السابعة قال الله تعالى أروه اياه فلما بدا نور العرش انصدع الجبل من عظمة رب العزة و رفعت ملائكة السماء أصواتهم جميعا يقولون سبحان الملك القدوس رب العزة أبدا لا يموت بشدة أصواتهم فارتج الجبل واندك وخر موسى صعقا على وجهه ليس معه روح فقلب الله الحجر الذى كان موسى عليه وجعله كهيئة القبة لئلا يحترق موسى وأرسل الله عليه روح الحياة برحمته فقام موسى يسبح الله و يقول آمنت بانك ربى وصدقت بانه لا يراك أحد فيحيا ومن نظر الى ملائكتك انخلع قلبه فما أعظمك وأعظم ملائكتك أنت رب الارباب واله الآلهة وملك الملوك لا يعدلك شئ ولا يقوم لك شئ تبت اليك لك الحمد لا شريك لك أنت رب العالمين (قال السدى) حف حول الجبل بالملائكة وحف حول الملائكة بالنار وحف حول النار بالملائكة وحف حول الملائكة بالنار ثم تجلى ربه للجبل (أخبرنى) الحسن باسناده عن عروة بن ديلم اللخمى قال كانت الجبال قبل أن يتجلى الله لموسى صماء ملساء فلما تجلى الله للجبل صار الطور دكا وتفطرت الجبال وصار فيها كهوف وسقوف قالوا ثم بعث الله تعالى جبريل عليه السلام الى جنة عدن فقطع منها شجرة فاتخذ منها تسعة ألواح طول كل لوح منها عشرة أذرع بذراع موسى وكذلك عرضه وكانت الشجرة التى اتخذ منها الالواح من زمرد أخضر ثم أمر جبريل أن يأتيه بتسعة أغصان من سدرة المنتهى فجاء بها فصارت جميعا نورا وصار النور قلما أطول مما بين السماء والارض وكتب التوراة لموسى بيده وموسى يسمع صرير القلم فكتب الله له فى الالواح من كل شئ موعظة وتفصيلا وذلك يوم

من وقوفى اذا وصلت لربى * وانقطاع الجواب منى ولم لا * وبلائى قد حل عن كل خطب فقال له الشيخ سل عما بدا لك فقال الشاب ياسيدى ما علامة الخوف من الله تعالى فقال أن يؤنسك خوفه من كل خوف قال فخر الفتى مغشيا عليه فلما أفاق قال يرحمك الله متى يتيقن العبد خوفه من الله تعالى فقال اذا أنزل العبد نفسه من الدنيا منزلة العليل فهو يحتمى من الطعام مخافة طول السقام و يصبر على غصص الدواء مخافة طول الضنا قال فصاح الشاب صيحة وغشى عليه فلما أفاق قال ياسيدى ما علامة المحب لله تعالى فقال الشيخ ان درجة المحبين رفيعة فقال الشاب أحب ياسيدى أن تصفها لى فقال الشيخ ان الله سبحانه وتعالى شق لهم عن قلوبهم فأبصروا بنور القلوب الى جلال عظمة المحبوب فصارت أرواحهم روحانية وقلوبهم نورانية وعقولهم سمائية تسرح بين صفوف الملائكة الكرام وتشاهد الامور باليقين والعيان فعبدوه مبلغ استطاعتهم لا طمعا فى جنته ولا خوفا من ناره قال فشهق شهقة فمات رحمة الله تعالى عليه فبكى الشيخ عليه بكاء شديدا وقال

الجمعة

الجمعة وأشرقت الارض بالنور ثم أمر الله موسى أن يأخذها بقوة ويقربها قومه فوضعت الالواح على السماء فلم تطق حملها الثقل العهود والمواثيق التى فيها فقالت يارب كيف أطيق ان أحمل كتابك الثقيل المبارك وهل خلقت خلقا يطيق حمل ذلك فبعث الله تعالى جبريل عليه السلام وأمره أن يحمل الالواح فيبلغها موسى فلم يطق حملها فقال يارب من يطيق حمل هذه الالواح بما فيها من النور والبيان والعهود وهل خلقت خلقا يطيق حملها فأمده الله بملائكة يحملونها بعدد كل حرف من التوراة فحملوها حتى بلغوها موسى وعرضوا الالواح على الجبل فانصدع لها الجبل وخشع وقال يارب من يطيق حمل هذه الالواح بما فيها وضرب الله مثلا فى القرآن فقال تعالى لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وتلك الامثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون كما أنزل التوراة على الجبل فلم يطق حملها قال فلما وضعوها على الجبل بين يدى موسى وذلك عند صلاة العصر فقبض موسى على الالواح فلم يطق حملها فلم يزل يدعو حتى هوّن الله عليه حملها فحملها فذلك قوله ياموسى انى اصطفيتك الآية وقوله تعالى وكتبنا له فى الالواح الآية

﴿ فصل فى نسخة العشر الكلمات التى كتبها الله تعالى لموسى نبيه وصفيه فى الالواح وهى معظم التوراة وعليها مدار كل شريعة ﴾

وهى بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من الله الملك الجبار العزيز القهار لعبده ورسوله موسى بن عمران أن سبحنى وقدسنى لا اله الا أنا فاعبدنى ولا تشرك بى شيأ واشكر لى ولوالديك الىّ المصير أحييك حياة طيبة ولا تقتل النفس التى حرم الله عليك فاضيق عليك السماء بأقطارها والارض برحبها ولا تحلف باسمى كاذبا فانى لا أطهر ولا أزكى من لا يعظم اسمى ولا تشهد بما لا يعى سمعك ولا تنظر عينك ولا يقف عليه قلبك فانى أوقف أهل الشهادات على شهاداتهم يوم القيامة وأسائلهم عنها ولا تحسد الناس على ما آتيتهم من فضلى ورزقى فان الحاسد عدوّ نعمتى ساخط لقسمتى ولا تزن ولا تسرق فأحجب عنك وجهى وأغلق دون دعوتك أبواب السموات ولا تذبح لغيرى فانه لا يصعد الى من قربان أهل الارض الا ماذكر عليه اسمى ولا تفجرن بحليلة جارك فانه أكبر مقتا عندى وأحب للناس ماتحب لنفسك واكره لهم ماتكره لنفسك فهذه نسخة العشر الكلمات وقد أعطاها الله جميعا لمحمد صلى الله عليه وسلم فى ثمانى عشرة آية وهى قوله تعالى فى سورة بنى اسرائيل وقضى ربك أن لا تعبدوا الا اياه الى قوله ذلك مما أوحى اليك ربك من الحكمة ثم جمعها فى ثلاث آيات من سورة الانعام وهى قوله تعالى قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم الى قوله تعالى ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون (أخبرنا) أبو عمر محمد الفريابى باسناده عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أعطى موسى الالواح نظر فيها فقال يارب لقد أكرمتنى بكرامة لم تكرم بها أحدا من العالمين قبلى قال ياموسى انى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين أى بقوة وجد ومحافظة وتموت على حب محمد عليه السلام قال موسى يارب ومن محمد قال أحمد الذى أثبت اسمه على عرشى قبل أن أخلق السموات والارض بألفى عام وانه نبيى وصفيى وخيرتى من خلقى وهو أحب الى من جميع خلقى وجميع ملائكتى فقال موسى يارب ان كان محمد أحب اليك من جميع خلقك فهل خلقت أمة أكرم عليك من أمتى قال الله تعالى ان فضل أمة محمد عليه السلام على سائر الامم كفضلى على جميع الخلق قال يارب ليتنى أراهم قال ياموسى انك لن تراهم ولو أردت أن تسمع كلامهم أسمعتك قال يارب فانى أريد أن أسمع كلامهم قال الله تعالى ياأمة محمد فأجبنا كلنا من أصلاب آبائنا وأرحام أمهاتنا لبيك اللهم لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك فقال الله تعالى ياأمة محمد ان رحمتى سبقت غضبى وعفوى سبق عقابى قد أعطيتكم من قبل أن تسألونى وقد أجبتكم من قبل أن تدعونى وقد غفرت لكم من قبل أن تعصونى من جاء يوم القيامة بشهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا عبدى ورسولى دخل الجنة ولو كانت ذنوبه أكثر من زبد البحر وهذا قوله تعالى وما كنت بجانب الغربى اذ قضينا الى موسى الامر وما كنت من الشاهدين وقوله تعالى وما كنت بجانب الطور اذ نادينا (أخبرنا) أبو عبد الله محمد بن أحمد بن على بن نصير المكى قال أخبرنا أبو العباس محمد بن اسحق السراج قال حدثنا قتيبة بن سعيد قال حدثنا سعيد بن عبد الرحمن المعافرى عن أبيه أن كعب الاحبار رأى حبرا من اليهود يبكى فقال له ما يبكيك فقال ذكرت بعض الامر فقال كعب الاحبار أنشدك الله لئن أخبرتك بما أبكاك لتصدقنى قال نعم قال أنشدك الله هل تجد فى كتاب الله المنزل على موسى عليه الصلاة والسلام أن

هكذا مصرع الخائفين رضى الله تعالى عنهم أجمعين (وحكى عن أبى القاسم الجنيد رضى الله تعالى عنه) أنه قال كنت فى مسجد لى واذا برجل قد دخل على وصلى ركعتين ثم امتد فى ناحية من المسجد وأشار الى فلما جئته قال لى ياأبا القاسم قد آن لقاء الله تعالى فغسلنى وكفنى وصل على وادفنى فاذا فرغت من أمرى فيدخل عليك شاب مصرى مغنى فاذا حضر اليك فادفع له مرقعتى وعصاى وركوتى هذه قال الجنيد كيف يكون ذلك الى مغن قال ياجنيد انه بلغ رتبة القيام بخدمة الله تعالى وأقيم فى مقامى قال فلما قضى الرجل نحبه وفرغنا من مواراته فى التراب دخل علينا شاب مصرى وسلم وقال أين الوديعة ياأبا القاسم فقلت له وكيف ذلك أخبرنا أيها الشاب بحالك فقال ياسيدى انى كنت فى مشربة بنى فلان فهتف بى هاتف أن قم الى الجنيد واستلم ما عنده من الوديعة التى تركها لك فلان وهى كذا وكذا فانك قد جعلت مكانه من الابدال قال الجنيد فدفعت اليه تلك الوديعة فنزع ثيابه واغتسل ولبس المرقعة وأخذ الركوة والعصا وتوجه نحو الشام فلم أره رضى الله تعالى عنه ونفعنا به آمين (وحكى عنه أيضا رضى الله تعالى عنه) أنه قال كان لى مسجد وكان بجانبه جار شرطى كنت

موسى نظر فى التوراة فقال انى أجد أمة هم خير الامم أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويؤمنون بالكتاب الاول والآخر ويقاتلون أهل الضلالة حتى يقاتلوا الاعور الدجال فقال موسى رب اجعلهم أمتى قال هم أمة محمد ياموسى قال له الحبر نعم قال كعب أنشدك الله تعالى هل تجد فى كتاب الله المنزل على موسى أن موسى نظر فى التوراة فقال انى أجد أمة هم الحامدون رعاة الشمس هم المحكمون اذا أرادوا أمرا قالوا نفعله ان شاء الله تعالى فقال موسى فاجعلهم أمتى فقال هم أمة محمد ياموسى قال الحبر نعم قال كعب أنشدك الله هل تجد فى كتاب الله المنزل أن موسى نظر فى التوراة فقال يارب انى اجد أمة يأكلون كفاراتهم وصدقاتهم وكان الاولون يحرقون صدقاتهم بالنار غير أن موسى كان يجمع صدقات بنى اسرائيل فلا يجد عبدا مملوكا ولا أمة الا اشتراه من ذلك الصدقة وما فضل يحفر له حفرة عميقة القعر وألقاه فيها ثم دفنه كى لا يرجعوا فيه وهم المسبحون المستجيبون المستجاب لهم وهم الشافعون والمشفعون قال موسى يارب اجعلهم أمتى قال هى أمة محمد ياموسى قال الحبر نعم قال كعب أنشدك الله هل تجد فى كتاب الله المنزل أن موسى نظر فى التوراة فقال انى أجد أمة اذا أشرف أحدهم على شرف كبر الله تعالى واذا هبط الى واد حمد الله تعالى الصعيد لهم طهور والارض لهم مسجد حيثما كانوا يتطهرون من الجنابة طهورهم بالصعيد كطهورهم بالماء حيث لا يجدون الماء غرا محجلين من آثار الوضوء فاجعلهم أمتى قال هى أمة محمد ياموسى قال الحبر نعم قال كعب أنشدك الله هل تجد فى التوراة أن موسى نظر فيها فقال يارب انى أجد أمة اذا هم أحدهم بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة واذا عملها كتبت له عشرا الى سبعمائة ضعف واذا هم بسيئة ولم يعملها لم تكتب عليه واذا عملها كتبت عليه سيئة مثلها فاجعلهم يارب أمتى قال هم أمة محمد ياموسى قال الحبر نعم قال كعب أنشدك الله هل تجد فى كتاب الله المنزل أن موسى نظر فى التوراة فقال يارب انى أجد أمة مرحومة أصفياء يرثون الكتاب فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات فلا أجد أحدا منهم الا مرحوما فاجعلهم أمتى قال هم أمة أحمد ياموسى فقال الحبر نعم قال كعب أنشدك الله هل تجد فى كتاب الله المنزل ان موسى نظر فى التوراة فقال يارب انى أجد أمة مصاحفهم فى صدورهم يلبسون ألوان ثياب أهل الجنة يصطفون فى صلاتهم صفوفا كصفوف الملائكة أصواتهم فى مساجدهم كدوى النحل لا يدخل النار منهم أحد ومنهم من لا يرى الحساب الا مثل ما يرى الحرمن وراء الشجر فاجعلهم أمتى قال هم أمة محمد ياموسى قال الحبر نعم قال فلما عجب موسى من الخير الذى أعطاه الله لامة محمد صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين قال موسى ياليتنى من أصحاب محمد فأوحى الله تعالى اليه بثلاث آيات يرضيه بهن فقال تعالى ياموسى انى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين الى قوله تعالى دار الفاسقين وقوله تعالى ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون قال فرضى موسى كل الرضا (وقال ابن عباس) لما سار موسى الى طور سيناء الى الميقات قال له ربه ما تبتغى قال جئت أبتغى الهدى قال وجدته ياموسى قال موسى يارب أى عبادك أحب اليك قال الذى يذكرنى ولا ينسانى قال فأى عبادك أقضى قال الذى يقضى بالحق ولا يتبع الهوى قال أى عبادك أعلم قال الذى يبتغى علم الناس الى علمه فيسمع الكلمة تهديه الى هدى أو ترده عن ردى وقال عبد الله بن مسعود لما قرب الله تعالى موسى الى طور سيناء رأى عبدا فى ظل العرش جالسا قال يارب من هذا قال عبد لا يحسد الناس على ما آتاهم الله من فضله برّ بوالديه لا يمشى بالنميمة قال موسى يارب اغفر لى ما جرى من ذنبى وما غبر وما بين ذلك وما أنت أعلم به منى أعوذ بك من وسوسة نفسى وأعوذ بك من سوء عملى قال قد كفيت ذلك ياموسى قال موسى يارب أى الاعمال أحب اليك أن أعمل به قال تذكرنى ولا تنسانى قال أى عبادك خير عملا قال من لا يكذب لسانه ولا يفجر قلبه ولا يزنى فرجه مؤمن فى خلق حسن قال فأى عبادك شر عملا قال فاجر فى خلق سىء جيفة بالليل بطال فى النهار قال فلما رجع موسى الى قومه وقد أتاهم بالتوراة أبوا أن يقبلوها ويعملوا بما فيها من الاثقال والاغلال التى كانت عليهم فيها وكانت شريعة ثقيلة فأمر الله جبريل فقلع جبلا على قدر عسكرهم وكان فرسخا فى فرسخ فرفعه فوق رؤسهم مثل الظلة مقدار قامة الرجل وقال أبو صالح عن ابن عباس أمر الله تعالى جبلا من جبال فلسطين فانقلع من أصله حتى قام على رؤسهم مثل الظلة فذلك قوله تعالى واذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور وقوله تعالى واذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة (وقال عطاء) عن ابن عباس رفع الله تعالى فوق رؤسهم الطور وبعث نارا من قبل

أعرف منه أخذ أموال المسلمين ١١٦ فلما حضرته الوفاة أتوا به الى مسجدى لاصلى عليه فامتنعت من الصلاة عليه وقلت خذوه عنى وصلوا عليه فى أى مسجد كان بعيدا عن مسجدى فأخذوه ومضوا به من عندى فلما كان الليل رأيت الشرطى وعليه ثياب خضر وهو يتبختر فى الجنة قال الجنيد فقلت له ألست الذى طردتك بالامس فقال نعم فقلت له اخبرنى بحالك فقال لما كان من أمرى ما كان وطردتنى وامتنعت من الصلاة على دخل عندى رعب شديد فلما مضوا بى من عندك سمعت قائلا يقول لا تحزن فانك قادم على كريم فزال ما كان عندى من الخوف فلما وقفت بين يديه جعلت اعتمادى عليه فقال الله عز وجل ياعبدى ما قال الجنيد فقلت ياسيدى أنت أعلم بمقالته فقال الله عز وجل وعزتى وجلالى ان كان قد طردك الجنيد فقد قبلتك فأنا أقبل المطرودين وأعفو عن المذنبين امضوا بعبدى الى الجنة برحمتى وأنا أرحم الراحمين اللهم ارحمنا كما رحمته وارحم جميع المسلمين (وحكى عن أبى العباس الخضر عليه السلام) أنه قال كنت بصنعاء اليمن فى مسجد عبد الرزاق الواعظ وكان من أكابر العلماء والاولياء اسمع منه ما يقول فنظرت الى شاب منفرد بناحية من المسجد مختل بنفسه واضعا

وجوههم

وجوههم وأتاهم البحر ملحا من خلفهم وقيل لهم خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا فان قبلتموه وفعلتم ما أمرتكم به والا رضختكم بهذا الجبل وأغرقتكم في هذا البحر وأحرقتكم بهذه النار فلما رأوا أن لا مهرب لهم منها قبلوا ذلك وسجدوا على شق وجوههم يلاحظون الجبل وهم سجود فصارت سنة في اليهود لا يسجدون الا على أنصاف وجوههم فلما زال الجبل قالوا يا موسى سمعنا وأطعنا ولولا الجبل ما أطعناك وروى قتادة عن الحسن قال مكث موسى بعد ما تغشاه نور رب العالمين وانصرف الى قومه أربعين ليلة لا يراه أحد الا مات حتى انه اتخذ لنفسه برنسا وعليه برقع لا يبدي وجهه لاحد مخافة أن يموت وأخبرني أبو عبد الله الحسين بن محمد بن الحسين الثقفي قال حدثنا محمد بن أبي شيبة قال حدثنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله القزويني قال حدثنا محمد بن مرزوق النضري قال حدثنا هاني بن يحيى السلمي قال حدثنا الحسن بن أبي سهل عن جعفر عن قتادة عن يحيى بن وثاب عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما كلم الله موسى كان يبصر بعد ذلك دبيب النمل في الليلة المظلمة على الصفا من مسيرة عشرة فراسخ (وأخبرنا) أبو عبد الله الثقفي قال حدثنا عبد الله بن شيبة قال حدثنا أبو حامد المستملي قال حدثنا اسحق قال حدثنا خالد بن خراش قال حدثنا عبد الله بن زيد بن أسلم عن أبيه أن موسى كان اذا غضب اشتعلت قلنسوته نارا لشدته

﴿ باب في ذكر قصة بني اسرائيل وهرون مع السامري حين اتخذ لهم العجل ﴾

قال أهل السير وأصحاب التواريخ لما أهلك الله فرعون وقومه قال موسى اني ذاهب الى الجبل لميقات ربي وآتيكم بكتاب فيه بيان ما تأتون وما تذرون وواعدهم ثلاثين ليلة واستخلف عليهم أخاه هرون فجاء جبريل عليه السلام على فرس يقال لها فرس الحياة وهي بلقاء أنثى لا تصيب شيأ الا حيي فلما رآه السامري على تلك الفرس عرفه وقال ان لهذه الفرس لشأنا عظيما وأخذ قبضة من تراب حافر فرس جبريل هذا قول السدي (وقال الكلبي) انما اتخذ السامري من تراب حافر فرس جبريل العجل حين عبروا البحر وبعث الله تعالى جبريل على فرس بلقاء خطوتها مد البصر عليها تركب الانبياء كلهم وخاض البحر وشمت خيول قوم فرعون ريحها فخاضت في أثرها قالوا وانما عرف السامري جبريل دون بني اسرائيل لان فرعون حين أمر بذبح أولاد بني اسرائيل جعلت المرأة اذا ولدت الغلام انطلقت به سرا في جوف الليل الى صحراء أو واد أو غار في جبل فأخفته فيقيض الله له ملكا من الملائكة يطعمه ويسقيه حتى يختلط بالناس وكان الذي ربى السامري جبريل عليه السلام فجعل يمص من أحد ابهاميه سمنا ومن الآخر عسلا فمن ثم عرفه ومن ذلك الوقت اذا جاع الطفل يمص ابهامه فيروى من المص لانه جعل له فيه رزق ويقال ان جبريل عليه السلام وكل بالسامري وعلا ليونا تسقيه اللبن بالغداة والعشي حتى كبر واختلط بالناس فلذلك عرفه دون سائر بني اسرائيل لانه والذي رباه (٢) وكان أبو عمر الاسكندري يقول دابة موسى وفرعون دابة موسى أز اهل بهشت وفرعون أز اهل دوزخ ودابة السامري وجبريل دابة جبريل أز اهل بهشت والسامري أز اهل دوزخ بود قال قتادة والسدي كان عظيما من عظماء بني اسرائيل من قبيلة يقال لها سامرة ولكن عدو الله نافق وقال سعيد بن جبير كان السامري من أهل كرمان وقال غيرهما كان رجلا صائغا من أهل باجرمي واسمه منجا وقال ابن عباس اسمه موسى ظفر وكان رجلا منافقا قد أظهر الاسلام وكان من قوم يعبدون البقر فدخل في قلبه حب البقر فلما ذهب موسى لميقات ربه وكان قد وعد قومه ثلاثين ليلة وأتمها الله بعشر حتى صارت أربعين فعد بنو اسرائيل ثلاثين ليلة فلما لم يرجع اليهم افتتنوا وقالوا ان موسى أخلفنا الوعد فاغتنمها السامري حتى فعل ما فعل وقال قوم انهم عدوا الليل يوما والنهار يوما وكان موسى قد وعدهم أربعين ليلة فلما مضت عشرون يوما افتتنوا فأتاهم السامري وقال لهم ان موسى قد احتبس عنكم فينبغي لكم أن تتخذوا الها فان موسى ليس براجع اليكم وقد تم الميقات فينبغي لكم أن تتخذوا الها وانما طمع فيهم السامري لانهم يوم عبر موسى البحر مروا على قوم من العمالقة وهم يعكفون على أصنام لهم فقالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة الآية فاغتنمها السامري فلما كان ذلك اليوم وخرج موسى ومضى من خروجه عشرون يوما وكانوا قد استعاروا حليا كثيرا من آل فرعون حين أرادوا الخروج من مصر بعلة العيد وأهلك الله فرعون وقومه وبقي ذلك الحلي بأيدي بني اسرائيل فلما خرج موسى قال هرون لبني اسرائيل ان حلي القبط الذي استعرتموه منهم غنيمة ولا يحل لكم فاجمعوه جميعا واحفروا له حفرة وادفنوه فيها حتى يرجع موسى فيرى فيه رأيه ففعلوا ذلك فجاء السامري بالقبضة التي أخذها من تحت حافر فرس جبريل عليه السلام فقال لهرون يا نبي الله هل أقذفها فيه فظن هرون انه من الحلي يريد به

رأسه بين ركبتيه فأتيت اليه وحركته وقلت يا هذا الم تحضر مجلس عبد الرزاق وتسمع منه ما يقول فقال قد سمعت من الله عز وجل فأدهشني ذلك فقلت له ان كنت صادقا فمن أنا فقال ان صحت الفراسة فأنت الخضر عليك السلام ثم غاب عن بصري فلم أره نفعنا الله تعالى به آمين

(وحكى عبد الله التستري رضي الله تعالى عنه) أنه قال غزا والدي سنة من السنين مع المجاهدين في سبيل الله تعالى فلما كان بين الصفين وقع المهر الذي كان تحته فمات فقال والدي يا رب أعرني اياه حتى أرجع من مجاهدتي الى قريتي فليس معي غيره قال فما تم كلامه حتى قام المهر في الحال حيا باذن الله تعالى فغزا والدي عليه فلما رجع قال يا ولدي خذ السرج عن المهر فقلت يا والدي انه عرقان حتى يستريح فقال يا ولدي انه عارية فلما أخذت السرج عنه وقع المهر في الحال ميتا وهذا من بعض كراماته رضي الله عنه

﴿ وحكي عن بعض الصالحين نفعنا الله تعالى بهم ﴾ أنه قال كان عندنا رجل نباش كان يسرق الاكفان من القبور فماتت امرأة من المتعبدات فصلى عليها كثير من

٢ قوله وكان أبو عمر والخ عبارة فارسية معناها دابة موسى وجبريل من أهل الجنة ودابة فرعون والسامري من أهل جهنم اهـ من هامش الاصل

مايريد أصحابه فقال له اقذف فقذفها فى الحفرة على الحلى فصارت عجلا جسدا له خوار (وقال ابن عباس) أوقد هرون نارا وأمرهم أن يقذفوها فيه فقذف السامرى تلك القبضة فيها فقال كن عجلا جسدا له خوار وكان البلاء والفتنة حين صار كذلك وذلك أن السامرى قال لهرون ألقى ما فى يدى وهو يظن أنه من تلك الحلى فقال نعم ويقال ان الذى قال لبنى اسرائيل ان الغنيمة لا تحل لكم هو السامرى فصدقوه وجمعوها ودفعوها اليه فصاغ منها عجلا فى ثلاثة أيام ثم ألقى فيه القبضة فخار خورة ثم لم يعد (وقال السدى) كان يخور ويمشى فلما أخرج السامرى العجل وكان من ذهب مرصع بالجوهر كأحسن ما يكون وقال هذا الهكم واله موسى فنسى أى أخطأ الطريق فتركه ههنا وخرج يطلبه فلذلك أبطأ عليكم واختلف الموعد وفى بعض الروايات أن السامرى لما صاغ العجل وقذف القبضة فيه أشعر العجل وعدا وخار فصار له لحم ودم ويروى أن ابليس خار فى وسطه ويقال ان السامرى جعل مؤخر العجل الى حائط وحفر فى الجانب الآخر فى الارض وأجلس فيه انسانا فوضع فمه فى دبره فخار وتكلم بما تكلم به وقال هذا الهكم واله موسى فلبس السامرى على أوغاد بنى اسرائيل وجهالهم حتى أضلهم وقال لهم ان موسى قد أخطأ ربه فأتاكم ربه أراد أن يريكم أنه قادر على أن يدعوكم الى نفسه بنفسه وأنه لم يبعث موسى لحاجة منه اليه وانه قد أظهر لكم العجل ليكلمكم من وسطه كما كلم موسى من الشجرة قال على بن أبى طالب رضى الله عنه انما سمى العجل لانهم تعجلوه قبل رجوع موسى اليهم (وقال الحسن البصرى) اسم عجل بنى اسرائيل الذى عبدوه يهموت قالوا فلما رأوا العجل وسمعوا قول السامرى افتتنوا به غير اثنى عشر ألفا وكان مع هرون ستمائة ألف فعكفوا عليه يعبدونه من دون الله وأحبوه حبا ما أحبوا مثله شيأ قط فقال لهم هرون يا بنى اسرائيل انما فتنتم به وان ربكم الرحمن فاتبعونى وأطيعوا أمرى قالوا لن نبرح عليه عاكفين حتى يرجع الينا موسى فأقام هرون فيمن معه من المسلمين وأقام من يعبد العجل على عبادته وتخوف هرون ان سار بمن معه من المسلمين الى المفتونين الضالين أن يقول له موسى فرقت بين بنى اسرائيل وكان له هائبا مطيعا وقال قتادة فى هذه القصة قد كره الصالحون الفرقة قبلكم (أخبرنى) الحسن باسناده عن راشد بن سعيد قال لما واعد الله موسى أربعين يوما قال الله تعالى يا موسى ان قومك قد افتتنوا من بعدك قال يا رب كيف يفتنون وقد نجيتهم من فرعون ومن البحر وأنعمت عليهم قال انهم اتخذوا العجل الها من دونى وهو عجل ذو جسد له خوار قال يا رب من نفخ فيه الروح قال أنا قال أنت وعزتك فتنتهم ان هى الا فتنتك الآية فقال الله تعالى يا موسى يا رأس النبيين يا أبا الاحكام انى رأيت ذلك فى قلوبهم فيسرته لهم فلما رجع موسى من الميقات الى قومه وقرب منهم سمع اللغط حول العجل وكانوا يعزفون ويرقصون حوله ولم يخبر موسى أصحابه السبعين بما أخبره ربه من حديث العجل فقالوا هذا قتال فى المحلة فقال موسى لهم لا ولكنه صوت الفتنة افتتن القوم بعدنا بعبادة غير الله فذلك قوله تعالى ولما رجع موسى الى قومه غضبان أسفا فلما رآهم حول العجل وما يصنعون به ألقى الالواح من يده فتكسرت فصعد عامة الكلام الذى كان ولم يبق فيها الا سدسها ثم أعيدت له فى لوحين (عن ابن عباس) قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس المعاين كالمخبر قال الله تعالى لموسى ان القوم قد فتنوا فلم يلق الالواح فلما عاين ألقى الالواح فكسرها (عن تميم الدارى) قال قلت يا رسول الله مررت بمدينة صفتها كيت وكيت قريبة من ساحل البحر فقال عليه الصلاة والسلام تلك انطاكية الا أن فى غار من غيرانها رضاضا من ألواح موسى وما من سحابة شرقية ولا غربية تمر بها الا ألقت عليها من بركاتها ولن تذهب الايام والليالى حتى يسكنها رجل من أهل بيتى يملؤها عدلا وقسطا كما ملئت جورا وظلما قالوا فلما رأى موسى ما صنع قومه من بعده من عبادة العجل أخذ بشعر رأس أخيه هرون بيمينه ولحيته بشماله وكان هرون قد اعتزلهم فى اثنى عشر ألفا لم يعبدوا العجل فقال لهرون ما منعك اذ رأيتهم ضلوا أن لا تتبعن أفعصيت أمرى هلا قاتلتهم اذ علمت أنى لو كنت فيهم لقاتلتهم على كفرهم فقال هرون يا ابن أم الآية قال المفسرون كان هرون أخا موسى لابيه وأمه ولكنه أراد بقوله يا ابن أم ترقيقه واستعطافه عليه لا تأخذ بلحيتى ولا برأسى أى بذوائبى انى خشيت ان قاتلتهم أن يصيروا احزابا يقتل بعضهم بعضا فتقول فرقت بين بنى اسرائيل ولم ترقب قولى أى لم تحفظ وصيتى حين قلت لك اخلفنى فى قومى وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين ثم ان موسى أقبل على السامرى وقال له ما خطبك يا سامرى أى ما أمرك وشأنك فقال السامرى بصرت بما لم يبصروا به فقبضت

الناس وصلى النباش معهم وخرجوا الى قبرها والنباش معهم ليعرف قبرها فلما جن الليل أتى النباش الى قبرها ونزل اليها فأنطقها الله عز وجل وقالت سبحان الله رجل مغفور له يأخذ كفن امرأة مغفور لها فقال النباش ان الله غفر لك فكيف غفر لى فقالت ان الله غفر لى ولمن صلى على قال فخرج النباش من عندها وتاب الى الله تعالى وحسنت توبته ببركتها ولزم العبادة حتى مات رحمة الله تعالى عليه وعلينا وعلى أموات المسلمين أجمعين

﴿ وحكى عن عبد الواحد بن زيد رضى الله تعالى عنه ﴾ أنه قال بينما نحن جلوس ذات يوم فى مجلسنا اذ قد تهيأنا للخروج للغزو فى سبيل الله تعالى وقد أمرت أصحابى أن يتهيؤا فقرأ رجل منهم فى مجلسنا ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة فقلت نعم فقال غلام يا عبد الواحد أشهد أنى بعته نفسى ومالى بأن لى الجنة فقلت له يا غلام ان حد السيف أشد من ذلك وأنت صغير السن يخاف عليك أن لا تصبر وتعجز عن ذلك فقال الغلام يا عبد الواحد أبايع الله تعالى بالجنة ثم أعجز أشهد الله انى بعته نفسى ومالى فى سبيله قال عبد الواحد فتعجبنا

قبضة من أثر الرسول يعنى أخذت ترابا من أثر فرس جبريل فنبذتها وطرحتها فى العجل وكذلك سولت لى نفسى
أى زينت لى قالوا فلما علم بنواسرائيل انهم قد أخطؤا وضلوا فى عبادتهم العجل ندموا على ذلك واستغفروا الله
تعالى كما قال تعالى ولما سقط فى أيديهم ورأوا أنهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين
فقال لهم موسى ياقوم انكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل قالوا له فأى شىء نصنعه وما الحيلة قال توبوا الى بارئكم
أى ارجعوا الى خالقكم قالوا فكيف نتوب قال فاقتلوا أنفسكم أى ليقتل البرىء المجرم ذلكم يعنى القتل خير لكم
عند بارئكم قال ابن عباس ابى الله ان يقبل توبة بنى اسرائيل الا بالحال الذى كرهوا ان يقاتلوهم حين عبدوا العجل
وقال قتادة جعل الله توبة عبدة العجل القتل لانهم ارتدوا وكفروا والكفر مبيح الدم فلما أمرهم موسى بالقتل
استسلموا الامر وقالوا نصبر لامر الله فجلسوا فى الافنية محتبين وأظلت عليهم القوم بالسيوف والخناجر فكان الرجل
يرى أخاه وابنه وأباه وقريبه وجاره فلم يمكنه الا امضاء أمر الله تعالى فقالوا ياموسى كيف نصنع فارسل الله ضبابة
وسحابة سوداء حتى لا يبصر بعضهم بعضا وقيل لهم من حل حبوته أو مد طرفه الى قاتله أو اتقاه بيد أو رجل فهو
ملعون مردودة توبته فكانوا يقتلونهم الى المساء فلما كثر فيهم القتل وبلغ عدة القتلى سبعين ألفا دعا موسى وهرون
ربهما وجزعا وتضرعا وقالا يارب هلكت بنواسرائيل البقية البقية فكشف الله السحابة عنهم وأمرهم ان يرفعوا
السلاح ويكفوا القتل عنهم فلما انكشفت السحابة عن القتلى اشتد ذلك على موسى فأوحى الله تعالى اليه أما
يرضيك ان أدخل القاتل والمقتول الجنة فكان من قتل منهم شهيدا ومن بقى منهم مكفرا ذنبه فذلك قوله تعالى
فتاب عليكم انه هو التواب الرحيم وقالوا أمر الله تعالى موسى ان يبرد العجل بالمبرد ويحرقه ثم يذروه فى النيل فمن
شرب ماء من عبدة العجل اصفر لون وجهه واسودت شفتاه وقيل نبت على شاربه الذهب فكان علما لجرمه فاخذ
موسى العجل فذبحه ثم برده بالمبرد ثم أحرقه وجمع رماده وأمر السامرى بالبول عليه استخفافا به وتصغيرا له ثم
ذراه فى الماء فذلك قوله تعالى وانظر الى الهك الذى ظلت عليه عاكفا الآية قالوا ثم ان موسى أمرهم بالشرب من
ذلك الماء فشربوا منه فاصفرت وجوه الذين عبدوه واسودت شفاههم فاقروا بحب العجل وعبادته وقالوا ياموسى
انا قد ندمنا على ما صنعنا وتبنا الى الله فلو أمرنا أن نقتل نفوسنا لتقبل توبتنا قتلناها فقيل لهم فاقتلوا أنفسكم ثم ان
موسى هم بقتل السامرى فأوحى الله تعالى اليه لا تقتله فانه سخى فلعنه موسى وقال له فاذهب فان لك فى الحياة ان
تقول لا مساس وان لك موعدا لن تخلفه أى بعذابك فى القيامة ثم أمر موسى بنى اسرائيل أن لا يخالطوه ولا يقربوه
فصار السامرى وحشيا لا يألف أحدا ولا يؤالف ولا يدنو من الناس ولا يمس أحدا منهم فمن مسه قرض ذلك
الموضع بالمقراض وكان كذلك حتى هلك قال قتادة ان بقاياهم الى اليوم يقولون ذلك أى لا مساس وفى بعض
الكتب أنه ان مس أحدا من غيرهم أو واحدا منهم رحم كلاهما فى الوقت قالوا ثم ان الله تعالى أمر موسى أن
يأتيه فى ناس من خيار بنى اسرائيل ليعتذروا اليه من عبادة قومهم العجل فاختار موسى سبعين رجلا لينطلقوا
معه الى الجبل كما أمر الله تعالى وأمره أن يكونوا شيوخا فلم يصب الا ستين شيخا فأوحى الله تعالى اليه أن يختار من
الشباب عشرة فاختارهم فأصبحوا شيوخا (وروى) انه اختار من كل سبط ستة نفر فصار واثنين وسبعين رجلا
فقال انما أمرت بسبعين رجلا فليتخلف منكم رجلان فتشاحوا على ذلك فقال موسى ان لمن قعد مثل أجر من خرج
فقعد يوشع بن نون وكالب بن يوقنا فامر موسى السبعين أن يصوموا ويتطهروا ويطهروا أثوابهم ثم خرج بهم
الى الطور لميقات ربه وذلك قوله تعالى واختار موسى قومه سبعين رجلا لميقاتنا الآية وكان لا يأتيه الا باذن منه فلما
دنا موسى الى الجبل وقع عليه عمود الغمام حتى تغشى الجبل كله ودنا موسى ودخل فيه وقال للقوم ادنوا وكان
موسى اذا كلمه الله وقع على وجهه نور ساطع لا يستطيع أحد من بنى اسرائيل أن ينظر اليه فضرب دونه الحجاب
ودنا القوم حتى دخلوا فى الغمام وخروا سجدا وسمعوا الله تعالى وهو سبحانه وتعالى يكلم موسى ويأمره وينهاه
وأسمعهم الله تعالى انى أنا الله لا اله الا أنا ذو بكة أخرجتكم من أرض مصر فاعبدونى ولا تعبدوا غيرى فلما فرغ
موسى من الكلام وانكشف الغمام أقبل اليهم فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتهم الصاعقة وهى نار
جاءت من السماء فأحرقتهم جميعا قال وهب بل أرسل الله عليهم جندا من السماء فلما سمعوا حسهم ماتوا يوما وليلة
فذلك قوله تعالى واذ قلتم ياموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون فلما ماتوا قال

من ذلك وانا صبى يعقل ونحن لا نعقل نخرج من عندنا وتصدق بجميع ماله فى سبيل الله الا فرسه وسلاحه ونفقته فلما كان
يوم الخروج كان أول
من طلع علينا هو
فقال السلام عليك
ياعبد الواحد فقلت
وعليك السلام ياحبيبى
ربح البيع ثم سرنا وهو
معنا يصوم النهار
ويقوم الليل ويخدمنا
ويخدم دوابنا ويحرسنا
اذا نمنا حتى انتهينا الى
بلاد الروم فبينما نحن
جلوس اذا به قد أقبل
وهو ينادى واشوقاه
الى العيناء المرضية
فقال أصحابى لعل هذا
الغلام وسوس واختلط
عقله قال عبد الواحد
فقلت له ياحبيبى وما
هذه العيناء المرضية
فقال الغلام ياسيدى
انى غفوت قليلا فرأيت
فى منامى كأنه قد أتانى
آت فقال لى اذهب
الى العيناء المرضية ثم
أخذ بيدى وهجم بى
على روضة فيها ماء غير
آسن واذا على شاطئ
ذلك النهر جوار عليهن
من الحلى والحلل مالا
أقدر أن أصفه فلما
رأيننى استبشرن بى
وقلن هذا زوج العيناء
المرضية فقلت السلام
عليكن أفيكن العيناء
المرضية فقلن نحن
خدمها وإماؤها
امض أمامك فمضيت
أمامى فاذا بنهر من
لبن لم يتغير طعمه فى روضة فيها من كل زينة وجوار حين رأيتهن فتنت بحسنهن وجمالهن فلما رأيننى استبشرن وقلن هذا زوج العيناء المرضية

موسى رب لو شئت أهلكتهم من قبل واياى أتهلكنا بما فعل السفهاء منا يارب وكيف أرجع الى بنى اسرائيل وقد أهلكت خيارهم ولم يزل موسى يناشد ربه حتى أحياهم الله له جميعا رجلا بعد رجل ينظر بعضهم بعضا كيف يحيون فذلك قوله تعالى ثم بعثنا كم من بعد موتكم الآية (أخبرنى) الحسن باسناده عن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا راح منا الى الجمعة سبعون كانوا كالسبعين الذين وفدوا مع موسى الى ربهم وأفضل

﴿ باب فى قصة قارون حين عصى ربه وموسى واستكبر وأورثه ماله الطغيان والبطر حتى أهلكه الله ﴾

قال الله تعالى ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم الآية قالت العلماء باخبار القدماء قارون كان ابن عم موسى لانه قارون بن يصهر بن قاهث بن لاوى بن يعقوب وموسى هو ابن عمران بن قاهث هذا قول أكثر العلماء (وقال) ابن اسحق تزوج يصهر بن قاهث سمين بنت ماويب بن بركيا بن يقشان بن ابراهيم فولدت له عمران بن يصهر وقارون بن يصهر فنكح عمران بحيب بنت شمويل بن بركيا بن يقشان فولدت هرون وموسى ابنى عمران فموسى على قول ابن اسحق ابن أخى قارون وقارون عمه لابيه وأمه وعلى قول الآخرين ابن عمه وعليه أصحاب التواريخ وكان قارون أعلم بنى اسرائيل بعد موسى وهرون وأفضلهم وأجملهم قال قتادة كان يسمى المنور لحسن صورته ولم يكن فى بنى اسرائيل أقرأ للتوراة منه ولكن عدو الله نافق كما نافق السامرى فبغى على قومه كما قال تعالى فبغى عليهم واختلفوا فى معنى هذا البغى قال ابن عباس رضى الله عنهما كان فرعون قد ملك قارون على بنى اسرائيل حين كانوا بمصر (وأخبرنى) الحسين باسناده عن المسيب بن شريك ان قارون كان من قوم موسى فبغى عليهم قال كان عاملا لفرعون على بنى اسرائيل وكان يبغى عليهم ويظلمهم وقال عطاء الخراسانى وشهر ابن حوشب زاد عليهم فى الشباب شبرا وروى شيبان عن قتادة قال بغى عليهم بالكبر والبذخ وبكثرة ماله وكان أغنى أهل زمانه وأثراهم كما قال تعالى وآتيناه من الكنوز ما ان مفاتحه لتنوء الآية أى لتثقل وتميل بهم اذا حملوها لثقلها واختلف المفسرون فى عدد العصبة فى هذا الموضع فقال مجاهد ما بين العشرة الى الخمسة عشر وعن قتادة ما بين العشرة الى الاربعين وعن عكرمة منهم من يقول أربعون ومنهم من يقول سبعون وعن الضحاك ما بين الثلاثة الى العشرة وقيل هم ستون (وروى) جرير عن خيثمة قال وجدت فى الانجيل ان مفاتيح خزائن قارون وقر ستين بغلا غرا محجلة ما يزيد منها مفتاح على أصبع لكل مفتاح منها كنز ويقال ان قارون كان أينما ذهب يحمل معه مفاتيح كنوزه وكانت من حديد فلما ثقلت عليه جعلها من خشب فثقلت عليه فجعلها من جلود البقر على طول الاصابع فكانت تحمل معه اذا ركب على أربعين بغلا واختلفوا فى سبب جمع تلك الاموال له فقيل كان عنده علم الكيمياء قال سعيد بن المسيب كان موسى يعلم الكيمياء فعلم يوشع بن نون ثلث ذلك العلم وعلم كالب ابن يوقنا مثله وعلم قارون مثله فخدعهما قارون حتى أضاف علمهما الى علمه وفى الخبر ان الله تعالى علم موسى الكيمياء فعلم موسى أخته فعلمته قارون فكان ذلك سبب أمواله فذلك قوله تعالى انما أوتيته على علم عندى أو بالتصرف فى التجارات والزراعات وسائر أنواع المكاسب والمطالب وقيل فى سبب جمعه تلك الاموال ما أخبرنا الثقفى باسناده عن ابن أبى الحوارى قال سمعت أبا سليمان الدارانى كان يقول تبدى ابليس لقارون وكان قارون قد أقام على جبل أربعين سنة يتعبد حتى اذا غلب جميع بنى اسرائيل فى العبادة بعث اليه ابليس شياطينه فلم يقدروا عليه فتقدم هو له وجعل يتعبد مع قارون وجعل ابليس يقهره بالعبادة ويفوقه فخضع له قارون وقال له ابليس يا قارون قد رضينا بهذا الذى نحن فيه لا نشهد لبنى اسرائيل جماعة ولا نعود لهم مريضا ولا نشهد جنازة قال فأحدره من الجبل الى البيعة فكانوا يؤتون بالطعام فقال له ابليس يا قارون قد رضينا أن نكون هكذا كلا على بنى اسرائيل فقال له قارون فاى رأى عندك قال نكتسب يوما فى الجمعة ونتعبد بقية الجمعة قال فتكسبا فى يوم الجمعة وتعبدا فى بقيتها فقال ابليس قد رضينا أن نكون هكذا قال قارون فأى الرأى عندك قال نكتسب يوما ونتعبد يوما فنتصدق ونعطى قال فلما كسبا يوما وتعبدا يوما خاس ابليس وتركه ففتحت على قارون أبواب الدنيا فبلغ ماله ما أخبرنا به ابن فنجويه باسناده عن المسيب بن شريك قال ما ان مفاتحه لتنوء بالعصبة وكانت أربعمائة ألف فى أربعين خزانة فصار فى الثروة وكثرة المال بحيث يضرب به الامثال أنشدنى أبو العباس سهل ابن محمد المروزى عن بعضهم

وعدتنى وعدك حتى اذا * أطمعتنى فى كنز قارون

فقلت السلام عليكن أفيكن العيناء المرضية فقلن وعليك السلام ياولى الله نحن خدمها واماؤها امض أمامك فضيت أمامى فوصلت الى خيمة من درة بيضاء وعلى باب تلك الخيمة جارية عليها من الحلى والحلل مالا أقدر أن أصفه فلما رأتنى متبشرت بى ونادت من فى الخيمة أيتها العيناء المرضية هذا بعلك قد قدم قال فدنوت من تلك الخيمة ودخلت اليها فاذا هى قاعدة على سرير من ذهب أحمر مكلل بالدر والياقوت والجوهر فلما رأيتها افتتنت بها فقالت مرحبا بك ياولى الله قد دنا لك القدوم علينا فتقدمت لاعانقها فقالت مهلا فانه لم يؤذن لك أن تعانقنى لان فيك روح الحياة ولكن أنت تفطر الليلة عندنا ان شاء الله تعالى فانتبهت من منامى وليس لى صبر ياعبد الواحد عنها قال عبد الواحد فما فرغ من كلامه حتى أقبلت علينا سرية من العدو فحمل الغلام فيهم فعددنا تسعة رجال قتلهم وكان هو العاشر فجئت اليه وهو يتشحط فى دمه وهو يضحك حتى فارق الدنيا رحمة الله تعالى عليه قال عبد الواحد فحزنت عليه وأنشدت

يامن يعانق دنيا لابقاء لها * يمسى ويصبح مغرورا وغرارا

جئت

هلا تركت في الدنيا معانقة * حتى تعانق في الفردوس أبكارا ان كنت تبغي جنان الخلد تسكنها * فينبغي لك أن لا تأمن النارا

جئت من الليل بغسالة * تغسل ما قلت بصابون

بغى قارون وطغى وتجبر حين استغنى وأثرى حتى هلك فصار عبرة للغابرين وعظة للباقين وكان أول طغيانه وعصيانه أنه تكبر واستطال على الناس بكثرة الاموال فكان يخرج في زينته وهيئته ويختال كما قال تعالى فخرج على قومه في زينته الآية قال مجاهد خرج على براذين بيض عليها سروج الارجوان وعليها المعصفرات وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم خرج في سبعين ألفا عليهم المعصفرات قال وكان ذلك أول يوم ظهرت المعصفرات في الارض * فيما كان أبي يذكر لي عن مقاتل أنه خرج على بغلة شهباء عليها سرج من الذهب عليه الارجوان ومعه ألف فارس عليهم وعلى دوابهم الارجوان ومعه ستمائة جارية بيض عليهن الحلي والثياب الحمر على البغال الشهب فتمنى أهل الخسارة والجهالة مثل الذي أوتيه فقالوا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون انه لذو حظ عظيم فأنكر عليهم أهل العلم بالله وقالوا لهم اتقوا الله واعملوا بما أمركم الله به وانتهوا عما نهاكم عنه فان ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا ولا يلقاها الا الصابرون عن لذات الدنيا وشهواتها قال الله تعالى وما يلقاها الا الذين صبروا أي لا يوفق لهذه الكلمة الا الصابرون على طاعة الله وعن زينة الحياة الدنيا (قالوا) ثم ان الله أوحى الى نبيه موسى عليه السلام أن يأمر قومه أن يعلقوا في أرديتهم خيوطا أربعة في كل طرف خيط أخضر لونه كلون السماء فقال موسى يا رب لم أمرت بني اسرائيل بتعليق هذه الخيوط الخضر في أرديتهم فقال الله تعالى ان بني اسرائيل في غفلة وقد أردت أن أجعل لهم علما في ثيابهم ليذكروني به اذا نظروا اليه ويذكرون اله السماء ويعلمون أني منزل منها كلامي فقال موسى يا رب أفلا تأمرهم أن يجعلوا أرديتهم كلها خضرا فان بني اسرائيل تحتقر هذه الخيوط قال له يا موسى ان الصغير من أمري ليس بصغير وان لم يطيعوني في الامر الصغير لم يطيعوني في الامر الكبير قال فدعا موسى بني اسرائيل ثم قال لهم ان الله أمركم أن تعلقوا في أرديتكم خيوطا خضرا كلون السماء لتذكروا ربكم اذا رأيتموها ففعلت بنو اسرائيل ما أمرهم به موسى واستكبر قارون فلم يطعه وقال انما يفعل هذه الارباب بعبيدهم لكي يتميزوا عن غيرهم فكان أيضا هذا من بغيه وعصيانه (قالوا) فلما قطع موسى ببني اسرائيل البحر جعلت الحبارة وهي رياسة المذبحة وبيت القربان لهرون فكانت بنو اسرائيل يأتون بهديهم فيدفعونه الى هرون فيضعه على المذبح فتنزل نار من السماء فتأكله فوجد قارون في نفسه من ذلك فأتى موسى وقال يا موسى لك الرياسة والرسالة ولهرون الحبارة ولست أنا في شيء من ذلك وأنا أقرأ للتوراة منكما ولا صبر لي على هذا فقال موسى والله ما جعلتها أنا في هرون بل الله جعلها له فقال له قارون والله لا أصدقك في ذلك حتى تريني بيانه قال فجمع موسى رؤساء بني اسرائيل وقال هاتوا عصيكم فمن أصبحت عصاه خضراء فهو أحق بالحبارة فجمعوا العصي وجاؤا بها وكتب كل واحد اسمه على عصاه فحزمها موسى وألقاها في القبة التي كان يعبد الله فيها وجعلوا يحرسون عصيهم حتى أصبحوا فاصبحت عصا هرون قد اهتزت ولها ورق أخضر وكانت من شجر اللوز فقال موسى يا قارون ترى هذا من فعلي فقال قارون والله ما هذا بأعجب مما تصنع السحرة وذهب قارون مغاضبا واعتزل موسى بأتباعه وجعل موسى يداريه للقرابة التي بينهما وهو يؤذيه في كل وقت ولا يزيد كل يوم الا عتوا وتجبرا ومخالفة ومعاداة لموسى حتى انه بنى دارا وجعل بابها من الذهب الاحمر وضرب على جدرانها صفائح الذهب وكان الملأ من بني اسرائيل يغدون عليه ويروحون فيطعمهم الطعام ويحدثونه ويضاحكونه قال ابن عباس ثم ان الله أنزل الزكاة على موسى فلما أوجب الله الزكاة عليهم أتى قارون موسى فصالحه عن كل ألف دينار دينار واحد وعن كل ألف درهم درهم واحد وعن كل ألف شاة شاة واحدة وعن كل شيء شيء ثم رجع قارون الى بيته وحسبه فوجده كثيرا فلم تسمح نفسه بذلك فجمع بني اسرائيل وقال لهم يا قوم ان موسى قد أمركم بكل شيء فأطعتموه وهو الآن يريد أن يأخذ أموالكم فقالوا له أنت كبيرنا وسيدنا فمرنا بما شئت فقال آمركم أن تجيؤا بفلانة البغي فنجعل لها جعلا على أن تقذف موسى بنفسها فاذا فعلت ذلك خرجت عليه بنو اسرائيل فرفضوه فاسترحنا منه فأتوا بها فجعل لها قارون ألف درهم وقيل ألف دينار وقيل طستا من ذهب وقيل حكمها وقال لها أنا أمونك وأخلطك بنسائي على أن تقذفي موسى بنفسك غدا اذا حضر بنو اسرائيل فلما كان من الغد جمع قارون بني اسرائيل ثم أتى موسى فقال ان بني اسرائيل اجتمعوا ينتظرون خروجك لتأمرهم وتنهاهم وتبين لهم أعلام دينهم وأحكام شرعهم فخرج اليهم موسى وهم في براح من الارض فقام فيهم خطيبا ووعظهم وقال فيما قال يا بني اسرائيل من سرق

﴿ وحكي عن عبد الواحد رضي الله تعالى عنه ﴾ انه قال أصابتني علة في ساقي سنة من السنين فكنت أتحامل عليها للصلاة فقمت عليها من الليل فاجهدني وجعي منها فجلست ثم لففت ازاري في محرابي ووضعت رأسي عليه ونمت فبينما أنا نائم اذا أنا بجارية تفوق الدنيا حسنا وهي تخطر بين جوار مزينات حتى وقفت على رأسي والجواري من خلفها ثم قالت لبعضهن ارفعنه ولا توقظنه فأقبلن نحوي واحتملنني وأنا أنظر اليهن في منامي ثم قالت للجواري اللاتي معها افرشن له ومهدنه ووسدنه قال عبد الواحد ففرشن تحتي سبع فرش لم أر لهن في الدنيا مثلا ووضعن تحتي مرافق خضرا حسانا ثم قالت للاتي حملنني اجعلنه على الفراش رويدا قال فجعلت على الفراش وصرت أنظر اليهن متعجبا مما تأمر به من شأني ثم قالت أين العلة فأشرت اليها فوضعت يدها عليها وقالت قم شفاك الله الى صلاتك غير مضرور فاستيقظت من منامي كأني والله قد نشطت من عقال فما شكيت

بعد ذلك اليوم بهذه العلة أبدا ولا ذهب عن قلبي حلاوة منطقها وحسن قولها قم الى صلاتك غير مضرور وهذا

قطعنا يده ومن افترى جلدناه ثمانين جلدة ومن زنى وليس له امرأة جلدناه مائة جلدة وان كان له امرأة رجمناه حتى يموت فقال له قارون وان كنت أنت قال وان كنت أنا قال ان بنى اسرائيل يزعمون انك فجرت بفلانة قال أنا قال نعم قال ادعوها فان قالت فهو كما قالت فدعوها فلما جاءت قال لها موسى يا فلانة أنا فعلت بك ما يقول هؤلاء وعظم عليها وسألها بالذى فلق البحر لموسى وبنى اسرائيل وأنزل التوراة على موسى الا صدقت فلما ناشدها تداركها الله بالتوفيق وقالت فى نفسها الان أحدث اليوم توبة أفضل من أن أوذى رسول الله فقالت لا بل كذبوا ولكن جعل لى قارون جعلا على أن أقذفك بنفسى فلما تكلمت بهذا الكلام سقط فى يد قارون ونكس رأسه وسكت الملأ وعرف أنه قد وقع فى مهلكة فخر موسى ساجدا لله يبكى ويقول يارب ان عدوك هذا قد آذانى وأراد فضيحتى وشينى اللهم ان كنت رسولك فاغضب لى وسلطنى عليه فأوحى الله تعالى اليه أن ارفع رأسك وأمر الارض بما شئت تطعك فقال موسى يا بنى اسرائيل ان الله تعالى قد بعثنى الى قارون كما بعثنى الى فرعون فمن كان معه فليلبث مكانه ومن كان معى فليعتزل عنه فاعتزلوا عن قارون ولم يبق معه الا رجلان ثم قال موسى يا أرض خذيهم فأخذتهم الى كعابهم ثم قال يا أرض خذيهم فأخذتهم الى ركبهم ثم قال يا أرض خذيهم فأخذتهم الى جنوبهم ثم قال يا أرض خذيهم فأخذتهم الى أحقابهم ثم قال يا أرض خذيهم فأخذتهم الى أعناقهم وقارون وصاحباه فى كل ذلك يتضرعون الى موسى ويناشده قارون بالله والرحم حتى روى فى بعض الاخبار أنه ناشده سبعين مرة وموسى فى جميع ذلك لا يلتفت اليه لشدة غضبه عليه ثم قال يا أرض خذيهم فانطبقت الارض عليهم وأوحى الله الى موسى يا موسى ما أفظك استغاثوا بك سبعين مرة فلم تغثهم ولم ترحمهم أما وعزتى وجلالى لو اياى دعوا لوجدونى قريبا مجيبا قال قتادة ذكر لنا ان الله تعالى يخسف بهم فى كل يوم قامة وأنه يجلجل بهم فيها لا يبلغون قعرها الى يوم القيامة (وأخبرنا) محمد بن عبد الله بن حمدون بقراءتى عليه قال أخبرنا أحمد بن محمد بن الحسين قال أخبرنا محمد بن يحيى وعبد الرحمن بن بشير وأحمد بن يونس قال أخبرنا عبد الرزاق أخبرنا معمر بن راشد عن همام بن منبه قال أخبرنا أبو هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينما رجل يتبختر فى برديه وينظر فى عطفيه وقد أعجبته نفسه اذ خسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة * قالوا فلما خسف الله بقارون وصاحبيه الارض أصبحت بنو اسرائيل يتناجون فيما بينهم ان موسى انما دعا على قارون ليستبد بداره وأمواله وكنوزه فدعا الله موسى حتى خسف الله بداره وأمواله الارض وأوحى الله تعالى اليه انى لا أعيد الارض لاحد بعدك أبدا فذلك قوله تعالى فخسفنا به وبداره الارض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين فلما حلت نقمة الله بقارون حمد الله تعالى المؤمنون الذين وعظوه وأنذروه بأس الله كما أخبر الله تعالى اذ قال له قومه لا تفرح ان الله لا يحب الفرحين أى لا تبطر ولا تأشر وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة الآية وندم الذين كانوا يتمنون مكانه بالامس ومآله وحاله كما قال تعالى وأصبح الذين تمنوا مكانه بالامس يقولون ويكأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر فنجى الله نبيه موسى صلوات الله على سيدنا محمد وعليه وسلامه والمؤمنين من كل بلاء ومحنة وأهلك أعداءهم فرعون وهامان وقارون كما قال تعالى وقارون وفرعون وهامان ولقد جاءهم موسى بالبينات فاستكبروا فى الارض الآيات

(باب فى قصة موسى حين لقى الخضر وما جرى بينهما من العجائب الى أن بلغ من أمرهما ما بلغ)

قال الله تعالى واذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضى حقبا قال الاستاذ الامام اختلف العلماء فى السبب الذى قصد موسى لاجله الخضر فروى الحسن بن عمارة عن الحكم بن عيينة عن سعيد بن جبير قال جلست عند ابن عباس وعنده نفر من أهل الكتاب فقال بعضهم يا ابن عباس ان نوفا ابن امرأة كعب يزعم عن كعب أن موسى عليه السلام الذى طلب العلم انما هو موسى بن ميشا قال ابن عباس كذب نوف حدثنى أبى ابن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان موسى نبى بنى اسرائيل سأل ربه فقال يارب ان كان فى عبادك أحد هو أعلم منى فدلنى عليه فقال الله عز وجل نعم فى عبادى من هو أعلم منك ثم نعت له مكان الخضر عليه السلام وأذن له فى لقائه وروى هارون بن عنترة عن أبيه عن ابن عباس قال سأل موسى ربه فقال يارب أى عبادك أحب اليك فقال الذى يذكرنى ولا ينسانى قال فأى عبادك اقضى قال الذى يقضى بالحق ولا يتبع

الهوى

(وحكى عنه أيضا رضى الله تعالى عنه) انه قال سألت الله تعالى ليلة من الليالى أن يرينى رفيقى فى الجنة فقيل لى يا عبد الواحد رفيقك فى الجنة ميمونة السوداء فقلت وأين هى فقيل لى فى بنى فلان بالكوفة فخرجت الى زيارتها فلما وصلت الكوفة سألت عنها فقيل لى هى امرأة عجوز مجنونة ترعى غنيمات فقلت أريد أن أراها فقالوا اخرج الى البساتين فانك تراها فخرجت فاذا هى قائمة تصلى وبين يديها عكازة وعليها جبة من صوف مكتوب عليها لا تباع ولا تشرى ورأيت الغنم مع الذئاب ترعى فلا الذئاب تأكل الغنم ولا الغنم تخاف من الذئاب فلما رأتنى أوجزت فى صلاتها ثم قالت ارجع يا ابن زيد ليس الموعد ههنا فقلت لها يرحمك الله فمن أعلمك باسمى فقالت يا عبد الواحد أما علمت ان الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف فقلت لها عظينى فقالت واعجبا لواعظ يوعظ ثم قالت ما من عبد أعطى شيئا فابتغى اليه ثانيا الا سلبه الله حب الخلوة معه وبدله بعد القرب وحشة ثم أنشدت تقول

يا واعظا قام لاحتساب * يزجر قوما عن الذنوب

تنهى وأنت السقيم حقا *

لموسى قال يارب أي عبادك أعلم قال الذي يبتغي علم الناس الى علمه عسى أن يصيب كلمة تهديه الى هدى أو ترده عن ردى قال فهل في الارض أحد أعلم مني قال نعم قال يارب من هو قال الخضر قال فأين أطلبه قال على الساحل عند الصخرة التي يفلت عندها الحوت وجعل الحوت علامة ودليلا وقال اذا حيي هذا الحوت فان صاحبك هنالك وكان قد تزود سمكا مملحا وروى عطية العوفي عن ابن عباس قال لما ظهر موسى وقومه على مصر واستقرت بهم الدار أنزل الله عليهم المن والسلوى فخطب موسى قومه فذكرهم ما آتاهم الله من الخير والنعمة اذ نجاهم من آل فرعون وأهلك عدوهم واستخلفهم في الارض قال وكلم الله نبيكم تكليما واصطفاه لنفسه وألقى عليه محبة منه وآتاكم من كل ماسألتموه فنبيكم أفضل أهل الارض وأنتم تقرؤن التوراة فلم يترك نعمة أنعمها الله عليهم الا ذكرها وعرفهم اياها فقال له رجل منهم من بني اسرائيل قد عرفنا الذي تقول فهل على وجه الارض أحد أعلم منك يانبي الله قال لا قال فعتب الله عليه حيث لم يرد العلم اليه فبعث اليه جبريل عليه السلام فقال له ياموسى مايدريك أين أضع علمي بل ان لي عبدا بمجمع البحرين أعلم منك فسأل موسى ربه ان يريه اياه فأوحى الله اليه أن ائت البحر فانك تجد على شاطئ البحر حوتا فخذه وادفعه الى فتاك ثم الزم شاطئ البحر فاذا نسيت الحوت وهلك منك فثم تجد العبد الصالح قال فخرج موسى وفتاه يقصدان مجمع البحرين للقاء الخضر عليه السلام ومعهما حوت مالح فذلك قوله تعالى واذ قال موسى يعني ابن عمران لفتاه أي لصاحبه يوشع بن نون بن افرائيم بن يوسف عليه السلام لا أبرح أي لا أزال أسير حتى أبلغ مجمع البحرين يعني بحر فارس والروم مما يلي المشرق قال قتادة وقال أبي بن كعب هو افريقية وقال محمد بن كعب طنجة أو أمضي حقبا دهرا او زمانا طويلا فذهبا ومعهما الخبز والسمك المملوح وسارا حتى انتهيا الى الصخرة عند مجمع البحرين ليلا قال معقل بن زياد وهي الصخرة التي دون نهر الزيت قال وعندها عين تسمى ماء الحياة ولا يصيب ذلك الماء شيأ الا عاد حيا فلما أصاب السمكة روح الماء وبرده اضطربت في المكتل وعاشت ودخلت البحر فذلك قوله تعالى فلما بلغا يعني موسى وفتاه مجمع بينهما يعني البحرين نسيا تركا حوتهما وانما كان الحوت مع يوشع وهو الذي نسيه يدل عليه قوله تعالى انى نسيت الحوت ولكنه صرف النسيان اليهما والمراد به أحدهما كما قال تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وانما يخرجان من المالح دون العذب فاتخذ الحوت سبيله في البحر سربا أي مذهبا ومسلكا واختلفوا في كيفية ذلك فروى أبي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انجاب الماء عن مسلك الحوت فصار كوة لم تلتئم فدخل موسى الكوة على أثر الحوت فاذا هو بالخضر عليه السلام وقال ابن عباس رأى أثر جناحه في الطين حين وقع في الماء وجعل الحوت لا يمس شيأ من البحر الا يبس حتى يصير صخرة وروى ابن عباس عن أبي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما انتهيا الى الصخرة وضعا رؤسهما فناما فاضطرب الحوت في المكتل فخرج منه وسقط في البحر فاتخذ سبيله في البحر سربا فأمسك الله تعالى عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق فلما استيقظ موسى عليه السلام نسي صاحبه ان يخبره بالحوت فانطلقا بقية يومهما وليلتهما حتى اذا كان من الغد قال موسى لفتاه آتنا غداءنا الآية وقال قتادة رد الله الى الحوت روحه فسرب حتى أفضى الى البحر ثم سلكه فجعل لا يسلك منه موضعا الا صار ماء جامدا طريقا يابسا وقال الكلبي توضأ يوشع بن نون من عين الحياة فانتضح على الحوت المملح من ذلك الماء وهو في المكتل فعاش ووثب في الماء فجعل يضرب بذنبه الماء فلا يضرب بذنبه شيأ من الماء وهو ذاهب الا يبس قال الحكماء كان لموسى عليه السلام خمسة أسفار الاول سفر الهرب وهو قوله تعالى ففررت منكم لما خفتكم الآية والثاني سفر الطور وهو قوله تعالى فلما أتاها نودي أن بورك من في النار ومن حولها الآية وهو قوله تعالى فلما أتاها نودي من شاطئ الوادي الايمن الآية والثالث سفر الطلب وذلك عند خروجه من مصر قال الله تعالى وأوحينا الى موسى أن أسر بعبادي والرابع سفر الحرب وهو قوله تعالى اخبارا عن قول قومه فاذهب أنت وربك فقاتلا الآية والخامس سفر النصب وهو قوله تعالى لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا وذلك انه لما ألقي على موسى الجوع بعد ما جاوز الصخرة ليتذكر الحوت ويرجع الى موضع مطلبه فقال له فتاه وتذكر أرأيت اذ أوينا الى الصخرة فاني نسيت الحوت أي تركته وفقدته وقيل فيه اضمار تقديره فني نسيت أن أذكر أمر الحوت وما أنسانيه الا الشيطان ان أذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا قال عبد الرحمن بن زيد أي شيء أعجب من

هذا من المنكر العجيب * لو كنت أصلحت قبل هذا * عيبك أو تبت من قريب * تنهى عن البغي والتمادي * وأنت في الغي كالمريب * قال عبد الواحد فدهشت عند سماع ذلك وقلت لها ياميمونة اني أرى هذه الاغنام مع الذئاب ترعى فلا الغنم تخاف من الذئاب ولا الذئاب تأكل الغنم فقالت اليك عني يابطال فاني أصلحت ما بيني وبين سيدي فأصلح ما بين الذئاب وغنمي قال فمضيت من عندها وقلت من أطاع الله أطاعه كل شيء نفعنا الله تعالى بهم وغفر لنا ببركاتهم وأسرارهم ومددهم آمين ﴿وحكى عنه أيضا رضي الله تعالى عنه﴾ انه قال اشتريت غلاما للخدمة فلما كان الليل طلبته فلم أجده ورأيت الابواب مغلقة على حالها فلما أصبحت اذا به قد أعطاني درهما مكتوبا عليه سورة الاخلاص بقلم القدرة الربانية فقلت له ياغلام من أين لك هذا فقال ياسيدي لك عندي في كل يوم مثل هذا بشرط انك لا تطلبني في الليل فقلت له نعم فكان يغيب كل ليلة ويأتي بعد صلاة الصبح بذلك الدرهم المكتوب قال فمكث على ذلك مدة من الزمان فبينما أنا جالس ببيتي اذ جاءني بعض أصحابي وقال يا ابن زيد أما علمت لامك هذا فانه نباش القبور قال فغمني ما سمعته وقلت لهم امسكوه فاني

حوت كان دهرا من الدهور يؤكل منه ثم صار حيا حتى حشر فى البحر قال وكان شق حوت وقال وهب بن منبه ظهر فى الماء من أثر جرى الحوت أخدود شبه نهر من حيث دخل الى حيث انتهى فرجع موسى حتى انتهى الى مجمع البحرين فاذا هو بالخضر فذلك قوله تعالى قال ذلك ما كنا نبغ أى نطلب فارتدا أى رجعا على آثارهما الذى جا آمنه قصصا أى يقصان الاثر فوجدا عبدا من عبادنا يعنى الخضر عليه السلام

﴿فصل فى ذكر جمل من أخبار الخضر عليه السلام وأحواله﴾

واسمه بليا بن ملكان بن فالغ بن عابر بن شالخ بن أرفخشذ بن سام بن نوح وانما لقب بالخضر كما أخبرنا به أبو سعيد محمد ابن عبد الله بن حمدون قراءتى عليه قال أخبرنا أبو حامد أحمد بن محمد بن الحسين الشرقى قال حدثنا محمد بن يحيى وعبد الرحمن بن بشر وأحمد بن يوسف قالوا أنبأنا عبد الرزاق أنبأنا عبد الله بن حامد الوزاق قال أنبأنا مكى ابن عبدان قال أنبأنا أبو الازهر قال حدثنا عبد الرزاق قال أنبأنا معمر عن همام بن منبه عن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما سمى الخضر لانه جلس على فروة بيضاء فاذا هى تهتز تحته خضراء وأخبرنا أبو نصر محمد بن على بن الفضل الخزاعى قال أنبأنا أبو بكر محمد بن الحسن القصار قال أنبأنا أحمد بن يوسف السامى قال أنبأنا محمد بن يوسف الفريابى قال ذكر سفيان عن منصور عن مجاهد قال انما سمى الخضر لانه أينما صلى اخضر حوله

﴿فصل فى بدء أمر الخضر عليه السلام﴾

يروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أسرى به الى السماء بينما هو على البراق وجبريل يمر به اذ وجد رائحة طيبة فقال يا جبريل ما هذه الرائحة الطيبة قال انه كان ملك فى الزمان الاول له سيرة حسنة فى أهل مملكته وكان له ابن ولم يكن له ولد غيره قال أصحاب الاخبار وكان أبوه ملكا عظيما فسلمه الى المؤدب يؤدبه وكان يختلف اليه وكان بين منزله ومؤدبه رجل عابد كان يمر به فاعجبه حاله فألفه وكان يجلس عنده والمعلم يظن انه فى المنزل وأبوه يظن انه عند المعلم حتى شب ونشأ وأخذ من العابد شمائله وعبادته فقالوا لابيه ليس لك ولد غيره يرث ملكك فلو زوجته لعله يرزق أولادا فعرض عليه أبوه التزويج فابى ثم عاوده فعرض عليه فرضى فزوجه جارية من بنات الملوك فزفت اليه فلما بقيت عنده قال لها انى مخبرك بأمر ان أنت سمعتيه صرف الله عنك شر الدنيا وعذاب الآخرة وان أفشيت سرى عذبك الله فى الدنيا وفى الآخرة قالت وماذاك قال انى رجل مسلم لست على دين أبى وليست النساء من حاجتى فان رضيت أن تقيمى معى على ذلك وتتابعينى على دينى فذاك اليك وان أنت أبيت لحقت بأهلك فقالت المرأة بل أقيم معك فاما أتت عليها مدة قالوا لابيه ما نظن ابنك الا عاقرا الا يولد له ولد فسأله أبوه فقال ما ذلك بيدى وانما ذلك بيد الله يؤتيه من يشاء فدعا المرأة وسألها فردت عليه مثل ما رد عليه الخضر فمكث أبوه زمانا ثم دعا ابنه اليه فقال له أحب أن تطلق امرأتك هذه وأزوجك امرأة غيرها ولودا يعاتر زق منها ولدا فكره ذلك الخضر وألح عليه أبوه حتى فرق بينهما وزوجه امرأة غيرها ولودا ثيبا فعرض عليها الخضر مقالته الاولى فرضيت وقالت أقيم معك فلبثا زمانا ثم ان أباه استبطأ الولد منه فدعاه وقال له ليس يولد لك فقال ليس ذلك بيدى ولكنه بيد الله ثم انه دعا امرأته وقال لها أنت امرأة شابة ولود وقد كنت ولدت عند غير ابنى ولست تلدين عند ابنى فقالت ما مسنى منذ صحبته وكذلك المرأة الاولى فدعاها وسألها فقالت مثل ذلك فدعا ابنه وغيره وعنفه ففزع من أبيه ولم يؤمن على نفسه منه فخرج من عنده فهام على وجهه ولم يدر أحد من خلق الله تعالى أين توجه فندم أبوه على ما فعل فارسل فى طلبه مائة رجل من طرق شتى مختلفة فانطلقوا فى طلبه فادركه منهم عشرة فى جزيرة من جزائر البحر فقال لهم انى أقول لكم شيأ فاكتموه عنى فان كتمتموه صرف الله عنكم شر الدنيا وعذاب الآخرة وان أبيتم ذلك وأفشيتم سرى عذبكم الله فى الدنيا وفى الآخرة قالوا له قل ما شئت قال هل بعث أبى فى طلبى أحدا غيركم قالوا نعم فقال لهم اذا فاكتموا أمرى ولا تخبروا أبى أنكم رأيتمونى وقولوا مثل قول نظرائكم الذين أرسلهم فى طلبى فلم يرونى لانكم لو أخبرتموه بى أو ذهبتم بى اليه قتلنى وصرتم أنتم مؤاخذين بدمى قال فخلوا عنه وانصرفوا فلما دخلوا على أبيه قال تسعة منهم قد وجدناه وقال لنا كيت وكيت فخلينا عنه وقال العاشر ما لنا به علم وما لى به خبر والتسعة قالوا بلى قد ظفرنا به وان شئت أتيناك به فقال لهم ارجعوا فى طلبه وائتونى به وان الخضر خاف أن يظفروا به فانحاز من ذلك الموضع الى موضع آخر فأتوا اليه فلم يجدوه فرجعوا وقالوا لم نره فقتلهم أبوه قالوا وان أباه دعا بالمرأة الثيب وقال لها انت منعت هذا ابنى حتى هرب فقتلها وسمعت المرأة الاولى بذلك فهربت مخافة القتل

احفظه فى هذه الليلة فلما صلينا العشاء قام ليخرج والابواب مغلقة فاشار بيده فانفتح له كل باب أشار اليه وأنا أنظر اليه فتبعته ومضيت خلفه حتى بلغ أرضا فلاة فنزع ثيابه ولبس مسحا وصلى الى الفجر فلما فرغ من صلاته رفع رأسه نحو السماء وقال ياسيدى الكبير هات أجرة سيدى الصغير فوقع عليه من السماء درهم فاخذه فتحيرت فى أمره ودهشت من حاله فقمت وتوضأت وصليت واستغفرت الله تعالى مما كان منى ونويت عتقه ثم طلبته فلم أجده فانصرفت حزينا متحيرا وما كنت أعرف تلك الارض فبينما أنا متحير اذا بفارس قد أقبل على فرس أشهب فقال ياعبد الواحد ماسبب جلوسك ههنا فاخبرته بقصتى فقال لاتعترض أتدرى كم بينك وبين بلدك فقلت الله أعلم فقال مسيرة سنتين للفارس المجد المسرع فدهشت من ذلك فقال لاتبرح من هذا المكان حتى يأتيك غلامك قال عبد الواحد فمكثت يومى الى أن جن الليل فما أفقت الا وقد أقبل ومعه سفرة عليها من كل الطعام فقال لى ياسيدى كل ولا تعد لمثلها فاكلنا فلما فرغنا قال ياسيدى الكبير هات أجرة سيدى الصغير واذا بدرهمين سقطا فى حجره فاعطانيهما ثم قام فصلى الى الفجر ثم أخذ بيدى وخطابى

وقال

وقال العاشر الذى أنكر رؤيا الخضر ما يؤمننى أن يقتلنى كما قتل التسعة فهرب حتى أتى قرية فاذا المرأة الهاربة أيضا فى تلك القرية فكانت تحتطب فقالت يوما بسم الله فسمعها الرجل الهارب فقال لها من أنت فاخبرته خبرها فقال يا هذه أنا العاشر خرجت خوف القتل فهل لك أن أتزوجك ونعبد الله حتى نموت فقالت نعم ثم انهما انطلقا حتى أتيا قرية فيها بعض من الفراعنة فاتخذا بيتا من قصب ومكثا فيه ورزقا فيه ثلاثة أولاد فقال لها الرجل اذا أنا مت فادفنينى فى هذا البيت وكذلك كل من مات منكم فانى لا أحب أن تكون قبورنا مع هؤلاء فاذا كان آخرنا موتا يوصى أن يهدم عليه البيت فمات الرجل فدفنته امرأته ثم انه بلغ فرعون زمانهم انهم يوحدون الله ويعبدونه فجىء بالمرأة الى حضرته فامرها أن ترجع عن دينها فابت فامر بقدر من نحاس فملئت ماء وأغلى غليانا شديدا وأمر بالمرأة وولدها فاما احضروا قال لها ارجعى عن دينك والا ألقيتك أنت وأولادك فى هذا القدر فابت عليه فامر بولدها الاكبر فالقى فيه فتفسخ فيه وكذلك الثانى وكان فى حجرها ابن رضيع فارادوا القاءه فرقت المرأة ونازعتهم فى شأنه فتكلم الغلام الرضيع وقال لها اصبرى فانا جميعا فى الجنة فلما أرادوا أن يلقوها فى القدر قالت لهم لى اليكم حاجة يسيرة قالوا وما هى قالت اذا رميتمونى فى القدر فادفنوها بما فيها من عظامنا فى بيتنا واهدموه علينا ففعلوا ذلك فلما أسرى برسول الله صلى الله عليه وسلم وجد رائحة طيبة فقال ما هذه يا جبريل فاخبره بقصتهم وقال هذه رائحتهم ويروى أن جبريل عليه السلام قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان قوما من أهل تلك المدينة ركبوا البحر فى تجارتهم فضربتهم الامواج فتكسرت بهم سفينتهم فانفلت منهم رجلان على لوح من ألواحها فضربتهم الامواج حتى أسندتهما الى جزيرة من جزائر البحر فخرجا يجولان فى الجزيرة فاذا هما بالخضر عليه السلام وعليه ثياب بيض وهو قائم يصلى فجلسا حتى فرغ من صلاته فالتفت اليهما وقال لهما من أنتما قالا نحن من مدينة كذا وكذا خرجنا فى هذا البحر لطلب التجارة فانكسرت بنا هذه السفينة ودفعنا الى هذه الجزيرة فقال اختارا ان شئتما أن تقيما فى هذا الموضع تعبدان الله تعالى وتأتيكما أرزاقكما وان شئتما أردكما الى منازلكما قالا بل تردنا الى منازلنا فقال لهما على ان تعطيانى عهد الله وميثاقه على أنكما لا تخبران بشىء مما تريانه فاعطياه العهد والميثاق على الكتمان فنظر فاذا سحائب تمر فدعاهن وسألهن فقالت كل واحدة منهن أريد بلد كذا وكذا فدعا التى تريد بلادهما فقال لها احملى هذين حتى تضعيهما على سطوحهما فسقطت السحابة وانشقت لهما ثم رفعتهما ومضت حتى وضعتهما على سطوحهما فعزم أحدهما على الكتمان ونزل الى منزله وعزم الآخر على اذاعته فنزل من سطحه وخرج من بابه وانطلق الى باب المدينة ونادى النصيحة فادخل على الملك فقال له ما نصيحتك فقال رأيت ابنك فى موضع كذا وكذا وصنع بى كذا وكذا فقال له من يعلم ذلك قال فلان كان رفيقى فبعث اليه وسأله عما قال فقال أما ركوب البحر فقد ركبنا جميعا وقد انكسرت بنا السفينة وصرنا على لوح من ألواحها فلم تزل الامواج تضربنا حتى صرنا الى الساحل فخرجنا من البحر فلم نزل نعيش من الشجر ونبات الارض والثمر ترفعنا ارض وتضعنا أخرى حتى انتهينا الى منازلنا فقال له الغادر ابعث معى رسلك حتى أدفعه اليك وتعلم ان هذا قد كذب فامر بالرجل الكاتم فحبس وتوعده بالصلب ان وفى صاحبه بما قال وأوعد الغادر بالصلب ان هو كذب ولم يأت به فبعث معه رسلا فركبوا البحر حتى انتهوا الى الجزيرة فطلبوا الخضر فلم يجدوا شيأ فرجعوا بالرجل الى الملك وقالوا هذا أكذب خلق الله ما رأينا مما قال شيأ فصلبه وخلى عن الآخر ثم ان أهل تلك المدينة لم يزالوا يعملون المعاصى حتى غضب الله عليهم قال جبريل عليه السلام فبعثنى الله تعالى اليهم فادخلت جناحى تحتها واقتلعتها حتى سمع أهل سماء الدنيا نباح الكلاب وصياح الديوك ثم أمرنى فقلبتها فجاءت تهوى بمن فيها حتى انتهت الى وجه الارض فبقى بيت الرجل الكاتم والمرأة الكاتمة من جانب سالمين ثم انطبقت الارض بمن فيها فلم ينج منهم غيرهما فجعلا يدوران فى حدود المدينة فلا يلقى كل واحد منهما غير صاحبه فلما أن كثر ذلك قال الرجل أيتها المرأة قد رأيت ما أصاب القوم وانه لم يفلت غيرى وغيرك فبأى شىء نجوتما فاخبرينى وأنا أخبرك فعاهد كل واحد منهما صاحبه على الكتمان فتصادقا فاذا قصتهما واحدة وانما نجاهما الكتمان فقال لها هل لك أن تزوجينى نفسك ونخرج الى مدينة من هذه المدائن فاكتسب عليك وتكتسبين على حتى يقضى الله من أمرنا ما يشاء ففعلت فذهبا الى مدينة فرعون من الفراعنة فاتخذا لهما بيتا وولد لهما أولادا وتلطفت المرأة لآل فرعون وصارت ماشطة لهم فحظيت عندهم فبينما هى ذات يوم قاعدة تسرح رأس

خطوات يسيرة فاذا ابى على باب دارى فقال يا سيدى أنت نويت عتقى فقلت نعم أنت حر لوجه الله تعالى قال وكان خلف باب الدار حجر عظيم كنا نغلق به الباب فقال يا سيدى خذ هذا ثمنى وأنت مأجور ان شاء الله تعالى واذا بالحجر صار ذهبا فدهشت من ذلك وأسرعت نحو أصحابى لاقص عليهم ما رأيت فطرق الغلام الباب فخرجت اليه ابنتى الصغيرة وقالت يا عبد السوء أين والذى أنت قتلته من أجل نبشك القبور ثم لطمته على عينه لطمة ففقأتها فلما رجعت الى المنزل وجدت الغلام على تلك الحالة فعلمت ان ذلك فعل ابنتى الصغيرة فقطعت يدها ثم أخذت فى الاعتذار اليه فاخذ الغلام عينه بيده ووضعها مكانها ورمق بها الى السماء فاذا هى أحسن ما كانت ثم أخذ بيد ابنتى وتفل عليها فاذا هى كما كانت فلما رأيت ذلك منه قلت هذا نباش النور لا نباش القبور ثم ذهب الغلام عن بيتى فحزنت على فراقه ولم أدر أين ذهب رضى الله تعالى عنه (وحكى عنه رضى الله تعالى عنه) أنه قال ركبت فى مركب سنة من السنين ومعى جماعة من التجار فثارت علينا ريح شديدة حتى طرحتنا الى جزيرة من جزائر البحر فاذا رجل فيها يعبد صنما فلما رأيناه قلنا له يا رجل ماذا تعبد فأومأ الى الصنم فقلت له ان

بنت الملك اذ سقط المشط من يدها فقالت بسم الله تعس من كفر بالله ففزعت الجارية من ذلك وقالت لها من الله قالت ربي فقالت لها وان لك لربا غير أبي فقالت نعم هو ربي ورب أبيك ورب كل شيء فنهضت الجارية ودخلت على أبيها وقالت نعم ان فلانة تقول قولا عجيبا تقول كذا وكذا فارسل اليها فحضرت فقال لها ما هذا الذي بلغني عنك فقالت هو ما بلغك قال فهل أحد يقول بقولك قالت نعم بعلي وصبيتي فبعث اليهم وامتحنهم فاذا هم يقولون قولا واحدا فقال لهم انا لا نقركم على ما أنتم عليه حتى ترجعوا الى ديننا فقالوا له اصنع ما أنت صانع فأمر بقدر من نحاس عظيمة فملئت ماء ثم أشعل تحتها حتى اضطرب الماء ثم دعا بالصبية فعرض عليهم واحدا واحدا الكفر وابوا أن يكفروا فاخذهم وطرحهم في القدر ثم انه دعا بالزوج وعرض عليه الكفر فابى فالقاه في القدر ثم دعا بالمرأة وقال لها ان لك علينا حقا فان أنت رجعت الى ديننا والا ألقيناك في القدر فقالت له اصنع ما أنت صانع ثم انها قالت له لي اليك حاجة قال وما هي قالت اذا صنعت ما أنت صانع فمر بيتنا أن يحفر فيه حفرة ثم تأمر بالقدر فتحمل بما فيها ثم يأتون بها منزلنا فيسكب ما في القدر في الحفرة ثم يعاد علينا التراب ثم يهدم علينا البيت ففعل ذلك فهذه الرائحة رائحة المسك تسطع من بيتهم الى يوم القيامة فهذه قصة الخضر مع أبيه وبدء أمره وكان في زمن افريدون الملك ابن القباء على قول عامة أهل الكتب الاولى وقيل انه كان على مقدمة ذي القرنين الاكبر الذي كان في زمن ابراهيم عليه السلام وهو الذي قضى ببئر السبع وهي بئر كان احتفرها ابراهيم عليه السلام لماشيته في صحراء الاردن وان قوما من أهل الاردن ادعوا الارض التي احتفرها فيها ابراهيم عليه السلام فحاكمهم ابراهيم عليه السلام الى ذي القرنين الذي كان الخضر على مقدمته أيام مسيره في البلاد وانه بلغ مع ذي القرنين نهر الحياة وشرب من مائه وهو لا يعلم به ولا يعلم ذو القرنين ومن معه في محلته فخلد وهو في الحياة الى الآن وقيل ان ذا القرنين الذي كان على عهد ابراهيم عليه السلام وكان الخضر عليه السلام على مقدمته هو افريدون الملك وزعم بعضهم ان الخضر من ولد من كان آمن بابراهيم خليل الرحمن واتبعه على دينه وهاجر معه من أرض بابل (وروى) محمد بن اسحق بن يسار عن وهب بن منبه أن الخضر هو أرميا بن خلفيا وكان من سبط هرون بن عمران وهو الذي بعثه الله نبيا في أيام ناشئة بن اموص ملك بني اسرائيل والقول الاول أشبه بالحق وأولى بالعدل والصدق لان ناشئة ابن أموص كان في عصر كرفشت بن كراراشت في أيام بختنصر وبين افريدون وكرفشت من الدهور والازمان ما لا يجهله ذو علم بايام الناس وأخبارهم *وقد صح الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث أبي بن كعب ان صاحب موسى بن عمران الذي أمر بطلبه وبالاقتباس منه هو الخضر عليه السلام ورسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم الخلق بالامور الماضية والباقية وموسى بن عمران انما نبئ في عصر منوشهر الملك وكان منوشهر الملك بعد ملك جده افريدون فدل هذا على خطأ من قال انه أرميا بن خلفيا لان أرميا كان في أيام بختنصر وبين عهد موسى وبختنصر من المدة ما لا يخفى على أهل العلم اللهم الا أن يكون الامر كما قاله من قال انه كان على مقدمة ذي القرنين صاحب ابراهيم عليه السلام فشرب من ماء عين الحياة فخلد ولم يبعث في ايام ابراهيم ومن بعده الى أيام ناشئة بن أموص فبعث حينئذ نبيا والله أعلم والصحيح انه نبي معمر محجوب عن الابصار (وروى) محمد بن المتوكل عن ضمرة بن عبد الله بن سوار قال الخضر من ولد فارس والياس من بني اسرائيل يلتقيان في كل عام في الموسم وأخبرني محمد بن القاسم أخبرنا أبو بكر محمد بن القاسم قال أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد بن يعقوب قال أخبرنا يزيد بن سمعان بن حبان الواسطي أخبرنا علي بن المنذر عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار قال ان الخضر والياس لا يزالان حيين في الارض مادام القرآن فيها فاذا رفع القرآن ماتا وأخبرني أبو عمرو العمراني أخبرنا أبو أحمد بن محمد بن علي الرازي أخبرنا ابراهيم بن اسحق الانماطي أخبرنا أبو همام الوليد بن شجاع السلمي أخبرنا عمر بن عبد الواحد السلمي عن ابن ثوبان عن بعض أهل العلم عن أنس بن مالك قال خرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا بصوت يجيء من شعب فقال يا أنس انطلق فابصر ما هذا الصوت قال فانطلقت فاذا رجل يصلي ويقول اللهم اجعلني من أمة محمد المرحومة المغفور لها المستجاب لها المتاب عليها فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعلمته بذلك فقال لي انطلق فقل له ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرئك السلام ويقول لك من أنت فاتيته فاعلمته بما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لي أقرئ رسول الله صلى الله عليه وسلم مني السلام وقل له أخوك الخضر يقول لك ادع الله أن يجعلني من أمتك المرحومة المغفور لها المستجاب

لها

الملك هذا مصنوع وما هو باله يعبد فقال ١٢٩ الرجل وما تعبدون أنتم قلنا نعبد الها في السماء عرشه وفي الارض بطشه وفي الاحياء والاموات قضاؤه وقدرته تقدست أسماؤه وجلت عظمته وكبرياؤه فقال ومن أعلمكم بهذا قلنا وجه الينا رسولا كريما أخبرنا بذلك فقال وما فعل بالرسول قلنا لما أدى الرسالة قبضه الملك اليه واختار له ما لديه قال وهل ترك الرسول عندكم من علامة للملك قلنا نعم ترك عندنا كتابا يسمى قرآنا فقال ائتوني بكتاب الملك فانه ينبغي أن تكون كتب الملوك حسانا قال فأتيناه بالمصحف الشريف فقرأنا عليه سورة فلم يزل يبكي حتى ختمنا السورة ثم قال ينبغي لصاحب هذا الكلام ان لا يعصى ثم أسلم وحسن اسلامه فعلمناه شرائع الاسلام وسورة من القرآن فلما كان بعض الليالي صلينا العشاء وأخذنا مضاجعنا فقال يا قوم هذا الاله الذي دللتموني عليه اذا جن عليه الليل ينام كما تنامون فقلنا لا يا عبد الله هو حي قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم فقال بئس العبيد أنتم تنامون ومولاكم لا ينام قال فأعجبنا كلامه فلما أصبحنا قلت لاصحابي هذا قريب عهد بالاسلام فاجمعوا له دراهم ينفقها فجمعناها له ذلك فلما رآها قال ما هذا قلنا دراهم

لما المتاب عليها (رجعنا الى حديث موسى وفتاه) قالوا فانتهى موسى وفتاه الى الخضر وهو قائم يصلي على طنفسة خضراء على وجه الماء وهو متشح بثوب أخضر فسلم عليه موسى فقال الخضر وأنى بأرضك السلام فقال أنا موسى فقال موسى بني اسرائيل قال نعم قال ياموسى لقد كان في بني اسرائيل شغل قال موسى ان ربي أرسلني اليك لاتبعك وأتعلم من علمك ثم جلسا يتحدثان فجاءت خطافة وحملت بمنقارها من الماء فقال الخضر ياموسى خطر ببالك أنك أعلم أهل الارض ماعلمك وعلمي وعلم جميع الاولين والآخرين في جنب علم الله تعالى الا أقل من الماء الذي حملته الخطافة بمنقارها فذلك قوله تعالى فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا أي نبوة وحكمة وعلمناه من لدنا علما (وقال ابن عباس) كان الخضر يعلم علم الغيب فقال له موسى هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشدا قال انك لن تستطيع معي صبرا الاني أعلم علم الباطن علما علمنيه الله تعالى وكيف تصبر على مالم تحط به خبرا يعني على مالم تعلمه قال موسى ستجدني ان شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا قال فان اتبعتني فلا تسألني عن شئ عامته مما تنكره حتى أحدث لك منه ذكرا وأبين لك شأنه فانطلقا يسيران يلتمسان سفينة يركبان فيها فمرت بهما سفينة جديدة وثيقة فركباها فقال أصحاب السفينة هؤلاء لصوص وأمروهم بالخروج منها فقال صاحب السفينة ماهؤلاء بلصوص ولكني أرى وجوههم وجوه الانبياء وقال أبي بن كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انطلقا يمشيان على ساحل البحر اذ مرت بهم سفينة فكلموهم أن يحملوهم فعرفوا الخضر فحملوهم بغير نول فلما رجعوا في البحر أخذ الخضر عليه السلام فأسا فخرق لوحا من السفينة حتى دخلها الماء فغشاها موسى بثوبه وقال له أخرقتها لتغرق أهلها وقد حملونا وأحسنوا الينا فخرقت سفينتهم ماهذا جزاؤهم منا لقد جئت شيأ امرا أي عجبا منكرا قال الخضر ألم أقل انك لن تستطيع معي صبرا قال موسى لاتؤاخذني بمانسيت ولاترهقني من أمري عسرا يعني لاتكلفني ولاتضيق علي أمري (قال ابن عباس) لما خرق الخضر السفينة تنحى موسى ناحية وقال في نفسه ماكنت أصنع بمصاحبة هذا الرجل كنت في بني اسرائيل أتلو عليهم كتاب الله غدوة وعشيا وآمرهم فيطيعوني فقال له الخضر ياموسى أتريد أن أخبرك بما حدثت به نفسك قال نعم قال قلت كذا وكذا قال صدقت فانطلقا يمشيان حتى أتيا أيلة فاذا هما بغلمان عشرة فيهم غلام هو أظرفهم وأضوؤهم وجها قال ابن عباس كان غلاما لم يبلغ الحلم وقال الضحاك كان غلاما يعمل الفساد فتأذى منه أبواه وقال الكلبي كان الغلام يسرق المتاع بالليل فاذا أصبح لجأ الى أبويه فيحلفان دونه شفقة عليه ويقولان لقد بات عندنا واختلفوا في اسمه فقال الضحاك كان اسمه حسنود وقيل الحسين وقال وهب بن منبه كان اسم أبيه ملاس واسم أمه رحمة قال فأخذه الخضر عليه السلام فقتله واختلفوا في كيفية قتله قال سعيد بن جبير أخذه فاضجعه ثم ذبحه بالسكين وقال الكلبي صرعه ثم نزع رأسه وقال قوم رفسه برجله فقتله وقال آخرون ضرب رأسه بالجدار حتى قتله وفي رواية أخرى أدخل أصبعه في سرة الصبي فاقتلعها فمات فلما قتله قال موسى أقتلت نفسا زكية يعني طاهرة لم تذنب ولم تستوجب القتل بغير نفس لقد جئت شيأ نكرا أي منكرا قال قتادة المنكر أشد وأعظم من الامر قال فغضب الخضر واقتلع كتف الصبي الايسر وقشر اللحم عنه فاذا في عظم كتفه مكتوب كافر لايؤمن بالله أبدا * ويدل على صحة هذا القول ما أخبرنا به عبد الله بن حامد أخبرنا أحمد بن عبيد الله أخبرنا محمد بن عبد الله بن سليمان أخبرنا يحيى أخبرنا قيس عن أبي اسحق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أبي بن كعب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كان الغلام الذي قتله الخضر طبع كافرا فقال الخضر لموسى ألم أقل لك انك لن تستطيع معي صبرا قال ان سألتك عن شئ بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا أي في فراقي (أخبرنا) عبد الواحد بن حامد الوزان أخبرنا مكي بن عبدان أخبرنا عبد الرحمن بن بشر أخبرنا حجاج بن محمد أخبرنا حمزة الزيات عن أبي اسحق عن سعيد بن جبير عن ابن عباس عن أبي بن كعب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا ذكر أحدا بدعائه بدأ بنفسه فقال ذات يوم رحمة الله علينا وعلى أخي موسى لولبث مع صاحبه لابصر العجب العجاب ولكنه قال ان سألتك عن شئ بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا فانطلقا يمشيان حتى أتيا أهل قرية واختلفوا في القرية قال ابن عباس هي انطاكية وقال محمد بن سيرين هي أيلة وهي أبعد أرض الله من السماء وقيل هي قرية من قرى الروم يقال لها ناصرة واليها ينسب النصارى فاتوا فيها عاقبل غروب الشمس فاستطعما أهلها واستضافاهم فابوا أن يضيفوهما قالوا كانوا أهل قرية لئاما وقال قتادة في هذه الآية شر القرى التي لا تضيف

تنفقها قال لا اله الا الله دللتموني على طريق أسلكها ولم تسلكوها اني كنت أعبد صنما من دونه ولم يضيعني وأنا لا أعرفه فكيف يضيعني الآن وأنا أعرفه فتعجبنا من كلامه قال عبد الواحد فلما كان بعد ثلاثة أيام قيل لي انه في سكرات الموت قال فأتيت اليه وقلت له هل من حاجة فقال نعم قضيت حوائجي فقعدت عند رأسه فغلبني النوم فنمت فرأيت روضة خضراء وفيها قبة عظيمة وفي القبة سرير وعلى ذلك السرير جارية حسناء لم أر أحسن منها وهي تقول بالله الا ما عجلتم به فقد اشتد شوقي اليه فاستيقظت من منامي فوجدت الرجل قد فارق الدنيا رحمة الله تعالى عليه فغسلته وكفناه وصلينا عليه ودفناه فلما نمت رأيته في المنام في تلك القبة على السرير والجارية بجانبه وهما يقرآن هذه الآية لمثل هذا فليعمل العاملون رضي الله تعالى عنهم أجمعين ونفعنا بهم آمين

* (وحكي عن ذي النون المصري رضي الله تعالى عنه) * أنه قال بينما أنا أسير في نواحي الشام اذ وقعت على روضة خضراء وفيها شاب يصلي تحت شجرة تفاح فتقدمت اليه وسلمت عليه فلم يرد علي السلام فسلمت عليه ثانيا فأوجز في صلاته وكتب بأصبعه في الارض هذا الشعر منع اللسان من الكلام لانه سبب البلاء وجالب الآفات

الضيف ولاتعرف لابن السبيل حقه قالوا فلم يجدوا تلك الليلة فى تلك القرية قرى ولاماء ولامأوى وكانت ليلة باردة فالتجؤا الى حائط على شارع الطريق يريد أن ينقض أى يكاد ينهدم و يسقط ولم يكن يمر به أهل القرية ولا غيرهم من الناس الا على خوف منه وكان قد بناه رجل صالح وفى بعض الاخبار أن سمك ذلك الحائط كان ثلاثين ذراعا بذراع ذلك القرن وكان طوله على وجه الارض خمسمائة ذراع وعرضه خمسون ذراعا فاقامه الخضر أى سواه وقال ابن عباس هدمه و بناه وقال سعيد بن جبير مسح الجدار وسواه بيده ومنكبيه فاستقام فقال له موسى لوشئت لاتخذت عليه أجرا ليكون لنا قوتا و بلغة على سفرنا اذا استضفناهم فلم يضيفونا فقال له الخضر هذا فراق بينى وبينك سأنبئك بتأويل مالم تستطع عليه صبرا ثم أخذ يفسر له فقال أما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر الآية قال كعب وغيره كانت لعشرة اخوة زمنى لم يكن لهم معيشة غيرها ورثوها عن أبيهم خمسة منهم يعملون فى السفينة فى البحر وخمسة لايطيقون العمل فأما العمال منهم فاحدهم كان مجذوما والثانى أعور والثالث أعرج والرابع آدر والخامس محموم لاتنقطع عنه الحمى الدهر كله وهو أصغرهم والخمسة الذين لايطيقون العمل أعمى وأصم وأخرس ومقعد ومجنون وكان البحر الذى كانوا يعملون فيه مابين فارس الى بحر الروم (و يروى) عن عكرمة قال قلت لابن عباس فى قوله أما السفينة فكانت لمساكين كانوا مساكين والسفينة تساوى ألف دينار فقال ان المسافر مسكين وان كان معه ألف دينار ولهذا قيل ان المسافر وماله على قلة الا ماوقى الله تعالى فأردت أن أعيبها اقطع الطمع الطامعين فيها ودفعا لشرهم وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا وراءهم أى أمامهم قال الله تعالى من ورائه جهنم ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون أى أمامهم وقيل خلفهم لانه كان رجوعهم فى طريقهم عليه ولم يكونوا يعلمون خبره فاعلم الله تعالى الخضر خبره وكان يأخذ كل سفينة صالحة غصبا وكذلك كان يقرأها ابن عباس فخرقها وعيبها كى لايتعرض لها ذلك الملك واختلفوا فى اسم ذلك الملك فقال أكثر العلماء اسمه جلندى وكان كافرا وقال ابن اسحق كان اسمه منواه بن جلندى الاردنى وقال شعيب الجبائى كان اسمه هدد بن بدد وقيل كان لهذا الملك ثلثمائة وستون قصرا فى كل قصر امرأة قال فلما جاوز والملك سد الخضر خرق السفينة و رقعها وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أى فعلمنا أن يرهقهما يغشاهما طغيانا وكفرا فيهلكهما وقيل خشى أن يدرك فيدعو أبويه الى الكفر فيجيباه و يدخلاه فى دينه لفرط محبتهما له وقيل خشى على الغلام أن يعمل عمل الفساق فيتغافل أبواه فيدخلان النار فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة وصلاحا وأقرب رحما (قال ابن عباس) يعنى واصلا للرحم و برا بوالديه فابدلهما الله جارية مؤمنة أدركت يونس ابن متى وتزوجها نبى من الانبياء فولدت له نبيا فهدى الله على يديه أمة من الامم (وأخبرنا) عبد الله بن حامد قال أخبرنا حامد بن أحمد قال أخبرنا محمد بن عبد الله بن يحيى بن الحرث أخبرنا عبد الوهاب بن فليح أخبرنا ميمون ابن عبد الله القداح عن جعفر بن محمد الصادق عن أبيه فى هذه الآية قال أبدلهما جارية فولدت سبعين نبيا وقال ابن جريج أبدلهما بغلام مسلم وكان المقتول كافرا وقال قتادة فى هذه الآية قد فرح به أبواه حين ولد وحزنا عليه حين قتل ولو بقى كان فيه هلاكهما فرضا المؤمن بقضاء الله تعالى فيما يكره خير له من رضاه فيما يحبه وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين فى المدينة واسمهما أصرم وصريم وكان تحته كنز لهما واختلفوا فى ذلك الكنز ماهو فقال ابن عباس وسعيد بن جبير كان صحفا مدفونة تحته فيها علم وقال أبو الحسن جعفر بن محمد كان لوحا من ذهب مكتوب فيه بسم الله الرحمن الرحيم عجبا لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبا لمن يوقن بالرزق كيف يتعب وعجبا لمن يوقن بالموت كيف يفرح وعجبا لمن يؤمن بالحساب كيف يجمع وعجبا لمن يعرف الدنيا وتقلبها كيف يطمئن اليها لااله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال آخرون كان ذلك الكنز مالا يدل عليه ما أخبرنا أبو بكر الجمشادى المزكى أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن قيدوس الطرائفى أخبرنا عثمان بن سعيد أخبرنا صفوان بن صالح الدمشقى أخبرنا زيد بن مسلم الصنعانى عن يزيد بن يزيد عن مكحول عن أبى الدرداء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى وكان تحته كنز لهما قال كان ذهبا وفضة وكان أبوهما اسمه كاشح وكان صالحا تقيا امينا فحفظا لصلاح أبيهما ولم يذكر منهما صلاح وكان بينهما و بين الاب الذى حفظا به سبعة آباء (أخبرنا) عبد الله بن حامد بن محمد قال أخبرنا بشر بن موسى أخبرنا الحميدى أخبرنا سفيان أخبرنا محمد

فاذا انطقت فكن لربك ذاكرا * لاتنسه واحمده فى الحالات قال ذو النون فبكيت بكاء شديدا ثم كتبت بأصبعى فى الارض ومامن كاتب الا سيبلى ويبقى الدهر ما كتبت يداه * فلاتكتب بخطك غير شئ * يسرك فى القيامة أن تراه قال فصاح الشاب صيحة فمات رحمه الله تعالى فقمت لاغسله فاذا بقائل يقول خل عنه فان الله تعالى وعده أن لايتولى أمره الا الملائكة قال ذو النون رضى الله تعالى عنه فملت الى شجرة فركعت عندها ركعات ثم أتيت الموضع الذى مات فيه الشاب فلم أجدله أثرا ولاوقعت له على خبر رضى الله تعالى عنه ونفعنا به وبركته آمين * وعن مالك بن دينار رضى الله تعالى عنه * أنه قال كنت ماشيا فى أزقة البصرة يوما من الايام فرأيت جارية من جوارى الملوك راكبة ومعها خدم وغلمان فاتيت اليها وقلت أيتها الجارية أيبيعك مولاك فقالت الجارية ولو باعنى مولاى كان مثلك يشترينى فقلت نعم وخيرا منك قال فضحكت وأمرت بى أن أحمل معها الى بيت مولاها فحملت معها فلما دخلت الى مولاها أخبرته بذلك فضحك وأمر أن أدخل اليه فدخلت اليه وسلمت عليه فلما رآنى قال ماحاجتك

بن سوقة عن محمد بن المنكدر قال الله عز وجل ليحفظ بالرجل الصالح ولده وولد ولده وبقعه التى هو فيها والدويرات التى حوله فمازالون فى حفظ الله وستره وعن سعيد بن المسيب أنه كان اذا رأى ابنه قال يابنى لأزيدن فى صلاتى من أجلك لعلى أحفظ فيك ويتلو هذه الآية (أخبرنا) يحيى بن اسمعيل بن سلمة قال كانت لى أخت أسن منى فاختلطت وذهب عقلها فتوحشت وكانت فى غرفة فى أقصى سطوحها فلبثت كذلك بضع عشرة سنة وكانت مع ذهاب عقلها تحرص على الصلاة والطهور فبينما أنا نائم ذات ليلة اذا أنا بباب بيتى يدق نصف الليل فقلت من هذا فقالت بجة فقلت أختى قالت أختك فقلت لبيك فقمت ففتحت الباب فدخلت ولا عهد لها فى البيت أكثر من عشرين سنة فقلت يا أختى خيرا فقالت خيرا يا أخى مت الليلة فأتانى آت فى منامى فقال لى السلام عليك يا بجة فقلت وعليك السلام فقال لى ان الله قد حفظ أباك اسمعيل بن سلمة بن كهيل بسلمة جدك وحفظك بأبيك اسمعيل فان شئت دعوت الله لك فيذهب ما بك وان شئت صبرت ولك الجنة فان أبا بكر وعمر رضى الله عنهما قد تشفعا لك الى الله تعالى لحب أبيك وجدك اياهما فقلت ان كان ولا بد من اختيارى أحدهما فالصبر على ما أنا فيه والجنة وان الله لواسع الفضل لخلقه لا يتعاظمه شئ فى حكمه لو شاء لجمعهما الى قالت فقيل لى قد جمعهما الله لك ورضى عن أبيك وجدك بحبهما أبا بكر وعمر فانزلى فان الله أذهب ما كان بك (ويحكى) عن بعض العلوية انه دخل على هرون الرشيد وقد هم بقتله فلما دخل عليه أكرمه وخلى سبيله فقيل له بم دعوت حتى نجاك الله قال قلت يا من حفظ الكنز على الصبيين لصلاح أبيهما احفظنى منه لصلاح آبائى فأراد ربك أن يبلغا أشدهما ويستخرجا كنزهما المدفون تحت الجدار وما فعلته عن أمرى وانما فعلته بأمر الله تعالى ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبرا ويقال لما عاب موسى على الخضر خرق السفينة وقتله الغلام واقامته الجدار محتسبا مجانا قال له يا موسى أتلومنى على خرق السفينة مخافة غرق أهلها ونسيت نفسك حين ألقتك أمك وأنت صغير فى اليم ضعيف فحفظك الله وتلومنى على قتل الغلام الكافر بلا أمر ونسيت نفسك حين قتلت القبطى بغير أمر وتلومنى على ترك أخذ الاجرة فى اقامة الجدار ونسيت نفسك حين سقيت غنم شعيب محتسبا لأجل الملك الجبار (قال بعض أهل الاخبار) هذا ما كان من قصة موسى وفتاه وقصدهما الخضر حيث كانوا فى التيه فلما فارق موسى الخضر رجع الى قومه وهم فى التيه (ويروى) عن على بن أبى طالب وغيره ان موسى لما أراد فراق الخضر قال له الخضر استودعتك الله ثم قال له موسى أوصنى فقال له الخضر لا تكن مشاء فى غير حاجة واياك واللجاجة ولا تضحك من غير عجب ولا تعير الخاطئين بخطاياهم وابك على خطيئتك ولا تؤخر عمل اليوم الى غد (وروى) أبو أمامة الباهلى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال ألا أحدثكم عن الخضر قالوا بلى يا رسول الله قال بينما الخضر يمشى فى سوق من أسواق بنى اسرائيل اذ لقيه مكاتب فقال له تصدق على بارك الله لك فقال آمنت بالله وما يقضى الله من أمر سيكون ما معى من شئ أعطيكه فقال له الرجل تصدق على بارك الله عليك فانى أرى الخير فى وجهك ورجوت الخير من قبلك فقال له الخضر آمنت بالله وما يقضى الله من أمر سيكون ما معى شئ أعطيكه فقال له السائل أسألك بالله لما تصدقت على فقال له الخضر آمنت بالله ما يقضى الله من أمر سيكون ما معى شئ أعطيكه الا أن تأخذ بيدى وتدخلنى فى السوق فتبيعنى قال الرجل وهل يكون مثل هذا قال الحق أقول انك سألتنى بعظيم سألتنى بوجه ربى وقد أجبتك فخذ بيدى وأدخلنى السوق فبعنى فأخذ بيد الخضر فأدخله السوق فباعه بأربعمائة درهم فلبث عند المبتاع أياما لا يستعمله فى شئ فقال له الخضر استعملنى فقال له انك شيخ كبير وأكره أن أشق عليك قال لا يشق على ذلك قال فقم فانقل هذه الحجارة من ههنا الى ههنا وكانت الحجارة لا ينقلها الا ستة نفر فى يوم تام فقام ونقلها فى ساعة واحدة وأمده الله تعالى على نقلها بملك من الملائكة فتعجب الرجل منه وقال أحسنت ثم عرض للرجل سفر فقال للخضر انى أراك أمينا صالحا فاخلفنى فى أهلى قال نعم ان شاء الله فاستعملنى فى شئ قال أكره أن أشق عليك قال لا يشق ذلك على فقال اضرب لى لبنا أريده لقصرى ووصفه له ثم خرج لسفره فلما قضى حاجته ورجع من سفره اذا هو بالخضر عليه السلام قد شيد بنيانه على ما أراد فازداد منه تعجبا وقال له من أنت قال أنا المملوك الذى كنت اشتريتنى فقال له سألتك بوجه الله أن تخبرنى من أنت فقال الخضر ان هذا القسم هو الذى أوقعنى فى العبودية أما أنا فسأخبرك أنا الخضر سألنى سائل بوجه ربى أن أعطيه فلم يكن شئ أعطيه فأمكنته من نفسى حتى باعنى وبلغنى أن من سئل بوجه الله ورد سائله وهو يقدر على قضاء

فقلت نعنى جاريتك فقال مولاها أتطيق أداء ثمنها فقلت نعم قيمتها عندى نوانان مسوستان قال فضحك وقال كيف يكون ثمنها عندك هذا القدر فقلت لكثرة عيوبها فقال وما عيوبها فقلت ان لم تتعطر زفرت وان لم تستك بخرت وان لم تتمشط وتتدهن قملت وان عمرت هرمت ذات حيض وبول واقذار وحزن وغم واكدار ولعلها لا تودك الا لنفسها ولا تحبك الا لتتنعم الا تنى بعهدك ولا تصدق فى ودك ولا تخلف عليها أحد بعدك الا رأته مثلك وأنا أجد بدون ما سألت من الثمن فى جاريتك هذه جارية خلقت من سلاسل الكافور ومن المسك والعنبر والنور لو مزج بريقها اجاج لطاب ولو دعى بكلامها ميت لاجاب ولو بدا معصمها للشمس لاظلمت وكسفت ولو بدا جبينها فى الظلمات لانارت وأشرقت ولو واجهت الآفاق بحليها وحللها لتعطرت وتزخرفت نشأت بين رياض المسك والزعفران وقضبان الياقوت والمرجان وقصرت فى خيام النعيم وغذيت بماء التسنيم لا تخلف عهدها ولا تبدل ودها فانها حينئذ أحق برفع الثمن من جاريتك هذه فقال الملك يا أخى فابن التى وصفت قات الموجودة الثمن القريبة الخطب فى كل زمن فقال ماقيمتها رحمك الله

حاجته وقف يوم القيامة بين يدى ربه وليس على وجهه لحم ولا جلد الا عظم يتقعقع قال فبكى ذلك الرجل وانكب عليه يقبله ويقول له بابى أنت وأمى شققت عليك ولم أعرفك فاحتكم على فى مالى وأهلى وان أحببت أن أخلى سبيلك فعلت قال نعم بل أحب أن تخلى سبيلى أعبد ربى وكان الرجل كافرا فأسلم على يديه وأعطاه أربعمائة دينار وخلى سبيله فأوحى الله اليه قد نجيتك من الرق وأسلم الكافر على يديك وأعطاك مكان كل درهم دينارا لتعلم أن لا يخسر أحد فى معاملتى فهذا آخر قصة الخضر وموسى وفتاه والله أعلم

﴿ باب فى ذكر قصة عاميل قتيل بنى اسرائيل وقصة البقرة ﴾

قال الله تعالى واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قال المفسرون وجد قتيل فى بنى اسرائيل اسمه عاميل لم يدر من قتله واختلفوا فى قاتله وسبب قتله فقال عطاء والسدى كان فى بنى اسرائيل رجل كثير المال وله ابن عم مسكين ولا وارث له غيره فلما طالت عليه حياته قتله ليرثه وقال بعضهم كان تحت عاميل ابنة عم له مالها فى بنى اسرائيل مثل فى الحسن والجمال فقتله ابن عم لها لينكحها فلما قتله حمله من قرية الى قرية أخرى فألقاه هناك وقال عكرمة كان لبنى اسرائيل مسجد له اثنا عشر بابا لكل سبط منهم باب فوجد قتيل على باب سبط جر الى باب سبط آخر فاختصم فيه السبطان وقال ابن سيرين قتله القاتل ثم احتمله ووضعه على باب رجل منهم ثم أصبح يطلب ثاره ودمه يدعيه عليه وقيل ألقاه بين القريتين فاختصم أهلهما وجاء أولياؤه الى موسى وأتوه بناس وادعوا عليهم القتل وسألوه القصاص فسألهم موسى عن ذلك فجحدوا ولم يكن لهم بينة فاشتبه أمر القتيل على موسى ووقع بينهم قتال واختلاف وذلك قبل نزول القسامة فى التوراة فسألوا موسى أن يدعو الله ليبين لهم أمر ذلك القتيل فسأل موسى ربه فأمرهم بذبح البقرة فقال لهم موسى ان الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزوا وجئناك لنسألك عن القتيل فتأمرنا بذبح بقرة وانما قالوا ذلك لتباعد الامرين فى الظاهر ولم يدروا وجه الحكمة فيه فقال موسى أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين أى من المستهزئين بالمؤمنين فلما علم القوم ان ذبح البقرة أمر من الله تعالى قد لزمهم سألوه الوصف فقالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هى ولو انهم عمدوا الى أدنى بقرة فذبحوها لاجزأت عنهم لكنهم شددوا الامر على أنفسهم فشدد الله عليهم وانما كان تشديدهم تقديرا من الله وحكمة وكان السبب فيه على ما ذكره السدى وغيره أن رجلا فى بنى اسرائيل كان بارا بابيه وبلغ من بره ان رجلا أتاه بلؤلؤة فابتاعها بخمسين ألفا وكان فيها فضل وربح فقال البائع أعطنى ثمن اللؤلؤة فقال ان أبى نائم ومفتاح الصندوق تحت رأسه فأمهلنى حتى يستيقظ وأعطيك الثمن فقال أيقظ أباك وأعطنى المال فقال ما كنت لافعل ولكن أزيدك عشرة آلاف وأنظرنى حتى ينتبه أبى فقال الرجل أنا أحط عنك عشرة آلاف ان أيقظت أباك وعجلت النقد فقال أنا أزيدك عشرين ألفا ان انتظرت انتباهه فقال قبلت فقعد ولم يوقظ أباه فلما استيقظ أبوه أخبره بذلك فدعا له وجزاه خيرا وقال له أحسنت يابنى وهذه البقرة لك بما صنعت وكانت بقية بقر كانت لهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فى هذه القصة انظروا الى ما صنع الله به لاجل البر (وقال ابن عباس ووهب وغيرهما من أهل الكتب) كان فى بنى اسرائيل رجل صالح وله ابن طفل وكان له عجلة فأتى بالعجلة الى غيضة وقال اللهم انى استودعتك هذه العجلة لابنى حتى يكبر ثم مات الرجل وشبت العجلة فى الغيضة حتى صارت عوانا وكانت تهرب من كل من رآها فلما كبر الابن وكان بارا بوالدته وكان يقسم الليل ثلاثة أثلاث يصلى ثلثا وينام ثلثا ويجلس عند رأس أمه ثلثا فاذا أصبح انطلق فاحتطب على ظهره فيأتى به السوق فيبيعه بما شاء الله ثم يتصدق بثلثه ويأكل بثلثه ويعطى والدته ثلثه قالت له أمه يوما يابنى ان أباك ورثك عجلة وذهب بها الى غيضة كذا وكذا واستودعها الله تعالى فانطلق اليها واعزم عليها باله ابراهيم واسمعيل واسحق أن يردها عليك وعلامتها انك اذا نظرت اليها يتخيل لك ان شعاع الشمس يخرج من جلدها وكانت تسمى المذهبة لحسن خلقها وصفاء لونها وصفرتها فأتى الغيضة فرآها وهى ترعى فصاح بها الفتى وقال لها أعزم عليك باله ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب أن تردى على فأقبلت تسعى حتى قامت بين يديه فقبض على عنقها وقادها فتكلمت البقرة باذن الله تعالى وقالت أيها الفتى البار بوالدته اركبنى فان ذلك أهون لك فقال الفتى ان أمى لم تأمرنى بذلك وانما قالت خذ بعنقها فقالت البقرة واله بنى اسرائيل لو ركبتنى ما كنت تقدر على أبدا فانطلق فانك لو أشرت الى الجبل أن ينقلع من أصله وينطلق لفعل لبرك بوالدتك فانطلق الفتى

قلت اليسير المبذول لنيل الخطير المأمول وهو ان تتفرغ ساعة فى ليلك فتصلى ركعتين تخلصهما لربك وان تدع طعامك فتؤثر حائطك وان ترفع عن الطريق حجرا وقذرا وان تقطع أيامك بقلة البلغة وان ترفع همك عن دار الغرور والغفلة فتعيش فى الدنيا بعز القناعة وتأتى الى الموقف آمنا غدا وتنزل فى الجنة دار النعيم فى جوار المولى الكريم مخلدا فقال الملك ياجارية أسمعت ما قال شيخنا هذا فقالت نعم قال أصدق أم كذب فقالت بل صدق ونصح فقال مولاها فأنت حرة لوجه الله تعالى وضيعة كذا وكذا صدقة عليك وأنتم أيها الجوارى والخدم أحرار لوجه الله تعالى وضيعة كذا وكذا صدقة لكم وهذه الدار وما فيها صدقة وجميع مالى فى سبيل الله ثم مد يده الى ستر خشن كان على بعض أبوابه فاجتذبه وخلع جميع ما كان عليه من الحرير والديباج فلما رأت الجارية ما فعل مولاها قالت لا عيش لى بعدك يامولاى ثم رمت كسوتها ولبست مثل مولاها وخرجت معه فودعهما مالك ودعا لهما وأخذ طريقه فتعبدا حتى جاء الموت واتيهما على حال العبادة عفا الله عنهما ونفعنا بهما آمين (وحكى عن جعفر بن

بهامع رعاة فاستقبله عدو الله ابليس فى صورة راع فقال له أيها الفتى انى راعى البقر اشتقت الى أهلى فاخذت ثورا من ثيرانى وحملت عليه زادى ومتاعى حتى اذا بلغت شطر هذه الطريق ذهبت لاقضى حاجتى فغدا وسط الجبل وما قدرت عليه وانى لاخشى على نفسى الهلكة فان رأيت أن تحملنى على بقرتك هذه وتنجينى من الموت وأعطيك بقرتين مثل بقرتك فلم يفعل الفتى وقال اذهب فتوكل على الله فلو علم الله منك اليقين لبلغك بلا زاد ولا راحلة فقال له ابليس لعنه الله ان شئت فبعنيها بحكمك وان شئت فاحملنى عليها وأعطيك عشرة أمثالها فقال له الفتى ان أمى لم تأمرنى بهذا فبينا الفتى كذلك اذ طار طائر من بين يدى البقرة فنفرت البقرة هاربة فى الفلاة وغاب الراعى فدعاها الفتى وقال بسم الله اله ابراهيم فرجعت اليه البقرة وقالت أيها الفتى البار بوالدته ألم تر الى الطائر الذى طار فانه ابليس عدو الله اختلسنى أما انه لو ركبنى لما قدرت على أبدا فلما دعوت باله ابراهيم جاء نى ملك انتزعنى من يد ابليس وردنى اليك لبرك بامك وطاعتك لها فجاء بها الفتى الى أمه فقالت له انك فقير لا مال لك ويشق عليك الاحتطاب بالنهار والقيام بالليل فانطلق فبع هذه البقرة وخذ ثمنها فقال بكم أبيعها فقالت بثلاثة دنانير ولا تبعها بغير رضاى ومشورتى وكان ثمن البقرة فى ذلك الوقت ثلاثة دنانير فانطلق بها الى السوق فبعث الله الى الفتى ملكا ليرى خلقه قدرته وليختبر الفتى كيف بره بوالدته وكان الله به خبيرا فقال له الملك بكم تبيع هذه البقرة فقال بثلاثة دنانير وأشترط عليك رضا والدتى فقال له الملك أنا أعطيك ستة دنانير ولا تستأمر أمك فقال له الفتى لو أعطيتنى وزنها ذهبا لم آخذه الا برضا أمى فردها الى أمه وأخبرها بالثمن فقالت ارجع فبعها بستة دنانير على رضاى فانطلق الفتى بالبقرة الى السوق فأتى الملك فقال له الملك استأمرت والدتك قال الفتى نعم أمرتنى أن لا أنقصها عن ستة دنانير على أن أستأمرها فقال له الملك انى أعطيك اثنى عشر دينارا على أن لا تستأمرها فأبى الفتى ورجع الى أمه فاخبرها بذلك فقالت ان ذلك الرجل الذى يأتيك هو ملك من الملائكة يأتيك فى صورة آدمى ليختبرك فاذا أتاك فقل له أتأمرنى أن أبيع هذه البقرة أم لا ففعل الفتى ذلك فقال له الملك اذهب الى أمك وقل لها أمسكى هذه البقرة فان موسى بن عمران يشتريها منك لقتيل يقتل فى بنى اسرائيل ولا تبيعها الا بملء مسكها دنانير فامسكا البقرة وقدر الله على بنى اسرائيل ذبح تلك البقرة بعينها مكافأة له على بره بوالدته فضلا منه ورحمة فذلك قوله تعالى قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هى وما سمتها قال موسى انه يعنى الله يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر أى لا كبيرة ولا صغيرة عوان بين ذلك نصف بين السنين فافعلوا ما تؤمرون من ذبح البقرة ولا تكثروا السؤال قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين اليها وتعجبهم من حسنها وصفائها لان العين تسر وتولع بالنظر الى الشئ الحسن وقال على بن أبى طالب من لبس نعلا صفراء قل همه لان الله تعالى يقول صفراء فاقع لونها تسر الناظرين قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هى أسائمة أم عاملة ان البقر تشابه علينا وانا ان شاء الله لمهتدون الى وصفها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وايم الله لو لم يستثنوا لما قبلت منهم الى آخر الابد قال انه يقول انها بقرة لا ذلول مذللة بالعمل تثير الارض تقلبها للزراعة ولا تسقى الحرث مسلمة بريئة من العيوب لا شية فيها قال عطاء لا عيب فيها وقال قتادة لا بياض فيها أصلا وقال محمد بن كعب لا لون فيها يخالف معظم لونها قال فلما قال لهم موسى هذا قالوا الآن جئت بالحق أى بالوصف الثابت التام البين فطلبوها فلم يجدوها بكمال وصفها الا عند الفتى البار بأمه فاشتروها منه بملء مسكها ذهبا وقال السدى اشتروها بوزنها عشر مرات ذهبا فذبحوها وما كادوا يفعلون من غلو ثمنها وقال القرطبى وما كادوا يذبحونها باجتماع أوصافها وذلك قوله تعالى واذ قتلتم نفسا يعنى عاميل وهذه الآية أول القصة فادارأتم فيها أى فاختلفتم فيها والله مخرج أى مظهر ما كنتم تكتمون أى تخفون فقلنا اضربوه يعنى القتيل ببعضها أى ببعض البقرة واختلفوا فى هذا البعض ما هو وقال ابن عباس ضربوه بالعظم الذى يلى الغضروف وهو المقتل وقال الضحاك بلسانها قال حسين بن الفضل وهذا أولى الاقاويل لان المراد من احياء القتيل كلامه واللسان آلة وقال سعيد بن جبير بعجب ذنبها قال غياث وهو أولى التأويلات بالصواب لان عجب الذنب أساس البدن الذى ركب عليه الخلق وهو أول ما يخلق الله وآخر ما يبلى وقال مجاهد بذنبها وقال عكرمة والكلبى بفخذها الايمن وقال السدى بالبضعة التى بين كتفيها وقيل باذنيها ففعلوا ذلك فقام القتيل حيا باذن الله تعالى وأوداجه تشخب دما وقال قتلنى فلان ثم سقط ومات مكانه قال الله تعالى كذلك يحيى الله الموتى كما أحيا

سليمان رضى الله تعالى عنه) أنه قال مررت أنا ومالك بن دينار بالبصرة فبينما نحن ندور بها اذ مررنا بقصر واذا بشاب جالس ما رأيت أحسن منه وجها وهو يأمر ببناء القصر ويقول افعلوا كذا واصنعوا كذا فقال مالك أما ترى يا جعفر الى هذا الشاب وحسن وجهه وحرصه على بناء هذا القصر ما أشوقنى الى أن أسأل ربى أن يخلصه فيجعله من شبان الجنة ثم قال يا جعفر ادخل بنا اليه قال فدخلنا اليه وسلمنا عليه فرد علينا السلام وكان لم يعرف مالك ابن دينار فلما عرفه قام اليه وقال هل من حاجة يا مولاى فقال مالك كم نويت أن تنفق على هذا القصر قال مائة ألف درهم فقال مالك ألا تعطينى هذا المال فاصرفه لمستحقه وأضمن لك على الله تعالى قصرا خيرا لك من قصرك هذا بولدانه وخدمه مكللا بالدر والياقوت مرصعا بالجوهر ترابه الزعفران ملاطه المسك أفسح من قصرك هذا لا يخرب ولا تمسه يدان ولا يبنيه بان قال له الجليل كن فكان فقال له الشاب يا سيدى فأمهلنى الليلة الى غد فقال نعم قال جعفر فبات مالك منفكرا فى الشاب فلما كان وقت السحر دعا الله تعالى فاكثر من دعائه فلما أصبحنا غدونا اليه فاذا بالشاب جالس فلما عاين مالك بن دينار قال ما تقول

عاميل بعد موته ويريكم آياته دلائل قدرته وشواهد حكمته لعلكم تعقلون قالوا فلما كان من أمر عاميل ما كان أوحى الله تعالى الى موسى أن يتوجه الى الارض المقدسة ببنى اسرائيل لينظر الى كل قتيل يوجد بين قريتين أو محلتين فيأخذ أقرب القريتين اليه ويلزمهم الدية فان علموا قاتله سلموه الى أهله وان لم يعلموا تخيروا خمسين رجلا من شيوخهم وصلحائهم ثم ليأخذوا بقرة حولية ويذبحوها ببطن واد يسميه لهم ثم لتضع الخمسون رجلا أيديهم عليها ثم ليحلفوا بالله العظيم رب السموات والارض اله بنى اسرائيل واسحق ويعقوب واسمعيل انا ما قتلناه ولا علمنا له قاتلا فاذا حلفوا برئوا من دمه وأدوا ديته الى أوليائه فلم يزل موسى يقضى بالقسامة بينهم الى أن مات وكذا بنو اسرائيل حتى جاء الاسلام فقضى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقسامة والله أعلم

﴿باب فى ذكر بناء بيت المقدس والقربان والتابوت والسكينة وصفة النار التى كانت تأكل القربان وما أمر به موسى عليه السلام من ذلك﴾

قال الله تعالى الذين قالوا ان الله عهد الينا أن لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار الآية (أنبأنا) محمد بن حمدويه باسناده عن وهب بن منبه قال أوحى الله الى موسى أن يتخذ مسجدا لجماعتهم وبيت قدس للتوراة والتابوت والسكينة وقبابا للقربان وأن يجعل لذلك المسجد سرادقات باطنها وظاهرها من الجلود الملبسة عليها وأن تكون تلك الجلود من جلود ذبائح القربان وحبالها التى تمد بها من أصواف تلك الذبائح وعهد اليه أن لا يغزل تلك الحبال حائض ولا يدبغ تلك الجلود جنب وأمره أن ينصب تلك السرادقات على عمد من نحاس طول كل عمود منها أربعون ذراعا ويجعل فيها اثنى عشر قسما مسرجا فاذا انقضى وصار اثنى عشر جزأ جعل على كل جزء بما فيه من العمد سبطا من أسباط بنى اسرائيل وأمره أن يجعل سعة تلك السرادقات ستمائة ذراع فى ستمائة ذراع وأن ينصب فيه سبع قباب ستة منها مشتبكة بقضبان الذهب والفضة كل واحدة منهن منصوبة على عمود من فضة طوله أربعون ذراعا وعليها أربعة دسوت من ثياب محلاة الباطن الاول سندس أخضر والثانى أرجوان أحمر والثالث ديباج والرابع من جلود القربان وقاية لها من المطر والغبار وحبالها التى تمد بها من صوف القربان وأن يجعل سعتها أربعين ذراعا وأن ينصب فى جوفها موائد من فضة مربعة يوضع عليها القربان سعة كل مائدة منها أربعة أذرع فى أربعة أذرع كل مائدة منها على أربع قوائم من فضة كل قائمة ثلاثة أذرع لا ينال الرجل منها الا قائما وأمره أن ينصب بيت المقدس على عمود من ذهب طوله سبعون ذراعا يضعه على سبيكة من ذهب أحمر طولها تسعون ذراعا مرصع بأنواع الجواهر وأن يجعل أسفله مشتبكا بقضبان الذهب والفضة وأن يجعل حبالها التى تمد لها من أصواف القربان وأن يجعله مصبوغا بألوان من أحمر وأصفر وأخضر وأن يلبسه سبعة من الجلال محلاة الباطن الاول منها سندس أخضر والثانى أرجوان أحمر والثالث من الديباج الاصفر والرابع من الحرير الاصفر وكذلك أثواب نحوها وسائرها من الديباج والوشى والظاهر له غاشية من جلود القربان وقاية من الاذى والندى وأمره أن يجعل سعته سبعين ذراعا وأن يفرش القباب بالقز الاحمر وأمره أن ينصب فيه تابوتا من ذهب كتابوت الميثاق مرصع بألوان الجواهر واليواقيت الاحمر والاشهب والزمرد الاخضر وقوائمه من ذهب وأن يجعل سعته سبعة أذرع فى أربعة أذرع وعلوه قامة موسى وأن يجعل له أربعة أبواب باب تدخل منه الملائكة وباب يدخل منه موسى وباب يدخل منه هرون وباب يدخل منه أولاد هرون وهم سدنة ذلك البيت وخزان التابوت وأمر الله نبيه موسى عليه السلام أن يأخذ من كل محتلم فيها من بنى اسرائيل مثقالا من ذهب فينفقه على هذا البيت وأن يجعل باقى ذلك المال الذى لا يحتاج اليه من الحلى والحلل التى ورثها الله بنى اسرائيل وموسى وأصحابه من فرعون وقومه دفينا فى أرض بيت المقدس ففعل ذلك فبلغ عدد بنى اسرائيل ستمائة ألف وسبعة وخمسين رجلا فاخذ منهم ذلك المال وأوحى الله اليه انى منزل عليكم من السماء نارا لا دخان لها ولا تحرق شيأ ولا تطفأ أبدا لتأكل القرابين المتقبلة وتسرج القناديل التى فى بيت المقدس وهى من ذهب معلقة بسلاسل من الذهب منظومة من اليواقيت واللآلئ وأنواع الجواهر وأمره أن يضع فى وسط البيت صخرة عظيمة من الرخام وينقر فيها نقرة لتكون كانونا لتلك النار التى تنزل من السماء فدعا موسى أخاه هرون وقال له ان الله قد اصطفانى بنار تنزل من السماء تأكل القرابين المتقبلة وتسرج منها القناديل وأوصانى بها وانى قد اصطفيتك لها وأوصيتك بها فدعا هرون

بالامس فقال نفعل قال نعم فاحضر المال لوقته وأحضر دواة وقرطاسا فكتب مالك بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما ضمنه مالك بن دينار لفلان بن فلان انى ضمنت لك على الله قصرا بدل قصرك بصفته كما وصف والزيادة على الله تعالى واشتريت لك بهذا المال قصرا فى الجنة أفسح من قصرك فى ظل ظليل بقرب العزيز الجليل ثم طوى الكتاب ودفعه الى الشاب وحملنا المال من عنده فما أمسى مالك حتى لم يبق معه مقدار قوت يوم واحد وما أتى على الشاب أربعون يوما حتى وجد مالك كتابا موضوعا فى محرابه عند ما فرغ من صلاة الغداة فاخذه مالك فاذا فى ظهره مكتوبا بلا مداد هذه براءة من الله العزيز الحكيم لمالك بن دينار قد وفينا الشاب القصر الذى ضمنته له وزيادة على ذلك بسبعين ضعفا قال فتعجبت من ذلك وذهبت أنا وجعفر الى منزل الشاب فاذا بالباب مسدود والبكاء فى الدار فقلت ما فعل بالشاب فقيل مات بالامس فأحضرنا الغاسل وقلنا أنت غسلته فقال نعم فقال مالك حدثنا كيف صنعت فقال الغاسل ياسيدى انه أحضرنى قبل موته وقال اذا غسلتنى وكفنتنى اجعل هذا الكتاب بين كفنى وبدنى ففعلت ذلك ودفنته

ابنيه وقال لهما ان الله تعالى قد اصطفى موسى بأمر وأوصاه به وانه قد اصطفانى له وأوصانى به وانى قد اصطفيتكما له وأوصيتكما به وكان أولاد هرون هم الذين يلون سدنة هذا البيت وأمر القربان والنيران فشربوا ذات ليلة حتى ثملوا ثم دخلوا البيت وأسرجوا القناديل من هذه النار التى فى الدنيا فغضب الله عليهم وسلط عليهم تلك النار فأحرقتهما وموسى وهرون يدفعان عنهما النار فلم يغنيا عنهما من أمر الله شيأ فأوحى الله تعالى الى موسى هكذا أفعل بمن عصانى ممن يعرفنى فكيف أفعل بمن لا يعرفنى من أعدائى وهذا آخر القصة والله أعلم

﴿باب فى ذكر مسير بنى اسرائيل الى الشأم حتى جاوزوا البحر وصفة حرب الجبارين وقصة التيه وما يتعلق بذلك﴾

قال الله تعالى واذ قال موسى لقومه ياقوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا الآيات اختلفت عبارات المفسرين فى الارض المقدسة ماهى فقال مجاهد هى الطور وما حوله وقال مقاتل هى ايليا وبيت المقدس وقال عبد الله بن عمر الحرم محرم بمقداره من السموات والارض والبيت المقدس مقدس بمقداره من السموات والارض وقال عكرمة والسدى هى أريحاء وقال الكلبى هى دمشق وفلسطين وبعض الاردن وقال الضحاك هى الرملة والاردن وفلسطين وقال قتادة هى الشأم كله

﴿فصل فى فضل الشام وأهله﴾ قال زيد بن ثابت بينما نحن جلوس عند النبى صلى الله عليه وسلم نؤلف القرآن من الرقاع اذ قال طوبى لاهل الشأم قيل يارسول الله ولم ذلك قال ان ملائكة الرحمن باسطة أجنحتها عليهم عن عبد الله بن حوالة قال كنا عند النبى صلى الله عليه وسلم فقال والله لا يزال هذا الامر فيكم حتى يفتح الله لكم أرض فارس والروم وأرض حمير وحتى تكونوا أجنادا ثلاثة جند بالشام وجند بالعراق وجند باليمن فقلت يارسول الله اختر لى ان أدركنى ذلك فقال أختار لك الشام فانها صفوة الله تعالى من بلاده واليها يجتبى صفوته من عباده ياأهل الاسلام عليكم بالشام فان صفوة الله من الارض الشام وان الله تعالى قد تكفل لى بالشام وأهله وقال عبد الله ابن مسعود حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قسم الله الخير عشرة أجزاء فجعل منه تسعة أجزاء فى الشام وواحدا فى العراق وقسم الله الشر عشرة أجزاء فجعل منه تسعة فى العراق وواحدا بالشام ودخل الشام عشرة آلاف عين رأت النبى صلى الله عليه وسلم ونزل حمص تسعمائة من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم فيهم سبعون بدريا وقال الكلبى صعد ابراهيم عليه السلام جبل لبنان وقيل له انظر فما أدركه بصرك فهو مقدس وهو ميراث لذريتك من بعدك فذلك قوله تعالى ياقوم ادخلوا الارض المقدسة التى كتب الله لكم يعنى كتب الله فى اللوح المحفوظ انها لكم مساكن وقال ابن اسحق وهبها الله لكم مساكن وقال السدى أمركم أن تدخلوها

﴿ذكر قصة بلعام بن باعوراء﴾ قال الله تعالى واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها الآية واختلفوا فيه فقال أكثر المفسرين هو بلعام بن باعوراء بن باعر بن أيد بن مارت بن لوط وكان من الكنعانيين من مدينة بلقاء وهى مدينة الجبارين وسميت بلقاء لان ملكها رجل يقال له بالق بن صافوراء وكانت قصة بلعام على ماذكره ابن عباس وابن اسحق والسدى والكلبى وغيرهم ان موسى عليه السلام لما قصد حرب الجبارين ونزل أرض بنى كنعان من أرض الشام أتى قوم بلعام الى بلعام وكان عنده اسم الله الاعظم فقالوا له ان موسى رجل حديد ومعه جنود كثيرة وانه قد جاء ليخرجنا من بلادنا ويقتلنا ويحلها بنى اسرائيل وانا قومك وبنو عمك وجيرانك وليس لنا منزل وأنت رجل مجاب الدعوة فاقدم الينا وأشر علينا فى هذا الرجل العدو والذى قد أرهقنا فادع الله أن يرد عنا موسى وقومه فقال لهم بلعام ويلكم هذا نبى الله ومعه الملائكة والمؤمنون كيف أدعو عليهم وأنا أعلم من الله ما أعلم وانى ان فعلت ذلك ذهبت دنياى وآخرتى فلم يزالوا به حتى قال لهم اصبروا حتى أستأمر ربى وكان لا يدعو حتى ينظر ما يؤمر به فى المنام فتآمر فى الدعاء عليهم فى المنام فقيل له لا تدع عليهم فقال لقومه انى قد آمرت ربى فى الدعاء عليهم فنهيت عن ذلك فراجعوه فقال حتى أوامر ثانيا فآمر فلم يجب فقال قد آمرت فلم يجب لى شيأ فقالوا لو كره ربك أن تدعو عليهم لنهاك كما فعل فى المرة الاولى فلم يزالوا يرفقون به ويناشدونه ويتضرعون اليه حتى فتنوه فافتتن فقال لبعضهم اهدوا اليه فيقال انهم أهدوا اليه هدية فقبلها ويقال ان بلعام بن باعوراء لما أبى أن يدعو على موسى وقومه اجتمع آراء قومه على أن يحملوا شيأ الى امرأته وقالوا انها فقيرة وانه يصغى الى رأيها فانطلق عشرة من عظمائهم وحمل كل واحد منهم صحيفة من ذهب مملوأة ورقا فأهدوها لها فأقبلت على صاحبها وألحت عليه حتى

معه قال فاخرج مالك الكتاب فقرأه الغاسل وقال له ياسيدى والله انه هذا الكتاب بعينه قال فكثر البكاء والنحيب ثم قام شاب آخر وقال يامالك خذ منى مائتى ألف درهم واضمن لى مثل ما ضمنت للشاب المتوفى فقال مالك هيهات كان ما كان وفات ما فات والله يحكم مايريد فكان مالك كلما ذكر الشاب بكى وقال هنيأ له ودعا له بالرحمة رحمنا الله بهم أجمعين (وحكى عن محمد ابن السماك رضى الله عنه) أنه قال كان محمد ابن سليمان بن موسى الهاشمى من أنعم بنى أمية عيشا وأكرمهم بالاعطاء نفسا وكان منهمكا فى شهوات نفسه من أصناف اللذات فى المأكل والمشرب والملبس والطيب والجوارى والغلمان ليس له فكرة ولا همة الا فى الذى هو فيه من ذلك وكان شابا جميلا وجهه كاستدارة القمر وكانت نعمة الله سابغة عليه فكان يشتغل كل حول بنحو ثلثمائة ألف وثلاثة آلاف دينار ذهبا يصرف كل ذلك فيما هو فيه من عيشه ولذته وكان له مستشرف عال يقعد فيه يشرف على الناس وله أبواب مشرعة الى بساتينه وقد ضرب فيه من عاج مطلية بالفضة والذهب وهو على سريره عليه غلالة من قصب وعلى رأسه عمامة مكللة باللآلئ ومعه فى تلك القبة ندماؤه وجلساؤه وقد أوقف على رأسه

قالت له ارجع الى ربك فاسأله أن يأذن لك في موازرتهم والدعاء على عدوهم فلم تزل به حتى استجاب فلم يجب اليه بشيء فقالت له انه قد خيرك في الدعاء عليهم فلو لم يأذن لك لنهاك قالوا فركب أتانا له متوجها الى جبل يطلعه على عسكر بني اسرائيل يقال له حسان وكانت مراكب العباد الاولين الاتن فسار عليها غير بعيد حتى ربضت به فنزل عنها وضربها حتى أذلقها فقامت فركبها فلم تسر به كثيرا حتى ربضت به ففعل بها مثل ذلك فقامت فركبها فلم تسر به كثيرا حتى ربضت به فضربها حتى اذا أذلقها أذن الله تعالى لها في الكلام حجة عليه فقالت له ويحك يا بلعام أين تذهب ألا ترى أن الملائكة أمامي تردني عن وجهي هذا أتذهب الى نبي الله والمؤمنين تدعو عليهم فلما سمع ذلك خر ساجدا فلم يزل باكيا متضرعا حتى غابت عنه الملائكة ثم رفع رأسه فجاء الشيطان وقال له امض لوجهك فان ربك يستجيب لك ولو لم يرد ذلك لما برحت عنك الملائكة ولما خلوا سبيلك فركب أتانه وخلى الله سبيلها فانطلقت به حتى أشرفت على جبل حسان فجعل لا يدعو عليهم بشيء من الشر الا صرف الله به لسانه الى قومه ولا يدعو لقومه بخير الا صرف الله به لسانه الى بني اسرائيل فقال له قومه أتدري ما تصنع يا بلعام انما تدعو لهم وتدعو علينا فقال هذا أمر لا أملك منه شيأ قد غلبني الله عليه فاندلع لسانه فوقع على صدره فعلم ما حل به فقال لقومه قد ذهبت مني الدنيا والآخرة ولم يبق الا المكر والحيلة فسآمر لكم وأحتال فجملوا النساء وزينوهن وأعطوهن السلع ثم أرسلوهن الى المعسكر يبعن فيه ويشترين وأمروهن أن لا تمنع امرأة نفسها من رجل أرادها فانهم لو زنا رجل منهم كفيتموهم ففعلوا ذلك فلما دخلت النساء المعسكر مرت امرأة من الكنعانيين اسمها كبشا بنت صوريا برجل من عظماء بني اسرائيل يقال له زمري بن سلوم من سبط شمعون بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم فقام اليها وأخذ بيدها حين أعجبه حسنها وجمالها ثم وقف على موسى وقال اني أظنك أن تقول هذه حرام عليك فقال أجل هي حرام عليك لا تقربها قال والله لا أطيعك في هذا ثم انه دخل بها قبته فواقعها فأرسل الله الطاعون على بني اسرائيل في الوقت وكان فنحاص بن عيزار بن هرون صاحب موسى رجلا قد أعطى بسطة في الخلق وقوة في البطش وكان غائبا حين صنع زمري بن سلوم ما صنع فجاء والطاعون يجوس في بني اسرائيل فأخبر الخبر فأخذ حربته وكانت حديدا كلها ثم دخل عليهما القبة وهما متضاجعان فانتظمهما في حربته ثم خرج بهما رافعهما بيديه الى السماء والحربة قد أخذها بذراعه واعتمد بمرفقه على خاصرته وأسند الحربة على لحيته وكان بكر العيزار وجعل يقول اللهم هكذا نفعل بمن يعصيك فرفع الطاعون عنهم فحسب من هلك من بني اسرائيل من الطاعون فيما بين أن أصاب زمري المرأة الى أن قتله فنحاص فوجدوه قد أهلك منهم سبعين ألف نفس في ساعة واحدة فمن هنالك يعطي بنو اسرائيل لبنيه من كل ذبيحة ذبحوها الخاصرة والذراع واللحي لاعتماده بالحربة على خاصرته وأخذها اياها بذراعه واسناده اياها الى لحيته والبكر من كل أموالهم لانه كان بكر العيزار بن هرون ففي بلعام أنزل الله تعالى واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا الآية (قال مقاتل) ان ملك البلقاء قال لبلعام ادع الله على موسى والا قتلتك فقال انه من أهل ديني ولا أدعو عليهم فجيء بخشبة ليصلبه فلما رأى ذلك خرج على أتان له ليدعو عليه فلما عاين عسكرهم قامت به الاتان ووقفت فضربها فقالت لم تضربني وأنا مأمورة فلا تظلمني وهذه نار أمامي قد منعتني أن أمشي فرجع فأخبر الملك فقال له لتدعون عليه والا صلبتك فدعا على موسى بالاسم الاعظم أن لا يدخل المدينة فاستجيب له ووقع موسى وبنو اسرائيل في التيه بدعائه فقال موسى يارب بأي ذنب وقعنا في التيه قال بدعاء بلعام فقال موسى يارب كما سمعت دعاءه علي فاسمع دعائي عليه أن تنزع منه الاسم الاعظم والايمان فسلخه الله مما كان عليه ونزعت منه المعرفة فخرجت كحمامة بيضاء وأنزل الله تعالى هذه الآية (وقال آخرون) هو نبي من بني اسرائيل يقال له بلعام أوتي النبوة فرشاه قومه على أن يسكت ففعل وتركهم على ما هم عليه (وقال) عبد الله بن عمر وزيد بن أسلم وأبو روق أنزلت هذه الآية في أمية بن أبي الصلت الثقفي كانت قصته أنه كان في ابتداء أمره قد قرأ الكتب السالفة وعلم أن الله تعالى مرسل رسولا في ذلك الوقت ورجا أن يكون هو ذلك الرسول فلما أرسل محمدا صلى الله عليه وسلم حسده وكان قصد بعض الملوك فلما رجع مر بقتلى بدر فسأل عنهم فقيل له قتلهم محمد فقال لو كان نبيا ما قتل أقرباءه فلما مات أمية أتت أخته فارعة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألها عن وفاة أخيها فقالت بينما هو راقد اذ أتاه رجلان فكشطا سقف البيت ونزلا فقعد أحدهما عند رجليه والآخر عند رأسه فقال الذي

الندم والغلمان في مجلس خارج القبة بحيث لا يراهم فاذا اشتهى سماع القينات نظر نحو الستارة واذا أراد سكوتهم أومأ بيده نحو الستارة فهذا كان دأبه الى أن يذهب الليل فتخرج الندماء ويخلو مع من شاء فاذا أصبح اشتغل بالنظر الى اللعابين بالشطرنج وغيره لا يذكر بين يديه موت ولا سقم ولا مرض ولا حزن ولا غم ولا هم الا ذكر الفرح والسرور والنوادر المضحكة ويتنزل كل يوم من أنواع الطيب والشمامات وما يكون في أوانه حتى مضت له سبعة وعشرون سنة فبينما هو ذات ليلة من الليالي في قبته وقد مضى نصف الليل اذ سمع نغمة من صوت شجي بخلاف ما يسمع من مطربانه فأخذت بقلبه وصار ولها عما كان فيه فأومأ الى جلسائه أن امسكوا ثم أخرج رأسه من بعض طاقات القصر الى جهة الخلاء يسمع الذي وقع بقلبه فاذا النغمة ربما سمعها وربما خفيت عليه فصاح بغلمانه أن اطلبوا صاحب هذه النغمة وكان يومئذ قد عمل فيه الشراب فخرج الغلمان يطوفون فاذا هم بشاب نحيف الجسم مصفر اللون قد لصق بطنه بظهره وعليه طمران لا يتوارى بغيرهما حافي القدمين ذابل الشفتين قائم في المسجد

عند

عندرجليه للذى عندرأسه أوعى قال وعى قال أزكا قال زكا قالت فسألته عن ذلك فقال خير أريد بى ثم قطرت عينه
ثم غشى عليه فلما أفاق قال كل عيش وان تطاول دهرا * صائر امره الى أن يزولا * ليتنى كنت قبل ماقد بدالى
فى قلال الجبال أرعى الوعولا * ان يوم الحساب يوم عظيم * شاب فيه الصغير يوما ثقيلا
ثم قال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أطيبه من شعر سألتك بالله ان تنشدى شعر أخيك فانشدته

لك الحمد والنعماء والفضل ربنا * فلاشئ أعلى منك جدا وأمجد
مليك على عرش السماء مهيمن * لعزته تعنو الوجوه وتسجد

وهى قصيدة طويلة وأنشدته حتى أتت على آخرها ثم انها أنشدته قصيدته التى يقول فيها
عند ذى العرش يعرضون عليه * يعلم الجهر والكلام الخفيا يوم نأتيه وهو رب رحيم * انه كان وعده مأتيا
يوم نأتيه مثل ماقال فردا * لم يذرفيه راشدا وغويا أسعيد سعادة أنا أرجو * أم مهان بما كسبت شقيا
رب ان تعف فالمعافاة ظنى * أوتعاقب فلم تعاقب بريا ان أؤاخذ بما اجترمت فانى * سوف ألقى من العذاب قويا
فقال صلى الله عليه وسلم آمن شعره وكفر قلبه فانزل الله تعالى فيه واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا الآية وقال سعيد بن المسيب نزلت فى أبى عامر بن النعمان بن صيفى الراهب الذى سماه النبى صلى الله عليه وسلم الفاسق وكان قد ترهب فى الجاهلية ولبس المسوح فقدم المدينة فقال للنبى صلى الله عليه وسلم ماهذا الذى جئت به قال جئت بالحنيفية دين ابراهيم قال فانا عليها فقال النبى صلى الله عليه وسلم لست عليها ولكنك أدخلت فيها ماليس منها فقال أبو عامر أمات الله الكاذب منا فى مناظرته طريدا فريدا وحيدا فخرج الى الشأم وأرسل الى المنافقين أعدوا القوة والسلاح وابنوا الى مسجدا فانى ذاهب الى قيصر وآتى بجند لنخرج محمدا وأصحابه من المدينة فذلك قوله تعالى وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل يعنى انتظار المجيئه فمات فى الشام طريدا وحيدا فريدا ومنهم من قال انها نزلت فى البسوس وكان رجلا قد أعطى ثلاث دعوات مستجابات وكان له امرأة وله منها ولد فقالت له اجعل لى منها واحدة فقال لك منها دعوة فما تريدين قالت ادع الله أن يجعلنى أجمل امرأة فى بنى اسرائيل فجعلت أجمل امرأة فى بنى اسرائيل فلما علمت أن ليس فيها مثلها رغبت عنه فغضب الرجل فدعا عليها فصارت كلبة نباحة فذهب فيها دعوتان فجاء بنوها فقالوا ليس لنا على هذا قرار ولا صبر صارت أمنا كلبة نباحة وان الناس يعيروننا بها فادع الله أن يردها الى الحال التى كانت عليها فدعا الله فصارت كما كانت فذهبت فيها الثلاث دعوات كلها

(باب فى ذكر النقباء الذين اختارهم موسى ليكونوا كفلاء على قومهم حين بعثه اياهم الى أرض كنعان جواسيس له ولقومه)

قال الله تعالى ولقد أخذنا ميثاق بنى اسرائيل وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبا الآية وذلك أن الله تعالى وعد موسى أن يورثه وقومه الارض المقدسة وهى الشام وكان يسكنها الكنعانيون الجبارون وهم العمالقة من ولد عملاق بن لاوذ بن سام بن نوح ووعده الله أن يهلكهم ويجعل أرض الشام مساكن بنى اسرائيل فلما استقرت بنى اسرائيل الدار بمصر أمرهم الله بالمسير الى أريحاء من أرض الشام وهى الارض المقدسة فقال ياموسى انى قد كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرج اليها وجاهد من فيها من العدو فانى ناصركم عليهم فخذ من قومك اثنى عشر رجلا من كل سبط نقيبا يكون كفيلا على قومه بالوفاء بما أمروا به فاختار موسى من كل سبط نقيبا وأمره عليهم وهذه أسماؤهم من سبط روبيل شموع بن زكور ومن سبط شمعون شوقط بن حورى ومن سبط يهوذا كالب بن يوقنا ومن سبط جاد جابذ بن يوسف ومن سبط ريالون حدى بن سورى ومن سبط أشير شايون بن مليكيك ومن سبط نفتالى حيى بن وقسى ومن سبط دان جمل بن وكيل بن جمل ومن سبط لاوى خولا بن مليكا ومن سبط يوسف افرائيم ومن سبط افرائيم يوشع بن نون وهما سبطان لموسى ومن سبط ميشا حيى بن موسى ومن سبط بنيامين ناظم بن زقون ثم انه سار ببنى اسرائيل قاصدا أريحاء فبعث موسى اليها هؤلاء النقباء يتحسسون الاخبار له ويعلمون حالها وحال أهلها فلقيهم رجل من الجبارين يقال له عوج بن عنق

(فصل فى ذكر جمل من أخبار عوج بن عنق وأحواله)

قال ابن عمر كان طول عوج ثلاثة وعشرين ألف ذراع وثلثمائة وثلاثة وثلاثين ذراعا بالذراع الاول وكان عوج

يناجى ربه عز وجل قال فأخرجوه من المسجد وانطلقوا به حتى أوقفوه بين يديه فنظر اليه وقال من هذا فقال صاحب النغمة التى سمعتها فقال أين أصبتموه قالوا فى المسجد قائما يصلى ويقرأ فقال أيها الشاب ما كنت تقرأ قال كلام الله تعالى قال فاسمعنى تلك النغمة فقال أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم ان الابرار لفى نعيم على الارائك ينظرون تعرف فى وجوههم نضرة النعيم يسقون من رحيق مختوم ختامه مسك وفى ذلك فليتنافس المتنافسون ومزاجه من تسنيم عينا يشرب بها المقربون ثم قال أيها المغرور انها خلاف مجلسك ومستشرفك انها أرائك مفروشة بطائنها من استبرق على رفرف خضر وعبقرى حسان يشرف ولى الله تعالى منها على جنتين فيهما عينان تجريان فيهما من كل فاكهة زوجان لامقطوعة ولاممنوعة فى عيشة راضية فى جنة عالية لاتسمع فيها لاغية فيها عين جارية فيها سرر مرفوعة وأكواب موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابى مبثوثة فى ظلال وعيون وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون أكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار نار وأى نار ان المجرمين فى عذاب جهنم خالدون لايفتر عنهم وهم فيه

يحتجز السحاب ويشرب منه الماء ويتناول الحوت من قرار البحر فيشويه بعين الشمس برفعه اليها ثم يأكله (ويروى) انه أتى نوحا فى أيام الطوفان فقال له احملنى معك فى سفينتك فقال له اذهب ياعدو الله فانى لم أومر بك فطبق الماء الارض من سهل ومن جبل وما جاوز ركبتيه وعاش ثلاثة آلاف سنة حتى أهلكه الله على يد موسى وكان لموسى عسكر فرسخ فى فرسخ فجاء عوج ونظر اليهم ثم جاء الى الجبل وقور منه صخرة على قدر العسكر ثم حملها ليطبقها عليهم فبعث الله عليه الهدهد ومعه الطيور فجعلت تنقر بمناقيرها حتى قورت الصخرة وانثقبت فوقعت فى عنق عوج بن عنق فطوقته وصرعته فأقبل موسى وطوله عشرة أذرع وطول عصاه عشرة أذرع وقفز الى فوق عشرة أذرع فما أصاب منه الا كعبه وهو مصروع فى الارض فقتله قالوا فأقبل جماعة كثيرة ومعهم الخناجر فجهدوا حتى حزوا رأسه فلما قتل وقع على نيل مصر فجسره سنة قالوا وكانت أم عنق هى احدى بنات آدم من صلبه ويقال انها كانت أول من بغى على وجه الارض وكان كل أصبع من أصابعها طوله ثلاثة أذرع فى عرض ذراعين فى كل أصبع ظفران حادان مثل المنجلين وكان موضع مقعدها خربة من الارض ولما بغت بعث الله اليها أسودا كالفيلة وذئابا ونمورا كالابل ونسورا كالحمر وسلطهم عليها فقتلوها وأكلوها (قالوا) فلما لقيهم عوج يعنى أصحاب موسى وكان على رأسه حزمة حطب أخذ الاثنى عشر نقيبا وجعلهم فى حزمته وانطلق بهم الى امرأته وقال لها انظرى الى هؤلاء الذين يزعمون انهم يريدون قتالنا وطرحهم بين يديها وقال لاطحننهم برجلى فقالت له امرأته لاتفعل بهم خل عنهم حتى يخبروا قومهم بما رأوا ففعل ذلك وخلى سبيلهم فجعلوا يتعرفون أحوالهم وكان لايحمل عنقود عنبهم الا خمسة نفر بينهم فى خشبة ويدخل فى قشرة الرمانة اذا نزع حبها خمسة أنفس أو أربعة فلما خرجت النقباء قال بعضهم لبعض ياقوم انكم ان أخبرتم بنى اسرائيل خبر القوم فشلوا وارتدوا عن نبى الله ولكن اكتموا شأنهم وأخبروا موسى وهرون فيريان رأيهم فيهم فأخذ بعضهم على بعض الميثاق بذلك ثم انهم انصرفوا الى موسى وجاؤا بحبة من عنبهم وقشرة من قشور رمانهم وأخبروا بما رأوا ثم ان النقباء نكثوا العهد وجعل كل واحد منهم ينهى سبطه وقومه عن قتالهم وأخبروهم بما رأوا من حالهم الا رجلين منهم وفيا بما قالا وهما يوشع ابن نون بن افرائيم فتى موسى وكالب بن يوقنا ختن موسى على أخته مريم بنت عمران فلما سمع القوم ذلك من الجواسيس رفعوا أصواتهم بالبكاء وقالوا ياليتنا متنا فى أرض مصر أو ليتنا نموت فى هذه البرية ولا يدخلنا الله أرضهم فتكون نساؤنا وأولادنا وأموالنا غنيمة لهم وجعل الرجل منهم يقول لاصحابه تعالوا نجعل علينا رئيسا وننصرف الى مصر فذلك قوله تعالى اخبارا عنهم قالوا ياموسى ان فيها قوما جبارين الآية قال قتادة كان لهم أجسام وخلق عجيب ليس لغيرهم مثله وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منهم فانا داخلون قال موسى ادخلوا الارض المقدسة التى كتب الله لكم فان الله سيفتحها عليكم وان الذى أنجاكم من آل فرعون وفلق لكم البحر هو الذى يبلغكم ويظفركم عليهم فلم يقبلوا قوله ولم يفعلوا وردوا عليه أمره وهموا بالانصراف الى مصر فخرج يوشع بن نون وكالب بن يوقنا الى القوم وهما اللذان أخبر الله عنهما بالتوفيق والعصمة فى قوله تعالى قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما بالتوفيق والعصمة ادخلوا عليهم الباب يعنى باب مدينة الجبارين فاذا دخلتموه فانكم غالبون لان الله منجز وعده فانا رأيناهم وخبرناهم فكانت جسومهم عظيمة قوية وقلوبهم ضعيفة فلا تخشوهم وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين فاراد بنو اسرائيل أن يرجموهما بالحجارة وعصوهما وقالوا ياموسى انا لن ندخلها أبدا ماداموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاصحابه يوم الحديبية حين صد عن البيت انى ذاهب بالهدى فناحره عند البيت فاستشار أصحابه فى ذلك فقال المقداد بن الاسود الكندى اما والله لانقول لك كما قال قوم موسى لموسى فاذهب أنت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكنا نقول انا معك مقاتلون والله لنقاتلن عن يمينك وشمالك وبين يديك ولو خضت بحرا لخضناه ولو تسنمت جبلا لعلوناه ولو ذهبت بنا الى برك العماد يعنى مدينة بالحبشة لتبعناك فلما سمع ذلك أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم تابعوه على ذلك فأشرق لذلك وجه النبى صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس لان أكون صاحب هذا المشهد أحب الى من الدنيا وما فيها (قالوا) فلما فعلت بنو اسرائيل مافعلت من معصيتهم نبيهم ومخالفتهم أمر ربهم سوى يوشع وكالب غضب موسى فدعا عليهم وقال رب انى لا أملك الا نفسى وأخى فافرق

مبلسون فى ضلال وسعر يوم يسحبون فى النار على وجوههم ذوقوا مس سقر يود المجرم لو يفتدى من عذاب يومئذ ببنيه وصاحبته وأخيه وفصيلته التى تؤويه ومن فى الارض جميعا ثم ينجيه كلا انها لظى نزاعة للشوى تدعو من ادبر وتولى وجمع فأوعى فى جهد جهيد وعذاب شديد ومقت من رب العالمين وماهم منها بمخرجين قال فقام الهاشمى من مجلسه وعانق الشاب وبكى على نفسه وقال لجلسائه انصرفوا عنى وخرج الى صحن داره وقعد على حصير مع الشاب ينوح على شبابه ويندب نفسه هذا والشاب يعظه الى أن أصبح وقد عاهد الله تعالى ان لايعود الى معصية أبدا فلما أصبح أظهر توبته وأمر بالفضة والذهب والجواهر وأنواع الملابس فباعها كلها وتصدق بها وقطع الاجور على نفسه ورد الضياع المقتطعة وباع ضياعه وعبيده وجواريه واعتق من اختار العتق وتصدق بجميع ماله كله ولبس الصوف الخشن وأكل الشعير بعد التنعم بأفخر المأكل والمشرب ولزم المسجد والعبادة فكان يحيى الليل ويصوم النهار حتى كان يزوره الصالحون والابرار ويقولون له ارفق بنفسك فان المولى كريم يشكر اليسير ويعفو عن

بيننا

بيننا وبين القوم الفاسقين أى العاصين وكانت عجلة عجلها موسى فظهر الغمام على باب قبة موسى وأوحى الله تعالى الى موسى الى متى يعصينى هذا الشعب والى متى لايصدقون بهذه الآيات لاهلكنهم جميعا ولاجعلن لك شعبا أقوى وأكثر منهم فقال موسى الهى لو أنك قتلت هذا الشعب كلهم لرجل واحد لقالت الامم الذين سمعوا ذلك انما قتل هذا الشعب من أجل انه لم يستطع أن يدخلهم الارض المقدسة فقتلهم فى البرية وانك طويل صبرك كثيرة نعمتك وأنت تغفر الذنوب وتحفظ الآباء على الابناء وأبناء الابناء فاغفر لهم ولاتوبقهم فقال الله تعالى لموسى انى قد غفرت لهم بكلمتك ولكن بعدما سميتهم فاسقين ودعوت عليهم حلفت بعزتى لاحرمن عليهم دخول الارض المقدسة غير عبدى يوشع بن نون وكالب ولاتيهنهم فى هذه البرية أربعين سنة مكان كل يوم من الايام التى تجسسوا فيها سنة وكانت أربعين يوما ولألقين جثثهم فى هذه القفار وأما بنوهم الذين لم يعصونى ولم يعملوا الخير ولا الشر فانهم يدخلون الارض المقدسة فذلك قوله تعالى فانها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون فى الارض متحيرين فلا تأس على القوم الفاسقين فلبثوا أربعين سنة فى ستة فراسخ وكانوا ستمائة ألف مقاتل وكانوا كل يوم يسيرون جادين حتى اذاهم أمسوا فاذاهم بالموضع الذى منه ارتحلوا وسئموا الموضع الذى هم فيه فارتحلوا ومات أولئك النقباء العشرة الذين أفشوا الخبر وكل من دخل التيه ممن جاوز عشرين سنة مات فى تلك المدة غير يوشع بن نون وكالب بن يوقنا ولم يدخل أحد أريحاء ممن قال انا لن ندخلها أبدا فلما هلكوا وانقضت أربعون سنة ونشأت النواشئ من ذراريهم سار والى حرب الجبارين وفتح الله لهم

﴿ باب فى ذكر النعمة التى أنعم الله بها على بنى اسرائيل فى التيه وخصهم بذلك ورفع عنهم الهلاك كرامة لنبيه وصفيه موسى عليه السلام ﴾

قال الله تعالى يابنى اسرائيل اذكروا نعمتى التى أنعمت عليكم الآية كقوله تعالى. وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها والعدد لايقع على الواحد التى أنعمت عليكم أى على أجدادكم وأسلافكم وذلك ان الله تعالى فلق لهم البحر وأنجاهم من آل فرعون وأهلك عدوهم واورثهم أرضهم وديارهم وأموالهم ونزل عليهم التوراة فيها بيان كل شئ يحتاجون اليه وأعطاهم ماأعطاهم فى التيه وذلك أنهم قالوا لموسى أهلكتنا وأخرجتنا من العمران والبنيان الى مفازة لاظل فيها ولا كن فأنزل الله تعالى عليهم غمامة بيضاء رقيقة ليست بغمام المطر بل أرق وأطيب وأبرد منه فأظلتهم وكانت تسير بسيرهم اذا ساروا وتدور عليهم من فوقهم اذا نزلوا وذلك قوله تعالى وظللنا عليكم الغمام يعنى فى التيه تقيكم حر الشمس ومنها أنه جعل لهم عمودا من نور يضئ لهم بالليل اذا لم يكن ضوء للقمر فقالوا هذا الظل والنور قد حصل فأين الطعام فأنزل الله عليهم المن واختلفوا فيه فقال مجاهد هو شئ كالصمغ يقع على الاشجار وطعمه كالشهد وقال الضحاك هو البر يختبز وقال وهب هو الخمير الرقاق وقال السدى كان عسلا يقع على الشجر من الليل فيأكلون منه وقال عكرمة هو شئ أنزله الله عليهم مثل الرب الغليظ وقال الزجاج المن مايمن الله به مما لاتعب فيه ولانصب وقال النبى صلى الله عليه وسلم الكمأة من المن وماؤها شفاء العين قالوا وكان الله ينزل هذا المن كل ليلة يقع على الاشجار مثل الثلج لكل انسان منهم صاع كل ليلة فقالوا ياموسى قتلنا هذا المن بحلاوته فادع الله لنا ربك يطعمنا اللحم فدعا موسى فانزل الله عليهم السلوى واختلفوا فيه فقال ابن عباس وأكثر الناس هو طائر يشبه السمانى وقال أبو العالية ومقاتل هو طير أحمر بعثه الله عليهم فأمطر به السماء فى عرض ميل قدر رمح فى السماء بعضها على بعض وكانت السماء تمطر عليهم ذلك وقيل انه كان طيرا مثل فراخ الحمام طيبا سمينا قد تمعط ريشه وزغبه وكانت الريح تأتى به اليهم فيصبحون وهو فى معسكرهم وقيل انه كان يأتيهم فيسترسل اليهم فيأخذونه بأيديهم وقال عكرمة هو طير يكون بالهند أكبر من العصفور وقال المؤرج هو العسل بلغة كنانة قال شاعرهم

وقاسمها بالله جهدا لأنتم ✻ ألذ من السلوى اذا مانشورها

فكان الله ينزل عليهم المن والسلوى وكان أحدهم يأخذ مايكفيه يومه وليلته فاذا كان يوم الجمعة أخذ كل واحد مايكفيه ليومين لانه لم يكن ينزل عليهم يوم السبت فذلك قوله تعالى وأنزلنا عليكم المن والسلوى كلوا أى قلنا لهم كلوا من طيبات حلال مارزقناكم ولاتدخروا لغد فخبؤا لغد فدود وفسد ماادخروا وقطع الله عنهم ذلك قال تعالى وماظلمونا أى أضروا بالمعصية ومخالفة الامر ولكن كانوا أنفسهم يظلمون باستصحابهم الغداء وقطع

الكثير فيقول ياقوم دعونى فانى أعرف بنفسى ان جرمى عظيم عصيت مولاى بالليل والنهار ويبكى ويكثر البكاء ثم خرج حاجا على قدميه حافيا ماعليه غير خيشة وما معه غير ركوة وجراب حتى قدم مكة وقضى حجه فأقام بها الى ان توفى الى رحمة الله تعالى وكان يدخل الحجر بالليل ويبكى على نفسه ويقول ياسيدى ذهبت شهواتى وبقيت تبعاتى فالويل لى يوم ألقاك والويل ثم الويل لى من صحيفتى اذا نشرت مملوءة من فضائحى وخطاياى ثم أنشد يقول شعرا

عصيتك جاهلا ياذا المعالى
ففرج ماترى من سوء حالى
الى من يرجع المملوك الا
الى مولاه يامولى الموالى
فانك أهل مغفرة وعفو
وتواب ومفضال النوال

(وحكى عن عبد الله ابن مهران رضى الله تعالى عنه أنه قال) حج الرشيد هرون رحمه الله تعالى سنة من السنين فأتى الكوفة فأقام بها أياما ثم ضرب بالرحيل فخرج الناس يودعونه وخرج بهلول المجنون رضى الله تعالى عنه فيمن خرج فجلس بالكناسة والصبيان يؤذونه ويولعون به حتى اذا أقبلت هوادج هرون الرشيد كف الصبيان

عنهم مادة الرزق الذى كان ينزل عليهم بلا مؤنة ولا مشقة فى الدنيا ولا حساب ولا تبعة فى العقبى (أخبرنا) شعيب ابن محمد قال أخبرنا مكى بن عبدان قال أخبرنا أحمد بن الازهر قال حدثنا روح بن عبادة قال حدثنا عون بن عبد الله عن خلاس بن عمرو عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا بنو اسرائيل لم يخنز اللحم ولم يخبث الطعام ولولا حواء لم تخن أنثى زوجها ومنها انهم عطشوا فى التيه فقالوا يا موسى من أين نشرب فاستسقى لهم موسى فأوحى الله اليه أن اضرب بعصاك الحجر واختلف العلماء فيه فقال وهب كان موسى يقرع لهم أقرب حجر فى أرض الحجارة فينفجر منه عيون لكل سبط منهم عين وكانوا اثنى عشر سبطا ثم تسيل كل عين فى جدول السبط الذى مراسقيهم فقالوا ان فقد موسى عصاه متنا عطشا فأوحى الله تعالى اليه لا تقرعن الحجارة بالعصا ولكن كلمها تطعك لعلهم يعتبرون وكان يفعل ذلك فقالوا كيف بنا اذا مضينا الى الرمل والى الارض التى ليس فيها حجارة فأمر موسى أن يحمل معه حجرا فحيثما نزل ألقاه وقال آخرون كان حجرا مخصوصا بعينه والدليل عليه قوله تعالى الحجر فأدخل الالف واللام للتعريف والتخصيص كقوله رأيت الرجل ثم اختلفوا فى ذلك الحجر ما هو فقال ابن عباس كان حجرا خفيفا مربعا مثل رأس الرجل أمر أن يحمله فكان يضعه فى مخلاته فاذا احتاجوا الى الماء أخرجه وضربه بعصاه فينفجر عيونا كما ذكرنا فسقاهم قال أبو روق كان الحجر من الكذان وكان فيه اثنتا عشرة عينا أى حفرة ينبع من كل حفرة عين ماء عذب فيأخذونه فاذا فرغوا وأراد موسى حمله ضربه بعصاه فيذهب الماء وكان كل يوم يسقى ستمائة ألف من جميع الاجناس وقال سعيد بن جبير هو الحجر الذى وضع موسى عليه ثوبه ليغتسل ففر الحجر بثوبه فلما وقف الحجر أتاه جبريل عليه السلام فقال يا موسى ان الله يقول لك ارفع هذا الحجر فلى فيه قدرة ولك فيه معجزة وهو الذى ذكره الله تعالى فى قوله يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا الآية وهو ما أخبرنا به الحسن بن أحمد المخلدى باسناده عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال كانت بنو اسرائيل يغتسلون عراة ينظر بعضهم الى سوأة بعض وكان موسى يغتسل وحده فقالوا والله ما يمنع موسى ان يغتسل معنا الا انه آدر قال فذهب مرة يغتسل فوضع ثوبه على حجر ففر الحجر بثوبه فجمح فى أثره موسى يقول ثوبى يا حجر ثوبى يا حجر حتى نظر بنو اسرائيل الى سوأة موسى فقالوا والله ما بموسى من بأس قال فقام الحجر بعد ما نظر اليه بنو اسرائيل فأخذ ثوبه وطفق بالحجر ضربا فقال أبو هريرة والله ان أثر ضرب موسى بالحجر ستة أو سبعة قال عبد العزيز الكتانى كان موسى ضرب الحجر اثنتى عشرة ضربة فكان يظهر فى كل موضع ضربة مثل ثدى المرأة ثم يتفجر بالانهار المطردة فذلك قوله تعالى فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا (ومنها) أنهم قالوا لموسى فى التيه من أين لنا اللباس فخلد الله تعالى ثيابهم التى عليهم حتى لا تزيد على الايام ومر الاعوام الا جدة وظرافة ولا تخلق ولا تبلى وتنمو على صبيانهم كما ينموا فمكثوا على ذلك زمانا طويلا والله أعلم

﴿باب فتح أريحاء ونزول بنى اسرائيل الشام﴾

اختلف العلماء فيمن تولى حرب الجبارين وفيمن كان على يده الفتح فقال قوم انما فتح اريحاء موسى ويوشع وكان يوشع على مقدمته فسار موسى اليهم بمن بقى من بنى اسرائيل فى التيه ولم يمت فى التيه فدخلها بهم يوشع وقتل الجبارين الذين كانوا بها فدخلها موسى ببنى اسرائيل فقام فيها ما شاء الله ان يقيم ثم قبضه الله تعالى ولم يعلم أحد قبره من الناس وهذا أولى الاقاويل بالصدق وأقربها الى الحق لاجماع العلماء باخبار الانبياء أن عوج بن عنق قتله موسى وقال آخرون ما قاتل الجبارين الا يوشع بن نون ولم يسر اليهم الا بعد موت موسى وهلاك من كان أبى المسير اليها وقالوا مات موسى وهرون عليهما السلام فى التيه

﴿قصة وفاة هرون عليه السلام﴾

قال السدى أوحى الله تعالى الى موسى عليه الصلاة والسلام انى متوف هرون فائت به جبل كذا وكذا فانطلق موسى وهرون نحو ذلك الجبل واذا هما بشجرة لم ير مثلها وبيت مبنى وفيه سرير عليه فرش واذا فيه ريح طيبة فلما نظر هرون الى ذلك أعجبه وقال يا موسى انى أحب أن أنام على هذا السرير فقال نم عليه فقال انى أخاف أن يأتى رب هذا البيت فيغضب على قال له موسى لا تخف أنا أكفيك رب هذا البيت فنم فقال يا موسى نم معى فان جاء رب هذا البيت غضب علينا جميعا فناما موسى وأخذ هرون الموت فلما وجد حسه قال يا موسى خدعتنى فلما قبض رفع ذلك البيت وذهبت تلك الشجرة ورفع السرير الى السماء فلما رجع موسى الى بنى اسرائيل وليس

عن الولوع به فلما جاء هرون نادى بأعلى صوته يا أمير المؤمنين يا أمير المؤمنين فكشف هرون السجاف بيده وقال لبيك يا بهلول لبيك يا بهلول فقال يا أمير المؤمنين حدثنا أيمن بن نائل عن قدامة ابن عبد الله العامرى أنه قال رأيت النبى صلى الله عليه وسلم بمنى على جمل وتحته رحل رث فلا طرد ولا ضرب وكان متواضعا فى سفره فتواضع فى سفرك هذا يا أمير المؤمنين خير من تكبرك وتجبرك قال فبكى هرون الرشيد حتى تساقطت دموعه على الارض ثم قال زدنا يا بهلول فأنشد

فهب ذا ان ملكت الارض طرا
ودان لك العباد فكان ماذا
أليس ترى مقيلك جوف قبر
ويحثون التراب عليك هذا

قال فبكى هرون ثم قال أحسنت يا بهلول هل غيره فقال نعم يا أمير المؤمنين رجل آتاه الله مالا وجمالا فأنفق من ماله وعف فى جماله كتبه الله تعالى فى ديوان الابرار فقال أحسنت يا بهلول سر مع الجائزة فقال أردد الجائزة على من أخذتها منه فلا حاجة لى بها فقال يا بهلول ان كان عليك دين قضيناه فقال يا أمير

معه هرون قالوا اقتل موسى هرون وحسده لحبنا اياه فقال موسى ويحكم ان هرون أخى ووزيرى فكيف أقتله فلما أكثروا عليه قام وصلى ركعتين ثم دعا الله تعالى فنزل السرير حتى نظروا اليه بين السماء والارض فصدقوه وقال عمرو بن ميمون مات موسى وهرون فى التيه ومات هرون قبل موسى وكانا خرجا فى التيه الى بعض الكهوف فمات هرون ودفنه وانصرف الى بنى اسرائيل فقالوا أين هرون قال مات قالوا كذبت ولكنك قتلته لحبنا اياه وكان محببا فى بنى اسرائيل فتضرع موسى الى ربه وشكا الى ربه مالقى من بنى اسرائيل فاوحى الله اليه ان انطلق بهم الى قبره فانى باعثه حتى يخبرهم انه مات موتا ولم تقتله فانطلق بهم الى قبر هرون فناداه ياهرون فخرج من قبره ينفض التراب عن رأسه فقال له أنا قتلتك قال لا والله ولكنى مت فعادوا وانصرفوا والله أعلم ﴿ذكر وفاة موسى عليه السلام﴾ قال ابن اسحق كان موسى قد كره الموت واستعظمه فلما كرهه أراد الله أن يحبب اليه الموت ويكره اليه الحياة وكان يوشع بن نون يغدو اليه ويروح فيقول له موسى يانبى الله ما أحدث الله اليك فيقول له يوشع يانبى الله ألم أصحبك كذا وكذا سنة فهل كنت أسألك عن شئ مما أحدث الله اليك حتى تكون أنت الذى تبتدئ به وتذكره ولا يذكر له شيأ فلما رأى موسى ذلك كره الحياة وأحب الموت قال الاستاذ باسناده حدثنى عبد الصمد بن معقل قال سمعت وهبا يقول وذكر من كرامة موسى عليه السلام أنه ضاق ببنى اسرائيل ذرعا لما كثروا عليه فبعث الله اليه ألف نبى يكونون أعوانا له فلما مال الناس اليهم وجد موسى فى نفسه غيرة فاماتهم الله لكرامته فى يوم واحد ❊ واختلفوا فى صفة موت موسى عليه السلام حدثنا أبو سعيد محمد بن عبد الله بن حمدون باسناده عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال جاء ملك الموت الى موسى فقال له أجب ربك فلطم موسى عين ملك الموت ففقأها قال فرجع ملك الموت الى الله عز وجل فقال يارب انك أرسلتنى الى عبد لا يريد الموت وفقأ عينى فرد الله عليه عينه وقال ارجع الى عبدى وقل له الحياة تريد فان كنت تريد الحياة فضع يدك على متن ثور فما وارت يدك من شعره فانك تعيش بعدد كل شعرة من ذلك سنة قال ثم ماذا قال ثم تموت قال فالآن من قريب قال يارب فأدننى من الارض المقدسة رمية حجر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو كنت عنده لاريتكم قبره الى جانب الطريق عند الكثيب الاحمر قال سمعت أبا سعيد بن حمدون يقول سمعت أبا حامد الشرقى يقول سمعت محمد بن يحيى يقول قد صح هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يعنى قصة ملك الموت وموسى عليه السلام لا يرده الا كل مبتدع ضال ❊ وفى حديث آخر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان ملك الموت كان يأتى الناس عيانا حتى أتى موسى ليقبضه فلطمه ففقأ عينه فجاء ملك الموت بعد ذلك خفية (قال السدى) فى خبر ذكره عن أبى مالك وأبى صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمدانى وعن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قالوا بينما موسى عليه السلام يمشى وفتاه يوشع بن نون اذ أقبلت ريح سوداء فلما نظر اليها يوشع ظن أنها الساعة فقال ياقوم أظن أنها الساعة وانى ملتزم بموسى نبى الله فانسل من تحت القميص وترك القميص فى يدى يوشع فلما جاء يوشع بالقميص أخذته بنو اسرائيل وقالوا اقتلت نبى الله فقال والله ماقتلته ولكن انسل منى فلم يصدقوه وأرادوا قتله فقال لهم اذا لم تصدقونى فاخرونى ثلاثة أيام فدعا الله فأتى كل رجل ممن كان يحرسه آت فى المنام وأخبره أن يوشع لم يقتل موسى وانما قد رفعناه الينا فتركوه قال وهب بن منبه خرج موسى ليقضى حاجة فمر برهط من الملائكة فعرفهم فاقبل اليهم حتى وقف عليهم فاذاهم يحفرون قبرا لم ير شيأ قط أحسن منه ولم ير مثله قط فى الخضرة والنضرة والبهجة فقال لهم ياملائكة الله لمن تحفرون هذا القبر فقالوا نحفره لعبد صالح كريم على ربه فقال موسى ان هذا العبد لمن الله بمنزلة عظيمة مارأيت كاليوم أحسن منه مضجعا فقالت الملائكة ياصفى الله أتحب أن يكون لك قال وددت ذلك قالوا فانزل واضطجع فيه وتوجه الى ربك ثم تنفس أسهل نفس تتنفسه فنزل فاضطجع فيه ثم توجه الى ربه ثم تنفس فقبض الله روحه ثم سوت الملائكة عليه التراب وقيل انه أتاه ملك الموت بتفاحة من الجنة فشمها فقبض الله روحه (ويروى) ان يوشع بن نون رآه بعد موته فى المنام فقال له كيف وجدت الموت يانبى الله قال كشاة تسلخ وهى فى الحياة (ويروى) أن موسى لما مات قالت الملائكة بعضهم لبعض مات صفى الله موسى بن عمران فمن الذى يطمع فى البقاء وكان عمر موسى مائة وعشرين سنة عشرون منها فى ملك أفريدون ومائة سنة فى

المؤمنين لا يقضى دين بدين اردد الحق الى أهله واقض دين نفسك بنفسك قال يابهلول اذكر الينا حاجة فنجرى عليك ما يكفيك فرفع بهلول رأسه الى السماء ثم قال ياأمير المؤمنين أنا وأنت من عيال الله فمحال أن يذكرك وينسانى فاسبل هرون السجاف ومضى فلما قضى حجه وأتى أوان الحج ثانيا خرج هرون الرشيد حاجا وحلف أن لا يحج الا ماشيا الى مكة ففرش له من جوف العراق الى اليمن لبود من فراء فاستند يوما الى ميل وكان قد تعب من المشى فبينما هو كذلك اذا بسعدون المجنون قد عارضه فى الطريق وأنشد يقول

هب الدنيا تواتيكا
أليس الموت يأتيكا
فما تصنع بذى الدنيا
وظل الميل يكفيكا
ألا ياطالب الدنيا
دع الدنيا لشانيكا
كما أضحكك الدهر
كذاك الدهر يبكيكا

قال فشهق هرون الرشيد شهقة وأغشى عليه حتى فاتته ثلاث صلوات فلما أفاق طلب سعدون فلم يجده رحمة الله تعالى عليهم أجمعين ونفعنا بهم وببركاتهم آمين ﴿وحكى عن نبى الله سليمان بن داود عليهما السلام أنه قال﴾ بينما أنا جالس على سرير ملكى شاكرا لله على ما أولانى من النعم اذ أوحى الى أن اخرج الى ساحل البحر الفلانى تر عجبا من خلق الله تعالى

ملك متوجهر (قال الاستاذ رجعنا الى قصة حرب اريحاء وخبر الفتح) قال فلما انقضت أربعون سنة ومات
موسى بعث الله يوشع بن نون نبيا فاخبرهم أنه نبي الله وأن الله قد أمره بقتال الجبارين فصدقوه وبايعوه فتوجه ببني
اسرائيل الى أريحاء ومعه تابوت الميثاق فاحاط بمدينة أريحاء ستة أشهر فلما كان في الشهر السابع نفخوا في
القرون وصاحوا صيحة واحدة فسقط سور المدينة فدخلوها وقاتلوا الجبارين وهزموهم وهجموا عليهم وجعلوا
يقتلونهم فكانت العصابة من بني اسرائيل يجتمعون على عنق الرجل يضربونها لا يقطعونها وكان القتال يوم الجمعة
فبقي منهم بقية وكادت الشمس أن تغرب وتدخل ليلة السبت فخشي يوشع أن يعجزوه فقال اللهم اردد الشمس
علي وأنه قال للشمس انك في طاعة الله وأنا في طاعة الله فسأل الشمس أن تقف والقمر أن يقيم حتى ينتقم من
أعداء الله قبل غروب الشمس فردت له الشمس وزيد له في النهار ساعة واحدة حتى قتلهم أجمعين (أخبرنا) أحمد
ابن عبد الله بن حامد الاصفهاني باسناده عن عروة بن عبد الله قال دخلت على فاطمة بنت علي رضوان الله عليهما
فرأيت في عنقها خرزا ورأيت في يديها مسكتين غليظتين وهي عجوز كبيرة فقلت لها ما هذا فقالت انه يكره للمرأة
أن تتشبه بالرجل ثم حدثتني ان أسماء بنت عميس الخثعمية حدثتها ان علي بن أبي طالب رضي الله عنه كان مع نبي
الله وقد أوحى الله اليه فجلله بثوبه ولم يزل كذلك حتى أدبرت الشمس تقول غابت أو أرادت أن تغيب ثم ان نبي
الله سري عنه فقال أصليت يا علي قال لا فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اردد عليه الشمس فرجعت حتى بلغت
نصف المسجد * قال ثم أرسل ملوك الارامنة وكانوا خمسة فارسل بعضهم الى بعض فجمعوا كلمتهم على يوشع
وقومه فهزمت بنو اسرائيل الملوك حتى أهبطوهم الى ثنية حوران ورماهم الله باحجار البرد فكان من قتله البرد
أكثر ممن قتله بنو اسرائيل بالسيف وهرب الملوك الخمسة واختفوا في غار فأمر بهم يوشع فاخرجهم وأصابهم ثم
أنزلهم فطرحهم في ذلك الغار وتتبع ملوك الشام فاستباح منهم أحدا وثلاثين ملكا حتى غلب على جميع أرض
الشام وصار الشام كله لبني اسرائيل وفرق عماله في نواحيها ثم جمع الغنائم فلم تنزل النار فأوحى الله تعالى الى يوشع
ان فيها غلولا فأمرهم أن يبايعوك فبايعوه فالتصقت يد رجل بيده فقال له هلم ما عندك فأتاه برأس ثور من ذهب
مكلل بالدر والياقوت والجوهر كان قد غله فجعله في القربان وجعل الرجل معه فجاءت النار فأكلت الرجل
والقربان عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم غزا نبي من الانبياء فقال القوم لا يتبعني رجل كان
قد ملك بضع امرأة هو يريد أن يبني بها ولا آخر قد بنى له بيتا ولم يرفع سقفه ولا آخر قد اشترى غنما أو خلفات وهو
ينتظر أولادها قال فدنا من القوم صلاة العصر أو قريبا من ذلك فقال للشمس أنت مأمورة وأنا مأمور اللهم
احبسها علي ساعة فحبست له ساعة حتى فتح الله عليه قال ثم وضعت الغنيمة فجاءت النار فلم تأكلها فقال ان فيكم
غلولا فليبايعني من كل قبيلة منكم رجل فبايعوه فالتصقت يد رجل بيده فقال فيكم الغلول أنتم غللتم قال فأخرجوا
مثل رأس البقرة من ذهب فالقوه في الغنيمة وهي بالصعيد فجاءت النار فأكلتها قال النبي صلى الله عليه وسلم لم
تحل الغنائم لاحد قبلنا وذلك أن الله تعالى رأى عجزنا وضعفنا فوهبها لنا قالوا ثم أمرهم الله أن يدخلوا أريحاء
متواضعين مستغفرين خافضين رؤسهم وذلك قوله تعالى واذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم
رغدا وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة وكان لهم سبعة أبواب سجدا أي منحنين متواضعين وقولوا حطة أي
حط عنا خطايانا قال وهب انهم أذنبوا بابا بابهم وكان توبتهم اذا أذنبوا دخول أريحاء فلما فصلوا من التيه أحب الله
أن يستنقذهم من الخطيئة قال ابن عباس حطة قول لا اله الا الله سميت بذلك لانها تحط الذنوب نغفر لكم خطاياكم
وسنزيد المحسنين احسانا فبدل الذين ظلموا قولا غير الذين قيل لهم وذلك انهم دخلوا متزحفين على أستاههم وقالوا
هطا سمقاثا يعني حنطة حمراء استخفافا بامر الله تعالى فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء أي عذابا من السماء
بما كانوا يفسقون وذلك ان الله تعالى أرسل عليهم طاعونا وظلمة فهلك منهم سبعون ألفا في ساعة واحدة ثم رفعه
الله عنهم ورحمهم قالوا فلما استقرت بنو اسرائيل بالشام وصفت لهم توفي الله نبيه يوشع ودفن في جبل افرائيم وكان
عمره مائة وعشرين سنة وتدبيره أمر بني اسرائيل بعد موت موسى سبعا وعشرين سنة

﴿ مجلس في ذكر الانبياء والملوك الذين قاموا بامور بني اسرائيل بعد يوشع وقصة كالب عليه السلام ﴾

قالت العلماء باخبار الماضين وأمور الامم السالفين لما حضرت الوفاة يوشع بن نون استخلف على بني اسرائيل

قال سليمان عليه السلام فخرجت ومعي من الانس والجن والوحوش والطيور وما أشبه ذلك فلما وصلت الى الساحل نظرت يمينا وشمالا فلم أر شيأ فقلت لعفريت من الجن غص في هذا البحر وائتني بما تجده فيه فغاص العفريت ورجع بعد ساعة وقال يا نبي الله غصت مسيرة كذا وكذا فلم أصل الى قاعه ولا نظرت فيه شيأ فقال سليمان عليه السلام لعفريت آخر غص في هذا البحر وائتني بما تجده فغاص العفريت ورجع بعد ساعتين وقال مثل ما قاله الاول فتعجب سليمان عليه السلام من ذلك فقال العفريت يا نبي الله غصته مثل ما غاصه الاول مرتين فلم أجد شيأ فقال سليمان عليه السلام لآصف بن برخيا وزيره امض في هذا البحر وائتني بما فيه قال فغاص آصف في البحر ساعة وأتاه بقبة عظيمة من الكافور الابيض لها أربعة أبواب باب من الدر وباب من الياقوت وباب من الجوهر وباب من الزبرجد الاخضر والابواب كلها مفتحة ولم يدخل فيها قطرة من الماء وهي في مكان عميق فوضعها بين يدي سليمان عليه السلام فنظر فيها فاذا في وسطها شاب جميل حسن الشباب نظيف الاثواب قائم يصلي فدخل سليمان اليه

كالب بن يوقنا ختن موسى عليه السلام وهو أحد الرجلين اللذين أنعم الله عليهما قال الله تعالى قال رجلان من الذين يخافون أنعم الله عليهما فأحسن الخلافة حتى قبضه الله عز وجل واستخلف على بني اسرائيل ابنه يوسافوس وكان فيما ذكر يشبه يوسف عليه السلام في الحسن والجمال والبهاء وكانوا يفتتنون به وكانوا من شغفهم به يأتونه وينظرون اليه ويقولون له يا أيها العبد الصالح جئنا لنسلم عليك وهو يستحي أن يردهم فلما أكثروا وخاف الفتنة فسأل الله أن يغير صورته مع سلامة حواسه وجوارحه فأصابه الجدري فصار مجدورا ملوّحا فلبث فيهم مائة وأربعين سنة ثم قبضه الله اليه والله أعلم

﴿ ذكر خبر حزقيل عليه السلام ﴾

قالت العلماء بأخبار الانبياء عليهم السلام لما قبض الله كالب وابنه بعث الله تعالى حزقيل الى بني اسرائيل نبيا وهو حزقيل بن بوري ويلقب بابن العجوز وانما لقب بابن العجوز لأن أمه سألت الله تعالى الولد وهي عجوز وقد كبرت وعقمت عن الولد فوهبه الله تعالى لها وهو الذي أحيا الله تعالى به القوم الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فأحياهم الله تعالى بعد موتهم بدعوته في قوله تعالى ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت الآية (قال أكثر) المفسرين كانت قرية يقال لها داوردان قرية قبل واسط وقع بها الطاعون فخرج منها طائفة هاربين من الطاعون وبقيت طائفة فهلك أكثر من بقي في القرية وسلم الذين خرجوا فلما ارتفع الطاعون رجعوا سالمين فقال الذين بقوا ان أصحابنا كانوا أحزم منا لو صنعنا كما صنعوا لبقينا ولئن وقع بها الطاعون ثانية لنخرجن الى الارض التي لا وباء فيها فوقع الطاعون من قابل فهرب عامة أهلها وخرجوا حتى نزلوا واديا أفيح فلما نزلوا المكان الذي يبتغون فيه النجاة والحياة اذا هم بملك من أسفل الوادي وآخر من أعلاه يناديهم كل واحد منهما أن موتوا فماتوا جميعا (عن) محمد بن زكريا قال سمعت الأصمعي يقول لما وقع الطاعون بالبصرة خرج رجل من أهلها عنها على حمار له ومعه ولده وخلفه عبد حبشي يسوق الحمار فطفق العبد يرتجز ويقول

لن يسبق الله على حمار * ولا على ذي منعة خطار * قد أصبح الله أمام الساري

فرجع الرجل لما سمع من قوله بعياله (وروى) عبد الرحمن بن عوف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال اذا سمعتم بالوباء في بلدة فلا تقوموا عليه واذا وقع وأنتم بها فلا تخرجوا فرارا منه وقال الضحاك ومقاتل والكلبي انما فر هؤلاء من الجهاد وذلك أن ملكا من ملوك بني اسرائيل أمرهم أن يخرجوا الى قتال عدوهم فخرجوا فعسكروا ثم جبنوا وكرهوا الموت واعتلوا وقالوا الملكهم ان في الارض التي نأتيها الوباء فلا نأتيها حتى ينقطع الوباء عنها فأرسل الله عليهم الموت فلما رأوا أن الموت قد كثر فيهم خرجوا من ديارهم فرارا من الموت فلما رأى الملك ذلك قال اللهم رب يعقوب واله موسى قد ترى معصية عبادك فارهم آية في أنفسهم حتى يعلموا انهم لا يستطيعون الفرار من حكمك وقضائك فلما خرجوا قال الله لهم موتوا فماتوا جميعا وماتت دوابهم كموتهم موتة رجل واحد فأتى عليهم ثلاثة أيام حتى انفجروا وأروحوا وأروحت أجسادهم فخرج اليهم الناس فعجزوا عن دفنهم فحظروا عليهم حظيرة دون السباع وتركوهم فيها واختلفوا في مبلغ عددهم فقال عطاء الخراساني كانوا ثلاثة آلاف وقال ابن عباس ووهب كانوا اربعة آلاف وقال مقاتل والكلبي ثمانية آلاف وقال أبو روق عشرة آلاف وقال أبو مالك ثلاثين ألفا وقال السدي بضعا وثلاثين ألفا وقال ابن جريج أربعين ألفا وقال عطاء بن أبي رباح سبعين ألفا قال فأتى على ذلك مدة وقد بليت أجسادهم وعريت عظامهم وتقطعت أوصالهم فمر عليهم حزقيل النبي عليه الصلاة والسلام فوقف متفكرا متعجبا فأوحى الله تعالى اليه يا حزقيل تريد ان أريك كيف أحيي الموتى قال نعم يارب فأحياهم الله جميعا هذا قول السدي وجماعة من المفسرين وقال مقاتل والكلبي بل كانوا قوم حزقيل فلما أصابهم ذلك بكى حزقيل وقال يارب كنت في قوم يعبدونك ويذكرونك فبقيت وحيدا لا قوم لي فلو شئت أحييت هؤلاء فيعمرون بلادك ويعبدونك قال الله تعالى أو تحب أن أفعل ذلك قال نعم يارب قال الله تعالى قد جعلت حياتهم اليك فقال لهم حزقيل أحيوا باذن الله تعالى فعاشوا وقال وهب أصابهم بلاء وشدة من الزمان فشكوا ما أصابهم وقالوا ياليتنا قد متنا واسترحنا مما نحن فيه فأوحى الله الى حزقيل ان قومك قد ضجوا من البلاء وزعموا أنهم ودوا لو ماتوا استراحوا وأي راحة لهم في الموت أيظنون اني لا أقدر أبعثهم بعد الموت فانطلق الى جبانة كذا فان فيها أقواما ماتوا فأتاهم فأوحى الله تعالى اليه يا حزقيل قم فنادهم وكانت أجسامهم وعظامهم قد تفرقت ومزقتها الطير

وسلم عليه وقال ما أنزلك الى قاع هذا البحر فقال يا نبي الله أحدثك بقصتي قال نعم فقال كان لي أب مقعد ووالدة عمياء فأقمت في خدمتهما سبعين سنة فلما حضرت وفاة والدتي قالت عند موتها اللهم أطل حياة ولدي في طاعتك ولما توفي والدي قال عند موته اللهم استخدم ولدي في مكان لا يكون للشيطان عليه سبيل فأجاب الله دعاءهما فخرجت يوما من الايام أريد النزهة فجئت الى ساحل هذا البحر فنظرت الى هذه القبة موضوعة على ساحل البحر فدخلتها لانظر ما فيها فاحتملها ملك من الملائكة وأنزلها في قاع هذا البحر كما ترى يا نبي الله فقال سليمان في أي زمان كان قال في زمان ابراهيم عليه السلام فحسب سليمان عليه السلام التاريخ فوجده ألفي سنة وأربعمائة سنة وهو شاب لم يشب فتعجب سليمان عليه السلام من ذلك وقال له فما طعامك وشرابك في هذا البحر فقال يا نبي الله يأتيني طائر أخضر كل يوم في منقاره شئ أصفر مثل رأس الانسان فآكله فأجد فيه طعم كل نعيم في دار الدنيا فيذهب عني الجوع والعطش والحر والبرد والنوم والوحشة فقال سليمان أتحب أن تكون معنا أو ترجع الى موضعك فقال ردني الى موضعي يا نبي الله فقال سليمان رده يا آصف الى مكانه فرده الى مكانه فقال سليمان

والسباع فنادى حزقيل أيتها العظام ان الله يأمرك أن تعودى وتكتسى اللحم فاكتست جميعا اللحم وبعد اللحم جلودا ودما وعصبا وعروقا فكانت أجسادا فنادى أيتها الارواح ان الله تعالى يأمرك أن تعودى الى أجسادك فقاموا جميعا وعليهم ثيابهم التى ماتوا فيها وكبروا تكبيرة واحدة (وروى) منصور بن المعتمر عن مجاهد انهم قالوا حين أحيوا سبحانك اللهم ربنا وبحمدك لا اله الا أنت فرجعوا الى قومهم وتناسلوا بعد ما أحياهم الله وعاشوا دهرا يعرفون أنهم كانوا موتى بسحنة الموت على وجوههم لا يلبسون ثوبا الا عاد رميما مثل الكفن حتى ماتوا لآجالهم التى كتب الله لهم * قال ابن عباس فانه ليوجد فى ذلك السبط من اليهود تلك الريح قال قتادة مقتهم الله على فرارهم من الموت وتقصيرهم فى الجهاد فأماتهم الله عقوبة لهم ثم بعثهم لبقية آجالهم ليوفوها ولو كان آجال القوم قد جاءت ما بعثوا بعد موتهم فلما أحياهم الله تعالى أمرهم بالجهاد قال وقاتلوا فى سبيل الله واعلموا أن الله سميع عليم

﴿ باب فى قصة الياس عليه السلام ﴾

قال الله تعالى وان الياس لمن المرسلين الى آخر القصة قال ابن اسحق والعلماء من أصحاب الاخبار لما قبض الله تعالى حزقيل عليه السلام عظمت الاحداث فى بنى اسرائيل وظهر فيهم الفساد ونسوا عهد الله الذى عهد اليهم فى التوراة حتى نصبوا الاوثان وعبدوها من دون الله عز وجل فبعث الله تعالى اليهم الياس نبيا وهو الياس بن يس بن فنحاص بن عيزار بن هرون بن عمران وانما كانت الانبياء بعد موسى يبعثون اليهم بتجديد ما نسوا وضيعوا من أحكام التوراة وبنو اسرائيل يومئذ متفرقون فى أرض الشام وفيهم ملوك كثيرة وكان سبب ذلك ان يوشع بن نون لما فتح أرض الشام وملكها بوأها بنى اسرائيل وقسمها بينهم فأخذ سبط منهم بعلبك ونواحيها وهم سبط الياس فبعث الله تعالى اليهم نبيا وعليهم يومئذ ملك يقال له لاجب قد ضل وأضل قومه وجبرهم على عبادة الاصنام وكان هو وقومه يعبدون صنما يقال له بعل وكان طوله عشرين ذراعا وكان له أربعة وجوه وقال ابن اسحق قد سمعت بعض أهل العلم يقولون ما كان البعل الا امرأة كانوا يعبدونها من دون الله تعالى فذلك قوله تعالى اذ قال لقومه ألا تتقون أتدعون بعلا وتذرون أحسن الخالقين قال فجعل الياس يدعوهم الى الله تعالى ولا يطيعونه ولا يجيبونه الى ذلك الا ما كان من أمر لاجب الملك الذى كان ببعلبك فانه آمن به وصدقه وكان الياس يقوم أمره ويسدده ويرشده وكان للاجب امرأة يقال لها أربيل وكان يستخلفها على رعيته اذا غاب عنهم فى غزاة أو غيرها فكانت تبرز بين الناس كما يبرز زوجها وتركب كما يركب وتجلس كما يجلس فى مجلس القضاء وتقضى بين الناس وكانت قتالة للانبياء وكان لها كاتب رجل مؤمن حكيم يكتم ايمانه وكان قد خلص من بين يديها ثلثمائة نبى كانت تريد قتل كل واحد منهم اذا بعث سوى الذين قتلتهم وكانت فى نفسها غير محصنة ولم يكن على وجه الارض أفحش منها وهى مع ذلك قد تزوجت سبعة ملوك من ملوك بنى اسرائيل وقتلتهم كلهم بالاغتيال وكانت معمرة ويقال انها ولدت سبعين ولدا قال وكان للاجب هذا جار من بنى اسرائيل رجل صالح يقال له مزدكى وكانت له جنينة يعيش منها ويقبل على عمارتها ويزينها وكانت الجنينة الى جانب قصر الملك وامرأته وكانا يشرفان على تلك الجنينة يتنزهان فيها ويأكلان ويشربان ويقيلان فيها حينا وكان لاجب مع ذلك يحسن جوار صاحبها مزدكى وامرأته أربيل تحسده على ذلك لاجل تلك الجنينة وتحتال على غصبها لما سمعت الناس يذكرون الجنينة من حسنها ويقولون ما أحرى أن تكون هذه الجنينة لاهل هذا القصر ويتعجبون من أمر الملك وامرأته كيف لم يغصباها فلم تزل امرأة الملك تحتال على العبد الصالح مزدكى فى أن تقتله وتأخذ جنينته والملك ينهاها عن ذلك فلا تجد اليه سبيلا ثم انه اتفق خروج الملك الى سفر بعيد فلما طالت غيبته اغتنمت امرأته أربيل أن تتم لها الحيلة على العبد الصالح مزدكى فى أن تقتله وتأخذ جنينته وهو غافل عما تريد به مقبل على عبادة ربه واصلاح معيشته فجمعت أربيل جمعا من الناس وأمرتهم أن يشهدوا على مزدكى بالزور وانه يسب لاجب الملك فأجابوها الى ما سألتهم من الشهادة بالزور وكان حكمهم فى ذلك الزمان على من يسب الملك القتل ان قامت البينة فأحضرت مزدكى وقالت له بلغنا عنك انك شتمت الملك واغتبته فأنكر مزدكى ذلك فأقامت البينة فشهدوا بالزور عليه بحضرة الناس فأمرت بقتله فقتل وأخذت جنينته غصبا فغضب الله عليهم بقتل العبد الصالح فلما قدم الملك من السفر أخبرته الخبر فقال لها ما أصبت خيرا ولا وفقت ولا أرانا نفلح بعدها أبدا وانا كنا عن جنينته لاغنياء وقد

انظروا كيف استجاب الله تعالى دعاء والديه فاحذروا عقوق والديكم يرحمكم الله ثم مضى سليمان عليه السلام متعجبا من ذلك والله أعلم (وحكى عن الشيخ عبد العزيز الديرينى رضى الله تعالى عنه انه قال) كنت سائحا فى جماعة من أصحابى فانتهينا الى قبر فى بعض البرارى كنت أعرف صاحبه وكان من أولياء الله تعالى فجلست عند قبره أبكى فسألنى بعض أصحابى عن ذلك فقلت اتفق لى مع صاحب هذا القبر حكاية عجيبة وذلك انه عرض لى حاجة فى بعض البلاد فسافرت لها فأدركتنى الصلاة فعدلت عن الطريق الى المسجد الذى كان يصلى فيه فصليت خلفه فاذا هو يلحن فى قراءته فتشوش بالى من ذلك وقلت فى نفسى سرا أقيم عند هذا الفقير أعلمه وأترك حاجتى فهذا أولى فلما سلمنا من الصلاة التفت الى وقال يا عبد العزيز الحق حاجتك التى جئت بطلبها وما عليك من اللحن والتعليم فتعجبت من مكاشفته على وخرجت فى الحال مسرعا الى حاجتى كما أشار فلما دخلت البلد وجدت صاحبى الذى عنده حاجتى يريد السفر ورجله فى الركاب كما قال فلما رآنى ترجل ورحب بى وقضى حاجتى وسافرت فازددت تعجبا من ذلك فـالبث الامدة

كنا نتنزه فيها وقد جاورنا وتحرم بنا منذ زمان طويل فاحسنا جواره وكففنا عنه الاذى لوجوب حقه علينا فقبحت
بنا الجوار وما حملك على اجترائك عليه الا سفهك وسوء رأيك وقلة تفكرك فى العواقب فقالت انما غضبت لك
وحكمت بحكمك فقال لها ما كان يسع حلمك وعظيم خطرك العفو عن رجل واحد فتحفظين جواره فقالت قد
كان ما كان فبعث الله تعالى الياس عليه السلام الى لاجب وقومه وأمره أن يخبرهم أن الله تعالى قد غضب عليهم
لوليه حين قتلوه بين أظهرهم ظلما وقد آلى على نفسه أنهما ان لم يتوبا من صنعهما ويردا الجنينة على ورثة مزدكى
والا يهلكهما يعنى لاجب وامرأته فى جوف الجنينة أشر ما يكون بسفك دمهما ثم يدعهما جيفتين ملقاتين فيها
حتى تتعرى عظامهما عن لحومهما ولا يمتعان بها الا قليلا قال فجاء الياس وأخبر الملك بما أوحى الله اليه فى أمره
وأمر امرأته والجنينة فلما سمع الملك ذلك اشتد غضبه ثم قال له يا الياس والله ما أرى ما تدعونا اليه الا باطلا والله
ما أرى فلانا وفلانا وسمى ملوكا منهم عبدوا الاوثان الا على مثل ما نحن عليه يأكلون ويشربون ويتمتعون مملكين
ما ينقص من دنياهم ولا من أمرهم الذى تزعم أنه باطل شئ وما نرى لكم علينا من فضل قال ثم هم بتعذيب الياس
وقتله قال فلما سمع الياس ذلك وأحس بالشر رفضه وخرج عنه فلحق بشواهق الجبال وعاد الملك الى عبادة بعل
وارتقى الياس الى أصعب جبل وأشمخه فدخل مغارا فيقال انه بقى فيه سبع سنين شريدا وحيدا فريدا خائفا يأوى
الى الشعاب والكهوف ويأكل من نبات الارض وثمار الشجر وهم فى طلبه وقد وضعوا عليه العيون يتوقعون
أخباره ويجتهدون فى أخذه والله تعالى يستره ويحفظه ويدفع عنه البلاء فلما تمت له سبع سنين أذن الله تعالى
فى اظهاره عليهم وشفاء غيظه منهم فامرض الله تعالى ابن الملك لاجب وكان أحب أولاده اليه وأعزهم عليه
وأشبههم به فادنف حتى يئس منه فدعا صنمه بعلا وكانوا اقد فتنوا ببعل فعظموه حتى انهم سموا مدينتهم به فقالوا لها
بعلبك وجعلوا لها أربعمائة سادن فوكلوهم به وجعلوهم أمناءه وجعل الشيطان يدخل فى جوف الصنم فيكلمهم
بانواع الكلام والاربعمائة يصغون بآذانهم الى ما يقول الشيطان ويوسوس لهم شريعة من الضلال فيكتبونها
للناس ويعملون بها ويسمونهم الانبياء فلما اشتد مرض ابن الملك طلب الملك أن يشفعوا له الى بعل ويطلبوا منه
لابنه الشفاء والعافية فدعوه له فلم يجبهم ومنع الله تعالى بقدرته الشيطان عن صنمهم فلم يمكنه الولوج فى جوفه ولا
الكلام وهم مجتهدون فى التضرع اليه والمريض لا يزداد بذلك الا ألما وجهدا فلما طال عليهم ذلك قالوا للاجب
أيها الملك ان فى ناحية الشأم آلهة أخرى وهى فى العظم مثل الهك فابعث اليها الانبياء يشفعون لك اليها فلعلها
أن تشفع لك الى بعل فانه غضبان عليك ولولا غضبه عليك لكان قد أجابك وشفى مرض ابنك فقال لاجب لاى
شئ غضب على وأنا أطيعه وأطلب رضاه ولم أسخطه ساعة قط قالوا من أجل أنك لم تقتل الياس وفرطت فيه حتى
نجا سالما وهو كافر بالهك يعبد غيره فذلك الذى أغضبه عليك قال لاجب وكيف لى أن أقتله فى يومى هذا وأنا
مشغول عن طلبه بوجع ابنى وليس لالياس مطلب ولا يعرف له موضع فيقصد فلو عوفى ابنى تفرغت لطلبه ولم
يكن لى هم ولا شغل غيره حتى آخذه وأقتله وأريح الهى منه وأرضيه ثم انه بعث الاربعمائة نبى ليشفعوا الى
الآلهة التى بالشأم ويسئلوها أن تشفع الى صنم الملك ليشفى ابنه فانطلقوا الى الاصنام وكلموها فمنع الله عز وجل
الشيطان الولوج فى الاصنام ولم تكلمهم فرجعوا الى الملك وأخبروه بذلك فقال الملك وكيف لى أن أقتل الياس فى
هذا اليوم قال فخرج الاربعمائة حتى اذا كانوا بحيال الجبل الذى فيه الياس أوحى الله اليه أن يهبط من الجبل
ويعارضهم ويستوقفهم ويكلمهم وقال له لا تخف فانى سأصرف عنك شرهم وألقى الرعب فى قلوبهم فنزل الياس
من الجبل فلما لقيهم استوقفهم فلما وقفوا قال لهم ان الله أرسلنى اليكم والى من وراءكم فاسمعوا أيها القوم رسالة ربكم
لتبلغوها صاحبكم ارجعوا اليه وقولوا له ان الله تعالى يقول لك ألست تعلم يا لاجب اننى أنا الله لا اله الا أنا اله بنى
اسرائيل الذى خلقهم ورزقهم وأحياهم وأماتهم فلا يحملنك جهلك وقلة عقلك على أن تشرك بى وتطلب الشفاء
لابنك من غيرى ممن لا يملكون لانفسهم شيأ الا ما شئت وانى آليت باسمى لاغيظنك فى ابنك ولاميتنه من فوره
هذا حتى تعلم أن أحدا لا يملك له شيأ دونى فلما قال لهم ذلك رجعوا وقد ملئوا منه رعبا فلما ساروا الى الملك ووصلوا
اليه قالوا له ما قال لهم الياس وأخبروه بان الياس انحط عليهم من الجبل وهو رجل نحيف طويل وقد قشف
وقحل وتمعط شعره ويبس جلده وعليه جبة من شعر وعباءة قد خللها على صدره بخلال فاستوقفنا فلما وقفنا سار

يسيرة وتوفى الى رحمة الله تعالى وهذا قبره رضى الله عنه آمين (وحكى عن الشيخ أبى بكر الشبلى رضى الله تعالى عنه) أنه قال خرجت يوما على أصحابى وكانوا نيفا وأربعين رجلا فقلت لهم يا قوم ان الله تعالى قد تكفل بارزاق العباد فقال عز من قائل ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب فتوكلوا على الله واعتمدوا ثم تركتهم ومضيت فأقاموا ثلاثة أيام لم يفتح عليهم بشئ فلما كان اليوم الرابع دخلت عليهم وقلت لهم يا قوم ان الله تعالى قد أباح التسبب للعباد فقال تعالى هو الذى جعل لكم الارض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه فانظروا الى أصدقكم نية فليخرج عسى أن يأتيكم بشئ من القوت قال فاختاروا رجلا فقيرا منهم فخرج ومشى فى شوارع بغداد فلم يفتح الله عليه بشئ فاخذه الجوع وأعياه العطش فجلس عند دكان طبيب نصرانى عليه من الناس جمع كثير وهو يصف لكل منهم دواء فنظر النصرانى الى الفقير وقال ما بك وما عليك فكره الفقير أن يشكو الجوع الى نصرانى ثم مد يده اليه ليجسها فلما جسها النصرانى قال أنا أعرف علة هذه وعندى دواؤها ثم التفت الى غلامه وقال له امض

معنا فقذف له فى قلوبنا الرعب والهيبة وتقطعت السنتنا ونحن فى هذا العدد الكثير وهو واحد فلم نقدر أن نكلمه
ونراجعه ونملأ أعيننا منه حتى رجعنا اليك ثم انهم قصوا عليه كلام الياس فقال لاجب لا أنتفع بالحياة مادام
الياس حيا ما الذى منعكم أن تبطشوا به حين لقيتموه وتوثقوه وتأتونى به وأنتم تعلمون أنه طلبتى وعدوى قالوا له قد
أخبرناك بالذى منعنا عنه ومن كلامه والبطش به فقال لاجب اذا ما نطيق الياس الا بالمكر والخديعة فقيض
له خمسين رجلا من قومه من ذوى القوة والبأس وعهد اليهم عهده وأمرهم بالاحتيال عليه وأن يطمعوه بأنهم
قد آمنوا به هم ومن وراءهم ليطمئن اليهم ويغتر بهم ويمكنهم من نفسه فيأتون به ملكهم فانطلقوا حتى ارتقوا
ذلك الجبل الذى فيه الياس عليه السلام ثم انهم تفرقوا فيه وهم ينادون بأعلى أصواتهم ويقولون يا نبى الله ابرز
لنا واشرف علينا بنفسك فانا قد آمنا بك وصدقناك وملكنا لاجب وكذلك جميع قومنا مقرون بذلك ويقرؤن
عليك السلام ويقولون قد بلغتنا رسالتك وعرفنا ما قلت وآمنا بك وأجبناك الى ما دعوتنا اليه فهلم الينا فانت
نبينا ورسول ربنا فاقم بين أظهرنا واحكم بيننا فاننا ننقاد الى ما أمرتنا وننتهى عما نهيتنا وليس يسعك أن تتخلف
عنا بعد ايماننا بك وطاعتنا لك فتداركنا وارجع الينا وكل هذا كان مكرا منهم وخديعة فلما سمع الياس
مقالتهم وقع فى قلبه ايمانهم وخاف الله وأشفق من سخطه ان هو لم يظهر لهم ولم يجبهم بعد الذى سمع منهم فلما صمم
على البروز اليهم رجع الى نفسه وقال لو أنى دعوت الله تعالى فسألته أن يعلمنى ما فى نفوسهم ويطلعنى على حقيقة
أمرهم وكان ذلك الهاما من الله تعالى وتوفيقا له فقال اللهم ان كانوا صادقين فيما يقولون فائذن لى فى البروز اليهم
وان كانوا كاذبين فاكفنيهم وارمهم بنار تحرقهم جميعا فما استتم قوله حتى حصبوا بالنار من فوقهم فاحترقوا
أجمعين قال وبلغ لاجب وقومه الخبر فلم يرتدع عن ضمير السوء واحتال ثانيا فى أمر الياس فقيض له فئة أخرى
مثل عدد أولئك وأقوى منهم وأمكن فى الحيلة والرأى فاقبلوا حتى وافوا ذلك الجبل وارتقوه متفرقين وجعلوا
ينادون يا نبى الله انا نعوذ بالله وبك من غضب الله وسطوته انا لسنا كالذين أتوك قبلنا أولئك فرقة نافقوا وخالفوا
فصاروا اليك ليمكروا بك من غير رأينا ولا علمنا ولو علمنا بهم لقتلناهم والآن قد كفاك الله أمرهم وأهلكهم
بسوء نياتهم وانتقم لنا ولك منهم فلما سمع الياس مقالتهم دعا الله بدعوته الاولى فامطر عليهم نارا فاحترقوا جميعا عن
آخرهم كل ذلك وابن الملك فى البلاء الشديد من وجعه كما وعده الله تعالى على لسان نبيه الياس لا يقضى عليه
فيموت ولا يخفف عنه من عذابه فلما سمع الملك بهلاك أصحابه ثانيا ازداد غيظا الى غيظه وأراد أن يخرج فى طلب
الياس بنفسه الا أنه شغله عن ذلك مرض ابنه فوجه نحو الياس الكاتب المؤمن الذى هو كاتب امرأته رجاء أن
يأنس اليه فينزل معه وأظهر للكاتب انه لا يريد بالياس سوأ ولا مكروها وانما أظهر له ذلك لما أطلع عليه من ايمانه
وكان الملك مع اطلاعه على ايمانه مغضيا عنه لما هو عليه من الكفاية والامانة والحكمة وسداد الرأى والبصارة
بالامور فلما وجهه نحوه أرسل معه فئة من أصحابه وعهد اليهم دون الكاتب أن يوثقوا الياس ويأتوه به ان أراد
التخلف عنهم وان جاء معهم آنسا بالكاتب وواثقا به كانته لم يوحشوه ولم يروعوه ثم انه أظهر للكاتب الانابة
فقال له انه قد آن لى أن أتوب وأتعظ فقد أصابتنا بلايا من حريق أصحابنا والبلاء الذى فيه ابنى وقد عرفت
أن ذلك بدعوة الياس ولست آمن أن يدعو على وعلى جميع قومى فنهلك بدعوته فكن رسولنا اليه
وأخبره أنا قد تبنا وأنبنا وانه لا يصلحنا فى توبتنا وما نريد من رضا ربنا وخلع أصنامنا الا أن يكون الياس
بين أظهرنا يأمرنا وينهانا ويخبرنا بما يرضى ربنا قال ثم انه أمر قومه أن يعتزلوا الاصنام وقال له أخبر الياس
بانا قد خلعنا آلهتنا التى كنا نعبد وقد أهملنا أمرها حتى ينزل الينا فيكون هو الذى يحرقها ويهلكها وكان
ذلك كله مكرا من الملك قال فانطلق الكاتب والفئة معه حتى علوا الجبل الذى فيه الياس فناداه
الكاتب فعرف الياس صوته فتاقت نفسه اليه وأنس به وكان مشتاقا الى لقائه فأوحى الله تعالى الى الياس
عليه السلام أن ابرز الى أخيك الصالح فالقه وجدد منه العهد فبرز اليه وصافحه وسلم عليه وقال له ما الخبر
فقال له المؤمن انه قد بعثنى اليك هذا الجبار الطاغى وقومه وقص عليه ما قال وقال له وانى لخائف ان رجعت
اليه ولست معى أن يقتلنى فأمرنى بما شئت ان أفعله وأنتهى اليه ان شئت انقطعت اليك وكنت معك وتركته
وان شئت جاهدته معك وان شئت أرسلتنى اليه بما تحب فأبلغه رسالتك وان شئت دعوت ربك يجعل لنا
من أمرنا فرجا ومخرجا قال فاوحى الله تعالى الى الياس ان كل ما جاءك منهم مكر وكذب ليظفروا بك وان

الى السوق وائتنى برطل خبز و رطل شوى و رطل حلوى فمضى الغلام الى السوق وأتاه بذلك فقال خذ هذا دواء علتك
فقال الفقير للنصرانى
ان كنت صادقا فى
حكمتك فهذه العلة
بأربعين رجلا مثلى
فقال النصرانى لغلامه
امض الى السوق
مسرعا وائتنى بأربعين
رطلا من ذلك فمضى
الغلام الى السوق
وأتى بذلك جميعه على
حمال فقال النصرانى
اذهب بذلك الى أصحابك
فذهب الفقير والحمال
معه وتبعهما النصرانى
من بعيد ليختبر صدق
ذلك الفقير فلما دخل
الفقير الى أصحابه
بالدويرة وقف
النصرانى خلف طاقة
ينظر اليهم فوضع
الفقير ذلك بينهم ثم
نادوا للشيخ أبى بكر
الشبلى فحضر فسألهم
عن ذلك فاخبره الفقير
بقصته مع ذلك النصرانى
فقال لهم الشبلى
أترضون أن تأكلوا
طعام نصرانى بغير
مكافأة فقالوا وما
مكافأته قال أن تدعوا
له بالاسلام قبل أن
تأكلوا طعامه قال
فدعوا له بالاسلام وهو
يسمع فلما رأى
النصرانى امساكهم
عن الطعام مع حاجتهم
له ترك الطاقة وقطع
الزنار ودخل اليهم
وقال ياشبلى امدد يدك فانى أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا

لاجب

لاجب ان أخبرته رسله انك قد لقيت هذا الرجل ولم يأت بك اليه فانه يتهمه و يعرف أنه قد داهن فى أمرك ولم يأمن أن يقتله فانطلق معه فان انطلاقك معه عذره و براءته عند لاجب وانى سأشغله عنكما وأضاعف على ابنه البلاء حتى لا يكون له هم غيره ثم أميته على شر حال فاذا مات هو فارجع أنت ولا تقم عنده قال فانطلق الياس معهم حتى قدموا على لاجب فلما دخلوا عليه شدد الله على ابنه الوجع وأخذ الموت يكظمه فشغل الله بذلك لاجب وأصحابه عن الياس و رجع الياس سالما الى مكانه فلما مات ابن لاجب وفرغوا من أمره وقر جزعه انتبه لالياس وسأل عنه الكاتب المؤمن الذى جاء به فقال له ليس لى به علم وذلك أنه قد شغلنى عنه موت ابنك والجزع عليه ولم أكن أحسبك الا قد استوثقت منه فاطرق عنه لاجب وتركه لما كان به من الحزن على ابنه فلما طال الامر على الياس من المكث فى الجبل والمقام به واشتاق الى العمران والناس فنزل من الجبل وانطلق حتى نزل بامرأة من بنى اسرائيل وهى أم يونس بن متى ذى النون فاستخفى عندها ستة أشهر و يونس ابنها يومئذ مولود رضيع وكانت أم يونس تخدمه بنفسها وتواسيه بذات يدها ولا تدخر عنه كرامة تقدر عليها قال ثم ان الياس عليه السلام سئم ضيق البيوت بعد قعوده فى الجبال ودوحها فأحب اللحوق بالجبال فعاد الى مكانه فى الجبال فجزعت أم يونس لفراقه وأوحشها فقده ثم لم يلبث الا قليلا حتى مات ابنها يونس حين فطمته فعظمت مصيبتها به فخرجت فى طلب الياس فلم تزل ترقى الجبال وتطوف فيها حتى عثرت عليه و وجدته فسلمت عليه وقالت له انى فجعت بعدك بموت ابنى وعظمت به مصيبتى واشتد لفقده بلائى وليس لى ولد غيره فارحمنى وادع ربك تعالى أن يحيى لى ابنى و يجبر مصيبتى فانى قد تركته مسجى لم أدفنه وقد أخفيت مكانه فقال لها الياس عليه السلام ليس هذا مما أمرت به وانما أنا عبد مأمور أعمل بما أمرنى ربى به ولم يأمرنى بهذا فجزعت المرأة وتضرعت فعطف الله قلب الياس عليها فقال لها ومتى مات ابنك فقالت منذ سبعة أيام فانطلق الياس عليه السلام معها وسار سبعة أيام حتى أتى الى منزلها فوجد ابنها يونس ميتا منذ أربعة عشر يوما فتوضأ الياس وصلى ودعا فأحيا الله يونس بن متى فلما عاش و جلس وثب الياس وانصرف وتركه وعاد الى موضعه قال فلما طال عصيان قومه ضاق الياس بذلك ذرعا وأجهده البلاء فأوحى الله اليه بعد سبع سنين وهو خائف مذعور مجهود يا الياس ما هذا الحزن والجزع الذى أنت فيه ألست أمينى على وحيى وحجتى فى أرضى وصفوتى من خلقى فاسألنى أعطك فانى ذو الرحمة الواسعة والفضل العظيم قال الياس عليه السلام تميتنى وتلحقنى بآبائى فانى قد مللت بنى اسرائيل وملونى وأبغضتهم فيك وأبغضونى فأوحى الله اليه يا الياس ما هذا اليوم الذى أعرى منك الارض وأهلها وانما قوامها وصلاحها بك وأشباهك ولكن سلنى أعطك قال الياس فان لم تمتنى يا الهى فاعطنى ثارى من بنى اسرائيل فأوحى الله تعالى اليه فأى شئ تريد أن أعطيك يا الياس قال تمكننى من خزائن السماء سبع سنين فلا تنشئ عليهم سحابة الا بدعوتى ولا تمطر عليهم سبع سنين قطرة الا بشفاعتى فانهم لا يذلهم الا ذلك قال الله تعالى يا الياس أنا أرحم بعبادى من ذلك وان كانوا ظالمين قال فست سنين قال أنا أرحم بخلقى من ذلك وان كانوا ظالمين قال فخمس سنين قال أنا أرحم بخلقى من ذلك وان كانوا ظالمين قال فأربع سنين قال أنا أرحم بخلقى من ذلك وان كانوا ظالمين ولكننى أعطيك ثارك منهم ثلاث سنين أجعل خزائن المطر بيدك ولا أنشئ عليهم سحابة الا بدعوتك ولا أنزل عليهم قطرة الا بشفاعتك قال الياس فبأى شئ أعيش قال أسخر لك جيشا من الطير تنقل اليك طعامك وشرابك من الريف والارض التى لم تقحط قال الياس قد رضيت فامسك الله المطر عنهم ثلاث سنين حتى هلكت المواشى والدواب والهوام والشجر و جهد الناس جهدا شديدا والياس على حاله مختف من قومه بموضع ينساق له فيه الرزق و يأتيه حيثما كان وقد عرف بذلك قومه فكانوا اذا وجدوا ريح الخبز فى بيت قالوا لقد دخل الياس هذا المكان فيطلبونه و يلقى منهم أهل ذلك المكان شرا قال ابن عباس أصاب بنى اسرائيل القحط ثلاث سنين متواليات فمر الياس بعجوز فقال لها هل عندك طعام فقالت نعم شئ من دقيق و زيت قليل فجاءته بشئ من الدقيق والزيت فدعا فيهما بالبركة ومسهما فبارك الله فى ذلك حتى ملأت جرابها دقيقا وملأت خوابيها زيتا فلما رأى بنو اسرائيل ذلك عندها قالوا لها من أين لك هذا قالت مر بى رجل من حاله كذا وكذا ووصفته بصفته فعرفوه وقالوا ذاك الياس ثم انهم طلبوه فوجدوه فهرب منهم الى الجبال والله أعلم ﴿قصة اليسع عليه السلام﴾ ثم ان الياس أتى الى بيت امرأة من بنى اسرائيل لها ابن يسمى اليسع

رسول الله وحسن اسلامه وصار من جملة أصحاب الشبلى رضى الله تعالى عنهم أجمعين ونفعنا بهم آمين

﴿وحكى عن بعضهم رضى الله تعالى عنهم ونفعنا بهم﴾ قال رأيت عند قبر النبى صلى الله عليه وسلم تسعة من الاولياء أصحاب الخطوة فتبعتهم فالتفت الى أحدهم وقال أين تريد فقلت لهم أن أسير معكم أين تسيرون لحبى فيكم فقال أحدهم انك لا تقدر على المسير الى الموضع الذى نقصده فانه لا يصل اليه الا من بلغ عمره أربعين سنة فقال الآخر دعه لعل الله يرزقه قال فسرت معهم والارض تطوى من تحتنا طيا والحب يقول للعشاق هيا فلم نزل نسير حتى انتهينا الى مدينة مبنية بالذهب والفضة واشجارها متعانقة وأنهارها رائقة وفواكهها فائقة قال فدخلناها وأكلنا من ثمارها ثم أخذت معى ثلاث تفاحات فلم يمنعونى من أخذها فسألتهم عند الانصراف عن هذه المدينة فقالوا هذه مدينة الاولياء فاذا أراد الاولياء النزهة ظهرت لهم تلك المدينة أينما كانوا فما دخل فيها أحد قبل الاربعين غيرك قال فلما رجعنا ودخلنا مكة أعطيت الدامغانى تفاحة فقذفها فلامنى أصحابى وقالوا رد ما أعطيت الى مكانه فكنت كلما جعت أكلت من تلك

ابن أخطوب وكان به ضرفا توته وأخفت أمره فدعا الله فعوفي من الضر الذي كان به واتبع اليسع الياس وآمن به وصدقه ولزمه فكان يذهب معه حيثما ذهب وكان الياس قد أسن وكبر وكان اليسع غلاما شابا ثم ان الله تعالى أوحى الى الياس عليه السلام انك قد أهلكت كثيرا من الخلق ممن لم يعصوني سوى بني اسرائيل من البهائم والدواب والهوام والشجر والنبات بحبس المطر عن بني اسرائيل فيزعمون والله أعلم أن الياس قال رب دعني أكون الذي أدعو لهم وآتيهم بالفرج مما هم فيه من البلاء الذي أصابهم لعلهم يرجعون عما هم عليه من عبادة غيرك فقيل له نعم فجاء الياس الى بني اسرائيل وقال لهم ويلكم انكم قد هلكتم جوعا وجهدا وقد هلكت البهائم والدواب والطير والشجر والنبات بحبس المطر عنكم بخطاياكم وانكم على باطل وغرور فان كنتم تحبون أن تعلموا أن أصنامكم التي تدعونها من دون الله لن تغني عنكم شيأ فاخرجوا باصنامكم هذه فان استجابت لكم فذلك كما تقولون وان هي لم تفعل علمتم أنكم على باطل وغرور فنزعتم عنها ودعوت الله تعالى لكم أن يفرج عنكم ما أنتم فيه من البلاء قالوا أنصفت فخرجوا ومعهم أوثانهم فدعوها فلم تستجب لهم ولم تفرج عنهم ما كانوا فيه من البلاء فقالوا يا الياس انا قد هلكنا فادع الله لنا فدعا الله الياس ومعه اليسع عليهما السلام بالفرج مما هم فيه وان يسقوا فخرجت سحابة مثل الترس على ظهر البحر وهم ينظرون اليها فاقبلت نحوهم وطبقت عليهم الافق ثم أرسل الله عليهم المطر فاغاثهم وأحييت بلادهم قال فشكوا الى الياس هدم الجدران وعدم البذر وقالوا ليست لنا حبوب فأوحى الله تعالى اليه أن يأمرهم بان يبذروا الملح في الارض ففعلوا فانبت الله لهم منه الحمص وأمرهم أن يبذروا الرمل فانبت الله لهم منه الدخن فلما كشف الله تعالى عنهم الضر نقضوا العهد ولم ينزعوا عن كفرهم ولم يقلعوا عن ضلالتهم وأقاموا على أخبث ما كانوا عليه فلما رأى الياس ذلك دعا ربه أن يريحه منهم فقيل له انتظر يوم كذا وكذا فاخرج الى موضع كذا وكذا فاذا جاءك شئ فاركبه ولا تهبه فخرج الياس ومعه اليسع بن اخطوب حتى اذا كانا بالموضع الذي أمر بالخروج اليه أقبل فرس من نار حتى وقف بين يديه فوثب عليه الياس فانطلق به الفرس فناداه اليسع يا الياس ما تأمرني به فقذف اليه كساءه من الجو الاعلى فكان ذلك علامة على استخلافه اياه على بني اسرائيل وذهب الياس فكان ذلك آخر العهد به ورفع الله الياس من بين اظهرهم وقطع عنه لذة المطعم والمشرب وكساه الريش وكان انسيا ملكيا سماويا أرضيا وسلط الله تعالى على لاجب الملك وامرأته وقومه عدوا لهم فقصدهم من حيث لا يشعرون به حتى رهقهم فقتل لاجب الملك وامرأته في بستان مزدكي فلم تزل جيفتاهما ملقاتين في تلك الجنينة حتى بليت لحومهما ورمت عظامهما ونبأ الله تعالى بفضله اليسع عليه السلام وبعثه نبيا ورسولا الى بني اسرائيل وأوحى الله تعالى اليه وأيده بمثل ما أيد به عبده الياس فآمنت به بنو اسرائيل وكانوا يعظمونه وينتهون الى رأيه وأمره وحكم الله تعالى فيهم قائم الى أن فارقهم اليسع (أخبرنا) أبو عبد الله الحسن بن محمد الحافظ عن عبد العزيز بن أبي داود قال ان الخضر والياس عليهما السلام يصومان شهر رمضان ببيت المقدس ويوافيان الموسم في كل عام (وأخبرني) ابن فتحويه عن رجل من أهل عسقلان انه كان يمشي بالاردن عند نصف النهار فرأى رجلا فقال يا عبد الله من أنت فقال أنا الياس قال فوقعت علي رعدة شديدة فقلت له ادع الله لي أن يرفع عني ما أجد حتى أفهم حديثك وأعقل عنك قال فدعا لي بثمان دعوات وهن يا بر يا رحيم يا حنان يا منان يا حي يا قيوم ودعوتين بالسريانية لم أفهمهما وقيل هما اهيا شراهيا فرفع الله عني ما كنت أجد ووضع كفه بين كتفي فوجدت بردها بين يدي فقلت له أيوحى اليك اليوم فقال منذ بعث محمد صلى الله عليه وسلم رسولا فانه لا يوحى الي قال فقلت له فكم من الانبياء اليوم أحياء قال أربعة اثنان في الارض واثنان في السماء أما اللذان في السماء فعيسى وادريس عليهما السلام وأما اللذان في الارض فالياس والخضر عليهما السلام قلت كم الابدال قال ستون رجلا خمسون منهم من لدن عريش مصر الى شاطئ الفرات ورجلان بالمصيصة ورجل بعسقلان وسبعة في سائر البلدان كلما أذهب الله واحدا منهم جاء بآخر مكانه وبهم يدفع الله عن الناس البلاء وبهم يمطرون قلت فالخضر أين يكون قال في جزائر البحر فقلت هل تلقاه قال نعم قلت أين قال بالموسم قلت فما يكون حديثكما قال يأخذ من شعري وآخذ من شعره قال وكان ذلك حين جرى بين مروان بن الحكم وبين أهل الشام القتال قلت فما تقول في مروان بن الحكم قال رجل جبار عات على الله تعالى والقاتل والمقتول والشاهد في النار قلت فاني قد شهدت ولم أطعن برمح ولا رميت بسهم ولم أضرب بسيف وأنا أستغفر الله من ذلك المقام أن أعود الى مثله أبدا قال أحسنت فركد

التفاحة وهي لاتتغير فرجعت الى أهلي وقد بقي منها تفاحة واحدة غير التي ادخرتها لنفسي فعانقتني أختي وقالت أين الذي أتحفتنا به من سفرك فقلت لها وما الذي أتحفكم به وأنا بعيد عن الدنيا وعن الراحة فقير الحال فقالت أختي فأين التفاحة فقلت وأي تفاحة فقالت يا مسكين والله لقد أدخلوني تلك المدينة وأنا بنت عشرين سنة وأما أنت فلم ترها الا بعد أن طردوك وأنا والله جذبت اليها جذبة وخطوت اليها خطوة قال فتعجبت من كلامها وقلت يا أختي ان البدل الكبير منهم قال لي لم يدخلها أحد قبل الاربعين غيرك قالت نعم يا أخي من المريدين وأما المرادون فيدخلونها ولا يرضون بها ومتى شئت أريتكها فقلت قد شئت فقالت يا مدينة احضري فوالله لقد رأيت تلك المدينة بعينها وهي تتدلى عليها وتدفع اليها فمدت يدها وقالت أين تفاحتك قال فتساقط علي من التفاح شئ كثير فضحكت وقالت من عنده هذا الملك يحتاج الى تفاحتك قال فاستحقرت نفسي والله عند ذلك وما كنت أعرف ان أختي من أكابر الاولياء رضي الله عنهم ونفعنا بهم في الدارين وأمدنا من مددهم وأنفاسهم الطاهرة آمين (وحكي عن الشيخ أبي الربيع المالقي عفا الله

فكن

ذكر قال فبينما أنا واياه قاعدان اذ وضع بين يديه رغيفان أشد بياضا من الثلج فأكلت أنا وهو رغيفا وبعض الآخر ثم رفعت رأسى وقد رفع باقى الرغيف الآخر فما رأيت أحدا وضعه ولا رأيت أحدا رفعه قال وله ناقة ترعى فى وادى الاردن فرفع رأسه اليها فلما دعاها جاءت وبركت بين يديه فركبها فقلت انى أريد أن أصحبك قال انك لا تقدر على صحبتى قال فقلت له انى خلو لا زوجة لى ولا عيال قال تزوج واياك والنساء الاربع الناشزة والمختلعة والملاعنة والبرزة وتزوج ما بدا لك من النساء قال فقلت انى أحب أن ألقاك قال اذا رأيتنى فقد لقيتنى انى أعتكف فى بيت المقدس فى شهر رمضان ثم حالت بينى وبينه شجرة فوالله ما أدرى كيف ذهب وهذا آخر القصة

﴿مجلس فى قصة ذى الكفل عليه السلام﴾

قال الله تعالى واسمعيل وادريس وذا الكفل كل من الصابرين قال مجاهد لما كبر اليسع قال لو أنى استخلفت رجلا على الناس يعمل عليهم فى حياتى حتى أنظر كيف يعمل فجمع الناس ثم قال من يتكفل لى بثلاث استخلفته يصوم النهار ويقوم الليل ولا يغضب فقام اليه رجل شاب تزدريه العيون فقال أنا فرده ذلك اليوم وقال مثلها فى اليوم الثانى فسكت الناس فقام ذلك الرجل وقال أنا أعمل ذلك فاستخلفه قال فلما رأى ابليس ذلك جعل يقول للشياطين عليكم بفلان فأعياهم فقال دعونى واياه فأتاه فى صورة شيخ كبير فقير حين أخذ مضجعه للقائلة وكان لا ينام بالليل والنهار الا تلك النومة فدق ابليس الباب فقال من هذا فقال شيخ كبير مظلوم ففتح الباب فجعل يقص عليه القصة ويقول ان بينى وبين قومى خصومة وانهم ظلمونى وفعلوا وفعلوا وجعل يطول عليه حتى حضر وقت الرواح وذهبت القائلة فقال له اذا رحت فانى آخذ لك بحقك فانطلق وراح الى مجلسه فلما جلس جعل ينظر ليرى الشيخ فلم يره وقام يتبعه فلما كان الغد جعل يقضى بين الناس وينتظره فلم يره فلما رجع الى القائلة وأخذ مضجعه أتاه فدق الباب فقال من هذا فقال أنا الشيخ المظلوم ففتح له وقال ألم أقل لك اذا قعدت فائتنى فقال انهم أخبث قوم اذا عرفوا انك قاعد يقولون نحن نعطيك حقك واذا قمت جحدونى قال فانطلق فاذا رحت فائتنى وفاتته القائلة فراح وأقبل وجعل ينتظره فلا يراه فشق عليه النعاس فقال لبعض أهله لا تدعن أحدا يقرب هذا الباب حتى أقوم فانه قد شق على عدم النوم فلما كانت تلك الساعة جاء فلم يأذن له أحد فلما أعياه نظر فاذا كوة فى البيت فتسور منها فاذا هو فى البيت واذا به يدق الباب من داخل فاستيقظ الرجل وقال يا فلان ألم آمرك أن لا تأذن لاحد على فقال أما من قبلى فما أتى فانظر من قبل من أتى فقام الى الباب فاذا هو مغلق كما أغلقه واذا الشيخ معه فى البيت فقيل له أتنام والخصوم ببابك فعرفه فقال يا عدو الله ما ألجأك على هذه الفعال فقال له انك أعييتنى فى كل شئ أردت بك ففعلت معك ما ترى لاغضبك فعصمك الله منى فسمى ذا الكفل لانه تكفل بامر فوفى به (أخبرنا) ابن فنجويه قال حدثنا عمر بن المفضل عن أبى هاشم أخبرنا ابن الفضل قال أخبرنا الاعمش عن عبد الله بن عبيد الله الدارى عن سعيد عن ابن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث حديثا ولم أسمعه الا مرة أو مرتين لم أحدث به سمعت منه أكثر من سبع مرات يقول كان فى بنى اسرائيل رجل يقال له ذو الكفل لا ينزع عن ذنب عمله فاتبع امرأة فاعطاها ستين دينارا على أن تعطيه نفسها فلما قعد منها مقعد الرجل من المرأة ارتعدت وبكت فقال لها ما يبكيك فقالت من هذا الفعل فانى ما فعلته قط فقال لها أأكرهتك قالت لا ولكن حملنى عليه الحاجة فقال لها اذهبى فهى لك ثم انه قال والله لا أعصى الله بعدها قط أبدا فمات من ليلته فقيل مات ذو الكفل فوجدوا على باب داره مكتوبا ان الله تعالى قد غفر لذى الكفل ❊ وقال أبو موسى الاشعرى ان ذا الكفل لم يكن نبيا وانما كان عبدا صالحا تكفل بعمل رجل صالح وكان يصلى لله تعالى فى كل يوم مائة صلاة فاحسن الله عليه الثناء وقيل هو الياس وقيل هو زكريا والله أعلم بالصواب

﴿مجلس فى قصة عيلى وشمويل وهو اسمعيل بالعبرانية وقصة التابوت وخبر طالوت وجالوت وهذه قصة كبيرة تشتمل على أبواب كثيرة﴾

قال الله تعالى ألم تر الى الملا من بنى اسرائيل الآية ﴿فصل فى سياق الآية ومقدمة القصة﴾ قال وهب بن منبه لما نبأ الله تعالى اليسع بعد الياس عليهما السلام واستخلفه على بنى اسرائيل وكان فيهم ما شاء الله أن يكون ثم قبضه الله تعالى اليه وخلف فيهم الخلوف عظمت فيهم الخطايا وكان عندهم التابوت يتوارثونه كابرا عن كابر فيه السكينة وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون وكانوا لا يلقاهم عدو فيقدموا التابوت ويزحفون به معهم الا هزم

عنه ﴿ انه قال سمعت بامرأة من المتعبدات الصالحات فى بعض القرى اشتهر أمرها وكان من دأبنا ان لا نزور امرأة فدعت الحاجة الى زيارتها للاطلاع على كرامتها فنزلنا القرية التى هى بها فذكر والنا ان عندها شاة تحلب لبنا وعسلا فاشترينا قدحا جديدا لم يوضع فيه شئ ثم مضينا اليها وسلمنا عليها وقلنا لها نريد هذه البركة التى ذكرت لنا عنك من هذه الشاة فقالت حبا وكرامة ثم أحضرت لنا الشاة فحلبناها فى ذلك القدح ثم شربنا فوجدناه لبنا وعسلا كما وصف فلما رأينا ذلك سألنا المرأة عن قصة هذه الشاة فقالت نعم أخبركم بها وذلك انه كان لنا شويهة ونحن قوم فقراء ولم يكن عندنا غيرها فقال لى زوجى وكان رجلا صالحا امضى بنا حتى نذبح هذه الشاة فى هذا اليوم وهو يوم العيد فقلت له لا تفعل ذلك فان الله تعالى قد رخص لنا فى الترك والله يعلم حاجتنا اليها فبينما نحن كذلك اذا استضافنا ضيف فى ذلك اليوم ولم يكن عندنا ما نقرى به هذا الضيف فاحتجنا لذبحها فقلت له يا رجل هذا ضيف وقد أمرنا باكرامه فخذ تلك الشاة واذبحها فقال نخاف ان تبكى عليها صغارنا فقلت له خذها واخرج بها من البيت واذبحها وراء الجدار فاخذها ومضى فلما أراق دمها فرت

من أعلى الجدار ونزلت الينا فحسبت انها قد انفلتت منه فخرجت لانظرها فاذا هو يسلخ فيها فقلت له يارجل رأيت عجبا وذكرت له قصة هذه الشاة التي نزلت من أعلى الجدار فقال الرجل لعل الله تعالى أبدلنا خيرا منها فكان كذلك فكانت تلك الشاة تحلب لبنا وهذه تحلب لبنا وعسلا وهذا كله ببركة اكرام الضيف قال فتعجبنا من ذلك ثم قالت يا أولادي ان شويهتنا هذه ترعى في قلوب المريدين فاذا طابت قلوبهم طاب لبنها واذا تغيرت قلوبهم تغير لبنها فطيبوا قلوبكم (قلت) وقد عنت بذلك نفسها وزوجها ولكن أطلقت لفظا ظاهره العموم مع ارادة التخصيص تسترا وتحريضا للمريدين على تطييب قلوبهم اذ بطيب القلوب يحصل كل طيب محبوب من الانوار والاسرار ولذة العيش بمنادمة الملك الغفار والمعنى في ذلك لما طابت قلوبنا طاب ما عندنا فطيبوا قلوبكم يطيب ما عندكم رضي الله تعالى عنها آمين (وحكي عن بعض أصحاب السري السقطي رضي الله تعالى عنه) انه قال كان للسري السقطي تلميذة وكانت امرأة صالحة وكان لها ولد عند المعلم فبعثه المعلم يوما الى الدجلة فنزل الصبي

الله تعالى ذلك العدو وكان الله تعالى قد بارك لهم في أرزاقهم فكان أحدهم فيما يذكرون يجمع التراب على صخرة ثم يبذر فيه الحب فيخرج الله له ما يأكله منه هو وعياله ويكون لاحدهم الزيتونة فيعصر منها ما يأكل هو وعياله سنة فلما كثرت أحداثهم وعظمت ذنوبهم وتركوا ما عهد الله اليهم سلط الله عليهم العمالقة وهم قوم كانوا يسكنون غزة وعسقلان وساحل البحر ما بين مصر وفلسطين وكان جالوت الملك فيهم فظهروا على بني اسرائيل وغلبوهم على كثير من أراضيهم وسبوا كثيرا من ذراريهم وأسروا من أبناء ملوكهم أربعمائة وأربعين غلاما وضربوا عليهم الجزية وأخذوا توراتهم وبقوا على اضطراب من أمرهم واختلاف من حالهم يتمادون أحيانا في غيهم وضلالهم فسلط الله تعالى عليهم من ينتقم له منهم ليرجعوا الى التوبة أحيانا ويكفيهم الله شر من بغى عليهم حتى بعث الله فيهم طالوت ملكا ورد عليهم توراتهم فانتظم أمرهم واستوثق ملكهم وكان مدة ما بين وفاة يوشع بن نون التي آل أمر بني اسرائيل في بعضها الى الساسة منهم وفي بعضها الى غيرهم ممن يقهرهم ويملك عليهم الى أن ثبت الملك فيهم ورجعت النبوة اليهم بشمويل النبي عليه السلام أربعمائة سنة وستين سنة وكان آخر من ملكهم في هذه المدة رجل يقال له ايلاف وكان يدبر أمرهم في ملكه شيخ كبير يقال له عيلي الكاهن كان حبرهم وصاحب قربانهم وكانوا ينتهون الى رأيه فلما مضى من وقت قيامه بأمرهم مدة بعث الله شمويل نبيا

﴿القول في بدء أمر شمويل وصفة نبوته صلى الله على نبينا وعليه وسلم﴾

قال وهب بن منبه كان لابي شمويل امرأتان احداهما عجوز عاقر لم تلد له ولدا وهي أم شمويل والاخرى قد ولدت له عشرة أولاد قال وكان لبني اسرائيل عيد من أعيادهم أقاموا فيه شرائطه وقربوا القرابين فحضر أبو شمويل وامرأتاه وأولاد العشرة ذلك العيد فلما قربوا قربانهم أخذ كل واحد منهم نصيبا وكان لام الاولاد عشرة أنصباء وللعجوز نصيب واحد فعمل الشيطان بينهما ما يعمل بين الضرائر من الحسد والبغي فقالت أم الاولاد للعجوز الحمد لله الذي كثرني بولدي وقللك فوجمت العجوز وجوما شديدا فلما كان عند السحر عمدت الى متعبد هناك فقالت اللهم بعلمك وسمعك كانت مقالة صاحبتي واستطالتها علي بنعمك التي أنعمتها عليها وأنت ابتدأتها بالنعمة والاحسان فارحم ضعفي وارزقني ولدا تقيا رضيا واجعله لك ذخرا في مسجد من مساجدك يعبدك ولا يكفرك ويطيعك ولا يجحدك فاذا رحمت ضعفي ومسكنتي وأجبت دعوتي فاجعل لي علامة أعرف بها قبول دعائي فلما أصبحت حاضت وكانت قبل ذلك قد يئست من الحيض فجعله الله علامة لما سألته فألم بها زوجها فحملت وكتمت أمرها ولقي بنو اسرائيل في ذلك الوقت من عدوهم بلاء وشدة ولم يكن لهم نبي يدبر أمرهم فكانوا يسألون الله تعالى أن يبعث لهم نبيا يشير عليهم ويجاهدون عدوهم معه وكان سبط النبوة قد هلك ولم يبق منه الا تلك المرأة الحبلى فلما علموا بحملها تعجبوا من أمرها وقالوا ما حملت هذه الا بنبي لان اليائسات لا يحملن الا بالانبياء كسارة امرأة ابراهيم عليه السلام حملت باسحق وبشاع امرأة زكريا حملت بيحيى عليه السلام فاخذوها وحبسوها في بيت رهبة أن تلد جارية فتبدلها بغلام لما ترى من رغبة بني اسرائيل في ولدها فجعلت المرأة تدعو الله تعالى أن يرزقها ولدا ذكرا فولدت غلاما وسمته شمويل تقول سمع الله دعائي فلما شب الغلام أسلمته ليتعلم التوراة فكفله عيلي وتبناه فلما بلغ الغلام الوقت الذي يبعثه الله فيه نبيا أتاه جبريل عليه السلام وهو نائم الى جانب الشيخ عيلي الكاهن وكان لا يأمن عليه أحدا فدعاه جبريل بلحن الشيخ ياشمويل فقام الغلام فزعا مرعوبا الى الشيخ وقال يا أبتاه أدعوتني فكره الشيخ أن يقول لا فيفزع الغلام فقال يا بني ارجع فنم فرجع الغلام فنام ثم دعاه جبريل ثانيا فانتبه الغلام وقال أدعوتني يا أبتاه فقال الشيخ ما شأنك قال اما دعوتني قال لا فقال شمويل فاني سمعت صوتا في البيت وليس فيه غيرنا فقال له الشيخ ارجع فتوضأ وصل فانك ان دعيت باسمك فاجب وقل لبيك أنا طوعك فأمرني بما شئت أفعل ما تأمرني به ففعل ذلك الغلام فنودي ثالثة فقال لبيك أنا طوعك فأمرني بامرك أفعل ما تأمرني به فظهر له جبريل عليه السلام فقال له اذهب الى قومك فبلغهم رسالة ربك فان الله سبحانه عز وجل قد بعثك فيهم نبيا وان الله قد ذرأك يوم ذرأك للنبوة ورحم وحدة أمك ذلك اليوم الذي تاهت عليها ضرتها فيه فلا أحد اليوم أشد منها عضدا ولا ملاذا فانطلق الى عيلي فقل له انك كنت خليفة الله على عباده ودينه فقمت زمانا بأمره حاكما بكتابه محافظا على حدوده فلما امتدت مدتك ودق عظمك

وذهبت

وذهبت قوتك وفني عمرك وقرب أجلك وصرت أفقر ما يكون الى الله تعالى ولم تزل دهرا اليه عطلت الحدود وجرت بين الخصوم وعملت بالرشا والمصانعات وأضعفت حكم الحق حتى عز الباطل وأهله وذل الحق وحزبه وظهر المنكر وخفي المعروف وفشا الكذب وقل الصدق وما كان الله عاهدك على هذا ولا عليه استخلفك فبئسما ختمت به عملك والله لا يحب الخائنين بلغه هذه الرسالة وقم بعده بالخلافة فلما بلغه شمويل هذه الرسالة فزع وجزع وكان السبب فيما عاتب الله عبده عيلي ووبخه عليه أنه كان له ابنان شابان فأحدثا شيئا في القربان لم يكن فيه وذلك أنه كان مسواط القربان الذي كانوا يسوطونه به كلابين فما أخرجا كان للكاهن الذي كان يسوطه فجعل ابناه كلاليب فأوحى الله الى شمويل أن انطلق الى عيلي فقل له منعك حب الولد أن تزجرا بنيك أن يحدثا في قرباني وأن يعصياني فلأنزعن الكهانة منك ومن ولدك ولأهلكنك وإياهما فأخبر شمويل عيلي ففزع فزعا شديدا وصار اليهم عدوهم ومن حولهم فأمر عيلي ابنيه أن يخرجا بالناس فيقاتلا ذلك العدو فخرجا وأخرجا معهما التابوت فلما تأهبوا للقتال جعل عيلي يتوقع ماذا صنع القوم فجاءه رجل وهو قاعد على كرسيه فأخبره بأن الناس قد انهزموا وأن ابنيك قد قتلا قال فما فعل بالتابوت قال ذهب به العدو قال فشهق ووقع على قفاه من كرسيه فمات فلما بلغ ملكهم ايلاف الخبر أن التابوت قد سلب وأن عيلي قد مات فمات كمدا فلما مات الأمير والوزير وأخذ التابوت مرج أمر بني اسرائيل واختل واجترأ عليهم عدوهم فقالوا لشمويل ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله وذلك بعد مدبر شمويل أمرهم عشر سنين فلما نالهم الذل والهوان والقتل والسبي من عدوهم بشؤم معصيتهم سألوا نبيهم شمويل أن يبعث لهم ملكا يقاتلون معه في سبيل الله وإنما كان قوام أمر بني اسرائيل بالاجتماع على الملك وطاعة الملك الأنبياء وكان الملك هو الذي يسير بالجيوش ويقاتل العدو وكان النبي منهم هو الذي يقيم له أمره ويشير عليه ويرشده ويأتيه بالخبر من عند الله تعالى (قال وهب بن منبه) بعث الله شمويل نبيا فلبثوا أربعين سنة في أحسن حال ثم كان من أمر جالوت والعمالقة ما كان فسألوا شمويل عليه السلام أن يبعث لهم ملكا فذلك قوله تعالى ألم تر الى الملأ من بني اسرائيل من بعد موسى إذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله يعني شمويل وهو بالعبرانية اسمعيل بن بالي بن علقمة بن ماجد بن عموصا بن النهر بن ضون بن علقمة صاحب عموصا بن عزريا وقال مجاهد هو شمويل بن هلفاقا ولم ينسبه أكثر من ذلك وقال مقاتل هو من نسل هرون عليه السلام فقال لهم نبيهم هل عسيتم ان كتب عليكم القتال أن لا تقاتلوا فأجابوا بما قص الله في كتابه قالوا وما لنا أن لا نقاتل في سبيل الله وقد أخرجنا من ديارنا الآية فلما أخذ شمويل عليهم الميثاق على الطاعة والجماعة والجهاد سأل الله تعالى أن يبعث لهم ملكا

﴿ ذكر قصة الملك طالوت وإتيان التابوت وحرب جالوت وما يتعلق به ﴾

قال الله تعالى وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا الآية قال المفسرون ان شمويل لما قالوا له ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله سأل الله تعالى أن يبعث لهم ملكا فأتى بعصا وقرن فيه دهن القدس وقيل له ان صاحبكم الذي يكون ملكا طوله طول هذه العصا وانظر الى القرن الذي فيه الدهن فإذا دخل عليك رجل فنش الدهن الذي في القرن فهو ملك بني اسرائيل فادهن به رأسه وملكه عليهم ثم انهم قاسوا أنفسهم بالعصا فلم يكونوا مثلها وكان طالوت يطولها واسمه بالسريانية سادل وبالعبرانية شاول بن قيش بن أفيل بن صار وبن بحورت بن أفيح بن أنيس بن بنيامين بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم الخليل عليه السلام وكان رجلا دباغا يعمل الأدم (قال وهب بن منبه) كان يدبغ الجلود وعكرمة والسدي يقولان كان سقاء يستقي على حمار له من النيل فضل حماره فخرج في طلبه قال وهب بن منبه بل ضاعت حمر لأبي طالوت فأرسله وغلاما له يطلبانها فمرا ببيت شمويل عليه السلام فقال الغلام لطالوت لو دخلنا على هذا النبي فسألناه في أمر الحمر ليرشدنا ويدعو لنا فيها بخير فقال له نعم فدخلا عليه فبينما هما عنده يذكران له خبر الحمر إذ نش الدهن في القرن فقام شمويل وقاس طالوت بالعصا فكانت على طوله فقال له شمويل قرب رأسك الي فدهنه بدهن القدس ثم انه قال له أنت ملك بني اسرائيل وقد أمرني ربي أن أملكك عليهم فقال طالوت أنا فقال نعم قال أوما علمت أن سبطي أدنى أسباط بني اسرائيل قال بلى قال أوما علمت أن بيتي أدنى بيت في بني اسرائيل قال بلى قال فبأي آية قال بآية أنك ترجع وقد وجد أبوك الحمر فكان كذلك ثم ان شمويل قال لبني اسرائيل ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا قال مجاهد أميرا على الجيش فقالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال وإنما

في الماء فغرق فخاف المعلم على نفسه وأتى الى السري السقطي فأخبره بذلك فاغتم وقال قوموا بنا الى أمه وكان معهم الجنيد فتكلم السري السقطي مع أم الصبي في علم الصبر وعلم الرضا فقالت المرأة يا أستاذي وأي شيء تريد بذلك فقال لها السري ان ولدك قد غرق فقالت ان الله عز وجل لم يفعل ذلك ثم قالت قوموا بنا فقاموا معها حتى انتهوا الى النهر فقالت المرأة أين غرق ولدي فقال المعلم ههنا فصاحت به ابني محمد فأجابها من النهر لبيك يا أماه فنزلت وأخذت بيده ومضت الى منزلها فالتفت السري الى الجنيد وقال أي شيء هذا فقال الجنيد أقول ان هذه المرأة مراعية لما لله عز وجل عليها وهذا حكم من كان مراعيا لما لله عز وجل عليه فلهذا لا تحدث حادثة حتى تعلم بها فلما كان دأبها ذلك لم تكن حادثة الا علمتها فأنكرت ذلك وقالت ان ربي لم يفعل ذلك وهذا من صدقها مع مولاها رضي الله تعالى عنها ونفعنا بها في الدنيا والآخرة وأمدنا من مددها آمين

﴿وحكي عن مالك بن دينار عفا الله عنه﴾ أنه قال خرجت حاجا الى بيت الله الحرام سنة من السنين فبينما أنا في الطريق واذا بشاب يمشي بلا زاد ولا راحلة فسلمت عليه فرد علي السلام فقلت أيها الشاب من أين أنت قال من عنده

قالوا ذلك لانه كان في بني اسرائيل سبطان سبط نبوة وسبط مملكة وكان سبط النبوة سبط لاوي بن يعقوب ومنهم موسى وهرون وسبط المملكة سبط يهوذا بن يعقوب ومنهم داود وسليمان عليهما السلام ولم يكن طالوت من سبط النبوة ولا من سبط المملكة وانما كان من سبط بنيامين بن يعقوب وكانوا عملوا ذنبا عظيما كانوا ينكحون النساء على ظهر الطريق نهارا فغضب الله عليهم ونزع النبوة والملك منهم فلما قال لهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا أنكروا ذلك لانه كان من ذلك السبط فقالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ومع ذلك أنه فقير لم يؤت سعة من المال فقال لهم شمويل ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم بالحرب والجسم يعني بالطول في قومه والقوة وانما سمي طالوت لطوله ولذلك كان يفوق الناس برأسه ومنكبيه وقال ابن كيسان بالجمال وكان طالوت أجمل رجل في بني اسرائيل وأعلمهم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم قالوا فما آية ذلك قال لهم نبيهم ان آية ملكه أن يأتيكم التابوت الآية

﴿ قصة التابوت وصفته وابتداء أمره الى انتهائه ﴾

قال أهل التفسير وأصحاب الاخبار ان الله تعالى أهبط تابوتا على آدم عليه السلام من الجنة حين أهبط الى الارض فيه صور الانبياء من أولاده وفيه بيوت بعدد الرسل منهم وآخر البيوت بيت محمد صلى الله عليه وسلم من ياقوتة حمراء واذا هو قائم يصلي وعن يمينه الكهل المطيع مكتوب على جبينه هذا أول من يتبعه من أمته أبو بكر الصديق رضي الله عنه وعن يساره الفاروق وعلى جبهته مكتوب قرن من حديد لا تأخذه في الله لومة لائم ومن ورائه ذو النورين آخذ بحجزته مكتوب على جبهته بار من البررة ومن بين يديه علي بن أبي طالب كرم الله وجهه شاهر سيفه على عاتقه ومكتوب على جبهته هذا أخوه وابن عمه المؤيد بالنصر من عند الله وحوله عمومته والخلفاء والنقباء والكبكبة الخضراء أنصار الله وأنصار رسوله نور حوافر دوابهم يوم القيامة مثل نور الشمس في دار الدنيا وكان التابوت نحوا من ثلاثة أذرع في ذراعين وكان من عود الشمشاذ الذي يتخذ منه الامشاط مموه بالذهب وكان عند آدم عليه السلام الى أن مات ثم عند شيث الى أن مات ثم توارثه أولاد آدم الى أن بلغ الى ابراهيم عليه السلام فلما مات كان عند اسمعيل لانه أكبر ولده فلما مات اسمعيل كان عند ولده قيذار فنازعه فيه ولد اسحق وقالوا له ان النبوة صرفت عنكم وليس لكم الا هذا النور الواحد يعني نور محمد صلى الله عليه وسلم فأعطنا التابوت فكان يمتنع عليهم ويقول انه وصية أبي ولا أعطيه لاحد من العالمين قال فذهب ذات يوم ليفتح ذلك التابوت فعسر عليه فتحه فناداه مناد من السماء مهلا يا قيذار فليس لك الى فتح هذا التابوت سبيل انه وصية نبي ولا يفتحه الا نبي فادفعه الى ابن عمك يعقوب اسرائيل الله فحمل قيذار التابوت على عنقه وخرج يريد أرض كنعان وكان بها يعقوب عليه السلام قال فلما قرب قيذار صر التابوت صرة سمعها يعقوب عليه السلام فقال لبنيه أقسم بالله لقد جاءكم قيذار بالتابوت فقوموا نحوه فقام يعقوب وأولاده جميعا فلما نظر يعقوب الى قيذار سعى اليه باكيا وقال يا قيذار مالي أرى لونك متغيرا وقوتك ضعيفة أرهقك عدو أم أتيت بمعصية بعد أبيك اسمعيل قال ما أرهقني عدو ولا أتيت معصية ولكن أنتقل ظهري نور محمد صلى الله عليه وسلم فلذلك تغير لوني وضعف ركني قال يعقوب أو في بنات اسحق قال لا ولكن في العربية الجرهمية وهي العامرية فقال يعقوب بخ بخ شرفا لمحمد صلى الله عليه وسلم لم يكن الله ليخرجه الا في العربيات الطاهرات يا قيذار وأنا مبشرك ببشارة قال وما هي قال اعلم ان العامرية قد ولدت لك البارحة غلاما قال قيذار وما علمك يا ابن عمي وأنت بأرض الشام وهي بأرض الحرم قال يعقوب قد علمت ذلك لاني رأيت أبواب السماء قد فتحت ورأيت نورا كالقمر المدور بين السماء والارض ورأيت الملائكة ينزلون من السماء بالبركات والرحمة فعلمت ان ذلك من أجل محمد صلى الله عليه وسلم ثم ان قيذار دفع التابوت الى ابن عمه يعقوب ورجع الى أهله فوجدها قد ولدت غلاما فسماه حملا وفيه نور محمد صلى الله عليه وسلم قالوا وكان التابوت في بني اسرائيل الى أن وصل الى موسى وكان موسى يضع فيه التوراة ومتاعا من متاعه وكان عنده الى أن مات ثم تداولته أنبياء بني اسرائيل الى وقت شمويل عليه السلام فوصل الى شمويل وقد تكامل أمر التابوت بما فيه وكان فيه مما ذكر الله في كتابه فيه سكينة من ربكم (واختلفوا في السكينة) ما هي فقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه السكينة ريح خجوج هفافة لها رأسان ووجهها كوجه الانسان وقال مجاهد لها رأس كرأس الهرة وذنب كذنب الهرة وجناحان وقال محمد بن اسحق عن وهب بن منبه عن بعض علماء بني اسرائيل في السكينة رأس هرة كانت اذا

فقلت والى أين قال اليه فقلت وأين الزاد والراحلة فقال عليه فقلت له ان الطريق لا تقطع الا بالمأكل والمشرب فهل معك شيء قال نعم قد تزودت عند خروجي من بلدي بخمسة أحرف فقلت وما هي فقال قوله تعالى كهيعص فقلت وما معنى كهيعص فقال أما قوله كاف فهو الكافي وأما الهاء فهو الهادي وأما الياء فهو الذي يؤوي وأما العين فهو العالم وأما الصاد فهو الصادق فمن صحب كافيا وهاديا ومؤويا وعالما وصادقا فلا يضيع ولا يخشى ولا يحتاج الى الزاد والراحلة قال مالك فلما سمعت منه هذا الكلام نزعت قميصي لألبسه له فأبى أن يقبله وقال يا شيخ العري خير من ثياب الغنى حلالها حساب وحرامها عقاب فكان اذا جن الليل يرفع وجهه نحو السماء ويقول يا من لا تنفعه الطاعات ولا تضره المعاصي هب لي ما لا ينفعك واغفر لي ما لا يضرك فلما أحرم الناس ولبوا قلت له لم لم تلب فقال يا شيخ أخاف أن أقول لبيك فيقول لا لبيك ولا سعديك لا أسمع كلامك ولا أنظر اليك ثم مضى وغاب عن بصري فما رأيته الا بمنى وهو يبكي ويقول ان الحبيب الذي يرضيه سفك دمي * دمي حلال له في الحل والحرم * والله لو علمت روحي لمن عشقت * قامت على رأسها فضلا عن القدم

صرخت

صرخت فى التابوت صرخة أيقنوا بالنصر وجاءهم الفتح (و روى) السدى عن أبى مالك عن ابن عباس قال هى طشت من ذهب الجنة يغسل فيه قلوب الانبياء (و روى) بكار بن عبد الرحمن عن وهب بن منبه هى روح من الله تكلمهم اذا اختلفوا فى شىء فتخبرهم ببيان ما يريدون و بقية مما ترك آل موسى وآل هرون (قال المفسرون) فيه عصا موسى و رضاض الالواح وذلك أن موسى لما ألقى الالواح تكسرت فرفع بعضها وجمع ما بقى فجعله فى التابوت وكان فيه أيضا لوحان من التوراة وقفيز من المن الذى كان ينزل على بنى اسرائيل ونعلا موسى وعمامة هرون وعصاه قالوا وكان التابوت عند بنى اسرائيل اذا اختلفوا فى شىء تكلم وحكم بينهم واذا حضروا القتال أقاموه بين أيديهم يستفتحون به على عدوهم فلما عصوا وأفسدوا سلط الله عليهم العمالقة فغلبوهم على التابوت وسلبوهم اياه وذلك فى أيام على الكاهن الذى ربى شمويل وقد مضت القصة فيه وكان جالوت يوم سبى قومه التابوت صغيرا فلما ذهب التابوت اختل أمر بنى اسرائيل الى أن بعث الله طالوت ملكا فسألوه الآية على ملكه فقال لهم شمويل ان آية ملكه أن يأتيكم التابوت (وكانت قصة) ذلك التابوت أن القوم الذين سبوا التابوت أتوا به قرية من قرى فلسطين يقال لها أردن وجعلوه فى بيت صنم لهم ووضعوه تحت الصنم الاعظم فاصبحوا من الغد واذا الصنم تحته فاخذوه وجعلوه فوقه وسمروا قدمى الصنم على التابوت فاصبحوا من الغد وقد قطعت يدا الصنم ورجلاه وأصبح ملقى تحت التابوت فاصبحت الاصنام كلها منكسة فاخرجوه من بيت الاصنام ووضعوه فى ناحية من مدينتهم فأخذ أهل تلك الناحية وجع فى أعناقهم حتى هلك أكثرهم فقال بعضهم لبعض أليس قد علمتم ان اله بنى اسرائيل لا يقوم له شىء فاخرجوه من مدينتكم قال فاخرجوه الى قرية أخرى فبعث الله على أهل تلك القرية فأرا فبيت الرجل صحيحا فقرضه الفأر فيصبح ميتا وقد أكلت ما فى جوفه فاخرجوه منها الى الصحراء ودفنوه فى مجرى لهم فكان كل من تبرز هنالك أخذه الباسور والقولنج فاخرجوه ووضعوه فى بيت فمكث فيهم عشر سنين وسبعة أشهر لا يدنو أحد منه الا احترق وأصابهم فى المدينة الآفات والعاهات وفى مواشيهم الموت وفى نسائهم الطاعون فتحيروا وكانت عندهم امرأة من نساء بنى اسرائيل من أولاد الانبياء فقالت انكم لا تزالون ترون ما تكرهون مادام هذا التابوت فيكم فأخرجوه عنكم فأتوا بعجلة باشارة تلك المرأة فحملوا عليها التابوت ثم علقوها على ثورين وضربوا جنوبهما فاقبل الثوران يسيران ووكل الله بهما أربعة من الملائكة يسوقونهما فلم يمر التابوت بأرض الا كانت مقدسة فاقبلا حتى وقفا على أرض فيها حصاد لبنى اسرائيل فكسر نيرهما وقطع حبالهما ووضع التابوت فيها ورجع الثوران الى أرضهما فلم تدر بنو اسرائيل الا والتابوت عندهم فكبروا وحمدوا الله تعالى واجتمعوا على طالوت فذلك قوله تعالى تحمله الملائكة أى تسوقه الملائكة (وقال ابن عباس) جاءت الملائكة بالتابوت تحمله بين السماء والارض وهم ينظرون اليه حتى وضعته فى دار طالوت فاقروا بملكه قال الله تعالى ان فى ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين قال ابن عباس ان التابوت وعصا موسى فى بحيرة طبرية وانهما يخرجان قبل القيامة والله أعلم

﴿ باب فى قصة شمويل حين أوحى الله اليه أن يأمر طالوت بالمسير الى قتال جالوت مع بنى اسرائيل وصفة نهر الابتلاء ﴾

قال الله تعالى فلما فصل طالوت بالجنود قال ان الله مبتليكم بنهر الآية قال فلما أوحى الله الى شمويل عليه السلام أن يأمر طالوت بالمسير الى جالوت من بيت المقدس بالجنود لم يتخلف عنه الا كبير لهرمه أو مريض لمرضه أو ضرير لضرره أو معذور لعذره وذلك أنهم لما رأوا التابوت قالوا قد أتانا التابوت وهو النصر لا شك فيه فسارعوا الى الجهاد فقال طالوت لا حاجة لى فيما أرى لا يخرج معى رجل بنى بناء لم يفرغ منه ولا صاحب تجارة مشتغل بها ولا رجل عليه دين ولا رجل تزوج بامرأة ولم يدخل بها ولا يتبعنى الا الشاب النشط الفارغ فاجتمع ثمانون ألفا على شرطه فخرج بهم وكان فى حر شديد فشكوا قلة المياه بينهم وبين عدوهم وقالوا ان المياه لا تحملنا فادع الله تعالى أن يجرى لنا نهرا فقال لهم طالوت بأمر شمويل عليه السلام ان الله مبتليكم بنهر مختبركم ليرى طاعتكم وهو أعلم بكم وهو نهر بين الاردن وبين فلسطين عذب يقال له ادمى فمن شرب منه فليس منى أى من أهل دينى وطاعتى ومن لم يطعمه لم يشرب به فانه منى ثم استثنى فقال الا من اغترف غرفة بيده وهو ملء الكف ومن فتح الغين أراد المرة الواحدة فشربوا منه الا قليلا منهم (قال) السدى كانوا أربعة آلاف وقال غيره كانوا ثلثمائة وبضعة عشر رجلا وهم

يالائمى لا تلمنى فى هواه فلو * عاينت منه الذى عاينت لم تلم يطوف بالبيت قوم لو بجارحة لله طافوا لاغناهم عن الحرم ضحى الحبيب بنفسى يوم عيدهم والناس ضحوا بمثل الشاة والغنم للناس حج ولى حج الى سكنى * تهدى الاضاحى وأهدى مهجتى ودمى ثم قال اللهم ان الناس ذبحوا وتقربوا اليك بضحاياهم وهديهم وليس لى شىء أتقرب به اليك سوى نفسى فتقبلها منى ثم شهق شهقة فخر ميتا رحمة الله تعالى عليه واذا بقائل يقول هذا حبيب الله هذا قتيل الله قتل بسيف الله قال فجهزته وواريته بالتراب ثم بت تلك الليلة متفكرا فى أمره فرأيته فى المنام وعليه ثياب من السندس والاستبرق فقلت له ما فعل الله بك فقال فعل بى كما فعل بالشهداء يوم بدر فهم قتلوا بسيف الكفار وأنا قتلت بمحبة الملك العزيز الجبار قال فتعجبت منه رضى الله تعالى عنه (وحكى عن البهلول رضى الله عنه أنه قال) بينما أنا فى يوم من الايام مار فى شارع البصرة واذا بصبيان يلعبون باللوز والجوز واذا بصبى ينظر اليهم وهو يبكى فقلت فى نفسى هذا الصبى يبكى تحسرا على ما فى أيدى هؤلاء الصبيان ولا شىء معه فتقدمت اليه وقلت له يا ولدى ما يبكيك اشترى لك من ذلك

الصحيح يدل عليه حديث البراء بن عازب قال قال لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر أنتم اليوم على عدة أصحاب طالوت حين عبر والنهر وما جاوز معه الا مؤمن قال وكانوا يومئذ ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا فمن اغترف غرفة بيده كما أمر الله تعالى قوى قلبه وصح ورجح ايمانه وعبر النهر سالما وكفته تلك الغرفة الواحدة لشربه وحمله ودوابه والذين شربوا وخالفوا أمر الله تعالى اسودت شفاههم وغلبهم العطش فلم يرووا وبقوا على شاطئ النهر وجبنوا عن لقاء العدو ولم يشهدوا الفتح فلما جاوز النهر مع طالوت القليل الذين ثبتوا معه قالوا يعني الذين شربوا وخالفوا أمر الله تعالى لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده وانصرفوا عن طالوت ولم يشهدوا قتال جالوت وقال الذين يظنون أي يعلمون ويوقنون أنهم ملاقوا الله وهم القليل الذين ثبتوا مع طالوت كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله الآية ومروا قاصدين الجهاد

﴿ باب في ذكر أمر داود عليه السلام وخبر جالوت وصفة قتله ﴾

قال الله تعالى ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا الى قوله تعالى وقتل داود جالوت قال المفسرون والمخبرون بألفاظ مختلفة ومعان متفقة عبر النهر مع طالوت فيمن عبر ايشا أبو داود ومعه ثلاثة عشر ابنا له وكان داود أصغرهم وأحقرهم فأتى ذات يوم أباه فقال يا أبتاه ما قذفت بمقلاعي هذه شيأ الا أصبته وصرعته فقال أبشر يا بني فان الله قد جعل رزقك في قذافتك يعني في مقلاعك ثم أتاه يوما آخر فقال يا أبتاه لقد دخلت بين الجبال فرأيت أسدا رابضا فركبته وقبضت باذنيه فلم يهجني فقبضت على فكيه ففطرتهما برأسه وعنقه الى لبته بيدي من غير سكين ولا ضرب بحديد وتراه هنالك مقتولا فقال له أبوه أبشر يا بني فان هذا خير أعطاكه الله ثم أتاه يوما آخر وقال يا أبتاه اني لامشي بين الجبال فاصبح فما يبقى جبل الا سبح معي قال أبشر يا بني فان هذا خير أعطاكه الله وسيكون لك شأن عظيم قال فلما وصلت غزاة بني اسرائيل مع طالوت الى عسكر جالوت أرسل جالوت الى طالوت أن ابرز الي أو أبرز الي من يقاتلني فان قتلني فلكم ملكي وان قتلته فلي ملككم فشق ذلك على طالوت فنادى في عسكره من قتل جالوت زوجته ابنتي وناصفته مملكتي فهاب الناس قتال جالوت فلم يجبه أحد فسأل طالوت نبيهم شمويل عليه السلام فدعا الله تعالى في ذلك فأتي بقرن فيه دهن القدس وبشبه تنور من حديد وقيل له ان الذي يقتل جالوت هو الذي يوضع هذا القرن على رأسه فيغلي الدهن حتى يدهن منه رأسه ولا يسيل على وجهه بل يكون على رأسه كهيئة الاكليل ويدخل في هذا التنور فيملؤه ولا يتقلقل فيه فدعا طالوت أشداء بني اسرائيل وأقوياءهم فجربهم فلم يوافقه منهم أحد فأوحى الله الى شمويل عليه السلام ان في ولد ايشا من يقتل جالوت واني أريد أن أجعله خليفة في الارض من بعدك أعلمه فصل الخطاب وهو راعي الغنم فقيل لايشا يعرض عليك بنيه واحدا واحدا فدعا ايشا وقال له أعرض على بنيك فاخرج له اثني عشر ولدا أمثال السواري وفيهم رجل بارع فجعل يعرضهم على القرن والتنور فلم ير شيأ ويقول لذلك الجسيم ارجع فيردده على التنور فأوحى الله تعالى اليه انا لا نأخذ الرجال على صورهم ولكنا نأخذهم على صلاح هممهم وقلوبهم فقال لايشا هل بقي لك ولد غيرهم قال لا قال شمويل رب قد زعم انه ليس له ولد غيرهم فقال كذب فقال شمويل يا ايشا ان ربي كذبك قال صدق الله يا نبي الله ان لي ابنا صغيرا يقال له داود استحييت أن يراه الناس لقصر قامته وحقارته وخلفته في الغنم يرعاها وهو في شعب كذا وكذا وكان داود عليه السلام قصيرا سقيما مصفرا أزرق العينين فدعاه طالوت ويقال خرج اليه فوجد الوادي قد حال بالماء بينه وبين الزريبة التي كان يريح اليها فوجده يحمل الغنم شاتين شاتين يعبر بهما السيل ولا يخوض بهما الماء فلما رآه شمويل قال هذا هو لا شك فيه هذا يرحم البهائم فهو أرحم بالناس فدعاه فوضع القرن على رأسه ففاض وأجلسه في التنور فملأه فلما رأى طالوت ذلك قال له هل لك أن تقتل جالوت وأزوجك ابنتي وأجري حكمك في مملكتي قال نعم قال فهل لقيت من نفسك شيأ تتقوى به على قتله قال نعم أنا راعي الغنم فيجيء الاسد والنمر والذئب ليأخذ شيأ فأقوم اليه وأقبضه وأفتح لحييه عنها وأحرفهما الى قفاه فلما سمع طالوت منه ذلك رده الى عسكره فمر داود عليه السلام في الطريق بحجر فناداه يا داود احملني فاني حجر هرون الذي قتل به ملك كذا وكذا فوضعه في مخلاته ثم مر بحجر آخر فناداه يا داود احملني فاني حجر موسى عليه السلام الذي قتل به ملك كذا وكذا فحمله في مخلاته ثم مر بحجر آخر فقال احملني فاني حجرك الذي تقتل به جالوت وقد خبأني الله لك فوضعه في مخلاته فلما تصافوا للقتال برز جالوت وسأل المبارزة فانتدب له داود وكان طالوت

ما تلعب به مع الصبيان قال فرفع الصبي رأسه وقال يا قليل العقل ما للعب خلقنا فقلت له يا ولدي فلماذا خلقنا فقال للعلم والعبادة فقلت له من أين لك هذا بارك الله فيك فقال من قوله تعالى أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا وأنكم الينا لا ترجعون قال البهلول فتعجبت من كلام الصبي على صغر سنه فقلت له يا ولدي أراك حكيما فعظني فأنشد يقول شعرا

أرى الدنيا تجهز بانطلاق ... مشمرة على قدم وساق
فلا الدنيا بباقية لحي ... ولا حي على الدنيا بباق
كأن الموت والحدثان فيها ... الى نفس الفتى فرسا سباق
فيا مغرور بالدنيا رويدا ... فيها خذ لنفسك بالوثاق

قال ثم رمق بطرفه الى السماء وأشار اليها بكفه ودموعه تجري على خده وخر مغشيا عليه فرفعت رأسه الى حجري ومسحت التراب عن وجهه فلما أفاق قلت له يا ولدي ما نزل بك وأنت صبي صغير ولم يكن عليك ذنب فقال اليك عني يا بهلول فاني رأيت أمي توقد النار في صغار الحطب قبل الكبار فقلت لها لم لا توقدين النار في الكبار فقط فقالت يا ولدي لا توقد الكبار الا بالصغار واني أخشى أن أكون من صغار حطب جهنم قال البهلول فغشي على ساعة وانصرف الغلام

أعطاه فرسا ودرعا وسلاحا فركب الفرس ولبس السلاح وسار قليلا فوجد فى نفسه زهوا فانصرف وعاد سريعا الى الملك فقال من حوله جبن الغلام فجاء حتى وقف على الملك فقال له ما شأنك فقال له داود ان الله تعالى ان لم ينصرنى فما يغنى عنى هذا السلاح شيأ فدعنى أقاتل كما أريد فقال له طالوت افعل ما تريد فأخذ داود عليه السلام مخلاته فتقلدها وأخذ المقلاع ومضى نحو جالوت وكان جالوت من أشد الناس وأقواهم وكان يهزم الجيوش وحده وكان له بيضة وزنها ثلثمائة رطل حديد وكان له فرس أبلق مثله فى الشدة والقوة وعظم الخلق فلما برز جالوت الى داود ألقى الله تعالى فى قلبه الرعب فقال له أنت تبرز الى قال نعم وكان جالوت راكبا على فرس أبلق وعليه السلاح التام فقال له يابنى تأتينى بالحجر بالمقلاع كما يؤتى الكلب بالحجر قال نعم أنت أشر من الكلب قال لا جرم لاقسمن لحمك بين سباع الارض وطير السماء فقال داود بسم الله ويقسم الله لحمك بين السباع وطير السماء وأخذ حجرا منها وقال بسم الله اله ابراهيم ووضعه فى مقلاعه وأخذ حجرا ثانيا وقال بسم الله اله اسحق ووضعه فى مقلاعه ثم أخرج ثالثا وقال بسم الله اله يعقوب ووضعه فى مقلاعه قال فصارت الاحجار الثلاث كلها حجرا واحدا وأدار المقلاع ورمى به فسخر الله له الريح حتى أصاب الحجر أنف البيضة فخالط دماغه وخرج من قفاه وقتل من ورائه ثلاثين رجلا ويقال انه من بعد ما خرج من قفاه تكسر وتفتت باذن الله تعالى حتى عم جميع جنود جالوت فلم يبق منهم أحد الا وقد أصابته منه قطعة ومثل ذلك صار كرامة للنبى صلى الله عليه وسلم يوم بدر حين حثا الحثوة من التراب فانهزم الجيش وخر جالوت قتيلا وأسرع داود عليه السلام اليه فحز رأسه وانتزع من يده خاتمه وأقبل برأسه يجره حتى ألقاه بين يدى طالوت ففرح المسلمون فرحا شديدا وانصرفوا الى مدينتهم سالمين غانمين بحمد الله رب العالمين

﴿ذكر بقية قصة طالوت وما كان منه الى داود عليه السلام بعد قتل جالوت﴾

قالوا لما قتل داود جالوت ذكر الناس داود وعظم فى أنفسهم فجاء داود الى طالوت وقال له أنجز الى ما وعدتنى وأعطنى امرأتى فقال له طالوت أتريد ابنة الملك بغير صداق عجل صداق ابنتى وشأنك بها فقال داود لطالوت ما شرطت على صداقا وليس لى شئ فتحكم فى الصداق بما تريد وأقرضنى مهرها وعلى الاداء والوفاء لك به فقال طالوت أصدقها نصيبك من الملك فقال له بنو اسرائيل لا تظلمه وأنجز له ما وعدته فلما رأى طالوت ميل بنى اسرائيل الى داود وحسن ثنائهم عليه وقال لا حاجة لابنتى فى المال ولا أكلفك ما لا تطيق أنت رجل جرىء وفى جبالنا أعداء من المشركين فانطلق فجاهدهم فاذا قتلت منهم مائتى رجل وجئتنى برؤسهم زوجتك ابنتى فأتاهم داود عليه السلام وجعل كلما قتل منهم رجلا احتز رأسه ونظمه فى خيط حتى نظم رؤسهم ثم جاء بهم الى طالوت وألقاهم بين يديه وقال له ادفع الى امرأتى فزوجه امرأته وأجرى خاتمه فى ملكه فمال الناس الى داود عليه السلام وأحبه بنو اسرائيل وأكثروا من ذكره فوجد طالوت من ذلك فى نفسه فأراد قتله (قال وهب بن منبه) كانت الانبياء والملوك يومئذ يتوكؤن على العصى ويغرزون فى أطراف العصى أزجة من حديد وكان داود عليه السلام جالسا فى ناحية البيت فدخل طالوت فرماه بالعصا بغتة ليقتله بها صابرا فلما أحس داود بذلك حاد عن رميته وأمال نفسه من غير أن يبرح من مكانه فارتكزت العكازة فى الجدار فقال له داود أردت قتلى قال له طالوت لا بل أردت أن أقف على ثباتك عند الطعان وربط جأشك للاقران فقال له داود عليه السلام أفلقيته على ما قدرته قال نعم ولكنك لعلك فزعت قال معاذ الله أن أخاف الا الله ولا ألجأ الا اليه ولا يدفع الشر الا هو ثم ان داود انتزعها من الجدار وهزها هزة منكرة وقال له أثبت لى كما ثبت لك فأيقن طالوت بالهلاك فقال له أنشدك بالله وبحرمة المصاهرة التى بينى وبينك وما كان هذا القول من داود عن قصد قتل طالوت ولكن كان مقال تخويف وتحذير فقال داود لطالوت ان الله قد كتب فى التوراة جزاء السيئة سيئة مثلها واحدة والبادى أظلم قال طالوت أفلا تقول قول هابيل لئن بسطت الى يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يدى اليك لاقتلك انى أخاف الله رب العالمين فقال داود انى قد عفوت عنك لوجه الله تعالى فلبث طالوت زمانا يريد قتل داود عليه السلام فعزم على أن يأتيه ويقتله فى داره فأخبرت بذلك بنت طالوت زوجة داود وأخبرها رجل يقال له ذو العينين فقالت لداود انك لمقتول الليلة قال ومن يقتلنى قالت أبى قال وهل أجرمت جرما قالت حدثنى من لا يكذب ولا عليك بأس أن تغيب الليلة حتى تنظر مصداق ذلك فقال لئن كان أراد ذلك لا أستطيع خروجا ولكن ائتينى بزق من خمر فأتته به فوضعه فى مضجعه على

من بين يدى فلما أفقت نظرت الى الصبيان ثم أر الصبى بينهم فسألتهم من يكون ذلك الصبى فقالوا أو ما تعرفه فقلت لا فقالوا هذا من أولاد الحسين ابن على بن أبى طالب رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ونفعنا بهم وبأنفاسهم الطاهرة ﴿وحكى عن حبيب العجمى رضى الله عنه انه قال﴾ كان لى زوجة سيئة الخلق كنت أخشاها لسوء خلقها فقالت لى يوما من الايام اذا لم يفتح عليك فلا تدخل البنا ولا ترنا وجهك قال فخرجت من عندها الى الجبانة مهموما مغموما فصرت أصلى الى العشاء ثم أتيت الى البيت خجلا من توبيخها مشغول القلب من شرها فلما دخلت البيت قامت على وقالت أين أجرتك التى أتيت بها فقلت لها ان الذى استأجرنى كريم واستحييت أن أستعجله فى الاجرة قال فسكتت عنى فمكثت على ذلك الحال أياما وأنا أذهب الى الجبانة وأصلى الى الليل وأرجع فلما طال عليها الحال قامت على وقالت اطلب أجرتك منه أو أجر نفسك لغيره فعسر على ذلك ووعدتها بأن أفعل ذلك ثم خرجت الى عادتى فلما جاء الليل رجعت الى منزلى خائفا منها فلما وصلت البيت رأيت دخانا ومائدة منصوبة وزوجتى فرحة مسرورة

السرير وسجاه ودخل تحت السرير قال فدخل طالوت نصف الليل وأراد أن يقتل داود فلم يجده فقال لابنته أين بعلك فقالت هو نائم على السرير فضربه بالسيف فسال الخمر فلما وجد ريح الخمر قال رحم الله داود ما كان أكثر شربه للخمر وخرج فلما أصبح علم أنه لم يفعل شيأ فقال ان رجلا طلبت منه ما طلبت لخليق أن لا يدعني حتى يدرك ثاره مني ثم انه استتر بحجابه وحراسه وأغلق دونه الابواب قال فاتى داود ذات ليلة وقد هدأت العيون وأعمى الله عنه الحجاب وفتح الله له الابواب فدخل عليه وهو نائم على فراشه فوضع سهما عند رأسه وسهما عند رجليه وسهما عن يمينه وسهما عن شماله ثم خرج فلما استيقظ طالوت وجد السهام فعرفها فقال رحم الله داود هو خير مني ظفرت به فقصدت قتله وظفر بي فكف عني لو شاء لوضع هذا السهم في حلقي وأنا بالذي آمنه فلما كانت الليلة القابلة أتاه داود ثانيا وأعمى الله عنه أعين الحجاب فدخل وهو نائم على فراشه فاخذ ابريق طالوت الذي كان يتوضأ منه وكوزه الذي كان يشرب به وقطع شعرات من لحيته وشيأ من هدب ثيابه ثم خرج وهرب وتوارى فلما أصبح طالوت ورأى ذلك سلط على داود العيون وشدد في طلبه فلم يقدر عليه ثم ان طالوت ركب ذات يوم فوجد داود عليه السلام يمشي في البرية فقال طالوت في نفسه اليوم أقتل داود أنا راكب وهو ماش وكان داود اذا فزع لم يدرك فركض طالوت في أثره واشتد داود في الجري فدخل غارا فاوحى الله الى العنكبوت فنسجت عليه بيتا فلما انتهى طالوت الى الغار ونظر الى بناء العنكبوت قال لو كان ههنا لخرق بيت العنكبوت فتركه ومضى فلما مضى خرج داود من الغار وانطلق الى الجبل مع المتعبدين فجعل يتعبد فيه فطعن العلماء والعباد على طالوت في شأن داود فجعل طالوت لا ينهاه أحد عن قتل داود الا قتله فجعل يقتل العلماء فلم يكن يقدر في بني اسرائيل على عالم ويطيق قتله الا قتله ولم يكن يحارب جيشا الا هزمه حتى أتى بامرأة تعلم الاسم الاعظم فأمر خبازه بقتلها فرحمها الخباز وقال لعلنا نحتاج الى عالم فتركها ووضع الله في قلب طالوت التوبة فندم على ما فعل وأقبل على البكاء حتى رحمه الناس وكان كل ليلة يخرج الى القبور فيبكي وينادي أنشد الله عبدا يعلم لي توبة الا أخبرني بها فلما أكثر عليهم بكاؤه ناداه مناد من القبور ياطالوت أما رضيت أنك قتلتنا أحياء حتى تؤذينا أمواتا فازداد حزنا وبكاء فرحمه الخباز فقال له مالك أيها الملك فقال هل تعلم لي في الارض عالما أسأله هل لي من توبة فقال له الخباز أيها الملك هل تدري ما مثلك قال لا قال ما مثلك الا كمثل ملك نزل قرية عشاء فصاح الديك فتطير منه فقال لا تتركوا في هذه القرية ديكا الا ذبحتموه فلما أراد أن ينام قال لاصحابه اذا صاح الديك فايقظونا حتى ندلج فقيل له وهل تركت ديكا يسمع صوته وأنت هل تركت عالما في الارض فازداد حزنا وبكاء فلما رأى الخباز ذلك قال أرأيت ان دللتك على عالم لعلك تقتله قال لا فتوثق منه الخباز بالايمان فاخبره ان المرأة العالمة عنده فقال له انطلق بنا اليها أسألها هل لي من توبة وكانت تعلم الاسم الاعظم وكان انما يعلم هذا الاسم أهل بيت لما فنيت رجالهم وعلمت نساؤهم فلما بلغ طالوت الباب قال له الخباز انها ان رأتك فزعت منك ثم جعله خلفه ودخل عليها الخباز فقال ألست أعظم الناس عليك منة أنجيتك من القتل وأويتك عندي قالت بلى قال لي اليك حاجة هذا طالوت يسأل هل له من توبة فلما سمعت بذكره غشي عليها من الفرق فلما أفاقت قال لها انه لا يريد قتلك ولكن يسأل هل له من توبة قالت لا والله ما له من توبة ولكن هل تعلمون قبر شمويل عليه السلام قالوا نعم قالت فانطلقوا بنا الى قبره فلما وصلوا اليه صلت عنده ركعتين ثم انها نادت ياصاحب القبر فخرج شمويل عليه السلام من القبر ينفض التراب عن رأسه فلما نظر الى الثلاثة المرأة والخباز والملك فقال لهم أقامت القيامة قالوا لا ولكن هذا طالوت يسألك هل له من توبة فقال له شمويل ما فعلت ياطالوت بعدي قال لم أدع شيأ من الشر الا فعلته وقد جئت أطلب التوبة قال كم لك من ولد قال عشرة رجال قال ما أعلم لك من توبة الا أن تتخلى من ملكك وتخرج أنت وولدك تجاهد في سبيل الله ثم تقدم ولدك حتى يقتلوا بين يديك ثم انك تقاتل حتى تقتل آخرهم ثم رجع شمويل عليه السلام الى القبر فسقط ميتا ورجع طالوت أحزن ما يكون وخاف أن لا يتابعه ولده فبكى حتى ذهبت أشفار عينيه ونحل جسمه فدخل عليه أولاده فقال لهم أرأيتم لو دفعت الى النار أكنتم تفدوني قالوا نعم نفديك بما قدرنا عليه قال فانها النار ان لم تفعلوا ما أقول لكم قالوا فاعرض علينا ما قالت فذكر لهم القصة فقالوا وانك لمقتول بعدنا قال نعم قالوا لا خير لنا في الحياة بعدك قد طابت أنفسنا بالذي سألت فتجهز بأولاده الى الغزو وكانوا عشرة فقاتلوا بين يديه حتى قتلوا ثم شد بعدهم فقاتل حتى قتل فجاء قاتله الى داود يبشره بقوله له قد قتلت

عدوك

فتعجبت من ذلك فلما دخلت البيت أتت زوجتي وقالت ان الذي استأجرك بعث الينا ما تبعث الكرماء الى الفقراء وقال رسوله الذي جاء بهذا قولي لحبيب يجد في العمل فان مستأجره لا يؤخر الاجرة بخلا ولا عدما فيقر عينا ويطيب نفسا ثم ذهبت الى بيت آخر في الدار وأحضرت منه أكياسا مملوءة دنانير ذهبا أحمر قال حبيب فبكيت عند ذلك وقلت لها أتدرين من بعث الينا ذلك فقالت الذي استأجرك قلت لها والله هذه الاجرة من كريم بيده خزائن السموات والارض قال فلما سمعت ذلك تغير لونها وارتعدت وتابت الى الله تعالى عما كان منها وأقسمت أن لا تعود الى ذلك أبدا رحمة الله تعالى عليهما ونفعنا بهم أجمعين

(وحكى عن عطاء بن الازرق رضي الله تعالى عنه أنه قال) دفعت الي زوجتي درهمين لاشتري بهم دقيقا ولم يكن عندنا شيء نقتات به في ذلك اليوم فخرجت الى السوق لشراء الدقيق فرأيت مملوكا في السوق يبكي فقلت له ما يبكيك فقال ياسيدي ان مولاي دفع الي درهمين لاشتري له بهما شيأ فسقطا من يدي وأخاف أن أرجع له خائبا فيضربني قال عطاء فحزنت عليه ودفعت له الدرهمين فأخذهما ومضى الى حاجته ثم توجهت الى المسجد فصرت أصلي الى وقت المغرب وانتظرت شيأ

عدولك فقال داود ما كنت بالذى نحيا بعده فضرب عنقه ﴿ مجلس فى خلافه داود عليه السلام وما يتعلق بها ﴾
قال الله تعالى ياداود انا جعلناك خليفة فى الارض الآية قالت العلماء باخبار الانبياء لما استشهد طالوت أتى بنو اسرائيل الى داود فاعطوه خزانة طالوت وملكوه على أنفسهم وذلك بعد قتل داود جالوت بسبع سنين ولم تجتمع بنو اسرائيل على ملك واحد بعد يوشع بن نون الا على داود عليه السلام فذلك قوله عز وجل وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة الآية

﴿ باب فى ذكر نسبه ﴾

هو داود بن ايشا بن عوفيذ بن بوعز بن سلمون بن يحشون بن عمينوذب بن رم بن حصرون بن بارص بن يهوذا بن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم خليل الرحمن صلوات الله عليهم أجمعين

﴿ باب فى ذكر صفته وحليته ﴾

أخبرنى الحسن بن محمد الدينورى باسناده عن سعيد بن المسيب عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم زرقة العينين يمن وكان داود عليه السلام أزرق العينين احمر الوجه دقيق الساقين سبط الشعر أبيض الجسم طويل اللحية فيها جعودة حسن الصوت والخلق طاهر القلب نقيه

(باب فى ذكر ما خص الله تعالى به نبيه داود عليه السلام من الفضل والكرامات حين أعطاه الله النبوة والملك)

(فمنها) أنه أنزل عليه الزبور بالعبرانية مائة وخمسين سورة فى خمسين منها ذكر ما يكون من بختنصر وأهل بابل وفى خمسين منها ذكر ما يلقون من الروم من أهل ايرون وفى خمسين منها موعظة وحكمة ولم يكن فيها حلال ولا حرام فذلك قوله تعالى وآتينا داود زبورا (ومنها) الصوت الطيب والنغمة الطيبة اللذيذة والترجيع والالحان ولم يعط الله أحدا من خلقه مثل صوته وكان يقرأ الزبور بسبعين لحنا بحيث يعرق المحموم ويفيق المغمى عليه وكان اذا قرأ الزبور برز الى البرية فيقوم وتقوم معه علماء بنى اسرائيل خلفه وتقوم الناس خلف العلماء وتقوم الجن خلف الناس وتقوم الشياطين خلف الجن وتدنو الوحوش والسباع و يؤخذ بأعناقها وتظله الطيور مصخية و يركد الماء الجارى و يسكن الريح وما صنعت المزامير والبرابط والصنوج الا على صوته وذلك أن ابليس لعنه الله حسده واشتد عليه فقال لعفاريته ألا ترون ما دهاكم فقالوا له مرنا بما شئت فقال انه لا يصرف الناس عن داود الا ما يضاده و يحاده فى مثل حاله فهيئوا المزامير والعيدان والاوتار والملاهى على أجناس أصوات داود فسمعها سفهاء الناس فمالوا اليها فاغتروا بها و يقال ان داود عليه السلام كان اذا قرأ الزبور بعد ما قارف الذنب لا يقف له الماء ولا تصغى له الوحوش ولا البهائم ولا الطيور كما كانت قبلها ونقصت نغمته فقال الهى ما هذا فأوحى الله تعالى اليه ذلك أنس الطاعة وهذه وحشة المعصية ياداود ان الخطيئة هى التى غيرت صوتك وحالك فقال الهى أوليس قد غفرتها لى قال بلى ولكن ارتفعت الحالة التى بينى و بينك من الود والقرب فلن تدركها أبدا (أخبرنا) أبو سعيد ابن أحمد بن حمدون عن وهب بن منبه قال هذا ما حدثنا أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خفف الله على داود القرآن فكان يأمر بدوابه أن تسرج فكان يقرأ القرآن قبل أن تسرج دابته وكان لا يأكل الا من عمل يده قال الاستاذ الامام أراد بالقرآن الزبور بالاسناد أخبرنا أبو بكر الجوزقى عن أبى موسى الاشعرى قال قال لى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد أعطيت مزمارا من مزامير آل داود فقلت أما والله يارسول الله لو علمت أنك تسمع لحبرته لك تحبيرا (وأخبرنا أبو بكر) قال أخبرنا أبو العباس بالاسناد عن البراء بن عازب قال سمع النبى صلى الله عليه وسلم صوت أبى موسى فقال كان صوت هذا من صوت آل داود (ومنها) تسخير الجبال والطير له يسبحن معه اذا سبح كما قال الله تعالى ولقد آتينا داود منا فضلا ياجبال أوبى معه والطير وألنا له الحديد وقوله تعالى انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشى والاشراق و يقال ان داود عليه السلام كان اذا تخلل الجبال فسبح الله تعالى جعلت الجبال تجاوبه بالتسبيح نحو ما يسبح ثم قال فى نفسه ليلة من الليالى لاعبدن الله تعالى عبادة لم يعبده أحد بمثلها فصعد الجبل فلما كان جوف الليل داخلته وحشة فأوحى الله الى الجبال ان آنسى داود فاصطكت الجبال بالتسبيح والتقديس والتهليل فقال داود فى نفسه كيف يسمع صوتى مع هذه الاصوات فهبط عليه جبريل عليه السلام وأخذ بعضده حتى انتهى به الى البحر فوكزه برجله فانفرج له البحر فانتهى به الى الارض فوكزها برجله فانفجرت له الارض فانتهى به الى الحوت فوكزه برجله فانتهى به الى الصخرة فوكز الصخرة برجله فانفلقت

فلا يقتحم على شئ فخرجت من المسجد عند الغروب وجلست فى السوق على دكان صديق لى وكان نجارا فلما رأى الجراب منى قال خذ هذه النجارة فى جرابك لتحمى بها التنور قال فاخذت منه شيأ من النشارة فى الجراب وذهبت الى البيت خائفا من شرها فطرحت الجراب فى البيت ورجعت مسرعا الى صلاة العشاء ثم جلست فى المسجد حتى مضى نصف الليل خوفا منها ثم جئت الى البيت ونظرت من وراء الحائط فوجدتها تخبز خبزا ذا رائحة مفرحة فتعجبت من ذلك وقلت من أين أتاهم هذا الدقيق ثم دخلت وأنا متعجب ثم قلت من أين لكم هذا الخبز فقالوا من الدقيق الذى فى الجراب ثم قالت لى زوجتى من هذا اليوم لا تشتر لنا الا منه لانه دقيق طيب قال فحمدت الله تعالى على لطفه بعباده وكرمه وفضله ﴿ وحكى عن شقيق البلخى رضى الله تعالى عنه أنه قال ﴾ خرجت حاجا الى بيت الله الحرام سنة تسع وأربعين ومائة فنزلت القادسية فبينما أنا أنظر الى الناس وزينتهم وكثرتهم اذ نظرت الى فتى من أحسن الناس وجها وهو متوشح بثوب من صوف من فوق ثيابه مشتمل بشملة وفى رجليه نعلان من خوص قد جلس منفردا عن الناس فقلت فى نفسى هذا الفتى من الصوفية يريد

نخرج منها دودة تنش فقال له جبريل ان ربك يسمع نشيش هذه الدودة في هذا الموضع قوله تعالى يسبحن بالعشي والاشراق قال المفسرون يعني صلاة الضحى وصلاة الاوابين بين العشاءين قال ابن عباس وكان داود يفهم تسبيح الحجر والشجر والمدر (ومنها) أنه أكرمه الله تعالى بالحكمة وفصل الخطاب فالحكمة هي الاصابة في الامور وأما فصل الخطاب فاختلفوا فيه فقال ابن عباس بيان الكلام وقال ابن مسعود والحسن المعنى علم الحكم والنظر في القضاء كان لايتمتع في القضاء بين الناس وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه هو البينة على من ادعى واليمين على من أنكر (أخبرنا) أبو عبد الله قال سمعت زيادا يقول فصل الخطاب الذي أعطى داود عليه السلام ما أخبرنا أبو حفص عن الاعمش عن أبي صالح عن كعب الاحبار في قوله وفصل الخطاب قال الشهود والايمان عن الشعبي قال سمعت زيادا يقول فصل الخطاب الذي أعطى داود أما بعد قال الاستاذ الامام رحمه الله وهو أول من قالها (ومنها) السلسلة التي أعطاها الله تعالى له ليعرف المحق من المبطل في المحاكمة اليه وهو ما روى الضحاك عن ابن عباس قال ان الله تعالى أعطى داود سلسلة موصولة بالمجرة والفلك ورأسها عند محراب داود عليه السلام حيث يتحاكم الناس اليه وكانت قوتها قوة الحديد ولونها لون النار وحلقها مستديرة مفصلة بالجوهر ومدسرة بقضبان اللؤلؤ الرطب فلا يحدث في السماء حادث الا صلصلت السلسلة فيعلم داود ذلك الحادث ولا يمسها ذو عاهة الا برأ وكان علامة دخول قومه في الدين أن يمسوها بأيديهم ثم يمسحون بأكفهم على صدورهم وكانوا يتحاكمون اليها فمن اعتدى على صاحبه أو أنكر ماله من حق أتى السلسلة فمن كان صادقا محقا مد يده الى السلسلة فينالها ومن كان كاذبا ظالما لم ينلها فكانت فيهم الى أن ظهر فيهم المكر والخديعة قال بلغنا أن بعض ملوكهم أودع رجلا جوهرة ثمينة فلما جاء يستردها أنكرها فتحاكما الى السلسلة فعلم الرجل الذي كانت عنده الجوهرة أن يده لاتنال السلسلة فعمد الى عكازة له فنقرها ثم ضمنها الجوهرة واعتمد عليها حتى حضر معه غريمه عند السلسلة فقال صاحب الجوهرة ان لي عندك وديعة فقال خصمه ما أعرف لك وديعة فان كنت صادقا فتناول السلسلة فتناولها بيده ثم قيل للمنكر قم أنت أيضا فتناولها فقال لصاحب الجوهرة الزم أنت عكازتي هذه فاحفظها حتى اتناول السلسلة فأخذها وقام الرجل وقال اللهم ان كنت تعلم ان هذه الوديعة التي يدعيها قد وصلت اليه فقرب مني السلسلة فمد يده فتناولها فتعجب القوم وتفكروا فيها فاصبحوا وقد رفع الله تلك السلسلة وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه اذا اشتبه عليه الامر بين الخصمين اللذين يتحاكمان اليه يقول ما أحوجكما الى سلسلة بني اسرائيل كانت تأخذ بعنق الظالم فتجره الى الحق جرا (ومنها) القوة في العبادة وشدة الاجتهاد كما قال الله تعالى واذكر عبدنا داود ذا الايد يعني القوة في العبادة انه أواب أي تواب مسبح مطيع وكان يصوم يوما ويفطر يوما يصوم النهار ويقوم الليل وما مرت به ساعة من الليل الا وفيها من آل داود قائم يصلي ولا يوم من الايام الا وفيه منهم صائم (ومنها) قوة المملكة كما قال الله تعالى وشددنا ملكه أي قويناه وقرأ الحسن وشددنا ملكه بالتشديد (وقال ابن عباس) كان أشد ملوك الارض سلطانا وكان يحرس محرابه كل ليلة ثلاثة وثلاثون ألف رجل قال السدي كان يحرسه كل ليلة أربعة آلاف رجل (أخبرنا) عبد الله بن حامد عن عكرمة عن ابن عباس أن رجلا من بني اسرائيل تعدى على رجل من عظمائهم فاجتمعا الى داود عليه السلام فقال المتعدى ان هذا قد غصبني بقرتي فسأل داود الرجل عن ذلك فجحد وسأل الآخر البينة فلم يكن له بينة فقال لهما داود قوما حتى أنظر في أمركما فقاما من عنده فأوحى الله تعالى له في منامه أن يقتل الرجل الذي تعدى فقال هذه رؤيا ولست أعجل حتى أتبين فأوحى الله تعالى اليه مرة أخرى أن يقتله فقال هذه رؤيا فاوحى الله تعالى اليه مرة ثالثة أن يقتله فأرسل داود الى الرجل فقال له ان الله تعالى قد أوحى الى أن أقتلك فقال له الرجل تقتلني بغير ذنب ولا بينة فقال داود نعم والله لانفذن أمر الله فيك فلما عرف الرجل أنه قاتله قال لاتعجل علي حتى أخبرك اني والله ما أخذت بهذا الذنب ولكني كنت اغتلت والد هذا فقتلته فامر به داود فقتل فاشتدت هيبة بني اسرائيل عند ذلك لداود واشتد له ملكه فذلك قوله تعالى وشددنا ملكه ويقال كان داود اذا جلس للحكم كان على يمينه ألف رجل من الانبياء وعلى يساره ألف رجل من الاجناد (ومنها) شدة البطش فيروى أنه ما فر ولا انحاز من عدوله قط (ومنها) الالانة الحديد له وكان سبب ذلك ما روى في

أن يكون كلا على الناس في طريقهم والله لامضين اليه وأمتحنه وأوبخه فدنوت منه فلما رآني قال ياشقيق ان الله تعالى قال في كتابه العزيز ياأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض الظن اثم ثم تركني ومضى فقلت في نفسي ان هذا الامر عظيم قد تكلم على مافي نفسي ونطق باسمي ماهذا الا عبد صالح والله لالحقنه وأستحله مماكان مني فاسرعت نحوه فلم ألحقه وغاب عن عيني فلما نزلنا وأفضت اذا به قائم يصلي واعضاؤه تضطرب ودموعه تجري فقلت هذا صاحبي فضيت اليه وصبرت حتى فرغ من صلاته وأقبلت نحوه فلما رآني مقبلا قال ياشقيق اقرأ قوله تعالى واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى ثم تركني ومضى فقلت ان هذا الفتى لمن الابدال قد تكلم على مافي سري مرتين فلما نزلنا الى منى اذا بالفتى واقف على البئر وبيده ركوة يريد أن يستقي بها فسقطت الركوة من يده في البئر وأنا أنظر اليه فرمق بطرفه الى السماء وقال

أنت ربي اذا ظمئت من الماء
وقوتي اذا عدمت الطعاما

ثم قال اللهم مالي سواها فلا تعدمني اياها قال شقيق فوالله لقد رأيت البئر قد ارتفع ماؤها فمد الفتى يده وأخذ الركوة وملاها وتوضأ

أن أخبار ان داود عليه السلام لما ملك بنى اسرائيل كان من عادته أن يخرج الى الناس متنكرا فاذا رأى رجلا لا يعرفه
تقدم اليه فيسأله عن داود فيقول له ما تقول فى داود واليكم هذا أى رجل هو فيثنون عليه ويقولون خيرا فبينما هو
كذلك يوما من الايام اذ قيض الله له ملكا فى صورة الآدميين فلما رآه تقدم اليه داود على عادته فسأله فقال له
الملك نعم الرجل هو لولا خصلة فيه فراع داود ذلك فقال ما هى يا عبد الله قال ان داود يأكل و يطعم عياله من بيت
المال قال فنبه لذلك وسأل الله تعالى أن يسبب له سببا يستغنى به عن بيت المال فينفق منه و يطعم عياله فألان له
الحديد فصار فى يده مثل الشمع والعجين والطين المبلول وكان يصرفه بيده كيف يشاء من غير ادخال نار ولا ضرب
بحديد وعلمه الله تعالى صنعة الدروع فكان يتخذ الدروع وهو أول من عملها وكانت قبل ذلك صفائح فيقال انه
كان يبيع كل درع منها بأربعة آلاف درهم فيأكل ويطعم عياله و يتصدق منها على الفقراء والمساكين فذلك
قوله تعالى وعلمناه صنعة لبوس لكم وقوله تعالى وألنا له الحديد أن اعمل سابغات أى دروعا كوامل واسعات وقدر
فى السرد أى لا تجعل المسامير دقاقا فتقلق ولا غلاظا فتكسر الحلق فكان يفعل ذلك حتى اعتد من ذلك مالا وروى
أن لقمان الحكيم رأى داود عليه السلام وهو يعمل درعا فتعجب من ذلك ولم يدر ماهو فأراد أن يسأله فسكت
حتى فرغ داود من نسج الدرع فقام فلبسه وقال نعم القميص هذا للرجل المحارب فعلم لقمان ما يراد به فقال
الصمت حكمة وقليل فاعله

﴿ باب فى قصة داود عليه السلام حين ابتلى بالخطيئة وما يتصل بذلك ﴾

قال الله تعالى وهل أتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب اذ دخلوا على داود ففزع منهم الآيات اختلف العلماء
بأخبار الانبياء فى سبب امتحان الله تعالى نبيه داود عليه السلام بما امتحنه الله به من الخطيئة فقال قوم كان سبب
ذلك أنه تمنى يوما من الايام على ربه تعالى منزلة آبائه ابراهيم واسحق و يعقوب وسأله أن يمتحنه بمثل الذى كان
يمتحنهم و يعطيه من الفضل مثل الذى أعطاهم (فروى) السدى والكلبى ومقاتل عن أشياخهم دخل حديث
بعضهم فى بعض قالوا كان داود عليه السلام قد قسم الدهر ثلاثة أيام يوما يقضى فيه بين الناس و يوما يخلو فيه بنسائه
و يوما لعبادة ربه وقراءة الكتب وكان يجد فيما يقرأ من الكتب فضل ابراهيم واسحق و يعقوب عليهم السلام
فيقول يارب أرى الخير قد ذهب به آبائى الذين كانوا قبلى فأوحى الله تعالى اليه انهم ابتلوا ببلايا لم يبتل بها أحد فصبروا
عليها ابتلى ابراهيم عليه السلام بنار النمرود وذبح ولده وابتلى اسحق بالذبح وابتلى يعقوب بالحزن وذهاب بصره
على يوسف وانك لم تبتل بشىء من ذلك فقال داود عليه السلام يارب فابتلنى كما ابتليتهم وأعطنى كما أعطيتهم فأوحى
الله تعالى اليه انك مبتلى فى شهر كذا فى يوم كذا فاحترس على الصبر فلما كان فى اليوم الذى وعده الله دخل داود
محرابه وأغلق بابه وجعل يصلى و يقرأ الزبور فبينما هو كذلك اذ جاءه الشيطان وتمثل له فى صورة حمامة من ذهب
فيها من كل لون حسن فوقعت بين يديه فمد يده ليأخذها (وفى بعض الروايات) ليدفعها الى ابن له صغير فلما أهوى
اليها طارت غير بعيد من غير أن تؤيسه من نفسها فامتد اليها ليأخذها فتنحت فتبعها فطارت فوقعت فى كوة
فذهب ليأخذها فطارت من الكوة فنظر داود أين تقع فيبعث اليها من يصيدها فنظر الى امرأة فى بستان على شط
بركة تغتسل هذا قول الكلبى وقال السدى رآها تغتسل على سطح لها فرأى امرأة من أحسن النساء خلقا فعجب
داود من حسنها وحانت منها التفاتة فأبصرت ظل داود عليه السلام فنشرت شعرها فغطى بدنها كله فزاد بذلك
اعجابا بها فسأل عنها فقيل له هى سابغ بنت شائع امرأة أوريا بن حنان وزوجها فى غزاة البلقاء مع أيوب بن صوريا
ابن أخت داود فكتب داود الى ابن أخته أيوب صاحب بعث البلقاء أن ابعث أوريا الى موضع كذا وكذا وقدمه
على التابوت وكان المقدم على التابوت لا يحل له أن يرجع الى ورائه حتى يفتح الله على يديه أو يستشهد فبعث به
ففتح له فكتب الى داود بذلك فكتب اليه داود أن ابعثه الى غزوة كذا وكان رئيسها أشد منه بأسا فبعثه فقتل فى
المرة الثانية فلما انقضت عدتها تزوجها داود فهى أم سليمان عليه السلام وقال آخرون انما سبب امتحانه أن نفسه
حدثته أنه يطيق قطع يوم بغير مقارفة سيئة وعن الحسن أخبرنا شعيب بن محمد قال ان داود عليه السلام جزأ الدهر
أربعة أجزاء يوما لنسائه و يوما لعبادة ربه و يوما لقضاء حوائج المسلمين و يوما لبنى اسرائيل يذاكرهم و يذاكرونه
يسألهم و يسألونه فلما كان يوم بنى اسرائيل ذكروا فقالوا هل يأتى على الانسان يوم لا يصيب فيه ذنبا فأضمر داود فى
نفسه أنه سيطيق ذلك فلما كان يوم عبادة ربه أغلق أبوابه وأمر أن لا يدخل عليه أحد وانكب على التوراة فبينما هو

وصلى أربع ركعات ومال الى كثيب رمل فصار يقبض بيده من ذلك الرمل ويطرحه فى الركوة ويحركه ويشرب به فقال شقيق فأقبلت نحوه وسلمت عليه فرد على السلام فقلت يا أخى اطعمنى من فضل ما أنعم الله عليك فقال يا شقيق لم تزل نعمة الله علينا ظاهرة و باطنة فأحسن ظنك بربك ثم ناولنى الركوة فشربت منها فاذا هو سويق وسكر فوالله ما شربت ألذ منه ولا أطيب رائحة فشبعت ورويت وأقمت أياما لم أشته طعاما ولا شرابا ثم مضى فلم أره حتى دخلنا مكة فرأيته ليلة من الليالى وهو فى جنب قبة الشراب وهو قائم يصلى بخشوع وأنين و بكاء فلم يزل كذلك حتى ذهب الليل فلما رأى الفجر جلس فى مصلاه يسبح الله تعالى ثم قام يصلى صلاة الصبح فلما سلم من الصلاة طاف سبعا ثم خرج فتبعته فاذا له حاشية وموال وهو على خلاف ما رأيته فى الطريق ودار به الناس من حوله وهم يسلمون عليه فقلت لبعض من كان بالقرب منه من هذا الفتى فقال هو موسى بن جعفر بن محمد بن على بن الحسين ابن على بن أبى طالب رضى الله عنهم ونفعنا بهم فى الدنيا والآخرة آمين ﴿ وحكى عن أبى عبد الله الجوهرى رضى الله تعالى عنه ﴾ أنه قال كنت سنة من السنين

يقرأ اذ هو بحمامة من ذهب فيها كل شئ حسن قد وقفت بين يديه فأهوى اليها ليأخذها فطارت فوقعت غير بعيد من غير أن تؤيسه من نفسها فما زال يتبعها حتى أشرف على امرأة تغتسل فأعجبه خلقها وحسنها فلما رأت ظله فى الارض جللت جسدها بشعرها فزاده ذلك اعجابا بها وكان قد بعث زوجها فى بعض جيوشه فكتب اليه أن سر الى مكان كذا وكذا مكانا اذا وصل اليه قتل ولم يرجع ففعل فأصيب فخطبها داود وتزوجها وقال بعضهم فى سبب ذلك كما أخبرنا قتادة عن الحسن بن محمد أن داود عليه السلام قال لبنى اسرائيل حين ملك والله لاعدلن فيكم ولم يستثن فابتلى (وقال أبو بكر) بن محمد بن عمر الوراق كان سبب ذلك ان داود عليه السلام كان كثير العبادة فأعجب بعمله فقال هل فى الارض أحد يعمل عملى فأتاه جبريل عليه السلام فقال ان الله تعالى يقول أعجبت بعبادتك والعجب يأكل العبادة فان أعجبت ثانيا وكلتك الى نفسك فقال داود يارب كلنى الى نفسى سنة فقال انها لكثيرة قال فشهرا قال فانه لكثير قال فأسبوعا فقال انه لكثير قال فيوما قال انه لكثير قال فساعة قال فشأنك بها قال فوكل الحراس ولبس الصوف ودخل المحراب ووضع الزبور بين يديه فبينما هو فى نسكه وعبادته اذ وقع الطائر بين يديه وكان من أمر المرأة ما كان قالوا فلما دخل داود بامرأة أوريا لم يلبث الا يسيرا حتى بعث الله تعالى ملكين فى صورة رجلين فطلبا أن يدخلا عليه فوجداه فى يوم عبادته فمنعهم الحراس أن يدخلا عليه فتسوروا المحراب وهو يصلى فما شعر الا وهما بين يديه جالسان فذلك قوله تعالى وهل أتاك نبأ الخصم اذ تسوروا المحراب اذ دخلوا على داود ففزع منهم حين هجما عليه فى محرابه بغير اذن قالوا لا تخف خصمان بغى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولا تشطط أى ولا تجر ولا تفرط واهدنا الى سواء الصراط أرشدنا الى وسط الطريق المستقيم ان هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ولى نعجة واحدة وهذا من أحسن التعريض حيث كنى بالنعاج عن النساء والعرب تفعل ذلك كثيرا تورى عن النساء وتكنى عنها بالقلب كالظباء والنعاج والبقرة وهو كثير فاش فى أشعارهم فقال أكفلنيها وعزنى فى الخطاب قال الضحاك أعطنيها وتحول لى عنها واجعلها كفلى أى نصيبى وعزنى فى الخطاب قال الضحاك يقول ان تكلم كان أفصح منى وان حارب كان أبطش منى فقال داود لقد ظلمك بسؤال نعجتك الى نعاجه (قال السدى) باسناده ان أحدهما لما قال ان هذا أخى له تسع وتسعون نعجة قال داود للآخر ما تقول قال ان لى تسعا وتسعين نعجة وله نعجة واحدة فأريد أن آخذها منه وأكمل نعاجى مائة قال وهو كاره قال نعم قال اذا لاندعك وان رمت ذلك ضربنا منك هذا وهذا يعنى طرف الانف وأصل الجبهة فقال الرجل ياداود أنت أحق بضرب هذا منى حيث كان لك تسع وتسعون امرأة ولم يكن لأوريا الا امرأة واحدة فلم تعرضه للقتال حتى قتل وتزوجت امرأته فهذا وجه الآية الا أن داود حكم قبل أن يسمع الخصم الآخر قالوا ثم ان داود نظر فلم ير أحدا فعرف ما قد وقع فيه فذلك قوله تعالى وظن داود أنما فتناه أى ابتليناه وقال سعيد بن جبير انما كانت فتنة داود بالنظر قال الاستاذ رحمه الله تعالى ولم يتعمد داود عليه السلام النظر الى المرأة ولكنه أعاد النظر اليها فصارت عليه وبالا كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تتبع النظرة النظرة فان لك الاولى وعليك الاخيرة فهذه أقاويل السلف الصالحين من أهل التفسير فى قصة داود عليه السلام (وقد روى) الحرث الاعور عن على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه قال من حدث بحديث داود عليه السلام على ما يرويه القصاص معتقدا الصحته جلدته حدين لعظيم ما ارتكب وجليل ما احتقب يعنى ما اكتسب من الوزر والاثم برمى من قد رفع الله محله وأرسله من خلقه رحمة للعالمين وحجة للمجتهدين (وقال القائلون) بتنزيه المرسلين فى هذه القصة أن لا ذنب انما كان تمنى أن تكون له امرأة أوريا حلالا وحدث نفسه بذلك فاتفق له غزوة فأرسل أوريا فقدمه أمام الحرب فاستشهد فلما بلغه قتله لم يجزع عليه ولم يتوجع له كما كان يجزع على غيره من جنده اذا هلك ووافق قتله مراده ثم تزوج امرأته فعاتبه الله على ذلك لان ذنوب الانبياء وان صغرت فهى عظيمة عند الله وقال بعضهم كان ذنب داود أن أوريا كان قد خطب تلك المرأة ووطن نفسه عليها فلما غاب فى غزاته خطبها داود فتزوجت منه لجلالته فاغتم لذلك أوريا غما شديدا فعاتبه الله على ذلك حيث لم يترك هذه الواحدة لخاطبها الاول وقد كان عنده تسع وتسعون امرأة ولذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم لا يبع أحدكم على بيع أخيه ولا يخطب على خطبة أخيه ومما يصدق ما ذكرناه ما قيل عن المفسرين المتقدمين مما أخبرنا به عقيل بن محمد الفقيه المغافرى عن زكريا عن أنس بن

في عرفات فلما جن الليل نمت فرأيت ملكين نزلا من السماء فقال أحدهما لصاحبه كم وقف على هذا الجبل فى هذه السنة من الحجاج قال ستمائة ألف نفس فلم يقبل الله تعالى منهم غير ستة أنفس فهممت أن ألطم وجهى وأنوح على نفسى فقال له ما فعل الله بباقى الجميع قال نظر الله اليهم حتى لا يخيب سعيهم فوهب لكل واحد من الستة مائة ألف فغفر الله بستة أنفس لستمائة ألف نفس وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم قال عبد الله فحمدت الله تعالى وزال ما كان عندى (وحكى عن الشيخ أبى الفوارس شاه بن الشجاع الكرمانى عفا الله عنه) أنه قال خرجت يوما للصيد والنزهة وكنت يومئذ ملك كرمان فأمعنت نظرى فى صيد رأيته وسرت فى طلبه حتى وقعت فى برية مقفرة ولم يكن عندى من عسكرى أحد فبينما أنا كذلك اذا بشاب جميل الخلقة راكب على سبع وحوله سباع كثيرة فلما رأتنى السباع ابتدرت الى فزجرها الشاب فتأخرت عنى فسلم على وقال ياشاه ما هذه الغفلة عن الله تعالى اشتغلت بدنياك عن أخراك وبلذتك عن خدمة مولاك انما أعطاك الدنيا لتستعين بها على

مالك

مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان داود عليه السلام حين نظر الى المرأة قطع على بني اسرائيل بعثا وأوصى صاحب البلقاء اذا حضر العدو فقدم فلانا بين يدي التابوت وكان التابوت في ذلك الزمان يستنصر به ومن قدم بين يديه لم يرجع حتى يقتل أو ينهزم الجيش عنه فقتل زوج المرأة ونزل الملكان ليقصا عليه قصته ففطن داود وسجد فمكث أربعين ليلة ساجدا يبكي حتى نبت الزرع من دموعه حول رأسه وأكلت الارض جبينه وهو يقول في سجوده زل داود وزلته هي أبعد مما بين المشرق والمغرب رب ان لم ترحم ضعف داود وتغفر له ذنبه جعلت ذنبه حديثا في الخلائق من بعده فجاء جبريل عليه السلام بعد أربعين ليلة فقال يا داود ان الله تعالى قد غفر لك الهم الذي هممت به فقال داود وقد علمت ان الله قادر على أن يغفر الهم الذي هممت به وقد عرفت ان الله عدل لا يحيف فكيف بفلان يعني أوريا اذا جاء يوم القيامة فقال يا رب دمي الذي عند داود فقال جبريل ما سألت ربك عن ذلك ولئن شئت لافعلن قال نعم فرجع جبريل عليه السلام وسجد داود فمكث ماشاء الله ثم نزل فقال قد سألت الله يا داود عن الذي أرسلتني فيه فقال الله تعالى قل لداود ان الله يجمعكما يوم القيامة فيقول له هب لي دمك الذي عند داود فيقول هو لك يا رب فأقول ان لك في الجنة ماشئت وما اشتهيت عوضا عن دمك أخبرنا ابن فنجويه باسناده عن كعب الاحبار وعن وهب بن منبه قالوا جميعا ان داود عليه السلام لما دخل عليه الملكان وقضى على نفسه تحولا في صورتهما فعرجا وهما يقولان قضى الرجل على نفسه وعلم داود انما فتناه فخر ساجدا أربعين يوما لا يرفع رأسه الا لحاجة لا بد منها أو صلاة مكتوبة ثم يعود فيسجد تمام أربعين يوما لا يأكل ولا يشرب وهو يبكي حتى نبت العشب حول رأسه وهو ينادي ربه تعالى ويسأله التوبة وكان يقول في سجوده سبحان الملك الاعظم الذي يبتلي الخلائق بما شاء سبحان خالق النور سبحان الحائل بين القلوب الهي خليت بيني وبين عدوي ابليس فلم أتنبه لفتنته اذ زلت بي قدمي سبحان خالق النور الهي تبكي الثكلى على ولدها اذ فقدته ويبكي داود على خطيئته سبحان خالق النور يغسل الثوب فيذهب درنه ووسخه والخطيئة لازمة لي لا تذهب عني سبحان خالق النور الهي لم أتعظ بما وعظت به غيري سبحان خالق النور الهي أمرتني أن أكون لليتيم كالاب الرحيم وللارملة كالزوج العطوف فنسيت عهدك سبحان خالق النور الهي خلقتني وفي سابق علمك كان ما أنا صائر اليه سبحان خالق النور الهي الويل لداود اذا كشف عنه الغطاء فيقال هذا داود الخاطئ سبحان خالق النور الهي بأي عين أنظر اليك يوم القيامة وانما ينظر الظالمون من طرف خفي سبحان خالق النور الهي بأي قدم أقوم أمامك يوم تزل أقدام الخاطئين يوم القيامة من سوء الحساب سبحان خالق النور الهي مضت النجوم وكنت أعرفها بأسمائها فتؤنسني فتركتني والخطيئة لازمة لي سبحان خالق النور الهي أمطرت السماء ولم تمطر حولي وأعشبت الارض ولم تعشب حولي بخطيئتي سبحان خالق النور الهي أنا الذي لا أطيق حر شمسك فكيف أطيق حر نارك سبحان خالق النور الهي أنا الذي لا أطيق صوت رعدك فكيف أطيق صوت جهنم سبحان خالق النور الهي كنت تستر الخاطئين بخطاياهم وأنت شاهد حيث كانوا سبحان خالق النور الهي رق القلب وجمدت العينان من مخافة الحريق على جسدي سبحان خالق النور الهي تسبح الطير لك وأنا العبد الخاطئ الضعيف الذي لم أرع وصيتك سبحان خالق النور الهي الويل لداود من الذنب العظيم الذي أصاب ولا علم له بذلك سبحان خالق النور الهي أنا المستغيث وأنت المغيث فمن يدعو المغيث الا المستغيث سبحان خالق النور الهي أسألك بأبي ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب أن تعطيني سؤلي سبحان خالق النور اللهم برحمتك اغفر لي ذنوبي ولا تباعدني من رحمتك لهواني فانك أرحم الراحمين سبحان خالق النور الهي اني أعوذ بك من دعوة لا تستجاب وصلاة لا تقبل وذنب لا يغفر وعذاب لا يفتر سبحان خالق النور الهي اني أعوذ بك وبنور وجهك الكريم من ذنوبي التي أوبقتني سبحان خالق النور الهي فررت اليك من ذنوبي واعترفت بخطيئتي فلا تجعلني من القانطين ولا تخزني يوم يبعثون سبحان خالق النور الهي فرغ الحنين وفرغت الدموع وتناثر الدود من ركبتي وخطيئتي ألزم لي من جلدي سبحان خالق النور قالوا فأتاه النداء أجائع أنت فتطعم أظمآن أنت فتسقى أومظلوم أنت فتنتصر ولم يجبه في ذكر خطيئته بشيء فصاح صيحة فهاج منها ما حوله ثم نادى يا رب الذنب الذي أصبته فنودي يا داود ارفع رأسك فقد غفرت لك فلم يرفع رأسه حتى أتاه جبريل عليه السلام فرفعه قال وهب ابن منبه ان داود عليه السلام أتاه نداء اني قد غفرت لك فقال يا رب كيف وأنت لا تظلم أحدا فقال اذهب الى

خدمته فجعلتها ذريعة الى الاشتغال عنه فلما سمعت ذلك منه طاش عقلي ودهشت في نفسي فبينما هو يحدثني اذ خرجت عجوز بيدها كوز فيه ماء فتناوله الشاب منها وشرب ودفع الباقي الى فشربته فما رأيت ألذ من ذلك ولا أحلى منه ثم غابت العجوز عن عيني فتعجبت من ذلك وقلت للشاب من أين هذه العجوز فقال يا شاه هذه الدنيا وقد وكلها الله تعالى على خدمتي فكلما احتجت الى شيء حضرت لي به حين يخطر ببالي ثم قال يا شاه أما بلغك أن الله تعالى لما خلق الدنيا قال لها يا دنيا من خدمني فاخدميه ومن خدمك فاستخدميه قال شاه فلما رأيت ذلك وسمعته منه تركت الدنيا وتنزهت عن الملك وتبت الى الله من وقتي واشتغلت بخدمة مولاي وخالقي ولله الحمد على ذلك اللهم انا نسألك التوبة والتوفيق آمين (وحكى عن بعض الاكراد ممن كان يقطع الطريق وينهب الاموال أنه قال) بينما أنا وأصحابي قد خرجنا لقطع الطريق وأخذ أسباب الناس اذ انتهينا الى مكان فيه ثلاث نخلات فواحدة منها ليس عليها ثمر والنخلتان عليهما الثمر فنظرت فاذا بعصفور يحمل رطبا من النخلة المثمرة الى النخلة التي ليس عليها ثمر ففعل ذلك عشر مرات فتعجبت منه ثم

قبر أوريا فناده وأنا أسمعه نداءك فتحلل منه قال فانطلق داود عليه السلام حتى أتى قبره وقد لبس المسوح فجلس عند قبره ثم ناداه يا أوريا فقال لبيك من هذا الذي قطع على لذتي وأيقظني قال أنا داود قال ما جاء بك يا نبي الله قال جئت أتحلل مما كان مني اليك قال وما كان منك الي قال عرضتك للقتل قال عرضتني للجنة وأنت في حل فأوحى الله تعالى الى داود عليه السلام ألم تعلم أني حكم عدل لا أقضي الا بالحق ألا أعلمته انك تزوجت امرأته قال فانطلق داود اليه فناداه يا أوريا فأجابه فقال من هذا الذي قطع على لذتي قال أنا داود قال يا نبي الله ما حاجتك أليس قد عفوت عنك قال نعم لكن أنا ما فعلت بك ذلك الا لمكان امرأتك واني قد تزوجتها قال فسكت أوريا ولم يجبه فدعاه فلم يجبه فقام عند قبره وحثا التراب على رأسه ثم نادى الويل ثم الويل لداود سبحان خالق النور الويل لداود ثم الويل الطويل لداود سبحان خالق النور والويل لداود ثم الويل الطويل له اذا نصبت الموازين القسط ليوم القيامة سبحان خالق النور والويل لداود ثم الويل الدائم له حين يؤخذ برقبته ثم يدفع الى المظلوم سبحان خالق النور والويل لداود ثم الويل الطويل له حين يسحب على وجهه مع الخاطئين الى النار سبحان خالق النور والويل لداود ثم الويل الطويل له حين تقربه الزبانية مع الظالمين الى النار سبحان خالق النور قال فأتاه النداء من السماء يا داود قد غفرت لك ذنبك ورحمتك ورثيت لطول مكانك واستجبت دعاءك وأقلت عثرتك قال يا رب كيف لي أن تعفو عني وصاحبي لم يعف عني قال يا داود وان يعف أو لم يعف فأنا أعطيه يوم القيامة ما لم تر عيناه ولم تسمع أذناه فأقول له قد رضيت عبدي فيقول يا رب من أين هذا ولم يبلغه عملي فأقول هذا عوض من أجل عبدي داود فأستوهبك منه فيهبك لي فقال داود يا رب الآن قد عرفت انك قد غفرت لي فذلك قوله عز وجل فاستغفر ربه وخر راكعا وأناب فغفرنا له ذلك وان له عندنا لزلفى وحسن مآب * وروى أبو معشر عن محمد بن كعب ومحمد بن قيس قالا في قوله تعالى وان له عندنا لزلفى وحسن مآب ان أول من يشرب الكاس يوم القيامة داود عليه السلام (أخبرنا) أبو الحسن بن محمد حدثنا محمد بن علي أخبرنا بكر بن أحمد بن معقل أخبرنا عمر بن محمد الشرقي قال النضر الكعبي قال حدثنا أبو سعيد عبد الله المزني قال حدثنا محمد بن المنكدر عن محمد بن عبد الرحمن بن عوف حدثني أبو سعيد الخدري قال أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله اني رأيت الليلة في منامي كأني تحت شجرة والشجرة تقرأ سورة ص فلما بلغت الشجرة الى السجدة سجدت فسمعتها تقول في سجودها اللهم اكتب لي بها أجرا واحطط عني بها وزرا وارزقني بها شكرا وتقبلها مني كما تقبلتها من عبدك داود عليه السلام فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أفسجدت أنت يا أبا سعيد قال قلت لا يا رسول الله فقال أنت أحق بالسجدة من الشجرة ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ السجدة فسجد ثم قال مثل قول الشجرة (قال وهب بن منبه) ان داود عليه السلام لما تاب الله عليه بكى على خطيئته ثلاثين سنة لا ترقأ له دمعة ليلا ولا نهارا وكان أصاب الخطيئة وهو ابن سبعين سنة وقسم الدهر بعد الخطيئة على أربعة أقسام يعني أربعة أيام فجعل يوما للقضاء بين الناس ويوما لنسائه ويوما يسيح في الفيافي والجبال والقفار والسواحل ويوما يخلو في داره وفيها أربعة آلاف محراب فيجتمع اليه الرهبان فينوح بعضهم على بعض ويساعدونه على ذلك فاذا كان يوم سياحته يخرج الى الفيافي فيرفع صوته كالمزامير ويبكي فيبكي معه الشجر والمدر والطير والوحوش حتى يسيل من دموعه مثل الانهار ثم يجيء الى الجبال فيرفع صوته كالمزامير فيبكي وتبكي معه الجبال والحجارة والدواب والطير حتى تسيل الاودية من بكائهم ثم يجيء الى الساحل فيرفع صوته كالمزامير فيبكي وتبكي معه الحيتان ودواب البحر والطير والماء والسباع فاذا أمسى رجع فاذا كان يوم نوحه على نفسه نادى مناديه ان اليوم يوم نوح داود على نفسه فليحضر من يساعده قال فيدخل الدار التي فيها المحاريب فيبسط له ثلاث فرش من مسوح حشوها الليف ليجلس عليها ويجيء الرهبان أربعة آلاف راهب عليهم البرانس وعليهم المسوح وفي أيديهم العصي ثم يجلسون في تلك المحاريب ثم يرفع صوته بالبكاء والنوح فيرفع الرهبان معه أصواتهم فلا يزال يبكي حتى يغرق الفرش من دموعه ويقع داود فيها مثل الفرخ يضطرب فيجيء ابنه سليمان عليه السلام فيحمله فيأخذ داود من تلك الدموع بكفه ثم يمسح بها وجهه ويقول يا رب اغفر لي ما ترى فلو عدل بكاء داود ودموعه بكاء أهل الارض ودموعهم لعدلها (أخبرنا) ابن فنجويه عن عثمان بن أبي عائكة أنه قال كان من دعاء داود عليه السلام سبحانك

خدار بنفسي أن أنظر ذلك فقمت وصعدت على النخلة فنظرت فاذا بحية عمياء فاتحة فاها والعصفور يضع ذلك الثمر في فيها فلما رأيت ذلك بكيت وقلت هذه حية أمر نبينا بقتلها فلما أعماها الله تعالى سخر لها عصفورا يقوم لها بالقوت وأنا عبد من عباده أقامني لقطع الطريق وخيانة السبل ثم قلت اللهم اني تائب اليك مما كان مني ولا أعود أبدا ثم كسرت سيفي ووضعت التراب على رأسي وناديت الاقالة الاقالة فسمعت قائلا يقول قد أقلناك فأتيت رفاقي فلما رأوني قالوا ما بالك بتلك الحالة فقلت لهم اني كنت مهجورا ووصلت ثم قصصت عليهم ما رأيت فلما سمعوا ذلك قالوا ونحن نصالح كما صولحت فرموا أسلحتهم جميعا وتابوا الى الله تعالى ثم أحرمنا وقصدنا مكة شرفها الله تعالى فمشينا ثلاثة أيام حتى انتهينا الى قرية فيها امرأة عجوز عمياء وكانت من الصالحات فخرجت الينا وقالت أفيكم فلان الكردي فقلنا نعم فأخرجت ثيابا وقالت ان ولدي مات عن قريب وخلف هذه الثياب فجاءني النبي صلى الله عليه وسلم في المنام وقال لي أعط هذه الثياب لفلان الكردي هو وأصحابه قال فأخذنا الثياب وسرنا من عندها حتى دخلنا مكة والحمد لله على ذلك (وحكى عن الامام أبي القاسم

إلهي إذا ذكرت خطيئتي ضاقت علي الأرض برحبها وإذا ذكرت رحمتك ارتدت إلي روحي إلهي أتيت أطباء عبادك ليداووني فكلهم عليك دلوني وقال صلى الله عليه وسلم خد الدمع في وجه داود مثل خد الماء في الأرض (أخبرنا) ابن فنجويه عن الحسن بن عبد الله القرشي قال لما أصاب داود الخطيئة فزع إلى العباد فأتى راهبا في قلة جبل فناداه بصوت عال فلم يجبه فلما أكثر عليه الصوت قال الراهب من هذا الذي يناديني قال أنا داود نبي الله قال صاحب القصور والحسنة الحصينة والخيول المسومة والنساء والشهوات لئن نلت الجنة بهذا لأنت أنت قال داود فمن أنت قال أنا راهب راغب منزو مترقب قال فمن أنيسك ومن جليسك قال اصعد تره إن كنت تريد ذلك قال فتخلل داود الجبل ورقى إلى القلة فإذا هو بميت مسجى فقال له هذا أنيسك هذا جليسك قال نعم قال وما هذا قال تلك قصته مكتوبة في لوح من نحاس عند رأسه فقرأ داود الكتاب فإذا فيه أنا فلان بن فلان ملك الملوك عشت ألف عام وبنيت ألف قصر وألف مدينة وهزمت ألف عسكر وتزوجت ألف امرأة وافتضضت ألف بكر فبينما أنا في ملكي إذ أتاني ملك الموت فأخذني وأخرجني مما كنت فيه فهذا التراب فراشي والدود جيراني قال فخر داود عليه السلام مغشيا عليه * وعن نافع عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الناس يعودون داود عليه السلام فيظنون أنه مريض وما به إلا الحياء والخوف من الله تعالى (قال وهب بن منبه) لما تاب الله على داود كان يبدأ إذا دعا فيستغفر للخاطئين قبل نفسه فيقول اللهم اغفر للخاطئين فعساك أن تغفر لداود معهم (وعن قتادة) عن الحسن قال كان داود بعد الخطيئة لا يجالس إلا الخاطئين ثم يقول تعالوا إلى داود الخاطئ ولا يشرب شرابا إلا وهو ممزوج بدموع عينيه وكان يجعل خبز الشعير اليابس في قصعته ولا يزال يبكي حتى يبتل بدموعه وكان يذر عليه الملح والرماد فيأكل ويقول هذا أكل الخاطئين قال وكان داود عليه السلام قبل الخطيئة يقوم نصف الليل ويصوم نصف الدهر فلما كان من خطيئته ما كان صام الدهر كله وقام الليل كله (وقال وهب) إن داود عليه السلام لما تاب الله عليه قال يا رب أغفرت لي قال نعم قال فكيف لي أن لا أنسى خطيئتي فاستغفر منها لي وللخاطئين إلى يوم القيامة قال فوسم الله خطيئته في يده اليمنى فما رفع بها طعاما ولا شرابا إلا بكى إذا رآها وما قام خطيبا في الناس إلا بسط راحته فاستقبل الناس ليروا وسم الخطيئة (وأخبرنا) عبد الله ابن حامد عن ثابت قال كان داود عليه السلام إذا ذكر عقاب الله تعالى تخلعت أوصاله ولا يشدها إلا الأنين فإذا ذكر رحمة الله تعالى تراجعت (وعن أبي عبد الله البجلي) قال ما رفع داود بعد الخطيئة رأسه إلى السماء قط حتى مات صلى الله على نبينا محمد وعليه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين

* (باب في ذكر خروج ابن داود على أبيه وما كان من أمرهما) *

قال وهب وغيره من أهل الكتب إن داود عليه السلام لم يزل قائما بالملك بعد طالوت إلى أن كان من أمره وأمر امرأة أوريا ما كان فلما واقع الخطيئة واشتغل بالتوبة منها استخفت به بنو إسرائيل واستضعفوه واجتمع أهل الزيغ من بني إسرائيل وذهبوا إلى ابن لداود من ابنة طالوت يقال له شالون وقيل ايشا وقالوا له قد كبر أبوك واشتغل بخطيئته وتوبته وضاعت حقوق الناس وضعف أمر الملك فلم يزالوا به حتى بايعوه وخلعوا داود وعدلوا عنه ودعا هذا الابن إلى نفسه فلما رأى ذلك داود خرج من بين أظهرهم مع ابن أخ له يقال له ثواب وتوغل في الجبال فأشار قومه على ابنه أن يقتل أباه فلما بلغ ذلك داود أرسل إليه رفيقه وقال له قل له هل سمعت بابن قتل أباه فقال له الابن وهل سمعت أنت بنبي أذنب فلم تقبل توبته فقال له الرسول إن كان الله تعالى قد أذن لك في هلاكه فلا تباشره أنت فإنه لا يحمل في الآخرة حدوثه منك فقبل منه ذلك فكف عن قتل أبيه داود وبقي ابنه ملكا سنتين فلما تاب الله على داود صارت الناس تأتيه فحارب ابنه فهزمه ووجه في طلبه قائدا من قواده وأوصاه أن يتوقى حتفه ويتلطف في أسره فطلبه القائد وهو منهزم فاضطره إلى شجرة فركض بها وكان الغلام ذا جمة فتعلق غصن من أغصانها بشعره فحبسه ولحقه القائد فقتله مخالفا لأمر داود عليه السلام فحزن عليه داود حزنا شديدا وتنكر للقائد وكان له بأس شديد في ملاقاة العدو فكره داود أن يقتله فتركه لأجل مجاهدة العدو فلما حضر داود الموت أوصى ولده سليمان عليهما السلام بقتل القائد فقتله حين فرغ من دفن أبيه وكانت مدة داود من يوم خرج من ملكه وانقطع عنه الوحي إلى أن قبل الله توبته ورد عليه ملكه ورجع إلى قومه سنتين

* (باب في قصة أصحاب السبت) *

الجنيد رضي الله تعالى عنه أنه قال * كنت جالسا ببغداد أنتظر جنازة لأصلي عليها وأهل بغداد في طرقاتهم جلوس ينظرون ما أنظره فإذا بفقير عليه آثار الدلال والنسك يسأل الناس فقلت في سري لو عمل هذا عملا يصون نفسه به عن السؤال كان خيرا له فلما انصرفت إلى منزلي وكان علي شيء من الورد في الليل من الذكر والصلاة والبكاء وغير ذلك فثقل علي جميعه وسهرت سهرا شديدا ثم غلبني النوم فنمت فرأيت في نومي ذلك الفقير وقد جاؤا به في خوان ممدود وقالوا لي كل لحمه فقد اغتبته وكشفوا لي عن الخوان فقلت أنا ما اغتبته إنما قلت في نفسي شيئا فقيل لي ما أنت ممن يرضى منهم بمثل هذا اذهب إليه فاستحله مما كان منك قال الجنيد فأصبحت ولم أزل مترددا عليه حتى رأيته في موضع ظاهر البلد وهو يلتقط من الماء ما يتساقط من أوراق البقل فأتيت إليه وسلمت عليه فرد علي السلام ثم قال لا تعد إلى مثلها يا أبا القاسم فقلت أستغفر الله العظيم فقال اذهب غفر الله لي ولك ثم ولى فلم أره رضي الله تعالى عنه ورضي عنا بهم أجمعين آمين * (وحكى عن الجنيد أيضا رضي الله تعالى عنه أنه قال * دخلت الكوفة في بعض أسفاري فرأيت دارا كانت

قال الله تعالى واسألهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر اذ يعدون فى السبت الآية (قال) ابن عباس ووهب
ابن منبه ان قومامن بنى اسرائيل سكنوا قرية على شاطئ البحر بين مصر ومدين يقال لها أيلة حرم الله عليهم
صيد الحيتان وسائر العمل يوم السبت وأمرهم أن يتفرغوا العبادته ذلك اليوم وذلك فى زمان داود عليه السلام
فكان اذا دخل يوم السبت لم يبق حوت فى البحر الا اجتمع هناك و يخرجن من الماء خراطيمهن حتى لا يرى الماء
من كثرتهن حتى اذا مضى السبت تفرقن ولزمن مقر البحر لا يرى منهن الا القليل فذلك قوله تعالى اذ تأتيهم
حيتانهم يوم سبتهم شرعا و يوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم الآية (سمعت أبا القاسم) قال سمعت أبي يقول
سئل الحسن بن الفضل هل تجد فى كتاب الله الحلال لا يأتيك الا قوتا والحرام يأتيك جزافا قال نعم فى قصة داود
عليه السلام وأهل أيلة اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا و يوم لا يسبتون لا تأتيهم قال فعمد رجال منهم فحفروا
الحياض حول البحر وشرعوا اليها من الانهار فاذا كانت عشية الجمعة فتحوا تلك الانهار فيقبل الموج بالحيتان الى
الحياض فلا تطيق الخروج منها لبعد عمقها وقلة الماء فاذا كان يوم الاحد أخذوها وقيل انهم كانوا ينصبون
الحبال والشخوص يوم الجمعة و يخرجونها يوم الاحد قال وكانت الحيتان تأتيهم يوم السبت كثيرا وفى غير يوم
السبت لا يأتيهم حوت واحد فأخذ رجل منهم حوتا و ربط فى ذنبه خيطا ثم ربطه الى خشبة فى الساحل ثم تركه فى
الماء الى يوم الاحد فأخذه فشواه فوجد جار له ريح الحوت فقال له يا فلان انى أجد فى بيتك ريح الحوت فانكره فاطلع
الجار فى تنوره فاذا هو فى بيته فقال له انى أرى الله سيعذبك فلما رأى العذاب لم يأخذه أخذ فى السبت الآخر
حوتين فلما رأوا العذاب لا ينزل عليهم أخذوا وملحوا وأكلوا و باعوا فأثروا وكثرت أموالهم ولم تنزل عليهم عقوبة
فقست قلوبهم وتجبروا وتجرؤا على الذنب وقالوا ما نرى السبت الا قد أحل لنا وانما حرم ذلك على آبائنا لانهم قتلوا
أنبياءهم فلما فعلوا ذلك صار أهل تلك القرية وكانوا نحوا من سبعين ألفا ثلاثة أصناف صنف أمسك ونهى وصنف
أمسك ولم ينه وصنف انتهكوا الحرمة فكان الذين نهوا اثنى عشر ألفا فلما أبى المجرمون قبول النصيحة قال الناهون
والممسكون والله لنخرجن من القرية ولا نساكنكم فى قرية واحدة ثم قسموا القرية بينهم بجدار ومكثوا على ذلك
سنين فلعنهم الله على لسان داود عليه السلام وغضب عليهم لاصرارهم على المعصية فخرج الناهون ذات يوم من
بابهم والمجرمون لم يفتحوا بابهم ولا خرج منهم أحد فلما أبطؤا تسوروا عليهم الحائط فاذاهم جميعهم قد مسخوا
قردة فذلك قوله تعالى فلما نسوا ما ذكروا به أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس أى
شديد بما كانوا يفسقون فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين أى صاغرين نظيره قوله تعالى لعن الذين
كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود يعنى عصاة أهل أيلة وعيسى بن مريم يعنى كفار أصحاب المائدة ذلك بما
عصوا وكانوا يعتدون قالوا فلما دخلوا عليهم و رأوا انهم قد مسخوا عرفت القردة أنسباءهم من الانس ولم تعرف
الانس أنسباءهم من القردة فجعل القرد يأتى نسيبه من الانس فيشم ثيابه و يبكى فيقول له الرجل ألم أنهكم فيقول
القرد برأسه نعم قال قتادة صارت الشباب قردة والشيوخ خنازير فما نجا الا الذين نهوا وهلك سائرهم ثم خرج
الممسوخون من المدينة وهاموا على وجوههم متحيرين ومكثوا كذلك ثلاثة أيام ثم هلكوا وكذلك لم يبق قوم
مسخوا أكثر من ثلاثة أيام ولم يتوالدوا ولم يتناسلوا ثم بعث الله عليهم ريحا ومطرا فقذفهم فى البحر فاذا كان يوم
القيامة أعادهم الله تعالى الى صورهم البشرية فيدخلهم النار (وروى) أبو نصر عن أبى سعيد الخدرى قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أهلك الله قوما ولا قرنا ولا أمة بعذاب من السماء بعدما أنزل الله التوراة على وجه
الارض غير أهل القرية التى كانت حاضرة البحر الذين مسخوا قردة ألم تسمع قول الله تعالى ولقد آتينا موسى
الكتاب من بعد ما أهلكنا القرون الاولى الآية

﴿باب فى قصة داود وسليمان عليهما السلام فى الحرث﴾

قال الله تعالى وداود وسليمان اذ يحكمان فى الحرث اذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين (قال ابن عباس
وقتادة) كان الحرث زرعا وقال ابن مسعود وشريح كان الحرث كرما قد تدلت عناقيده اذ نفشت فيه غنم
القوم رعته ليلا فافسدته والنفش بالليل والهمل بالنهار وهما جميعا الرعى بلا راع وكنا لحكمهم شاهدين لا يخفى
علينا منه شئ قال ابن عباس وقتادة ان رجلين دخلا على داود أحدهما صاحب غنم والآخر صاحب حرث
فقال صاحب الزرع ان هذا انفلتت غنمه ليلا فوقعت فى حرثى فلم تبق منه شيأ قال له داود اذهب فان الغنم

لبعض الرؤساء عليها أثر النعيم وعلى بابها عبيد وغلمان وفى بعض أروقتها جارية تغنى وتنشد هذه الابيات
ألا يا دار لا يدخلك حزن
ولا يعبث بساكنك الزمان * فنعم الدار أنت لكل ضيف * اذا ما الضيف أعوزه المكان
قال الجنيد فمررت بعد ذلك بمدة يسيرة فاذا بذلك الباب مسدود والجمع مبدود وقد ظهر عليها كآبة الذل والهوان وعلى ذلك الباب مكتوب هذان البيتان
ذهبت محاسنها وبان شجونها * والدهر لا يبقى مكانا سالما * فاستبدلت من أنسها بتوحش بعد السرور وبها عزاء دائما
قال الجنيد فسألت عن خبرها فقيل مات صاحبها وصار أمرها الى ما ترى قال الجنيد فقرعت الباب الذى كان لا يقدر أحد أن يصل اليه فكلمتنى جارية بكلام ضعيف فقلت لها يا جارية أين بهجة ذلك المكان وأنواره وأين شموسه وأقماره وأين قصاده وزواره فبكت الجارية بكاء شديدا وقالت يا شيخ كانوا فيه على سبيل العارية ثم نقلتهم الاقدار الى دار القرار وهكذا حالة الدنيا ترحل من سكن اليها وتسىء من أحسن اليها قال
فقلت لها يا جارية مررت فى بعض الاعوام على هذا القصر فسمعت فيه جارية تغنى بصوت شجى فمن تلك الجارية قال فبكت

لث

لك باعطاء رقاب الغنم بالحرث فمرا على سليمان فقال لهما كيف قضى بينكما فاخبراه فقال سليمان لو وليت أمركما لقضيت بغير هذا فأخبر بذلك داود فدعاه فقال له كيف كنت تصنع فى القضاء بينهما قال كنت أدفع الغنم الى صاحب الحرث سنة فيكون له نسلها وصوفها ومنافعها ويبذر صاحب الغنم لاهل الحرث مثل حرثهم فاذا كان العام المقبل وصار الحرث كهيئته يوم أكل فيدفع الى أهله و يأخذ صاحب الغنم غنمه وقال ابن مسعود وشريح ان راعيا نزل ذات ليلة بجنب كرم فدخلت الاغنام الكرم وهو لا يشعر فأكلت القضبان وأفسدت الكرم فسار صاحب الكرم من الغد الى داود فقضى بالاغنام لصاحب الكرم لانه لم يكن بين ثمن الاغنام وثمن الكرم تفاوت قال فمرا بسليمان وهو ابن احدى عشرة سنة فقال لهما ماقضى بينكما داود فقصا عليه القصة فقال سليمان غير هذا أرفق بالفريقين فعادا الى داود فأخبراه بذلك فدعا سليمان وقال له بحق البنوة والابوة الا ما أخبرتنى بالذى هو أرفق بالفريقين فقال سليمان تسلم الاغنام الى صاحب الكرم لينتفع بنسلها وصوفها ومنافعها و يعمل الراعى فى اصلاح الكرم الى أن يعود كهيئته ثم يسلمه صاحبه وترد الاغنام الى صاحبها فقال داود القضاء ماقضيت وحكم بذلك فذلك قوله تعالى ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما قال الحسن كان الحكم ماقضى به سليمان ولم يعنف الله داود فى حكمه قال الاستاذ وهذا يدل على أن كل مجتهد مصيب

﴿ باب فى قصة استخلاف داود ابنه سليمان عليهما السلام وذكر بدء أمر الخاتم ﴾

قال أبو هريرة رضى الله عنه أنزل الله تعالى كتابا من السماء على داود عليه السلام مختوما بخاتم من ذهب فيه ثلاث عشرة مسئلة فأوحى الله تعالى اليه أن سل عنها ابنك سليمان فان هو أخرجها فهو الخليفة من بعدك قال فدعا داود عليه السلام سبعين قسا وسبعين حبرا وأجلس سليمان بين أيديهم وقال يابنى ان الله تعالى أنزل على كتابا من السماء فيه مسائل وأمرنى ان أسألك عنها فان أخرجتها فانت الخليفة من بعدى فقال سليمان ليسأل نبى الله عما بدا له وما توفيقى الا بالله قال داود يابنى ما أقرب الاشياء وما أبعدها وما آنس الاشياء وما أوحشها وما أحسن الاشياء وما أقبحها وما أقل الاشياء وما أكثرها وما القائمان وما الساعيان وما المشتركان وما المتباغضان وما الامر الذى اذا ركبه الرجل حمد آخره وما الامر الذى اذا ركبه الرجل ذم آخره فقال سليمان عليه السلام اما أقرب الاشياء فالآخرة وأما أبعد الاشياء فما فاتك من الدنيا وأما آنس الاشياء فجسد فيه روح وأما أوحش الاشياء فجسد لا روح فيه وأما أحسن الاشياء فالايمان بعد الكفر وأما أقبح الاشياء فالكفر بعد الايمان وأما أقل الاشياء فاليقين وأما أكثر الاشياء فالشك وأما القائمان فالسماء والارض وأما الساعيان فالشمس والقمر وأما المشتركان فالليل والنهار وأما المتباغضان فالموت والحياة وأما الامر الذى اذا ركبه الرجل حمد آخره فالحلم عند الغضب وأما الامر الذى اذا ركبه الرجل ذم آخره فالحدة عند الغضب قال ففكوا الخاتم فاذا جواب المسائل سواء على ما أنزل من السماء فقال القسيسون والرهبان لانرضى حتى نسأله عن مسئلة فان أخرجها فهو الخليفة من بعدك فقال سليمان عليه السلام سلونى وما توفيقى الا بالله فقالوا له ما الشئ الذى اذا صلح صلح كل شئ من الانسان واذا فسد فسد كل شئ من الانسان فقال هو القلب فقام داود فصعد المنبر فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال ان الله تعالى يأمرنى أن أستخلف عليكم سليمان قال فضجت بنو اسرائيل وقالوا غلام حدث يستخلف علينا وفينا من هو أفضل منه وأعلم فبلغ ذلك داود عليه السلام فدعا رؤساء اسباط بنى اسرائيل وقال لهم انه قد بلغنى مقالتكم فأرونى عصيكم فأى عصا أثمرت فان صاحبها ولى هذا الامر بعدى قالوا قد رضينا فجاؤا بعصيهم فقال لهم داود ليكتب كل رجل منكم اسمه على عصاه فكتبوا ثم جاء سليمان بعصاه فكتب عليها اسمه ثم أدخلت بيتا وأغلق عليها الباب وسد بالاقفال وحرسه رؤس أسباط بنى اسرائيل فلما أصبح صلى بهم الغداة ثم اقبل ففتح الباب فأخرج عصيهم كما هى وأما عصا سليمان فقد أورقت وأثمرت قالوا فسلموا الامر فى ذلك لداود عليه السلام فلما رأى ذلك داود حمد الله وحمل سليمان خلفه ثم سار به فى بنى اسرائيل فقال ان هذا خليفتى عليكم من بعدى (قال وهب بن منبه) لما استخلف داود ابنه سليمان عليهما السلام وعظه فقال يابنى اياك والهزل فان نفعه قليل و يهيج العداوة بين الاخوان واياك والغضب فان الغضب يستخف بصاحبه وعليك بتقوى الله وطاعته فانهما يغلبان كل شئ واياك وكثرة الغيرة على أهلك من غير شئ فان ذلك يورث سوء الظن بالناس وان كانوا برآء واقطع طمعك عن الناس فان ذاك هو الغنى واياك والطمع فانه الفقر

وقالت هو أنا ولم يبق أحد من أهل هذه الدار غيرى فالويل لمن عرفته الدنيا فقلت لها ياجارية كيف يقر بك القرار فى هذا الموضع الخراب فقالت ياشيخ ما أعظم جفاك أما علمت ان هذا منزل الاحباب كيف أفارقه ثم جعلت تقول هذه الابيات

قالوا أتفنى وقوفا فى منازلهم ... ونفس مثلك لايفنى تحملها
فقلت والقلب قد ضجت أضالعه ... والروح تنزع والاشواق تبذلها
منازل الحب فى قلبى معظمة ... وان خلا من نعيم الوصل منزلها
فكيف أتركها والقلب يتبعها ... حبا بمن كان قبل الموت ينزلها

قال الجنيد فتركتها ومضيت وازداد قلبى تولعا ووقع شعرها فى قلبى موقعا وانما أعجبنى قولها لانها ذكرت صفة الحب والمحبوب وصدقت فى الوصف الذى ذكرته وصبرت على منازل الاحباب وملازمتها على ماهى فيه من شغف الحال وتجدد أحزان الفراق فسبحان من قهر العباد بكاس الموت ﴿ وحكى عن ابراهيم الخواص رضى الله عنه انه قال ﴾ خرجت سنة من السنين الى بيت الله الحرام وزيارة النبى صلى الله عليه وسلم فبينما أنا أمشى اذ عارضنى عارض فى طريقى يقتضى الخلوة والخروج

الحاضر واياك ومايعتذر منه من القول والفعل وعود نفسك ولسانك الصدق والزم الاحسان فان استطعت ان يكون يومك خيرا من أمسك فافعل وصل صلاة مودع ولاتجالس السفهاء ولاترد على عالم ولاتماره فى الدين واذا غضبت فالصق نفسك بالارض وتحول من مكانك وارج رحمة الله فانها وسعت كل شئ (قالوا) ثم ان سليمان بعد أن استخلف أخفى أمره وتزوج بامرأة واستتر عن الناس وأقبل على العلم والعبادة ثم ان امرأته قالت له ذات يوم بابى أنت وأمى ما أكمل خصالك وأطيب رائحتك ولا أعلم لك خصلة أكرهها الا أنك فى مؤنة أبى فلو دخلت السوق فتعرضت لرزق الله لرجوت أن لايخيبك الله فقال سليمان انى ماعملت عملا قط ولا أحسنه ثم انه دخل السوق صبيحة يومه ذلك فلم يقدر على شئ فرجع فأخبرها فقالت غدا يكون ان شاء الله فلما كان اليوم الثانى مضى حتى انتهى الى ساحل البحر فاذا هو بصياد فقال له هل لك ان أعينك وتعطينى شيأ قال نعم قال فأعانه فلما فرغ أعطاه الصياد سمكتين فأخذهما وحمد الله تعالى ثم انه شق بطن احداهما فاذا هو بخاتم فى بطنها فأخذه وصره فى ثوبه وحمد الله عز وجل وأخذ السمكتين وجاء بهما الى منزله ففرحت امرأته بذلك فأخرج الخاتم ولبسه فى أصبعه فعكفت عليه الطير والريح ووقع عليه بهاء الملك ثم لم يلبث أبوه أن مات فلما مات حمل المرآة وأباها الى اصطخر والله أعلم

﴿ باب فى ذكر وفاة داود عليه السلام ﴾

(قال الشيخ أبو يزيد) سمعت الشيخ أبا عمر والفارابى يروى ان داود عليه السلام كانت له وصيفة تغلق الابواب كل ليلة وتأتيه بالمفاتيح ثم تنام ويقبل داود على ورده فى العبادة فأغلقت ذات ليلة الابواب وجاءت بالمفاتيح ثم ذهبت لتنام فرأت رجلا قائما فى وسط الدار فقالت له ما أدخلك هذه الدار فان صاحبها رجل غيور فخذ حذرك فقال لها أنا الذى أدخل الدور على الملوك بغير اذنهم قال فلما سمع داود ذلك وكان فى المحراب واقفا يصلى فزع واضطرب وقال لها على به فأتاه فقال له داود ما أدخلك هذه الدار فى هذا الوقت بغير اذن فقال له أنا الذى أدخل الدور على الملوك بغير اذن فقال له اذا فانت ملك الموت قال نعم قال أجئت داعيا أم ناعيا فقال بل ناعيا فقال داود عليه السلام فهلا أرسلت الى قبل ذلك وآذنتنى لاستعد للموت فقال كم أرسلت اليك فلم تنتبه قال ومن كانت رسلك التى أرسلت الى فقال ياداود أين أبوك ايشا وأين أمك أين أخوك وأين جارك أين قهارمتك أين فلان وفلان فقال ماتوا كلهم فقال أما علمت انهم رسلى اليك وان النوبة تبلغك (قال) الاستاذ رضى الله عنه وفى هذا المعنى قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه لايزال المرء ينعى أخاه حتى يكونه وقد يرجو الرجاء فيحول الموت دونه وقد نظمه بعض الشعراء فقال

واذا حملت الى القبور جنازة * فاعلم بأنك بعدها محمول
واذا وليت أمور قوم مدة * فاعلم بأنك عنهم معزول

وقال أهل التاريخ كان عمر داود عليه السلام مائة سنة وكانت مدة ملكه أربعين سنة وقد مضى فى قصة آدم وما وهب لداود من عمره عليهما السلام

﴿ مجلس فى قصة سليمان عليه السلام ومايتعلق به ﴾

قال الله تعالى وورث سليمان داود يعنى نبوته وحكمته وعلمه وملكه دون سائر أولاده وكان لداود عليه السلام تسعة عشر ابنا (وقال مقاتل) كان سليمان عليه السلام أعظم ملكا من أبيه داود وأقضى منه وكان داود عليه السلام أشد تعبدا من ابنه سليمان وكان سليمان حين آتاه الله الملك والحكمة ابن ثلاث عشرة سنة وكان ملكه مابين الشام الى اصطخر وقيل انه ملك الارض كلها (وروى) مجاهد عن ابن عباس قال ملك الارض أربعة مؤمنان وكافران فاما المؤمنان فسليمان عليه السلام وذو القرنين وأما الكافران فالنمرود وذبن كنعان وبختنصر

﴿ باب فى صفة حليته عليه السلام ﴾

قال وهب بن منبه وكعب الاحبار كان سليمان أبيض جسيما وضيئا جميلا كثير الشعر يلبس من الثياب البياض وكان خاشعا متواضعا يخالط المساكين ويجالسهم ويقول مسكين جالس مسكينا وكان أبوه فى أيام ملكه يشاوره فى كثير من أموره مع صغر سنه ووفور عقله وعلمه صلى الله على نبينا وعليه وسلم

﴿ باب فيما خص الله به نبيه سليمان عليه السلام حين ملكه من أنواع المناقب والمواهب وغير ذلك ﴾

قال الله تعالى ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذى فضلنا على كثير من عباده المؤمنين قال الله تعالى اخبارا عنه رب اغفر لى وهب لى ملكا لاينبغى لاحد من بعدى انك أنت الوهاب فاجاب الله دعاءه وأكرمه

عن الطريق الجادة فأخذت طريقا غير الطريق التى كنت ماشيا فيها فصرت أمشى ثلاثة أيام بلياليها ما خطر على ذكر طعام ولا شراب ولا حاجة مطلقا حتى انتهيت الى برية خضراء فيها من كل الثمرات والرياحين ورأيت فى وسطها بحيرة فلما رأيتها قلت هذه جنة وصرت متعجبا فبينما أنا كذلك اذا بنفر قد أقبلوا على سيماهم سيما الآدميين وعليهم المرقعات الحسان فأتوا الى وسلموا على فقلت وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته ثم وقع فى خاطرى سؤالهم عن كونهم من الجن أم من الانس وان البقعة بقعة غريبة فقال قائل منهم قد جرت بيننا مسئلة واختلفنا فيها ونحن نفر من الجن قد سمعنا كلام الله من نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ليلة من الليالى فسلبتنا نغمة كلامه جميع الدنيا وقد قيض الله لنا هذه البحيرة فى هذه البرية قال ابراهيم فقلت كم بينى وبين أصحابى وهل حضر هذا الموضع غيرى فقالوا ان هذا الموضع لم يحضر اليه آدمى قبلك غير شاب من أصحابك وتوفى هنا وهذا قبره ثم أشاروا الى شفير تلك البحيرة فرأيت قبرا وحوله رياحين ورياض خضراء لم أر أحسن منها ثم قالوا أتدرى كم بينك وبين أصحابك فقلت الله أعلم

بخصائص

بخصائص لم يكرم بها احدا من خلقه قبله ولا بعده فمنها تستخير الله له الريح كما قال عز وجل فسخرنا له الريح تجرى بامره رخاء حيث أصاب أى أراد بلغة حمير (قال) محمد بن اسحق وغيره من أصحاب الاخبار كان سليمان عليه السلام رجلا غزاء لا يكاد يقعد عن الغزو وكان لا يسمع بملك فى ناحية من الارض الا أتاه حتى يذله ويقهره وكان اذا أراد الغزو أمر بعسكره فيضرب له خشب ثم ينصب له على الخشب سرير ثم يحمل عليه الناس والدواب وآلة الحرب كلها حتى اذا حمل معه ما يريد أمر العاصف من الريح فدخلت تحت تلك الخشب فحملتها حتى اذا استقلتها أمر الرخاء فمرت به شهرا فى غدوته وشهرا فى روحته الى حيث أراد كما قال تعالى ولسليمان الريح غدوها شهر ورواحها شهر وقال ابن اسحق ذكر لى أن رجلا نزل منزلا من ناحية الدجلة فوجد فيه كتابا مكتوبا كتبه بعض أصحاب سليمان اما من الجن أو من الانس نحن نزلناه وما بنيناه ومبنيا وجدناه غدونا من اصطخر فقلناه ونحن رائحون ان شاء الله تعالى فبائتون الشام قال وكان فيما بلغنى تمر بعسكره الريح الرخاء تهوى به الى حيث أراد وانها التمر بالمزرعة فلا تحركها وأخبرنا الحسن بن محمد بن فتحويه باسناده عن وهب بن منبه عن أبيه قال ان سليمان عليه السلام ركب الريح يوما فمرت بحراث فنظر اليها الحراث وقال لقد أوتى آل داود ملكا عظيما فحملت الريح كلامه وألقته فى أذن سليمان عليه السلام فنزل حتى أتى الحراث وقال له انى سمعت قولك وانما نزلت اليك لئلا تتمنى ما لا تقدر عليه ان تسبيحة واحدة يقبلها الله منك خير مما أوتى آل داود فقال له الحراث أذهب الله همك كما أذهبت همى (وقال مقاتل) نسجت الشياطين لسليمان عليه السلام بساطا فرسخا فى فرسخ ذهبا فى ابريسم وكان يوضع له منبر من الذهب فى وسط البساط فيقعد عليه وحوله ثلاثة آلاف كرسى من الذهب والفضة فيقعد الانبياء على كراسى الذهب والعلماء على كراسى الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظلهم الطير باجنحتها لئلا تقع عليهم الشمس وترفع ريح الصبا البساط مسيرة شهر من الصباح الى الرواح ومسيرة شهر من الرواح الى الصباح (أخبرنا) ابن فتحويه باسناده عن محمد بن كعب القرظى قال بلغنى ان عسكر سليمان عليه السلام كان مائة فرسخ خمسة وعشرون منها للانس وخمسة وعشرون منها للجن وخمسة وعشرون منها للوحوش وخمسة وعشرون منها للطيور وكان له ألف بيت من القوارير على الخشب فيها ثلثمائة سرير وسبعمائة امرأة فيأمر الريح العاصفة فتحمله ويأمر الرخاء فتسير به فاوحى الله تعالى اليه وهو سائر بين السماء والارض انى قد زدت فى ملكك أنه لا يتكلم أحد من الخلائق بشئ الا جاءت الريح به اليك فأخبرتك به (ومنها) تعليم الله له كلام الطير حتى النمل كما قال تعالى يا أيها الناس علمنا منطق الطير الآية (قال ابن فتحويه) باسناده عن كعب الاحبار قال صاح ورشان عند سليمان فقال أتدرون ما يقول قالوا لا فقال انه يقول لدوا للموت وابنوا للخراب وصاحت فاختة عند سليمان فقال أتدرون ما تقول قالوا لا قال انها تقول ليت ذا الخلق لم يخلقوا وصاح طاوس فقال اتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول كما تدين تدان وصاح هدهد فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول من لا يرحم لا يرحم وصاح صرد فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول استغفروا الله يا مذنبين فمن ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتله قال وصاح الطيطوى فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول كل حى ميت وكل جديد بال قال وصاح خطاف فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول قدموا خيرا تجدوه فمن ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتله وهدرت حمامة فقال أتدرون ما تقول قالوا لا قال انها تقول سبحان ربى الاعلى ملء سمائه وملء أرضه وصاح قمرى فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول سبحان الحى الذى لا يموت أبدا وصاح غراب فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال فانه يلعن العشارين والحدأة تقول كل شئ هالك الا وجهه والقطا تقول من سكت سلم والعنقاء تقول ويل لمن الدنيا همه والبازى يقول سبحان ربى الاعلى وبحمده والضفدع يقول سبحان ربى القدوس والعصفور يقول سبحان المذكور بكل مكان (وأخبرنا ابن ميمون) باسناده عن مكحول قال صاح دراج عند سليمان عليه السلام فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال فانه يقول الرحمن على العرش استوى وباسناده عن صالح المرى عن الحسن قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الديك اذا صاح يقول اذكروا الله يا غافلين (وروى) عن جعفر بن محمد الصادق عن أبيه عن جده عن الحسين بن على عليهم السلام انه قال اذا صاح النسر يقول يا ابن آدم عش ما شئت فان آخرك الموت واذا صاح العقاب قال فى البعد عن الناس أنس واذا صاح القنبر قال اللهم العن مبغضى آل محمد واذا

فقالوا امسيرة سنة قال ابراهيم فتعجبت من ذلك فقلت أخبرونى عن الشاب صاحب هذا القبر فقال قائل منهم بينما نحن قعود على شفير هذه البحيرة نتذاكر المحبة ونتحاور فيها اذا نحن بشخص قد أقبل الينا وسلم علينا فرددنا عليه السلام وقلنا له من أين أقبل الشاب فقال من مدينة سابور فقلنا له منى خرجت منها فقال منذ سبعة أيام فقلنا له وما الذى أزعجك منها وأخرجك من وطنك فقال سمعت قوله تعالى وأنيبوا الى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لا تنصرون فقلنا له ما معنى الانابة وما معنى التسليم وما معنى العذاب فقال الانابة أن يرجع بك منك اليه ولم يذكر التسليم فى الاصل ولعله أراد أن العبد يسلم نفسه لله تعالى ويعلم أنه أولى به ثم قال والعذاب وصاح صيحة عظيمة ومات رحمة الله عليه فواريناه بالتراب وهذا قبره رضى الله تعالى عنه قال ابراهيم فتعجبت مما وصفوه لى فدنوت الى قبره فوجدت عنده باقة نرجس كانها رحا عظيمة ومكتوب على ورقة منها هذا حبيب الله قتيل الغيرة وعلى ورقة أخرى صفة الانابة قال ابراهيم فقرأت لهم ما هو مكتوب على النرجس وفسرته لهم فوقع بهم الطرب فلما أفاقوا قالوا قد وجدنا جواب مسئلتنا فوقع النوم

صاح الخطاف قرأ الحمد لله رب العالمين و يمد الضالين كما يمدها القارئ (وقال فرقد السنجي) مر سليمان ببلبل فوق شجرة وهو يحرك رأسه و يميل ذنبه فقال لاصحابه أتدرون ما يقول هذا البلبل قالوا الله و رسوله أعلم قال انه يقول أكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفاء (وأخبرنا) أبو عبد الله بن حامد باسناده عن ابن مسعود عن أبيه قال كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في سفرة فمررنا بشجرة فيها فرخا حمامة فاخذناهما فجاءت الحمامة وشكت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم من فجع هذه الحمامة بفرخيها فقلنا نحن فقال ردوهما الى موضعهما (وروى) ان قنبرة باضت في طريق سليمان عليه السلام فقال الذكر للانثى ألم أنهك أن تبيضي في طريق سليمان الملك لو ركب البناء لحطم بيضنا فقالت الانثى و يحك ان نبي الله أرحم بنا من ذلك فسمع سليمان قولهما فبعث اليهما جنيا حين أراد أن يركب وقال اجعل بيضهما تحت رجليك واياك أن تصيبه بشيء فلما مر سليمان في موكبه وجاوزهما قالت الانثى ألم أقل لك ان نبي الله أرحم بنا من ذلك فقال الذكر للانثى عندي للملك هدية قالت وما عندك قال عندي جرادة ادخرتها لولدي فقالت الانثى عندي تمرة ادخرتها لولدي قال فاخذ التمرة والجرادة ثم طارا حتى وقفا بين يدي سليمان وهو على سريره في مجلسه فوضعاهما بين يديه وسجدا له فدعا لهما ومسح بيده على رؤسهما فيروى ان هذه القشرة التي على رأس القنبر من مسح سليمان عليه السلام اياهما * قال ومر سليمان بموكبه على نملة فقالت النملة سبحان الله العظيم ما أعظم ما أوتي آل داود فتبسم سليمان من قولها وفسر قولها لجنوده ثم قال ألا أنبئكم بخبر هو أعجب من هذه النملة قالوا بلى قال تقولوا اتقوا الله في السر والعلانية والقصد في الغنى والفقر والعدل في الغضب والرضا (وروى) ان سليمان عليه السلام خرج يوما يستسقي ومعه الانس والجن فمر بنملة عرجاء ناشرة جناحيها رافعة يديها وهي تقول اللهم انا خلق من خلقك لاغنى لنا عن رزقك فلا تؤاخذنا بذنوب بني آدم واسقنا فقال سليمان لمن معه ارجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم (وحكى) ان نملة دبت على سليمان فحملها ورمى بها فوقعت النملة فقالت ما هذه الصولة وما هذا البطش أما علمت اني أمة من أنت عبده فغشي على سليمان فلما أفاق قال ائتوني بها فأتوه بها فسألها فقالت له جلدي رقيق و بدني ضعيف وأخذتني و رميتني فقال لها سليمان اجعليني في حل فاني لم أقصد ذلك فقالت بشرط أن لا تنظر الى الدنيا بعين الشهوة ولا تستغرق في شهواتك وضحكك ولا يستعين أحد بجاهك الا بذلته له قال قد فعلت ذلك قالت فانت في حل (ومنها قصة وادي النمل) قال الله تعالى وحشر لسليمان جنوده من الجن والانس والطير فهم يوزعون أي يحبس أولهم على آخرهم حتى اذا أتوا على وادي النمل الآية قال الشعبي وكعب وغيرهما من أهل الكتب ان سليمان عليه السلام كان اذا ركب حمل أهله وحشمه وخدمه وكتابه في مركبه الذي هيء له وقد اتخذ فيه مطابخ ومخابز يحمل فيها تنانير الحديد وقدورا عظاما يسع كل قدر عشرة من الجزر وقد اتخذ ميادين للدواب امامه فيطبخ الطباخون ويخبز الخبازون وتجري الدواب بين يديه بين السماء والارض والريح تهوي بهم فسار من اصطخر الى اليمن وتوغل في البادية فسلك في مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم فقال سليمان هذه دار هجرة نبي يبعث في آخر الزمان طوبى لمن آمن به واتبعه ثم أتى أرض الحرم فرأى حول البيت أصناما تعبد من دون الله فجاوز البيت فلما جاوزه سليمان بكى البيت فأوحى الله تعالى الى البيت ما يبكيك فقال يارب هذا نبي من أنبيائك وقوم من أوليائك مروا علي فلم يهبطوا بي ولم يصلوا عندي ولم يذكروك بحضرتي وهذه الاصنام تعبد حولي من دونك قال فأوحى الله تعالى اليه لاتبك فاني سوف أملؤك وجوها سجدا الي وأنزل فيك قرآنا جديدا وأبعث منك في آخر الزمان نبيا هو أحب الانبياء الي وأجعل فيك عبادا من خلقي يعبدونني وافرض على عبادي فريضة يزفون بها اليك زفا مثل زفيف النسور الى أوكارها ويحنون اليك حنين الناقة الى ولدها والحمامة الى بيضها واطهرك من الاوثان وعبدة الشيطان ثم أمر الله سليمان عليه السلام ان ينزل عليه و يصلي فيه و يقرب عنده قربانا ففعل ذلك قال فذبح عند الكعبة خمسة آلاف ناقة وخمسة آلاف ثور وعشرين ألف شاة وقال لمن حضر من أشراف قومه ان هذا المكان يخرج منه نبي عربي و يعطى النصر على جميع من ناواه و يكون السيف على رقبة من خالفه وتبلغ هيبته مسيرة شهر القريب والبعيد عنده سواء لاتأخذه في الله لومة لائم فطوبى لمن أدركه وصدقه قالوا فكم بيننا و بين خروجه يانبي الله قال قريب من ألف عام (قال) ثم ان سليمان مضى حتى أتى على وادي السدير وادمن طائف فأتى على وادي النمل

على فلما انتهت الاقر يامن أصحابي بمسجد عائشة رضي الله تعالى عنها فوجدت في وطائي باقة نرجس فكثت معي سنة كاملة لم تتغير فلما كان بعد مدة يسيرة فقدتها فأسفت عليها أسفا شديدا ورجعت باكيا حزينا (وحكى) بعضهم رضي الله تعالى عنه أنه قال رأيت في منامي كان أهل القبور قد خرجوا من قبورهم الى ظاهر المقبرة فاذاهم يلتقطون شيأ لا أدري ما هو فتعجبت من ذلك ورأيت رجلا منهم جالسا منفردا وحده لم يلتقط معهم فدنوت منه فسلمت عليه وسألته ما الذي يلتقطه هؤلاء فقال يلتقطون ما يهدي المسلمون من القراءة والصدقة والدعاء فقلت له لم لا تلتقط معهم فقال اني غني عن ذلك فقلت له باي شيء أنت غني فقال بختمة يقرؤها ولدي يهديها الي في كل يوم وليلة فقلت وأين هو فقال شاب يبيع الزلابية في السوق الفلاني قال فلما استيقظت من نومي ذهبت الى السوق فاذا بشاب جالس يبيع الزلابية و يحرك شفتيه فاتيت اليه وقلت له باي شيء تحرك شفتيك فقال بختمة أقرؤها وأهدي ثوابها الى والدي في قبره قال فكثت بعد ذلك مدة من الزمان فرأيت في بعض الليالي كأن

فقامت نملة تمشي وكانت عرجاء تتكاوس وكانت مثل الذئب العظيم وقال الشعبي كانت ذات جناحين واختلفوا في اسمها فاخبرني ابن ميمونة باسناده عن الضحاك قال كان اسم نملة سليمان طاخية وقيل حرمى فنادت لما رأت سليمان في موكبه يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون وكان لا يتكلم خلق الا حملته الريح وألقته في مسامع سليمان قال مقاتل فسمع سليمان كلامها من ثلاثة أميال فتبسم ضاحكا من قولها وقال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي الآية وفي بعض الاخبار ان سليمان لما سمع قولها نزل عليها وقال ائتوني بها فأتوه بها فقال لها لم حذرت النمل هل سمعتم اني ظالم أما علمت اني نبي عدل فلم قلت لا يحطمنكم سليمان وجنوده قالت النملة يا نبي الله أما سمعت قولي وهم لا يشعرون مع اني ما أردت حطم النفوس وانما أردت حطم القلوب خشيت أن يتمنين ما أعطيت فيفتتن ويشتغلن بالنظر اليك عن التسبيح فقال لها عظيني فقالت له النملة هل علمت لم سمى أبوك داود قال لا قالت لانه داوى جراحة قلبه ثم قالت وهل تدري لم سميت سليمان قال لا قالت لانك سليم وكنت الى ما أوتيت بسلامة صدرك وحق لك أن تلحق بأبيك داود ثم قالت أتدري لم سخر الله تعالى لك الريح قال لا قالت ليخبرك ان الدنيا كلها ريح فتبسم ضاحكا من قولها متعجبا وقال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي الآية أخبرني ابن ميمونة باسناده عن ابن عباس قال نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل أربعة من الدواب الهدهد والصرد والنحلة والنملة (ومنها قصة العنقاء في اثبات القضاء والقدر) أخبرنا أبو محمد عبد الله بن حامد باسناده عن محمد بن جعفر الصادق قال عاتب سليمان الطير في بعض عتابه فقال لها انك تأتين كذا وتفعلين كذا فقالت والله رب السماء والثرى انا لنحرص على الهدى ولكن قضاء الله يأتي الى منتهى علمه وقدره قال صدقت لا حيلة في القضاء فقالت العنقاء لست أومن بهذا فقال لها سليمان ألا أخبرك بأعجب العجب قالت بلى قال انه ولد الليلة غلام بالمغرب وجارية بالمشرق هذا ولد ملك كبير وهذه ابنة ملك والجارية والولد يجتمعان في أمنع المواضع بقدرة الله تعالى وأهولها على سفاح في جزيرة في وسط البحر فقالت العنقاء يا نبي الله أوقد ولد هذان الولدان المذكوران قال نعم الليلة قالت فهل أخبرت بهما من هما وما اسمهما واسم أبيهما قال بلى اسمهما كذا وكذا واسم أبيهما كذا وكذا فقالت العنقاء يا نبي الله أنا أبطل القدر وأفرق بينهما فقال لها سليمان انك لا تقدرين على ذلك قالت بلى فاشهد سليمان عليها الطير وكفلتها البومة فمرت العنقاء وكانت في كبر الجمل عظما ووجهها وجه انسان ويداها يدا انسان وثدياها ثديا امرأة وأصابعها كذلك فحلقت في الهواء حتى أشرفت على الدنيا فابصرت كل دار وما فيها وكل انسان وأبصرت الجارية وهي في مهدها وقد أجلسوها فاختلست الجارية من المهد وطارت بها حتى انتهت الى جبل شاهق في السماء في جوف البحر وسط جزيرة وفي الجزيرة شجرة عالية لا ينالها طائر الا بجهد طيرانه ولها أغصان عظيمة تزيد على ألف غصن كل غصن كأعظم ما يكون من شجر الارض كثيرة الورق فاتخذت لها وكرا في وسط الشجرة عجيبا واسعا مضيا وطيا وأرضعتها وحضنت الجارية تحت جناحها وصارت تأتيها بأنواع الطعام والشراب وتحفظها من البرد والحر وتؤنسها بالليل ولا تخبر أحدا بشأنها كي يتم أمرها وهي تغدو الى سليمان وتروح الى وكرها فعلم سليمان بذلك ولم يبده لها فبلغ الغلام مبلغ الرجال وصار ملكا من ملوك الدنيا وكان يلهو بالصيد ويحبه ويطلبه فصار لا يقر ليلا ولا نهارا وكان أبوه ملكا عظيما فلما رأى الملك ولده لاهيا بالصيد لم يزجره عنه حتى نال منه منالا طويلا وأمرا عظيما فقال يوما لاصحابه كل صيد البر وفلواته ومفازاته قد نلت منه فلو ركبت البحر فأنال من صيده فانه كثير الصيد وكثير العجائب فقال له المشيرون من وزرائه نعم ما رأيت وهو أكثر شيء من خلق الله صيدا وعجائب فأمر الغلمان بتجهيز ما يحتاجون اليه وهيأ السفن وجعل يأخذ من كل شيء يملكه وأخذ من الوزراء والندماء والمشيرين والغلمان والجوار والطباخين والخبازين والدواب والبزاة والصقور وكلاب الماء وجميع ما يحتاجون اليه مما يريده ويشتهيه من الملاهي وركب السفن ومر في البحر كذلك يتصيد ويتلذذ بالفرح ولا يعرف شيأ غير ذلك حتى سار مسيرة شهر فأرسل الله تعالى على سفينته ريحا خفيفة فضربتها وساقتها حتى قربت من جزيرة العنقاء والجارية وهي مسيرة خمسين سنة في منتهى خمسين ليلة كل ليلة مسيرة سنة ثم ركدت سفينته باذن الله تعالى وأصبح الغلام فرأى سفينته راكدة فأخرج رأسه من ناحية ونظر فاذا هو بجبل شاهق في وسط جزيرة في البحر في لون الزعفران طويلة لا يدرى أين منتهاها ولا عرضها واذا هو بشجرة خضراء في رأس الجبل

رأيت أولا وهو أن أهل القبور يلتقطون واذا بالرجل يلتقط معهم كما يلتقطون فاستيقظت متعجبا وذهبت الى السوق لانظر ما فعل بالشاب فوجدته قد مات رحمة الله تعالى عليه فسألت الله تعالى أن يريني مقامات أهل المقابر فرأيت في نومي كأن القيامة قد قامت والقبور قد انشقت فاذا منهم النائم على السندس ومنهم النائم على الحرير والديباج ومنهم النائم على الريحان ومنهم النائم على السرير ومنهم الضاحك ومنهم الباكي فقلت يارب لو شئت ساويت بينهم في الكرامة الواحدة فنادى مناد من أهل القبور يا هذا انما هي منازل الاعمال ومحطات الرجال (فأما) أصحاب السندس فهم أهل الخلق الحسن (وأما) أصحاب الحرير والديباج فهم الشهداء (وأما) أصحاب الريحان فهم الصادقون (وأما) أصحاب الضحك فهم أصحاب التوبة (وأما) أصحاب البكاء فهم المذنبون قال فاستيقظت من نومي مفكرا فيهم رحمة الله تعالى عليهم أجمعين ورحمنا والمسلمين آمين بجاه سيد المرسلين (وحكى عن صالح المرى رضي الله تعالى عنه أنه قال) أقبلت ليلة جمعة الى الجامع فمررت على مقبرة فجلست عند قبر هناك فغلبني النوم فنمت فرأيت في منامي

ملتفة كثيرة الاغصان والاوراق ورقها في عرض آذان الفيلة تفوح بريح الاقحوان ليس لها ثمر بيضاء الساق فقال لاصحابه اني أرى عجبا أرى جبلا شاهقا في وسط جزيرة لم أر مثله ولا مثل طوله ولا عرضه وأرى شجرة فيها كل حسن قد أعجبني منظرها ثم انه حرك سفينته وجاء بها الى الجزيرة التي فيها الجبل وأرساها عندها وقال لاصحابه أقيموا ههنا حتى أمضي وأبصر هذه الجزيرة وهذا الجبل الذي في وسطها هل هو عمارة أو أثر آدمي في تلك الجزيرة وآتيكم بخبرها ثم انه نزل من السفينة هو ورفقته وداروا في الجزيرة فلم يروا فيها أثر عمارة ولا عبر بها آدمي قبله ثم انه صعد الى رأس الجبل فرأى أصل الشجرة وكانت الجارية قد نظرت الى السفينة وهي جارية فلم تعرف ماهي لانها أخذت صغيرة ولم تدر ما السفن فبقيت متعجبة وليس عندها أحد تسأله عن ذلك فبينما هي متفكرة في أمر السفينة اذا حس حديث الآدميين فأخرجت رأسها من الوكر فنظرت يمينا وشمالا فلم تر أحدا فنظرت في أصل الشجرة فاذا بالغلام ورفقته فتعجبت منهم لما رأت من حسنهم وجمالهم وكيف وصلوا الى ذلك الموضع وأن الغلام لما بلغ أصل الشجرة نظر يمينا وشمالا وبقي متعجبا من أصل تلك الشجرة ورفعها في السماء وصار ينظر الى أغصانها وكانت الجارية قد أخرجت رأسها لتنظر الى السفينة فخانت منها التفاتة الى أصل الشجرة فوقعت عينها في عين الغلام فرأى الغلام صورتها ورأى عجبا من عظم جمالها وكثرة شعرها وذوائبها فقال لها الغلام بلسان فصيح أجنية أنت أم انسية قالت لا والله أنا من خيار الانس فمن أنت فافهمها لغته فقالت لا أدري ما تقول وما أنت الا اني أرى وجهك كوجهي وكلامك ككلامي واني لا أعرف شيأ غير العنقاء وهي أمي التي ربتني وحضنتني وهي تأتيني كل ليلة وتسميني بنتها فقال لها الغلام وأين العنقاء فقالت هي في نوبتها فقال الغلام وما نوبتها قالت تغدو كل يوم الى ملكها سليمان فتسلم عليه وتقيم عنده الى الليل ثم تجيئني وتحدثني بكل ما يحكم به سليمان وانه الملك عظيم على ما تصفه لي أمي العنقاء من ملكه وانها تخبرني انه أحسن الناس وجها وأتم خلقا مني قال فارتعد الغلام ثم قال عرفته وهو الذي قتل أبي وسبى دولته واني ابن طلقائه وممن يؤدي اليه الخراج وقد سخر الله له الطير والرياح ثم بكى الغلام ساعة فقالت له الجارية ما يبكيك قال على وحدتك في مثل هذا الموضع الذي لا أنيس فيه ولا أحد وان مثلك في الدنيا عدد الشجر والمدر وكلهم في مقاصير الذهب والفضة والعيش الهنيء الرغد واللذة الحسنة مع الازواج يتعانقون ويتنعمون ويتوالدون الاولاد مثل خلقك وخلقي أرأيت ان هاجت الريح فازعجتك من وكرك من يمنعك أن تقعي في البحر وان وقعت في البحر فمن ذا الذي يخرجك قال ففزعت الجارية من قوله قالت وكيف لي أن يكون معي انسي مثلك يحدثني بمثل حديثك ويحفظني مما ذكرت فقال لها الغلام أولا تعلمين ان الله اتخذ سليمان نبيا وسخر له الريح والطير وهو الذي رحمك وساقني اليك لأكون لك الفا وصاحبا وأنيسا واني لمن أولاد الملوك فقالت له الجارية وكيف تصبر لي وأصبر اليك وان العنقاء هذه تروح وتجيء وتحضنني الى صدرها بين جناحيها فقال لها الغلام تكثرين حزنك ووحشتك وبكاءك على العنقاء لتلك هذه فاذا جاءت اليك وقالت لك ما تحبين وما تريدين وما شأنك فأخبريها بوحدتك في نهارك ثم انظري ما يكون من ردها اليك فاخبريني بذلك ففعلت وان العنقاء رجعت اليها فوجدتها باكية حزينة فقالت لها يابنية مالك فقالت الوحدة والوحشة قتلتني واني لمنزعجة على نفسي من ذلك فقالت لها يا بنية لا تخافي ولا تحزني فاني أستأمر سليمان عليه السلام ان آتيه يوما ويوما لا آتيه فيكون ذلك أنسا لك فلما أصبحت أخبرت الغلام بجوابها فقال لها أو تصبرين على ذلك لا ولكني سأنحر من دوابي هذه فرسا أبقر بطنه وأخرج ما فيه وأطيبه بطيب معي وأدخل أنا في جوفه وألقيه على رأس سفينتي هذه فاذا جاءتك العنقاء تقولين لها أرى عجبا أرى خلقة ملقاة على كوثل هذه السفينة فلو اختطفتيها وحملتيها الي فكانت معي في وكري فأنظر اليها وآنس بها كان أحب الي من كونك عندي نهارا وامساكا عن أخبار سليمان وأخبار المسلمين فلما رجعت العنقاء وجدتها على حالتها وكان سليمان قد شغل عنها فلم تصل اليه في استئذانها اياه في المقام يوما والغدو يوما فقالت لها يا بنية ان نبي الله قد اشتغل عني اليوم بالحكم بين الآدميين فلم أصل اليه قالت لها اني لا أريد ان تتخلفي عنه نهارا لمكان أخبار سليمان وأخبار المسلمين واني أرى عجبا في البحر أرى شيأ مرتفعا فاهو قالت لها العنقاء هذه سفينة قوم سيارة راكبين في البحر قالت فما الذي أراه ملقى على رأس هذه السفينة قالت دابة ميتة أتقوها قالت فاحمليها الي لاستأنس بها وانظر اليها فنقضت العنقاء فاختطفت الفرس وكان الغلام في

بطنها

كان أهل القبور قد خرجوا من قبورهم وقعدوا حلقا يتحدثون واذا بشاب عليه ثياب دنسة جالس بجانب القبر مهموما مغموما فريدا بنفسه ثم لم يلبثوا الا ساعة حتى أقبلت الملائكة بايديهم أطباق من نور مغطاة بمناديل من نور فأخذ كل واحد منهم طبقا من تلك الاطباق ودخل في قبره الا هذا الشاب فتعلقت به وقلت له يا عبد الله مالي أراك حزينا وما هذه الاطباق فقال هذه صدقات الاحياء ودعاؤهم لموتاهم تأتيهم كل ليلة جمعة ويومها ثم بكى بكاء شديدا وذكر ان له والدة قد اشتغلت عنه بالدنيا وتزوجت وتركته وقد تخلف له الحزن والبكاء والنحيب اذ ليس له من يذكره قال صالح فسألته عن منزل والدته أين هو فوصف لي الموضع فلما أصبحت ذهبت الى بيت والدة الشاب وطرقت عليها الباب فكلمتني من خلف الستر فقصصت عليها القصة فلما سمعت ذلك بكت بكاء شديدا ثم قالت يا صالح خذ هذا الالف درهم فتصدق بها على ولدي وقرة عيني وأنا لم أنسه بقية عمري ان شاء الله تعالى قال صالح فتصدقت عليه بتلك الدراهم فلما كانت الجمعة الاخرى أقبلت أريد المسجد على العادة فأتيت المقبرة وأسندت ظهري الى القبر

بطنها فحملتها الى عشها فقالت الجارية يا أماه ما أحسنها وضحكت ففرحت العنقاء بذلك وقالت يا بنية لو علمت لكنت أتيتك بمثل هذا منذ حين ثم انها طارت الى نوبتها عند سليمان فخرج الغلام من بطن الفرس ولاعبها ولامسها وافتضها وأحبلها من ساعتها وفرح كل واحد منهما بصاحبه واستأنس به وكان سليمان عليه السلام قد جاءه الخبر باجتماعهما من قبل الريح وان العنقاء راحت وكان مجلس سليمان يومئذ مجلس الطير وحكمهم فجلس سليمان عليه السلام للطير فى مرتبته ودعا بعرفاء الطير وأمرها أن لا تدع طيرا الا حشرته اليه فحشرت اليه جميع الطيور ثم أمر عرفاء الجن أن يحشر واقبائل الجن من سكان البحر وسكان الجزائر والهواء والمغارات والفلوات والامصار فحشر واليه وأمر الشياطين فاحضرت كذلك وكذلك الانس كهيئتهم ثم كل دابة تدب على وجه الارض فاشتد الخوف وقالوا فى أنفسهم نشهد بالله أن نبى الله قد أهمه أمر عظيم فأول سهم قد خرج فى تقديم الطير سهم الحدأة وكانت الطير لا تتقدم الا بالسهام وكذلك الجن والشياطين فتقدمت الحدأة تدعى على زوجها وكان قد جحدها ولدها فقالت يا نبى الله انه سفدنى حتى اذا احتضنت بيضى وأخرجت ولدى جحدنيه فقال سليمان للذكر ما تقول فقال يا نبى الله انها لا تمتنع من الطير وهى تحوم البرارى فلا أدرى هل هو منى أو من غيرى قال فأمر سليمان بولدها فجىء به فوجد الشبه واحدا فألحقه بالذكر ثم قال لها لا تمكنيه من السفاد حتى تشهدى عليه بذلك الطير بالصراخ فانه لا يجحدك بعدها أبدا الى يوم القيامة فهى اذا سفدها ذكرها صاحت وقالت يا طيور سفدنى اشهدوا يا معاشر الطيور اشهدوا ثم خرج سهم العنقاء فتقدمت اليه فقال لها سليمان ما قولك فى القدر فقالت يا نبى الله لى من القوة والاستطاعة ما أدفع الشر وأفعل الخير فقال لها سليمان فاين الشرط الذى كان بينى وبينك زعمت انك تفرقين بقوتك واستطاعتك بين الجارية والغلام فقالت قد فعلت قال سليمان الله أكبر فائتينى بها الساعة والخلق شهود لاعلم صدق قولك ثم أمر عريف الطير أن يكون معها لا يفارقها حتى تأتى بها فمرت العنقاء حتى قربت من الجارية وكانت الجارية اذا قربت منها العنقاء تسمع حفيف أجنحتها فيبادر الغلام ويدخل جوف الفرس فلما رأتها البنت قالت لها ما الفزعة ان لك شأنا اذ رجعت من ساعتك قالت لها أى لعمرى ان لى شأنا هذا سليمان قد أمر باحضارك الساعة لامر كان بينى وبينه فى أمرك وانى لارجو نصرتى اليوم فيك قالت لها كيف تحملينى قالت على ظهرى قالت وهل أستقر على ظهرك وانى أرى أهوال البحر فلا آمن أن أزال فاسقط وأهلك قالت فى منقارى قالت فكيف أصبر فى منقارك قالت لها كيف أصنع ولا بد لى من احضارك عند سليمان وهذا عريف الطير معى وقد دعا بكفيلتى البومة فقالت لها أدخل فى جوف هذا الفرس ثم ترفعينه على ظهرك أو فى منقارك فلا أرى شيأ ولا أسقط ولا أفزع من شئ قالت أصبت قال فدخلت جوف الفرس واجتمعت مع الغلام وحملت العنقاء الفرس فى منقارها وطارت حتى وضعت الفرس بين يدى سليمان عليه السلام فقالت يا نبى الله هى الآن فى جوف الفرس فاين الغلام فتبسم سليمان طويلا ثم قال لها أتؤمنين بقضاء الله وقدره وانه لا حيلة لاحد فى دفع قضائه وقدره وعلمه السابق الكائن من خير وشر فقالت أومن بالله وأقول ان المشيئة الى العباد والقوة فمن شاء فليفعل خيرا أو شرا قال سليمان كذبت ما جعل الله من المشيئة للعباد شيأ ولكن من شاء الله أن يكون سعيدا كان سعيدا ومن شاء أن يكون كافرا كان كافرا ولا يقدر أحد أن يدفع قضاء الله وقدره بحيلة لا بفعل ولا بعلم وان الغلام الذى قد ولد بالمغرب مع الجارية التى ولدت بالمشرق قد اجتمعا الآن فى مكان واحد على سفاح وقد حملت الجارية من الغلام بولد فقالت العنقاء لا تقل يا نبى الله هذا فان الجارية معى فى جوف هذا الفرس فقال سليمان الله أكبر أين البومة المتكفلة بالعنقاء قالت ها أنا يا نبى الله قال سليمان أنت على مثل قول العنقاء قالت نعم فقال سليمان قدر الله السابق قبل الخلق أخرجهما على قضائه ومشيئته قال فأمر البومة ففتحت جوف الفرس وأخرجتهما جميعا من جوف الفرس فأما العنقاء ففزعت وذهبت وطارت فى السماء فأخذت نحو المغرب واختفت فى بحر من بحاره وآمنت بالقدر وحلفت لا تنظر فى وجه طير أبدا استحياء منه وأما البومة فانها لزمت الآجام والجبال وقالت اما بالنهار فلا خروج لى ولا سبيل الى المعاش فهى اذا خرجت نهارا وبختها الطير واجتمعت عليها وقالت لها يا قدرية فهى تخضع لهذا وهذا ما كان من شأن العنقاء والبومة فى القضاء والقدر والله أعلم بالغيب (ومنها) تخصيص الله تعالى سليمان عليه السلام بالحيا

فنمت فاذا بالناس قد خرجوا من قبورهم واذا بالشاب عليه ثياب بيض وهو فرح مسرور فاقبل نحوى حتى دنا منى وقال جزاك الله عنى خيرا يا صالح قد وصلت الهدية قال صالح فقلت له أنتم تعرفون يوم الجمعة فقال نعم وان الطيور يعرفون يوم الجمعة ويقولون ليوم الجمعة سلام سلام اللهم ارحمنا برحمتك واغفر لنا وللمسلمين ﴿وحكى عن ذى النون المصرى رضى الله تعالى عنه﴾ أنه قال بينما أنا سائر فى واد من الاودية اذ مررت على واد كثير الاشجار والنبات فتعجبت من خضرته وأنهاره وكثرة عشبه وأزهاره فسمعت صوتا أهطل مدامعى وهيج بلبالى فتبعت الصوت حتى أوقفنى بباب مغارة فاذا فيها رجل من أهل التعبد والاجتهاد فسمعته يقول سبحان من أوصل الفهم الى عقول ذوى البصائر فهى لا تعتمد الا عليه سبحان من أورد حياض المودة نفوس أهل المحبة فهى لا تحن الا اليه ثم أمسك فقلت السلام عليك يا حليف الاحزان وقرين الاشجان فقال عليك السلام يا ذا النون ما الذى أوصلك الى من أفرده خوف المسئلة عن الانام فاشتغل بمحاسبة نفسه عن التلفظ بالكلام قال ذو النون فقلت له أوصلتنى اليك الرغبة فى الصفح والاعتذار والتماس المواهب من قلوب المقربين الابرار

الجياد العراب التى أخرجها له من البحر فى قول أكثر أهل الاثر قال الله تعالى اذ عرض عليه بالعشى الصافنات الجياد والصافنات الخيل القائمات على ثلاث قوائم وقد أقامت الاخرى على طرف الحافر من يد أو رجل والجياد السراع قال الحسن بلغنى أنها كانت خيلا خرجت من البحر لها أجنحة وقال الكلبى غزا سليمان أهل نصيبين فأصاب منهم ألف فرس وقال مقاتل ورث سليمان من أبيه داود ألف فرس وكان أبوه أصابها من العمالقة قالوا فصلى سليمان صلاة الظهر وقعد على كرسيه فعرض عليه منها تسعمائة فاشتغل بحسنها وكثرتها والاعجاب بها حتى غابت الشمس وفاتته صلاة العصر ولم يعلمه أحد بذلك هيبة له فاغتم لذلك وقال ردوها على فردوها فعرقبها وعقرها بالسيف وقربها الى الله تعالى وبقى منها مائة فرس فما فى أيدى الناس من الخيل العراب فهى من نسل تلك المائة (وقال كعب) كانت الافراس أربعة عشر فأمر بضرب أعناقها وسوقها بالسيف وقتلها فسلب الله ملكه أربعة عشر يوما لانه ظلم الخيل بقتلها قال الحسن فلما عقر الخيل لاجل الله تعالى أبدله الله تعالى مكانها خيرا منها وأسرع وهى الريح تجرى بأمره رخاء كيف يشاء غدوها شهر ورواحها شهر وكان يغدو من ايلياء فيقيل فى اصطخر ثم يروح منها فيبيت ببابل (ويروى) ان سليمان سار من أرض العراق غاديا فقال بمدينة مرو وصلى العصر بمدينة بلخ تحمله الريح وتظله الطير بخيله وجنوده ثم سار من مدينة بلخ متخللا بلاد الترك ثم جاوزها الى أرض الصين ثم عطف يمنة على مطلع الشمس على ساحل البحر حتى أتى أرض الهند ثم خرج منها الى مكران وكرمان ثم جاوزهما حتى أتى أرض فارس فنزلها أياما ثم غدا منها فقال بكسكر ثم رجع الى الشام وكان مستقره مدينة تدمر وكان قد أمر الشياطين قبل خروجه من الشام الى العراق أن يبنوا له تدمر فبنوها بالصفائح والعمد والرخام الابيض والاصفر وفى ذلك يقول الشاعر واذكر سليمان اذ قال المليك له * قم فى البرية فاحددها عن الفند

وجيش الجيش انى قد أبحت لهم * بناء تدمر بالاحجار والعمد

قال ووجدت هذه الابيات منقورة فى صخرة بأرض كسكر أنشأها بعض أصحاب سليمان بن داود عليهما السلام

ونحن ولاحول سوى حول ربنا * نروح الى الاوطان من أرض تدمر * اذا نحن رحنا كان أمر رواحنا

مسيرة شهر والغدو لآخر * أناس سروا والله طوع نفوسهم * لنصرة دين للنبى المطهر

لهم فى معالى الدين فضل ورأفة * وان نسبوا يوما فمن خير معشر * متى ركبوا الريح المطيعة أسرعت

مبادرة عن شهرها لم تقصر * تظللهم طير صفوفا عليهم * متى رفرفت من فوقهم لم تفتر

﴿رجعنا الى القصة﴾ وقال قوم من العلماء معنى قوله تعالى فطفق مسحا بالسوق والاعناق حبسها فى سبيل الله وكوى سوقها بميسم الصدقة وقال الزهرى مسح سوقها وأعناقها من الغبار قال وهى رواية الواقدى عن ابن عباس قال قال على بن أبى طالب كرم الله وجهه ثم ان الله أمر الملائكة الموكلين بالشمس حتى ردوها على سليمان وصلى العصر فى وقتها (حدثنا) أبو عبد الله عقيل الانصارى باسناده عن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أراد الله تعالى أن يخلق الخيل قال للريح الجنوب انى خالق منك خلقا فاجعله عزا لاوليائى ومذلة لاعدائى وجمالا لاهل طاعتى فقالت الريح الهى وسيدى ومولاى انى مطيعة فقبض منها قبضة فخلق فرسا وقال له خلقتك عربيا وجعلت الخير معقودا بناصيتك والغنائم مجموعة على ظهرك وعطفت عليك صاحبك وجعلتك تطير بلا جناح فانت للطلب وأنت للهرب وسأجعل على ظهرك رجالا يسبحونى ويحمدونى ويكبرونى فتسبحنى اذا سبحوا وتهللنى اذا هللوا وتكبرنى اذا كبروا وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من تسبيحة وتحميدة وتمجيدة وتكبيرة يكبرها صاحبها فتسمعها الا تجيبه بمثلها قال فلما سمعت الملائكة صفتها ونظروا خلقها قالوا ربنا نحن ملائكتك نسبحك ونحمدك فماذا لنا فخلق الله لهم خيلا بلقا أعناقها كاعناق البخت فلما أرسل الله الفرس الى الارض واستوت قدماه عليها صهل فقيل له بوركت من دابة واذا بصهيلك أذل الله المشركين وأذل بك أعناقهم وملائبك آذانهم وأرعب بك قلوبهم فلما عرض الله تعالى على آدم من كل شىء قال له اختر من خلقى ما شئت فاختار الفرس فقيل له اخترت عزك وعز ولدك خالدا ما خلدوا وباقيا ما بقوا بركتى عليك وعليهم ما خلقت خلقا أحب الى منك ومنهم (ومنها) قوله تعالى وأرسلناله عين القطر أذبنا له عين النحاس أسيلت ثلاثة أيام كما يسيل الماء وكانت بأرض اليمن وانما ينتفع الناس اليوم بما أخرجه الله لسليمان عليه السلام (ومنها) تسخير الله تعالى له الجن والانس والطير والوحوش والشياطين يعملون له ما يشاء

فقال الرجل بلغنى أن الله سبحانه وتعالى عبادا قدح فى قلوبهم زند الشغف ونار الاسف فارواحهم لشدة فرحها تسرح فى رياض الملكوت وتنظر الى دخولها فى حجب الجبروت قال ذو النون فقلت له ياسيدى صفهم لى فقال أولئك هم قوم آووا الى كهف رحمته وشربوا من كؤس شراب محبته وخلوا بمنادمة أنسه ثم أنشد يقول

قد كان لى دمع فافنيته
وكان لى جفن فأدميته
وكان لى جسم فابليته
وكان لى قلب فأضنيته
وكان لى ياسيدى ناظر
أرى به الخلق فاعميته
عبدك أضحى سيدى موثقا
لو شئت قبل الموت أطلقته

ثم قال مخاطبا الله تعالى سيدى بهم فألحقنى ولما وفقتهم وفقنى قال ذو النون فقلت سيدى أوصنى بوصية أنتفع بها فقال عليك بتقوى الله فى السر والعلانية فان من أحبه الله شوقه الى لقائه فان له يوما يتجلى فيه على أوليائه ثم غاب عن بصرى فلم أره نفعنا الله تعالى بهم وبعلومهم ومدنا من مددهم آمين

﴿وحكى عن الواسطى رضى الله تعالى عنه﴾ أنه قال بينما أنا سائر فى البادية اذ رأيت أعرابيا جالسا منفردا بنفسه فدنوت منه وسلمت عليه فرد على السلام فاردت أن أكلمه فقال اشتغل بذكر الله تعالى فان ذكره شفاء القلوب ثم قال كيف يقترابن

كما

كما قال تعالى ومن الجن من يعمل بين يديه باذن ربه ومن يزغ منهم عن أمرنا نذقه من عذاب السعير وذلك أن الله تعالى وكل بهم ملكا بيده سوط من نار فمن زاغ عن أمر سليمان ضربه ضربة أحرقته فمما عملت له الشياطين أمره وأحدثوه له الحمامات والطواحين والقوارير والصابون وأشياء كثيرة واحتفر واله نهر الملك وألقوا ترابه بين خانقين وقصر شيرين ومما عملوا له الغياصة كما قال الله تعالى ومن الشياطين من يغوصون له الآية وقال تعالى والشياطين كل بناء وغواص وكانوا يغوصون فى البحار ويستخرجون أنواع اللآلئ والدر والمرجان وسائر الجواهر البحرية وكانوا يستخرجون له اليواقيت والزمرذ وأنواع الجواهر الثمينة من المعادن وهم أول من فعل ذلك (حديث القبة) قال وهب بن منبه بينما سليمان عليه السلام على ساحل البحر والريح من تحته والانس عن يمينه والجن عن شماله والطير تظله اذ نظر الى عظم أمواج البحر فدعته نفسه ان يعلم ما فى قعر البحر فأمر الريح فسكنت من تحته ثم قعد على كرسى ملكه ثم دعا رأس الغواصين فقال له اختر لى من أصحابك مائة رجل فاختار له مائة رجل فقال اختر لى من المائتين ثلاثين فاختار له ثلاثين فقال اختر لى من الثلاثين عشرة فاختار له عشرة فقال اختر لى من العشرة ثلاثة فاختار له ثلاثة فقال لواحد منهم غص حتى تنظر الى قعر البحر وتأتينى بالخبر فقال له سمعا وطاعة لك يانبى الله فغاص البحر وأبعد ثم خرج فقال له سليمان ما الذى رأيت قال يانبى الله سار أيت الا أمواجا وحيتانا غير انى رأيت ملكا عظيما فقال لى أين تريد فقلت له ان نبى الله سليمان أرسلنى انظر له قعر هذا البحر فقال ارجع اليه فاقرأ عليه منى السلام وقل له ان قوما ركبوا هذا البحر منذ أربعين عاما فعاب عليهم مركبهم فخرجوا يصلحونه فسقط من أحدهم قدوم فهو يتجلجل فى البحر ولم يبلغ قعره بعد فرجع اليه وأخبره بالخبر فتعجب نبى الله سليمان عليه السلام من ذلك ولها عما كان قد قال فبينما هو على شاطئ البحر اذ رأى قبة من زجاج تتمر بها الامواج فى لجة البحر فعارضها وقال للغواصين غوصوا فى أثرها فغاصوا فاخرجوها فلما وضعت القبة على ساحل البحر انفتح لها بابان بمصراعين وخرج من القبة شاب عليه ثياب أبيض من اللبن وكان رأسه تقطر ماء فجاء حتى وقف بين يدى سليمان فقال له سليمان يافتى من الجن أنت أم من الانس قال بل من الانس قال فتعجب سليمان منه ومن زيه ثم قال له ما بلغ بك ما أرى فقال يانبى الله كانت لى والدة وكنت من أبر الناس بها أطعمها وأسقيها بيدى ولا أترك شيأ من صنائع البر الا صنعته بها فلما حضرتها الوفاة سألتها أن تدعولى فرفعت رأسها الى السماء وقالت يارب قد عرفت بر ولدى بى فارزقه العبادة فى موضع لا يكون لابليس وجنوده عليه سبيل ثم ماتت فدفنتها فخرجت يوما الى ساحل البحر فاذا أنا بهذه القبة فدعتنى نفسى أن أدخلها فلما دخلتها انطبقت على أبوابها وتزاخرت الامواج بها وكان هذا آخر عهدى يانبى الله فقال له سليمان فمن أين مطعمك ومشربك فقال يانبى الله اذا كان الليل جاءنى طائر أبيض فى منقاره شئ أبيض فيدفعه الى فآكله فهو يقيتنى من الطعام والشراب فقال له سليمان فمن أين تعرف الليل والنهار وأنت فى ظلمة هذا البحر قال يانبى الله فى القبة خيطان خيط أبيض وخيط أسود فاذا رأيت الخيط الابيض زائدا علمت أنه النهار واذا رأيت الخيط الاسود زائدا علمت أنه الليل فقال له سليمان هل لك فى صحبتنا رغبة قال لا يانبى الله ان تشأ تأذن لى أن أعود الى قبتى فأذن له فانطلق ودخلها وانطبق عليه بابها وتزاخرت به الامواج فكان آخر العهد به (ومنها) قوله تعالى يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب يقال انها الحياض كانت تسع الجفنة الواحدة طعام ألف رجل فيجتمعون عليها يأكلون بين يديه وقدور راسيات ثابتات لاتزول يسع القدر الواحد عشر جزر

﴿ قصة مدينة سليمان عليه السلام التى كان يسافر بها فى الهواء ﴾

(ومما) عملوا له مدينة من قوارير عشرة آلاف ذراع فى عشرة آلاف ذراع فيها ألف سقف ما بين كل سقفين عشرة أذرع فى كل سقف جميع ما يحتاج اليه من المساكن والقباب والمرافق أسفلها أغلظ من الحديد وأعلاها أرق من الماء يرى من داخلها ما وراء خارجها من صفائه ونقائه والشمس بالنهار والقمر بالليل وعلى السقف الاعلى قبة بيضاء عليها علم أبيض تستضئ به فى الليل الداجى العسكر كله يتلالا شعاعه مد البصر وبها من الاركان ألف ركن على مناكب الشياطين تحت كل ركن منها عشرة من الشياطين تسع سليمان وجنوده وحشمه وأولياءه علوا وسفلا تحملها الريح الى حيث يشاء وكانت تلك المدينة له مستقرا يأكل ويشرب وينام ويتمتع بها وفى أسفلها

آدم عن خدمة خالقه ورازقه وكيف يشتغل عن ذكره والموت فى أثره وكيف يستعين بغيره وهو ناظر اليه ثم بكى فبكيت معه شفقة عليه ثم قلت له ياحبيبى مالى أراك وحيدا فقال ما أنا بوحيد والله معى وما أنا بفريد والواحد يؤنسنى ثم قام ومضى مسرعا وقال ياسيدى ان أكثر خلقك مشغول عنك بغيرك وأنت عوض عن جميع ما فات منى ياصاحب كل غريب ويامؤنس كل فريد وجعل يمشى وأنا خلفه فالتفت الى وقال ارجع عافاك الله الى من هو خير لك منى ولا تشغلنى عمن هو خير لى منك ثم غاب عن بصرى فلم أره رضى الله تعالى عنه ونفعنا به ومدنا من مدده فى الدين والدنيا والآخرة آمين ﴿ وحكى عن ذى النون المصرى أيضا رضى الله تعالى عنه ﴾ أنه قال بينما أنا فى الطواف اذ لمع نور ملحق بعنان السماء فتعجبت من ذلك النور فأتممت طوافى وأسندت ظهرى الى الكعبة متفكرا فى ذلك النور فسمعت صوتا شجيا بنغمة ذى خشية فتبعت الصوت حتى أوقعنى بجارية متعلقة باستار الكعبة وهى تبكى وتنشد وتقول

أنت تدرى ياحبيبى * من حبيبى أنت تدرى
ونحول الجسم والدمع يبوحان بسرى
قد كتمت الحب حتى * ضاق بالكتمان صدرى

قال ذو النون فلما رأيتها وسمعت ذلك

مرابط واصطبلات وأوارى وأواخى لخيله ودوابه (ومما) عملوا له كرسى ملكه

﴿صفة كرسى سليمان عليه السلام﴾

قال الله تعالى وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب يروى ان نبى الله سليمان عليه السلام أمر الشياطين باتخاذ كرسى يقعد عليه للقضاء وأمر أن يعمل بديعا مهولا بحيث لو رآه مبطل أو شاهد زور ارتدع وبهت قال فعملوا له كرسيا من أنياب الفيلة وفصصوه بالياقوت واللؤلؤ والزبرجد وأنواع الجواهر وحفوه بأربع نخلات من الذهب شماريخها الياقوت الاحمر والزمرد الاخضر على رأس نخلتين منها طاوسان من ذهب وعلى رأس الاخيرتين نسران من ذهب بعضهما مقابل بعض وجعلوا من جانب الكرسى أسدين من ذهب على رأس كل واحد منهما عمود من الزمرد الاخضر وقد عقدوا على النخلات أشجار الكرم من الذهب الاحمر واتخذوا عناقيدها من الياقوت الاحمر بحيث يظل عريش الكروم والنخل الكرسى قالوا وكان سليمان اذا أراد صعوده وضع قدميه على الدرجة السفلى فيستدير الكرسى ورجاله فيها ويدور دوران الرحا المسرعة وتنشر تلك النسور والطواويس أجنحتها ويبسط الاسدان أيديهما ويضربان الارض بأذنابهما وكذلك يفعل فى كل درجة يصعدها سليمان فاذا استوى بأعلاه أخذ النسران اللذان على النخلتين المسك والعنبر يفتانهما عليه ثم تتناول حمامة من ذهب قائمة على عمود من جوهر من أعمدة الكرسى التوراة فتفتحها لسليمان فيقرؤها على الناس ويدعوهم الى فصل القضاء قال وتجلس عظماء بنى اسرائيل على كراسى الذهب والفضة المفصصة بالجواهر وهى ألف كرسى على يمينه وتجىء عظماء الجن فيجلسون على كراسى الفضة عن يساره وهى ألف كرسى حافين به جميعا ثم تظلهم الطير وتتقدم الناس اليه للقضاء فاذا دعا بالبينات وتقدمت الشهود لاقامة الشهادات دار الكرسى بجميع ما فيه وما حوله دوران الرحا المسرعة قال معاوية لوهب بن منبه ما الذى كان يدير ذلك الكرسى قال بلبلان من ذهب وذلك الكرسى مما عمله له صخر الجنى قالوا فاذا دار الكرسى بسط الاسدان أيديهما ويضربان الارض بأذنابهما وينشر النسران والطاوسان أجنحتهما فتفزع منه الشهود ويداخلهم من ذلك رعب شديد فلا يشهدون الا بالحق فهذا شأن كرسى سليمان عليه السلام وعجائب ما كان فيه فلما توفى سليمان عليه السلام بعث بختنصر فأخذ ذلك الكرسى وحمله الى انطاكية فأراد أن يصعد عليه ولم يكن له علم بالصعود عليه ولا بأحواله فلما وضع قدميه على الدرجة السفلى رفع الاسد يده اليمنى فضرب ساقه ضربة شديدة فدقها وأرعاه فحمل بختنصر فلم يزل يعرج ويتوجع منها حتى مات وبقى الكرسى بانطاكية حتى غزاهم ملك من الملوك يسمى كداش بن سداس فهزم خليفة بختنصر ورد الكرسى الى بيت المقدس فلم يستطع أحد من الملوك الجلوس عليه ولا الاستمتاع به فوضع تحت الصخرة فغاب ولم يعرف خبره ولا يدرى أين هو والله أعلم (ومنها) بيت المقدس

﴿صفة بنيانه وبدء أمره﴾ قال الله تعالى سبحان الذى أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الآية وقال تعالى ونجيناه ولوطا الى الارض التى باركنا فيها للعالمين قيل بالمياه والاشجار والثمار وقيل ان كل ماء عذب يخرج من تحت أصل الصخرة التى ببيت المقدس يهبط من السماء اليها ثم يتفرق فى الارض وذلك قوله تعالى باركنا فيها للعالمين (وروى) خالد بن معدان عن عبادة بن الصامت قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صخرة بيت المقدس على نخلة من نخيل الجنة وتلك النخلة على نهر من أنهار الجنة على ذلك النهر آسية بنت مزاحم ومريم ابنة عمران رضى الله عنهما ينظمان حلى أهل الجنة الى يوم القيامة *وأما بدء بناء بيت المقدس وصفة بنائه على ما ذكره أهل البصيرة بالسير هو أن الله تعالى بارك فى نسل ابراهيم حتى جعلهم فى الكثرة غاية لا يحصون فلما كان زمان داود عليه السلام لبث فيهم مدة مديدة بأرض فلسطين وهم يزدادون كل يوم كثرة فأعجب داود بكثرتهم وأراد أن يعلم عدد بنى اسرائيل كم هم فأمر بعدهم وبعث بذلك عرفاء ونقباء وأمرهم أن يرفعوا اليه ما يبلغ من عددهم فكانوا يعدون زمانا من الدهر حتى عجزوا فبعث الله جبريل عليه السلام وأوحى اليه يا داود قد علمت انى وعدت أباك ابراهيم يوم أمرته بذبح ولده فصبر وأتم أمرى بان أبارك له فى ذريته حتى يصيروا بعدد نجوم السماء وأجعلهم بحيث لا يحصى عددهم فأردت أن تعلم عددهم انه لا يحصى عددهم غيرى وانى قد أقسمت لابتلينهم ببلية يقل منها عددهم ويذهب عنك اعجابك بهم وبكثرتهم فاختاروا اما أن أبتليكم بالجوع والقحط

بكيت فقالت الهى وسيدى ومولاى بحبك لى الا ما غفرت لى فقلت لها يا جارية أما تتقين الله فى مثل هذا المقام تتكلمين بمثل هذا الكلام وتقولين بحبك لى من أين عرفت أنه يحبك فقالت اليك عنى يا ذا النون أما علمت أن الله سبحانه وتعالى أقواما يحبهم ويحبونه فهو أحبهم قبل أن يحبوه أما سمعت قوله تعالى فى كتابه العزيز فسوف يأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه فسبقت محبته لهم قبل محبتهم له قال ذو النون فقلت يا جارية من أين عرفت انى ذو النون ولم ترينى قبل ذلك اليوم فقالت اليك عنى يا بطال جالت القلوب فى ميدان الاسرار فعرفنى بك العزيز الغفار قال ذو النون فقلت لها يا جارية مالى أراك ضعيفة البدن نحيلة الجسم وما بك سقم فأنشدت تقول

محب الله فى الدنيا عليل ... تطاول سقمه فدواه داه
كذا من كان للبارى محبا ... يهيم بذكره حتى يراه

ثم قالت يا ذا النون انظر الى من خلفك فالتفت خلفى فلم أر أحدا فرددت وجهى نحوها فلم أرها ولم أدر أين ذهبت فتأسفت على فراقها وتوسلت الى الله تعالى بها فرأيت ببركتها الاجابة والقبول وحصول الخير نفعنا الله بها ﴿وحكى عن بعضهم رضى الله تعالى

ثلاث سنين او اسلط عليكم عدوكم ثلاثة أشهر أو الموت ثلاثة أيام فجمع داود بنى اسرائيل وأخبرهم بما أوحى الله تعالى اليه وخيرهم فيه فقالوا له أنت أعلم بما هو أيسر لنا وأنت نبينا فانظر لنا غير ان الجوع لا صبر لنا عليه وتسليط العدو أمر فاضح فان كان ولا بد فالموت لانه بيده لا بيد غيره فأمرهم داود أن يتجهز والموت فاغتسلوا وتحنطوا ولبسوا الاكفان وبرز والى صعيد بيت المقدس قبل بناء المسجد بالذرارى والاهلين وأمرهم أن يضجوا الى الله تعالى و يتضرعوا اليه لعله أن يرحمهم فأرسل الله اليهم الطاعون فاهلك منهم فى يوم وليلة ألوفا كثيرة لا يدرى عددهم ولم يفرغوا من دفنهم الا بعد موتهم بشهر فلما أصبحوا فى اليوم الثانى خر داود عليه السلام ساجدا لله تعالى يبتهل الى الله تعالى و يقول يارب أنا آكل الخل الحامض و بنواسرائيل يضرسون يعنى أذنبت و بنواسرائيل يعاقبون فما كان من شئ فبى أنزله واعف عن بنى اسرائيل فاستجاب الله دعاءه وكشف عنهم الطاعون و رفع عنهم الموت فرأى داود عليه السلام الملائكة سالين سيوفهم فغمدوها وارتقوا فى سلم من ذهب فى صخرة بيت المقدس الى السماء فقال داود لبنى اسرائيل ان الله تعالى قد منّ عليكم و رحمكم فجددوا له شكرا قالوا فكيف تأمرنا قال آمركم أن تتخذوا فى هذا الصعيد الذى رحمكم الله فيه مسجدا لا يزال فيه منكم ومن بعدكم ذاكر لله تعالى فأخذ داود فى بنائه فلما أرادوا أن يبتدؤا بالبناء جاء رجل صالح فقير يختبرهم ليعلم كيف اخلاصهم فى بنائهم فقال لبنى اسرائيل ان لى فيه موضعا أنا محتاج اليه ولا يحل لكم ان تحجبونى عن حقى فقالوا يا هذا ما من أحد من بنى اسرائيل الا وله فى هذا الصعيد حق مثل حقك فلا تكن أبخل الناس ولا تضايقنا فيه فقال أنا أعرف حقى وأنتم لا تعرفون حقكم فقالوا له اما ترضى وتطيب نفسك والا أخذناه منك كرها فقال لهم أتجدون هذا فى حكم الله وحكم داود قال فرفع خبره الى داود عليه السلام فقال ارضوه فقالوا بكم نأخذه منه يا نبى الله قال خذوه بمائة شاة فقال الرجل زدنى يا نبى الله قال داود خذوه بمائة بقرة قال زدنى قال بمائة بعير قال زدنى يا نبى الله فانما نشتريه لله تعالى والله كريم لا يبخل فقال داود وحيث قلت هذا فاحتكم أعطك قال نشتريه بحائط مثله زيتونا ونخلا وعنبا قال نعم فقال الرجل أنت تشتريه لله تعالى فلا تبخل قال سل ما شئت قال أنت أكرم على الله منى ولكن ابن لى حوله جدارا مشرفا ثم تملؤه ذهبا وان شئت ورقا قال داود هذا هين فالتفت الرجل الى بنى اسرائيل وقال لهم هذا هو التائب المخلص ثم قال لداود يا نبى الله لان يغفر الله لى ذنبا واحدا أحب الى من كل شئ وهبت لى ولكن كنت اختبرتكم فجدوا فى بناء بيت المقدس وكان ذلك فيما قيل لاحدى عشرة سنة مضت من ملك داود وكان داود ينقل الحجارة على ظهره وكذلك أخيار بنى اسرائيل حتى رفعوه قامة وعجزوا فأوحى الله تعالى اليه ان هذا بيت مقدس وانك رجل سفاك الدماء ولست ببانيه ولكن ابن لك أملكه بعدك اسمه سليمان أسلمه من سفك الدماء وأقضى اتمامه على يديه ويكون صيته وذكره وأجره لك باقيا فصلوا فيه زمانا الى أن توفى داود عليه السلام واستخلف سليمان فأمره الله تعالى باتمام بيت المقدس فجمع سليمان الجن والانس والشياطين وقسم عليهم الاعمال وخص كل طائفة بعمل يصلح لها وأرسل الجن والشياطين فى تحصيل عمل الرخام والبلور الابيض الصافى من معادنه وأمر ببناء المدينة بالرخام والصفاح وجعلها اثنى عشر ربضا لكل ربض منها سبط من الاسباط وكانوا اثنى عشر سبطا فلما فرغ من بناء المدينة ابتدأ فى بناء المسجد فوجه الشياطين فرقا فريق منهم يستخرجون الذهب والفضة والياقوت من معادنه وفريق يغوصون فى البحر و يستخرجون أنواع الدر وفريق يقطعون أنواع الرخام وفريق يغوصون على الجواهر وفريق يأتون بالمسك والعنبر وأنواع الطيب من أماكنها فأتى بشئ من ذلك لا يحصيه الا الله تعالى ثم انه أحضر الصناع وأمرهم بنحت تلك الحجارة وتنضيدها ألواحا واصلاح تلك الجواهر ونقشها فكانوا اذا عالجوها فتصوت صوتا شديدا لصلابتها فكره سليمان تلك الاصوات فدعا الجن وقال لهم هل عندكم حيلة فى نحت هذه الجواهر من غير تصويت فقالوا يا نبى الله ليس فى الجن أكثر تجاربا ولا أكثر علما من صخر العفريت فأرسل اليه من يأتيك به فطبع سليمان بخاتمه طابعا وكان يطبع للشياطين بالنحاس ولسائر الجن بالحديد وكان اذا طبع بخاتمه لمع ذلك كالبرق الخاطف فكان لا يراه أحد من جن ولا شيطان الا انقاد اليه باذن الله تعالى فأرسل الطابع مع عشرة من الجن فأتوه به وهو فى بعض جزائر البحر فأروه الطابع فلما نظر اليه كاد أن يصعق خوفا فأقبل مسرعا مع الرسل حتى دخل على سليمان فسأل سليمان رسله عما أحدث العفريت فى طريقه فقالوا يا نبى الله انه كان يضحك فى بعض الاحايين من الناس فقال له سليمان ما رضيت بتمردك على وتركك المجئ

عنه أنه قال ﴿ أمسك الغيث عن بغداد سنة من السنين حتى كاد أهلها أن يهلكوا فاغتسلوا وتطهروا وخرجوا الى الصحراء يسألون الله تعالى أن يسقيهم غيثا فلم يسقوا وكان ذلك فى أيام خلافة هرون الرشيد رحمه الله تعالى عليه فبينما هم يلوذون و يتوسلون الى الله تعالى واذا برجل من أهل الخير والصلاح والعبادة وقد أقبل من ظاهر البرية أشعث أغبر لا يلتفت اليه ومعه ثلاث بنات عذارى كأنهن الاقمار فوقف ببناته فى الطريق فمر عليه الناس وسلموا عليه فرد عليهم السلام وقال يا قوم ما بالكم مجتمعين فقالوا له يا شيخ خرجنا الى الصحراء ندعوا الله تعالى أن يسقينا غيثه فلم يسقنا فقال لهم الشيخ هل هو غائب عنكم من المدينة حتى خرجتم الى الصحراء تسألونه أليس هو فى كل مكان موجودا وبساط اجابته لجميع خلقه ممدودا أما سمعتم قوله تعالى وهو معكم أينما كنتم والله بما تعملون بصير قال فبلغ هرون كلامه فقال هذا كلام رجل بينه وبين مولاه سريرة ثم قال ائتونى به فلما حضر بين يديه وسلم بعضهم على بعض صافحه هرون وأجلسه بجانبه ثم قال له يا شيخ ادع الله تعالى أن يسقينا غيثه عسى أن يكون لك عند الله جاه قال فتبسم الشيخ وقال يا هرون أتريد ان أسأل الك الحى ومولاى فقال

الى طاعتى حتى صرت تسخر من الناس فقال يانبى الله انى لست أسخر منهم غيران ضحكى كان تعجبا مما كنت
أسمع وأرى فى طريقى فقال له سليمان وماذاك قال مررت على شط نهر فوجدت رجلا ومعه بغلة يريد أن
يسقيها وجرة يريد أن يستقى بها فسقى البغلة وملأ الجرة ثم أراد أن يقضى حاجته فشد البغلة باذن الجرة فنفرت
البغلة وكسرت الجرة فضحكت من حمق الرجل حيث توهم أن الجرة تحبس البغلة ومررت أيضا برجل آخر
وهو جالس عند اسكاف يستعمله فى اصلاح خف له فسمعته يشترط عليه أن يصلحه بحيث يبقى معه أربع سنين
ونسى نزول ملك الموت اليه من قبله فضحكت من قلة عقله وجهله ومررت بعجوز تتكهن وتخبر الناس بما
لا يعلمون من أمور السماء وقد كنت عهدت رجلا دفن فى موضع فراشها ذهبا كثيرا فى الدهور الخالية فرأيتها
تموت جوعا وتحت رأسها ذهب كثير وهى لا تعلم بمكانه ثم تخبر الناس بأمر السماء فضحكت منها ومررت برجل
فى بعض المدن وقد كان به داء فيما قبل فأكل البصل فبرأ من دائه فصار يطبب الناس وكان لا يأتيه أحد يسأله عن
علة الا أمره بأكل البصل وانه لا ضرر شئ حتى ان ضرره يصل الى الدماغ فضحكت منه ومررت فى بعض الاسواق
فرأيت الثوم وهو أفضل الادوية يكال كيلا ورأيت الفلفل وهو من السموم القاتلة يوزن وزنا فضحكت
ومررت بناس قد جلسوا يبتهلون الى الله ويسألونه الرحمة والمغفرة فلما منهم قوم فقاموا وجاء آخرون فجلسوا
فرأيت الرحمة قد نزلت عليهم وأخطأت الذين كانوا من قبل وغشيت الذين جاؤا فضحكت تعجبا للقضاء والقدر
فقال له سليمان هل علمت من كثرة تجاربك وجولانك فى البحار شيأ ينحت لى هذه الجواهر فتلين ويسهل نحتها
وثقبها بلا صوت قال نعم يانبى الله أعرف حجرا أبيض كاللبن يقال له السامور غير انى لا أعرف معدنه الذى هو
فيه وليس فى الطير شئ أحيل ولا أهدى من العقاب فأمر بفراخه أن تجعل فى صندوق من تلك الجواهر فانه يأتى
بذلك الحجر فيضرب به الصندوق حتى يثقبه ليصل الى أولاده قال فأمر سليمان بفراخ العقاب ان تضم فى صندوق
من حجر منها يوما وليلة فحجب عن أفراخه فر مسرعا وجاء بالحجر بعد يوم وليلة فثقب به الصندوق حتى وصل
الى فراخه فوجد سليمان مع العقاب نفرا من الجن حتى أتوه منه بقدر ما علم ان فيه الكفاية واستعمل ذلك فى
أدوات الصناع فسهل عليهم نحتها من غير صوت وهو حجر يستعمل فى نقش الخواتيم وثقب الجواهر الى اليوم
وهو ثمين عزيز قالوا فبنى سليمان المسجد بالرخام الابيض والاصفر والاخضر وعمده من المها الصافى وسقفه بألواح
الجواهر الثمينة وفصص سقفه وحيطانه باللآلئ واليواقيت وأنواع الجواهر وبسط أرضه بألواح الفيروزج
فلم يكن يوجد يومئذ فى الارض بيت أبهى ولا أنور من ذلك المسجد وكان يضئ فى الليل كالقمر فى ليلة البدر فلما
فرغ منه جمع اليه أحبار بنى اسرائيل وأعلمهم انه بناه لله تعالى وكل شئ منه خالص لله تعالى واتخذ ذلك اليوم
الذى فرغ منه عيدا لم يتخذ فى الارض قط أعظم عيدا من ذلك اليوم ولا أطعمة أكثر منه فذبح فيه من الجزر ألف
جزور ومن البقر خمسة وعشرين ألفا معلوفة ومن الغنم أربعمائة ألف شاة * قالوا ومن عجائب ما اتخذه سليمان
ببيت المقدس انه بنى بيتا وطين حائطه بالجص وصقله فكان اذا دخله البار استبان خياله فى ذلك الحائط أبيض واذا
دخله الفاجر استبان خياله فى ذلك الحائط اسود فارتدع من ذلك كثير من الناس عن الفجور والخيانة ونصب
فى زاوية من زوايا المسجد عصا آبنوس فكان من مسها من أولاد الانبياء لم يضره منها شئ ومن مسها من غيرهم
احترقت يده فلما فرغ سليمان من بناء بيت المقدس قرب قربانا على الصخرة ثم قال اللهم أنت وهبت لى هذا الملك
منا منك على وجعلتنى خليفتك على أرضك وأكرمتنى به من قبل أن أكون شيأ فلك الحمد اللهم انى أسألك لمن
دخل هذا المسجد خصالا أن لا يدخله أحد يصلى فيه ركعتين مخلصا فيهما الا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه
ولا يدخله مذنب الا تبت عليه ولا خائف الا أمنته ولا سقيم الا شفيته ولا مجدب الا أخصبته وأغنيته واذا أجبت
دعوتى وأعطيتنى طلبتى فاجعل علامته ان تتقبل قربانى قال فنزلت نار من السماء فسدت ما بين الخافقين ثم امتد
منها عنق فاحتمل القربان وصعد به الى السماء وكان بيت المقدس على ما بناه سليمان عليه السلام الى ان غزا بختنصر
بنى اسرائيل فخرب بيت المقدس وألقى فيه الجيف وكبسه بالتراب ونقل جميع ما فيه من الذهب والفضة والجواهر
والآنية الى أرض بابل وكان بيت المقدس خرابا الى أن بناه المسلمون فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه
بأمره والله أعلم

﴿ باب فى قصة بلقيس ملكة سبأ والهدهد وما يتصل به ﴾

نعم فقال توبوا الى الله تعالى قال فنودى بالتوبة فتابوا الى الله تعالى ثم تقدم الشيخ وصلى ركعتين خفيفتين فلما سلم أخذ بنانه عن يمينه وعن شماله وبسط يده الى خالقه وأسبل دمعه على خده وجعل يدعو بدعوات لم يسمع أحسن منها قال فما استتم دعاءه حتى تجللت السماء بالسحاب وأرعدت بالبرق وأمطرت كأفواه القرب قال ففرح الرشيد بذلك واجتمع اليه خواص رعيته وأهل مملكته يهنؤنه ويبشرونه بذلك فقال هرون على بالرجل الصالح فطلبوه فوجدوه ساجدا فى الصحراء فى الماء والطين لله رب العالمين فقالوا للبنات ما بال أبيكن لم يرفع رأسه فقالت انه من عادته اذا سجد لله عز وجل لا يرفع رأسه الا بعد ثلاثة أيام قال فأخبروا الرشيد بذلك فبكى وقال اللهم انى أسألك وأتوسل اليك بحرمة الصالحين عندك أن تهنالهم وان تفيض علينا من بركاتهم فى الدارين وجميع المسلمين يا أرحم الراحمين ﴿ وحكى عن مالك بن دينار عفا الله عنه أنه قال ﴾ أمسك الغيث عنا سنة من السنين فخرجنا الى الصحراء نسأل الله تعالى أن يسقينا غيثه حتى خرج معنا أكابرنا وأصاغرنا وأولاد المكاتب فلم نزل ندعوا ونتضرع الى الله

قال

قال الله تعالى وتفقد الطير فقال مالى لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين قالت العلماء بأخبار القدماء ان نبى الله سليمان بن داود عليهما السلام لما فرغ من بناء بيت المقدس عزم على الخروج الى أرض الحرم فتجهز للمسير واصطحب معه من الناس والجن والشياطين والطيور والوحوش ما بلغ عسكره مائة فرسخ وأمر الريح الرخاء فحملتهم فلما وافوا الحرم أقام به ماشاء الله أن يقيم وقرب القرابين وقضى المناسك وبشر أهله بخروج نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وأخبرهم أنه سيد الانبياء وخاتم النبيين وان ذلك مثبت فى زبورهم ثم أحب أن يسير الى أرض اليمن فخرج من مكة صباحا وسار نحو اليمن يؤم نجم سهيل فوافى صنعاء وقت الزوال وذلك مسيرة شهر فرأى أرضا بيضاء حسنة تزهو بخضرتها فأحب النزول بها ليصلى ويتغدى فطلبوا الماء فلم يجدوه وكان الهدهد دليله على الماء وكان يرى الماء من تحت الارض كما يرى أحدكم كأسه بيده فينقر الارض فيعرف موضع الماء وعمقه ثم تجىء الشياطين فيسلخونه كما يسلخ الاهاب ويستخرجون الماء قال سعيد بن جبير لما ذكر ابن عباس هذا الحديث قال له نافع بن الازرق كيف يبصر الماء من تحت الارض ولا يبصر الفخ اذا غطى له بقدر أصبع من تراب قال ويحك اذا جاء القدر عمى البصر (وروى) قتادة عن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهاكم عن قتل الهدهد فانه كان دليل سليمان على الماء فطلب سليمان الهدهد فلم يجده فتوعده ثم ان الهدهد لما جاء قال وجئتك من سبإ بنبإ يقين انى وجدت امرأة تملكهم الآية وذلك أنه لما نزل سليمان قال الهدهد فى نفسه ان سليمان قد اشتغل بالنزول فارتفع الى نحو السماء ونظر الى طول الدنيا وعرضها ونظر يمينا وشمالا فرأى بستان بلقيس فمال الى الخضرة فوقع فيها فاذا هو بهدهد اليمن فهبط عليه وكان اسم هدهد سليمان يعفور واسم هدهد اليمن عفير فقال عفير ليعفور من أين أقبلت والى أين تريد قال أقبلت من الشام مع صاحبى سليمان ابن داود عليه السلام فقال له الهدهد ومن سليمان بن داود قال ملك الجن والانس والشياطين والوحوش والرياح فمن أين أنت قال أنا من هذه البلاد قال ومن ملكها قال امرأة قال فما اسمها قال يقال لها بلقيس وان لصاحبكم سليمان ملكا عظيما ولكن ليس ملك بلقيس دونه فانها ملكة اليمن كله وتحت يدها اثنا عشر ألف قيل مع كل قيل مائة ألف مقاتل والقيل هو القائد بلغة أهل اليمن فهل أنت منطلق معى حتى تنظر الى ملكها قال انى أخاف أنه يتفقدنى سليمان فى وقت الصلاة اذا احتاج الى الماء فقال له الهدهد اليمانى ان صاحبك ليسره أن تأتيه بخبر هذه الملكة فانطلق معه حتى أتى بلقيس ونظر ملكها وما رجع الى سليمان الا وقت صلاة العصر قال فلما نزل سليمان ودخل عليه وقت صلاة العصر طلب الهدهد وذلك أنه نزل على غير ماء فسأل الانس عن الماء فقالوا لا نعلم ههنا ماء فسأل الجن والشياطين فقالوا لا نعلم فتفقد عند ذلك الهدهد فلم يجده فتوعده (قال ابن عباس) فى بعض الروايات عنه وقعت قطعة من الشمس على رأس سليمان فنظر فاذا موضع الهدهد خال فدعا عريف الطير وهو النسر فسأله عن الهدهد فقال أصلح الله الملك ما أدرى أين هو وما أرسلته الى موضع فغضب عند ذلك سليمان وقال لاعذبنه عذابا شديدا أو لاذبحنه واختلف العلماء فى العذاب الشديد ما هو فقال أكثر المفسرين كان عذابه أن ينتف ريشه وذنبه ويدعه ممعطا ثم يلقيه فى بيت النمل فتلدغه وقال الضحاك لانتفنه ولاشدن رجليه ولاشمسنه وقال مقاتل لاطلينه بالقطران ولاشمسنه وقيل لاودعنه القفص وقيل لافرقن بينه وبين الفه وقيل لامنعنه من خدمتى أو ليأتينى بسلطان مبين أى بحجة واضحة (وروى) عكرمة عن ابن عباس قال كل سلطان فى القرآن حجة قال ثم دعا العقاب سيد الطيور فقال له على بالهدهد الساعة فرفع العقاب نفسه دون السماء حتى التصق بالهواء فنظر الى الدنيا كالقصعة بين يدى أحدكم فنظر يمينا وشمالا فاذا هو بالهدهد مقبلا من نحو اليمن فانقض العقاب نحوه يريده فلما رأى الهدهد أن العقاب يريده بسوء ناشده الله وقال له بحق الذى قواك وأقدرك على الا رحمتنى ولا تتعرض الى بسوء قال فولى العقاب عنه وقال له ويلك ثكلتك أمك ان نبى الله سليمان قد حلف أن يعذبك أو يذبحك ثم طارا متوجهين نحو سليمان فلما انتهيا الى العسكر تلقاهما النسر والطير كله وقالوا له أين غبت فى يومك هذا فلقد توعدك نبى الله سليمان وأخبروه بما قال فقال الهدهد وما استثنى نبى الله قالوا بلى انه قال أو ليأتينى بسلطان مبين فطار الهدهد والعقاب حتى أتيا سليمان وكان قاعدا على كرسيه فقال العقاب قد أتيتك به يا نبى الله فلما قرب الهدهد منه رفع رأسه وأرخى ذنبه وجناحيه يجرهما على الارض تواضعا لسليمان فمد سليمان يده الى رأسه فجذبها

تعالى وهم يؤمنون على دعائنا ولم يزدد النهار الا صحوا ولا الشمس الا احراقا فل الناس ومضوا الى حوائجهم حتى صرت أنا ورفيقى فى الصحراء فجلسنا بمسجد خرب هناك فبينما نحن جلوس اذ أقبل علينا غلام أسود عليه خرقتان قديمتان تساوى قيمتهما درهمين فدخل المسجد وصلى ركعتين فلما سلم قال الهى وسيدى ومولاى لم رددت عبادك وفقراءك وعيالك أفرغ ما عندك أم نفدت خزائنك ثم قال بحبك لى الا ما سقيتهم الغيث قال مالك فوالله ما فرغ من دعائه حتى تجللت السماء بالسحاب وأرعدت بالبرق وأسبلت مطرا كأفواه القرب قال مالك فقلت والله ان هذا لعظيم الجاه عند الله تعالى ثم قام وخرج من المسجد فتبعناه ونحن نخوض فى الماء للركب فما زال يمشى ونحن نتبعه من بعيد حتى دخل بيت رجل نخاس كنا نعرفه فلما دخل البيت انصرفنا الى بيوتنا وقد اشتغلت بحبه فلما أصبح الصبح جئت الى النخاس لشراء الغلام فلما رآنى سلم على وقال ما تريد يا مالك فقلت أريد غلاما عندك فقال النخاس وأى غلام هو فان عندى مائة غلام قال مالك فتحيرت فى نفسى حيرة شديدة اذ لم أكن أعرف الغلام اسما فقلت اعرض على الغلمان فعرض على ثمانين غلاما واحدا بعد واحد فلم أرفيهم

وقال أين كنت لأعذبنك عذابا شديدا فقال له الهدهد يانبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله فلما سمع ذلك سليمان ارتعد وعفا عنه (أخبرني الحسين) بن محمد الثقفي باسناده عن عكرمة فقال انما صرف سليمان عن ذبح الهدهد بره بوالديه ثم سأله ما الذي أبطأك عني قال الهدهد ما أخبر الله به أحطت بما لم تحط به أي علمت مالم تعلم به وجئتك من سبأ بنبأ يقين اني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء واسمها بلقيس بنت البشرخ وهو الهدهاذ وقيل هي بلعمة بنت شراحيل بن ذي جدن بن البشرخ بن الحرث بن قيس بن صنعاء بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان وكان أبو بلقيس الذي يسمى البشرخ ويلقب بالهدهاذ ملكا عظيم الشأن وكان ملك أرض اليمن كلها وكان يقول لملوك الأطراف ليس أحد منكم كفؤا لي وأبى أن يتزوج منهم فزوجوه بامرأة من الجن يقال لها ريحانة بنت السكر وكانت الانس اذ ذاك ترى الجن وتخالطهم فولدت له بلعمة وهي بلقيس ولم يكن له ولد غيرها وتصديق هذا ما أخبر به ابن ميمونة باسناده عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كان أحد أبوي بلقيس جنيا قال فلما مات أبو بلقيس ولم يخلف ولدا غيرها طمعت في الملك وطلبت من قومها أن يبايعوها فأطاعها قوم وعصاها آخرون فاختاروا عليها رجلا فملكوه عليهم وافترقوا فرقتين كل فرقة منهم استولت على طرف من أرض اليمن ثم ان هذا الرجل الذي ملكوه أساء السيرة في أهل مملكته حتى كان يمد يده الى حرم رعيته يفجر بهن فأراد أصحابه خلعه فلم يقدروا عليه فلما رأت بلقيس ذلك أدركتها الغيرة فأرسلت اليه وعرضت نفسها عليه فأجابها الملك الى ذلك وقال مامنعني أن أبتدئك بالخطبة الا اليأس منك فقالت لا أرغب عنك فانك كفؤ كريم فاجمع رجال قومي واخطبني منهم فجمعهم وخطبها منهم فقالوا لا نراها تفعل هذا فقال انما هي التي ابتدأتني واني أحب أن تسمعوا قولها فاشهدوا واعلموها فلما جاؤها وذكروا لها ذلك قالت نعم اني أحببت الولد ولم أجبه منذ كنت أرغب عن هذا والساعة قد رضيت له فزوجوها منه فلما زفت عليه خرجت في ناس كثير من خدمها وحشمها حتى غصت منازله ودوره بهم فلما جاءته سقته الخمر حتى سكر ثم حزت رأسه وانصرفت من الليل الى منزلها فلما أصبح الناس ورأوا الملك قتيلا ورأسه منصوب على باب دارها علموا ان تلك المناكحة كانت مكرا وخديعة منها فاجتمعوا اليها وقالوا لها أنت أحق بهذا الملك من غيرك فقالت لولا العار والنار ماقتلته ولكن رأيته قد عم فساده فأخذتني الحمية ففعلت به مافعلت فملكوها واستتبت أمرها في المملكة وروى ابن ميمونة باسناده عن الحسن بن علي عن أبي بكر قال ذكرت بلقيس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لا يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة قالوا فلما ملكت بلقيس اتخذت قصرا وعرشا

﴿صفة القصر الذي بنته بلقيس﴾

قال الشعبي روى أن بلقيس لما ملكت أمرت ببناء قصر فحمل اليها خمسمائة اسطوانة من رخام طول كل اسطوانة خمسون ذراعا فأمرت بها فنصبت على جبل قريب من مدينة صنعاء وجعلت بين كل اسطوانتين عشرة أذرع ثم جعلت فيها سقفا منظومة بألواح الرخام وألحم بعضها الى بعض بالرصاص حتى صارت كأنها لوح واحد ثم بنت فوق ذلك قصرا مربعا من آجر وجص في كل زاوية من زواياه قبة من ذهب مشرفة في الهواء وفيما بين ذلك مجالس حيطانها من ذهب وفضة مرصعة بألوان الجواهر المربعة وجعلت فيه أي في باب ذلك القصر مما يلي المدينة برجا من الرخام الأبيض والأخضر والأحمر وفي جوانبه حجر لحجابها ونوابها وحراسها وخدامها وحشمها على قدر مراتبهم (صفة عرشها) كان مقدمه من ذهب مفصص باليواقيت الحمر والزمرد الأخضر ومؤخره من فضة مكلل بألوان الجواهر وله أربع قوائم قائمة من ياقوت أحمر وقائمة من ياقوت أخضر وقائمة من زمرد أخضر وقائمة من در أصفر وصفائح السرير من الذهب وعليه سبعون بيتا وعلى كل بيت باب مغلق وكان طوله ثمانين ذراعا في ثمانين ذراعا في الهواء فذلك قوله عز وجل وأوتيت من كل شيء أي مما يحتاج اليه في الملك من الآلة والعدة ولها عرش عظيم أي سرير ضخم حسن وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وذلك أنها قالت لوزرائها ما كان يعبد آبائي الماضون قالوا كانوا يعبدون اله السماء قالت وأين هو قالوا هو في السماء وعلمه في الارض قالت فكيف أعبده وأنا لا أراه ولست أعرف شيأ أشد من نور الشمس فهي أولى ماينبغي لنا عبادته فعبدت الشمس من دون الله تعالى وحملت قومها على عبادتها وكانوا يسجدون لها اذا طلعت واذا غربت (قال) فلما قال ذلك الهدهد لسليمان قال له سليمان سننظر أصدقت أم كنت من الكاذبين ثم ان الهدهد دلهم على الماء

ذلك الغلام ثم التفت خلفي فرأيت موضعا آخر با فضيت الى ذلك الموضع فاذا بالغلام قائم يصلي فلما نظرت اليه قلت هو هذا ورب الكعبة فقال النخاس وما تصنع بهذا الغلام يامالك وهو غلام مشؤم مكار قال مالك وماشؤمه ومكره فقال النخاس خذه وأرحني منه قال مالك فأخذته بعشرين دينارا فقال النخاس يامالك هذا الثمن كثير في هذا العبد فقال مالك والله انه قليل في ثمنه واني راغب فيه ثم أخذت بيده فقلت له ما اسمك يا غلام فقال ميمون قال فلما مضينا من عند النخاس قال الغلام يامولاي ما تصنع بي فقلت له للخدمة فقال والله لم أخدم أحدا من المخلوقين وانما خدمتي لله رب العالمين فما حملك على شراء الغلام المشؤم قال مالك حملني على ذلك ما رأيته منك بالامس في المسجد الخرب الذي بالصحراء قال مالك فتغير وجه الغلام عند سماع ذلك فلما أقبلنا الى مسجد كان قريبا من المنزل قال يامولاي تأذن لي أن أصلي في هذا المسجد ركعتين فقلت نعم فدخل وصلى ركعتين وجلست على باب المسجد أنتظره فلما فرغ من صلاته قال الهي وسيدي ومولاي كانت المعاملة بيني وبينك سرا والآن قد علم بها المخلوقون فاقبضني اليك الساعة ثم

فاحتفروا الركايا وهى الآبار التى لم تطو بيطن كل واد فروى الناس والدواب وكانوا قد عطشوا ثم كتب سليمان كتابا من عبد الله سليمان بن داود الى بلقيس ملكة سبأ بسم الله الرحمن الرحيم السلام على من اتبع الهدى أما بعد أن لا تعلوا على وائتونى مسلمين قال ابن جريج وغيره لم يزد سليمان على ماقص الله تعالى فى كتابه شيأ وكان أبلغ الناس فى كتابه وأقلهم املاء وكذلك الانبياء عليهم الصلاة والسلام كانوا يكتبون جملا ولا يطيلون كتابا ولا يكثرون قالوا فلما كتب الكتاب طبعه بالمسك وختمه بخاتمه وقال للهدهد اذهب بكتابى هذا فألقه اليهم ثم تول عنهم وكن قريبا منهم فانظر ماذا يرجعون أى يردون من الجواب فأخذ الهدهد الكتاب وأتى بلقيس وكانت بأرض يقال لها مأرب من صنعاء على ثلاثة أيام فوافاها فى قصرها وقد غلقت الابواب وكانت اذا رقدت غلقت الابواب وأخذت المفاتيح فوضعتها تحت رأسها ومضت الى فراشها فأتاها الهدهد وهى نائمة مستلقية على ظهرها فألقى الكتاب على نحرها هذا قول قتادة وقال مقاتل حمل الهدهد الكتاب بمنقاره وطار حتى وقف على رأس المرأة فرفرف ساعة والناس ينظرون حتى رفعت المرأة رأسها فألقى الكتاب فى حجرها وقال وهب بن منبه كانت لها كوة يعنى طاقة مستقبلة للشمس تقع الشمس فيها حين تطلع فاذا نظرت اليها سجدت لها فجاء الهدهد الى تلك الكوة فسدها بجناحيه فارتفعت الشمس ولم تعلم فاستبطأت الشمس فقامت تنظر فرمى الصحيفة فى وجهها قالوا فأخذت بلقيس الكتاب وكانت قارئة كاتبة عربية من قوم تبع بن شراحيل الحميرى فلما رأت الخاتم ارتعدت وخضعت لان ملك سليمان كان فى خاتمه وعرفت أن الذى أرسل هذا الكتاب هو أعظم ملكا منها وقالت ان ملكا تكون رسله الطير لملك عظيم فقرأت الكتاب وتأخر الهدهد غير بعيد ثم انها جاءت حتى قعدت على سرير ملكها وجمعت الملأ من قومها وهم اثنا عشر ألف قيل تحت يد كل قيل منهم مائة ألف مقاتل وكانت تكلمهم من وراء الحجاب فاذا حزبها أمر أسفرت عن وجهها فلما جاؤا وأخذوا مجالسهم قالت لهم بلقيس انى ألقى الى كتاب كريم أى شريف لشرف صاحبه وقال الضحاك سمته كريما لانه كان مختوما يدل عليه ما أخبرنى به أبو حامد الوراق باسناده عن ابن عباس عن النبى صلى الله عليه وسلم قال كرم الكتاب ختمه وقيل سمته كريما لانه مصدر بسم الله الرحمن الرحيم فذلك قوله تعالى انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم أن لا تعلوا على وائتونى مسلمين ثم قالت يا أيها الملأ أفتونى فى أمرى وأشيروا على فيما عرض لى ما كنت قاطعة أمرا حتى تشهدون أى تحضرون فقالوا مجيبين لها نحن أولو قوة وأولو بأس شديد عند الحرب والامر اليك فانظرى ماذا تأمرين تجدينا لامرك طائعين فقالت لهم بلقيس حين عرضوا أنفسهم للحرب ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة أى أهانوا أشرافها وكبراءها لكى يستقيم لهم الامر فصدق الله قولها فقال وكذلك يفعلون أنشدنى أبو القاسم الجنيد فى هذا المعنى قال أنشدنى أبى فى معناه

ان الملوك بلاء حيثما حلوا * فلا يكن لك فى أكنافهم ظل
ماذا تؤمل من قوم اذا غضبوا * جاروا عليك وان أرضيتهم ملوا
وان مدحتهم خالوك تخدعهم * واستثقلوك كما يستثقل الكل
فاستغن بالله عن أبوابهم كرما * ان الوقوف على أبوابهم ذل

قال الله تعالى مخبرا عنها وانى مرسلة اليهم بهدية وذلك أن بلقيس كانت امرأة لبيبة عاقلة قد ساست الملأ من قومها وجربت الامور وساسته انى مرسلة اليهم الى سليمان وقومه بهدية أصانعه عن ملكى وأختبره بها أملك أم نبى فان يك ملكا قبل الهدية وانصرف وان يك نبيا لم يقبل الهدية ولم يرض منا الا أن نتبعه على دينه ثم انها أهدت اليه وصفاء ووصائف قال ابن عباس ألبستهم لباسا واحدا حتى لا يكاد يعرف الذكر من الانثى وقال مجاهد ألبست الغلمان لباس الجوارى وألبست الجوارى لباس الغلمان واختلفوا فى عددهم فقال الكلبى عشر جوار وعشرة غلمان وقال مقاتل مائة وصيف ومائة وصيفة وقال مجاهد مائتا غلام ومائتا جارية وقال وهب خمسمائة غلام وخمسمائة جارية وأرسلت اليه أيضا بصفائح الذهب واختلفوا فى كيفيتها وعددها (أخبرنى) ابن ميمونة أيضا باسناده عن ثابت البنانى فى قوله تعالى وانى مرسلة اليهم بهدية قال أهدت له صفائح الذهب فى أوعية الديباج فلما بلغ ذلك سليمان أمر الجن فموهوا الآجر بالذهب ثم أمر به فألقى فى الطريق فى كل مكان فلما جاؤا رأوه ملقى فى الطريق فى كل مكان قالوا قد جئنا نحمل شيئا نراه ههنا ملقى لا يلتفت اليه فصغر فى أعينهم ما جاؤا به وقيل كانت أربع لبنات من ذهب (وقال وهب) بن منبه وغيره من أهل الكتب عمدت بلقيس الى خمسمائة جارية

شهق شهقة فمات رحمه الله تعالى عليه قال مالك فدخلت عليه فوجدته يضحك فى موته فتأسفت عليه فبينما أنا كذلك اذا بشابين جميلين كأنهما الاقمار قد دخلا من باب المسجد فسلما على وقالا أعظم الله أجرنا وأجرك فى ميمون ثم أعطانى أحدهما كفنا جديدا يفوح منه رائحة المسك قال مالك فغسلناه وكفناه وصلينا عليه ودفناه رحمة الله تعالى عليه وعلى جميع المسلمين (وحكى عن بعضهم رضى الله تعالى عنه أنه قال) حججت سنة من السنين الى بيت الله الحرام وزيارة النبى عليه الصلاة والسلام وكانت سنة كثيرة الحر فلما كانت ذات ليلة غفوت قليلا فلما استيقظت اذا بى قد انقطعت عن الركب وصرت وحدى فى البرية ولم أدر كيف أصنع فبينما أنا كذلك اذ لاح لى شخص أمامى فأسرعت نحوه فاذا هو غلام لانبات بعارضيه كأنه القمر المنير أو الشمس الضاحية وهو يمشى ويتبختر كأنه فى صحن داره فتقدمت اليه وسلمت عليه فقال وعليك السلام يا ابراهيم فتعجبت منه ثم قلت سبحان الله من أين عرفتنى ولم ترنى قبل ذلك اليوم فقال ما جهلت منذ عرفت ولا قطعت منذ وصلت قال ابراهيم فقلت له ما الذى أوصلك الى هذه البرية فى مثل هذه السنة الكثيرة الحر قال يا ابراهيم ما أنست

وخمسمائة غلام فألبست الجوارى لباس الغلمان الاقبية والمناطق وألبست الغلمان لباس الجوارى وجعلت فى سواعدهم أساور من ذهب وفى أعناقهم أطواقا من ذهب وفى آذانهم أقراطا وشنوفا مرصعات بأنواع الجواهر وحملت الجوارى على خمسمائة فرس والغلمان على خمسمائة برذون على كل فرس سرج من ذهب مرصع بالجواهر غواشيها من الديباج الملون وبعثت اليه أيضا خمسمائة لبنة من ذهب وخمسمائة لبنة من فضة وتاجا مكللا بالدر والياقوت المرتفع وأرسلت اليه أيضا بالمسك والعنبر والعود والالنجوج وعمدت الى حقة فجعلت فيها درة ثمينة غير مثقوبة وجزع خرزة مثقوبة معوجة الثقب ودعت رجلا من أشراف قومها يقال له المنذر بن عمرو و وضمت اليه رجالا من قومها أصحاب رأى وعقل وكتبت معهم كتابا بنسخة الهدية وقالت فى الكتاب ان كنت نبيا فميز بين الوصائف والوصفاء وأخبرنا بما فى الحقة قبل أن تفتحها واثقب الدرة ثقبا مستويا وأدخل خيطا فى الخرزة ثم أمرت بلقيس الغلمان فقالت لهم اذا كلمكم سليمان فكلموه بكلام فيه تأنيث وتخنث يشبه كلام النساء وأمرت الجوارى أن يكلموه بكلام فيه غلظة يشبه كلام الرجال ثم انها قالت للرسول انظر الى الرجل اذا دخلت عليه فان نظر اليك نظر غضب فاعلم أنه ملك فلا يهولنك منظره فأنا أعز منه وان رأيته رجلا بشاشا لطيفا فاعلم أنه نبى مرسل فتفهم كلامه ورد الجواب فانطلق الرسل بالهدايا فلما رأى الهدهد ذلك أقبل مسرعا الى سليمان وأخبره بالخبر كله فأمر سليمان الجن أن يصنعوا له لبنا من الذهب والفضة ففعلوا ذلك ثم أمرهم أن يبسطوا له من موضعه الذى هو فيه الى تسع فراسخ ميدانا واحدا بلبنات الذهب والفضة وأن يجعلوا حول الميدان حيطانا مشرفة من الذهب والفضة ففعلوا ذلك فقال لهم أى الدواب أحسن مما رأيتم فى البر والبحر فقالوا يانبى الله انا رأينا فى بحر كذا دواب مختلفة ألوانها لها أجنحة وأعراف ونواص فقال سليمان على بها الساعة فأتوه بها فقال شدوها عن يمين الميدان وعن يساره على لبنات الذهب والفضة وألقوا لها علوفة فيها ثم قال للجن على بأولادكم فاجتمع خلق كثير فأقامهم فيها عن يمين الميدان وعن يساره ثم قعد سليمان فى مجلسه على سريره ووضع أربعة آلاف كرسى عن يمينه ومثلها عن يساره وأمر الشياطين أن يصطفوا صفوفا فراسخ وأمر الانس فاصطفوا فراسخ وأمر الوحوش والسباع والهوام والطيور فاصطفوا فراسخ عن يمينه وعن يساره فلما أقبل القوم ودنوا من الميدان ونظروا الى ملك سليمان ورأوا الدواب التى لم تر أعينهم مثلها تروث على لبن الذهب والفضة تقاصرت اليهم أنفسهم ورموا بما معهم من الهدايا (وفى بعض الروايات) أن سليمان عليه السلام لما أمر بفرش الميدان بلبنات الذهب والفضة وأمرهم أن يتركوا فى طريقهم على قدر اللبنات التى معهم فلما رأت الرسل موضع اللبنات خاليا وكل الارض مفروشة خافوا أن يتهموهم بذلك فطرحوا ما معهم فى ذلك المكان قال فلما جاؤا الى الميدان ورأوا الشياطين نظروا الى منظر عجيب ففزعوا منهم فقيل لهم جوزوا فلا خوف عليكم قال فكانوا يمرون على كردوس كردوس من الجن والانس والطير والسباع والوحوش حتى وقفوا بين يدى سليمان عليه السلام فنظر اليهم سليمان نظرا حسنا بوجه طلق وقال ماوراءكم فأخبره رئيس القوم بما جاؤا به وأعطوه كتاب الملكة فلما نظر اليه وقرأه قال لهم أين الحقة فأتى بها فحركها فجاءه جبريل عليه السلام فأخبره بما فى الحقة فقال ان فيها درة ثمينة بلاثقب وخرزة مثقوبة معوجة الثقب فقال له الرسول صدقت فاثقب الدرة وأدخل الخيط فى الخرزة فقال سليمان عليه السلام من لى بثقبها فسأل الانس فلم يكن عندهم علم ذلك ثم سأل الجن فلم يكن عندهم علم ذلك ثم سأل الشياطين فقالوا له ارسل الى الارضة فأرسل اليها فلما أتت أخذت شعرة فى فيها ومرت فى الخرزة حتى خرجت من الجانب الآخر فقال لها سليمان سلى حاجتك قالت أن تصير رزقى فى الشجر قال لك ذلك ثم قال من لهذه الخرزة يسلكها بالخيط فقالت دودة بيضاء أنا لها يانبى الله فأخذت الدودة خيطا فى فيها ودخلت الثقب فخرجت من الجانب الآخر فقال لها سليمان ما حاجتك فقالت أن تصير رزقى فى الفواكه قال لها لك ذلك ثم انه ميز بين الجوارى والغلمان بأن أمرهم أن يغسلوا وجوههم وأيديهم فكانت الجارية تأخذ الماء من الآنية باحدى يديها ثم تجعله فى اليد الاخرى ثم تضرب به الوجه والغلام يأخذه من الاناء بيديه ويضرب به وجهه وكانت الجارية تصب على باطن ساعدها والغلام على ظهر الساعد وكانت الجارية تصب الماء صبا وكان الغلام يحدر الماء على ساعده حدرا فميز بينهم بذلك ثم رد سليمان الهدية كلها وقال أتمدونني بمال فما آتانى الله خير مما آتاكم بل أنتم بهديتكم تفرحون لانكم أهل المفاخرة

بسواه ولا رافقت أحدا غيره وانى منقطع اليه بالكلية مقرله بالربوبية قال ابراهيم فقلت له من أين المأكول والمشروب فقال تكفل بى المحبوب قال ابراهيم فقلت له ياغلام أماتخاف من بعد السفر وطول المشقة فأنشد يقول شعرا

من ذا يخوفنى بالبر أقطعه * الى الحبيب وقد قدمت ايمانا *
الحب أقلقنى والشوق أزعجنى * فلا يخاف محب الله انسانا *
فان أجوع فذكر الله يشبعنى * ولا أكون بحمد الله عطشانا *
وان ضعفت فوجدى فيه يحملنى * الى الحجاز ومن أقصى خراسانا

قال ابراهيم فتعجبت من كلامه على صغر سنه ثم قلت له بالله عليك ياغلام ماعمرك فقال اثنتا عشرة سنة فقلت والله لقد أدهشنى ماسمعت منك فتبسم وقال الحمد لله الذى أولانا من نعمه وفضلنا على كثير من عباده فتعجبت من حسن وجهه وحلاوة منطقه وقلت سبحان الخالق المصور فأطرق رأسه ساعة ونظر الى وقال ياابراهيم ان المنقطع من قطعه الحبيب والمواصل من أخذ من الطاعة بنصيب فهل أنت منقطع عن الحجاج ياابراهيم قلت له نعم سألتك بالله أن تدعولى أن ألحق من سبقنى من أصحابى قال فنظر الى السماء وحرك شفتيه وأخذتنى سنة من النوم فما استيقظت الا وأنا فى وسط

والكثرة

والمكاثرة فى الدنيا ولا تعرفون غير ذلك ولست الدنيا من حاجتى لان الله تعالى قد مكننى منها وأعطانى مالم يعط أحدا من العالمين فيها ومع ذلك فالله سبحانه وتعالى أكرمنى بالنبوة والحكمة ثم انه قال للمنذر بن عمرو أمير القوم ارجع اليهم بالهدية فلنأتينهم بجنود لاقبل لهم بها ولنخرجنهم منها أذلة وهم صاغرون ان لم يأتونى مسلمين قالوا فلما رجعت رسل بلقيس اليها من عند سليمان وأخبروها قالت والله ما هذا بملك وما لنا به من طاقة فبعثت الى سليمان انى قادمة عليك بملوك قومى حتى أنظر ما أمرك وما تدعو اليه من دينك ثم ان بلقيس أمرت بعرشها فجعل فى سبع أبيات بعضها داخل بعض فى آخر قصر من قصورها ثم أغلقت دونه الابواب ووكلت به حراسا يحفظونه ثم انها قالت لمن خلفت على سلطانها احتفظ بما قبلك وسرير ملكى فلا تخلص اليه أحد ولا يراه حتى آتيك ثم انها أمرت مناديا ينادى فى أهل مملكتها يؤذنهم بالرحيل ثم شخصت الى سليمان فى اثنى عشر ألف قيل من ملوك اليمن تحت يد كل قيل مائة ألف مقاتل قال ابن عباس وكان سليمان عليه السلام رجلا مهيبا لا يبتدأ بشئ حتى يكون هو الذى يسأل عنه فخرج يوما فجلس على سرير ملكه فرأى رهجا قريبا منه فقال ما هذا قالوا بلقيس يارسول الله قال وقد نزلت منا بهذا المكان قالوا نعم قال ابن عباس وكان ما بين الكوفة والحيرة قدر فرسخ فأقبل سليمان على جنوده وقال أيكم يأتينى بعرشها قبل أن يأتونى مسلمين أى طائعين خاضعين واختلف العلماء فى السبب الذى لاجله أمر سليمان باحضار العرش فقال أكثرهم لان سليمان علم أنها اذا أسلمت حرم الله عليه مالها فاراد أن يأخذ سريرها قبل أن يحرم عليه أخذه باسلامها (وقال قتادة) لانه أعجبته صفته لما وصفه الهدهد فاراد أن يراه قبل أن يراها وقيل ليريها قدرة الله تعالى وعظيم سلطانه فى معجزة يأتى بها فى عرشها قال عفريت من الجن وهو المارد القوى أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك أى مجلسك الذى تقضى فيه قال ابن عباس كان له غداة كل يوم مجلس يقضى فيه الى نصف النهار واختلفوا فى اسمه فقال وهب انه كودى وقال شعيب انه كوذان وانى عليه لقوى أى قوى على حمله أمين على ما فيه من الجواهر فقال سليمان أريد أسرع من هذا فقال الذى عنده علم من الكتاب الآية واختلفوا فيه فقال بعضهم هو جبريل عليه السلام وقال آخرون ملك من الملائكة أيد الله به نبيه عليه السلام وقال آخرون بل كان رجلا من بنى آدم ثم اختلفوا فيه فقال أكثر المفسرين هو آصف بن برخيا بن شمعيا بن ملكيا وكان صديقا يعلم اسم الله الاعظم الذى اذا دعى به أجاب واذا سئل به أعطى (أخبرنا) ابن ميمونة باسناده عن ابن عباس قال ان آصف قال لسليمان حين صلى ودعا الله تعالى مد عينيك حتى ينتهى طرفك قال فمد سليمان عينيه فنظر نحو اليمن فبعث الله الملائكة فحملوا السرير من تحت الارض يخدون الارض خدا حتى انخرقت الارض بالسرير فنبع بين يدى سليمان واختلف العلماء فى الدعاء الذى دعا به آصف بن برخيا عند الاتيان بالعرش (فروى) عن عائشة رضى الله عنها عن أبيها أن الاسم الاعظم الذى دعا به آصف بن برخيا ياحى ياقيوم وروى عن الزهرى قال دعاء الذى عنده علم من الكتاب ياالهنا واله كل شئ الها واحدا لااله الا أنت ائتنى بعرشها وقال مجاهد ياذا الجلال والاكرام (حدثنا) ابن ميمونة باسناده عن زيد بن أسلم مولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال الذى عنده علم من الكتاب رجل صالح وكان فى جزيرة من جزائر البحر فخرج ذلك اليوم ينظر مساكن الارض وهل يعبد الله أو لا يعبد فوجد سليمان فدعا باسم من أسماء الله تعالى فاذا هو بالعرش قد حمل فأتى به سليمان عليه السلام من قبل أن يرتد اليه طرفه وباسناده عن مجاهد قال حدثنا سهيل بن حرب قال زعم ابن أبى بردة ان اسم الذى عنده علم من الكتاب اسطوم وقال قتادة اسمه مليخا وقال محمد بن المنكدر انما هو سليمان آتاه الله علما وفقها قال له عالم من بنى اسرائيل أنا آتيك به قبل أن يرتد اليك طرفك فقال سليمان هات قال أنت النبى ابن النبى وليس أحد عند الله أوجه منك فان دعوت الله وطلبت منه كان عندك قال صدقت ففعل ذلك فجئ بالعرش فى الوقت فلما رأى سليمان العرش مستقرا عنده محمولا اليه من مأرب الى الشام فى قدر ارتداد الطرف وهو مدة يسيرة قال هذا من فضل ربى ليبلونى أأشكر أم أكفر ومن شكر فانما يشكر لنفسه أى لم ينفع بذلك الا نفسه حيث استوجب شكره لتمام النعمة ودوامها لان الشكر قيد النعمة الموجودة وصيد النعمة المفقودة ومن كفر فان ربى غنى عن شكره كريم الافضال عمن يكفر نعمته فقال سليمان عليه السلام نكروا لها عرشها أى زيدوا فيه وانقصوا منه واجعلوا أعلاه أسفله وأسفله أعلاه ننظر أتهتدى الى عرشها فتعرفه أم تكون

الحجاج ورفيقى يقول لى احذر أن تقع من على الراحلة ولم أدر أين ذهب الغلام فسألت الله أن يجمعنى به قبل الموت فلما دخلنا مكة اذا بالغلام متعلق باستار الكعبة وهو يبكى وينشد ويقول شعرا

تعلقت بالاستار والقبر زرته
وأنت بما فى القلب والسر أعلم
أتيت اليه ماشيا غير راكب
وانى على صغرى محب متيم
هويتك طفلا حيث لاأعرف الهوى
فلا تعذلونى اننى متعلم
وان كانت قد حانت الهى منيتى
لعلى بوصل منك أحظى وأغنم

قال ابراهيم ثم أرخى عينيه وخرساجدا فاتيت اليه وحركته فاذا هو قد مات رحمة الله تعالى عليه فأسفت لذلك ومضيت الى رجل لآخذ له منه كفنا واستعنت برفيقى حتى ساعدنى على تجهيزه فاتينا اليه فلم نجده فتعجبت من ذلك وسألت عنه من الحجاج فلم يخبرنى به أحد فعرفت انه مستتر عن أعين الناس وما رآه أحد غيرى فرجعت الى مكانى ولم أفتر عن ذكره فلما جن الليل نمت فرأيته فى المنام وهو فى موكب عظيم وعليه نور ساطع وعليه من الحلى والحلل ما يعجز عن وصفه الواصفون قال ابراهيم فقلت له ألست صاحبى بالامس فقال نعم فقلت له والله لقد طلبتك

من الجاهلين الذين لا يهتدون اليه أراد أن يختبر عقلها وانما حمل سليمان على ذلك ما ذكره وهب بن منبه ومحمد ابن كعب وغيرهما من أهل العلم أن الشياطين خافت أن يتزوجها سليمان ويستولدها فتفشى اليه أسرار الجن فلا ينفكون من تسخير سليمان وذريته من بعده فأرادوا أن يزهدوه فيها فاساؤا الثناء عليها وقالوا له ان في عقلها شيأ وان رجليها كحافر حمار فأراد سليمان أن يختبر عقلها بتنكير عرشها وينظر الى قدميها ببناء الصرح فلما جاءت بلقيس قيل لها أهكذا عرشك قالت كأنه هو فشبهته به وكانت قد تركته خلفها في بيت خلف سبعة أبواب مغلقة والمفاتيح معها فلم تقر بذلك ولم تنكر فعلم سليمان كمال عقلها (قال الحسين) بن الفضل شبهوا عليها فشبهت عليهم وأجابتهم على حسب سؤالهم ولو قالوا لها هذا عرشك لقالت نعم فقال سليمان وأوتينا العلم بابتلائها ومجيئها طائعة من قبلها أي من قبل مجيئها وكنا مسلمين طائعين خاضعين لله تعالى هذا قول مجاهد وغيره وقال بعضهم هو من قول بلقيس لما رأت عرشها عند سليمان قالت قد عرفت هذا وأوتينا العلم بصحة نبوة سليمان عليه السلام بالآيات المتقدمة من قبلها أي من قبل هذه الآية وكنا مسلمين أي منقادين لك مطيعين لأمرك من قبل أن جئناك فلما وافت سليمان عليه السلام قيل لها ادخلي الصرح وذلك أن سليمان لما أقبلت بلقيس تريده أمر الشياطين فبنوا له صرحا أي قصرا من زجاج كأنه الماء بياضا وأجروا من تحته الماء وألقى فيه السمك ثم وضع سريره في صدره وجلس عليه وعكفت عليه الطير والجن والانس وانما أمر ببناء الصرح لان الشياطين قال بعضهم لبعض قد سخر الله لسليمان ما سخر وبلقيس ملكة سبأ ينكحها فتلد غلاما فلا ننفك من العبودية والسخرة أبدا فارادوا أن يزهدوه فيها فقالوا ان رجلها رجل حمار وانها شعراء الساقين لان أمها كانت جنية فاراد سليمان أن يعلم حقيقة ذلك وينظر قدميها وساقيها فامر ببناء الصرح (وقال وهب بن منبه) انما بنى الصرح ليختبر عقلها وفهمها ويعاييها بذلك كما فعلت هي بتوجيهها اليه الوصائف والوصفاء ليميز بين الذكر والانثى فلما جاءت بلقيس قيل لها ادخلي الصرح فلما رأته حسبته لجة وهي معظم الماء فكشفت عن ساقيها لتخوضه الى سليمان فنظر سليمان عليه السلام فاذا هي أحسن الناس ساقا وقدما الا أنها كانت شعراء الساقين فلما رأى سليمان ذلك صرف بصره عنها وناداها انه صرح ممرد من قوارير وليس بماء فلما جلست قالت له يا سليمان اني أريد أن أسألك عن شيء قال سلي قالت أسألك عن ماء رؤى ليس من الارض ولا من السماء وكان سليمان اذا جاء شيء لا يعلمه سأل عنه الانس فان كان عندهم علم ذلك والا سأل الجن فان علموا والا سأل الشياطين فسأل الشياطين عن ذلك فقالوا ما أهون ذلك مر الخيل أن تجرى ثم املا الآنية من عرقها فقال لها سليمان عرق الخيل فقالت صدقت ثم قالت اخبرني عن كون ربك فوثب سليمان عن سريره وخر ساجدا وصعق فقامت عنه وتفرقت جنوده فجاء جبريل عليه السلام وقال له يا سليمان يقول لك ربك ما شأنك قال يا جبريل ربي أعلم بما قالت قال فان الله يأمرك أن تعود الى سريرك فترسل اليها والى من حضرها من جنودك وجنودها فتسألها وتسألهم عما سألتك عنه ففعل ذلك سليمان فلما دخلوا عليه واستقر وا قال لها عماذا سألتني قالت عن ماء رؤى ليس من أرض ولا من سماء فاجبت قال وعن أي شيء سألتني أيضا قالت ما سألتك عن شيء الا هذا فسأل الجنود فقالوا مثل قولها وأنساهم الله تعالى ذلك وكفى الله سليمان الجواب ثم ان سليمان دعاها الى الاسلام وكانت قد رأت حال الهدهد والهدية والرسل والعرش والصرح فأجابت وقالت رب اني ظلمت نفسي بالكفر وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين (واختلف العلماء) في أمرها بعد الاسلام فقال أكثرهم لما أسلمت بلقيس أراد سليمان أن يتزوجها فلما هم بذلك كره لما رأى من شدة كثرة شعر ساقيها وقال ما أقبح هذا فسأل الانس عما يذهب ذلك فقالوا الموسى فقالت المرأة ما مسني حديدة قط فكره سليمان الموسى وقال انها تقطع ساقيها فسأل الجن فقالوا لا ندري ثم سأل الشياطين فتنكروا عليه وقالوا لا ندري فلما ألح عليهم قالوا نحن نحتال لك عليه حتى يكون كالفضة البيضاء فاتخذوا لها النورة والحمام (قال ابن عباس) انه أول يوم رؤيت فيه النورة فاستنكحها سليمان عليه السلام (أخبرني) ابن ميمونة بسنده عن أبي موسى يبلغ به النبي صلى الله عليه وسلم قال أول من اتخذ الحمامات سليمان عليه السلام فلما التصق ظهره بالجدار قال أواه من عذاب الله تعالى قالوا فلما تزوجها سليمان أحبها حبا شديدا وأقرها على ملكها وأمر الجن فبنوا لها بأرض اليمن ثلاثة حصون لم ير الناس مثلها ارتفاعا وحسنا وهي سلحين وغمدان

وبينون

لاغسلك وأكفنك فلم أجدك ١٨٠ فقال يا ابراهيم ان الذي أخرجني وبحبه شوقني وعن أهلي غربني هو الذي كفنني وما أحوجني قال ابراهيم فقلت له ما فعل الله بك بعد ذلك قال أوقفني بين يديه وقال لي ما بغيتك قلت أنت بغيتي فقال الله عز وجل أنت عبدي حقا ولا أحجب عنك كل ما تريد فقلت سيدي أريد أن تشفعني في القرن الذي مت فيه فقال الله عز وجل قد شفعتك فيه قال ابراهيم ثم صافحني فاستيقظت من منامي فرحا مسرورا فلما أصبحت قضيت ما كان علي من فرائض الحج ولم يفتر قلبي عن ذكر الغلام وسرت في جملة الحاج والناس يقولون يا ابراهيم ازعجت الناس من طيب رائحتك قال ولم تزل رائحة الطيب تفوح من يد ابراهيم حتى مات ﴿وحكي عن ابراهيم الخواص رحمه الله تعالى﴾ أنه قال كنت سائرا في طريق مكة على الوحدة فتهت عن الطريق فكنت أمشي يومي وليلتي حتى أدركني المساء فاغتممت لذلك غما شديدا لاجل الوضوء وفقد الماء وكانت ليلة مقمرة فسمعت صوتا ضعيفا وهو يقول لي يا أبا اسحق فدنوت منه فاذا هو شاب حسن الشباب نظيف الاثواب فسلمت عليه فرد على السلام فوجدته منطرحا على الارض وليس فيه

وبينون ثم ان سليمان كان يزورها فى كل شهر مرة بعد أن ردها الى ملكها ويقيم عندها ثلاثة أيام ثم يبكر من الشام الى اليمن ومن اليمن الى الشام (وروى) محمد بن اسحق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه قال سليمان لبلقيس لما أسلمت وفرغ من أمرها اختارى رجلا من قومك حتى أزوجك اياه قالت ومثلى ينكح الرجال يا نبى الله وقد كان لى فى ملكى وقومى من السلطان ما كان قال نعم انه لا يكون فى الاسلام الا ذلك ولا ينبغى لك أن تحرمى ما أحل الله لك قالت زوجنى ان كان ولا بد من تبع الاكبر ملك همدان فزوجها اياه ثم ردها الى اليمن وسلط زوجها ذا تبع على اليمن ودعا سليمان زوبعة أمير جن اليمن فقال له اعمل لذى تبع ما استعملك فيه قال فصنع لذى تبع المصانع باليمن ثم لم يزل بها ملكا يعمل فيها ما أراد حتى مات سليمان عليه السلام قال فلما حال الحول وبلغ الجن موت سليمان أقبل رجل منهم فسلك تهامة حتى اذا كان فى جوف اليمن صرخ بأعلى صوته يا معشر الجن ان سليمان نبى الله قد مات فارفعوا أيديكم قال فعمدت الشياطين الى حجرين عظيمين فكتبوا فيهما كتابا بالمسند يعنى خط الحميرية نحن بنينا سلحين وابنين وبينا صرواح ومرواح وفنقون وهنده وهنيده وبدلوم وهذه الحصون كانت باليمن عملتها الشياطين لذى تبع ولولا صارخ بتهامة لم يرفعوا أيديهم فانطلقوا وتفرقوا وانقضى ملك ذى تبع وملك بلقيس مع ملك سليمان عليه السلام والله أعلم

﴿ باب فى ذكر غزوة سليمان عليه السلام أباه زوجته الجرادة وخبر الشيطان الذى أخذ خاتمه من يده وسبب زوال ملكه ﴾

قال الله تعالى وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب وروى محمد بن اسحق عن بعض العلماء ان سليمان أخبر أن فى جزيرة من جزائر البحر رجلا يقال له صيدون ملك عظيم الشأن لم يكن للناس اليه سبيل لمكانه فى البحر وكان الله قد آتى سليمان فى ملكه سلطانا لا يمتنع عليه شئ فى بر ولا بحر فخرج الى تلك المدينة تحمله الريح على ظهر الماء حتى نزل عليها بجنوده من الجن والانس فقتل ملكها وسبى ما فيها فأصاب فيما أصاب بنتا لذلك الملك يقال لها جرادة لم ير مثلها حسنا وجمالا فاصطفاها لنفسه ودعاها الى الاسلام فأسلمت على يده فى الظاهر على خيفة منه وقلة ثقة فأحبها حبا شديدا لم يحبه واحدة من نسائه وكانت منزلتها عنده منزلة عظيمة وكانت على منزلتها عنده لا يذهب حزنها ولم يرقأ دمعها فشق ذلك على سليمان فقال لها ويحك ما هذا الحزن الذى لا يذهب والدمع الذى لا يرقأ فقالت انى أذكر أبى وأذكر ملكه وسلطانه وما كان فيه فيحزننى ذلك فقال لها سليمان قد أبدلك الله ملكا هو أعظم من ملكه وسلطانا هو أعظم من سلطانه وهداك الله الى الاسلام وهو خير لك من ذلك كله قالت ان ذلك كذلك ولكنى اذا ذكرته أصابنى ما ترى من الحزن فلو أنك أمرت الشياطين يصورون لى صورته فى دارى التى أنا فيها أراها بكرة وعشية لرجوت أن يذهب ذلك حزنى ويسلينى عن بعض ما أجد فى نفسى فأمر سليمان الشياطين أن يمثلوا لها صورة أبيها فى دارها حتى لا تنكر منه شيأ فمثلوه لها حتى نظرت الى أبيها بعينه الا أنه لا روح فيه فعمدت اليه حين صنعوه فأزرته وقمصته وعممته وردته بمثل ثيابه التى كان يلبسها ثم انها كانت اذا خرج سليمان من دارها تغدو اليه فى ولائدها فتسجد له ويسجدن له معها كما كانت تصنع معه فى ملكه وتروح اليه كل عشية تفعل معه مثل ذلك وسليمان لا يعلم بشئ من ذلك أربعين صباحا فبلغ ذلك آصف بن برخيا وكان صديقا وكان لا يرد عن باب سليمان أى ساعة أراد دخول بيته دخل حاضرا أم غائبا فأتاه فقال يا نبى الله كبر سنى ودق عظمى ونفد عمرى وقد حان الذهاب منى وقد أحببت أن أقوم مقاما قبل الموت أذكر فيه من مضى من أنبياء الله تعالى وأثنى عليهم بعلمى فيهم وأعلم الناس بعض ما يجهلون من كثير من أمورهم فقال افعل فجمع له سليمان الناس فقام فيهم خطيبا فذكر من مضى من أنبياء الله تعالى وأثنى على كل نبى بما فيه وذكر ما فضلهم الله به حتى انتهى الى سليمان فقال له ما كان أحكمك فى صغرك وأورعك فى صغرك وأفضلك فى صغرك وأحكم أمرك فى صغرك وأبعدك من كل ما يكره فى صغرك ثم انصرف فوجد سليمان فى نفسه من ذلك حتى امتلأ غيظا فلما دخل سليمان داره أرسل اليه فلما أتاه قال له يا آصف ذكرت من مضى من أنبياء الله تعالى فأثنيت عليهم خيرا فى كل أزمانهم وعلى كل حال من أمورهم فلما ذكرتنى أثنيت على بخير فى صغرى وسكت عما سوى ذلك من أمرى فى كبرى فما الذى أحدثت فى آخر عمرى فقال له ان غير الله يعبد فى دارك أربعين صباحا فى هوى امرأة فقال سليمان فى دارى قال نعم فى دارك فقال انا لله وانا اليه راجعون لقد علمت أنك ما قلت ما قلت الا عن شئ بلغك ثم ان سليمان

حركته وعند رأسه رياحين مختلفة الالوان فتعجبت من ذلك وقلت له ما الذى أتى بك الى هذه البرية وهى مقفرة فقال يا أبا اسحق قد دنت وفاتى وقد سألت الله أن يحضر عندى ولى من أوليائه فنوديت يحضر وفاتك ابراهيم الخواص وها أنا منتظر لك فقلت له يا أخى ما الذى حبسك ههنا فقال يا أخى أنا كنت عند أهلى فى عزة وسرور فخطر على السفر واشتهيت الغربة فخرجت من مدينة شمشاط أريد الحج فوقعت فى هذه البقعة منذ شهرين وقد حضرت الوفاة قال ابراهيم فقلت له ألك والدان فقال نعم ولى أخت صالحة فقلت له هل اشتقت لهم أو خطر بالك بهم فقال لا الا اليوم فانى أحببت أن أشم منهم رائحة أو أحد بهم عهدا قال ابراهيم فاجتمعت اليه وحوش كثيرة وأتوه بهذه الرياحين فبكيت وبكوا معى وصرت متحيرا فى أمره متفكرا فى حاله ووقع حب الشاب فى قلبى وانجذب اليه سرى فبينما أنا كذلك اذ أقبلت حية عظيمة وفى فمها باقة نرجس لم أر أحسن منها ولا أزكى من رائحتها فوضعتها عند رأسه وقالت بلسان فصيح يا ابراهيم اعدل عن ولى الله تعالى فان الله تعالى يغير على أوليائه قال ابراهيم فلحقتنى من ذلك حال وصحت صيحة عظيمة فغشى على فلما أفقت

رجع الى داره فكسر ذلك الصنم وعاقب تلك المرآة و ولائدها ثم انه أمر بثياب الطهر فأتى بها وهى ثياب لا تغزلها الا الابكار ولا تمسها امرأة ذات دم فلبسها ثم خرج الى فلاة من الارض وحده وأمر برماد ففرش ثم أقبل تائبا الى الله تعالى حتى جلس على ذلك الرماد وتمعك فيه بثيابه تذللا لله تعالى وتضرعا اليه يبكى ويدعو ويستغفر مما كان فى داره ويقول فيما يقول رب ما كان ينبغى لآل داود أن يعبدوا غيرك وأن يقروا فى دورهم وأهاليهم عبادة غيرك فلم يزل كذلك يومه حتى أمسى ثم رجع الى داره وكانت له وليدة يقال لها أمينة كان اذا دخل مذهبه أو أراد قضاء حاجة أو أراد اصابة امرأة من نسائه وضع خاتمه عندها حتى يتطهر وكان لا يمس خاتمه الا وهو متطهر لان خاتمه كان من ياقوتة خضراء أتاه بها جبريل عليه السلام مكتوب عليه لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ملكه فى خاتمه فوضعه يوما من الايام عندها كما كان يضعه عند دخول مذهبه فأتاها الشيطان صاحب البحر على صورة سليمان وكان اسمه صخرا فظنته سليمان لانها لم تنكر منه شيأ فقال يا أمينة خاتمى فناولته اياه فجعله فى يده ثم خرج حتى جلس على سرير سليمان فعكفت عليه الطير والجن والانس والشياطين فخرج سليمان فأتى الى أمينة وقد تغير من حاله ونفسه ما كان معهودا له عند كل من رآه فقال يا أمينة خاتمى فقالت ومن أنت قال سليمان بن داود فقالت كذبت لست سليمان فقد جاء سليمان وأخذ خاتمه وها هو جالس على سرير ملكه فعرف سليمان أن الخطيئة قد أدركته فخرج سليمان وجعل يقف على الدار من دور بنى اسرائيل فيقول أنا سليمان بن داود فيحثون عليه التراب ويسبونه ويقولون انظروا الى هذا المجنون وأى شئ يزعم يقول انه سليمان فلما رأى سليمان ذلك خرج متوجها الى البحر فكان ينقل الحيتان لاصحاب البحر من البحر الى السوق فيعطونه كل يوم سمكتين فاذا أمسى باع احدى السمكتين بأرغفة وشوى الاخرى فيأكلها فمكث كذلك أربعين صباحا عدة ما كان ذلك الوثن يعبد فى داره فانكر آصف بن برخيا وعلماء بنى اسرائيل حكم عدو الله الشيطان فى تلك الاربعين يوما فقال آصف يا معشر بنى اسرائيل هل رأيتم من اختلاف حكم سليمان ما رأيت قالوا نعم فقال أمهلونى حتى أدخل على نسائه فأسألهن هل أنكرن منه فى خاصة أمره ما أنكرناه من عامة أمر الناس وعلانيته فدخل على نسائه فقال لهن ويحكن هل أنكرتن من أمر سليمان بن داود ما أنكرناه فقلن أشد ما يدع امرأة منا فى دمها ولا يغتسل من جنابة فقال آصف انا لله وانا اليه راجعون ان هذا لهو البلاء المبين ثم انه خرج الى بنى اسرائيل فقال ما فى الخاصة أعظم مما فى العامة فلما مضت أربعون صباحا طار الشيطان عن مجلسه ثم مر فى البحر فقذف الخاتم فيه فابتلعته سمكة فاصطادها بعض الصيادين وقد عمل له سليمان صدر يومه ذلك حتى اذا كان العشاء أعطاه السمكتين وكان من جملتهما السمكة التى ابتلعت الخاتم فحمل سليمان سمكتيه فباع التى ليس فى بطنها الخاتم بالارغفة ثم عمد الى السمكة الاخرى فشقها ليشويها فوجد خاتمه فى جوفها فأخذه فجعله فى يده ووقع ساجدا فعكفت عليه الطير والجن والانس والشياطين وأقبل على الناس وعلم ان الذى دخل عليه لما أحدث فى داره من عبادة الوثن فرجع الى ملكه وأظهر التوبة من ذنبه ثم أمر الشياطين وقال ائتونى بصخر المارد فطلبته الشياطين حتى أتت به فنقحت له صخرة فادخله فيها ثم سد عليه بأخرى ثم أوثقها بالحديد والرصاص ثم أمر به فقذف فى البحر فهذا حديث وهب بن منبه ﴿ وقال السدى ﴾ فى سبب ذلك كان لسليمان مائة امرأة وكانت امرأة منهن يقال لها جرادة وهى آثر نسائه وآمنهن عنده وكان اذا أراد أن يأتى حاجة أو يدخل مذهبه نزع الخاتم ولم يأتمن عليه أحدا من الناس غيرها فجاءته يوما من الايام وقالت له ان اخى بينه وبين فلان خصومة وأنا أحب أن تقضى له اذا جاءك فقال نعم ولم يفعل فابتلى بقوله فاعطاها خاتمه ودخل المخرج فخرج الشيطان فى صورته فقال لها هات الخاتم فاعطته فجاء حتى جلس على مجلس سليمان وخرج سليمان بعده فسألها أن تعطيه خاتمه فقالت له ألم تأخذه فقال لا فخرج من مكانه تائبا ومكث الشيطان يحكم بين الناس أربعين يوما فانكر الناس حكمه واجتمع قراء بنى اسرائيل وعلماؤهم فجاؤا حتى دخلوا على نسائه فذكروا والهن ما أنكروا فقلن ونحن قد أنكرنا هذا فان كان سليمان قد ذهب عقله وأساء أحكامه فلسنا نصبر على ذلك وبكى النساء عند ذلك قال فاقبلوا يمشون حتى أتوه وأحدقوا به وأخذوا مجالسهم ثم انهم نشروا التوراة فقرؤها فلما قرؤا التوراة طار من بين أيديهم حتى ذهب الى البحر فوقع الخاتم منه فى البحر فابتلعه الحوت قال وأقبل سليمان على حالته التى كان

وجدت الشاب قد فارق الدنيا رحمة الله تعالى عليه فقلت انا لله وانا اليه راجعون ماهذه الا محنة عظيمة كيف أصنع فى تجهيزه قال فأرسل الله على النوم فنمت فما أفقت الا بعد ليلة وقد طلعت على الشمس فنظرت لموضع الشاب فلم أجد له أثرا فتعجبت من ذلك وسرت حتى دخلت مكة فلما قضيت حجى توجهت الى بلد الشاب فاستقبلنى نساء عليهن مرقعات وفى أوائلهن امرأة عليها مرقعة وثوب من شعر وبيدها ركوة وهى لا تفتر عن ذكر الله تعالى فتأملتها فما رأيت أشبه بالشاب منها فقالت يا أبا اسحق انى فى انتظارك لتحدثنى عن أخى وقرة عينى ثم بكت وارتفع بكاؤها فبكيت معها ثم وصفت لها الشاب وما كان عنده من الرياحين فلما بلغت قوله أحببت أن أشم منهم رائحة أو أجدد بهم عهدا قالت أخته قد بلغ الشم ثم سقطت الى الارض ميتة فاحتوشها أهلها وقالوا جزاك الله خيرا يا أبا اسحق لقد أرحتها مما كانت فيه قال ابراهيم فلم يبق أحد فى مدينة شمشاط حتى حضر جنازتها فلما دفنت أقمت عند قبرها الى الليل فلما نمت رأيتها فى روضة خضراء والشاب بجانبها وهما يقرآن هذه الآية لمثل هذا فليعمل العاملون ﴿ وحكى عن الشيخ أبى بكر الشبلى رضى الله تعالى عنه ﴾

فيها

فيها حتى انتهى الى صياد من الصيادين وهو جائع وقد اشتد جوعه فاستطعمهم من صيدهم وقال انى سليمان ابن داود فقام اليه بعضهم فضربه بعصاه فشجه فسال دمه وهو على شاطىء البحر فلام الصيادون صاحبهم الذى ضربه وقالوا له بئسما صنعت حيث ضربته فقال انه زعم انه سليمان بن داود فاعطوه سمكتين مما ضرب عندهم فلم يشغله ما كان فيه من ألم الضرب حتى قام الى شاطىء البحر فشق بطنهما وجعل يغسلهما فوجد خاتمه فى بطن احداهما فاخذه ولبسه فرد الله عليه ملكه وبهاءه وجاءت الطير حتى حامت عليه فعرفه القوم فجاؤا يعتذرون اليه مما صنعوا فقال ما أؤاخذكم على عدوانكم ولا ألومكم على ما كان منكم هذا ما كان لابد منه ثم جاء حتى أتى ماكه وأمر أن يأتوا بالشيطان الذى أخذ خاتمه فاتى به فجعله فى صندوق من حديد ثم أطبقه وأقفل عليه بقفل وختمه بخاتمه ثم أمر به فالقى فى البحر وهو فيه كذلك الى الساعة (وفى بعض الروايات) ان سليمان عليه السلام لما افتتن سقط الخاتم من يده وكان فيه ملكه فاخذه سليمان وأعاده عليه فسقط من يده فلما رآه سليمان لايثبت فى يده أيقن بالفتنة فقال آصف لسليمان انك مفتون بذنبك والخاتم لايتماسك أربعة عشر يوما ففر الى الله تائبا من ذنبك وأنا أقوم مقامك وأسير فى عملك وأهل بيوتك بسيرك الى أن يتوب الله عليك ويردك الى ملكك ففر سليمان هاربا الى ربه وأخذ آصف الخاتم فوضعه فى يده فثبت وان الجسد الذى قال الله تعالى وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب هو آصف كاتب سليمان وكان عنده علم من الكتاب فاقام آصف فى ملك سليمان وعاله يسير بسيرته ويعمل بعمله أربعة عشر يوما الى أن رجع سليمان الى منزله تائبا الى الله تعالى ورد الله عليه ملكه فاقام آصف من مجلسه وجلس سليمان على كرسيه وأعاد الخاتم فى يده فثبت ﴿وقيل﴾ سبب ذلك ما أخبرنا شعيب بن محمد العجلى باسناده عن سعيد بن المسيب ان سليمان بن داود احتجب عن الناس ثلاثة أيام فأوحى الله اليه أن ياسليمان احتجبت عن عبادى ثلاثة أيام فلم تنظر فى أمورهم ولم تنصف مظلوما من ظالم وذكر حديث الخاتم وأخذ الشيطان اياه كما رويناه وقال فى آخره قال على كرم الله وجهه ذكرت ذلك للحسن فقال ما كان الله تعالى ليسلط على نسائه ونعوذ بالله أن يسلط الشيطان على نساء أنبيائه بالمباشرة وكيف يعتقد ذلك أحد وقد نزه الله تعالى أنبياءه عن مثل هذا القبيح وهذا القول أصح الاقوال وأليق بانبياء الله تعالى وأقرب الى التقوى (وقال) بعض المفسرين كان سبب فتنة سليمان أنه أمر أن لايتزوج امرأة الا من بنى اسرائيل فتزوج امرأة من غيرهم فعوقب على ذلك (وقيل) ان سليمان عليه السلام لما أصاب بنت الملك صيدون أعجب بها وعرض عليها الاسلام فامتنعت فخوفها سليمان فقالت له ان أكرهتنى على الاسلام قتلت نفسى فخاف سليمان أن تقتل نفسها فتزوج بها مشركة فكانت تعبد صنما لها من ياقوتة أربعين صباحا فى خفية من سليمان الى أن أسلمت فعوقب سليمان بزوال ملكه أربعين يوما (وقال الشعبى) فى سبب زوال ذلك ولد لسليمان ابن فاجتمعت الشياطين فقال بعضهم لبعض ان عاش له ولد لم ننفك مما نحن فيه من البلاء والسخرة فسبيلنا أن نقتل ولده أو نخبله فعلم سليمان ذلك فامر السحاب أن تأخذ ابنه وأمر الريح فحملته وغدا ابنه فى السحاب فامن مضرة الشياطين فعاتبه الله لتخوفه من الشياطين ومات الولد فالقى على كرسيه وهو الجسد الذى قصه الله علينا بقوله وألقينا على كرسيه جسدا ثم أناب والله تعالى أعلم

﴿باب فى ذكر وفاة سليمان عليه السلام﴾

قال الله تعالى فلما قضينا عليه الموت الآية قال أهل التاريخ لبث سليمان فى ملكه بعد ان رده الله تعالى عليه تعمل له الجن والشياطين ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب وقدور راسيات وغير ذلك ويعذب من الشياطين من يشاء ويطلق من يشاء ويامرهم بحمل الحجارة الثقيلة ونقلها الى حيث أحب قال فتزيا لهم ابليس وهم دائبون فى العمل فقال كيف أنتم قالوا ما لنا طاقة مما نحن فيه فقال ابليس تذهبون تحملون الحجارة وترجعون فراغا لاتحملون شيأ قالوا نعم قال فانتم فى راحة قال فأبلغت الريح ذلك سليمان فأمرهم أن يحملوا ذاهبين وراجعين فجاءهم ابليس فقال كيف أنتم فشكوا اليه وأخبروه انهم يحملون ذاهبين وراجعين فقال لهم ابليس أتنامون بالليل قالوا نعم قال فأنتم فى راحة قال فأبلغت الريح ذلك سليمان فأمرهم أن يعملوا بالليل والنهار فتزيا لهم ابليس فشكوا اليه أنهم يعملون بالليل والنهار وأنهم دائبون فى العمل فقال كيف أنتم قالوا لا طاقة لنا بما نحن فيه فقال لهم ابليس وما يشاء فعله قالوا نعم قال فتوقعوا الفرج وقد بلغ الامر منتهاه فلم يلبثوا الا قليلا

أنه قال مررت بمجنون فى بعض الايام والصبيان يرجمونه بالحجارة وقد أدموا وجهه وشجوا رأسه فزجرتهم عنه وهم يقولون دعنا نقتله فانه كافر فقلت وما الذى تبين لكم من كفره فقالوا يزعم انه يرى ربه ويخاطبه قال الشبلى فدفعتهم عنه وتقدمت اليه فوجدته يحدث نفسه ويضحك ويقول أجميل منك أن تسلط على هؤلاء الصبيان يفعلون بى هكذا قال الشبلى فقلت له ياأخى مايقول عنك هؤلاء الصبيان حق فقال ما الذى يقولون عنى فقلت له يقولون انك ترى ربك وتخاطبه قال فصاح صيحة وغشى عليه فلما أفاق قال ياشبلى وحق من تيمنى بحبه وهيمنى بقربه لو احتجب عنى طرفة عين لتقطعت من ألم البين قال الشبلى فعرفت أنه من الخواص أرباب الاخلاص ثم قلت ياسيدى فما علامة المحبة فقال ياشبلى لو قطرت منها قطرة فى البحار لصارت سعيرا ولو وضعت منها ذرة على الجبال لصارت هباء منثورا فكيف بقلوب كسرها الغرام قلقا وزفيرا وزادها الهيام حرقا وتحيرا ثم جعل يقول شعرا

كشف الحبيب لمن دعاه ستورا * وسقاه كأسا اغتدى مخمورا
وانتاده رالهيب ولم يرد * الا الحبيب فنال منه سرورا
يافوز من كان الحبيب نديمه * وغدا اليه من الجميع مشيرا

وقد مات سليمان عليه السلام (قال) ابن عباس وغيره كان سليمان عليه السلام يحتجب فى بيت المقدس السنة والسنتين والشهر والشهرين وأقل من ذلك وأكثر يدخل فيه بطعامه وشرابه فدخله فى المرة التى مات فيها وكان بدء أمره فى ذلك أنه لم يكن يوما يصبح فيه الا تنبت له بيت المقدس شجرة فيسألها سليمان ما اسمك فتقول الشجرة اسمى كذا وكذا فيقول لاى شئ أنت فتقول لكذا وكذا فيأمر بها فتقطع فان كانت تنبت لغرس كتب عليها غرسها فى مكان كذا وكذا وان كانت لدواء كتب عليها لكذا وكذا فبينما هو يصلى يوما اذ رأى شجرة نابتة بين يديه فقال لها ما اسمك قالت الخرنوبة قال ولاى شئ نبتك قالت لخراب هذا المسجد فقال سليمان بن داود ما كان الله تعالى ليخربه وأنا حى أنت التى على وجهك هلاكى وخراب بيت المقدس فنزعها وغرسها فى حائطه ثم قال اللهم عم على الجن موتى حتى تعلم الانس ان الجن لا يعلمون الغيب وكانت الجن تخبر الانس انهم يعلمون من الغيب أشياء وانهم يعلمون ما يكون فى غد ثم ان سليمان دخل المحراب فقام يصلى متكئا على عصاه فمات ثم بقى على تلك الحالة ولم يعلم بذلك من الشياطين أحد وهم مع ذلك يعملون ويخافون أن يخرج فيعاقبهم (وقال) عبد الرحمن بن زيد قال سليمان لملك الموت اذا أمرت بى فأعلمنى قال فأتاه فقال ياسليمان قد أمرت بك وقد بقى لك سويعة فدعا الشياطين فبنوا له صرحا من قوارير ليس له باب فقام يصلى واتكا على عصاه فدخل عليه ملك الموت فقبض روحه وهو متكئ على عصاه (وفى رواية أخرى) أن سليمان عليه السلام قال ذات يوم لاصحابه ان الله تعالى آتانى من الملك ما ترون وما مر على يوم فى ملكى صاف من الكدر وقد أحببت أن يكون لى يوم واحد يصفو لى الى الليل ولا أغتم فيه ولكن ذلك اليوم غدا فلما كان من الغد دخل قصراله وأمر باغلاق أبوابه ومنع الناس من الدخول عليه ومنع من رفع الاخبار اليه لئلا يسمع شيأ يسوؤه ثم أخذ العصا بيده ووضعها فوق خصره واتكأ عليها ينظر الى ممالكه اذ نظر شابا حسن الوجه عليه ثياب بيض قد خرج عليه من جانب القصر فقال له السلام عليك ياسليمان فقال وعليك السلام فكيف دخلت على هذا القصر بغير اذنى وقد منعت من دخوله أما منعك البواب والحجاب أما هبتنى حين دخلت قصرى بغير اذنى فقال أنا الذى لا يحجبنى حاجب ولا يدفعنى البواب ولا أخاف الملوك ولا أقبل منهم الرشا وما كنت لادخل هذا القصر بغير اذن فقال له سليمان فمن أذن لك فى دخوله فقال له ربى قال فارتعد سليمان وعلم أنه ملك الموت فقال له أنت ملك الموت قال نعم قال فيم جئت قال لاقبض روحك قال ياملك الموت هذا يوم أردت أن يصفو لى ولا أسمع فيه ما يغمنى فقال ياسليمان انك أردت يوما يصفو لك فيه عيشك حتى لا يغمك فيه شئ وذلك يوم لم يخلق فى الدنيا فارض بقضاء ربك فانه لا مرد له قال فاقبض كما أمرت فقبض ملك الموت روحه وهو متكئ على عصاه قالوا وكانت الشياطين تجتمع حوله وحول محرابه ومصلاه أينما كان وكان للمحراب بابان باب بين يديه وباب خلفه فقال بعض الشياطين لصاحبه ان كنت جليدا فادخل من الباب الذى بين يديه واخرج من الباب الذى خلفه فدخل ذلك البعض ولم يكن شيطان ينظر الى سليمان فى المحراب الا احترق فمر ذلك الشيطان فلم يسمع صوته ثم رجع فلم يسمع فوقف بالبيت فلم يحترق فنظر الى سليمان وقد سقط ميتا فخرج فاخبر الناس أن سليمان قد مات ففتحوا عليه فاخرجوه ووجدوا منسأته وهى العصا بلغة الحبشة قد أكلتها الارضة فلم يعلموا منذ كم مات فوضعوا الارضة على العصا فأكلت منها يوما وليلة ثم حسبوا على ذلك النحو فوجدوه قد مات منذ سنة وكانوا يعملون بين يديه وينظرون اليه ويحسبون أنه حى ولا ينكرون احتباسه عن الخروج الى الناس لطول صلاته قبل ذلك وفى رواية ابن مسعود فمكثوا يدأبون له بعد موته حولا كاملا فايقن الناس أن الجن كانوا يكذبون فى ادعائهم علم الغيب فلو أنهم علموا الغيب لعلموا موت سليمان ولم يلبثوا فى العناء والعذاب سنة يعملون له ثم ان الشياطين قالوا للارضة لو كنت تأكلين الطعام لاتيناك باطيب الطعام ولو كنت تشربين الماء لسقيناك أعذب الشراب ولكنا ننقل اليك الماء والطين شكرا لك فالذى يكون فى جوف الخشب فهو مما تأتيها به الشياطين والشياطين تسكن اليها فذلك قوله تعالى فلما قضينا عليه الموت ما دلهم على موته الا دابة الارض تأكل منسأته الآية (قال أهل التاريخ) كان عمر سليمان عليه السلام ثلاثا وخمسين سنة ومدة ملكه منها أربعين سنة وذلك أنه ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة وابتدأ فى بناء بيت المقدس لاربع سنين مضين من ملكه * ثم ملك من بعد سليمان ابن له يقال له رحبعم وكان قد استخلفه فنبأه الله وكان نبيا ولم يكن رسولا ثم قبض وكان ملكه سبع عشرة سنة * ثم

وحكى عن ذى النون المصرى رضى الله عنه أنه قال مررت يوما فى بعض الاسواق فرأيت جنازة محمولة على أربعة رجال وليس معهم أحد فقلت والله لامضين مع هؤلاء وأكون خامسهم لانال الاجر فمضيت معهم لما أتوا الى الجبانة فقلت لهم ياقوم أين ولى هذه الجنازة حتى يصلى عليها فقالوا ياشيخ كلنا فى الاجر سواء ليس فينا أحد يعرفه قال ذو النون فتعجبت من ذلك عجبا شديدا ثم تقدمت وصليت عليه وأنزلناه فى لحده وواريناه بالتراب فلما هموا بالانصراف قلت لهم ما شأن هذا الميت أخبرونى بحاله فقالوا لا نعلم غير أن امرأة اكترتنا لنحمله وهى لاحقة بنا فبينما نحن فى الحديث اذ أقبلت امرأة علينا عليها سيما الخير والصلاح وهى باكية العين حزينة القلب فلما وقفت على القبر كشفت وجهها ونشرت شعرها ورفعت يديها الى السماء وهى تتضرع وتبكى ساعة وتدعو ساعة ثم سقطت الى الارض مغشيا عليها ثم أفاقت بعد ذلك وهى تضحك قال ذو النون فقلت لها أخبرينى بخبر هذا الشاب المتوفى وكيف الضحك بعد البكاء

ملكهم

ملكهم بعده ابنه آفيا بن رحبعم وكان ملكه ثلاثا وستين سنة * ثم ملك بعده ابنه آسا بن آفيا وكان رجلا صالحا وكان أعرج يعتريه عرق النسا فطمع فيه الملوك لضعفه وافترقت ملوك بني اسرائيل فغزاهم ملك من ملوك الهند يقال له روح الهند في جمع كثير وقبيله كثيرة فبعث الله عليهم الملائكة فهزمتهم فقصدوا البحر حتى اذا ركبوا جميعا بعث الله عليهم الرياح والامواج فضربت سفنهم بعضها في بعض فتكسرت وغرق روح الهند ومن كان معه واضطربت الامواج حتى ألقت أثقالهم وأموالهم وسلبهم الى محلة بني اسرائيل ونودوا أن خذوا ما غنمكم الله تعالى وكونوا له من الشاكرين ثم لم تزل تغزوهم الملوك ملك بعد ملك من ملوك العراق وغيرهم فيهلكهم الله تعالى الى أن ظهر فيهم الظلم والفساد وفشت فيهم المعاصي وعبد بعض ملوك بني اسرائيل الاصنام من دون الله تعالى فغضب الله عليهم بكفرهم ومعصيتهم وسلط عليهم بختنصر

﴿مجالس في قصة بختنصر وخبر شعياء وأرمياء ودانيال وعزير عليهم وعلى جميع الانبياء السلام وما يتصل به﴾

قال الله تعالى وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب الى قوله عز وجل وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا

﴿قصة شعياء عليه السلام﴾ قال محمد بن اسحق وغيره من أهل السير والاخبار كان مما أنزل الله تعالى على موسى خبر بني اسرائيل من أحداثهم وما هم فاعلون بعده كما قال الله تعالى وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الارض مرتين ولتعلن علوا كبيرا الى قوله حصيرا فكانت بنو اسرائيل يركبون الاحداث والذنوب وكان الله تعالى يتجاوز عنهم تعطفا عليهم واحسانا اليهم وكان أول ما نزل بهم بسبب ذنوبهم من تلك الوقائع كما أخبر الله تعالى على لسان موسى عليه السلام أن ملكا منهم كان يدعى صديقة وكان الله تعالى اذا ملك ملكا من الملوك بعث له نبيا يسدده ويرشده ويكون واسطة فيما بينه وبين الله تعالى فيما يحدث من أمورهم ولا ينزل عليهم كتابا وانما يأمرهم أن يأمروهم بأحكام التوراة والنهي عن المعاصي والمنكرات والدعاء الى ما تركوا من الطاعات فلما ملك ذلك الملك بعث الله تعالى شعياء بن أمصياء وذلك قبل مبعث زكريا ويحيى وعيسى وشعياء هو الذي بشر بيت المقدس حين شكا اليه الخراب فقال أبشر فانه يأتيك راكب الحمار ومن بعده صاحب البعير فملك ذلك الملك بني اسرائيل وبيت المقدس زمانا فلما انقضى ملكه فيهم عظمت فيهم الاحداث الرديئة وشعياء معه فبعث الله عليهم سنجاريب ملك بابل فنزل هو وجنوده في ستمائة ألف راية فاقبل سائرا حتى نزل حول بيت المقدس والملك مريض في ساقه قرحة شديدة فجاء اليه شعياء فقال يا ملك بني اسرائيل ان سنجاريب ملك بابل قد نزل هو وجنوده في ستمائة ألف راية وأقبل سائرا حتى نزل بيت المقدس وقد هابهم الناس وتفرقوا منهم فكبر ذلك على الملك وقال يا نبي الله هل أتاك وحي من الله فيما حدث فتخبرنا به كيف يفعل الله بنا وبعدونا سنجاريب وجنوده فقال النبي لم يأت وحي فبينما هم كذلك اذ أوحى الله تعالى الى شعياء عليه السلام أن ائت ملك بني اسرائيل فامره أن يوصي بوصيته ويستخلف على مملكته من يشاء من أهل بيته وعترته فأتى شعياء صديقة فقال ان ربك قد أوحى الى أن آمرك أن توصي بوصيتك وتستخلف من شئت على ملكك من أهل بيتك فانك ميت فلما قال ذلك شعياء لصديقة أقبل على الله تعالى وصلى ودعا وبكى وقال في دعائه وهو يبكي ويتضرع الى الله تعالى بقلب مخلص وظن صادق اللهم رب الارباب واله الآلهة القدوس المقدس يا رحمن يا رحيم يا رؤف يا من لا تأخذه سنة ولا نوم اذكرني بنيتي وفعلي وحسن قضائي في بني اسرائيل وذلك كله كان منك وأنت أعلم به مني سري وعلانيتي لك ثم ان الله استجاب دعاءه ورحمه وكان عبدا صالحا فأوحى الله تعالى الى شعياء وأمره أن يخبر صديقة الملك أن ربه قد استجاب له ورحمه وقبل منه وقد أخر أجله خمس عشرة سنة وأنجاه الله من عدوه سنجاريب ملك بابل وجنوده فأتى شعياء اليه وأخبره بذلك فلما قال له ذلك ذهب عنه الوجع وانقطع عنه الهزال وخر ساجدا لله تعالى وقال يا الهي واله آبائي لك سجدت وسبحت وكبرت وعظمت أنت الذي تعطي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء عالم الغيب والشهادة أنت الاول والآخر والظاهر والباطن وأنت ترحم وتستجيب دعوة المضطرين أنت الذي أجبت دعوتي ورحمت تضرعي فلما رفع رأسه أوحى الله تعالى الى شعياء أن قل للملك صديقة أن يأمر عبدا من عبيده فيأتيه بماء التين فيجعله على قرحته فيشفى ففعل ذلك فبرأ فقال الملك لشعياء سل ربك أن يجعل لنا علما بما هو صانع بعدونا هذا فقال الله لشعياء قل له اني كفيتك عدوك هذا وأنجيتك منه

فقالت من أنت يرحمك الله فقلت لها ذو النون فقالت والله لولا أنك من أعيان الصالحين ما أخبرتك بخبره ثم قالت يا أخي ان هذا الشاب ولدي وقرة عيني وكان تائها بشبابه لابسا ثياب اعجابه لم يترك سيئة الا ارتكبها ولا معصية الا سعى اليها وطلبها قد بارز مولاه بالمعاصي والآثام فحصل له ألم عظيم منذ ثلاثة أيام فلما كان في معاناة الموت قال لي يا أماه سألتك بالله الا ما قبلت وصيتي اذا أنا مت فلا تعلمي بموتي أحدا فانهم لا يترحمون على لسوء فعلي وكثرة ذنوبي ثم بكى وأنشد يقول شعرا

لي ذنوب شغلتني
عن صيامي وصلاتي
تركت جسمي عليلا
مات من قبل وفاتي
ليتني تبت لربي
من جميع السيآت
أنا عبد لالهي
مغضب في الخلوات
بحت جهرا بذنوبي
وعيوني قد بلاني
قد توالت سيآتي
وتلاشت حسناتي

قالت ثم بكى بكاء شديدا وقال آه مما فرطت في جنب الله آه على قلبي ما أقساه ثم قال بالله عليك يا أماه اذا أنا مت فضعي خدي على التراب وضعي قدمك على وجهي وقولي هذا جزاء من عصى مولاه وترك أمره واتبع هواه فاذا دفنتيني فقفي على قبري وارفعي يديك الى السماء وقولي اللهم اني رضيت عنه فارض عنه فلما فعلت ما أمرني به وجميع

وانهم سيصبحون موتى كلهم الا سنجاريب وخمسة نفر من كبرائه وكتابه فلما أصبحوا جاءهم صارخ يصرخ على باب المدينة ياملك بنى اسرائيل قد كفاك الله عدوك فاخرج فان سنجاريب ومن معه قد هلكوا فلما خرج الملك لتمس سنجاريب فلم يوجد فى الموتى فبعث الملك فى طلبه فادركه الطلب هو ومن معه فى خمسة نفر من كبرائه فى مغارة أحدهم بختنصر فجعلوهم فى الجوامع ثم أتوا بهم ملك بنى اسرائيل فلما رآهم خر ساجدا لله تعالى من حين طلعت الشمس الى العصر ثم قال ياسنجاريب كيف ترى فعل ربنا بكم ألم يقتلكم بحوله وقوته ونحن وأنتم غافلون فقال له سنجاريب قد أتانى خبر ربكم ونصرته اياكم من قبل أن أخرج من بلادى فلم أطع مرشدا ولم يلقنى فى الشقوة الا قلة عقلى فلو سمعت أو عقلت ماغزوتكم ولكن الشقوة غلبت على وعلى من معى قال فقال صديقة الحمد لله رب العالمين الذى كفانا كم بما شاء ان ربنا لم يبقك ومن معك لكرامتك عليه ولكن انما أبقاك ومن معك لتزدادوا شقاوة فى الدنيا وعذابا فى الآخرة وتخبروا من وراءكم بما رأيتم من فعل ربنا بكم ولدم معكم ولدمك ومن معك أهون عند الله من دم قرادة لو قتلت * ثم ان ملك بنى اسرائيل أمر أمير جيشه فقذف فى رقابهم الجوامع وطاف بهم سبعين يوما حول بيت المقدس وايلياء وكان يطعمهم كل يوم رغيفين من شعير لكل رجل منهم فقال سنجاريب لملك بنى اسرائيل القتل خير مما تفعل بنا فافعل ما أردت فأمر بهم الملك الى سجن القتل فأوحى الله الى شعياء أن قل للملك يرسل سنجاريب ومن معه لينذروا من وراءهم وليكرموا وليحملوا حتى يبلغوا بلادهم فبلغ شعياء الملك ذلك ففعل فخرج سنجاريب ومن معه لينذر وامن وراءهم حتى قدموا بابل فلما قدموا جمع سنجاريب الناس فأخبرهم كيف فعل الله بجنوده فقال له كهانه وسحرته ياملك قد كنا نقص عليك خبرهم وخبر نبيهم ووحى الله اليه فلم تطعنا وهى أمة لا يستطيعها أحد وكان فى أمر سنجاريب مما خوفوا به ثم كفاهم الله اياه تذكرة وعبرة ثم لبث سنجاريب بعد ذلك سبع سنين ثم مات واستخلف من بعده بختنصر وكان ابن ابنه وكان بختنصر يعمل كما يعمل جده ويقضى بقضائه فلبث سبع عشرة سنة ثم قبض الله تعالى ملك بنى اسرائيل صديقة فمرج أمر بنى اسرائيل وتنافسوا فى الملك حتى قتل بعضهم بعضا وظهر فيهم البغى والفساد ونبيهم شعياء فيهم لا يرجعون اليه ولا يقبلون قوله فلما فعلوا ذلك قال الله تعالى لشعياء عليه السلام قم فى قومك يوح على لسانك فلما قام النبى أطلق الله لسانه بالوحى فقال ياسماء اسمعى ويا أرض انصتى فان الله أراد أن يقضى شأن بنى اسرائيل الذين رباهم بنعمته واصطفاهم لنفسه وخصهم بكرامته وفضلهم على عباده واستقبلهم بالكرامة وهم كالغنم الضائعة التى لا راعى لها فآوى شاردها وجمع ضالها وجبر كسيرها وداوى مريضها وأسمن هزيلها وحفظ سمينها فلما فعل ذلك بطرت فتناطحت كباشها فقتل بعضهم بعضا حتى لم يبق منهم عظم صحيح يجبر اليه كسير فويل لهذه الامة الخاطئة الذين لا يدرون أين جاءهم الخير أم الشر وان البعير يذكر وطنه فينتابه وان الحمار يذكر الآرى الذى يشبع عليه فيراجعه وان الثور يذكر المسرح الذى يسرح فيه فينتابه وان هؤلاء القوم لا يدرون من أين جاءهم الخير وهم أولو الالباب والعقول ليسوا ببقر ولا حمير انى ضارب لهم مثلا فليسمعوه قل لهم كيف ترون فى أرض كانت خرابا مواتا فبقيت خرابا زمانا طويلا لا عمران فيها وكان لها رب حكيم قوى فأقبل عليها بالعمارة وكره أن تخرب أرضه فأحاط عليها جدارا وشيد فيها قصرا وأجرى نهرا وأنبت عليها غرسا من الزيتون والرمان والنخيل والاعناب وأنواع الثمار كلها وولى ذلك واستحفظه ذا رأى حفيظا قويا أمينا فانتظرها فلما أطلعت جاء طلعها خرنوبا فقال بئست الارض هذه نرى أن يهدم جدرها وقصرها ويغيض ماء نهرها ويحرق غرسها حتى تصير كما كانت خرابا أول مرة مواتا لا عمران فيها فقال الله تعالى قل لهم ان الجدار ذمتى وان القصر شريعتى وان النهر كتابى وان القيم نبيى والغراس هم وان الخرنوب الذى أطلع الغراس أعمالهم الخبيثة وانى قضيت عليهم قضاءهم على أنفسهم وانه مثل ضربه الله لهم فرهم يتقربوا الى بذبح البقر والغنم وليس ينالنى اللحم ولا آكله ولكن يتقربون الى بالتقوى والكف عن ذبح النفس التى حرمتها فأيديهم مخضوبة منها وثيابهم مزملة بدمائها ويشيدون لى البيوت والمساجد ويطهرون أجوافها وينجسون قلوبهم وأجسادهم ويدنسونها فأى حاجة لى الى تشييد البيوت ولست أسكنها وأى حاجة لى الى تزويق المساجد ولست أدخلها وانما أمرت برفعها لاذكر فيها وأسبح ولكن معلما لمن أراد أن يصلى فيها ويقولون لو كان الله يقدر على أن يجمع ألفتنا لجمعها ولو كان الله يقدر أن يفقه قلوبنا لفقهها فاعمد الى عودين

ماأوصانى عليه ياذا النون فلما رفعت طرفى الى السماء سمعت صوتا بلسان فصيح وهو يقول انصرفى يا أمة قد قدمت على كريم فوجدته راضيا عنى غير غضبان فلما سمعت ذلك ضحكت واستبشرت وهذا حديثى يا أخى فانظر الى كرم الله تعالى ولطفه بعباده المذنبين والله تعالى أعلم

(وحكى عن مالك بن دينار رضى الله تعالى عنه) انه قال رأيت بالبصرة قوما يحملون جنازة وليس معهم أحد يشيع الجنازة فسألت عن ذلك فقيل هذا رجل كان من كبار المذنبين والعصاة والمسرفين قال مالك فسرت معهم حتى صلينا عليه وأنزلناه فى لحده وانصرف عنه من كان معه ثم ملت الى ظل عند قبره فنمت فرأيت ملكين قد نزلا من السماء فشقا قبره ونزل أحدهما اليه وقال لصاحبه اكتبه من أهل النار فانه فيه جارحة سلمت من المعاصى والاوزار فقال له صاحبه يا أخى لا تعجل عليه واختبر عينيه فقال قد اختبرتهما فوجدتهما مملوءتين بالنظر الى محارم الله تعالى قال فاختبر سمعه فقال اختبرته فوجدته مملوأ بسماع الفواحش والمنكرات قال فاختبر لسانه فقال اختبرته فوجدته مملوأ بالخوض

وارتكاب المحرمات قال فاختبر يديه فقال اختبرتهما فوجدتهما مملوأتين بتناول الحرام وما لا يحل من اللذات والشهوات قال فاختبر رجليه فقال اختبرتهما فوجدتهما فى سعى النجاسات والامور المذمومات فقال الآخر يا أخى لا تعجل عليه ودعنى أنزل اليه فنزل الملك الثانى اليه ومكث عنده ساعة وقال يا أخى قد اختبرت قلبه فوجدته مملوأ بالايمان فاكتبه سعيدا مرحوما ففضل الله عظيم ورحمته وسعت كل شئ قال مالك فانتبهت من منامى متعجبا مما رأيت فسمعت قائلا يقول هذا الكلام شعرا

لما رأوه مبعدا عن طاعتى
حكموا بأنى لا أجود برحمتى * حاشى أجل وان يضيق على الورى
من ذا يحد أوامرى ومشيئتى

قال مالك وما حصلت هذه السعادة لهذا الرجل الا بعناية سابقة وما تحصل هذه لكل عاص فلا يغتر الانسان بهذه فالعاصون كلهم فى خطر المشيئة بل الطائعون لا يدرون بماذا يختم لهم فنسأل الله تعالى حسن الخاتمة والعفو والمغفرة بمعونته ورحمته وعفوه وفضله وكرمه واحسانه وجوده ومنه آمين

﴿وحكى عنه أيضا عفا الله تعالى عنه﴾ أنه قال سألنى بعض أصحابى عن سبب توبتى فقلت له كنت منهمكا على شرب الخمر فاشتريت جارية

يابسين ثم أتى بهما وهم فى أجمع ما يكون فقال للعودين ان الله يأمركما ان تكونا عودا واحدا فلما قال لهما ذلك اختلطا فصارا عودا واحدا فقال الله تعالى قل لهم انى قدرت على أن أؤلف بين العودين اليابسين فكيف لا أقدر على ألفتهم ان شئت أم كيف لا أقدر على أن أفقه قلوبهم وأنا الذى صورتهم يقولون صمنا فلم يرفع صيامنا وصلينا فلم تنور قلوبنا وتصدقنا فلم تزك صدقاتنا وان دعونا بمثل حنين الجمال وبكينا بمثل عواء الذئاب فى كل ذلك لا يسمع ولا يستجاب لنا قال الله تعالى فسلهم ما الذى يمنعنى أن أستجيب لهم ألست أسمع السامعين وأنظر الناظرين وأقرب المجيبين وأرحم الراحمين أذات يدى قلت كيف ويداى مبسوطتان بالخير أنفق كيف أشاء مفاتيح الخزائن عندى لا يفتحها غيرى أم يقولون رحمتى ضاقت فكيف ورحمتى وسعت كل شئ وانما يتراحم المتراحمون بفضلى أم يقولون البخل يعترينى أولست أكرم الاكرمين وأنا الفتاح بالخيرات ألست أجود من أعطى وأكرم من سئل ولو أن هؤلاء القوم نظروا لانفسهم بالحكمة التى نورت فى قلوبهم فتدبروها ولم يشتروا بها الدنيا لابصروا وتيقنوا أن أنفسهم هى أعدى العداة لهم فكيف أرفع صيامهم وهم يلبسونه بالزور ويتقوون عليه بطعمة الحرام أم كيف أنور صلاتهم وقلوبهم طاغية تركن الى من يحاربنى وينتهك محارمى أم كيف تزكو عندى صدقاتهم وهم يتصدقون بأموال غيرهم وانما أجزى عليها أهلها المغصوبين أم كيف أستجيب لهم دعاء وانما هو قول بألسنتهم والعقل من ذلك بعيد انما أستجيب قول المستضعف المسكين وان من علامة رضاى رضا المسكين ولو رحموا المساكين وقربوا الضعفاء وأنصفوا المظلوم ونصروا المغصوب وعادوا الغائب وأدوا الى الفقير واليتيم والارملة والمسكين حقه ولو كان ينبغى لى أن أكلم البشر اذا لكلمتهم وكففت أذاهم وكنت نور أبصارهم وسمع آذانهم ومعقول قلوبهم وأعمرت أركانهم وكنت قوة أيديهم وأرجلهم وكنت ألسنتهم الا انهم يقولون لما سمعوا كلامى وبلغتهم رسالاتى انها أقاويل منقولة وأحاديث متواترة وتآليف مما يؤلف السحرة والكهنة وزعموا أن لو يشاؤا أن يأتوا بحديث مثله لفعلوا وأن يطلعوا على علم الغيب بما توحى اليهم الشياطين اذا اطلعوا وكلهم يستخفى بالذى يقول ويسر وهم يعلمون أنى أعلم غيب السموات والارض وأعلم ما يبدون وما يكتمون وانى قد قضيت يوم خلقت السموات والارض قضاء بينته على نفسى وجعلت له أجلا مؤجلا لابد انه واقع فان صدقوا فيما ينتحلون من علم الغيب فليخبر ولك متى أنفذه وفى أى زمان يكون وان كانوا يقدرون على أن يأتوا بما يشاؤن فليأتوا بمثل هذه القدرة التى بها أقضى فانى مظهره على الدين كله ولو كره المشركون وان كانوا يقدرون على أن يأتوا بما يشاؤن فليأتوا بمثل هذه الحكمة التى أدبر بها أمر ذلك القضاء ان كانوا صادقين فانى قضيت يوم خلقت السموات والارض بأن أجعل النبوة فى الاحرار وأجعل الملك فى الرعاء وأجعل العز فى الاذلاء والقوة فى الضعفاء والغنى فى الفقراء والثروة فى الاقلاء والمدائن فى الفلوات والآجام فى المفاوز والبرى فى الغيطان والعلم فى الجهلة والحكم فى الاميين فسلهم ممن هذا ومن القيم بهذا وعلى يد من أنشئه ومن اعوان هذا الامر وأنصاره فانى باعث لذلك نبيا أميا لا أعمى من العميان ولا ضال من الضالين ليس بفظ ولا غليظ ولا بصخاب فى الاسواق ولا متزى بالفحش ولا قوال بالخنا أسدده بكل جميل وأهب له كل خلق كريم أجعل السكينة لباسه والبر شعاره والتقوى ضميره والحكمة معقوله والصدق والوفاء طبيعته والعفو والمعروف خلقه والعدل سيرته والحق شريعته والهدى امامه والاسلام ملته وأحمد اسمه أهدى به بعد الضلالة وأعلم به بعد الجهالة وأرفع به بعد الخمالة وأشهر به بعد النكرة وأكثر به بعد القلة وأغنى به بعد الفقر وأجمع به بعد الفرقة وأؤلف به قلوبا مختلفة وأهواء مشتتة وأمما متفرقة وأجعل أمته خير أمة أخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر بآياتى وتوحيدى يصلون قياما وقعودا وركوعا وسجودا ويقاتلون فى سبيل الله صفوفا وزحوفا ويخرجون من ديارهم وأموالهم ابتغاء رضوان الله ألهمهم التكبير والتحميد والتسبيح والتمجيد والتوحيد فى مسيرهم ومجالسهم ومضاجعهم ومتقلبهم ومثواهم يكبرون ويهللون ويقدسون على رؤس الاشراف ويطهرون لى الوجوه والاطراف ويعقدون الثياب فى الانصاف قربانهم دماؤهم وقرآنهم فى صدورهم رهبان بالليل ليوث بالنهار ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم فلما فرغ نبيهم شعياء من مقالته عدوا عليه ليقتلوه فهرب منهم فلقيته شجرة فانفلقت له فدخلها فادركه الشيطان فاخذ بهدبة من ثوبه فأراهم اياها فوضعوا المنشار فى وسطها فنشروها حتى قطعوها وقطعوه وهو فى وسطها والله أعلم

﴿قصة أرمياء عليه السلام﴾

فاستخلف الله على بنى اسرائيل بعد قتلهم شعياء رجلا منهم يقال له ناشئة بن أموص و بعث الله اليهم الخضر نبيا ليسدده و يأتيه بالخبر من الله تعالى واسم الخضر أرمياء بن خلفياء وكان من سبط هرون بن عمران وانما سمى الخضر لانه جلس على فروة بيضاء فقام عنها وهى تزهر خضراء فقال الله تعالى لارمياء حين بعثه الى بنى اسرائيل يا أرمياء من قبل أن أخلقك اخترتك ومن قبل أن أصورك فى بطن أمك قدستك ومن قبل أن أخرجك من بطن أمك طهرتك ومن قبل أن تبلغ السعى نبأتك ولامر عظيم اجتبيتك فذكر قومك نعمى وعرفهم احداثهم وادعهم الى فقال أرمياء انى ضعيف ان لم تقونى عاجز ان لم تنصرنى فقال الله تعالى أنا ألهمك فقام أرمياء فيهم خطيبا ولم يدر ما يقول فألهمه الله تعالى فى الوقت خطبة بليغة طويلة بين لهم فيها ثواب الطاعة وعقاب المعصية وقال لهم فى آخرها ان الله قال فانى أحلف بعزتى و جلالى ان لم ينتهوا الاقيضن لهم فتنة يتحير فيها الحليم ولاسلطن عليهم جبارا قاسيا ألبسه الهيبة وأنزع من قلبه الرحمة يتبعه عدد مثل سواد الليل المظلم ثم أوحى الله تعالى الى أرمياء عليه السلام انى مهلك بنى اسرائيل بيافث و يافث هم أهل بابل وهم من ولد يافث بن نوح فلما سمع أرمياء بكى وصاح وشق ثيابه وحث الرماد على رأسه فلما سمع الله تضرع أرمياء و بكاءه ناداه يا أرمياء أشق عليك ما أوحيت اليك قال نعم يارب اهلكنى قبل ان أرى فى بنى اسرائيل ما لا أسر به فقال الله تعالى وعزتى و جلالى لا أهلك أحدا من بنى اسرائيل حتى يكون الامر فى ذلك من قبلك ففرح أرمياء بذلك وطابت نفسه وقال والذى بعث موسى بالحق لا أرضى بهلاك بنى اسرائيل ثم أتى الملك فأخبره بذلك وكان ملكا صالحا ففرح واستبشر وقال ان يعذبنا ربنا فذنوب كثيرة وان يرحمنا فبرحمته ثم انهم لبثوا بعد الوحى ثلاث سنين لم يزدادوا فيها الا معصية وتماديا فى الشر وذلك حين اقترب هلاكهم وقل الوحى ودعاهم الملك الى التوبة فلم يفعلوا فسلط الله عليهم بختنصر فخرج فى ستمائة ألف راية يريد أهل بيت المقدس فلما فصل بختنصر سائرا الى الملك أتى الملك الخبر فقال الملك لارمياء أنت زعمت أن الله أوحى اليك فقال أرمياء ان الله لا يخلف الميعاد وأنا به واثق فلما اقترب الاجل وأراد الله هلاكهم بعث الله الى أرمياء ملكا قد تمثل له فى صورة رجل من بنى اسرائيل فقال له يانبى الله انى أستفتيك فى أهل رحمى وصلت أرحامهم ولم أزل اليهم محسنا ولا يزيدهم اكرامى اياهم الا استخفافا بى فافتنى فيهم فقال له أحسن فيما بينك و بين الله وصلهم وابشر بخير فانصرف الملك فمكث الا أياما ثم أقبل عليه فى صورة ذلك الرجل فقعد بين يديه فقال له ارمياء أوما طهرت أخلاقهم لك بعد قال يانبى الله والذى بعثك بالحق نبيا ما أعلم كرامة يأتيها أحد من الناس الى أهل رحمه الا قدمتها اليهم وافضل قال ارمياء عليه السلام ارجع الى أهلك فأحسن اليهم وسل الله الذى يصلح عباده الصالحين أن يصلحهم فقام الملك فمكث أياما وقد نزل بختنصر و جنوده حول بيت المقدس بأكثر من الجراد ففزع منهم بنو اسرائيل وشق عليهم فقال ملكهم لارمياء يانبى الله أين ما وعدك الله به قال انى بربى لواثق ثم أقبل الملك على أرمياء وهو قاعد على جدار بيت المقدس يضحك و يستبشر بنصر ربه الذى وعده فقعد بين يديه وقال له أنا الذى أتيتك فى شأن أهلى مرتين فقال له أرمياء عليه السلام ألم يأن لهم أن ينتهوا عن الذى هم فيه فقال له يانبى الله كل شئ كان يصيبنى منهم قبل اليوم كنت أصبر عليه واليوم رأيتهم فى عمل لا يرضى الله تعالى فقال أرمياء عليه السلام على أى عمل رأيتهم قال على عمل عظيم من سخط الله تعالى فغضبت لذلك وأتيتك لاخبرك وانى أسألك بالله الذى بعثك بالحق نبيا الا ما دعوت الله تعالى عليهم ليهلكهم فقال أرمياء يا مالك السموات والارض ان كانوا على حق وصواب فأبقهم وان كانوا على سخطك وعمل لا ترضاه فاهلكهم فلما خرجت الكلمة من فم أرمياء تماما حتى أرسل الله صاعقة من السماء فى بيت المقدس فالتهب مكان القربان وخسف بسبعة أبواب من أبوابه فلما رأى ذلك أرمياء صاح و بكى وشق ثيابه وحثا الرماد على رأسه وقال يا مالك السموات والارض أين ميعادك الذى وعدتنى فنودى انه لم يصبهم الذى أصابهم الا بفتياك ودعائك فاستيقن أرمياء عليه السلام أنها فتياه وأن ذلك السائل كان رسول ربه فسار ارمياء حتى خالط الوحوش ودخل بختنصر و جنوده بيت المقدس ثم أمر جنوده أن يملأ كل رجل منهم ترسه ترابا ثم يقذفه فى بيت المقدس فقذفوا فيه التراب حتى ملؤه ثم انصرفوا الى بابل واحتمل معه سبايا بنى اسرائيل وأمرهم أن يجمعوا ما كان فى بيت المقدس فجمعوا كل صغير وكبير من بنى اسرائيل فاختار منهم سبعين ألف صبى فلما أراد أن يقسم الغنائم فى جنده قالت له

الملوك

جميلة فاستولدتها فولدت لى بنتا نفيسة ذات حسن و جمال فأحببتها وشغفت بها فلما كبرت وترعرعت ألفتنى وألفتها فكنت اذا وضعت آنية السكر تجاذبنى عليه وتهريقه على الارض فلما بلغ عمرها سنتين ماتت فأكمدنى الحزن عليها فلما كان ليلة النصف من شهر شعبان وكانت ليلة جمعة بت مملوأ بالخمر فلما نمت رأيت كان أهل القبور قد قاموا من قبورهم وحشروا الى الله عز وجل وكانى قد حشرت معهم فبينما أنا كذلك اذ سمعت صوتا من خلفى فالتفت نحوه فاذا بثعبان كانه نخلة سحوق قد لحق بى وفتح فاه ليلقمنى ففررت منه مسرعا فزعا مرعوبا واذا بشيخ نقى الثياب عليه رائحة طيبة وهو جالس فى طريق فسلمت عليه فرد على السلام فقلت له أجرنى وأغثنى من هذا الثعبان فقال الشيخ انى ضعيف وهذا أقوى منى ولكن أسرع فى الهرب فلعل الله تعالى يسخر لك من ينجيك منه ففررت هاربا حتى صعدت على شرف من شرائف القيامة وأشرفت على طبقات النيران والثعبان فى طلبى فكدت أن اسقط فى النار من فزعى منه فصاح صائح من النار ياعزيز ارجع لست من أهلها فاطمأن قلبى لذلك و رجعت الى الشيخ فقلت له ياشيخ استغثت

المنوك الذين كانوا معه أيها الملك لك غنائمنا كلها واقسم بيننا هؤلاء الصبيان الذين اخترتهم من بني اسرائيل ففعل ذلك فاصاب كل واحد منهم أربعة غلمان وكان من أولئك الغلمان دانيال وحنانيا وعزازيا وميشايل وسبعة آلاف من أهل بيت داود وأحد عشر ألفا من سبط يوسف بن يعقوب وأخيه بنيامين وثمانية آلاف من سبط يساخر بن يعقوب وأربعة آلاف من سبط يهوذا بن يعقوب وأربعة آلاف من سبط روبيل ولاوي ابني يعقوب ومن بقي من بني اسرائيل جعلهم بختنصر ثلاث فرق فثلثا أقره بالشام وثلثا سبى وثلثا قتل وذهب بآوني بيت المقدس حتى أقدمها بابل وذهب بالغلمان السبعين ألفا وسائر السبايا حتى قدم بهم بابل وكانت هذه الواقعة الاولى التي أنزلها الله على بني اسرائيل باحداثهم وظلمهم وذلك قوله تعالى فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد يعني بختنصر وجنوده (وكان بدء أمر بختنصر) على ما روى حجاج عن ابن جريج عن يعلى بن مسلم عن سعيد بن جبير قال كان رجل من بني اسرائيل يقرأ التوراة حتى اذا بلغ بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد بكى وفاضت عيناه وأطبق المصحف ثم انطلق الى المسجد وقال يارب أرني هذا الرجل الذي جعلت هلاك بني اسرائيل على يديه فاري في المنام أنه مسكين ببابل يقال له بختنصر فانطلق بمال واعتد له وكان رجلا موسرا فقيل له أين تريد قال أريد التجارة ثم ذهب حتى نزل دارا ببابل فاستكراها ليس فيها أحد غيره فجعل يدعو المساكين ويتلطف بهم حتى لا يأتيه أحد مسكين الا أعطاه فقال هل بقي مساكين غيركم قالوا نعم مسكين بفج آل فلان مريض يقال له بختنصر فقال لغلمانه انطلقوا وانطلق معهم حتى أتاه فقال له ما اسمك قال بختنصر فقال لغلمانه احملوه فنقله اليه ومرضه حتى برئ فكساه وأعطاه نفقة ثم أذن الاسرائيلي في الرحيل فبكى بختنصر فقال الاسرائيلي ما يبكيك فقال أبكي لانك فعلت بي ما فعلت ولا أجد شيأ أجازيك به فقال جزائي شئ يسير قال وما هو قال له ان صرت ملكا وملكت بيت المقدس أتعطيني ما أطلبه فجعل يتبعه ويقول له أتستهزئ بي ولا يمنعه أن يعطيه ما سأله الا انه يرى أنه يستهزئ به قال فبكى الاسرائيلي وقال قد علمت ما يمنعك أن تعطيني ما سألتك الا الله تعالى يريد أن ينفذ قضاءه فكتب له كتابا وضرب الدهر ضربانه فقال يوما صيحون وهو ملك بابل لو انا أرسلنا طليعة الى الشام قالوا ما ضرك لو فعلت قال فمن ترون قالوا فلانا فبعث رجلا وأعطاه مائة ألف فخرج بختنصر في مطبخه لم يخرج الا ليأكل في مطبخه فلما قدم الى الشام رأى صاحب الطليعة أكثر أهل الارض فرسانا ورجالا جلدا فكبر ذلك في عينه فلم يصل ولم يسألهم عن شئ وكان بختنصر دخل الشام ولم يزل يجلس مجلس أهل الشام ويسألهم ويقول لهم ما منعكم أن تغزوا بابل فلو غزوتموها لنلتم منها شيأ كثيرا فقالوا انا لا نحسن القتال ولا نقاتل حتى انتقد مجالس أهل الشام وعرف سرائرهم ثم ان الطليعة رجعوا فاخبروا ملكهم بما رأوا وكان بختنصر رجع معهم فجعل يقول لفراش الملك لو دعاني الملك لاخبرته غير الخبر الذي أخبره فلان وفلان فرفع ذلك الى الملك فدعاه فاخبره الخبر وقال ان فلانا لما رأى أكثر أهل الارض كراعا ورجالا جلدا كبر ذلك في عينه ولم يسألهم عن شئ واني لم أدع مجلسا بالشام الا جلست فيه أسأل أهله فقلت لهم كذا وكذا وقالوا كذا وكذا قال سعيد بن جبير قال صاحب الطليعة لبختنصر فضحتني لك مائة ألف دينار وترجع عما قلت فقال له لو أعطيتني بيت مال بابل ما رجعت عما قلت ثم ضرب الدهر ضربانه فقال الملك لو بعثنا جريدة خيل الى الشام فان وجدوا مساغا ساغوا والا أمسكوا ما قدروا عليه فقالوا ما ضرك لو فعلت ذلك قال فمن ترون قالوا فلانا قال بل الرجل الذي أخبرني بما أخبرني فدعا بختنصر فبعثه ثم انتخب معه أربعة آلاف من فرسانهم فانطلقوا فجاسوا خلال الديار فسبوا ما شاء الله تعالى ولم يخربوا ولم يقتلوا ومات صيحون الملك فقالوا استخلفوا ملكا فقالوا على رسلكم حتى تأتي أصحابكم فانهم فرسانكم فامهلوا حتى جاء بختنصر بالسبي وما معه فقسمه بين الناس فقالوا ما رأينا أحدا أحق بالملك منه فهذه القصة الاولى فملكوه على أنفسهم (وقال السدي) باسناده ان رجلا من بني اسرائيل رأى في المنام أن خراب بيت المقدس وهلاك بني اسرائيل على يد غلام يتيم ابن أرملة من أهل بابل يدعى بختنصر وكانوا يصدقون فتصدق رؤياهم فاقبل يسأل عنه حتى نزل في بيت أمه وكان قد ذهب يحتطب فجاء وعلى رأسه حزمة حطب فالقاها ثم قعد في جانب البيت فكلمه ثم أعطاه ثلاثة دراهم وقال له اشتر بها طعاما وشرابا فاشترى بدرهم لحما وبدرهم خبزا وبدرهم خمرا وجاء به فاكلوا وشربوا حتى اذا كان اليوم الثاني فعل به مثل ذلك

بك واستجرت فيك فأبيت ان تخبرني من هذا الثعبان فلم تخبرني قال فبكى وقال يامالك أما بلغك انى ضعيف سر الى هذا الجبل فان فيه ودائع المسلمين عسى أن يكون لك فيها وديعة تنصرك وتجيرك من عدوك وهو أقوى منى قال مالك فسرت الى الجبل فاذا هو جبل عظيم وفيه كوات مخرمة وستور معلقة على كل كوة ستر من الذهب الاحمر مرصع باليواقيت والدر واللؤلؤ والجواهر واذا بملك ينادي ارفعوا الستور واشرفوا كلكم فلعل أن يكون لهذا البائس فيكم وديعة تجيره من عدوه قال مالك فرفعت الستور وأشرفت أطفال على بوجوه كالاقمار فصاح بعضهم على بعض أشرفوا كلكم فقد قرب منه الثعبان وهو متحير في أمره قال مالك فأشرفوا كلهم على فنظرت فاذا ابنتي فيهم فلما رأتني بكت وقالت هذا أبي والله ثم أشارت بيدها الى الثعبان فولى هاربا ومدت يدها الى فتعلقت بها فجذبتني وأدخلتني مكانا هي فيه يكل عنه الوصف فحمدت الله تعالى على ذلك فقرأت ابنتي قوله تعالى ألم يأن للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله قال مالك فبكيت عند ذلك وقلت لها أنتم تعرفون القرآن فقالت نعم فقلت لها اخبريني عن هذا الثعبان الذي أراد أن يهلكني فقالت ياوالدي هذا

واليوم الثالث فعل كذلك ثم قال له الاسرائيلى انى أحب أن تكتب لى أمانا اذا أنت ملكت يوما من الدهر فقال بختنصر أتسخر منى قال لا أسخر منك ولكن ماعليك ان تجعل عندى لك يدا فكلمته أمه فقالت ماعليك ان كان والا لم ينقصك شيأ فكتب له أمانا فقال أرأيت ان جئتك والناس حولك قد حالوا بينى وبينك فاجعل لى علامة تعرفنى بها قال ترفع صحيفتك على قصبة فأعرفك بها فكتب له أمانا وأعطاه اياه ثم ان ملك بنى اسرائيل كان يكرم يحيى ابن زكريا عليهما السلام ويدنى مجلسه ويستشيره فى أمره ولا يقطع أمرا دونه وان الملك هم أن يتزوج بنت امرأة له هذا قول السدى * وقيل كانت بنت أخته لما روى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال بعث عيسى بن مريم يحيى بن زكريا عليهم السلام فى اثنى عشر من الحواريين يعلمون الناس وكان فيما نهاهم عنه نكاح بنت الاخت قال وكان لملكهم ابنة أخت تعجبه ويريد أن يتزوجها وكان لها فى كل يوم حاجة يقضيها لها وذكر الحديث فى مقتل يحيى بن زكريا عليهما السلام (رجعنا الى حديث السدى) قال فسأل يحيى عن نكاحها فقال لست أرضاها لك فبلغ ذلك أمها فحقدت على يحيى حين نهاه ان يتزوج ابنتها فعمدت حين جلس الملك على شرابه فألبست ابنتها ثيابا حمرا رقاقا فاخرة وطيبتها وألبستها من الحلى شيأ لا قيمة له من غايته وألبستها فوق ذلك كساء أسود وأرسلتها الى الملك وأمرتها أن تسقيه الخمر وان تتعرض له فان راودها عن نفسها أبت عليه حتى يعطيها ماسألته ويكون الذى تسأله أن تأتى برأس يحيى بن زكريا فى طشت ففعلت ذلك وجعلت تسقيه الخمر وتتعرض له فلما أخذ منه الشراب راودها عن نفسها فقالت لا أفعل حتى تعطينى ما أسألك قال وما تسألينى قالت أسألك ان تبعث الى يحيى بن زكريا فتأتينى برأسه فى طشت فقال ويحك سلينى غير هذا قالت ما أريد غيره فلما أبت عليه بعث الى يحيى فأتى برأسه فجعلت الرأس تتكلم حتى وضعت بين يديه وهى تقول انها لا تحل لك فلما أصبح الملك واذا دم يحيى يغلى فأمر بالتراب فألقى عليه فرقى الدم فوق التراب يغلى فألقى عليه أيضا وارتفع الدم فوقه فلم يزل يلقى عليه من التراب حتى بلغ سور المدينة وهو مع ذلك يغلى فبلغ سنجاريب ملك بابل ذلك فنادى فى الناس وأراد أن يبعث لهم جيشا ويؤمر عليهم رجلا فأتاه بختنصر وكلمه وقال ان الذى أرسلت تلك المرة ضعيف وانى قد دخلت المدينة وسمعت كلام أهلها فابعثنى فبعث بختنصر حتى اذا بلغوا ذلك المكان ورآهم أهله تحصنوا فى مدائنهم فلم يطقهم فلما اشتد عليهم المقام وجاع أصحابه أرادوا الرجوع فخرجت اليهم عجوز من عجائز بنى اسرائيل وقالت أين أمير الجند فأتى بها اليه فقالت له بلغنى أنك تريد الرجوع بجندك قبل أن تفتح هذه المدينة قال نعم قد طال مقامى وجاع أصحابى فلست أستطيع المقام فوق الذى كان منى قالت أرأيتك ان دللتك على فتح المدينة تعطينى ما أسألك وتقتل من آمرك بقتله وتكف عمن آمرك بالكف عنه قال لها نعم قالت اذا أصبحت فاقسم جندك أربعة أقسام ثم اقسم على كل زاوية ربعا ثم ارفعوا أيديكم الى السماء ونادوا يا ربنا دلنا على من قتل يحيى بن زكريا عليهما السلام فانهم اذا فعلوا ذلك تساقط سور المدينة ففعلوا ذلك فتساقط سور المدينة ودخلوا من جوانبها فانطلقت به الى دم يحيى بن زكريا عليهما السلام وقالت له اقتل على هذا الدم حتى يسكن فقتل عليه سبعين ألفا حتى سكن فلما سكن الدم قالت له كف يدك فان الله تعالى اذا قتل نبى لا يرضى حتى يقتل من قتله ومن رضى بقتله وأتاه صاحب الصحيفة بصحيفة فكف عنه وعن أهل بيته وخرب بيت المقدس وأمر أن تطرح فيه الجيف وقال من طرح عليه جيفة فله جزيته فى تلك السنة وأعانه على خرابه الروم من أجل ان بنى اسرائيل قتلوا يحيى بن زكريا فلما خربه بختنصر ذهب بوجوه بنى اسرائيل وسراياهم ﴿ قصة دانيال عليه السلام ﴾ وذهب دانيال وقوم من أولاد الانبياء وذهب معه برأس جالوت فلما قدم بختنصر أرض بابل وجد سنجاريب قد مات فملك مكانه واستقام له الامر وثبت على ذلك مدة ثم ان بختنصر رأى رؤيا عجيبة فأفزعته فسأل عنها السحرة والكهنة فعجزوا عن تفسيرها فبلغ ذلك دانيال وكان فى السجن مع أصحابه وقد أحبه صاحب السجن وأعجب به لما رأى من حسن سمته وهدايته فقال دانيال لصاحب السجن انك قد أحسنت الى وان صاحبكم قد رأى رؤيا فدله على لاعبرها له فجاء السجان وأخبر بختنصر بقصة دانيال فقال على به وكان لا يقف بين يديه أحد الا سجد له فأتوا به فقام بين يديه ولم يسجد له فقال له ما الذى منعك من السجود لى فقال له ان لى ربا آتانى العلم والحكمة وأمرنى أن لا أسجد الا له فخشيت ان سجدت لغيره ان ينزع منى العلم الذى آتانى ويهلكنى فأعجب به وقال نعم مافعلت وقد أحسنت حيث وفيت بعهده وأجللت علمه ثم قال هل عندك علم بهذه الرؤيا وهل لك فى تعبيرها قال

عملك السوء وقويته على نفسك حتى كاد أن يلقيك فى النار فلولا أنك لم تكن من أهلها لوقعت فيها فقلت لها ومن هذا الشيخ الضعيف الذى استغثت به فلم يغثنى فقالت هذا عملك الصالح أضعفته حتى لم يكن له قدرة على أن يدفع عنك شيأ فقلت لها وما تصنعون ههنا فقالت نحن مقيمون ههنا حتى تقوم الساعة ننتظر قدومكم علينا فنشفع لكم قال مالك فانتبهت من منامى فلما أصبحت كسرت أوانى الخمر وتبت الى الله تعالى فكان هذا سبب توبتى والحمد لله على ذلك والله أعلم (وحكى عن بعضهم رضى الله سبحانه وتعالى عنه) انه قال بينما أنا فى الطواف وكانت ليلة مظلمة اذ سمعت صوت حنين ينطق بحال حزين وهو يقول ياكريم لطفك القديم فان قلبى على العهد مقيم قال فتطاير قلبى لسماع ذلك حتى أشرفت على الموت فقصدت نحوه فاذا هى امرأة فقلت السلام عليك يا أمة الله فقالت وعليك السلام يا عبد الله فقلت لها أسألك بالله العظيم ما العهد القديم الذى قلبك عليه مقيم فقالت ياهذا لولا أقسمت على بالجبار ما أطلعتك على الاسرار أنظر الى هذا الصبى الذى بين يدى فنظرت فاذا بصبى يغط فى نومه ووجهه كالقمر فقالت خرجت من بلدى وأنا حاملة به لاحج هذا البيت فركبت البحر فى

نعم

نعم قال فاخبرني فأخبره برؤياه التي رآها قبل أن يخبره بها ثم عبرها له وكانت الرؤيا ما أخبرنا عبد الله بن حامد باسناده عن وهب بن منبه يقول ان بختنصر رأى في منامه صنما رأسه من ذهب وصدره من فضة وبطنه من نحاس وفخذه من حديد وساقه من فخار ثم رأى حجرا من السماء قد وقع عليه فدقه ثم ربا الحجر حتى ملأ ما بين المشرق والمغرب ورأى شجرة أصلها في الارض وفرعها في السماء ثم رأى رجلا بيده فأس وسمع مناديا ينادي اضرب جذعها ليتفرق الطير من فروعها وتتفرق الدواب والسباع من تحتها واترك أصلها قائما فعبرها له دانيال عليه السلام فقال أما الصنم الذي رأيت رأسه من ذهب فأنت الرأس الذهب وأنت أفضل الملوك وأما الصدر الذي رأيت من فضة فهو ابنك يملك من بعدك وأما البطن الذي رأيت من نحاس فملك يكون من بعد ابنك وأما ما رأيت من الفخذ الذي من حديد فتتفرق فرقتان في فارس تكونان أشد الملوك وأما الفخار فآخر ملكهم يكون دون الحديد وأما الحجر الذي رأيت قد وقع من السماء وربا حتى ملأ ما بين المشرق والمغرب فنبي يبعثه الله في آخر الزمان فيفرق ملكهم كله ويربو ملكه حتى يملأ ما بين المشرق والمغرب وأما الشجرة التي رأيت والطير الذي عليها والسباع والدواب التي تحتها وما أمر بقطعها فيذهب ملكك ويردك الله طائرا نسرا عظيما فتملك الطيور ثم يردك الله ثورا فتملك الدواب ثم يردك الله أسدا فتملك السباع والوحوش وتكون منذ مسخك الله على ما ذكرناه سبع سنين في ذلك كله وقلبك قلب انسان حتى تعلم ان الله له ملك السموات والارض وهو يقدر على الارض ومن عليها وأما ما رأيت من أن أصلها قائم فان ملكك قائم فسئل وهب بن منبه أكان مؤمنا أم لا فقال وجدت أهل الكتاب قد اختلفوا في ذلك فمنهم من قال مات مؤمنا ومنهم من قال مات كافرا لانه حرق بيت المقدس والكتب التي فيه وقتل الانبياء وغضب الله عليه غضبا شديدا فلم يقبل منه يومئذ توبة قالوا فلما عبر دانيال لبختنصر رؤياه وأخبره بها أكرمه وأكرم أصحابه وجعل يقبل عليه ويستشيره في أموره حتى كان أكرم الناس عليه وأحبهم اليه فحسده المجوس على ذلك فوشوا به وبأصحابه الى بختنصر فقالوا له ان دانيال وأصحابه ما يعبدون الهك ولا يأكلون ذبيحتك فدعاهم وسألهم فقالوا أجل ان لنا ربا نعبده ولسنا نأكل من ذبيحتكم فأمر بأخدود فخد لهم وألقوا فيه وهم ستة وألقى معهم سبع ضاريا ليأكلهم ثم قال انطلقوا فلنأكل ونشرب فذهبوا فأكلوا وشربوا ثم انهم رجعوا فوجدوهم جلوسا والسبع مفترش ذراعيه بينهم ولم يخدش منهم أحدا ولم ينكهم بشيء ووجدوا معهم رجلا زائدا فعدوهم فوجدوهم سبعة فقالوا ما بال هذا السابع وانما كانوا ستة فخرج اليهم السابع وكان ملكا من الملائكة فلطم بختنصر لطمة فصار في الوحوش والسباع ومسخه الله سبع سنين ثم رده الى صورته ورد عليه ملكه قال السدي فلما رد الله عليه ملكه كان دانيال وأصحابه أكرم الناس عليه فحسدهم المجوس أيضا ووشوا بهم ثانية وقالوا لبختنصر ان دانيال اذا شرب الخمر لم يملك نفسه أن يبول وكان ذلك فيهم عارا فجعل لهم بختنصر طعاما وشرابا فأكلوا وشربوا منه ثم قال للبواب انظر أول من يخرج عليك ليبول فاضرب بالطبرزين فان قال أنا بختنصر فقل له كذبت بختنصر أمرني فحبس الله عن دانيال وأصحابه البول فكان أول من قام من القوم يريد البول بختنصر فقام مدلا وكان ذلك ليلا فقام يسحب ثيابه فلما رآه البواب شد عليه فقال له أنا بختنصر فقال كذبت ان بختنصر أمرني أن أقتل كل من يخرج أولا ثم ضربه فقتله ﴿ وأما ﴾ محمد بن اسحق فانه قال في هلاك بختنصر غير ما قال السدي وذلك أنه قال باسناده لما أراد الله هلاك بختنصر قال لمن كان في يده من بني اسرائيل أرأيتم هذا البيت الذي خربت وهؤلاء الناس الذين قتلت من هم وما هذا البيت فقالوا هذا بيت الله تعالى ومسجد من مساجده وهؤلاء أهله كانوا من ذراري الانبياء فظلموا وتعدوا وعصوا فسلط الله عليهم عدوهم بذنوبهم قال فأخبروني ما الذي يطلع بي الى السماء وأطلع عليها فأقتل من فيها وأتخذها ملكا فاني قد فرغت من الارض ومن فيها قالوا ما يقدر عليها أحد من الخلق فقال لتفعلن أو لاقتلنكم عن آخركم فشكوا الى الله تعالى وتضرعوا فبعث الله تعالى عليه بقدرته ليريه ضعفه وهوانه بعوضة فدخلت في منخره ثم ساخت فيه حتى عضت بأم دماغه فما كان يقر ولا يسكن حتى يضرب على أم دماغه فلما عرف الموت قال لخاصته من أهله اذا أنا مت فشقوا رأسي وانظروا ما الذي قتلني فلما مات شقوا رأسه فوجدوا البعوضة عاضة بأم دماغه ليرى الله العباد قدرته وسلطانه ونجى الله تعالى من كان بقي في يديه من بني اسرائيل ورحمهم وردهم الى ايلياء والشام فبنوا فيها وربوا وكثروا على أحسن ما كانوا عليه فيزعمون أن

سفينة وسرنا فبينما نحن كذلك اذ خرجت علينا ريح فكسرت المركب وغرق ركابها فنجوت على لوح فبينما أنا على تلك الحالة اذ أخذني الطلق فوضعت هذا الصبي فبينما هو في حجري اذا رجل ملاح من رجال السفينة قد وصل الي وحصل معي على ذلك اللوح فقال والله ما زلت أهواك وأنا في السفينة وقد حصلت معك الآن فمكنيني من نفسك والا رميتك في البحر فقلت يا هذا ويحك أما كان لك فيما رأيت تذكرة وعبرة فقال لي قد رأيت ذلك مرارا عديدة ونجوت وأنا لا أبالي ثم ألح علي فخفت منه وقلت له مهلا حتى ينام هذا الصبي فأخذه من حجري ورمى به في البحر فلما رأيت جراءته وما فعل بالصبي طار قلبي وزاد كربي فرفعت طرفي الى السماء وقلت يا من يحول بين المرء وقلبه حل بيني وبين هذا الفاسق فوعزته وجلاله ما فرغت من الكلام الا ودابة عظيمة من دواب البحر أخرجت رأسها واختطفته من على اللوح وغاصت به في الماء فحمدت الله تعالى على ذلك وصرت وحدي على ذلك اللوح فزاد شوقي الى ولدي وقرة عيني وبكيت على فقده بكاء شديدا وأنشدت شعرا

قرة العين حبيبي ولدي * ضاع مني التنائي جلدي
ان يكن جسمي غريبا لفقد * ظلت أشكو باحتراق الكبد

الله أحيا المؤمنين الذين قتلوا وحققوا بهم ثم انهم لما رجعوا الى الشام وجدوا بختنصر قد احرق التوراة وايس منهم عهد من الله فجدد الله توراتهم وردها اليهم على لسان عزير وسنذكر القصة فيه ان شاء الله تعالى وكان عمر بختنصر أيام مسخه نيفا وخمسمائة عام وخمسين يوما فلما مات بختنصر استخلف ابنه فلسطاس وكانت آنية بيت المقدس التي حملها بختنصر الى بابل عنده وكان ينجسها بلحوم الخنازير ويشرب فيها الخمر وأقصى دانيال فلم يقبل منه فاعتزل دانيال فبينما فلسطاس قاعد ذات يوم اذ بدت له كف معلقة بغير ساعد فكتبت ثلاثة أحرف بمشهده ثم غابت فعجب من ذلك وتحير ولم يدر ما هي فدعا دانيال عليه السلام واعتذر اليه وسأله أن يقرأ له ذلك الكتاب ويخبره بتأويله فقال دانيال بسم الله الرحمن الرحيم وزن فخف ووعد فأنجز وجمع ففرق فقال أما قوله وزن فخف أي وزن عملك في الميزان فخف ووعد فأنجز أي وعد ملكك بالخراب فأنجز اليوم وجمع ففرق أي جمع الله لك ولوالدك من قبلك ملكا عظيما ثم فرق اليوم فلا يجتمع الى يوم القيامة فلم يلبث الا قليلا حتى أهلكه الله تعالى وضعف ملكهم وبقي دانيال عليه السلام بأرض بابل الى أن مات بالسوس والله أعلم

﴿خبر وفاة دانيال عليه السلام﴾ قال أهل الاخبار لما فتح الله السوس على يد أبي موسى الاشعري في خلافة عمر ابن الخطاب رضي الله عنه قتل أبو موسى ملكها سابور واحتوى على المدينة فغنم ما فيها وأخذ أموال سابور وملكها وجعل يدور في الخزائن فيأخذ ما فيها حتى أفضى الى خزانة مقفلة وقد ختم على قفلها بالرصاص فقال أبو موسى الاشعري لاهل السوس ما في هذه الخزانة فاني أراها مختومة بالرصاص فقالوا له أيها الامير ليس فيها شيء من حاجتك فقال لا بد لي أن أعلم ما فيها فافتحوا بابها حتى أنظر ما فيها فكسروا القفل وفتحوا الباب فدخل أبو موسى الخزانة فنظر فاذا هو بحجر طويل محفور على مثال الحوض وفيه رجل ميت وقد كفن بأكفان منسوجة بالذهب ورأسه مكشوفة قال فتعجب أبو موسى من طوله وكل من كان معه ثم تهم شبر وأنفه فاذا هو يزيد على شبر فقال أبو موسى لاهل السوس ويحكم من هذا الرجل قالوا ان هذا الرجل كان بالعراق وكان أهل العراق اذا احتبس عنهم المطر استسقوا به فيسقون فأصابنا من قحط المطر ما كان يصيب أهل العراق فأرسلنا اليهم وسألناهم أن يدفعوه الينا حتى نستسقي به فأبوا علينا فرهنا عليه عندهم خمسين رجلا وحملناه الى بلدنا هذا ثم استسقينا به فسقينا فرأينا من الرأي أن لا نرده اليهم فلم يزل مقيما عندنا الى أن أدركه الموت فمات فهذه قصته وحاله قال فأقام أبو موسى الاشعري بالسوس وكتب الى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يخبره بما فتح الله عليهم من مدينة السوس وما والاها وكتب في كتابه أمر ذاك الرجل الميت فلما وصل الكتاب وقرأه عمر بن الخطاب رضي الله عنه دعا أكابر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألهم عن ذلك فما وجد عند واحد منهم علمه فقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه ان هذا الرجل دانيال الحكيم وهو نبي غير مرسل كان في قديم الزمان مع بختنصر ومن كان بعده من الملوك وجعل علي بن أبي طالب رضي الله عنه يحدث عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن قصة دانيال من أولها الى آخرها الى وقت وفاته ثم قال اكتب الى صاحبك ومره أن يصلي عليه ويدفنه في موضع لا يقدر عليه أهل السوس فكتب عمر الى أبي موسى بذلك فلما قرأ أبو موسى كتاب عمر أمر أهل السوس أن يكفوا نهرهم الى موضع آخر ثم أمر بدانيال فكفن بأكفان غير التي كانت عليه ثم صلى عليه هو وجميع من كان معه من المسلمين ثم أمر بقبر فحفر له في وسط النهر ثم دفنه وأجرى عليه النهر فيقال ان دانيال عليه السلام في نهر السوس والماء يجري عليه الى يومنا هذا والله أعلم (قال الاستاذ) رضي الله عنه هذا الذي ذكرت جميع أمر بختنصر الذي جاء في التفسير الا أن رواية من روى أن بختنصر هو الذي غزا بني اسرائيل عند قتلهم يحيى غلط عند أهل السير والاخبار والعلماء بأمور الماضين من أهل الكتاب والمسلمين وذلك أنهم مجمعون على أن بختنصر انما غزا بني اسرائيل عند قتلهم نبيهم شعياء وفي عهد أرمياء عليه السلام وهي الوقعة الاولى التي قال الله تعالى فيها فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار الآية يعني بختنصر وجنوده قالوا ومن عهد أرمياء وتخريب بختنصر بيت المقدس الى مولد يحيى بن زكريا أربعمائة واحدى وستون سنة وذلك أنهم يعدون من لدن تخريب بختنصر بيت المقدس الى آخر عمرانه في عهد كرين بن حرسو بن شير بن اصهيل بيابل من قبل بهمن بن اسفنديار بن بستاسف سبعين سنة ثم من بعد عمرانه الى ظهور الاسكندر على بيت المقدس واحصاره ملكها

يا الهي قد ترى ما حل بي * فافرغ الصبر على سيدي فاجمع الشمل وكن لي راحما * فرحاني فلك أقوى عددي قالت ثم بقيت يومي الى الليل وحيدة فريدة فلما أصبح الله بالصباح اذا أنا بقلع بلوح في البحر فما زالت الامواج تقذفه والرياح تسوقه حتى وصل الى فاذا هو بسفينة عظيمة فأخذوني من على ذلك اللوح ووضعوني بينهم فنظرت فاذا بولدي هذا بينهم فتراميت عليه وقلت لهم يا قوم من أين لكم هذا الصبي فقالوا بينما نحن سائرون اذ حبست السفينة بنا فنظرنا فاذا بدابة كأنها المدينة العظيمة وهذا الصبي على ظهرها يمص ابهاميه ثم حدثتهم بقصتي وشكرت ربي على ما أتاني وعاهدته أن لا أبرح عن بيته ولا ألهو عن خدمته وما سألته بعد ذلك شيأ الا أعطاني اياه قال فمددت يدي اليها بنفقة فلم تقبلها وقالت اليك عني أحدثك بأفضاله وكرمه ونواله وآخذ الرفد من يد غيره فلم أقدر عليها أن تأخذ شيأ فتركتها وانصرفت عنها رحمها الله تعالى ونفعنا بها والمسلمين آمين

﴿وحكي عن عبد الله الموصلي رضي الله تعالى عنه أنه قال﴾ كان عندنا رجل وله ابن يسمى قضيب البان وكان لا يقدر أحد أن يكلمه من عظم هيبته وحرمته وكان كثير البكاء فجمعتني به المقادير في خلوة فقلت له

وضمها

وضمها لى مملكته ثمانية وثمانون سنة ثم من بعد ملكه بيت المقدس الى مولد يحيى بن زكريا ثلثمائة وثلاثون سنة وانما الصحيح فى ذلك ما ذكره محمد بن اسحق بن يسار قال عمرت بنو اسرائيل بيت المقدس بعد ما عمرت الشام وعادوا اليها ملكها بعد اخراب بختنصر اياها وسبيهم منها فجعلوا يحدثون الاحداث بعد مهلك عزير عليه السلام فبعث الله فيهم الانبياء ففريقا يكذبون وفريقا يقتلون حتى كان آخر من بعث الله اليهم من أنبيائهم زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام وكانوا من آل داود عليه السلام فمات زكريا وقتل يحيى بسبب نهيه الملك عن نكاح تلك المرأة فلما رفع الله عيسى من بين أظهرهم وقتلوا يحيى بن زكريا عليهم السلام بعث الله عليهم ملكا من ملوك بابل يقال له كردوس فسار اليهم باهل بابل حتى دخل عليهم الشام فلما دخل عليهم أمر رئيسا من رؤس جنوده يقال له بنو زرادان صاحب القتل فقال له انى قد حلفت بالهى لئن أنا ظهرت وظفرت على أهل بيت المقدس لاقتلنهم حتى تسيل دماؤهم فى وسط عسكرى الا انى لا أجد أحدا أقتله فامره أن يقتلهم حتى يبلغ ذلك منهم ثم ان بنو زرادان دخل بيت المقدس فاقام فى البقعة التى كانوا يقربون فيها قربانهم فوجد فيها دما يغلى فسألهم عنه فقالوا هذا دم قربان قربناه فلم يقبل منا فلذلك هو يغلى كما تراه ولقد قربنا منذ ثمانمائة سنة القربان فقبل منا الا هذا قال ما صدقتمونى الخبر فقالوا له لو كان أول دمائنا لقبل منا ولكنه قد انقطعت منا الملوك والانبياء والوحى فلذلك لم يقبل فذبح منهم بنو زرادان على ذلك الدم سبعمائة وسبعين رئيسا من رؤسهم فلم يهدأ الدم فامر بسبعة آلاف من بنيهم وأزواجهم فذبحهم على الدم فلم يهدأ فلما رأى بنو زرادان الدم لا يهدأ قال لهم ويلكم يا بنى اسرائيل أصدقونى قبل أن أفنيكم واصبروا على أمر ربكم فلقد طال ما ملكتم فى الارض تفعلون فيها ماشئتم أصدقونى قبل أن لا أترك منكم نافخ نار لا أنثى ولا ذكرا الا قتلته فلما رأوا الجد وشدة القتل أصدقوه الخبر وقالوا ان هذا دم نبى منا كان ينهانا عن أمور كثيرة من سخط الله فلو أننا أطعناه فيها لكان أرشد لنا وكان يخبرنا بأمركم فلم نصدقه وقتلناه فهذا دمه يغلى فقال بنو زرادان ما كان اسمه قالوا يحيى بن زكريا قال الآن صدقتمونى بمثل هذا ينتقم منكم ربكم فلما رأى بنو زرادان انهم صدقوه خر ساجدا وقال لمن حوله اغلقوا أبواب المدينة وأخرجوا من كان ههنا من جيش كردوس وأبقوا من بقى من بنى اسرائيل ثم قال يا يحيى بن زكريا قد علم ربى وربك ما أصاب قومك من أجلك وما قتل منهم من أجلك فاهدأ باذن الله تعالى قبل أن لا أبقى أحدا من قومك فهدأ دم يحيى بن زكريا باذن الله تعالى ورفع بنو زرادان عنهم القتل ثم قال آمنت بالذى آمنت به بنو اسرائيل وصدقت به وأيقنت انه لا رب غيره فاوحى الله تعالى الى رأس من رؤس بقية الانبياء ان بنو زرادان حنون صدوق وحنون بالعبرانية حديث الايمان ثم ان بنو رازادان قال لبنى اسرائيل ان عدو الله كردوس أمرنى أن أقتل منكم حتى تسيل دماؤكم وسط عسكره وانى لست أستطيع أن أعصيه فقالوا له افعل ما أمرت به فأمرهم فحفروا خندقا ثم أمر بأموالهم من الخيل والبغال والحمير والابل والبقر والغنم فذبحوها حتى سال الدم فى العسكر وأمر بنقل الذين كانوا اقتلوا قبل ذلك فطرحوا على ما قتل من مواشيهم وكانوا فوقهم فلم يظن كردوس الا أن ما فى الخندق من بنى اسرائيل فلما بلغ الدم الى عسكره أرسل الى بنو زرادان أن ارفع عنهم القتل فقد بلغتنى دماؤهم ثم انه انصرف عنهم الى بابل وقد أفنى بنى اسرائيل أو كاد أن يفنيهم وهى الوقعة الاخيرة التى أنزل الله تعالى فيها قوله تعالى وقضينا الى بنى اسرائيل فى الكتاب لتفسدن فى الارض مرتين الآيات فكانت الوقعة الاولى لبختنصر وجنوده ثم رد الله لهم الكرة وكانت لهم الديانة والرياسة وكانت الوقعة الاخيرة لكردوس وجنوده فلم تقم لهم من بعد ذلك نائمة ولا راية وانتقل عن الشام ونواحيها الى الروم واليونانية الى أن تناسل بنو اسرائيل وكثروا وانتشروا بعد ذلك وأحدثوا الاحداث واستحلوا المحارم وضيعوا الحدود فسلط الله عليهم بطلوس بن اسنابوس فخرب بلادهم وطردهم عنها ونزع الله تعالى منهم الملك والرياسة وضرب عليهم الذلة فليسوا فى أمة من الامم الا وعليهم الصغار والذلة والجزية والملك فى غيرهم وبقى بيت المقدس خرابا الى أيام عمر بن الخطاب رضى الله عنه فعمره المسلمون بامره والله أعلم

﴿ باب فى ذكر الذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها ﴾

قال الله تعالى أو كالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها الآية واختلفوا فى ذلك المار من كان فقال عكرمة وقتادة والربيع بن أنس والضحاك والسدى هو عزير بن شرحيا وقال وهب بن منبه وعبد الله بن حميد وعبيد ابن عمير هو أرمياء بن خلقياء وكان من سبط هرون بن عمران وهو الخضر واختلفوا أيضا فى القرية التى مر عليها

له يا أخى ما الذى أشغلك به عن سواه فما كان سبب توليهك وانفرادك عن الناس فنظر الى نظرة منكرة ثم بكى واصفر لونه وغشى عليه فلما أفاق آنسته بالكلام ولاطفته بالخطاب وسألته عن ذلك وأقسمت عليه بالله ان يحدثنى عن سبب ذلك فحدثنى وهو يبكى فقال يا أخى كنت أخدم شيخا وكان من الابدال فخدمته أربعين سنة فكان مجتهدا فى العبادة فلما كان قبل موته بثلاثة أيام دعانى وقال لى يا عبد الله لى عليك حق ولك على حق ومن تمام حقى عليك أن تصغى لما أقول لك وتحفظ وصيتى فقلت نعم يا سيدى حبا وكرامة فقال يا ولدى قد بقى من عمرى ثلاثة أيام وأموت على غير دين الاسلام فاذا أنا مت فضعنى فى تابوت بثيابى واحمل التابوت فى الليل الى أرض كذا وكذا من ظاهر البلد وامكث حتى تطلع الشمس فاذا رأيت جماعة قد أقبلوا ومعهم تابوت يضعونه الى جانب تابوتى فخذ التابوت الذى يأتون به وعد به الى الزاوية وأخرج الرجل الذى فيه وافعل معه ما كان يجب عليك أن تفعله معى فقلت له يا سيدى كيف هذا الحال فقال يا ولدى كان ذلك فى الكتاب مسطورا هذا ماجرى فى اللوح المحفوظ فلله الامر من قبل ومن بعد لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون قال فلما كان بعد

فقال عكرمة ووهب وقتادة والربيع هي بيت المقدس وقال الضحاك هي الارض المقدسة وقال السدي هي سلماباد وقال الكلبي هي دير سابر اباد وقيل دير هرقل وقيل هي قرية العنب وهي على فرسخين من بيت المقدس وكان السبب في ذلك ما روى محمد بن اسحق بن يسار عن وهب بن منبه ان بختنصر لما وطىء الشام وخرب بيت المقدس وقتل بني اسرائيل وسباهم طار أرمياء حتى خالط الوحوش فلما ولى بختنصر عنهم راجعا الى بابل ومعه سبايا بني اسرائيل أقبل أرمياء على حماره ومعه عصير عنب في ركوة وسلة تين حتى غشي ايلياء فلما وقف عليها وعاين خرابها قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها ثم ربط أرمياء حماره بحبل جديد وألقى الله تعالى عليه النوم فلما نام نزع منه الروح مائة عام ومات حماره وعصيره وتينه عنده وأعمى الله عنه العيون فلم يره أحد وذلك ضحى ومنع الله السباع والطير عن لحمه فلما مضى من موته سبعون سنة أرسل الله ملكا الى ملك من ملوك فارس عظيم يقال له يوشك فقال له ان الله يأمرك أن تنفر بقومك وتعمر بيت المقدس وايلياء وأرضهما حتى يعودا أعمر ما كانا فانتدب الملك ألف قهرمان مع كل قهرمان ثلثمائة ألف عامل وجعلوا يعمرونها وأهلك الله تعالى بختنصر ببعوضة دخلت في دماغه ونجى الله تعالى من بقي من بني اسرائيل ولم يمت منهم أحد ببابل وردهم الله تعالى الى بيت المقدس ونواحيها فعمروها ثلاثين سنة وكثروا حتى كانوا كأحسن ما كانوا عليه فلما مضت المائة عام على عزير أحيا الله منه عينيه وسائر جسده ميت ثم أحيا جسده وهو ينظر ثم نظر الى حماره فاذا عظامه متفرقة بيض تلوح وسمع صوتا من السماء أيتها العظام البالية ان الله يأمرك أن تجتمعي فاجتمع بعضها الى بعض واتصل بعضها ببعض ثم نادى ثانية ان الله يأمرك أن تكتسي لحما ودما وجلدا فكان كذلك ثم نادى ان الله يأمرك أن تحيي فقام حماره ينهض باذن الله تعالى وعمر الله أرمياء فهو الذي يوجد في الفلوات (أخبرني) ابن فتحويه الحافظ باسناده عن وهب قال ليس في الجنة كلب ولا حمار الا كلب أهل الكهف وحمار أرمياء الذي أماته الله مائة عام ثم بعثه * وقال الذين قالوا ان المار كان عزيرا ان بختنصر لما خرب بيت المقدس قتل أربعين ألف رجل من قراء التوراة والعلماء بها وقتل فيهم أبا عزير وجده وكان عزير يومئذ غلاما قد قرأ التوراة وتقدم في العلم فقدمه مع سبايا بني اسرائيل الى أرض بابل وهو ومن ولد هرون وكان معه سبعة آلاف من أهل بيت داود فلما نجا عزير من بابل ارتحل على حماره حتى نزل على دير هرقل على شاطىء دجلة فطاف في القرية فلم ير فيها أحدا وعامة شجرها حامل فأكل من الفاكهة واعتصر من العنب فشرب منه وجعل فضل الفاكهة في سلة وفضل العصير في زق فلما رأى خراب القرية وهلاك أهلها قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها لم يشك في البعث ولكن قالها تعجبا ثم ربط حماره بحبل جديد ونام فأماته الله مائة عام ثم بعثه فأتاه جبريل عليه السلام فقال له كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم وذلك ان الله تعالى أماته ضحى وأحياه آخر النهار قبل غيبوبة الشمس فقال لبثت يوما وهو يرى أن الشمس قد غربت ثم التفت فرأى بقية الشمس فقال أو بعض يوم فقال له جبريل عليه السلام بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك يعني التين وشرابك يعني عصير العنب لم يتسنه يعني لم يتغير وانظر الى حمارك قال قوم وذلك أن الله تعالى لم يمت حماره فأحيا الله تعالى رأسه وسائر جسده ميت ثم قال له انظر الى حمارك فنظر فرأى حماره قائما كهيئته يوم ربطه حيا لم يطعم ولم يشرب مائة عام ونظر الى الرسن في عنقه جديدا لم يتغير وهذا قول الضحاك وقتادة وتقدير الآية على هذا القول وانظر الى حمارك وانظر الى عظامك كيف ننشزها وقال آخرون أراد به عظام حماره كما قدمنا ذكره فذلك قوله تعالى ولنجعلك آية للناس أي عبرة ودلالة على البعث بعد الموت وقال الضحاك هو أنه عاد الى قريته وأولاده وأولاد أولاده فوجدهم شيوخا وعجائز وهو أسود الرأس واللحية (أخبرنا) أبو عبد الله الحسين بن محمد الحافظ باسناده عن ابن عباس قال لما أحيا الله عزيرا بعد ما أماته مائة سنة ركب حماره حتى أتى محلته فانكره الناس وأنكر منازله فانطلق على وهم منه حتى أتى منزله فاذا هو بعجوز عمياء مقعدة قد أتى عليها مائة وعشرون سنة وكانت أمة له خرج عنهم عزير وهي بنت عشرين سنة وكانت عرفته وعقلته فلما أصابها الكبر أصابتها الزمانة فقال لها عزير ياهذه هذا منزل عزير قالت نعم هذا منزل عزير ما رأيت كذا وكذا سنة أحدا يذكر عزيرا وقد نسيه الناس قال فاني أنا عزير قالت سبحان الله فان عزيرا قد فقدناه منذ مائة سنة ولم نسمع له بذكر قال فاني أنا عزير كان الله قد أماتني مائة سنة ثم بعثني قالت فان عزيرا كان رجلا مستجاب الدعوة يدعو للمريض وصاحب البلاء بالعافية والشفاء

فيعافيه

ثلاثة أيام اضطرب الشيخ وتغير لونه واسود وجهه واندار الى الشرق وانكب على وجهه فمكثت على ذلك بكاء شديدا وخفي عليه من الحزن ما لا يعلمه الا الله تعالى ثم اني تذكرت وصية الشيخ فوضعته في تابوت فلما جاء الليل خرجت به الى المكان الذي قال لي عليه فمكثت به حتى طلعت الشمس فاذا بجماعة قد أقبلوا ومعهم تابوت فوضعوه الى جانب تابوت الشيخ فتقدم رجل وهم أن يحمل ذلك التابوت فمنعته عنه وقلت له لا سبيل لأخذه حتى تخبرني بخبر صاحب هذا التابوت فقال الرجل نعم يا أخي أنا خادم هذا البترك الذي في هذا التابوت أربعين سنة فلما كان قبل موته بثلاثة أيام أحضرني وقال يا ولدي لي عليك حق ولك علي حق ومن تمام حقي عليك أن تحفظ وصيتي وتصغ لما أقول لك قلت نعم فقال يا ولدي بقي من عمري ثلاثة أيام وأموت على دين الاسلام فاذا مضت فضعني في تابوت بثيابي ليلا واخرج بي الى المكان الفلاني تجد تابوتا موضوعا فضع تابوتي بجانبه وخذ التابوت الذي هناك وارجع به الى الكنيسة ومهما كان يجب عليك أن تفعله معي فافعله مع صاحب

فيعافيه الله تعالى و يشفيه فادع الله تعالى أن يرد على بصرى حتى أراك فان كنت عزيرا عرفتك قال فدعا ربه ومسح بيده على وجهها وعينيها فاستجاب له الله فعوفيت ورد الله عليها بصرها ثم أخذ بيدها وقال لها قومى باذن الله تعالى فاطلق الله رجليها فقامت صحيحة كانما نشطت من عقال فنظرت الى عزير فعرفته فقالت أشهد أنك عزير ثم انها انطلقت الى محلة بنى اسرائيل وهم فى أفنيتهم ومجالسهم وابن عزير شيخ ابن مائة سنة وثمانى عشرة سنة و بنو بنيه شيوخ فى المجلس فنادت هذا عزير قد جاءكم فكذبوها فقالت أنا فلانة مولاتكم دعا لى ربه فرد على بصرى وأطلق رجلى و زعم أن الله أماته مائة سنة ثم بعثه قال فنهض الناس وأقبلوا اليه فقال ابنه كانت لابى شامة سوداء مثل الهلال بين كتفيه فكشف عن كتفيه فاذا هى بحالها فعرف عند ذلك انه عزير عليه السلام

﴿ باب فى ذكر تمام قصة عزير عليه السلام وحاله بعد ما رجع الى قومه ﴾

قال الله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله روى عطية العوفى عن ابن عباس قال كان عزير من أهل الكتاب وكانت التوراة عندهم فعملوا بها ما شاء الله أن يعملوا ثم أضاعوها وعملوا بغير الحق وكان التابوت فيهم فلما رأى الله تعالى انهم قد أضاعوها وعملوا بالاهواء رفع الله عنهم التابوت وأنساهم التوراة ونسخها من صدورهم فارسل الله عليهم مرضا فاستطلقت بطونهم حتى كان الرجل يمس كبده حتى نسوا التوراة وفيهم عزير فمكثوا ما شاء الله أن يمكثوا بعد ما نسخت التوراة من صدورهم وكان عزير قد أمر علماءهم أن يدعوا الله تعالى فدعا الله هو واياهم وابتهل اليه أن يرد اليه ما نسخ من صدره فبينما هو يصلى مبتهلا الى الله تعالى اذ نزل نور من السماء فدخل جوفه فعاد اليه الذى كان ذهب من صدره من التوراة فأذن فى قومه وقال يا قوم قد آتانى الله التوراة وردها الى فطفق يعلمهم فمكثوا ما شاء الله أن يمكثوا وهو يعلمهم التوراة ثم ان التابوت نزل بعد ذلك بعد ذهابه منهم فلما رأوا التابوت عرضوا ما كان فيه على الذى كان يعلمهم عزير فوجدوه مثله فقالوا والله ما أوتى عزير هذا الا لانه ابن الله (قال السدى) وابن عباس فى رواية عمار انما قالت اليهود هذا لان العمالقة ظهروا عليهم فقتلوهم وأخذوا التوراة وهرب علماؤهم الذين بقوا ودفنوا التوراة فى الجبال وغيرها ولحق عزير بالجبال والوحوش وجعل يتعبد فى رؤس الجبال ولا يخالط الناس ولا ينزل الا يوم عيد وجعل يبكى و يقول يا رب تركت بنى اسرائيل بغير عالم وجعل يبكى حتى سقطت أشفار عينيه فنزل مرة الى العيد فلما رجع فاذا هو بامرأة قد تمثلت له عند قبر من تلك القبور وهى تبكى وتقول يا مطعماه يا مكسياه فقال لها عزير يا هذه اتقى الله واصبرى واحتسبى أما علمت أن الموت سبيل الناس ثم قال لها ويحك من كان يطعمك و يسقيك و يكسوك قبل هذا الرجل يعنى زوجها الذى كانت تندبه فقالت الله تعالى قال فان الله عز وجل حى لا يموت أبدا قالت يا عزير فمن كان يعلم العلماء قبل بنى اسرائيل قال الله تعالى قالت فلم تبكى عليهم وقد علمت أن الموت حق وأن الله حى لا يموت فلما علم عزير أنه قد خصم ولى مدبرا فقالت له يا عزير انى لست امرأة ولكنى الدنيا أما انه سينبع لك فى مصلاك عين وتنبت شجرة فكل من تلك الشجرة واشرب من ماء تلك العين واغتسل وصل ركعتين فانه سيأتيك شيخ و يعطيك شيأ فما أعطاك فخذ منه فلما أصبح نبعت العين فى مصلاه ونبتت شجرة ففعل ما أمر به فجاء شيخ وقال له افتح فاك ففتح فاه فألقى فيه شيأ كهيئة القوارير ثلاث مرات ثم قال له ادخل هذه العين فامش فيها حتى تبلغ أملاك قال فدخل وجعل لا يرفع قدمه الا زيد فى علمه فرجع اليهم وهو من أعلم الناس بالتوراة ثم قال يا بنى اسرائيل قد جئتكم بالتوراة قالوا يا عزير ما كنت كذابا فربط على كل أصبع له قلما وكتب بأصابعه كلها حتى كتب التوراة كلها عن ظهر قلبه فأحيا لهم التوراة والسنة فلما رجع العلماء استخرجوا كتبهم التى دفنوها وقابلوها بتوراة عزير فوجدوها مثلها فقالوا ما أعطى الله له هذا الا لانه ابنه * وقال الكلبى ان بختنصر لما ظهر على بنى اسرائيل وهدم بيت المقدس وقتل من قرأ التوراة وكان عزير اذ ذاك غلاما صغيرا فاستصغره فلم يقتله ولم يدر أنه قد قرأ التوراة فلما مات مائة سنة و رجعت بنو اسرائيل الى بيت المقدس وليس فيهم من يقرأ التوراة بعث الله تعالى فيهم عزيرا ليجدد لهم التوراة و يكون لهم آية فأتاهم عزير وقال أنا عزير فكذبوه وقالوا ان كنت عزيرا كما تزعم فأمل علينا التوراة فكتبها وقال هذه التوراة ثم ان رجلا قال ان أبى حدثنى عن جدى أن التوراة جعلت فى خابية دفنت فى كرم فلان فى موضع كذا فانطلقوا معه حتى احتفروا وأخرجوا الخابية والتوراة فيها فأخذوها وقابلوها بما كتب لهم عزير فلم يجدوه غادر منها آية ولا حرفا فعجبوا وقالوا ان الله تعالى لم يقذف التوراة فى قلب رجل واحد منا بعد

ذلك التابوت فانه كان من الابدال فلما كان بعد ثلاثة أيام تهلل وجه المبارك بالفرح ونطق بالشهادتين ومات مسلما ففعلت ما أمرنى به وأتيت الى هنا وهذا حديثى يا أخى قال فحملت ذلك التابوت الذى جاؤا به وأخذوا تابوت الشيخ ومضوا به فجئت بذلك التابوت الى الزاوية وأحضرت الفقراء وفتحت لهم التابوت فاذا فيه شيخ عليه نور ساطع فاخرجته من التابوت ونزعت ثيابه وغسلته أنا والفقراء وصلينا عليه ودفناه فى الزاوية وكان يوما مشهودا فهذا حديثى يا أخى ثم خرجت بعد دفنه هائما على وجهى من خوف سوء الخاتمة وهذا سبب توبتى فنسأل الله تعالى حسن الخاتمة ونعوذ به من مكره وغضبه وعقابه

يا ويح من خلى سبيل الهدى
وفاته منك بلوغ المرام
فمن أتى حصنك آويته
فركنه فى عزه لا يضام
كم صالح قد صف أقدامه
فى الليل يبكى بالدموع السجام
وماله حظ سوى أنه
شقاه مولاه بطول القيام
وكم قريب خاب ظنا وما
نال سوى التعذيب والانتقام
وكم بعيد نال ما يرتجى
وحاز فى عقباه أعلى مقام
من لم يكن للوصل أهلا فما
يفيده القرب والاعتصام
فسطوة الاقدار لا تعتدى * فانتبهوا من نومكم يا نيام
يا أيها المذنب قم واعتذر * وتب من الذنب وكسب الآثام

ماذهبت من قلوبنا الا انه ابنه فعند ذلك قالت اليهود عزير ابن الله

﴿ مجلس فى ذكر غزوة بختنصر العرب وقصة يوحنا وخراب حضور ﴾

قال الله تعالى وكم قصمنا من قرية كانت ظالمة وأنشأنا بعدها قوما آخرين الى قوله حصيدا خامدين * قال هشام ابن محمد الكلبى وغيره كان بدء نزول العرب أرض العراق واتخاذهم الحيرة والانبار منزلا أن الله تعالى أوحى الى يوحنا بن برخيا بن رزبابيل بن سنبسل وسنبسل هذا هو أول من اتخذ الطفشل كان من ولد يهوذا بن يعقوب أن ائت بختنصر وأمره أن يغزو العرب الذين لا أغلاق لبيوتهم ولا أبواب ويطأ بلادهم ويقتل مقاتلهم ويستبيح أموالهم لكفرهم بى واتخاذ الآلهة دونى وتكذيبهم أنبيائى ورسلى وذلك بعد قتل أهل حضور وهى بلدة باليمن بعث الله اليهم نبيا فاقبل يوحنا حتى قدم على بختنصر ببابل فأخبره بما أوحى الله اليه وقص عليه ما أمره به وذلك فى زمن معد بن عدنان فأوحى الله تعالى الى يوحنا أنى قد سلطت بختنصر على أهل قرية عربية لا نتقم به منهم فعليك بمعد بن عدنان الذى من ولده النبى صلى الله عليه وسلم الذى أخرجه فى آخر الزمان واختم به النبوة وأرفع به من أطاعه فخرج تطوى له الارض حتى سبق بختنصر فلقى عدنان وقد تلقاه فنظر الى معد ولمعد يومئذ اثنتاعشرة سنة فحمله يوحنا على البراق وأردفه خلفه فانتهيا الى أرض نجران من ساعتهما قالوا ووثب بختنصر على من كان فى بلاده من تجار العرب وكانوا يقدمون عليه بالتجارات والامتيار فجمع من ظفر به منهم فبنى لهم ديرا على نجف وحصنه ثم ضمهم فيه فقيدوا ووكل بهم حرسا وحفظة ثم نادى فى الناس بالغزو فتأهبوا لذلك وانتشر الخبر فيمن يليهم من العرب فخرجت اليه الطوائف منهم سالمين مستأمنين فاستشار بختنصر فيهم يوحنا فقال ان خروجهم اليك من بلادهم قبل نهوضك اليهم رجوع منهم عما كانوا عليه فاقبل منهم وأحسن اليهم قال فانزلهم بختنصر السواد على شاطئ الفرات والتقى بختنصر مع العرب فهزمهم وأثخن فيهم بالقتل والاسر وسار حتى بلغ الحجاز والتقى عدنان فى قومه من العرب وبختنصر بذات عرق فهزمهم ونادى مناد من جوف السماء يا لثارات الانبياء فأخذتهم السيوف من خلفهم ومن بين أيديهم فندموا على ذنوبهم ونادوا بالويل فذلك قوله تعالى فلما أحسوا بأسنا اذا هم منها يركضون أى يسرعون هاربين فأخذتهم السيوف وقالت لهم الملائكة لا تركضوا وارجعوا الى ما أترفتم فيه ومساكنكم الآية فلما عرفوا انه واقع بهم أقروا بالذنوب قالوا يا ويلنا انا كنا ظالمين فما زالت تلك دعواهم فما زالوا يدعون بها حتى هلكوا فذلك قوله تعالى فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم حصيدا خامدين ثم رجع بختنصر الى بابل بما جمع من سبايا العرب فالقاهم فى الانبار فقيل أنبار العرب وانضم اليه المستأمنون من العرب وخلى بختنصر أهل الدير بعد فراغه من غزو العرب وابتنوا لانفسهم بلدين فسموا احداهما الانبار والاخرى الحيرة وخالطهم بعد ذلك النبط ومات عدنان وبقيت بلاد العرب خرابا فى حياة بختنصر فلما مات بختنصر رجع معد بن عدنان ومعه أنبياء بنى اسرائيل حتى أتى مكة فأقام أعلامها وحج الانبياء معه

﴿ مجلس فى ذكر لقمان الحكيم عليه السلام وذكر بعض مواعظه وحكمته ووصيته لابنه ﴾

قال الله تعالى ولقد آتينا لقمان الحكمة يعنى العقل والعلم والعمل به والاصابة فى الامور واختلفوا فى نسبه فقال محمد بن اسحق بن يسار هو لقمان بن باعور بن ناحور بن تارخ وهو آزر أبو ابراهيم عليه السلام وقال وهب كان ابن أخت أيوب عليه السلام وقال مقاتل كان ابن خالة أيوب وقال الواقدى كان قاضى بنى اسرائيل وقال آخرون كان عبدا وقال مجاهد كان لقمان عبدا أسود عظيم الشفتين مشقق القدمين وروى الاوزاعى عن عبد الرحمن بن حرملة قال جاء أسود الى سعيد بن المسيب يسأله فقال سعيد بن المسيب لا تحزن من أجل انك أسود فانه قد كان من خير الناس ثلاثة من السودان بلال ومهجع مولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه ولقمان الحكيم كان أسود نوبيا من سودان مصر ذا مشافر (حدثنا) الامام أبو منصور الحمشاوى لفظا باسناده عن سعيد بن المسيب أن لقمان عليه السلام كان عبدا حبشيا نجارا (وأخبرنى) ابن فتحويه باسناده عن سعيد بن المسيب ان لقمان عليه السلام كان خياطا واتفق العلماء انه كان حكيما ولم يكن نبيا الا عكرمة فانه كان يقول ان لقمان كان نبيا تفرد بهذا القول (حدثنا) أبو منصور الحمشاوى عنه باسناده انه قال كان نبيا قال بعضهم خير لقمان بين النبوة والحكمة فاختار الحكمة (وروى) نافع عن عبد الله بن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

الى متى أنت ترى غاديا * و رائحا فى اللهو طول الدوام
أنب الى الله وتب واستقم * من قبل ان تشرب كاس الحمام
فان تخف قبح ذنوب مضت
فلذ بخير الخلق بدر التمام
محمد المختار من هاشم
أفضل من حج ولبى وصام
صلى عليه الله ما أشرقت
طلائع الصبح وولى الظلام

﴿وحكى عن منصور بن عمار عفا الله عنه أنه قال) كان لى أخ فى الله تعالى يتفقدنى فى شدتى ورخائى وكان كثير العبادة والتهجد والبكاء فلما كان بعض الايام فقدته فسألت عنه فقيل لى انه ضعيف فسرت الى بيته وطرقت عليه الباب فخرجت الى ابنته وقالت ما تريد فقلت لها قولى لابيك فلان أخوك يريد أن يدخل اليك فدخلت وعادت الى وقالت ادخل فدخلت اليه فوجدته فى وسط الدار وهو مضطجع على الارض وقد تغيرت صورته واسود وجهه وازرقت عيناه وتقلصت شفتاه فقلت له وأنا خائف منه يا أخى أكثر من قول لا اله الا الله ففتح عينيه ونظر الى ثم غشى عليه فلما أفاق قلت له يا أخى أكثر من قول لا اله الا الله ففعل كما فعل أولا فقلت ثالثا أكثر من قول لا اله الا الله وان لم تقلها لاغسلتك ولا كفنتك ولا صليت عليك ولا دفنتك قال منصور ففتح عينيه ونظر الى وقال يا أخى يا منصور كلمة حيل بينى

وسلم يقول حقا اقول لم يكن لقمان نبيا ولكن كان عبدا عصمه الله تعالى كثير التفكر حسن اليقين أحب الله فأحبه الله فمن عليه بالحكمة وذلك أنه كان نائما نصف النهار فجاءه النداء يا لقمان هل لك ان يجعلك الله خليفة في الارض تحكم بين الناس بالحق فأجاب الصوت فقال ان خيرني ربي قبلت العافية ولم أقبل البلوى وان عزم على فسمعا وطاعة فاني أعلم أنه ان فعل بي أعانني وعصمني فقالت الملائكة لم يا لقمان قال لان الحاكم باشد المنازل وأكدرها يغشاه الظلم من كل مكان أصاب فارجو أن ينجو وان أخطأ أخطأ طريق الجنة ومن يكن في الدنيا ذليلا خير من أن يكون شريفا ومن تخير الدنيا على الآخرة نفته الدنيا ولا تبقى له الآخرة فتعجبت الملائكة من حسن منطقه فنام نومة فأعطى الحكمة فانتبه فتكلم بها ثم نودى داود بعده فقبلها ولم يشترط بها ما اشترط لقمان فهم بالخطيئة غير مرة كل ذلك ويعفو الله عنه وكان لقمان يوازره بحكمته فقال له داود طوبى لك يا لقمان أعطيت الحكمة وصرف عنك البلاء وأعطى داود الخلافة وابتلى بالبلية والفتنة

﴿باب في ذكر بعض ماروى من حكم لقمان ومواعظه المذكورة في القرآن﴾

قال الله تعالى ولقد آتينا لقمان الحكمة وقال أيضا واذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله ان الشرك لظلم عظيم الآيات (أخبرنا) أبو عبد الله الحسين الدينوري عن عكرمة قال كان لقمان من أهون مملوك على سيده قال فبعثه مولاه على رفقة له الى بستان له ليأتوه بشيء من ثمره فجاؤا وليس معهم شيء وقد أكلوا الثمرة وأحالوا على لقمان فقال لمولاه ان ذا الوجهين لا يكون عند الله أمينا فاسقني واياهم ماء حميما ثم أرسلنا فلنقذفه ففعل فجعلوا يتقايؤن الفاكهة وجعل لقمان يتقايأ ماء نقيا فعرف صدقه من كذبهم قال فأول ماروى من حكمته أنه بينما هو مع مولاه اذ دخل المخرج فأطال فيه الجلوس فناداه لقمان ان طول الجلوس على الخلاء يتجع منه الكبد ويورث الباسور وتصعد الحرارة الى الرأس فاجلس هوينا وقم قال فخرج وكتب حكمته على باب الحش قال وسكر مولاه يوما فخاطر أقواما على أن يشرب ماء بحيرة فلما أفاق عرف ماوقع فيه فدعا لقمان ثم قال له لمثل هذا اليوم كنت خبأتك قال اخرج كرسيك وأباريقك ثم اجمعهم فلما اجتمعوا قال لهم على أي شيء خاطرتموني قالوا على ماء هذه البحيرة فقال لهم لقمان ان لها موادا فاحبسوا عنها موادها حتى يشربها قالوا وكيف نستطيع أن نحبس موادها فقال لقمان وكيف يستطيع شربها ولها مواد (أخبرنا) ابن فتحويه باسناده عن خالد الربعي قال كان لقمان عبدا حبشيا نجارا فقال له سيده اذبح لنا شاة فذبح فقال ائتني باطيب مضغتين منها فأتاه باللسان والقلب فقال له أما كان فيها شيء أطيب من هذا قال لا فسكت عنه ثم قال له اذبح لنا شاة فذبح شاة فقال ائتني بأخبث مضغتين منها فجاءه باللسان والقلب فقال له أمرتك ان تأتيني باطيبها مضغتين فأتيتني باللسان والقلب وأمرتك أن تأتيني بأخبثها مضغتين فأتيتني باللسان والقلب فقال له انه ليس باطيب منهما اذا طابا ولا أخبث منهما اذا خبثا (وأخبرنا) عبد الله بن حامد باسناده عن محمد بن عجلان قال قال لقمان الحكيم ليس مال كصحة ولا نعيم كطيب نفس (وأخبرنا عبد الله) باسناده عن أبي هريرة قال مر رجل بلقمان والناس مجتمعون عليه فقال له ألست العبد الاسود الذي كنت راعيا بموضع كذا وكذا قال بلى قال فما بلغ بك ما أرى قال صدق الحديث وأداء الامانة وترك ما لا يعنيني (أخبرني) الحسين بن محمد عن أبيه قال قال لقمان ضرب الوالد لولده كالماء للزرع وعن عبد الله بن دينار أن لقمان قدم من سفر فلقاه غلامه في الطريق فقال له مافعل أبي قال مات قال الحمد لله ملكت أمري قال فما فعلت امرأتي قال ماتت قال جدد فراشي قال مافعلت أختي قال ماتت قال سترت عورتي قال مافعل أخي قال مات قال انقطع ظهري (أخبرنا) الحسين بن الحسن بن محمد باسناده عن شقيق قال قيل للقمان أي الناس أشر قال الذي لا يبالي أن يراه الناس مسيئا وقيل للقمان ما أقبح وجهك قال تعيب بهذا على النقش أو على الناقش (وروى) المحاربي عن سفيان الثوري قال قال لقمان لابنه ان الدنيا بحر عميق قد غرق فيها ناس كثير فلتكن سفينتك فيها تقوى الله وليكن حشوها ايمانك بالله وشراعها التوكل على الله فلعلك تنجو وما أظنك ناجيا يا بني كيف لا يخاف الناس ما يوعدون وهم في كل يوم ينقصون يا بني خذ من الدنيا بلغة ولا تدخلن فيها دخولا فتضر فيها بآخرتك ولا ترفضها فتكون عيالا على الناس وصم صياما يقطع شهوتك ولا تصم صياما يمنعك عن الصلاة فان الصلاة عند الله أعظم من الصوم يا بني لا تتعلم العلم لتباهي به العلماء وتماري به السفهاء او ترائي به في المجالس ولا تترك العلم زهادة فيه ورغبة في الجهالة يا بني اختر المجالس على عينك فان رأيت قوما يذكرون الله

و بنها فقلت لاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم قلت يا أخي أين الصلاة والعبادة والصيام والبكاء ١٩٧ والدعاء فقال كل ذلك كان لغير الله تعالى وانما كنت أفعل ذلك رياء للناس وسمعة حتى يقال على وأذكر به وكنت اذا خلوت بنفسي أغلقت الابواب وأرخيت الستور وشربت الخمور وبارزت مولاى بالمعاصي ودمت على ذلك مدة من الزمان فاصابني مرض أشرفت منه على الموت فقلت لابنتي هذه ناوليني المصحف فأتت به الى فقرأت فيه حتى بلغت سورة يس فرفعت المصحف وقلت اللهم بحق هذه السورة الشريفة وبحق مافي هذا المصحف من كلامك القديم أن تعافيني وتفرج عني وأنا لأعود الى معصيتك أبدا قال ففرج الله عني وعافاني فلما شفيت عدت لما كنت فيه من اللهو واللعب والشهوات واللذات وأنساني الشيطان ذلك العهد الذي بيني وبين مولاى فصرت على ذلك مدة من الزمان فوقعت في مرض آخر أشرفت منه على الموت فأمرت أهلي ان يخرجوني الى وسط الدار ثم طلبت المصحف وقرأت فيه وقلت اللهم بحق هذا القرآن العظيم الا ما عافيتني وفرجت عني وأنا لا أعود الى معصية أبدا فاستجاب الله تعالى مني وفرج عني فعدت الى ما كنت فيه حتى وقعت في هذا المرض

فاجلس اليهم فانك ان تك عالما ينفعك علمك ويزيدك علما وان تكن مسنا جاهلا يعلموك ولعل الله أن يطالعهم برحمته فتعمك معهم واذا رأيت قوما لايذكرون الله فلاتجلس اليهم فانك ان تكن عالما لاينفعهم علمك وان تكن جاهلا يزيدوك جهلا فلعل الله يطالعهم بالعقوبة فتعمك معهم يابني لاتضع برك الا عند راعيه كما ليس بين الكبش والذئب خلة كذلك ليس بين البار والفاجر خلة ومن يحب المراء يشتم ومن يدخل مداخل السوء يتهم ومن يقارن قرين السوء لايسلم ومن لايملك لسانه يندم يابني كن عبدا للاخيار ولاتكن خليلا للاشرار يابني كن أمينا تكن غنيا ولاترالناس أنك تخشى الله وقلبك فاجر يابني جالس العلماء وزاحمهم بركبتيك ولاتجادلهم فيمنعوك حديثهم والطف بهم في السؤال اذا تركوك ولاتعجزهم فيملوك يابني لاتطلب من الامر مدبرا ولا ترفض منه مقبلا فان ذلك يقل الرأي ويزرى بالعقل يابني ان تأدبت صغيرا انتفعت كبيرا يابني اذا سافرت فلا تأمن على دابتك فان ذلك سريع في ادبارها وليس ذلك من فعل الحكماء الا أن تكون في محل يمكنك فيه التمدد واذا قربت من المنزل فانزل عن دابتك وسر ثم ابدأ بعلفها قبل نفسك واياك والسفر في أول الليل وعليك بالتعريس والادلاج من نصف الليل الى آخره وسافر بسيفك وخفك وعمامتك وكسائك وسقائك وابرتك وخيوطك ومخرزك وتزود من الادوية ماتنتفع به أنت ومن معك وكن لاصحابك موافقا موافيا الا في معصية الله يابني اياك والتقنع فانه بالنهار شهرة وبالليل ريبة يابني لاتأمر الناس بالبر وتنسى نفسك فيكون مثلك مثل السراج يضيء للناس ويحرق نفسه يابني لاتحقرن من الامور صغارها ان الصغار غدا تصير كبارا يابني اياك والكذب فانه يفسد دينك وينقص عند الناس مروءتك فعند ذلك يذهب حياؤك وبهاؤك وجاهك وتهان ولايسمع منك اذا حدثت ولاتصدق اذا قلت ولاخير في العيش اذا كان هكذا يابني اياك وسوء الخلق والضجر وقلة الصبر فلا يستقيم لك على هذه الخصال صاحب ولايزال لك من الناس عليها مجانب وألزم نفسك التودد في أمورك والصبر على مرارات الاحوال وحسن مع جميع الناس خلقك فان من حسن خلقه وأظهر بشره وبسطه حظي عند الابرار وأحبه الاخيار وجانبه الفجار يابني لاتعلق نفسك بالهموم ولاتشغل قلبك بالاحزان واياك والطمع وارض بالقضاء واقنع بما قسم الله لك يصف عيشك وتسر نفسك وتستلذ حياتك وان أردت أن يجمع لك غنى الدنيا فاقطع طمعك مما في أيدي الناس فان ما بلغ الانبياء والصديقون مابلغوا الا بقطع طمعهم مما في أيدي الناس يابني ان الدنيا قليل وعمرك فيها قليل من قليل وقد بقي قليل من قليل القليل يابني اجعل معروفك في أهله ولاتضعه في غير أهله فتخسره في الدنيا وتحرم ثوابه في الآخرة وكن مقتصدا ولاتكن مبذرا ولاتمسك المال تقتيرا ولاتعطه تبذيرا يابني الزم الحكمة تكرم بها وأعزها تعز بها وسيد أخلاق الحكمة دين الله عز وجل يابني للحاسد ثلاث علامات يغتاب صاحبه ان غاب ويتملق اذا شهد ويشمت فيه بالمصيبة * تم خبر لقمان الحكيم وما وصى لابنه أنعم والله أعلم

﴿ مجلس في قصة بلوقيا ﴾

(أخبرنا) أبو بكر محمد بن عبد الله الجزرقي باسناده عن عبد الله بن سلام الاسرائيلي قال كان في بني اسرائيل رجل يقال له أوشيا وكان من علمائهم وكان كثير المال وكان اماما لبني اسرائيل وكان قد عرف بعث النبي عليه السلام وأمته في التوراة فخبأه وكتم عنهم وكان له ابن يقال له بلوقيا خليفة أبيه في بني اسرائيل وكان ذلك بعد سليمان فلما مات والده أوشيا وبقي بلوقيا والامامة والقضاء في يده فتش يوما خزائن والده فوجد فيها تابوتا من حديد مقفلا بقفل من حديد فسأل الخزان عن ذلك فقالوا لاندري فاحتال على القفل حتى فكه فاذا فيه صندوق من خشب الساج ففكه فاذا فيه أوراق فيها نعت النبي صلى الله عليه وسلم وأمته مختومة بالمسك ففكها وقرأها على بني اسرائيل ثم انه قال الويل لك يا أبت من الله فيما كتبت وكتمت من الحق عن بني اسرائيل فرده الى أهله فقال بنو اسرائيل يابلوقيا لولا انك امامنا وكبيرنا لنبشنا قبره وأخرجناه منه وأحرقناه بالنار فقال ياقوم لاضير انما تبع حظ نفسه وخسر دينه ودنياه فالحق وانعت النبي صلى الله عليه وسلم وأمته بالتوراة قال وكانت أم بلوقيا من الاحياء فاستأذنها في الخروج الى بلاد الشام وكانوا يومئذ ببلاد مصر فقالت له وما تصنع بالشام فقال أسأل عن محمد وأمته فلعل الله تعالى أن يرزقني الدخول في دينه فأذنت له فبرز بلوقيا ليدخل بلاد الشام فبينما هو يسير اذ انتهى الى جزيرة من جزائر البحر فاذا هو بحيات كامثال الابل عظما وفي الطول ماشاء الله

فأمرت أهلي ان يخرجوني الى وسط الدار كما ترى ثم طلبت المصحف لاقرأ فيه فلم يتبين لي فيه حرف واحد فعرفت ان الله سبحانه وتعالى غضب علي غضبا شديدا فرفعت بصري الى السماء وقلت الهي بحرمة هذا المصحف الا مافرجت عني وعافيتني وأنا لاأعود ياجبار السموات والارض فبينما أنا كذلك اذ سمعت قائلا يقول ولاأدري شخصه شعرا

تتوب من الذنوب اذا مرضتا
وترجع للذنوب اذا برئتا
اذا ما الضر مسك أنت باك
واخبث مايكون اذا قويتا
فكم من كربة نجاك منها
وكم كشف البلاء اذا بليتا
اما تخشى هجوم الموت ياذا
وأنت على الخطايا قد دهيتا
وتنسى فضل رب جاد لطفا
عليك ولاخشيت ولارعيتا
وكم عاهدت ثم نقضت عهدا
أنت لكل معروف نسيتا

قال منصور بن عمار فقمت من عنده وخرجت وعيني تسكب العبرات عليه فما وصلت الى بيتي حتى قيل لي انه قد مات فنسأل الله تعالى حسن الخاتمة فكم من نفس مكر بها عند الموت بعد أن كانت صوامة قوامة فلا حول ولاقوة الا بالله العلي العظيم انا لله وانا اليه راجعون اللهم انا نعوذ بك من مكرك وغضبك وعقابك يا أكرم الاكرمين يا الله ﴿ وحكي عن منصور بن عمار أيضا رضي الله تعالى عنه ﴾ انه قال

وهن يقلن لا اله الا الله محمد رسول الله فلما رأينه قلن له أيها الخلق المخلوق من أنت وما اسمك فقال اسمى بلوقيا
وأنا من بنى اسرائيل فقلن وما اسرائيل قال من ولد آدم فقلن سمعنا باسم آدم ولم نسمع باسم اسرائيل قال فقال لهم
بلوقيا أيتها الحيات من أنتن فقلن نحن من حيات جهنم ونحن نعذب الكفار فيها يوم القيامة قال بلوقيا وما تصنعن
ههنا وكيف تعرفن محمدا فقلن ان جهنم تفور وتزفر فى كل سنة مرتين فتلقينا الى ههنا ثم نعود اليها فشدة
الحر من حرها فى الصيف وشدة البرد من بردها فى الشتاء وليس فى جهنم درك من دركاتها ولا باب من أبوابها
ولا سرادق من سرادقاتها الا وقد كتب الله عليه لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجل ذلك
عرفنا محمدا صلى الله عليه وسلم قال بلوقيا أيتها الحيات هل فى جهنم مثلكن أو أكبر منكن فقلن ان فى جهنم
حيات تدخل احدانا فى أنف احداهن وتخرج من فيها ولا تشعر بها لعظمها قال فسلم بلوقيا عليهن ومضى
حتى أتى جزيرة أخرى فاذا هو بحيات كامثال الجذوع والسوارى وعلى متن احداهن حية صغيرة صفراء
كلما مشت اجتمعت الحيات حولها فاذا انفخت صرن تحت الارض خوفا منها قال فلما رأيتها ورأتنى قالت أيها
الخلق المخلوق من أنت وما اسمك قلت اسمى بلوقيا وأنا من بنى اسرائيل من ولد ابراهيم الخليل فاخبرينى أيتها
الحية من أنت قالت أنا موكلة بالحيات واسمى تمليخا ولولا انى موكلة بهن لقتلن بنى آدم كلهم فى يوم واحد ولكنى
اذا صفرت صفرة واحدة وسمعن صوتى دخلن تحت الارض ولكن يا بلوقيا ان لقيت محمدا صلى الله عليه وسلم
فاقرئه منى السلام ثم مضى بلوقيا الى بلاد الشام فأتى بيت المقدس وكان بها حبر من أحبارهم يسمى عفان الحبر
فاتاه فسلم عليه فقال له يا بلوقيا ليس هذا زمان محمد ولا زمان أمته بينك وبينه قرون وسنون ثم قال عفان الحبر
يا بلوقيا أرنى موضع الحية التى اسمها تمليخا فان قدرت أن أصيدها رجوت ان أنال معك ملكا عظيما وتحيا حياة
طيبة الى أن يبعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم فندخل فى دينه فحرص بلوقيا على الدخول فى دين محمد
صلى الله عليه وسلم قال أنا أريك المكان فقام عفان وأخذ تابوتا من حديد وعمل فيه قدحين من فضة فى أحدهما
خمر وفى الآخر لبن ثم سارا جميعا حتى انتهيا الى موضع الحية ففتحا باب التابوت وتنحيا فجاءت الحية تبغى الرائحة
فدخلت التابوت فشربت اللبن والخمر فسكرت ونامت فقام عفان ودب الى التابوت دبيبا خفيفا فاغلق عليها
باب التابوت وحصنه وأخذاها ومراجعا فلم يمرا بشجرة ولا نبت الا كلمهما باذن الله تعالى فمرا بشجرة يقال لها
القرمل فقالت يا عفان من يأخذنى ويقطعنى ويدقنى ويعصر مائى ودهنى ويطلى به قدميه فانه يخوض البحار
السبعة فلا تبتل قدماه ولا يغرق فقال عفان اياك له طلبت ثم انه قطع تلك الشجرة فدقها وعصر ماءها وأخرج
دهنها وجعله فى كوز ثم خلى عن الحية فطارت بين السماء والارض وهى تقول يا بنى آدم ما أجرأكم على ربكم
ولن تصلوا الى ما تريدون قال فذهبت الحية وسار عفان وبلوقيا الى البحر فطليا أقدامهما ثم دخلا فى اليم ومشيا
فى الماء كانما كانا يمشيان على الارض حتى قطعا البحر الاول ثم الثانى فاذا هما بجبل فى وسط البحر ليس
بعال ولا متدان ترابه كالمسك عليه غمام أبيض وفيه كهف وفى الكهف سرير من ذهب وعلى السرير شاب
مستلق على قفاه ذو وفرة واضع يده اليمنى على صدره والشمال على بطنه كالنائم وليس بنائم وهو ميت وعلى
رأسه تنين وخاتمه بالشمال وكان هذا سليمان بن داود عليه السلام وكان ملكه فى خاتمه وكان خاتمه من ذهب وفصه
من ياقوت أحمر مربع مكتوب عليه أربعة أسطار فى كل سطر اسم الله الاعظم وكان عند عفان علم من الكتاب
فقال بلوقيا من هذا الميت يا عفان فقال هذا سليمان بن داود نريد أن نأخذ خاتمه ونملك ملكه ونرجو الحياة الى
أن يبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فقال بلوقيا أليس قد سأل ربه فقال رب هب لى ملكا لا ينبغى لاحد من
بعدى فأعطاه اياه على ما سأل ولا ينال ملك سليمان الى يوم القيامة لدعائه فقال عفان يا بلوقيا اسكت ان الله معنا
ومعنا اسم الله الاعظم ولكن أنت يا بلوقيا اقرأ التوراة فتقدم عفان لينزع الخاتم من يد سليمان من أصبعه فقال
التنين ما أجرأك على ربك ان غلبتنا باسماء الله تعالى فنحن نغلبك بقدرة الله تعالى قال فكلما نفخ التنين
ذكر بلوقيا اسم الله تعالى فلم تعمل نفخات التنين فيهما شيأ ودنا عفان من السرير لينزع الخاتم من أصبعه
فاشتغل بلوقيا بالنظر الى نزول جبريل عليه السلام من السماء فلما نزل صاح بهما صيحة ارتجت الارض
والجبال وتزلزلت منها فاختلطت مياه البحار وهاجت والتطمت حتى صار كل عذب مالحا من شدة صيحته
وسقط عفان على وجهه وسقط بلوقيا على وجهه ونفخ التنين فخرج من بطنه شعلة كانها البرق الخاطف

رأيت شابا فى بعض الايام يصلى صلاة الخائفين فقلت فى نفسى هذا الشاب لعله من أولياء الله تعالى فوقفت حتى فرغ من صلاته
فسلمت عليه فرد على
السلام فقلت له يا شاب
ألم تعلم ان فى جهنم واديا
يقال له لظى نزاعة
للشوى تدعو من
أدبر وتولى وجمع
فأوعى فشهق شهقة
وخر مغشيا عليه فلما
أفاق قال زدنى يا منصور
يرحمك الله فقلت يا أيها
الذين آمنوا قوا أنفسكم
وأهليكم نارا وقودها
الناس والحجارة عليها
ملائكة غلاظ شداد
لا يعصون الله ما أمرهم
ويفعلون ما يؤمرون
قال فخر الشاب ميتا
رحمة الله عليه فكشفت
عن ثيابه لاغسله
فوجدت على صدره
مكتوبا بقلم القدرة فهو
فى عيشة راضية فى جنة
عالية قطوفها دانية
قال منصور فغسلته
وكفنته وصليت عليه
ودفنته ثم نمت فرأيته
فى المنام على سرير من
ذهب وعلى رأسه تاج
من ذهب مكلل باللآلئ
وهو فى زينة عظيمة
فقلت له ما فعل الله بك
فقال غفر لى وأعطانى
ثوابا مثل ثواب أهل
بدر وزادنى على ذلك
أضعافا فقلت له لم ذلك
فقال لانهم قتلوا بسيف
الكفار وأنا قتلت
بمحبة العزيز الغفار
رضى الله تعالى عنه ونفعنا والمسلمين ببركاته ﴿ وحكى عن بعضهم رضى الله تعالى عنه أنه قال ﴾ كان فى قديم الزمان رجلان أحدهما عابد

واحترق عفان وعادت نفخته فى البحر فمامرت النفخة بشىء الاأحرقته ولا بماء الااسخنته وأغلته وان بلوقيا لما رأى العذاب ذكر اسم الله الاعظم فلم ينله مكروه ثم تراءى جبريل عليه السلام فى صورة رجل فقال له يا ابن آدم ما أجرأك على الله فقال له بلوقيا من أنت يرحمك الله فقال له أنا جبريل أمين رب العالمين فقال بلوقيا يا جبريل انما خرجت حبا لمحمد صلى الله عليه وسلم ودينه ولم أقصد الخطأ ولم أتعمده قال فبذلك نجوت ثم صعد جبريل عليه السلام الى السماء ومشى بلوقيا فطلى قدميه بذلك الدم فضل الطريق الذى جاء منه وأخذ فى طريق أخرى فسار ومشى ستة أبحر ووقع فى السابع فاذا هو بجزيرة من ذهب حشيشها الورس والزعفران وأشجارها الزيتون والنخل والرمان فقال بلوقيا ما أشبه هذا المكان بالجنة على ما وصفت قال فدنا بلوقيا من بعض الشجر فتناول من ثمرها فقالت الشجرة يا خاطئ يا ابن الخاطئ لا تأخذ منى شيأ فبقى متعجبا واذا بحذاء الشجرة قوم يتراكضون وبأيديهم سيوف مسلولة وهم يتناوشون بعضهم بعضا بالضرب والطعن فلما رأوا بلوقيا أحاطوا به وأحدقوا من ورائه وهموا به سوأ فذكر بلوقيا اسم الله فتعجبوا منه وهابوه وأغمدوا سيوفهم وقالوا بأجمعهم لا اله الا الله محمد رسول الله ثم قالوا له من أنت يا عبد الله فقال أنا من بنى آدم فقالوا اما اسمك قال اسمى بلوقيا وأنا من بنى اسرائيل فقالوا نعرف آدم ولا نعرف اسرائيل فما الذى أوقعك الينا فقال انى خرجت فى طلب نبى يسمى محمدا صلى الله عليه وسلم وانى قد ضللت الطريق الذى أردته ورأيت من الاهوال كذا وكذا فقال يا بلوقيا نحن من الجن المؤمنين ونحن مع ملائكة الله فى السماء ثم نزلنا الى الارض وقاتلنا كفرة الجن ونحن ههنا مقيمون نغزوهم ونجاهدهم الى يوم القيامة ولسنا نموت الى يوم القيامة وأنت تصير معنا فقال بلوقيا لملك الجن وكان اسمه صخرا يا صخر أخبرنى عن خلق الجن كيف كان قال لما خلق الله تعالى جهنم خلق لها سبعة أبواب وسبعة ألسنة وخلق منها خلقين خلقا فى سمائه سماه جبليت وخلقا فى أرضه سماه تمليت فاما جبليت فانه خلق فى صورة أسد وتمليت فى صورة ذئب وجعل الاسد ذكرا والذئب أنثى وجعل طول كل واحد منهما مسيرة خمسمائة عام وجعل ذنب الذئب بمنزلة ذنب العقرب وذنب الاسد بمنزلة ذنب الحية وأمرهما أن ينتفضا فى النار انتفاضة فسقط من ذنب الذئب عقرب ومن ذنب الاسد حية فحيات جهنم وعقاربها من ذلك ثم أمرهما أن يتناكحا فحملت الذئب من الاسد فولدت سبع بنين وسبع بنات فأوحى الله اليهم أن يزوجوا البنين من البنات كما أمر آدم فستة من البنين أطاعوا وواحد لم يطع ولم يتزوج فلعنه أبوه وهو ابليس وكان اسمه الحرث وكنيته أبو مرة فهذا أول خلق الجان يا بلوقيا وان دوابنا لا تنبت مع الانس ولكننى أحملك على فرسى وأبرقعه حتى لا يعرف من راكبه وأركب عليه على اسم الله تعالى فاذا انتهيت الى أقصى أعمالى على ساحل بحر كذا وكذا فاذا أنت بشيخ وشاب ومشايخ معهما فانك ستلقاهما هنالك فادفع الفرس اليهما وامش فى حفظ الله راشدا فركب بلوقيا على ذلك الفرس حتى انتهى اليهم فسلم على الشيخ والشاب ونزل عن الفرس ودفعها اليهما وكان قد فصل من عند ملك الجن عند الغداة وبلغ اليهما نصف النهار فقالا له يا بلوقيا منذ كم فارقت الملك قال فارقته من غدوة قال ما أسرع ما جئت قد أتعبت فرسنا فقال بلوقيا ما مددت اليه يدا ولا حركت عليه رجلا ولم أركضه ركضا قالا بلى ولكن فرسنا أحس بك وبمنزلتك وثقلك فطار ما بين السماء والارض ليريح نفسه منك فكم تراه جاب بك قال خمس فراسخ أو أكثر قالا بل جاب بك فى هذه المدة مسيرة مائة وعشرين سنة وكان يطير بك بين السماء والارض حول الدنيا دون قاف وأنت لا تعلم قال فخلوا عنه السرج واللجام والبرقع فاذا العرق يقطر ويسيل من كل شعرة منه وله جناحان انقضا وتكسرا من كثرة الطيران والدوران والاعياء والكلال قال بلوقيا هذا والله لعجيب فقالوا عجائب الله لا تنقضى ثم سلم عليهما فمضى فركب اليم فبينما هو يسير اذ رأى ملكا احدى يديه بالمشرق والاخرى بالمغرب وهو يقول لا اله الا الله محمد رسول الله فسلم عليه بلوقيا فقال له الملك من أنت أيها الخلق المخلوق قال أنا بلوقيا وأنا من بنى اسرائيل من ولد آدم ثم قال له بلوقيا أيها الملك ما اسمك قال اسمى يوحاييل وأنا ملك موكل بظلمة الليل وضوء النهار قال فما بال يديك مبسوطتين قال فى يدى اليمنى ضوء النهار وفى يدى اليسرى ظلمة الليل ولو سبق النهار الليل أضاءت السموات والارض ولم يكن الليل أبدا ولو سبقت الظلمة النور لاظلمت السموات والارض ولم يكن ضوء أبدا وبين يدى لوح معلق فيه سطران سطر أبيض وسطر أسود فاذا رأيت السواد ينقص نقصت الظلمة واذا رأيت السواد

والآخر فاسق وكانا أخوين شقيقين فكان العابد يتمنى أن يرى ابليس لعنه الله فى محرابه فتمثل له يوما من الايام وقال له يا فلان أسفا عليك ضيعت عمرك فى اتعاب نفسك وهو أربعون سنة وقد بقى من عمرك مثل ما مضى فانطلق الى شهوات نفسك ولذاتها عشرين سنة وتب بعد ذلك وعد الى العبادة العشرين الاخرى فان الله تعالى غفور رحيم فقال العابد انى لانزل الى أخى فى أسفل الدار وأوافقه على اللهو واللعب والشهوات واللذات عشرين سنة ثم أتوب بعد ذلك وأعبد الله تعالى العشرين الاخرى ولم يعرف ان ذلك مكيدة من ابليس لعنه الله تعالى وقال أخوه المسرف على نفسه قد أفنيت عمرى فى المعاصى فأخى يدخل الجنة وأنا أدخل النار والله لاقومن ولاصعدن الى أخى وأوافقه على الطاعة والعبادة باقى عمرى لعل الله تعالى أن يغفر لى قال فطلع العاصى على نية التوبة ونزل العابد على نية المعصية فزلقت رجل العابد فوقع على أخيه فمات الاثنان فحشر العابد على نية المعصية وحشر العاصى على نية التوبة فانظر يا أخى كيف ختم للطائع وكيف ختم للعاصى كما قال عليه الصلاة والسلام الاعمال بخواتيمها وقال انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرئ ما نوى فنسأل

يزدادزدت الظلمة واذا رأيت السطر الابيض يزدادزدت النهار واذا انتقص نقصت فلذلك الليل فى الشتاء أطول من النهار والنهار أقصر وفى الصيف النهار أطول والليل أقصر ثم سلم بلوقيا ومضى فاذا هو بملك آخر قائم يده اليمنى فى السماء ويده اليسرى فى الارض وقدماه تحت الثرى وهو يقول لا اله الا الله محمد رسول الله فسلم عليه بلوقيا فقال له الملك ممن أنت وما اسمك قال اسمى بلوقيا وأنا من بنى اسرائيل واسرائيل من ولد آدم ثم قال بلوقيا أيها الملك ما اسمك قال ميخائيل قال فما بالى أرى يمينك فى السماء وشمالك فى الماء قال أحبس الريح بيمينى والماء بشمالى ولو رفعت شمالى عن الماء لزخرت البحار كلها فى ساعة واحدة وتلاطمت باذن الله وأغرقت الدنيا ومن عليها ويدى اليمنى فى الهواء أحبس الريح عن ولد آدم لان فى السماء ريحا تسمى الهائمة ولو أرسلتها لنسفت من فى السماء ومن فى الارض قال فسلم بلوقيا ومضى فاذا هو بأربعة من الملائكة أحدهم رأسه كرأس الثور والآخر رأسه كرأس النسر والثالث رأسه كرأس الاسد والرابع رأسه كرأس الانسان فأما الملك الذى رأسه كرأس الثور فانه يقول اللهم ارحم البهائم ولا تعذبها وارفع عنها برد الشتاء وحر الصيف واجعل فى قلوب بنى آدم لها الرأفة والرحمة كى لا يكدوهن ولا يكلفوهن فوق طاقتهن واجعلنى من أهل شفاعة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة وأما الذى رأسه كرأس النسر فيقول اللهم ارحم الطيور وارفع عنها برد الشتاء وحر الصيف واجعلنى من أهل شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة وأما الذى رأسه كرأس الاسد فيقول اللهم ارحم السباع ولا تعذبها وادفع عنها حر الصيف وبرد الشتاء واجعلنى من أهل شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة وأما الذى رأسه كرأس الانسان فانه يقول لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم ارحم المسلمين ولا تعذبهم وادفع عنهم النار واجعلنى من أهل شفاعة محمد صلى الله عليه وسلم يوم القيامة ومضى بلوقيا حتى انتهى الى جبل قاف فاذا هو بملك قائم على جبل قاف وان جبل قاف محيط بالدنيا من ياقوتة خضراء وذلك قوله تعالى ق والقرآن المجيد فسلم بلوقيا على الملك فقال له الملك من أنت قال أنا بلوقيا وأنا من بنى اسرائيل من ولد آدم فقال له الملك وأين تريد قال خرجت فى طلب نبى من العرب يقال له محمد ولست أرى أثره ولا أدرى بأى بلاد أنا فقال له الملك لا اله الا الله محمد رسول الله قد أمرنا بالصلاة على محمد فقال بلوقيا أيها الملك ما اسمك قال اسمى حزقيائيل قال وما تصنع ههنا قال أنا أمين الله على جبل قاف وفى يدى وتر مرة يعقده ومرة يحله وعروق الارض كلها مشدودة عليه والوتر فى كفى قال فاذا أراد الله أن يضيق على عباده أمرنى أن أمد الوتر وأعقده وأوثق عروق الارض فيضيق الدنيا على العباد واذا أراد أن يوسع عليهم أمرنى أن أرخى الوتر فأفتق عروق الارض فتتسع الدنيا على العباد واذا أراد الله أن يخوف قوما أمرنى أن أحرك عروق تلك الارض فمن أجل ذلك موضع يهتز وموضع لا يهتز وموضع يتزلزل وموضع لا يتزلزل قال بلوقيا أيها الملك ما وراء قاف قال وراء قاف أربعون دنيا غير الدنيا التى جئت منها فى كل دنيا أربعمائة ألف باب فى كل باب أربعمائة ألف ضعف مثل الدنيا التى جئت منها وليست فيها ظلمة بل كلها نور أرضها ذهب عليها حجب من نور وسكانها الملائكة لا يعرفون آدم ولا ابليس ولا جهنم وهم يقولون لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك ألهموا ولذلك خلقوا وبه أمروا الى يوم القيامة قال بلوقيا فما وراءهم أيها الملك قال حجب وراء الحجب علم الله وقدرته قال بلوقيا أخبرنى أيها الملك على أى شئ هذا الجبل موضوع قال بين قرنى ثور واسمه يهموت وهو أبيض رأسه بالمشرق ومؤخره بالمغرب بين قرنيه مسيرة ثلاثين ألف سنة وهو ساجد لربه تعالى على صخرة بيضاء قال بلوقيا أيها الملك كم الارضون وكم البحار قال الارضون سبع والبحار سبع قال فجهنم أين هى قال تحت الارض السابعة فسلم عليه بلوقيا ومضى حتى انتهى الى حجاب طرفه فى السماء وأسفله فى الماء عليه باب مقفل وعلى القفل خاتم من نور وعلى الباب ملكان أحدهما رأسه كرأس الثور والآخر رأسه كرأس الكبش وبدنه كبدن الثور وهما يقولان لا اله الا الله محمد رسول الله فسلم عليهما بلوقيا فردا عليه السلام وقالا له بلوقيا أيها الخلق المخارق ممن أنت وما اسمك قال اسمى بلوقيا وأنا من بنى اسرائيل من ولد آدم فقالا لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه أسماء ما عرفناها قال كيف تعرفون محمدا وما تعرفون آدم ومحمد من نسله فقالا هكذا خلقنا وبهذا أمرنا ولم نسمع باسم آدم واسرائيل فقال بلوقيا افتحا لى الباب حتى أجوز فقالا لا نحسن فتحه وان لله ملكا فى السماء اسمه جبريل عليه السلام يقدر على فتحه فدعا بلوقيا ربه قال فأمر الله تعالى جبريل فنزل اليه وفتح له

الله تعالى حسن الخاتمة ونسأله الامان من زوال الايمان آمين ﴿وحكى عن مالك بن دينار عفا الله تعالى عنه ونفعنا به انه قال﴾ دخلت جبانة البصرة فاذا سعدون المجنون جالس بها فقلت له كيف أنت وكيف حالك ياسعدون فقال كيف حال من أمسى وأصبح يريد سفرا بعيدا بلا زاد ولا راحلة ولا همة ويقدم على ذلك الحاكم بين العباد ثم بكى فقلت له ياسعدون ما يبكيك فقال والله ما بكيت حرصا على الدنيا ولا جزعا من الموت ولكن بكيت ليوم مضى من عمرى لم يحسن فيه عملى وأبكانى والله قلة الزاد وبعد المسافة والعقبة الكؤود ولم أدر بعد ذلك أصير الى الجنة أم الى النار قال مالك فسمعت منه كلام حكمة فقلت له ياسعدون ان الناس يزعمون انك مجنون فقال وأنت اغتررت يامالك بما اغترت به الناس يزعمون انى مجنون ومابى من جنون ولكن حب مولاى قد خالط قلبى وحشاى وجرى بين لحمى ودمى وعظامى وأنا والله من حبه هائم مشغول قال مالك فقلت له ياسعدون فلم لا تخالط الناس ولا تخالطهم فأنشد يقول

خذ عن الناس جانبا
وارض بالله صاحبا
قلب الناس كيف شئت تجدهم عقاربا

(قيل) وكان سعدون المجنون رضى الله تعالى عنه ونفعنا به يدور فى شوارع البصرة ويقف

ثم قال يا ابن آدم ما أجرأك على الله ثم جاز بلوقيا حتى انتهى الى بحرين بحر مالح و بحر عذب فرأى بينهما حاجزا وفي البحر المالح جبلا من ذهب وفي البحر العذب جبلا من فضة و بينهما ملك على صورة النخلة ومعه ملائكة على تلك الصور فسلم عليهم بلوقيا فردوا عليه السلام وقالوا من أنت فاخبرهم بقصته ثم قال لهم بلوقيا من أنتم قالوا نحن أمناء الله على هذين البحرين لا يلتقيان ولا يبغيان فقال لهم بلوقيا ما هذا الجبل الاحمر قالوا هذا كنز الله في الارض فكل ذهب يظهر في الارض من هذا الجبل الاحمر وكل ما في الدنيا من ماء عذب أو ملح انما هو من ماء هذين البحرين وماؤهما مما يجيء من تحت العرش من قبل أن يخلق الله الملائكة والجبل الابيض من فضة وهو كنز الله وكل فضة في الدنيا ومعدن من فضة فمن عروق هذا الجبل ثم سلم بلوقيا ومضى حتى انتهى الى بحر عظيم فاذا هو بحيتان كثيرة عظيمة قد اجتمعت وحوت عظيم يقضي بين الحيتان فلما نظر الى بلوقيا قال لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فسلم عليه بلوقيا ثم قال من أنت فاخبره بحاله وأنه خرج يطلب النبي صلى الله عليه وسلم فرد عليه السلام ثم قال له يا بلوقيا ان لقيت محمدا فاقرئه مني السلام فقال بلوقيا نعم ان شاء الله تعالى ثم انه قال أيتها الحيتان اني جائع عطشان وماء هذا البحر مالح وما أجد ما آكل وما أشرب قال فقال الحوت الاعظم يا بلوقيا سأطعمك طعاما اذا أكلته تسير أربعين سنة لا تعيا ولا تنام ولا تجوع ولا تعطش فاطعمه ذلك الحوت قرصا أبيض فأكله ومضى حتى بلغ العمران ومن قبل أن يبلغه رأى شابا يجري على الماء كأنه البدر فقال له بلوقيا من أنت فقال سل الذي خلقني فسار بلوقيا يوما وليلة فاذا هو بآخر يمر على الماء ضوؤه كضوء القمر فقال له بلوقيا من أنت قال سل الذي خلقني فسار بلوقيا يوما وليلة فاذا هو بثالث كأنه القمر يلوح في آخر الشمس فقال له بلوقيا أنشدك الله الا ما وقفت على فوقف وقال لبلوقيا ماذا تستحلفني قال خشيت أن تفوتني مثل أصحابك الماضين ثم قال له من كان الاول قال اسرافيل صاحب الصور والثاني ميكائيل صاحب المطر وأرزاق العباد والثالث جبريل أمين الله تعالى فقال له بلوقيا فماذا تصنعون في هذا اليم قال حية من حيات البحر قد آذت سكانه فدعوا عليها فاستجاب الله دعاءهم وانا أمرنا أن نسوقها الى جهنم ليعذب الله بها الكفار يوم القيامة قال بلوقيا كم طولها وكم عرضها قال طولها مسيرة ثلاثين سنة وعرضها مسيرة عشرين سنة فقال بلوقيا أيكون في جهنم مثل هذه الحية أو أكبر منها قال نعم ان في جهنم من الحيات ما تدخل هذه الحية في أنف احداهن ولا تشعر بها وتخرج من فيها ولا تشعر بها من عظم خلقها قال فسلم بلوقيا ومضى الى جزيرة أخرى فاذا هو بغلام أمرد أبيض بين قبرين فسلم عليه بلوقيا وقال له يا شاب من أنت وما اسمك قال اسمي صالح قال فما هذان القبران قال أحدهما قبر أبي والآخر قبر أمي وكانا صالحين فأنا ههنا وأنا عند قبرهما حتى أموت فسلم عليه بلوقيا ومضى حتى انتهى الى جزيرة فاذا هو بشجرة عظيمة عليها طائر واقف رأسه من ذهب وعيناه من ياقوت ومنقاره من لؤلؤ ويداه من زعفران وقوائمه من زمرد واذا مائدة موضوعة تحت الشجرة وعليها طعام وحوت مشوي فسلم عليه بلوقيا فرد الطائر عليه السلام فقال له بلوقيا من أنت أيها الطائر قال أنا من طيور الجنة وان الله تعالى قد بعثني الى آدم بهذه المائدة لما أهبط من الجنة واني كنت معه حين لقي حواء وأباح له الله الاكل وأنا ههنا من لدن ذلك الوقت فكل غريب وعابر سبيل من عباد الله الصالحين يمر بها يأكل منها وأنا أمين الله عليها الى يوم القيامة فقال بلوقيا ولا تتغير ولا تنقص فقال طعام الجنة لا يتغير ولا ينقص قال بلوقيا أفآكل منها قال كل فأكل حاجته ثم قال له أيها الطائر وهل معك أحد فقال نعم أبو العباس يأتيني أحيانا قال ومن أبو العباس قال الخضر عليه السلام فلما ذكر الخضر اذا به قد أقبل وعليه ثياب بيض فاخطأ خطوة الا نبت الحشيش تحت قدميه قال فسلم على بلوقيا وسأله عن حاله فقال بلوقيا طالت غيبتي وأريد الرجوع الى أمي فقال الخضر بينك وبين أمك مسيرة خمسمائة عام وأنا أردك اليها في مسيرة خمسمائة ثم رفقال الطائر ان كان بينك وبينها مسيرة خمسمائة سنة فأنا أردك اليها في مسيرة خمسمائة يوم فقال الخضر عليه السلام فانا أردك اليها في ساعة واحدة ثم قال غمض عينيك فغمضهما ثم قال له افتح عينيك ففتحهما فاذا هو جالس عند أمه فسألته من جاء بك اليك قال طير أبيض يطير بك بين السماء والارض فوضعك قدامي ثم ان بلوقيا حدث بني اسرائيل بما رأى من العجائب والاخبار فأثبتوها وكتبوها الى يومنا هذ فهذا ما كان من حديث بلوقيا وما رأى من العجائب في البر والبحر سهلا وجبلا والله أعلم

﴿ مجلس في ذكر قصة ذي القرنين عليه السلام ﴾

عند كل باب ويقول يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شيء عظيم ثم يبكي وينشد عند ذلك ويقول

فلو لم يكن فيها سوى الموت والبلى
وتمزيق أعضاء ولحم مبدد
لكنت حقيقا يا ابن آدم بالبكا
على نائبات الدهر مع كل مسعد

﴿قال﴾ وكان سعدون رضي الله تعالى عنه اذا اشتد به الجوع ينشد ويقول

الهي أنت قد آليت حقا
بانك لا تضيع من خلقتا
وانك ضامن للرزق حقا
تؤدي ما ضمنت كما قسمتا
واني واثق بك يا الهي
ولكن القلوب كما علمتا
الهي أنت رزاق كريم
ومن لي بالعطاء اذا منعتا

﴿قال﴾ وكان سعدون رضي الله تعالى عنه عليه جبة من صوف مكتوب على كمها الايمن سطر وهو

عصيت مولاك يا سعيد
ما هكذا تفعل العبيد

وعلى الكم الايسر سطران وهما

تبا لمن قوته رغيف
يأتي به السيد اللطيف
يعصي الهاله جلال
وهو به راحم رؤف

ومن خلفه سطران وهما

كل يوم يمر يأخذ بعضي
يذهب الاطيبين مني و بعضي
نفس كفي عن المعاصي وتوبي
ما المعاصي على الانام بفرض

ومن بين يديه سطران وهما

أيها الشائخ الذي لا يرام * نحن من طيبة عليها السلام

قال

قال الله تعالى ويسئلونك عن ذى القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا ﴿باب فى نسبه ولقبه﴾
قال أكثر أهل السير هو الاسكندر بن فيلبش بن بطريوس بن هرمس بن هردوس بن منطون بن رومى بن لطين بن يونان بن يافث ويقال نسبه ينتهى الى العيص بن اسحق بن ابراهيم خليل الرحمن عليه السلام وزعم بعض القدماء أن الاسكندر هو أخو دارا بن دارا وذلك ان دارا الاكبر بن بهمن بن اسفنديار بن يستاسف كان تزوج أم الاسكندر وكانت بنت ملك الروم وكان اسمها هلانة وانها حملت الى زوجها دارا الاكبر فوجد منها رائحة كريهة فأمر أن يحتال فى زوال ذلك منها فاجتمع رأى أهل المعرفة فى مداواتها على شجرة يقال لها سندروس فطبخت لها وغسلت بمائها فأذهب ذلك كثيرا من نتنها ومن عرقها ولم يذهب ذلك كله فانتهت نفسه عنها لبقية نتنها وعافها فردها على أهلها وقد علقت منه فولدت له فى أهلها غلاما فسمته باسمه واسم الشجرة التى غسلت بمائها سكندروس فهذا أصل اسمه ثم خفف فقيل اسكندر وكنى بذى القرنين واختلفوا فى سبب تسميته بذلك فقال بعضهم سمى بذلك لانه ملك الروم وفارس وقيل لانه كان فى مقدم رأسه شبه القرنين من لحم وقيل لانه رأى فى المنام كأنه أخذ بقرنى الشمس وكان تأويل رؤياه انه طاف المشرق والمغرب وقيل لانه دعا قومه الى التوحيد فضربوه على قرنه الايمن ثم دعاهم الى التوحيد فضربوه على قرنه الايسر وقيل لانه كان له ذؤابتان حسنتان والذؤابة تسمى قرنا وقيل لانه كان كريم الطرفين من أهل بيت شرف من قبل أبيه وأمه وقيل لانه كان انقرض فى وقته قرنان من الناس وهو حى وقيل لانه كان اذا حارب قاتل بيديه وركابه جميعا وقيل لانه أعطى علم الظاهر والباطن وقيل لانه دخل النور والظلمة والله أعلم ﴿باب فى قصة ذكر بدء أمره وسبب استكمال ملكه﴾
قال الله تعالى انا مكنا له فى الارض وآتيناه من كل شئ سببا فأتبع سببا وقال قوم كان فيلبش اليونانى أبو الاسكندر ملك اليونانيين فلما مات ملك بعده الاسكندر وقال آخرون ان الاسكندر أخو دارا الاصغر وكان أبو هلانة جد الاسكندر لامه ملكا من ملوك الروم فلما مات صار الملك لابن بنته الاسكندر وكانت ملوك الروم يؤدون الاتاوة جميعا الى ملوك الفرس وكانت الاتاوة التى كان أبو الاسكندر يؤديها الى ملوك الفرس بيضة من ذهب فلما ملك الاسكندر وكان رجلا ذا عزيمة وقوة وملك غزا ملوك الروم فقهرهم واستجمع له ملك الروم ثم غزا بعض ملوك العرب فظفر بهم فآنس بذلك من نفسه القوة فاستعصى على دارا الاصغر ملك فارس فامتنع من حمل ما كان أبوه يحمله اليه من الخراج والاتاوة عن نفسه وعن ملك الروم فكتب اليه دارا بن دارا بقصة الخراج والاتاوة عن نفسه وعن ملك الروم فأجابه الاسكندر انى قد ذبحت تلك الدجاجة التى قد كانت تبيض ذلك البيض وأكلت لحمها فلما وصل اليه الكتاب بذلك سخط عليه وكتب اليه يؤنبه بسوء صنيعه فى امتناعه عن حمل الخراج اليه وبعث اليه بصولجان وكرة وقفيز سمسم وأعلمه فيما كتب به اليه أنك صبى وانه ينبغى لك أن تلعب بالصولجان والكرة التى بعثت بهما اليك ولا تتقلد الملك ولا تتلبس به ولا تستعصى والا بعثت اليك من يأتى بك فى وثاق ولو كانت جنودك بعدد حب السمسم الذى بعثت به اليك فبعث اليه الاسكندر فى جواب ذلك انى قد فهمت ما كتبت وقد نظرت ما ذكرت فى كتابك من ارسال الصولجان والكرة وضممت الكرة الى الصولجان وشبهت الكرة بأرضك وانى محتو على ملكك وأضيفه الى ملكى وأضيف بلادك الى بلادى وانى نظرت الى السمسم الذى بعثته الى كنظرى الى الصولجان والكرة وبعث الى دارا مع كتابه صرة من خردل وأعلمه فى الجواب انما بعثت اليك بذلك لان جنودك مثل ذلك فلما وصل الى دارا بن دارا جواب الاسكندر جمع جنوده وتأهب لمحاربة الاسكندر وان الاسكندر أيضا تأهب للقائه ونادى فى عسكره بالرحيل وسار نحو بلاد دارا فالتقيا بناحية خراسان مما يلى الخزر واقتتلا أشد القتال وصارت الدائرة على جند دارا فعرض له فارسان من قرابته وأهل بيته وثقاته وقيل ان أحدهما كان صنيعه فطعناه فأردياه عن مركبه وأرادا بطعنهما اياه الحظوة عند الاسكندر والوسيلة اليه وان الاسكندر نادى أن يؤخذ دارا أسيرا ولا يقتل فأخبر بشأن دارا فأسرع حتى وقف عليه فرآه يجود بنفسه فنزل اليه وجلس عند رأسه وأخبره أنه لم يهم قط بقتله وان الذى أصابه لم يكن قط برأيه وانما غدر به ثقاته ثم قال له سلنى عما بدا لك فأسعفك به فقال له دارا ان لى اليك حاجتين احداهما أن تنتقم لى من الرجلين اللذين فتكا بى وسماهما وبلادهما والثانية أن تزوج ابنتى روشنك فأجابه الى الحاجتين وأمر بصلب الرجلين وأن ينادى

واعلم بأنك بعد الموت
مبعوث
واعلم بأنك ما قدمت
من عمل
يحصى عليك وما خلفت
موروث
قال مالك فقلت له أحكيم ولست بمجنون فقال سعدون أنا مجنون الجوارح ولست بمجنون القلب ثم ولى ولم أره رضى الله تعالى عنه
﴿وحكى عن بشر الحافى رضى الله عنه أنه قال﴾ كنت فى لهو وعندى ندماء يشربون ويطربون فمر بى رجل من الصالحين على باب دارى وطرق الباب فخرجت اليه جارية من الجوارى فلما رآها الرجل قال يا جارية صاحب هذه الدار حر أم عبد فقالت له الجارية بل حر فقال لها صدقت لو كان عبدا لاستعمل آداب العبودية وترك اللهو واللعب ثم تركها ومضى قال بشر فأتت الى الجارية وأخبرتنى بذلك فذهبت الى الباب مسرعا حافيا فوجدت الرجل قد مضى فتبعته حتى لحقته ثم قلت له أنت الذى وقفت بالباب فقال نعم فقلت له أعد على ما قلته فأعاده على قال بشر فرغت خدى على التراب وقلت بل عبد ابن عبد ثم همت على وجهى حافيا حتى عرفت بالحافى فقيل لم لا تلبس نعلين تقيانك من الحر

عليهما هدا اجزاء من اجترأ على ملـه وغش أهل بلده وتزوج ابنته روشنك وكان ملك دارا أربع عشرة سنة فلما قتل اجتمع ملك الروم وكان قبل الاسكندر متفرقا وتفرق ملك فارس وكان قبل الاسكندر مجتمعا

﴿ باب فى ذكر الحوادث التى كانت فى أيام ذى القرنين بعد قتل دارا و وصف مسيره الى البلاد والآفاق ﴾

قالت العلماء بأخبار القدماء لما قتل الاسكندر دارا ملك البلاد ودانت له العباد فهدم ما كان فى بلاد الفرس من بيوت النيران وما كان بأرض الهند من بيوت الاوثان وقتل الهرابذة وأحرق كتبهم ودعا الناس الى الاسلام والتوحيد (قال المرتضى) فى سبب احراق كتبهم ان المجوس جعلوا حروف كتبهم من الذهب المضروب بمسامير الذهب على جلود الثيران فبلغ عددها اثنى عشر ألفا فاحرقوها لحصول ذلك الذهب وبنى اثنتى عشرة مدينة منها ثلاث مدائن بخراسان هراة ومرو وسمرقند ومدينة بأرض اصفهان بنيت على مثال الجنة ومدينة بأرض اليونان يقال لها هيلاقوس ومدينة بأرض بابل لزوجته روشنك بنت دارا ومدينة لاسكندرية ثم انه رأى فى منامه أنه أخذ بقرنى الشمس ورأى فى منامه أنه يسير الى آفاق الارض شرقا وغربا (واختلف) العلماء فى نبوته فروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال لا أدرى أكان ذو القرنين نبيا أم لا فلو صح الحديث لكان الخوض فى مثل هذه المسئلة تكلفا ثم اختلفوا بعد فيه فقال قوم لم يكن نبيا وانما كان عبدا صالحا وملكا عادلا فاضلا وقال آخرون بل كان نبيا غير مرسل والصحيح ان شاء الله أنه كان نبيا غير مرسل لما روى وهب وغيره من أهل الكتب قالوا كان ذو القرنين رجلا من الروم ابن عجوز من عجائزهم ليس لها ولد غيره وكان اسمه الاسكندر ويقال كان اسمه عياشا وكان عبدا صالحا فلما استحكم ملكه واجتمع أمره أوحى الله تعالى اليه يا ذا القرنين انى قد بعثتك الى جميع الخلائق ما بين الخافقين وجعلتك حجتى عليهم وهذا تأويل رؤياك وانى باعثك الى أمم الارض كلهم وهم سبع أمم مختلفة ألسنتهم منهم أمتان بينهما عرض الارض وأمتان بينهما طول الارض وثلاث أمم فى وسط الارض وهم الانس والجن ويأجوج ومأجوج فأما الامتان اللتان بينهما طول الارض فأمة عند مغرب الشمس يقال لها ناسك وأمة أخرى بحيالها يقال لها منسك وهى عند مطلع الشمس وأما الامتان اللتان بينهما عرض الارض فأمة فى قطر الارض الايمن يقال لها هاويل والاخرى بحيالها فى قطر الارض الايسر يقال لها تاويل فلما قال الله تعالى له ذلك قال ذو القرنين الهى انك قد ندبتنى الى أمر عظيم لا يقدر عليه الا أنت فأخبرنى عن هذه الامم التى قد بعثتنى اليها بأى قوة أكابرهم وبأى جمع وحيلة أكاثرهم وبأى صبر أقاسيهم وبأى لسان أناطقهم وكيف لى أن أفقه لغاتهم وبأى سمع أسمع أقوالهم وبأى بصر أنقدهم وبأى حجة أخاصمهم وبأى عقل أعقل عنهم وبأى قلب وحكمة أدبر أمرهم وبأى قسط أعدل بينهم وبأى حلم أصابرهم وبأى معرفة أفصل بينهم وبأى علم أتقن أمورهم وبأى يد أسطو عليهم وبأى رجل أطؤهم وبأى طاقة أحصيهم وبأى جند أقاتلهم وبأى رفق أولفهم وليس عندى يا الهى شىء مما ذكرت يقوم لهم ويقوينى عليهم وأنت الرؤف الرحيم لا تكلف نفسا الا وسعها ولا تحملها فوق طاقتها ولا تشقيها بل أنت ترحمها فقال الله تعالى سأطوقك ما حملتك وأشرح لك سمعك وصدرك فتسمع وتعى كل شىء وأشرح لك فهمك فتفقه كل شىء وأبسط لك لسانك فتنطق بكل شىء وأفتح لك بصرك فتنقد كل شىء وأحصى لك قوتك فلا يفوتك شىء وأشد لك عضدك فلا يهولك شىء وأشد لك ركنك فلا يغلبك شىء وأشد لك قلبك فلا يفزعك شىء وأشد لك يديك فتسطو على كل شىء وأشد لك وطأتك فتهلك كل شىء وألبسك الهيبة فلا يروعك شىء وأسخر لك النور والظلمة وأجعلهما جندا من جنودك يهديك النور أمامك وتحوطك الظلمة من ورائك فلما قيل له ذلك حدثته نفسه بالمسير وألح عليه قومه بالمقام فلم يفعل وقال لا بد من طاعة الله تعالى ثم أمرهم أن يبنوا له مسجدا وأن يجعلوا طول المسجد أربعمائة ذراع وعرضه مائتى ذراع وعرض أساس حائطه أربعة وعشرين ذراعا وطوله فى السماء مائة ذراع وأمرهم أن ينصبوا فيه السوارى قالوا كيف نصنع قال اذا فرغتم من شأن الحيطان فاكبسوها بالتراب حتى يستوى الكبس مع حائط المسجد فاذا فرغتم فرضتم من الذهب على الموسر قدره وعلى المقتر قدره وقطعتموه مثل قلامة الظفر ثم خلطتموه بذلك الكبس وجعلتم خشبا من نحاس وتدا من نحاس وصفائح من نحاس تذيبون ذلك وأنتم ممكنون من العمل كيف شئتم على أرض مستوية وجعلتم طول كل خشبة مائة ذراع وأربعة وعشرين ذراعا ومائتى ذراع فيما بين الحيطان لكل حائط اثنا عشر ذراعا ثم تدعون المساكين لنقل التراب فيسارعون اليه لما فيه من الذهب والفضة فمن حمل شيأ فهو له

نفعلوا

والبرد فقلت ماصاحبنى مولاى الاحافيا قال فكان ذلك حتى مات رحمة الله تعالى عليه ونفعنا به وبركاته ومدنا من مدده ﴿وحكى عن بعضهم رضى الله تعالى عنه أنه قال﴾ كان ببغداد رجل من التجار كنت أسمعه يقع فى حق السادة الصوفية بكلام قبيح ثم رأيته بعد ذلك بمدة يسيرة قد صحبهم وأنفق ماله عليهم فقلت له كنت قبل الآن تبغضهم قال نعم كان قلبى متهما بذلك حتى صليت الجمعة يوما من الايام بمسجد بغداد ثم خرجت فرأيت بشرا الحافى رضى الله عنه خارجا من المسجد مسرعا فقلت فى نفسى انظر الى هذا الرجل الموصوف بالزهد والورع لم يستقر فى المسجد ساعة فتبعته حتى دخل السوق ووقف على الخباز واشترى بدرهم خبزا ثم تقدم الى الشواء فاشترى منه بدرهم ثم اشترى بدرهم حلواء فقلت فى نفسى لا أبرح عنه حتى أنظر ماذا يصنع بهذا فخرج الى الصحراء فتبعته وأنا أقول يريد الماء والخضرة فما زال يمشى وأنا خلفه الى قريب العصر حتى دخل مسجدا آخر بافيه مريض فجلس عند رأسه وصار يطعمه لقمة بعد لقمة وأنا أنظر اليه فقمت لانظر ذلك المسجد وما حوله فغبت ساعة ثم رجعت الى المسجد فلم أجد بشرا الحافى فسألت المريض وقلت له أين الذى كان يلقمك فقال

فعملوا ذلك فأخرج المساكين ذلك التراب واستقر السقف بما عليه واستغنى المساكين فكان جندهم أربعين ألفا فجعلهم أربعة أجناد فى كل جند عشرة آلاف ثم عرض جنده فوجدهم فيما قيل ألف ألف وأربعمائة ألف منهم من جنده ثمانمائة ألف ومن جند دارا ستمائة ألف ومن المساكين أربعين ألفا ثم انطلق يؤم الامة التى عند مغرب الشمس فذلك قوله تعالى حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب فى عين حمئة أى ذات حمأ ومن قرأ حامية بالألف من غير همز فمعناه حارة (أخبرنا) عبد الله بن حامد الاصفهانى باسناده عن ابن عباس قال أقرأنيها أبى بن كعب كما أقرأه رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عين حمئة وقال ابن عباس كنت جالسا عند معاوية اذ قرأ هذه الآية وجدها تغرب فى عين حامية فقلت ما نقرؤها الا حمئة فقال معاوية لعبد الله بن عمر كيف تقرؤها قال أقرؤها كما قرأتها يا أمير المؤمنين قال ابن عباس فاطلت الجدال معهما فأرسل معاوية الى كعب فجاء فقال له أين تجد الشمس تغرب فى التوراة يا كعب قال أما العربية فانتم أعلم بها منى وأما الشمس فانى أجدها فى التوراة تغرب فى ماء وطين وأنشدك ما تزداد به تبصرا وهو قول تبع

قد كان ذو القرنين قبلى مسلما * ملكا تدين له الملوك وتسجد * بلغ المشارق والمغارب يبتغى
أسباب أمر من حكيم مرشد * فرأى مغيب الشمس عند غروبها * فى عين ذى خلب وثأط حرمد

فقال معاوية ما الخلب يا كعب فقلت الطين بكلامهم قال فما الثأط قلت الحمأة قال وما الحرمد قلت الاسود فدعا رجلا فقال اكتب ما يقول * فلما بلغ مغرب الشمس وجد عندها جمعا وعددا لا يحصيه الا الله تعالى وقوة وبأسا لا يطيقه الا الله تعالى ورأى ألسنة مختلفة وأهواء مشتبهة فذلك قوله تعالى ووجد عندها قوما يعنى ناسا فلما رأى ذلك كاثرهم بالظلمة فضرب حولهم ثلاث عساكر منها فأحاط بهم من كل مكان حتى جمعهم فى مكان واحد ثم أخذ عليهم بالنور ودعاهم الى الله تعالى والى عبادته فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه فعمد الى الذين تولوا عنه فادخل عليهم الظلمة فدخلت فى أفواههم وأنوفهم وآذانهم وأجوافهم ودخلت فى بيوتهم ودورهم وغشيتهم من فوقهم ومن تحتهم ومن كل جانب فماجوا فيها وتحيروا فلما أشفقوا أن يهلكوا فيها ضجوا بصوت واحد فكشفها عنهم وأخذهم عنوة فدخلوا فى دعوته فجاء من أهل المغرب أمم عظيمة فجعلهم جندا واحدا ثم انطلق بهم يقودهم والظلمة تسوقهم من خلفهم وتحرسهم والنور أمامه يقوده ويدله وهو يسير فى ناحية الارض اليمنى وهو يريد الامة التى فى قطر الارض اليمين التى يقال لها هاويل وسخر الله له قلبه ويده ورأيه وعقله ونظره فلا يخطئ اذا عمل عملا فانطلق يقود تلك الامم وهى تتبعه حتى اذا انتهى الى بحر أو مخاضة هيأ سفنا من ألواح صغار مثل النعال فلجمها فى ساعة ثم يحمل فيها جميع ما معه من تلك الامم وتلك الجنود واذا بلغ البحار والانهار فتقها ثم يدفع الى كل رجل منهم لوحا فلا يكترث بحمله فلم يزل ذلك دأبه حتى انتهى الى هاويل ففعل فيها كفعله فى ناسك فلما فرغ منها مضى على وجهه فى ناحية الارض اليمنى حتى انتهى الى منسك عند طلوع الشمس وجدها تطلع على قوم فعمل فيها وجند فيها جنودا كفعله فى الامتين اللتين قبلها ثم كر مقبلا حتى أتى ناحية الارض اليسرى وهو يريد تاويل وهى الامة التى بحيال هاويل وهما متقابلتان بينهما عرض الارض كله فلما بلغها عمل فيها وجند جنودا كفعله فيما قبلها فذلك قوله تعالى حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا وذلك أنهم كانوا فى مكان لا يستقر عليه بناء وكانوا يكنون فى أسراب لهم حتى اذا زالت الشمس خرجوا الى معايشهم وحروثهم (وقال الحسن) كان أرضهم أرضا لا تحتمل البناء وكانوا اذا طلعت الشمس عليهم دخلوا الماء فاذا ارتفعت عنهم خرجوا فرعوا كما ترعى البهائم وقال ابن جريج جاءهم مرة جيش للتفرج على طلوع الشمس فنهاه أهلها فقالوا ما نبرح حتى تطلع الشمس فرآها ثم انهم قالوا ما هذه العظام فقالوا هذه جيف قوم طلعت عليهم الشمس فأتوا ههنا قال فذهبوا هاربين فى الارض وقال الكلبى هم أمة يقال لها منسك حفاة عراة عماة عن الحق قال وحدثنا عمرو بن مالك بن أمية قال وجدت رجلا بسمرقند يحدث الناس وهم حوله مستمعون له مجتمعون فسألت بعض من سمع حديثه فأخبرنى أنه حدثهم عن القوم الذين تطلع عليهم الشمس قال خرجت حتى جاوزت الصين ثم سألت عنهم فقيل لى ان بينك وبينهم يوما وليلة فاستأجرت رجلا ثم سرت بقية يومى والليلة حتى صبحتهم فاذا أحدهم يفرش أذنه ويلتحف الاخرى وكان صاحبى يحسن لسانهم فسألهم فقالوا له اذا

بشر الحافى فقلت نعم وأين هو فقال توجه الى بغداد فقلت كم بينى وبين بغداد قال أربعون فرسخا يعنى مسيرة خمس مراحل قال فقلت لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ما هذا الذى فعلته بنفسى وليس معى شئ أكترى به ما أركبه ولم أقدر على المشى قال فجلست عند المريض فى المسجد الى الجمعة الاخرى حتى جاء يوم الجمعة ومعه شئ يؤكله للمريض فلما فرغ من اطعامه قال له المريض يا أبا نصر هذا الرجل صحبك من بغداد فى الجمعة الماضية وهو مقيم عندى قال فنظر الى بشر كالمغضب وقال لم صحبتنى فقلت أخطأت يا سيدى واستغفرت الله العظيم مما كان منى فقال بشر الحافى قم امش فمشيت معه الى قريب المغرب فدخل بغداد قال أين محلك من بغداد فقلت فى المحل الفلانى فقال اذهب ولا تعد لمثل هذا فتبت الى الله تعالى وصحبته رضى الله تعالى عنه ونفعنا به فى الدارين آمين * (وحكى عن بعضهم رضى الله تعالى عنه) * أنه قال دخلت الخلوة فى أيام حداثتى وعاهدت ربى عز وجل ان لا آكل شيأ الا بعد أربعين يوما فمكثت فى الخلوة عشرين يوما فاشتد على الجوع والفاقة والضرورة فخرجت من الخلوة فسرت ولم أشعر بنفسى الا وأنا فى السوق فبينما أنا كذلك اذا بفقير يتمنى على الله رطل خبز ورطل

ننظر كيف تطلع الشمس قال فبينما نحن كذلك اذ سمعنا كهيئة الصلصلة فغشي علي فوقعت فلما أفقت فهم يمسحون علي بالدهن فلما طلعت الشمس على الماء اذا هي على الماء كهيئة الزيت واذا طرف السماء كهيئة الفسطاط فلما ارتفعت أدخلوني سربا لهم أنا وصاحبي فلما ارتفع النهار خرجوا الى البحر فجعلوا يصطادون السمك و يطرحونه في الشمس فينضج والله أعلم

﴿باب في صفة سد ذي القرنين وما يتعلق به﴾

قال الله تعالى حتى اذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا قالت العلماء بأخبار القدماء لما فرغ ذو القرنين من أمر الامم الذين هم في أطراف الارض وطاف المشرق والمغرب عطف منها على الامم التي في وسط الارض من الجن والانس و يأجوج ومأجوج فلما كان في بعض الطريق مما يلي منقطع الترك نحو المشرق قالت له أمة صالحة من الانس يا ذا القرنين ان بين هذين الجبلين خلقا من خلق الله ليس فيهم مشابهة من الانس وهم أشباه البهائم يأكلون العشب و يفترسون الدواب والوحوش كما تفترسها السباع و يأكلون حشرات الارض كلها من الحيات والعقارب وكل ذي روح مما خلق الله في الارض وليس لله خلق ينمون نماءهم ولا يزدادون كزيادتهم فان أنت اطلعت على ما ينمو من نمائهم وزيادتهم فلا نشك انهم سيملؤن الارض و يخرجون أهلها منها و يظهرون عليها و يفسدون فيها وليست تمر بنا سنة منذ جاورناهم الا ونحن نتوقع أن يطلع علينا أولهم من بين هذين الجبلين فهل نجعل لك خرجا أي جعلا وأجرا على أن تجعل بيننا و بينهم سدا حاجزا فلا يصلون الينا فقال لهم ذو القرنين ما مكني فيه ربي أي قواني عليه خير من خراجكم فأعينوني بقوة أجعل بينكم و بينهم ردما حاجزا كالحائط قالوا وما تلك القوة قال فعلة وصناع يحسنون البناء والعمل والآلة قالوا وما تلك الآلة قال آتوني زبر الحديد أي قطعه واحدتها زبرة وآتوني النحاس فقالوا من أين لنا من الحديد والنحاس ما يسع هذا العمل قال سأدلكم على معادنهما قالوا فبأي قوة نقطع الحديد والنحاس فاستخرج لهم معدنا آخر يقال له الساهون وهو أشد ما خلق الله في الارض بياضا وهو الذي قطع به سليمان أساطين بيت المقدس وصخوره وجواهره ثم انه قاس ما بين الجبلين ثم أوقد على ما جمع من الحديد والنحاس النار وصنع منها زبرا مثل الصخور العظام ثم أذاب النحاس فجعله كالطين والملاط لتلك الصخور التي هي من الحديد ثم بنى * وكيفية بنائه على ما ذكر أهل السير أنه لما قاس ما بين الجبلين وجد ما بينهما مائة فرسخ فلما أنشأ في عمله حفر له الاساس حتى بلغ الماء ثم جعل عرضه خمسين فرسخا ثم وضع الحطب بين الجبلين ثم نسج عليه الحديد ثم نسج الحطب على الحديد فلم يزل يجعل الحطب على الحديد والحديد على الحطب حتى ساوى بين الصدفين وهما الجبلان ثم أمر بالنار فأرسلت فيه ثم قال انفخوا حتى جعل يفرغ القطر فيه وهو النحاس المذاب فجعلت النار تأكل الحطب و يصير النحاس مكان الحطب حتى لزم الحديد النحاس فصار كأنه برد حبرة من صفرة النحاس وحمرته وسواد الحديد وغبرته فصار سدا طويلا عظيما حصينا قال تعالى فما اسطاعوا أن يظهروه وما استطاعوا له نقبا (قال قتادة) ذكر لنا أن رجلا قال يا نبي الله قد رأيت سد يأجوج ومأجوج قال انعته لي قال كالبرد المحبر طريقة سوداء وطريقة حمراء فقال له قد رأيته و يقال ان موضع السد وراء زخرد بقرب مشرق الارض بينه و بين الخزر مسيرة اثنين وسبعين يوما وذكر أن الواثق بالله أمير المؤمنين رأى في المنام أن السد مفتوح فوجه سلاما الترجمان في خمسين رجلا وأعطاه خمسة آلاف دينار وأعطى كل رجل من الخمسين خمسين ألف درهم و رزق سنة وأعطاه مائتي بغلة تحمل الزاد والماء وخرج من سر من رأى بكتاب الواثق بالله الى اسحق بن اسمعيل صاحب أرمينية وكان بتفليس وكتب له اسحق الى صاحب السرير وكتب له صاحب السرير الى ملك اللان وكتب له ملك اللان الى لاز الى طلجند في بلاد شاه ملك الخزر فأقام عنده حتى أخذ معه خمسين رجلا أدلاء فساروا خمسة وعشرين يوما حتى انتهوا الى أرض سوداء منتنة الريح وكانوا قد حملوا معهم شيئا يشمونه من الرائحة الذكية فساروا تسعة وعشرين يوما ثم سألوا عن سبب نتن الريح ما هو فقالوا امات ههنا قوم ثم ساروا فأتوا مدنا خرابا عشرين يوما فسألوا عن تلك المدن فقالوا قد ظهر فيها يأجوج ومأجوج فخربوها ثم ساروا الى حصون بالقرب من الجبل يتكلمون بالعربية والفارسية يقرؤن القرآن ولهم مكاتب ومساجد فقالوا الناس من هؤلاء القوم قلنا رسل أمير المؤمنين فقالوا ومن هو أمير المؤمنين قلنا من أولاد العباس ملك بالعراق فتعجبوا منه وقالوا شيخ أو شاب وزعموا أنهم لم يبلغهم خبره ثم ارفقوهم وساروا الى جبل أملس ليس عليه خضرة واذا جبل مقطوع بواد عرضه مائة وخمسون ذراعا وعضادتان

مبنيتان

شواء ورطل حلواء فتعجبت من ذلك وهو يمر علي ولا يكلمني فقلت في نفسي ان هذا الرجل الثقيل كيف يتمنى هذه الشهوات العزيزة وأنا أطلب كسرة يابسة لم تحصل لي قال فلما كان بعد ساعة حصل له ما تمناه فجاءني بذلك وأعطانيه وقال يا فلان أتدري من هو الثقيل الثقيل الذي يخرج من الخلوة لاجل الشهوات وينقض العهد بطلب من الطيبات والنفائس ما يرد عليه القوة ثم قال ان الذي يطوي الاربعين يوما يطويها بالتدريج ثم قال لا تعد لمثلها أبدا ثم تركني ومضى فلم أره رضي الله تعالى عنه ونفعنا بهم أجمعين وجميع المسلمين آمين

﴿وحكي عن الشيخ المسمى بجوهر الشكور المدفون بعدن رضي الله تعالى عنه﴾ أنه كان مملوكا فعتق فكان يبيع ويشتري في الاسواق الا أنه كان يحضر مجالس الفقراء ويعتقدهم اعتقادا شديدا وكان رجلا أميا فلما حضرت وفاة الشيخ العارف بالله تعالى شيخ الطريقة بعدن المدفون بها اجتمعت عليه الفقراء وقالوا يا سيدي من يكون شيخا بعدك فقال الذي يقع على رأسه الطائر الاخضر في اليوم الثالث بعد موتي عند اجتماع الناس والفقراء عند قبري فيكون هو الشيخ عليكم ثم توفي الشيخ اى

مبنيتان مقابلتا الجبل عرض كل عضادة خمسة وعشرون ذراعا مبنية بلبن من حديد مركبة فى نحاس فى سمك خمسين ذراعا واذا وتد من حديد طرفاه على عضادتين طوله مائة وعشرون ذراعا قد ركب على العضادتين على كل واحدة مقدار عشرة أذرع فى عرض خمسة أذرع فوق ذلك اللبن الحديد المغيب فى النحاس الى رأس الجبل وارتفاعه مد البصر وفوق ذلك شرف من حديد فى طرف كل شرافة قرنان مبنى بعضها الى بعض منظومة كل واحدة فى صاحبتها فاذا باب له مصراعان منصوبان من حديد عرض كل باب خمسون ذراعا فى ارتفاع خمسين ذراعا ثخانتهما فى دورهما على قدر الدربند وعلى الباب قفل طوله سبعة أذرع فى غلظ ذراع وارتفاع القفل من الارض خمسة وخمسون ذراعا وفوق القفل مقدار خمسة أذرع غلق وعلى الغلق مفتاح طوله ذراع ونصف معلق فى سلسلة طولها ثمانية أذرع فى استدارة أربعة أشبار والحلقة التى فى السلسلة مثل حلقة المنجنيق وعرض عتبة الباب عشرة أذرع فى طول مائة ذراع سوى ما فى العضادتين والظاهر منها خمسة أذرع وهذا كله بذراع السواد ورئيس تلك الحصون يركب كل جمعة فى عشرة فوارس مع كل فارس مرزبة من حديد وزن كل واحدة خمسون منا فيضرب القفل بالمرزبات كل يوم ثلاث ضربات ليسمع من وراء الباب الصوت فيعلم وا ان هنالك حفظة ويعلم هؤلاء أن أولئك لم يحدثوا فى الباب حدثا فاذا ضربوا أصغوا اليه بآذانهم فيسمعون من داخل دويا وبالقرب من هذا الجبل حصن كبير عظيم عشرة فراسخ فى مسيرة مائة فرسخ لانها عشرة فى عشرة ومع الباب حصنان طول كل واحد منهما مائتا ذراع فى مائتى ذراع وعلى باب هذين الحصنين صخرتان وبين الحصنين ماء عين عذب فى أحد الحصنين آلة البناء التى بنى بها السد من قدور الحديد ومغارف من حديد وهنالك بعض اللبن من الحديد قد التزق بعضه ببعض من الصدا واللبنة ذراع ونصف فى عرض شبر وسألنا اهل وراء ذلك أحد من أهل يأجوج ومأجوج فذكروا أنهم رأوا منهم عدة فوق الشرف فهبت ريح سوداء فالقتهم الى جانبهم وكان مقدار الرجل فى رأى العين شبرا ونصفا قال فلما انصرفنا أخذ بنا الادلاء على نواحى خراسان فعدلنا اليها فوقفنا الى القرب من سمرقند على سبعة فراسخ وكان أصحاب الحصن ثم زودونا الطعام ثم سرنا الى عبد الله بن طاهر فوصلنا بمائة ألف درهم ووصل كل رجل كان معى بخمسمائة درهم وأجرى على كل فارس خمسة دراهم وعلى كل راجل ثلاثة دراهم كل يوم حتى صرنا الى الرى ورجعنا الى سر من رأى بعد ثمانية وعشرين شهرا والله أعلم

﴿باب فى دخول ذى القرنين الظلمات مما يلى القطب الشمالى لطلب عين الحياة﴾

روى عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه أنه قال كان ذو القرنين قد ملك ما بين المشرق والمغرب وكان له خليل من الملائكة اسمه رفائيل يأتيه ويزوره فبينما هما ذات يوم يتحدثان اذ قال له ذو القرنين يا رفائيل حدثنى عن عبادتكم فى السماء فبكى وقال يا ذا القرنين وما عبادتكم عند عبادتنا ان فى السماء من الملائكة من هو قائم لا يجلس أبدا ومن هو ساجد لا يرفع رأسه أبدا ومن هو راكع لا يستوى قائما أبدا يقولون سبحان القدوس رب الملائكة والروح ربنا ما عبدناك حق عبادتك فبكى ذو القرنين بكاء شديدا ثم قال انى أحب أن أعيش فأبلغ من عبادة ربى حق عبادته فقال رفائيل أوتحب ذلك يا ذا القرنين قال نعم قال رفائيل فان لله عينا فى الارض تسمى عين الحياة فيها من الله عز وجل به أن من شرب منها شربة لا يموت أبدا حتى يكون هو الذى يسأل ربه الموت فقال له ذو القرنين هل تعلمون أنتم موضع تلك العين فقال لا غير أنا نتحدث فى السماء أن لله فى الارض ظلمة لا يطؤها انس ولا جان فنحن نظن أن تلك العين فى تلك الظلمة فجمع ذو القرنين علماء أهل الارض وأهل دراسة الكتب وآثار النبوة فقال لهم أخبرونى هل وجدتم فيما قرأتم من كتب الله تعالى وما جاءكم من الاحاديث وسألتم من كان قبلكم من العلماء ان الله وضع فى الارض عينا سماها عين الحياة فقالت العلماء لا فقال عالم من العلماء انى قرأت وصية آدم عليه السلام فوجدت فيها أن الله خلق فى الارض ظلمة لم يطأها انس ولا جان ووضع فيها عين الخلد فقال ذو القرنين أين وجدتها قال وجدتها فى الارض التى على قرن الشمس فبعث اليها ذو القرنين وحشد اليها الفقهاء والاشراف من الناس والملوك ثم سار يطلب مغرب الشمس فسار اثنتى عشرة سنة الى أن بلغ طرف الظلمة فاذا هى مثل الدخان وليست كظلمة الليل فعسكر هنالك ثم جمع علماء عسكره فقال انى أريد أن أسلك هذه الظلمة فقالت العلماء أيها الملك ان من كان قبلك من الملوك والانبياء لم يطؤا هذه الارض فلا تطأها انا نخاف أن ينفتح عليك أمر تكرهه ويكون فيه فساد الارض ومن عليها فقال لابد من أن أسلكها فقالوا أيها الملك كف عن

رحمه الله تعالى فاجتمع الفقراء عند قبره ثلاثة أيام ينتظرون ما وعدهم الشيخ رضى الله تعالى عنه فبينما هم كذلك اذا بالطير الاخضر قد وقع قريبا منهم وارتفع فصار كل من الفقراء يتمنى أن يكون هو الموعود به فبينما هم منتظرون الوعد الكريم وما يكون فيه من تقدير العزيز العليم اذا بالطير قد وقع على رأس جوهر ولم يكن يخطر له ذلك ولا لاحد من الفقراء فقام الفقراء يزفونه الى الزاوية وينزلونه منزلة الشيخ فبكى جوهر وقال كيف أصلح لذلك وأنا رجل سوقى ولم أكن أعرف طريقة الفقراء وعلى تبعات وبينى وبين الناس معاملات فقال له الفقراء هذا أمر من الله عز وجل فالله يتولاك ويعينك ويعلمك وهو يتولى الصالحين فقال لهم جوهر فامهلونى حتى أمضى الى السوق وأبرأ من حقوق الناس فاجابوه لذلك فذهب الى السوق ووفى كل ذى حق حقه ورجع الى الفقراء وترك السوق ولزم الزاوية والفقراء وصار جوهرا كاسمه وله من الكرامات والفضائل ما يطول ذكره فسبحان المنان الكريم ذى العرش العظيم فصار على العبادة حتى مات رضى الله تعالى عنه ﴿ وحكى أن الحجاج بن يوسف الثقفى ﴾ بعث الى رجل من أهل الخير والصلاح والعبادة فلما حضر بين يديه لم يمهله دون أن قال

عند الظلمة ولا تطلبها نالو نعلم انك ان طلبتها ظفرت بما تريد ولم يسخط الله علينا الا تبعناك ولكنا نخاف من الله تعالى فسادا في الارض ومن عليها فقال ذو القرنين لابد من أن أسلكها فقالت العلماء شأنك بها فقال ذو القرنين أي الدواب بالليل أبصر قالوا الخيل قال وأي الخيل بالليل أبصر قالوا الاناث قال وأي الاناث أبصر قالوا البكارى قال فارسل ذو القرنين فجمع له ستة آلاف فرس أنثى أبكارا ثم انتخب من عسكره أهل الجلد والعقل ستة آلاف رجل فدفع لكل رجل منهم فرسا وعقد راية للخضر عليه السلام وجعله مقدمته في ألفين وبقي ذو القرنين في أربعة آلاف رجل وقال ذو القرنين لبقية عسكره لاتبرحوا من معسكركم هذا الى اثنتي عشرة سنة فان نحن رجعنا اليكم والا فارجعوا الى بلادكم فقال الخضر أيها الملك انا نسلك الظلمة ولا ندري كم السير فيها ولا يبصر بعضنا بعضا وكيف نصنع بالضلال اذا أصابنا فدفع ذو القرنين الى الخضر عليه السلام خرزة حمراء وقال له حيث يصيبكم الضلال فاطرح هذه في الارض فاذا صاحت فليرجع اليها أهل الضلال أين صاحت قال فسار الخضر بين يدي ذي القرنين يرتحل الخضر ويحط ذو القرنين فبينما الخضر عليه السلام يسير اذ عرض له واد فظن الخضر أن العين في الوادي وألقى في قلبه ذلك فقام على شفير الوادي ومكث طويلا ثم أجابته الخرزة فطلب صوتها فانتهى اليها فاذا هي على جانب العين فنزع الخضر ثيابه ثم دخل العين فاذا ماؤها أشد بياضا من اللبن وأحلى من الشهد فشرب واغتسل وتوضأ ولبس ثيابه ثم انه رمى الخرزة نحو أصحابه فوقعت وصاحت فرجع الخضر الى صوتها والى أصحابه فركب وقال لاصحابه سيروا على اسم الله وان ذا القرنين مر فأخطأ الوادي فسلكوا تلك الظلمة في أربعين يوما ثم انهم خرجوا الى ضوء ليس كضوء شمس ولا قمر والارض حمراء رملة خشخاشية فاذاهم بقصر مبني في تلك الارض طوله فرسخ في فرسخ عليه باب فنزل ذو القرنين بعسكره ثم انه خرج وحده حتى دخل القصر فاذا حديدة قد وضع طرفاها على جانب القصر من ههنا وههنا واذا طائر أسود يشبه الخطاف مزموم بأنفه الى الحديدة معلقا بين السماء والارض فلما سمع الطائر خشخشة ذي القرنين قال من هذا قال أنا ذو القرنين فقال الطائر ياذا القرنين ما كفاك ماوراءك حتى وصلت الي ثم قال ياذا القرنين حدثني فقال سل فقال هل كثر بناء الجص والآجر في الارض قال نعم فانتفض الطائر انتفاضة ثم انتفخ فبلغ ثلث الحديدة ثم قال ياذا القرنين هل كثرت شهادة الزور في الارض قال نعم قال فانتفض الطائر ثم انتفخ حتى ملأ الحديدة وسد مابين جدران القصر بحيث رأى ذو القرنين ذلك ففرق فرقا شديدا فقال الطائر لا تخف حدثني قال سل قال هل ترك الناس شهادة أن لا اله الا الله بعد قال لا فانضم الطائر الى ثلثه ثم قال ياذا القرنين هل ترك الناس غسل الجنابة بعد قال لا فعاد الطائر كما كان ثم قال ياذا القرنين اسلك هذه الدرج درجة درجة الى أعلى القصر فسلكها ذو القرنين وهو خائف وجل لايدري على ما يهجم حتى استوى على صدر الدرج فاذا سطح ممدود عليه صورة رجل شاب قائم وعليه ثياب بيض رافعا وجهه الى السماء واضعا يده على فيه فلما سمع خشخشة ذي القرنين قال من هذا قال أنا ذو القرنين قال ياذا القرنين ان الساعة قد قربت واني منتظر أمر ربي يأمرني أن أنفخ في الصور ثم ان صاحب الصور أخذ شيأ بين يديه كأنه حجر فقال ياذا القرنين خذ هذا فان شبع هذا شبعت وان جاع هذا جعت فأخذ ذو القرنين الحجر ونزل حتى أتى الى أصحابه فحدثهم بأمر الطائر وماقال له وما أورده عليه وماقاله صاحب الصور ثم جمع علماء عسكره وقال أخبروني عن هذا الحجر وما أمره فقالوا أيها الملك أخبرنا ما قال لك صاحب الصور فقال ذو القرنين انه قال ان شبع هذا شبعت وان جاع جعت فوضعت العلماء ذلك الحجر في كفة الميزان وأخذوا حجرا مثله ووضعوه في الكفة الاخرى ثم رفعوا الميزان فاذا الذي جاء به ذو القرنين أثقل فوضعوا معه آخر ورفعوا الميزان فاذا الذي جاء به ذو القرنين أثقل فوضعوا معه آخر ورفعوا الميزان فاذا الذي جاء به ذو القرنين أثقل فلم يزالوا يضعون حجرا بعد حجر حتى وضعوا ألف حجر ثم رفعوا الميزان فمال بالالف جميعا فقالت العلماء انقطع علمنا دون هذا لانعرف أسحر هذا أم علم ولا نعلمه فقال الخضر عليه السلام وكان واقفا أنا أعلم علمه فأخذ الخضر عليه السلام الميزان بيده ثم أخذ الحجر الذي جاء به ذو القرنين فوضعه في احدى الكفتين وأخذ حجرا من تلك الحجارة فوضعه في الكفة الاخرى ثم أخذ كفا من تراب فوضعه في الحجر الذي جاء به ذو القرنين ثم رفع الميزان فاستوى فخرت العلماء سجدا لله تعالى وقالوا سبحان الله هذا علم لم يبلغه علمنا وانه لقد وضعنا معه ألف حجر فاستقل به فقال الخضر عليه السلام أيها الملك ان سلطان الله عز وجل قاهر لخلقه وأمره نافذ فيهم وحكمه جار عليهم وان الله

لعله انه اذهبوا به الى السجن وقيدوه واكتبوا على قيده مخلد فلما سمع ذلك الرجل مقالة الحجاج تبسم وقال انك تحتاج الى مسمار كبير يكون وزنه قنطارا فقال الحجاج ما أصنع به فقال له الرجل تسمر به الفلك فلعل هذا من شؤم فعلك وقلة عقلك وتجارتك على مولاك وحلمه عليك قال فاغتاظ الحجاج عند ذلك وأمر السجان ان يأخذه ويقيده ويسلسله ويبني له بيتا ويضعه فيه ويسد عليه أبوابه حتى يموت فيه فمضى به السجان وأحضر له حدادا ثم وضع القيد في رجليه وامسك عليه بالرصاص فقال الرجل عند ذلك حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم قال ثم وضعوه في البيت مقيدا مسلسلا فلما جاء الليل مضى السجان الى الرجل فسمعه قائما يصلي ويقرأ ويدعو الله عز وجل فعجب السجان من ذلك فلما طلع النهار أتى السجان الى الرجل فلم يجده ورأى البيت على حاله والحديد ملقى على الارض قال فخاف السجان على نفسه من ذلك فتوجه الى عياله وأولاده وودعهم وأخذ كفنا ومضى به الى الحجاج وهو مصفر اللون موقن بالموت فلما وقف بين يدي الحجاج قال مابالك بهذه الحالة فقص عليه القصة

ابتلى

يبتلي خلقه بعضهم ببعض فابتلى العالم بالعالم والجاهل بالجاهل والجاهل بالعالم والعالم بالجاهل وانه ابتلاني بك وابتلاك بي فقال ذو القرنين صدقت فأخبرني ما هذا الحجر فقال الخضر أيها الملك هذا مثل ضربه لك صاحب الصور ان الله تعالى مكن لك في الارض والبلاد فأعطاك منها ما لم يعط أحدا من خلقه وأوطأك منها ما لم يوطئ لاحد من خلقه فلم تشبع وآتيت نفسك شرهها حتى بلغت من سلطان الله ما لم يطأه انس ولا جان فهذا مثل ضربه لك صاحب الصور ان ابن آدم لا يشبع أبدا حتى يحثى عليه التراب ولا يملأ جوفه الا التراب فبكى ذو القرنين ثم قال صدقت يا خضر في ضرب هذا المثل لا جرم لا طلبت أثرا في البلاد بعد مسيري هذا حتى أموت ثم انه انصرف راجعا حتى اذا كان في وسط الظلمة وطئ الوادي الذي فيه الزبرجد فقال من معه لما سمعوا خشخشة تحت حوافر دوابهم ما هذا الذي تحتنا أيها الملك فقال ذو القرنين خذوا منه فان من أخذ منه ندم ومن تركه ندم فمنهم من أخذ منه شيأ ومنهم من تركه فلما خرجوا من الظلمة ونظروه اذا هو زبرجد فندم الآخذ والتارك قال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله أخي ذا القرنين لو ظفر بوادي الزبرجد في مبدا أمره ما ترك منه شيأ حتى كان يخرجه الى الناس لانه كان راغبا في الدنيا ولكنه ظفر به وهو زاهد في الدنيا لا حاجة له فيها ثم انه رجع الى العراق وملك ملوك الطوائف كلها ومات في طريقه قبل وصوله بشهر (وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه) انه رجع الى دومة الجندل وكانت منزله فأقام بها حتى مات قالوا وكان عمره ستا وثلاثين سنة وكان ملكه سبع عشرة سنة وكان قبل دارا في أول السنة الثالثة من ملكه فلما مات حمل الى أمه بالاسكندرية ودفن هنالك قالوا فلما مات الاسكندر عرض الملك على ابنه اسكندروس من بعده فأبى واختار النسك والعبادة فملكت اليونانية عليهم فيما قيل بطليموس بن لوسوع وكان ملكه ثمانيا وثلاثين سنة وكانت المملكة في حياة الاسكندر وبعد وفاته الى أن تحول الملك الى الروم والمضاض واليونانية ولبني اسرائيل بيت المقدس ونواحيها الديانة والرياسة على غير وجه الملك الى أن خرب بلادهم الفرس والروم وطردوهم عنها بعد قتل يحيى بن زكريا عليهم السلام والله أعلم

﴿ مجلس في قصة زكريا وابنه يحيى ومريم وعيسى عليهم السلام ﴾

وهو مجلس يشتمل على أبواب كثيرة قال محمد بن اسحق وغيره من أهل الاخبار عبرت بنو اسرائيل بعد مرجعهم من أرض بابل الى بيت المقدس وبلاد الشام وانتظام أمورهم ولم يزالوا يحدثون الاحداث ويعود الله عليهم بفضله ورحمته ويبعث فيهم الرسل ففريقا يكذبون وفريقا يقتلون كما قال الله تعالى حتى كان ممن بعث فيهم من أنبيائهم زكريا ويحيى وعيسى وكانوا من آل بيت داود عليه السلام ﴿ نسب زكريا عليه السلام ﴾ هو زكريا بن يوحيا بن ادن بن مسلم بن صدوق بن يحسان بن داود بن سليمان بن مسلم بن صديقة بن ناخور بن سلوم بن نهفاساط ابن أيا بن رحبعم بن سليمان بن داود عليه السلام

﴿ باب في ذكر مولد مريم عليها السلام وخبر تحريرها ﴾

قال الله تعالى اذ قالت امرأة عمران رب اني نذرت لك ما في بطني محررا الآيات قال المفسرون هي حنة بنت فاقوذ جدة عيسى عليه السلام وعمران قال ابن عباس هو عمران بن ماثان وليس بعمران أبي موسى اذ بينهما ألف وثمانمائة سنة وكانت بنو ماثان رؤس بني اسرائيل وأحبارهم وملوكهم وقال ابن اسحق هو عمران بن ساهم بن أمور بن ميشان بن حزقيل بن أحريق بن يوثم بن عزازيا بن امصيا بن ناوس بن نوثا بن بارض بن يهوشافاط بن رادم بن أبيا بن رحبعم بن سليمان بن داود عليه السلام وكانت القصة في ذلك أن زكريا بن يوحيا وعمران بن ماثان كانا متزوجين بأختين احداهما عند زكريا بن يوحيا وهي ايشاع بنت فاقوذ أم يحيى وكانت الاخرى عند عمران وهي حنة بنت فاقوذ أم مريم وكان قد أمسك عن حنة الولد حتى أيست وعجزت وكانوا أهل بيت من الله بمكان فبينما هي في ظل شجرة اذ نظرت طائرا يطعم فرخا فتحركت عند ذلك شهوتها للولد ودعت الله تعالى أن يهب لها ولدا وقالت اللهم لك علي ان رزقتني ولدا أن أتصدق به على بيت المقدس فيكون من سدنته وخدمه نذرا وشكرا فحملت بمريم عليها السلام فحررت ما في بطنها ولم تعلم ما هو فقالت رب اني نذرت لك ما في بطني محررا أي عتيقا عن الدنيا وأشغالها خالصا مخلصا لك مقيمة للعبادة وخادمة لبيتك المقدس حبيسا عليه مفرغا لعبادتك وخدمته فتقبل مني انك أنت السميع العليم قالوا وكان المحرر اذا حرر ونذر جعل المحرر والمنذور في الكنيسة يقوم عليها ويكنسها ويخدمها ولا يبرح عنها حتى يبلغ الحلم فاذا بلغ خير بين أن يقيم وبين أن يذهب حيث شاء وان أراد أن

فقال الحجاج علي بالحداد فحضر بين يديه فقال ما صنعت بالرجل بالامس فقال صنعت به كذا وكذا فقال الحجاج ما كان يقول عند ذلك فقال السجان سمعته يقول عند وضع القيد في رجليه حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم فقال الحجاج نعم ان الذي احتسب به هو الذي خلصه انه على كل شئ قدير (وحكي عن هرون الرشيد رضي الله تعالى عنه) أنه رأى رجلا من أهل الخير فسمعه يأمر بمعروف وينهى عن منكر فشق ذلك على هرون الرشيد فأحضر الرجل بين يديه فلما حضر أمر أن يجعل له بيت ويسد عليه بابه ومنافذه حتى يموت فيه قال ففعلوا ذلك معه فلما كان بعد خمسة أيام قال بعض جلساء هرون الرشيد يا مولاي اني رأيت الرجل الذي أمرت بسد البيت عليه وهو يتبختر في بستانك الفلاني فقال الرشيد علي به فأحضروه بين يديه فلما رآه الرشيد قال له من أخرجك من البيت قال الذي أدخلني البستان قال ومن أدخلك البستان قال الذي أخرجني من البيت قال فضحك الرشيد وقال هذا عجيب قال الرجل وأي أمر ربك ليس بعجيب قال فبكى الرشيد وأمر له بالاحسان وأركبه فرسا من خواص خيله وأمر مناديا ينادي بين يديه

يخرج بعد التحرير استأذن رفقاءه من السدنة ليكون خروجه على علم منهم ولم يكن أحد من بني اسرائيل وعلمائهم الامن في نسله محرر لبيت المقدس ولم يكن محررا الا الغلمان وكانت الجارية لا تكلف ذلك ولا تصلح لما يصيبها من الحيض والاذى فحررت أم مريم ما في بطنها فلما فعلت ذلك قال لها زوجها عمران ويحك ماذا صنعت أرأيت ان كان ما في بطنك أنثى والانثى عورة لا تصلح لذلك فوقعا جميعا في هم من ذلك فهلك عمران وحنة حامل بمريم فلما وضعتها اذا هي جارية فقالت حنة وكانت ترجو أن يكون غلاما اعتذارا الى الله تعالى رب انى وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى أى في خدمة الكنيسة والعبادة فيها لعورتها وضعفها وما يعتريها من الحيض والنفاس والاذى وانى سميتها مريم وهى بلغتهم العابدة والخادمة وكانت مريم عليها السلام أجمل النساء وأمثلهن في وقتها (أخبرنى) الحسن بن محمد باسناده عن أبى هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حسبك من نساء العالمين أربع مريم ابنة عمران وآسية امرأة فرعون وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم وانى أعيذها أى أجيرها وأمنعها بك وذريتها من الشيطان الرجيم (أخبرنا) عبد الله بن حامد باسناده وأخبرنا أبو سهيل أحمد بن محمد بن هرون باسناده عن أبى هريرة أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ما من مولود الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخا من مس الشيطان الا مريم وابنها ثم يقول أبو هريرة اقرؤا ان شئتم وانى أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم (وأخبرنا) شعيب بن محمد باسناده عن قتادة قال كل آدمى يطعن الشيطان في جنبه حين يولد الا عيسى وأمه عليهما السلام جعل بينهما حجاب وأصابت الطعنة الحجاب ولم ينفذ اليهما منه شئ قال وذكروا انهما كانا لا يصيبان من الذنوب كما يصيبه سائر بنى آدم قال الله تعالى فتقبلها ربها بقبول حسن الهاء راجعة الى النذيرة أى فتقبل الله النذيرة أى مريم من حنة وأنبتها نباتا حسنا يعنى سوّى خلقها من غير زيادة ولا نقصان فكانت تنبت في المدة اليسيرة كما ينبت المولود في المدة الطويلة وقال ابن جريج وأنبتها بها في غذائها ورزقها نباتا حسنا حتى تمت امرأة بالغة قالوا فلما ولدت مريم أخذتها أمها حنة فلفتها في خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار أبناء هرون وهم يومئذ ثلاثون في بيت المقدس كما يلى الحجبة أمر الكعبة فقالت لهم دونكم هذه النذيرة فتنافس فيها الاحبار لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم فقال لهم زكريا أنا أحق بها منكم لان عندى خالتها فقالت له الاحبار لا تفعل ذلك فانها لو تركت لاحق الناس وأقربهم اليها لتركت لامها التى ولدتها ولكنا نقترع عليها فتكون عند من خرج سهمه فاتفقوا على ذلك ثم انطلقوا وكانوا تسعة عشر رجلا الى نهر جار قال السدى هو نهر الاردن فألقوا أقلامهم أى سهامهم وقيل أقلامهم التى كانوا يكتبون بها التوراة في الماء فارتفع قلم زكريا فوق الماء وانحدرت أقلامهم ورسبت في الماء قاله ابن اسحق وجماعة وقال السدى بل ثبت قلم زكريا فوق الماء كأنه في طين وجرت أقلامهم مع جريان الماء فذهب الماء بها فسهمهم وقرعهم زكريا عليه السلام وكان رأس الاحبار ونبيهم فذلك قوله تعالى وكفلها زكريا ضمها الى نفسه وقام بأمرها وقال ابن اسحق فلما كفلها زكريا ضمها الى خالتها أم يحيى واسترضع لها حتى اذا نشأت وبلغت مبالغ النساء بنى لها محرابا أى غرفة في المسجد وجعل بابه الى وسطها لا يرقى اليها الا بسلم مثل باب الكعبة فلا يصعد اليها غيره وكان يأتيها بطعامها وشرابها ودهنها في كل يوم وكان زكريا عليه السلام اذا خرج أغلق عليها بابها فاذا دخل عليها غرفتها وجد عندها رزقا أى فاكهة في غير حينها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف فيقول لها أنى لك هذا فتقول هو من عند الله من قطف الجنة قال الحسن يجد عندها رزقها وكان رزقها يأتيها من الجنة فيقول لها زكريا من أين لك هذا فتقول هو من عند الله قال الحسن وكانت وهى صغيرة يأتيها رزقها (وقال محمد) بن اسحق ثم أصابت بنى اسرائيل أزمة وهى على ذلك من حالها ثم ضعف زكريا عن حملها فخرج الى بنى اسرائيل وقال يا بنى اسرائيل تعلمون والله انى لقد كبرت وضعفت عن حمل ابنة عمران فأيكم يكفلها بعدى فقالوا والله لقد جهدنا وأصابنا من الجهد ما ترى فتدافعوها بينهم ثم لا يجدون من يحملها فتقارعوا عليها بالاقلام فخرج السهم على رجل صالح نجار من بنى اسرائيل يقال له يوسف بن يعقوب ابن ماثان وكان ابن عم مريم فحملها قال فعرفت مريم في وجهه شدة مؤنة ذلك عليه فقالت له يا يوسف أحسن الظن بالله فان الله سيرزقنا فجعل يوسف يرزق لمكانها منه فيأتيها كل يوم من كسبه بما يصلحها فاذا أدخله عليها

ويقول هذا عبد أعزه مولاه فازدهرون اهانته فلم يقدر ثم زاد في احسانه واكرامه واحترامه، هذا من بعض مناقبهم نفعنا الله بهم آمين ﴿وحكى عن الشيخ شاه ابن الشجاع الكرمانى رضى الله تعالى عنه﴾ أنه كان له بنت تقرأ القرآن وتصوم النهار وتقوم الليل وكانت بديعة الحسن والجمال فسمع بها ملك كرمان فأتى أباها ليخطبها منه فاستمهله الشيخ ثلاثة أيام ثم أقبل والدها يطوف المساجد لينظر رجلا فقيرا يزوجه بها فبينما هو كذلك اذ رأى غلاما حسن الوجه يصلى ويحسن الصلاة فلما فرغ من صلاته قال له يا غلام هل لك في زوجة تقرأ القرآن وتصوم النهار وتقوم الليل وهى جميلة نظيفة فقال الغلام ومن يزوجنى بها يا سيدى فقال له أنا أزوجك بها خذ بدرهم خبزا وبدرهم ادما وبدرهم طيبا والامر مفروغ منه ثم عقد له عليها ورجع الى بيته وأخبرها بذلك فلما دخلت الى بيت الغلام رأت فيه رغيفا يابسا على رأس جرة ماء فلما رأته قالت ما هذا فقال لها الغلام هذا رغيف تركته من أمس لنفطر عليه فلما سمعت ذلك ولت راجعة فقال لها الشاب قد علمت ان بنت شاه الكرمانى لا تفرح بفقرى ولا ترضى أن أكون لها بعلا فقالت ان بنت شاه ليس خروجها من منزلك لفقرك

وهى

وهى فى الكنيسة انماه الله تعالى وكثره فيدخل اليها زكريا فيرى عندها فضلا من الرزق ليس بقدر ما يأتيها به يوسف فيقول لها يامريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب (أخبرنا) عبد الله بن حامد باسناده عن جابر بن عبد الله أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أقام أياما لم يطعم طعاما حتى شق ذلك عليه فطاف فى منازل أزواجه فلم يصب فى بيت واحدة منهن شيأ فأتى فاطمة رضى الله عنها فقال يابنية هل عندك شئ آكل فانى جائع فقالت لا والله بأبى أنت وأمى فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من عندها بعثت اليها جارة لها برغيفين وبضعة لحم فأخذته منها ووضعته فى جفنة وغطت عليه وقالت لأوثرن بها رسول الله صلى الله عليه وسلم على نفسى ومن عندى وكانوا جميعا محتاجين الى شبعة من طعام فبعثت حسنا وحسينا الى جدهما رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع اليها فقالت بأبى أنت وأمى يارسول الله قد آتانا الله بشئ فخبأته لك قال فهلمى به فأتى به فكشف عن الجفنة فاذا هى مملوءة خبزا ولحما فلما نظرت اليه بهتت وعرفت أنها بركة من الله فحمدت الله تعالى وصلت على نبيه فقال عليه السلام من أين لك هذا يابنية قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فحمد الله رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال الحمد لله الذى جعلك شبيهة بسيدة نساء بنى اسرائيل فانها كانت اذا رزقها الله رزقا حسنا فسئلت عنه قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى على رضى الله عنه فأتى فأكل الرسول وعلى وفاطمة والحسن والحسين وجميع أزواج النبى صلى الله عليه وسلم رضى الله عنهم جميعا حتى شبعوا وبقيت الجفنة كما هى قالت فاطمة رضى الله عنها وأوسعت منها على جميع جيرانى وجعل الله فيها بركة وخيرا طويلا وكان أصل الجفنة رغيفين وبضعة لحم والباقى بركة من الله تعالى

﴿ باب فى مولد يحيى بن زكريا عليه السلام ﴾

قال الله تعالى هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لى من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء قالت العلماء بأخبار الانبياء لما رأى زكريا عليه السلام أن الله يرزق مريم الفاكهة فى غير حينها قال ان الذى قدر على أن يؤتى مريم بالفاكهة فى غير حينها من غير سبب ولا فعل أحد لقادر على أن يصلح زوجتى ويهب لى ولدا على الكبر فطمع فى الولد وكان أهل بيته قد انقرضوا وزكريا قد شاخ وأيس من الولد فهنالك أى فعند ذلك دعا زكريا ربه قال رب هب لى أى أعطنى من لدنك ذرية طيبة نسلا تقيا صالحا رضيا انك سميع الدعاء فنادته الملائكة يعنى جبريل وذلك ان زكريا كان الحبر الكبير الذى يقرب القربان ويفتح باب المذبح فلا يدخل أحد حتى يأذن له بالدخول فبينما هو فى محرابه عند المذبح قائم يصلى والناس ينتظرونه أن يأذن لهم بالدخول اذا هو برجل شاب عليه ثياب بيض ففزع منه فناداه وهو جبريل عليه السلام يازكريا ان الله يبشرك بيحيى واختلفوا فيه لم سمى يحيى قال ابن عباس لان الله تعالى أحيا به عقر أمه وقال قتادة وغيره لان الله تعالى أحيا قلبه بالايمان والنبوة وقال الحسن بن الفضل لان الله تعالى أحياه بالطاعة حتى لم يتغير ولم يهم بمعصية دليله ما أخبرنى به الحسن بن فتحويه باسناده عن عكرمة عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من أحد يلقى الله عز وجل الا قد هم بخطيئة أو عملها الا يحيى بن زكريا فانه لم يهم ولم يعمل (قال الاستاذ وكان شيخنا) أبو القاسم الجنيد يقول سمى بذلك لانه استشهد والشهداء أحياء عند ربهم يرزقون قال النبى صلى الله عليه وسلم من هوان الدنيا على الله أن يحيى بن زكريا قتلته امرأة قال وسمعت أبا منصور الخمشاوى يقول قال عمر بن عبد الله المقدسى أوحى الله الى ابراهيم الخليل عليه السلام أن قل لسارة وكان اسمها كذلك انى مخرج منكما عبدا لا يهم بمعصيتى اسمه حيى فهبى له من اسمك حرفا فوهبت له أول حرف من حروف اسمها الياء فصار يحيى وصار اسمها سارة مصدقا بكلمة من الله يعنى عيسى عليه السلام فسمى كلمة لان الله تعالى قال له من غير أب كن فكان فوقع عليه اسم الكلمة لانه بها وجد ويحيى أول من آمن بعيسى وصدقه وذلك أن أمه كانت حاملة به فاستقبلتها مريم وقد حملت بعيسى فقالت لها أم يحيى يامريم أحامل أنت فقالت لماذا تقولين هذا قالت انى أرى ما فى بطنى يسجد لما فى بطنك فذلك تصديقه له وايمانه به وكان يحيى أكبر من عيسى بستة أشهر وذلك أن مولد يحيى كان قبل مولد عيسى بستة أشهر ثم قتل يحيى قبل أن يرفع عيسى الى السماء وسنذكره قال سعيد بن المسيب وسيدا السيد الفقيه العالم وقال سعيد بن جبير السيد الذى يطيع ربه عز وجل وقال الضحاك السيد الحسن الخلق وقال عكرمة الذى لا يغضب وقال سفيان الذى لا يحسد

بل لضعف يقينك ولست أعجب منك وانما أعجب من والدى حين قال لى قد زوجتك بشاب عفيف فكيف يوصف بالعفة من لا يعتمد على الله سبحانه وتعالى الا مع ادخاره رغيفا قال فلما سمع الشاب كلامها قال أنا عن ذلك معتذر والعفو عن ذلك أولى فقالت تصدق به على مستحقه فانى لا أقيم فى بيت فيه معلوم فاما أن تتصدق به واما أن أخرج أنا من البيت قال فتصدق الغلام به فدخلت الى البيت (قلت) هذا التزويج صدر من الشيخ العارف بالله تعالى شاه بن الشجاع المذكور بعد ما زهد فى الدنيا وترك الملك ودخل فى طريق القوم رضى الله عنهم وقد تقدمت حكايته فى هذا المجموع رضى الله تعالى عنه ونفعنا ببركاته فى الدنيا والآخرة آمين (شعرا)

فلو كان النساء كمن ذكرنا
لفضلت النساء على الرجال

فما التأنيث لاسم الشمس عيب
ولا التذكير فخر للهلال

(وحكى عن سهل بن عبد الله التسترى رضى الله عنه) أنه قال أول ما رأيت من العجائب والكرامات أنى خرجت يوما من الايام الى موضع خال ظاهر البلد التى كنت قاطنا بها فطاب لى القيام فيه ووجدت قلبى قريبا من الله عز وجل فحضرت الصلاة فأردت الوضوء وكانت عادتى فى صباى تجديد الوضوء لكل صلاة فاغتممت لفقد

وحصورا قال ابن عباس وبن مسعود وغيرهما هو الذى لا يأتى النساء ولا يقربهن فعول بمعنى فاعل يعنى انه حصر نفسه عن الشهوات وقال ابن المسيب والضحاك هو العنين الذى لا باءة له ودليل هذا التأويل ما أخبرنى به ابن فتحويه باسناده عن أبى صالح عن أبى هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل ابن آدم يلقى الله بذنب قد أذنبه يعذب عليه ان شاء أو يرحمه الا يحيى بن زكريا فانه كان سيدا وحصورا ونبيا من الصالحين ثم أومأ النبى صلى الله عليه وسلم الى قذاة من الارض فأخذها قال وكان ذكره مثل هذه القذاة وقال المدنى الحصور الذى لا يدخل فى اللعب ولا الاباطيل قالوا فلما نادى جبريل زكريا بالبشارة قال رب أى يا سيدى قاله لجبريل هذا قول أكثر المفسرين وقال الحسن بن الفضل انما قال زكريا يارب لله لا لجبريل أنى يكون لى غلام من أين يكون لى ولد وقد بلغنى الكبر وامرأتى عاقر لا تلد عقيم قال الكلبى كان زكريا يوم بشر بالولد ابن اثنتين وتسعين سنة وقيل تسع وتسعين سنة وروى الضحاك عن ابن عباس قال كان زكريا ابن عشرين ومائة سنة وكانت امرأته بنت ثمان وتسعين سنة فأجيب كذلك يفعل الله ما يشاء فان قيل لم أنكر زكريا ذلك وسأل الآية بعد ما بشرته الملائكة أكان ذلك شكا فى وحيه أم انكار القدرته وهذا لا يجوز أن يوصف به أهل الايمان فكيف الانبياء فالجواب عنه ما قال عكرمة والسدى ان زكريا لما سمع نداء الملائكة جاءه الشيطان فقال يا زكريا ان الصوت الذى سمعت ليس من الله وانما هو صوت الشيطان يسخر بك ولو كان من الله لأوحاه اليك خفية كما ناديته خفية وكما يوحى اليك فى سائر الامور فقال ذلك دفعا للوسوسة وفيه جواب آخر وهو انه لم يشك فى الولد وانما شك فى كيفيته والوجه الذى يكون منه الولد فقال أنى يكون لى ولد أتجعلنى وامرأتى شابين أم ترزقه كذا على كبرنا أم ترزقنى من امرأة غيرها من النساء فقال ذلك مستخبرا لا منكرا وهذا قول الحسن قال رب اجعل لى آية قال آيتك أن لا تكلم الناس ثلاثة أيام وتقبل بكليتك على عبادتى وطاعتى لا أنه حبس لسانه عن الكلام ولكنه نهى عنه يدل عليه قوله تعالى واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشى والابكار هذا قول قوم من أهل العلم وقال آخرون عقل لسانه عن الكلام عقوبة لسؤاله الآية بعد مشافهة الملائكة اياه ولم يقدر على الكلام ثلاثة أيام الا رمزا أى اشارة وعلى هذا أكثر المفسرين وقال عطاء أراد به صوم ثلاثة أيام لانهم كانوا اذا صاموا لم يتكلموا الا رمزا فولد يحيى بن زكريا عليه السلام وفى بعض الاخبار أنه لما ولد يحيى رفع الى السماء فتغذى بأنهار الجنة حتى فطم ثم أنزل الى أبيه وكان يضئ البيت لنوره وحسن وجهه وجماله

﴿ باب فى صفته وحليته عليه السلام ﴾

قال كعب الاحبار كان يحيى بن زكريا نبيا حسن الوجه والصورة لين الجناح قليل الشعر قصير الاصابع طويل الانف مقرون الحاجبين رقيق الصوت كثير الغيرة قويا فى طاعة الله تعالى وقد ساد الناس فى عبادة الله وطاعته

﴿ فصل فى نبوته وسيرته وذكر زهده وجهده ﴾

قال الله تعالى يا يحيى خذ الكتاب بقوة وآتيناه الحكم صبيا قيل ان يحيى قال له أترابه من الصبيان يا يحيى اذهب بنا نلعب فقال لهم ما للعب خلقت وقال آخرون انه نبئ صغيرا فكان يعظ الناس ويقف لهم فى أعيادهم وجمعهم ويدعوهم الى الله تعالى ثم ساح ودخل الشام يدعو الناس ولما بعثه الله تعالى الى بنى اسرائيل وأمره أن يأمرهم بخمس خصال وضرب لكل خصلة منها مثلا أمرهم أن يعبدوا الله لا يشركوا به شيأ وقال مثل الشرك كمثل رجل اشترى عبيدا من خالص ماله ثم أسكنهم داره ودفع لهم مالا يتجرون فيه ويأكل كل واحد منه ما يكفيه ثم يؤدون اليه فضل الربح فعمد العبيد الى فضل الربح فدفعوه الى عدو سيدهم وأمرهم بالصلاة فقال ان مثل المصلى كمثل رجل استأذن على ملك فأذن له ودخل عليه فأقبل الملك عليه بوجهه ليسمع مقالته ويقضى حاجته فلما دخل عليه الرجل التفت يمينا وشمالا ولم يهتم بحاجته فأعرض الملك عنه ولم يقض حاجته وأمرهم بالصدقة وقال مثلها كمثل رجل أسره العدو فاشترى منه نفسه بثمن معلوم فجعل يعمل فى بلادهم ويؤدى اليهم من كسبه القليل والكثير حتى أوفى ثمنه فأعتق وأمرهم بذكره عز وجل وقال مثل الذكر مثل قوم لهم حصن ولهم عدو فاذا أقبل عليهم عدوهم دخلوا حصنهم فلم يقدر عليهم كذلك من ذكر الله تعالى لا يقدر عليه الشيطان وأمرهم بالصيام وقال مثله كمثل الجنة لا تدع عدوه يصل اليه وتستره (وأما سيرته) فروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال كان من زهد يحيى أنه أتى بيت المقدس فنظر الى المجتهدين من الاحبار والرهبان وعليهم مدارع الشعر والصوف

الماء غما شديدا وصرت متحيرا فبينما أنا كذلك اذ رأيت شابا ثم يمشى على رجليه فتوهمت انه آدمى فلما قرب منى اذ هو دب عظيم ومعه جرة ماء قد أمسكها بيده فلما دنا منى وضع الجرة بين يدى فتعجبت فى نفسى عجبا شديدا وقلت من أين هذه الجرة وهذا الماء قال فنطق الدب وسلم على وقال يا سهل نحن قوم من الوحوش قد انقطعنا الى الله تعالى بعزم المحبة والتوكل على الله تعالى فبينما نحن نتكلم مع أصحابنا فى مسئلة اذ نودينا ألا ان سهلا يريد ماء لتجديد وضوئه فقمت من عند أصحابى ووضعت هذه الجرة بين يدى وكانت فارغة واذا بملكين قريبين منى فدنوت منهما فصبا فيها الماء من الهواء وأنا أسمع خرير الماء فى الجرة قال سهل رضى الله عنه فلما سمعت ذلك غشى على فلما أفقت اذا بالجرة موضوعة ولم أدر أين ذهب الدب قال سهل فتوضأت وصليت فلما فرغت من الصلاة أردت أن أشرب من الماء فسمعت قائلا من الوادى يقول يا سهل لم يؤذن لك فى شرب هذا الماء فتركتها فاذا هى تضطرب وأنا أنظر اليها متعجبا ولم أدر أين ذهبت تلك الجرة عفا الله عنهم ونفعنا بركاتهم آمين (وحكى عنه أبضار رضى الله تعالى عنه) أنه قال توضأت فى يوم جمعة ومضيت الى الجامع

و برانس الصوف واذاهم قد خرقوا تراقيهم وسلكوا فيها السلاسل وشدوا بها الى سوارى المسجد فلما نظر الى ذلك
أتى أمه فقال يا أماه انسجي لى مدرعة من شعر و برنسا من صوف حتى آتى الى بيت المقدس وأعبد الله تعالى مع
الاحبار والرهبان فقالت له أمه حتى يأتى نبى الله زكريا عليه السلام فأوامره فى ذلك فلما دخل زكريا أخبرته بما
قال لها يحيي فقال له زكريا يابنى مايدعوك الى هذا وانما أنت صبى صغير فقال له ياأبت امارأيت من هو أصغر منى
ذاق الموت قال بلى فقال لامه انسجي له مدرعة من الشعر و برنسا من الصوف ففعلت فتدرع بالمدرعة على بدنه
ووضع البرنس على رأسه ثم أتى بيت المقدس وأقبل يعبد الله مع الاحبار والرهبان حتى أكلت مدرعة الشعر لحمه
فنظر ذات يوم الى ماقد نحل من جسمه فبكى فأوحى الله تعالى اليه يايحيي أتبكى على ماقد نحل من جسمك وعزتى
وجلالى لواطلعت على النار اطلاعة لتدرعت مدارع الحديد فضلا عن المسوح فبكى يحيي حتى أكل الدمع لحم
خديه و بدت للناظرين أضراسه فبلغ ذلك أمه فدخلت عليه وأقبل زكريا واجتمع الاحبار والرهبان فقال زكريا
لابنه يحيي مايدعوك لهذا يابنى انما سألت ربى أن يهبك لى لتقر بك عينى قال أنت أمرتنى بذلك ياأبت قال ومتى
قال ألست القائل ان بين الجنة والنار عقبة كؤدا لايقطعها الا البكاؤون من خشية الله تعالى قال بلى قال فجد
واجتهد وقام فنفض مدرعته فأخذته أمه فقالت أتأذن لى يابنى أن أتخذ لك قطعتين من لبد يواريان أضراسك
و ينشفان دموعك فقال لها شأنك فاتخذت له قطعتى لبد يواريان أضراسه و ينشفان دموعه فبكى حتى ابتلتا
من دموع عينيه ثم أخذهما فعصرهما فتحدرت الدموع من بين أصابعه فنظر زكريا الى ابنه والى دموعه فرفع
رأسه الى السماء وقال اللهم ان هذا ابنى وهذه دموع عينيه وأنت أرحم الراحمين وكان زكريا اذا أراد أن يعظ بنى
اسرائيل التفت يمينا وشمالا فاذا رأى يحيي لم يذكر جنة ولا نارا فجلس يوما يعظ بنى اسرائيل وأقبل يحيي قد لف
رأسه بعباءة وجلس فى غمار القوم فالتفت زكريا يمينا وشمالا فلم ير يحيي فأنشأ يقول حدثنى حبيبى جبريل عن
الله عز وجل أن فى جهنم جبلا يقال له السكران فى أصل ذلك الجبل واد يقال له الغضبان خلق لغضب الرحمن
تبارك وتعالى فى ذلك الوادى جب قامته مائة عام فى ذلك الجب توابيت من نار فى تلك التوابيت صناديق من نار
وثياب من نار وأغلال من نار فرفع يحيي رأسه وقال واغفلتاه عن السكران وعن غضب الرحمن ثم خرج هائما
على وجهه فقام زكريا من مجلسه ودخل على أم يحيي فقال لها ياأم يحيي قومى فاطلبى يحيي فانى قد تخوفت ان
لا نراه الا وقد ذاق الموت فقامت وخرجت فى طلبه فمرت بفتيان من بنى اسرائيل فقالوا لها ياأم يحيي أين تريدين
قالت أطلب ولدى يحيي ذكرت النار بين يديه فهام على وجهه فمضت أم يحيي والفتية معها حتى مرت براعى غنم
فقالت ياراعى هل رأيت شابا من صفته كذا وكذا قال لعلك تطلبين يحيي بن زكريا قالت نعم ذلك ولدى ذكرت
النار بين يديه فهام على وجهه فقال تركته الساعة على عقبة كذا واضعا قدميه فى الماء رافعا بصره الى السماء
يقول وعزتك يامولاى لا أذوق بارد الشراب حتى أنظر الى منزلتى منك فأقبلت أمه فلما رأته دنت منه فأخذت
برأسه فوضعته بين يديها وناشدته بالله أن ينطلق معها الى المنزل فانطلق معها الى المنزل فقالت له هل لك أن تخلع
مدرعتك الشعر وتلبس مدرعتك الصوف فانه ألين ففعل ثم انها طبخت له عدسا فأكل واستوفى فذهب به
النوم فلم يقم لصلاته فنودى فى منامه يايحيي أردت دارا خيرا من دارى وجوارا خيرا من جوارى فاستيقظ وقام
وقال رب أقل عثرتى وعزتك لا أستظل بظل سوى بيت المقدس ثم قال لامه ناولينى مدرعة الشعر فقد علمت
أنكما ستوردانى المهالك فتقدمت اليه أمه ودفعت اليه المدرعة وتعلقت به فقال لها زكريا ياأم يحيي دعيه فان ولدى
قد كشف له عن قناع غفلته ولن ينتفع بالعيش فقام يحيي فلبس مدرعته و وضع البرنس على رأسه ثم أتى بيت
المقدس فجعل يعبد الله مع الاحبار والرهبان حتى كان من أمره ما كان والله أعلم ﴿باب فى مقتله عليه السلام﴾
اختلف العلماء فى سبب قتله فقال بعضهم كان يحيي عليه السلام فى زمن ملك من ملوك بنى اسرائيل وكان له
امرأة وهى ابنة ملك صيدا وكانت قتالة للانبياء والصالحين وكانت عاهرة تبرز للناس وكان يحيي يزجرها عن ذلك
و يقول لها لا تبرزى كاشفة وجهك وكان كثيرا مايقول لها مكتوب فى التوراة ان الزناة يوقفون يوم القيامة
و ريحهم أنتن من الجيف فأمرت بيحيي فسجن وكان قد حبس رجل من أبناء الملوك وكان كثيرا ماتشتاق اليها
بالليل فعلم بها وبه يحيي فزجره فبلغ ذلك امرأة الملك فجملت بنتا لها واستقبلت بها زوجها فقال لها لم فعلت ذلك

وكان ذلك فى أيام البداية فوجدت الجامع قد امتلا بالناس وهم الخطيب أن يرقى المنبر فأسأت الادب ولم أزل أتخطى رقاب الناس
حتى وصلت الى الصف
الاول ثم جلست فاذا
عن يمينى شاب حسن
المنظر كانه من الملوك
وعليه اطمار من صوف
فلما نظر الى قال كيف
ترى حالك ياسهل فقلت
بخير أصلحك الله
فصرت متحيرا فى معرفته
لى ولم أعرفه فبينما أنا
كذلك اذ أخذنى حرق
بول فازعجنى ذلك وصرت
متحيرا فى أمرى فان قمت
تخطيت رقاب الناس
ثانيا وان جلست لم
أتمكن من الصلاة قال
سهل فالتفت الى الشاب
وقال ياسهل أخذك
حرق بول قلت نعم
ياسيدى قال فنزع
رداءه عن منكبيه
وغطانى به وقال قم
اقض حاجتك وأسرع
لتدرك الصلاة قال
فنظرت فاذا بباب
مفتوح وقائل يقول لج
الباب يرحمك الله فولجت
الباب فرأيت قصرا
مشيد البناء شامخ
الاركان واذا بنخلة قائمة
اذا بجانبها مطهرة مملوءة
ماء أحلى من الشهد واذا
بمنشفة معلقة وسواك
ألين من الحرير قال
سهل فتعجبت من
ذلك ثم حللت لباسى
وأرقت الماء واغتسلت
وتنشفت ولبست أثوابى
فسمعته ينادينى و يقول ان كنت قضيت أربك فقل نعم فقلت نعم فنزع الرداء عنى فاذا أنا جالس فى مكانى ولم يشعر بى أحد فصرت

فقالت وجب لها عليك حق فقال سلي ماشئت فقالت البنت أستوهب منك أهل الحبس أصنع بهم ماشئت فظن أبوها أنها ترحمهم وتستر وجوههم فقال أبوها قد فعلت فأمرت أمها بأهل السجن فعرضوا عليها فلما مر بها يحيي أمرت به فذبح وأخذ رأسه في طشت ثم حملت الطشت الى أبيها بأمر أمها وقالت أيها الملك اني قد ذبحت لك ذبيحة من أعظم ما وجدته ولو كان مثله ألف لذبحتهم لك قال وما هو قالت يحيي بن زكريا فقال هلكت وأهلكت أبويك فغير الله ما بهم من النعم وسلط عليهم عدوا فذبح البنت وأبويها وسلط عليهم الكلاب والسباع حتى أكلتهم (وروى) سعيد بن جبير عن ابن عباس قال كان عيسى بن مريم ويحيي بن زكريا في اثني عشر من الحواريين يعلمون الناس قال وكان مما نهوهم عنه نكاح بنت الاخ وكان لملكهم بنت أخ تعجبه يريد ان يتزوجها وكان لها في كل يوم حاجة عنده يقضيها لها فلما بلغ أمها أنه نهى عن نكاح بنت الاخ قالت لابنتها اذا دخلت على الملك فسألك عن حاجتك فقولي حاجتي أن تذبح يحيي بن زكريا فلما دخلت عليه سألها عن حاجتها فقالت حاجتي أن تذبح يحيي بن زكريا فقال سلي غير هذا فقالت ما أسألك الا هذا فلما أبت عليه دعا بيحيي بن زكريا ودعا بطشت فذبحه فيه فنبذت من دمه قطرة فلم تزل تغلي حتى بعث الله عز وجل بختنصر عليهم فجاءت عجوز من بني اسرائيل فدلته على ذلك الدم فألقى الله في قلبه أن يقتل على ذلك الدم سبعين ألفا منهم على سن واحد ليسكن فقتلهم فسكن (وقال السدى) باسناده كان ملك بني اسرائيل يكرم يحيي بن زكريا ويدني مجلسه ويستشيره في أمره ولا يقطع أمرا دونه وانه هوى أن يتزوج ابنة امرأة له فسأل عن ذلك يحيي فنهاه عنه وقال لست أرضاها لك فبلغ ذلك أمها فحقدت على يحيي حين نهاه أن يتزوج ابنتها فعمدت الى ابنتها حين جلس الملك على شرابه فألبستها ثيابا رقاقا حمرا وطيبتها وألبستها من الحلي وألبستها فوق ذلك كساء أسود وأرسلتها الى الملك وأمرتها أن تسقيه وأن تتعرض له فاذا راودها عن نفسها أبت عليه حتى يعطيها ما تسأله فاذا أعطاها ذلك سألته أن يأتيها برأس يحيي ابن زكريا في طشت ففعلت ذلك وجعلت تسقيه وتتعرض له فلما أخذ منها الشراب راودها عن نفسها فقالت لا أفعل حتى تعطيني ما أسألك قال وما تسأليني قالت أن تبعث الى برأس يحيي بن زكريا في هذا الطشت قال ويحك سليني غير هذا قالت ما أسألك الا هذا فلما أبت عليه بعث اليه فأتى برأسه والرأس يتكلم حتى وضع بين يديه وهو يقول لا تحل لك فلما أصبح اذا دمه يغلي فأمر بتراب فألقي عليه فارتفع الدم فوقه فلم يزل يغلي ويلقى عليه التراب حتى بلغ سور المدينة وهو مع ذلك يغلي وذكر الحديث الطويل الذي في قصة سنجاريب وبختنصر كما قدمنا ذكره في أخبار بختنصر (وقالت علماء النصارى) الذي قتل يحيي ملك من ملوك بني اسرائيل يقال له هيردوس بسبب امرأة يقال لها هيردويا كانت امرأة أخ له يقال له فيلقوس عشقها فوافقته على الفجور فنهاه يحيي وأعلمه أنها لا تحل له فسألت المرأة هيردوس أن يأتيها برأس يحيي فلما فعل ذلك سقط في يديه وجزع جزعا شديدا (قال كعب الاحبار) كان يحيي من أجمل الناس وجها وأحسنهم في زمانه فأحبته امرأة الملك الذي كان في زمانه حبا شديدا فأرسلت اليه تراوده عن نفسه فأرسل اليها انه لا علم له بالنساء والملك أحق أن يطأ فراشه فلما انتهى اليها الرسول غضبت غضبا شديدا وقالت كيف لي أن أقتله ولا يخبر الناس اني قد راودته فلم تزل بالملك حتى وهب لها يحيي بن زكريا فأرسلت اليه وهو قائم يصلي في بيت المقدس في محراب داود من يضرب عنقه ويأخذ رأسه فلما أخذوا رأس يحيي خسف الله بها وبأهلها الارض عقوبة لها بقتلها يحيي عليه السلام

﴿ذكر مقتل زكريا عليه السلام﴾

(قال كعب الاحبار) فلما سمع زكريا أن ابنه يحيي قتل وخسف بالقوم انطلق هاربا في الارض حتى دخل بستانا عند بيت المقدس فيه الاشجار فنادته شجرة يا نبي الله الى ههنا فلما أتاها انفتقت له الشجرة ودخل زكريا في وسطها فانطلق ابليس لعنه الله حتى أخذ بطرف ردائه فأخرجه من الشجرة ليصدقوه اذا أخبرهم فلذلك تصنع اليهود الخيوط في أطراف أرديتهم لا يدرون لما أمروا بذلك وأخذ الملك وأهله يلتمسون زكريا فاستقبلهم ابليس لعنه الله تعالى فقال لهم ما تلتمسون قالوا نلتمس زكريا فقال ابليس انه دخل في هذه الشجرة قالوا لا نصدقك قال فاني ان أريتكم علامة تصدقوني بها قالوا فأراهم طرف ردائه فأخذوا المناشير ونشروا الشجرة فنشروها نصفين فسلط الله عليهم أخبث أهل الارض علجا مجوسيا فانتقم الله به من بني اسرائيل بدم يحيي وزكريا فقتل عظماء بني اسرائيل وسبى منهم مائة وسبعين ألفا (وقيل) ان السبب في قتل

متفكرا في نفسي متعجبا مما رأيت ودمرت أكذب نفسي تارة وأصدقها تارة فقامت الصلاة فصليت مع الجماعة ولم يكن لي شغل الا ذلك الفتى لا أعرفه فلما فرغنا من الصلاة قام فتبعته وأنا أمشي خلفه حتى دخلت الى درب فالتفت الى وقال يا سهل كأنك ما أيقنت بما رأيت فقلت كلا يا سيدي فقال لج الباب يرحمك الله فنظرت فاذا الباب بعينه ثم ولجت القصر فوجدت النخلة والمطهرة والسواك والمنشفة مبلولة فقلت آمنت بالله العظيم فقال يا سهل من أطاع الله أطاعه كل شئ أطلبه تجده قال سهل فتغرغرت عيناي بالدموع فمسحتهما وفتحتهما فلم أر الشاب ولا القصر فصرت متحيرا على ما فاتني منه رضي الله تعالى عنه ونفعنا به وبعلومه وأعاد علينا من بركاته آمين ﴿وحكى عنه أيضا عفا الله عنه﴾ أنه قيل لبعض أصحاب سهل كيف كان حال سهل فقال خدمته ثلاثين سنة فما رأيته وضع جنبه على فراشه ليلا ولا نهارا وكان يصلي الصبح بوضوء العشاء وهرب من الناس الى جزيرة بين عبادان والبصرة وما فر من الناس الا من رجل حج سنة من السنين فلما رجع قال لاخ له رأيت سهل بن عبد الله في الموقف بعرفة فقال له أخوه نحن كنا عنده في ذلك اليوم وهو

زكريا ان ابليس جاء الى مجالس بنى اسرائيل فقذف بمريم زكريا وقال ما أحبلها أحد غير زكريا وهو الذى كان يدخل عليها فطلبوا زكريا فهرب واتبعه سفهاؤهم وأشرارهم فسلك واديا كثير الاشجار فتشبه له الشيطان فى صورة راع فقال يا زكريا قد أدركوك فادع الله أن يفتح لك هذه الشجرة ففعل ذلك فانفتحت له فدخل فيها وأخرج ابليس هدب ردائه منها فمرت بنو اسرائيل بالشيطان فقالوا يا راعى هل رأيت رجلا ههنا من صفته كذا وكذا قال نعم سحر هذه الشجرة فانفتحت له فدخل فيها وهذا هدب ردائه فقطعوا الشجرة مع زكريا وفلقوها فلقتين بالمنشار طولا فبعث الله الملائكة فغسلوا زكريا وصلوا عليه ودفنوه وفى الخبر أن الشمس بكت على يحيى أربعين صباحا وكان بكاؤها أن طلعت وغربت حمراء ويروى أن يحيى سيد الشهداء يوم القيامة وقائدهم الى الجنة والله أعلم

﴿ مجلس فى مولد عيسى عليه السلام وفى حمل مريم بعيسى عليهما السلام وما يتعلق به ﴾

قال الله تعالى واذكر فى الكتاب مريم اذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا قالت العلماء باخبار الانبياء لما مضى من حمل عيسى عليه السلام ثلاثة أيام ومريم يومئذ بنت خمس عشرة سنة وقيل بنت ثلاث عشرة سنة وكان مع مريم فى المسجد من المحررين ابن عم لها يقال له يوسف النجار وكان رجلا حليما نجارا يتصدق بعمل يده وكان يوسف ومريم يليان خدمة الكنيسة وكانت مريم اذا نفد ماؤها وماء يوسف أخذ كل واحد منهما قلته وانطلق الى المغارة التى فيها الماء فيستقيان منه ثم يرجعان الى الكنيسة فلما كان اليوم الذى لقيها فيه جبريل عليه السلام وكان أطول يوم فى السنة وأشده حرا نفد ماؤها فقالت ألا تذهب بنا يا يوسف فنستقى فقال ان عندى لفضلا من ماء أكتفى به يومى هذا الى غد قالت ولكنى والله ما عندى ماء فأخذت قلتها ثم انطلقت وحدها حتى دخلت المغارة فوجدت عندها جبريل عليه السلام قد مثله الله لها بشرا سويا فقال لها يا مريم ان الله قد بعثنى اليك لاهب لك غلاما زكيا قالت انى أعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا أى مؤمنا مطيعا قال على بن أبى طالب كرم الله وجهه علمت ان التقى ذو رحمة وخشية وهى تحسبه رجلا من بنى آدم قال عكرمة وكان جبريل عرض لها فى صورة رجل شاب أمرد مضىء الوجه جعد الشعر سوى الخلق قالت الحكماء انما أرسله الله تعالى فى صورة البشر لتثبت مريم عليها وتقدر على استماع كلامه ولو نزل على صورته التى هو عليها لفزعت ونفرت منه ولم تقدر على استماع كلامه فلما استعاذت منه مريم قال انما أنا رسول ربك لاهب لك غلاما زكيا قالت أنى يكون لى غلام ولم يمسسنى بشر ولم أك بغيا قال كذلك قال ربك هو على هين الآية فلما قال لها ذلك استسلمت لقضاء الله فنفخ فى جيب درعها وكانت قد وضعته عنها فلما انصرف عنها لبست مريم درعها وحملت بعيسى عليه السلام ثم ملأت قلتها وانصرفت الى المسجد وقال السدى وعكرمة ان مريم عليها السلام كانت تكون فى المسجد ما دامت طاهرة فاذا حاضت تحولت الى بيت خالتها حتى اذا طهرت عادت الى المسجد فبينما هى تغتسل من الحيض وقد اتخذت مكانا شرقيا أى مشرقا لانه كان فى الشتاء فى أقصر يوم فى السنة (قال الحسن) انما اتخذت النصارى المشرق قبلة لان مريم انتبذت مكانا شرقيا فاتخذت فضربت من دونهم حجابا أى سترا وقال مقاتل جعلت الجبل بينها وبين قومها فبينما هى كذلك فى تلك الحالة اذ عرض لها جبريل وبشرها بعيسى ونفخ فى جيب درعها قال وهب فلما اشتملت على عيسى كان معها ذو قرابة لها يقال له يوسف النجار وكانا منطلقين الى المسجد الذى عند جبل صهيون وكان ذلك المسجد يومئذ من أعظم مساجدهم وكانت مريم ويوسف النجار يخدمان ذلك المسجد وكان لخدمته فضل عظيم وكانا يليان معالجته بأنفسهما وتجميره وتطهيره وكان لا يعلم فى زمانهما أشد اجتهادا وعبادة منهما وكان أول من أنكر حملها ابن عمها وصاحبها يوسف النجار فلما رأى الذى بها استعظمه واستفظعه ولم يدر ماذا يصنع من أمرها وكلما أراد أن يتهمها ذكر صلاحها وعبادتها وبراءتها وأنها لم تغب عنه ساعة واحدة واذا أراد أن يبرئها رأى الذى ظهر بها من الحمل فلما اشتد ذلك عليه كلمها فكان أول كلامه اياها أن قال لها انه قد وقع فى نفسى من أمرك شىء وقد حرصت على أن أكتمه فغلبنى ذلك ورأيت أن الكلام فيه أشفى لصدرى فقالت له قولا جميلا قال لها أخبرينى يا مريم هل نبت زرع بغير بذر قالت نعم قال فهل نبتت شجرة بغير غيث قالت نعم قال فهل يكون ولد من غير ذكر قالت ألم تعلم أن الله عز وجل أنبت الزرع يوم خلقه من غير بذر والبذر انما يكون من الزرع الذى أنبته من غير بذر ألم تعلم ان الله تعالى أنبت الشجر من غير غيث وبالقدرة جعل الغيث حياة الشجر بعد ما خلق الله كل واحد منهما على حدة أو تقول ان الله لا يقدر أن ينبت الشجر حتى استعان بالماء ولولا ذلك لم يقدر على

جالس بيننا فحلف بالطلاق الثلاث انه رآه فى ذلك اليوم بعرفة فقال له أخوه سر بنا اليه حتى نسأله عن حكم ذلك اليمين وعما جرى بيننا فى الاختلاف فى ذلك فقاما اليه وسلما عليه فرد عليهما السلام فسألاه عما جرى بينهما من هذا الحديث فقال سهل ما لكم فى هذا الحديث حاجة اشتغلوا بالله تعالى ثم التفت الى الحالف وقال له امسك عليك زوجك ولا تخبر بذلك أحدا بعد ذلك ثم مضى الى الجزيرة المذكورة هاربا من الناس عفا الله تعالى عنه ونفعنا به وببركته آمين ﴿ وحكى عن خادمة رابعة العدوية رضى الله تعالى عنها ﴾ انها قالت كانت رابعة العدوية تصلى الليل كله فاذا طلع الفجر هجعت هجعة فى مصلاها حتى يسفر الفجر فكنت أسمعها تقول اذا وثبت من مرقدها وهى فزعة يا نفس كم تنامين والى كم تقومين يوشك أنك تنامين نومة لا تقومين منها الا لصرخة يوم النشور فكان هذا دأبها حتى ماتت رحمة الله تعالى عليها (قالت) خادمتها رضى الله تعالى عنها لما حضرت وفاة رابعة أحضرتنى ثم قالت يا فلانة اذا أنا مت فلا تعلمى بى أحدا وكفنينى فى جبتى هذه وكانت جبتها من شعر كانت تقوم فيها اذا نامت عيون النائمين قالت فكفنتها فيها وفى خمار من صوف فلما دفنتها رأيتها فى المنام وعليها حلة خضراء

نباته قال يوسف لها لا أقول هذا ولكني أقول ان الله تعالى يقدر على ما يشاء يقول للشيء كن فيكون فقالت له مريم ألم تعلم أن الله خلق آدم وامرأته من غير ذكر ولا أنثى قال بلى فلما قالت له ذلك وقع في نفسه ان الذي بها شيء من أمر الله وانه لا يسعه أن يسألها عنه وذلك لما رأى من كتمانها لذلك ثم تولى يوسف خدمة المسجد وكفاها كل عمل كانت تعمل فيه لما رأى من رقة جسمها واصفرار لونها وكلف وجهها ونتو بطنها وضعف قوتها وكان جبل صهيون على باب بيت المقدس وسمعت من الثقات أن قبر داود عليه السلام فيه وثم كنيسة مشرفة على عين سلوان وسألت بعض الرهبان فقال هذا صهيون والكنيسة التي خدمت فيها مريم ويوسف هذه وقد أفصح فيها عيسى ودعا الخلق الى الله تعالى ثم نقل من هذه الى القمامة وهي كنيسة عظيمة داخل بيت المقدس يدعون أن عيسى عليه السلام لما قتل دفن فيها وبعد ثلاثة أيام عرج به الى السماء فلا ينقطع أبد الدهر منها وانه ينزل فيها والله أعلم

﴿ باب في ذكر ميلاده عليه السلام ﴾

قالوا فلما أثقلت مريم ودنا نفاسها أوحى الله تعالى اليها أن مسجد بيت المقدس بيت من بيوت الله تعالى الذي طهر ورفع ليذكر فيه اسمه فابرزي الى موضع تأوين فيه فتحولت مريم الى بيت خالتها أخت أمها أم يحيى فلما دخلت عليها قامت أم يحيى واستقبلتها فالتزمتها فقالت امرأة زكريا يا مريم أشعرت أني حبلى قالت مريم وأنت أيضا شعرت أني حبلى قالت امرأة زكريا اني أجد ما في بطني يسجد لما في بطنك فذلك قوله تعالى مصدقا بكلمة من الله فلما وافت بيت خالتها أوحى الله اليها انك ان ولدت بين أظهر قومك عيروك وقذفوك وقتلوك وولدك فاظعني من عندهم أي فاخرجي * وقال الكلبي قيل لابن عمها يوسف ان مريم حملت من الزنا الآن يقتلها الملك وكانت قد سميت له فهرب بها يوسف فاحتملها على حمار له ليس بينها وبين الاكاف شيء فانطلق بها يوسف حتى اذا كان قريبا من أرض مصر في منقطع بلاد قومها أدرك مريم النفاس فألجأها الى أصل نخلة يابسة وذلك في زمان الشتاء (قال الكلبي) لما كان يوسف ببعض الطريق أراد قتلها فأتاه جبريل عليه السلام فقال له انه من روح القدس فلا تقتلها واختلف العلماء في مدة حمل مريم عليها السلام ووقت وضعها عيسى عليه السلام فقال بعضهم كان مقدار حملها تسعة أشهر كحمل سائر النساء وقيل ثمانية أشهر وكان ذلك آية أخرى لانه لم يعش مولود لثمانية أشهر غير عيسى وقيل ستة أشهر وقيل ثلاث ساعات وقيل ساعة واحدة (وقال ابن عباس) ما هو الا أن حملت ووضعت ولم يكن بين الحمل والوضع والانتباذ الا ساعة واحدة لان الله تعالى لم يذكر بينهما فصلا قال الله عز وجل فحملته فانتبذت به مكانا قصيا أي بعيدا من قومها وقال مقاتل حملته أمه في ساعة وصور في ساعة ووضع في ساعة حين زالت الشمس من يومها وهي بنت عشرين سنة وقد كانت حاضت حيضتين قبل أن تحمل بعيسى قالوا فلما اشتد بها المخاض التجأت الى النخلة وكانت نخلة يابسة ليس لها سعف ولا كرانيف ولا عروق فاحتوشتها الملائكة وكانوا صفوفا محدقين بها أي محيطين بها وكانت تلك النخلة في موضع يقال له بيت لحم فقالت حين اشتد الامر ياليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا أي جيفة ملقاة فنوديت أن لا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا فذلك قوله تعالى فناداها من تحتها أن لا تحزني من قرأ بكسر الميم والتاء فهو جبريل عليه السلام ناداها من سفح الجبل ومن قرأ بفتح الميم والتاء فهو عيسى عليه السلام لما خرج من بطن أمه ناداها وكلمها باذن الله تعالى قالوا فلما ولدت عيسى أجرى الله لها نهرا من ماء عذب بارد اذا شربت منه وفاترا اذا استعملته فذلك قوله تعالى قد جعل ربك تحتك سريا وهو النهر الصغير قال ابن عباس ضرب عيسى وقيل جبريل عليه السلام برجله الارض فظهر الماء وحييت تلك النخلة بعد يبسها فتدلت غصونها وأورقت وأثمرت وأرطبت وقيل لها هزي اليك بجذع النخلة أي حركيه تساقط عليك رطبا جنيا غضا طريا قال الربيع بن خثيم ما للنفساء عندي خير من الرطب ولا للمريض خير من العسل وقال عمرو بن ميمون ما أدري للمرأة اذا عسرت عليها ولادتها خيرا من الرطب وقرأ هذه الآية قالت عائشة رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمضغ التمر ويحنك به أولاد الصحابة حين يولدون وقال بعض البلغاء في وصف التمر علة الصغير ونهلة الكبير قالوا ثم ان يوسف النجار عمد الى حطب فجعله كالحظيرة حواليها بالقرب منها اذ قد أضر بها البرد ثم أشعل لها نارا لتصطلي بها ثم كسر لها سبع جوزات كانت في خرجه فأطعمها اياها فمن أجل ذلك توقد النصارى النار ليلة

من استبرق وخمار من سندس أخضر فقلت لها يارابعة ما فعل الله بالجبة التي كفناك فيها والخمار الصوف قالت انه نزعهما عني وأبدلت هذا الذي رأيته وطويت أكفاني وختم عليها ورفعت في عليين ليكون لي ثوابها يوم القيامة قالت فقلت لمثل هذا فليعمل العاملون فقالت وما هذا من عند الله من اكرامه لاوليائه بشيء فقلت لها مريني بامر أتقرب به الى الله عز وجل فقالت عليك بذكر الله تعالى فانه يوشك أن تغبطي بذلك في قبرك رضي الله تعالى عنها (وحكى أحمد بن أبي الحواري عفا الله تعالى عنه) أنه قال كانت لرابعة العدوية أحوال شتى فكانت مرة يغلب عليها الحب ومرة يغلب عليها الانس ومرة يغلب عليها الخوف فكانت تنشد في الحب هذا الشعر

حبيبي لا يعادله حبيب · وما لسواه في قلبي نصيب
حبيب غاب عن بصري وشخصي · ولكن عن فؤادي لا يغيب

وسمعتها في حال الانس تقول هذا الكلام

ولقد جعلتك في الفؤاد محدثي * وأبحت جسمي من أراد جلوسي

الميلاد وتلعب بالجوز (قال وهب) فلما ولد عليه السلام أصبحت الاصنام كلها بكل أرض منكوسة على رؤسها ففزعت الشياطين ولم يدروا لم ذلك فساروا مسرعين حتى جاؤا الى ابليس لعنه الله وغضب عليه وهو على عرش له فى لجة خضراء يتمثل بالعرش يوم كان على الماء فأتوه وقد خلت ست ساعات من النهار فلما رأى ابليس اجتماعهم فزع من ذلك ولم يرهم جميعا منذ فرقهم قبل تلك الساعة وانما كان يراهم أشتاتا فسألهم فأخبروه أنه حدث فى الارض حدث فأصبحت الاصنام كلها منكوسة على رؤسها ولم يكن شئ أعون على هلاك بنى آدم منها لانهم كانوا يدخلون فى أجوافها فتكلمهم وتدبر أمرهم فيظنون أنها هى التى تكلمهم فلما أصابها هذا الحدث صغرها فى أعين الناس وأذلها وقد خشينا أن لا يعبدوها بعد هذا واعلم انا لم نكن نأتيك حتى أحصينا الارض وقلبنا البحار وكل شئ فلم نزدد بما أردنا الا جهلا فقال لهم ابليس فما يكون الأمر عظيم فكونوا مكانكم فطار ابليس عند ذلك ولبث عنهم ثلاث ساعات فمر فيهن بالمكان الذى ولد فيه عيسى فلما رأى الملائكة محدقين بذلك المكان علم أن ذلك الحدث فيه فأراد ابليس لعنه الله أن يأتيه من فوقه قال فاذا رؤس الملائكة ومناكبهم الى السماء ثم أراد أن يأتيه من تحت الارض فاذا أقدام الملائكة راسية فأراد أن يدخل من بينهم فمنعوه عن ذلك يدل عليه حديث النبى صلى الله عليه وسلم كل ابن آدم يطعن الشيطان فى جنبيه باصبعه حين يولد الا عيسى بن مريم عليه السلام حجبه الله تعالى عنه فذهب يطعن فطعن فى الحجاب قال وهب فذهب ابليس لعنه الله الى أصحابه فقال لهم ما جئتكم حتى أحصيت الارض كلها مشرقها ومغربها وبرها وبحرها والخافقين والجو الاعلى وكل هذا بلغته فى ثلاث ساعات ثم أخبرهم بمولد عيسى وقال ما اشتملت قبله رحم انثى على ولد الا بعلمى ولا وضعته الا وأنا حاضرها وانى لارجو أن يضل به أكثر ممن يهتدى به وما كان نبى أشد على وعليكم من هذا المولود ثم انه خرج قوم فى تلك الليلة يؤمونه من أجل نجم طلع كانوا من قبل يتحدثون أن مطلع ذلك النجم من علامات مولود فى كتاب دانيال فخرجوا يريدونه ومعهم الذهب والمر واللبان فمروا بملك من ملوك الشام فسألهم أين تريدون فأخبروه بذلك قال فما بال المر والذهب واللبان أهديتموه بهذه الاشياء قالوا تلك أمثاله لان الذهب سيد المتاع كله وكذلك هذا النبى صلى الله عليه وسلم سيد أهل زمانه ولان المر يجبر به الكسر والجرح وكذلك هذا النبى صلى الله عليه وسلم يشفى الله به كل سقيم ومريض ولان اللبان دخانه يدخل السماء ولا يدخلها دخان غيره وكذلك هذا النبى صلى الله عليه وسلم يرفعه الله الى السماء ولا يرفع فى زمانه أحد غيره فلما قالوا ذلك الملك حدث نفسه بقتله فقال لهم اذهبوا اذا علمتم بمكانه فاعلمونى بذلك فانى راغب فى مثل ما رغبتم فيه من أمره فانطلقوا حتى قدموا على مريم ودفعوا ما كان معهم من الهدية لها عليها السلام وأرادوا أن يرجعوا الى ذلك الملك ليعلموه بمكانه فلقيهم ملك وقال لهم لا ترجعوا اليه ولا تعلموه بمكانه فانه انما أراد قتله فانصرفوا فى طريق آخر * وقال مجاهد قالت مريم عليها السلام كنت اذا خلوت مع عيسى عليه السلام حدثنى وحدثته فاذا شغلنى عنه انسان سبح فى بطنى وأنا أسمع والله أعلم

﴿ باب فى رجوع مريم بابنها عيسى بعد ولادتها اياه الى جماعة قومها من بيت لحم ﴾

قال ثم ان جماعة من قومها لما شاء الله تعالى لامته مريم عليها السلام أمرها ويسر الله لها أسباب ولادتها قال كلى يا مريم من الرطب واشربى من الماء العذب وقرى عينا وطيبى نفسا فاما ترين من البشر أحدا فسألك عن ولدك أو لامك عليه فقولى انى نذرت للرحمن صوما أى صمتا وكذلك هو فى قراءة ابن مسعود وأنس وذلك أنهم كانوا اذا صاموا أمسكوا عن الطعام والشراب والكلام فلن أكلم اليوم انسيا فأتت به قومها تحمله قال الكلبى احتمل يوسف النجار مريم وعيسى الى غار فأدخلهما فيه أربعين يوما حتى تعالت من نفاسها ثم جاء بها فأتت مريم تحمله بعد أربعين يوما فكلمها عيسى فى الطريق فقال يا أماه ابشرى فانى عبد الله ومسيحه فلما دخلت على أهلها ومعها الصبى بكوا وحزنوا وكانوا أهل بيت صالحين فقالوا يا مريم لقد جئت شيأ فريا فظيعا عظيما يا أخت هرون قال قتادة كان هرون رجلا صالحا من أتقياء بنى اسرائيل وليس بهرون أخى موسى وذكروا أنه تبع جنازته يوم مات أربعون ألفا من بنى اسرائيل كلهم يسمى هرون * وقال وهب كان هرون من أفسق بنى اسرائيل وأظهرهم فسادا فشبهوها به ما كان أبوك عمران امرأ سوء وما كانت أمك بغيا أى زانية فمن أين لك هذا الولد فأشارت لهم مريم الى عيسى أن كلموه فغضبوا وقالوا كيف نكلم من كان فى المهد صبيا قال وهب فأتاها زكريا عليه السلام عند

فالجسم منى للجليس مؤانس * وحبيب قلبى فى الفؤاد أنيسى وسمعتها فى حال الخوف تقول وزادى قليل ما أراه مبلغى ألل زاد أبكى أم لطول مسافتى أتحرقنى بالنار يا غاية المنى فاين رجائى فيك أين مخافتى قال زوجها فقلت لها ليلة من الليالى وقد قامت من أول الليل يا رابعة ما رأيت من يقوم أول الليل غيرك فقالت سبحان الله أمثلك من يتكلم على ذلك انما أقوم والله اذا نوديت للقيام (قال) زوجها وجلست يوما من الايام آكل وهى جالسة بجانبى فقعدت تذكر أهوال يوم القيامة فقلت لها دعينا نتهنأ بطعامنا فقالت ليس أنا وأنت ممن يتنغص عليه الطعام بذكر الآخرة ثم قالت لى والله لست احبك حب الازواج انما أحبك حب الاخوان فكانت اذا طبخت قدرا قالت كله يا سيدى فما نضج الا بالتسبيح ثم قالت لى اذهب فتزوج فتزوجت بثلاث نساء فكانت تطعمنى اللحم وتقول اذهب بقوتك الى أهلك وكانت تأتيها الجن بكل ما تطلب وكان لها كرامات خارقة حتى ماتت رحمها الله تعالى ونفعنا ببركاتها آمين (وروى) عن عمرة زوجة حبيب العجمى رضى الله تعالى عنهما انها كانت توقظ زوجها بالليل وتقول له قم يا رجل قد ذهب الليل

مناظرتها اليهود وقيل لعيسى انطق بحجتك ان كنت أمرت بها فقال عند ذلك عيسى عليه السلام وهو ابن أربعين يوما انى عبد الله آتانى الكتاب الآية فاقر على نفسه بالعبودية أول ما تكلم تكذيبا للنصارى والزاما للحجة عليهم * قال عمرو بن ميمون ان مريم لما أتت قومها بعيسى أخذوا الحجارة وأرادوا أن يرجموها فلما تكلم عيسى تركوها قالوا ثم لم يتكلم بشئ بعدها حتى كان بمنزلة غيره من الصبيان والله أعلم

﴿ باب فى ذكر خروج مريم وعيسى عليهما السلام الى مصر ﴾

قال الله تعالى وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين قالوا كان مولد عيسى بعد مضى اثنين وأربعين سنة من ملك أغسطوس واحدى وخمسين سنة مضت من ملك الاشكانيين ملوك الطوائف وكانت المملكة فى ذلك الوقت لملوك الطوائف وكانت الرياسة فى الشام ونواحيها لقيصر ملك الروم وكان الملك عليها من قبل قيصر هردوس فلما عرف هردوس ملك بنى اسرائيل خبر المسيح قصد قتله وذلك أنهم نظروا الى نجم قد طلع فعرفوا ذلك بحساب عندهم فى كتاب لهم فبعث الله ملكا الى يوسف النجار وأخبره بما أراد هردوس وامره أن يهرب بالغلام وأمه الى مصر وأوحى الله الى مريم أن الحقى بمصر فان هردوس ان ظفر بابنك قتله فاذا مات هردوس فارجعى الى بلادك فاحتمل يوسف مريم وابنها على حمار له حتى ورد أرض مصر وهى الربوة التى قال الله تعالى وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين (ذكر أبو اسحق الثعلبى) فى التفسير ذات قرار ومعين قال عبد الله بن سلام هى دمشق وقال أبو هريرة هى الرملة وقال قتادة وكعب هى بيت المقدس وقال كعب هى أقرب الارض الى السماء وقال أبو زيد هى مصر وقال الضحاك هى عرصة دمشق وقال أبو العلياء هى ايلياء وقال القرار الارض المستوية والمعين الماء الطاهر فأقامت مريم بمصر اثنتى عشرة سنة تغزل الكتان وتلتقط السنبل فى أثر الحصادين وكانت تلتقط السنبل والمهد فى منكبها والوعاء الذى فيه السنبل فى منكبها الآخر حتى تم لعيسى اثنتا عشرة سنة وروى عن محمد بن على الباقر رضى الله عنه أنه قال لما ولد عيسى كان ابن يوم كأنه ابن شهر فلما كان ابن تسعة أشهر أخذت والدته بيده وجاءت به الى الكتاب وأقعدته بين يدى المؤدب فقال له المؤدب قل بسم الله الرحمن الرحيم فقالها عيسى فقال المؤدب قل (أبجد) فرفع عيسى عليه السلام رأسه فقال له هل تدرى ما أبجد فعلاه بالقضيب ليضربه فقال يا مؤدب لا تضربنى ان كنت تدرى والا فاسألنى حتى أفسر لك فقال له المؤدب فسر لى فقال عيسى الالف لا اله الا الله والباء بهجة الله والجيم جلال الله والدال دين الله (هوز) الهاء هى جهنم وهى الهاوية والواو ويل لاهل النار والزاى زفير أهل جهنم (حطى) حطت الخطايا عن المستغفرين (كلمن) كلام الله غير مخلوق ولا مبدل لكلماته (سعفص) صاع بصاع والجزاء بالجزاء (قرشت) تقرشهم حين تحشرهم أى تجمعهم فقال المؤدب لامه أيتها المرأة خذى ابنك فقد علم ولا حاجة له الى المؤدب (أخبرنا) الحسين بن محمد بن الحسين المفسر باسناده عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان عيسى أرسلته أمه ليتعلم فقال له المعلم قل بسم الله فقال عيسى وما بسم الله قال المعلم ما أدرى قال عيسى الباء بهاء الله والسين سناء الله والميم مملكته جل وعلا والله أعلم

﴿ باب فى صفة عيسى وحليته عليه السلام ﴾

قال كعب الاحبار كان عيسى بن مريم رجلا أحمر مائلا الى البياض سبط الرأس ولم يدهن رأسه قط وكان عيسى يمشى حافيا ولم يتخذ بيتا ولا حلية ولا متاعا ولا ثيابا ولا رزقا الا قوت يومه وكان حيثما غابت الشمس صف قدميه وصلى حتى يصبح وكان يبرئ الاكمه والابرص ويحيي الموتى باذن الله وكان يخبر قومه بما يأكلون فى بيوتهم وما يدخرون لغد وكان يمشى على وجه الماء فى البحر وكان أشعث الرأس صغير الوجه زاهدا فى الدنيا راغبا فى الآخرة حريصا على عبادة الله وكان سياحا فى الارض حتى طلبته اليهود وأرادوا قتله فرفعه الله الى السماء والله أعلم

﴿ باب فى ذكر الآيات والمعجزات التى ظهرت لعيسى عليه السلام فى صباه الى أن نبئ ﴾

قال وهب كان أول آية رآها الناس من عيسى أن أمه كانت نازلة فى دار دهقان من أرض مصر أنزلها بها يوسف النجار حين ذهب بها الى مصر وكانت دار ذلك الدهقان تأوى اليها المساكين فسرق للدهقان مال من خزانته فلم يتهم المساكين فحزنت مريم لمصيبة ذلك الدهقان فلما رأى عيسى حزن أمه لمصيبة صاحب ضيافتها قال لها يا أماه أتحبين ان أدله على ماله قالت نعم يا بنى قال لها قولى له يجمع لى المساكين فى داره فقالت مريم للدهقان ذلك فجمع

وبين يديك طريق بعيدة والزاد قليل وقوافل الصالحين قد سارت رضى الله عنهم أجمعين ﴿ وقال بعضهم عفا الله عنه ونفعنا به ﴾ تزوجت امرأة جميلة حسنة الخلق فكانت اذا صلت العشاء لبست ثيابها وتطيبت وتبخرت ثم تأتينى وتقول لى ألك من حاجة يا سيدى فان قلت نعم كانت معى وان قلت لا تمضى وتنزع ثيابها وتلبس ثيابا غيرها وتصلى الى الصباح فكان هذا دأبها وطريقها رضى الله تعالى عنها ﴿ وحكى عن بعض أصحاب أحمد ابن حنبل رضى الله تعالى عنه ﴾ قال لما مات أحمد ابن حنبل رضى الله عنه رأيته فى المنام وهو يمشى ويتبختر فى مشيته فقلت له يا أخى أى مشية هذه فقال مشية الخدام فى دار السلام فقلت ما فعل الله بك فقال غفر لى وألبسنى نعلين من ذهب أحمر وقال هذا بقولك القرآن كلام الله منزل غير مخلوق ثم قيل لى يا أحمد قم حيث شئت فدخلت الجنة فاذا بسفيان الثورى رضى الله عنه له جناحان يطير بهما من شجرة الى أخرى وهو يقرأ هذه الآية الحمد لله الذى صدقنا وعده وأورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين قال فقلت له ما فعل الله بعبد الرزاق الواعظ قال تركته فى بحر من نور فى مركب من نور يراد به العزيز الغفور فقلت ما فعل الله ببشر بن الحرث فقال

له

نه المساكين فلما اجتمعوا عمد الى رجلين منهم أحدهما أعمى والآخر مقعد فحمل المقعد على عاتق الاعمى وقال له قم به فقال الاعمى أنا أضعف عن ذلك فقال له عيسى كيف قويت على ذلك البارحة فلما سمعوه يقول ذلك ضربوا الاعمى حتى قام فلما استقل قائما هوى المقعد الى كوة الخزانة فقال عيسى للدهقان هكذا احتالا على مالك البارحة لان الاعمى استعان بقوته والمقعد بعينيه فقال الاعمى والمقعد صدق والله فردا على الدهقان ماله كله فأخذه الدهقان و وضعه فى خزانته وقال يا مريم خذى نصفه فقالت انى لم أخلق لذلك قال الدهقان فاعطيه لابنك قالت هو أعظم شأنا منى ثم لم يلبث الدهقان أن أعرس لابن له فصنع له عيدا فجمع عليه أهل مصر كلهم فكان يطعمهم شهرين فلما انقضى ذلك زاره قوم من أهل الشام ولم يعلم الدهقان بهم حتى نزلوا به وليس عنده يومئذ شراب فلما رأى عيسى اهتمامه بذلك دخل بيتا من بيوت الدهقان فيه صفان من جرار فأمر عيسى يده على أفواهها وهو يمشى فكلما أمر يده على جرة امتلأت شرابا حتى أتى عيسى على آخرها وهو يومئذ ابن اثنتى عشرة سنة (آية أخرى) قال السدى كان عيسى عليه السلام اذا كان فى الكتاب يحدث الصبيان بما يصنع آباؤهم و يقول للغلام انطلق فقد أكل أهلك كذا وكذا و رفعوا لك كذا وكذا وهم يأكلون كذا وكذا فينطلق الصبى الى أهله فيبكى عليهم حتى يعطوه ذلك الشىء فيقولون له من أخبرك بهذا فيقول عيسى فحبسوا عنه صبيانهم وقالوا لا تلعبوا مع هذا الساحر فجمعوهم فى بيت فجاء عيسى يطلبهم فقالوا ليسوا ههنا فقال لهم فما فى هذا البيت قالوا خنازير قال كذلك يكونون ففتح عنهم فاذا هم خنازير ففشا ذلك فى الناس فهمت به بنو اسرائيل فلما خافت عليه أمه حملته على حمار لها وخرجت هاربة الى مصر (آية أخرى) قال السدى لما خرج عيسى وأمه عليهما السلام يسيحان فى الارض اذ جاآ بنى اسرائيل ونزلا فى قرية على رجل فاضافهما وأحسن اليهما وكان ملك ذلك الوقت جبارا عنيدا فجاء ذلك الرجل يوما مهتما حزينا فدخل منزله ومريم عند امرأته فقالت لها مريم ما شأن زوجك أراه حزينا فقالت لها لا تسأليني فقالت أخبرينى لعل الله يفرج كربته على يدى فقالت ان لنا ملكا يجعل على كل رجل منا نوبة يطعمه و يسقيه الخمر هو وجنوده فان لم يفعل عاقبه واليوم يومنا وليس عندنا سعة قالت فقولى له لا يهتم له بشىء فانه قد أحسن الينا وانى آمر ابنى أن يدعو له فيكفى ذلك ثم قالت مريم لعيسى فقال ان فعلت ذلك يقع شر قالت فلا نبالى لانه أحسن الينا وأكرمنا قال عيسى فقولى له اذا اقترب ذلك فاملأ قدورك وخوابيك ماء ثم أعلمنى ففعل ذلك فدعا عيسى فتحول ماء القدور لحما ومرقا وماء الخوابى خمرا لم ير الناس مثله قط فلما جاء الملك أكل فلما شرب سأل من أين هذا الخمر قال له من أرض كذا وكذا قال الملك فان خمرى قد أتى بها من تلك الارض وليست مثل هذه فقال له من أرض أخرى فلما خلط على الملك وشبه عليه قال أخبرنى على الحق قال فانا أخبرك عندى غلام ما سأل الله شيأ الا أعطاه اياه وانه دعا الله تعالى فجعل الماء خمرا وكان للملك ابن يريد أن يستخلفه فمات قبل ذلك بايام وكان أحب الخلق اليه فقال الملك ان رجلا دعا الله حتى جعل الماء خمرا ليستجاب له حتى يحيى ابنى فدعا عيسى وكلمه فى ذلك فقال له عيسى لا تفعل لانه ان عاش وقع شر فقال الملك لا أبالى بعد أن أراه قال عيسى ان أحييته تتركونى أنا وأمى نذهب حيث نشاء قال نعم فدعا الله تعالى فعاش الغلام فلما رآه أهل مملكته قد عاش تبادروا بالسلاح وقالوا أكلنا هذا حتى اذا دنا موته يريد أن يستخلف علينا ابنه فيأكلنا كما أكلنا أبوه فاقتتلوا وذهب عيسى وأمه (آية أخرى) قال وهب بينما عيسى يلعب مع الصبيان اذ وثب غلام على صبى فوكزه برجله فقتله فالقاه بين يدى عيسى وهو ملطخ بالدم فاطلع الناس عليه فاتهموه به فأخذوه وانطلقوا به الى قاضى مصر فقالوا له هذا قتل فسأل القاضى فقال عيسى لا أدرى من قتله وما أنا بصاحبه فارادوا أن يبطشوا بعيسى عليه السلام فقال لهم ائتونى بالغلام فقالوا له ما تريد منه قال أريد أن أسأله من قتله قالوا وكيف يكلمك وهو ميت فأخذوه وأتوا به الى مقتل الغلام فأقبل عيسى على الدعاء فاحياه الله تعالى فقال له عيسى من قتلك قال قتلنى فلان على الذى قتله فقال بنو اسرائيل من هذا قال هذا عيسى بن مريم قالوا فمن هذا الذى معه قال قاضى بنى اسرائيل ثم مات الغلام من ساعته فرجع عيسى الى أمه وتبعه خلق كثير من الناس فقالت له أمه يا بنى ألم أنهك عن هذا فقال لها ان الله حافظنا وهو أرحم الراحمين (آية أخرى) قال عطاء سلمت مريم عيسى بعدما أخرجته من الكتاب الى أعمال شتى فكان آخر ما دفعته الى الصباغين فدفعته الى رئيسهم ليتعلم منه فاجتمع عنده ثياب مختلفات فعرض للرجل سفر

بخ بخ ومن مثل بشر بن الحرث تركته على مائدة بين يدى الجليل وهو مقبل عليه و يقول له كل يامن لم تأ كل واشرب يامن لم تشرب وتنعم يامن لم تتنعم فقلت ما فعل الله بمعروف الكرخى فقال تركته تحت العرش والحق جل جلاله يقول للملائكة من هذا فقالوا يارب أنت أعلم فقال هذا معروف الكرخى سكران بحبى فلا يفيق الا بلقائى (وقال) الربيع ابن سليمان رأيت الامام الشافعى رضى الله عنه فقلت يا أبا عبد الله ما فعل الله بك فقال أجلسنى على كرسى من ذهب ونثر على اللؤلؤ الرطب واباح لى الجنة وهذا من بعض مناقبهم رضى الله عنهم ﴿وحكى عن بعضهم رضى الله عنه﴾ أنه قال كنت فى مركب سنة من السنين وكان فى المركب رجل من أهل الخير وكان ضعيفا فلما مات أخذنا فى غسله وتجهيزه وأردنا القاءه فى البحر فبينما نحن كذلك اذا البحر قد انشق ونزلت السفينة الى أرض فخرجنا منها ونظرنا فاذا بقبر مرخم وليس فيه أحد فدفناه فيه فلما فرغنا من دفنه استوى الماء وارتفعت السفينة فتعجبنا من ذلك وسرنا رحمة الله عليه ﴿وحكى عن الشيخ أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه﴾ أنه قال كنت بمكة سنة من السنين فمررت بباب بنى شيبة فرأيت شابا حسن الشباب وهو ملقى على الارض ميتا فنظرت فى وجهه فرأيته يضحك

فقال لعيسى انك قد تعلمت هذه الحرفة وأنا خارج فى سفر لا أرجع الى عشرة أيام وهذه ثياب مختلفات الالوان وقد علمت كل واحد منها على اللون الذى يصنع به فاحب أن تكون فارغا منها وقت قدومى ثم خرج فطبخ عيسى عليه السلام حبا واحدا على لون واحد وأدخل فيه جميع الثياب وقال لها كونى باذن الله تعالى على ما أريد منك فقدم الصباغ والثياب كلها فى حب واحد فقال يا عيسى ما فعلت قال فرغت منها قال أين هى قال فى الحب فقال كلها قال نعم قال كيف تكون كلها فى حب واحد لقد أفسدت تلك الثياب قال قم فانظر فقام فاخرج عيسى ثوبا أصفر وثوبا أخضر وثوبا أحمر الى أن أخرجها على الالوان التى أرادها فجعل الصباغ يتعجب وعلم ان ذلك من الله عز وجل فقال الصباغ للناس تعالوا انظروا الى ما فعل عيسى عليه السلام فآمن به هو وأصحابه وهم الحواريون والله عز وجل أعلم

﴿باب فى ذكر رجوع مريم وعيسى عليهما السلام الى بلادهما بعد موت هردوس﴾

قال وهب لما مات هردوس الملك بعد اثنتى عشرة سنة من مولد عيسى عليه السلام أوحى الله تعالى الى مريم يخبرها بموت هردوس ويأمرها بالرجوع مع ابن عمها يوسف النجار الى الشام فرجع عيسى وأمه عليهما السلام وسكنا فى جبل الخليل فى قرية يقال لها ناصرة وبها سميت النصارى وكان عيسى يتعلم فى الساعة علم يوم وفى اليوم علم شهر وفى الشهر علم سنة فلما تمت له ثلاثون سنة أوحى الله تعالى اليه أن يبرز للناس ويدعوهم الى الله ويضرب لهم الامثال ويداوى المرضى والزمنى والعميان والمجانين ويقمع الشياطين ويزجرهم ويذلهم وكانوا يموتون من خوفه ففعل ما أمره به فأحبه الناس ومالوا اليه واستأنسوا به وكثرت أتباعه وعلا ذكره وربما اجتمع عليه من المرضى والزمنى فى الساعة الواحدة خمسون ألفا فمن أطاق منهم أن يمشى مشى اليه ومن لم يطق وصل اليه عيسى عليه السلام وانما كان يداويهم بالدعاء بشرط الايمان * ودعاؤه الذى كان يشفى به المرضى ويحيى به الموتى اللهم أنت اله من فى السماء واله من فى الارض لا اله فيهما غيرك وأنت جبار من فى السموات وجبار من فى الارض لا جبار فيهما غيرك وأنت ملك من فى السموات وملك من فى الارض لا ملك فيهما غيرك وأنت حكم من فى السموات وحكم من فى الارض لا حكم فيهما غيرك قدرتك فى الارض كقدرتك فى السماء وسلطانك فى الارض كسلطانك فى السماء أسألك باسمائك الكرام انك على كل شئ قدير

﴿باب فى قصة الحواريين عليهم السلام﴾

قال الله تعالى فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصارى الى الله قال الحواريون نحن أنصار الله آمنا بالله واشهد بانا مسلمون وقال الله عز وجل واذ أوحيت الى الحواريين أى ألهمتهم ووفقتهم أن آمنوا بى وبرسولى قالوا آمنا واشهد باننا مسلمون اعلم أن الحواريين كانوا أصفياء عيسى بن مريم وأولياءه وأرضياءه وأنصاره ووزراءه وكانوا اثنى عشر رجلا وأسماؤهم شمعون الصفار المسمى بطرس واندراوس أخوه ويعقوب بن زبدى ويحيى أخوه وفيلبس وبرتولوماوس وتوماومتى العشار ويعقوب بن حلفا وليا الذى يدعى تداوس وشمعون القنانى ويهوذا الاسخريوطى عليهم السلام (واختلف) العلماء فيهم ولم سموا بذلك قال ابن عباس كانوا صيادين يصطادون السمك فمر بهم عيسى فقال لهم ما تصنعون قالوا نصطاد السمك فقال لهم ألا تمشون معى حتى نصطاد الناس قالوا له وكيف ذلك قال ندعوا الى الله قالوا ومن أنت قال أنا عيسى بن مريم عبد الله ورسوله قالوا فهل يكون أحد من الانبياء فوقك قال نعم النبى العربى فاتبعه أولئك وآمنوا به وانطلقوا معه قال السدى كانوا ملاحين قال ابن أرطاة كانوا قصارين سموا بذلك لانهم كانوا يحورون الثياب أى يبيضونها (أخبرنا) ابن فتحويه باسناده عن مصعب قال الحواريون اثنا عشر رجلا اتبعوا عيسى فكانوا اذا جاعوا قالوا يا روح الله جعنا فيضرب بيده الى الارض سهلا كان أو جبلا فيخرج لكل انسان رغيفين فيأكلهما واذا عطشوا قالوا يا روح الله عطشنا فيضرب الارض سهلا كان أو جبلا فيخرج الماء فيشربون فقالوا يا روح الله من أفضل منا اذا شئنا أطعمتنا واذا شئنا أسقيتنا وآمنا بك واتبعناك قال أفضل منكم من يعمل بيده ويأكل من كسبه قال فساروا يعملون الثياب بالكراء قال ابن عون صنع ملك من الملوك طعاما فدعا الناس اليه وكان عيسى على قصعة فكانت القصعة لا تنقص فقال له الملك من أنت قال أنا عيسى بن مريم قال الملك انى أترك ملكى واتبعك فانطلق بمن اتبعه منهم وهم الحواريون وقيل هو الصباغ وأصحابه وقد مضت القصة قال الضحاك سموا حواريين لصفاء قلوبهم وقال عبد الله بن المبارك سموا حواريين لانهم كانوا نورانيين عليهم أثر العبادة ونورها وبياضها وبهاؤها

فتعجبت من ذلك فقال لى يا أبا سعيد أتعجب من موتى وأنت تعرف ان الاحباء احياء فهم وان ماتوا انما والله ينقلون من دار الى دار قال أبو سعيد فدهشت من ذلك ثم أخذت فى غسله وتجهيزه ودفنته وانا متحير فى أمرى متفكر فيما رأيته رضى الله تعالى عنه ﴿وحكى عن أبى يعقوب السوسى نفعنا الله ببركاته﴾ انه قال جاءنى بعض المريدين بمكة وسلم على وقال يا أستاذى غدا عند الظهر أموت فخذ هذا الدينار فكفنى بنصفه واحفر لى قبرا بنصفه ثم امض من عندى فلما كان الغد عند الظهر جاء فطاف سبعا ثم امتد نحو القبلة فمات رحمة الله تعالى عليه فنظرت فى وجهه ففتح عينيه فى وجهى وهو يضحك فقلت له يا أخى أنت ميت أم حى فقال بل حى وكل محب لله فهو حى قال فتعجبت منه ثم أخذت فى غسله وتكفينه وتجهيزه ودفنه رضى الله تعالى عنه ﴿وحكى عن الشيخ أبى على الروذبارى عفا الله عنه﴾ أنه قال ورد على جماعة من الفقراء فمرض منهم رجل ومكث فى مرضه أياما كثيرة فمل أصحابه من خدمته وشكوا الى ذلك فخالفت نفسى وحلفت أن لا يتولى خدمته أحد غيرى فصرت أخدمه بنفسى أياما حتى مات رحمة الله تعالى عليه ثم غسلته وكفنته وصليت عليه ولحدته فينما

واصل

وأصل الحور عند العرب شدة البياض ومنه الاحور والحور وقال الحسن الحواريون الانصار وقال قتادة هم الذين تصلح لهم الخلافة وقال النضر بن شميل الحوارى خاصة الرجل ومن يستعين به فيما ينوبه ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم لكل نبي حوارى وحوارى الزبير فهؤلاء حواريو عيسى بن مريم عليه السلام فأما حواريو هذه الامة فأخبرنا الحسين بن محمد الدينورى باسناده عن سفيان بن معمر أن قتادة قال ان الحواريين كلهم من قريش وهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وحمزة وجعفر وأبو عبيدة بن الجراح وعثمان بن مظعون وعبد الرحمن ابن عوف وسعد بن أبي وقاص وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام رضى الله عنهم أجمعين

﴿ ذكر خصائص عيسى عليه السلام والمعجزات التى ظهرت على يديه بعد مبعثه الى أن رفع صلوات الله عليه ﴾

منها تأييد الله اياه بروح القدس قال عز من قائل وأيدناه بروح القدس ونظيرها فى سورة المائدة اذ قال الله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتى عليك وعلى والدتك اذ أيدتك بروح القدس واختلفوا فيه فقال الربيع بن أنس هو الروح الذى نفخ فيه الروح أضافه سبحانه الى نفسه تكريما وتخصيصا نحو بيت الله وناقة الله والقدس هو الله تعالى يدل عليه قوله تعالى وروح منه فنفخنا فيه من روحنا وقال آخرون أراد بالقدس الطهارة أى الروح الطاهرة وسمى عيسى عليه السلام روحا لانه لم تتضمنه أصلاب الفحول ولم تشتمل عليه أرحام الطوامث انما كان أمرا من الله تعالى قال السدى وكعب روح القدس جبريل وتأييد عيسى بجبريل عليهما السلام هو أنه كان قرينه ورفيقه يعينه ويسير معه حيثما سار الى أن صعد به الى السماء وقال سعيد بن جبير وعبيد بن عمير هو اسم الله الاعظم وبه كان يحيي الموتى ويرى الناس تلك العجائب (ومنها) تعليم الله اياه الانجيل والتوراة وكان يقرؤهما من حفظه كما قال الله تعالى واذ علمتك الكتاب أى الخط قيل الخط عشرة أجزاء فتسعة منها لعيسى والحكمة والتوراة والانجيل (ومنها) خلقه الطير من الطين كما قال الله تعالى مخبرا عنه أنى قد جئتكم بآية من ربكم أنى أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا باذن الله وقال تعالى واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذنى فكان يصور من الطين كهيئة الطير ثم ينفخ فيه فيكون طيرا باذن الله ولم يخلق غير الخفاش وانما خص بالخفاش لانه أكمل الطير خلقا فيكون أبلغ فى القدرة لان له ثديا وأسنانا ويلد ويحيض ويطير (قال وهب) كان يطير ما دام الناس ينظرون اليه فاذا غاب عنهم سقط ميتا ليتميز فعل الخلق عن فعل الله تعالى وليعلم ان الكمال لله عز وجل (ومنها) ابراء الاكمه والابرص كما قال تعالى وتبرئ الاكمه والابرص باذنى والابرص الذى به وضح والاكمه الذى ولد أعمى ولم يبصر ضوأ قط ولم يكن فى الاسلام أكمه غير قتادة وانما خص هذين لانهما أعييا الاطباء وكان الغالب على زمان عيسى الطب فأراهم المعجزة من جنس ذلك وروى أن عيسى عليه السلام مر بدير فيه عميان فقال ما هؤلاء فقيل هؤلاء قوم طلبوا القضاء فطمسوا أعينهم بأيديهم فقال لهم ما دعاكم الى هذا قالوا خفنا عاقبة القضاء فصنعنا بأنفسنا ما ترى فقال أنتم العلماء والحكماء والاحبار والافاضل امسحوا أعينكم بأيديكم وقولوا بسم الله ففعلوا ذلك فاذا هم جميعا قيام ينظرون (ومنها) احياؤه الموتى باذن الله قال تعالى واذ تخرج الموتى باذنى وأحيا منهم أمواتا منهم العاذر وكان صديقا له فأرسلت أخته الى عيسى أن أخاك العاذر يموت فأته وكان بينه وبينه مسيرة ثلاثة أيام فأتاه هو وأصحابه فوجدوه قد مات منذ ثلاثة أيام فقالوا لاخته انطلقى بنا الى قبره فانطلقت معهم الى قبره وهو فى صخرة مطبقة فقال عيسى اللهم رب السموات السبع والارضين السبع انك أرسلتنى الى بنى اسرائيل أدعوهم الى دينك وأخبرتهم انى أحيي الموتى باذنك فأحى العاذر فقام العاذر وخرج من قبره وبقى وولد له ومنها ابن العجوز * وكانت القصة فيه أن عيسى مر فى سياحته ومعه الحواريون بمدينة فقال ان فى هذه المدينة كنزا فمن يذهب يستخرجه لنا فقالوا يا روح الله لا يدخل هذه القرية أحد غريب الا قتلوه فقال لهم عيسى مكانكم حتى أعود اليكم فمضى حتى دخل المدينة فوقف على باب فقال السلام عليكم يا أهل الدار غريب اطعموه فقالت له امرأة عجوز أما ترضى أن أدعك لا أذهب بك الى الوالى حتى تقول أطعمونى فبينما عيسى بالباب اذ أقبل الفتى ابن العجوز فقال له عيسى أضفنى ليلتك هذه فقال له الفتى مثل مقالة العجوز فقال له عيسى أما انك لو فعلت ذلك زوجتك بنت الملك فقال له الفتى اما أن تكون مجنونا واما أن تكون عيسى بن مريم قال أنا عيسى فأضافه وبات عنده فلما أصبح قال له اغد وادخل على الملك وقل له جئت أخطب ابنتك فانه سيأمر بضربك واخراجك فمضى الفتى حتى

أنا عند اضجاعه فى قبره اذ نظرت الى عينيه فوجدتهما مفتوحتين ثم أقسم وقال يا أبا على لأنصرنك بجاهى يوم القيامة كما نصرتنى وخالفت نفسك وخدمتنى ثم أسبل عينيه رضى الله تعالى عنه ونفعنا والمسلمين ببركاته ﴿ وحكى عن بعضهم رضى الله تعالى عنه ﴾ أنه قال قصد جماعة من الفقهاء زيارة بعض المشايخ وكان رجلا عالما وليا زاهدا ورعا فلما حضروا بين يديه أقيمت الصلاة فصلوا خلفه فسمعوه يلحن فى قراءته فتغير اعتقادهم فيه فكاشف عليهم الشيخ فلما ناموا سلط الله عليهم الاحتلام فاحتلموا كلهم فى تلك الليلة فخرجوا الى البحر ليغتسلوا فوضعوا ثيابهم الى جانب البحر ونزلوا جميعا فى الماء وكان ذلك فى زمن الشتاء فجاء الاسد فجلس على ثيابهم فلاقوا من البرد شدة عظيمة ولم يعرفوا أن الشيخ علم بحالهم فبينما هم كذلك اذ الشيخ قد أقبل وقال لهم أنتم استوجبتم البلل ثم أخذ بأذن الاسد وقال له أما قلت لك لا تتعرض لضيفانى فخرجوا من الماء ولبسوا ثيابهم ثم أتوا الى الشيخ يعتذرون له ويقبلون يديه ويستغفرون الله تعالى فقال لهم الشيخ أنتم اشتغلتم باصلاح الظاهر فخفتم الاسد ونحن اشتغلنا باصلاح الباطن فخافنا الاسد رضى الله تعالى عنه ورضى عنا وعن جميع المسلمين ببركاته ﴿ وحكى عن بعضهم رضى

دخل على الملك فقال له جئت اليك أخطب ابنتك فأمر بضربه فضرب وأخرج فرجع الفتى الى عيسى فأخبره الخبر فقال اذا كان غدا فاذهب اليه واخطب ابنته فانه ينالك بدون ذلك ففعل الفتى ما أمره عيسى فضرب به دون ذلك الضرب الاول فرجع الى عيسى فأخبره فقال ارجع اليه فانه سوف يقول لك أنا أزوجك ابنتي على حكمي وحكمي قصر من ذهب وفضة وما فيه من ذهب وفضة وزبرجد فقل له أفعل ذلك فاذا بعث معك أحدا فاخرج به فانك سوف تجده فلا تحدث فيه شيأ ثم انه دخل على الملك فخطب فقال تصدقها بحكمي فقال وما حكمك فحكم بالذى سماه عيسى فقال نعم رضيت ابعث من يقبض ذلك فبعث معه رجالا فسلم اليهم ما سأله الملك فتعجب الناس من ذلك فسلم اليه الملك ابنته فتعجب الفتى من ذلك وقال يا روح الله تقدر على مثل هذا وأنت على مثل هذه الحالة فقال له عيسى انى آثرت ما يبقى على ما يفنى فقال الفتى أنا أيضا أدعه وأصحبك فتخلى عن الدنيا واتبع عيسى فأخذ عيسى بيده وأتى به أصحابه وقال لهم هذا الكنز الذى قلت لكم فكان معه ابن العجوز الى أن مات ومر به وهو ميت على سرير فدعا الله عيسى فجلس على سريره ونزل من على أعناق الرجال ولبس الثياب وحمل السرير على عنقه ورجع الى أهله فبقي وولد له (ومنها) ابنة العشار رجل كان يأخذ العشر قيل له أتحييها وقد ماتت بالامس فدعا الله عز وجل فعاشت وبقيت وولد لها (ومنها) سام بن نوح قال له الحواريون وهو يصف لهم سفينة نوح قالوا له لو بعثت لنا من شهد السفينة فينعت لنا ذلك فقام وأتى تلا فضرب بيده وأخذ قبضة من تراب وقال هذا قبر سام بن نوح ان شئتم أحييته لكم قالوا نعم فدعا الله باسمه الاعظم وضرب التل بعصاه وقال احي باذن الله فخرج سام بن نوح من قبره وقد شاب نصف رأسه فقال أقد قامت القيامة قال لا ولكني دعوتك باسم الله الاعظم قال ولم يكونوا يشيبون فى ذلك الزمان وكان سام قد عاش خمسمائة سنة وهو شاب ثم أخبرهم بخبر السفينة فقال له عيسى مت فقال بشرط أن يعيذني الله من سكرات الموت فدعا الله عيسى عليه السلام ففعل ذلك وقد ذكر هذا الخبر فى قصة نوح عليه السلام (ومنها) عزير عليه السلام قالوا لعيسى عليه السلام أحيه والا أحرقناك بالنار وجمعوا له حطبا كثيرا من حطب الكرم وكانوا فى ذلك الوقت يدفنون موتاهم فى صناديق من حجارة مطبقة فوجدوا قبر عزير مكتوبا على ظهره اسمه فعالجوه ليفتحوه فلم يقدروا أن يخرجوه من قبره فرجعوا الى عيسى فأخبروه فناولهم اناء فيه ماء وقال لهم انضحوا قبره بهذا الماء ففعلوا فانفتح الطبق فأتوا به عيسى وهو فى أكفانه والارض لا تأكل أجساد الانبياء ثم انه نزع ثيابه عنه ثم جعل ينضح على جسده الماء ولحمه وشعره ينبت ثم قال احي يا عزير باذن الله تعالى فاذا هو جالس وكل ذلك تراه أعينهم فقالوا يا عزير ما تشهد لهذا الرجل يعنون عيسى فقال أشهد أنه عبد الله ورسوله فقالوا يا عيسى ادع لنا ربك يبقه لنا ليكون بين أظهرنا حيا فقال عيسى ردوه الى قبره فردوه الى قبره فعاد ميتا فآمن بعيسى بن مريم من آمن وعاند من عاند قال الكلبي كان عيسى يحيي الموتى بياحي ياقيوم (ومنها) اخباره عليه السلام عن الغيوب قال الله عز وجل اخبارا عنه وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون فى بيوتكم قال الكلبي لما أبرأ عيسى الاكمه والابرص وأحيا الموتى قالوا هذا ساحر ولكن أخبرنا بما نأكل وما ندخر فكان يخبر الرجل بما يأكل فى غدائه وبما يأكل فى عشائه (ومنها) مشيه عليه السلام على الماء يروى أنه خرج فى بعض سياحاته ومعه رجل من أصحابه قصير وكان كثير اللزوم لعيسى فلما انتهى عيسى الى البحر قال بسم الله بصحة ويقين فمشى على وجه الماء فقال الرجل القصير بسم الله بصحة ويقين فمشى على وجه الماء فدخله العجب فقال هذا عيسى روح الله يمشى على الماء وأنا أمشى على الماء قال فانغمس فى الماء فاستغاث بعيسى فتناوله عيسى من الماء وأخرجه وقال له ما قلت يا قصير فأخبره بما خامر خاطره فقال له عيسى لقد وضعت نفسك فى غير الموضع الذى وضعك الله فيه فمقتك الله على ما قلت فتب الى الله مما قلت فتاب الرجل وعاد الى مرتبته التى وضعه الله فيها فاتقوا الله ولا يحسد بعضكم بعضا وحدثنا الامام أبو منصور الحمشاوى باسناده عن معاذ بن جبل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لو عرفتم الله حق معرفته لعلمتم العلم الذى ليس بعده جهل وما بلغ ذلك أحد قط قالوا ولا أنت يا رسول الله قال ولا أنا قالوا يا رسول الله قد بلغنا أن عيسى ابن مريم مشى على الماء قال نعم ولو ازداد خوفا ويقينا لمشى على الهواء قالوا يا رسول الله ما كنا نرى أن الرسل تقصر فقال ان الله تعالى أبلغ شأنا من أن يبلغ أحد شأنه

﴿ ذكر حديث جامع فى هذا الباب ﴾

الله تعالى عنه اشارة لطيفة ﴿ قال لما ذهب ابراهيم خليل الرحمن عليه الصلاة والسلام الى النمروذ لعنه الله يدعوه الى عبادة الله عز وجل عظم عليه ذلك وجمع أهل مملكته وخواص رعيته وقال لهم ما تشيرون علىّ به فى أمر هذا الرجل الذى تجرأ علينا وكسر الاصنام وعطل ديننا بين الانام فقولوا ما بدا لكم فانى راجع الى أقوال القائلين فقالوا حرقوه وانصروا آلهتكم ان كنتم فاعلين قال فعمدوا الى فلاة من الارض وحفروا فيها حفيرا متسعا ثم نادى النمروذ فى أقطار مملكته ألا من أطاع النمروذ فليحتطب حزمة من الحطب الهشيم لاحراق ابراهيم قال فبادرت اليه العباد من أقطار البلاد فأقاموا حولا كاملا يجمعون الاحطاب الى أن ملؤا ذلك الحفير بالاخشاب فقال قوم نكبكبه وندعه فى النار ونضرمها عليه واختلفوا فى ذلك فأتاهم ابليس لعنه الله وقال لهم اضرموا النيران فاذا رأى لهيبها وعاينها رجع عن دينه الى دينكم ثم وضع لهم المنجنيق وقال لهم اذا أبى فضعوه فى كفته وارموه فى ذلك فانه يصعد به المنجنيق فى الهواء ويوقعه فى النار وأنتم تنظرون كيف يحترق قال فاتخذ النمروذ مكانا متسعا من الارض

قال

قال وهب خرج عيسى عليه السلام يسيح فى الارض فصحبه يهودى وكان مع ذلك اليهودى رغيفان ومع عيسى رغيف فقال له عيسى تشاركنى فى طعامك قال اليهودى نعم فلما رأى أنه ليس مع عيسى الا رغيف واحد ندم فقام عيسى الى الصلاة فذهب صاحبه وأكل رغيفا فلما قضى عيسى صلاته قدما طعامهما فقال لصاحبه أين الرغيف الآخر فقال ما كان الا رغيف واحد فاكل عيسى رغيفا وصاحبه رغيفا ثم انطلقا فجاآ الى شجرة فقال عيسى لصاحبه لو أنا بتنا تحت هذه الشجرة حتى نصبح فقال افعل فباتا ثم أصبحا منطلقين فلقيا أعمى فقال له أرأيت ان أنا عالجتك حتى يرد الله عليك بصرك فهل تشكره قال نعم فمس عيسى بصره ودعا الله له فاذا هو صحيح فقال عيسى لليهودى بالذى أراك الاعمى بصيرا كم كان معك من رغيف فقال والله ما كان الا رغيف واحد فسكت عيسى عنه ومرا فاذا هما بمقعد فقال له عيسى أرأيت ان عالجتك فعافاك الله فهل تشكره قال نعم قال فدعا الله تعالى عيسى فاذا هو صحيح قائم على رجليه فقال صاحب عيسى ما رأيت مثل هذا قط فقال له عيسى بالذى أراك الاعمى بصيرا والمقعد صحيحا من صاحب الرغيف الثالث فحلف له ما كان معه الا رغيف واحد فسكت عيسى عنه فانطلقا حتى انتهيا الى نهر عجاج فقال عيسى لا أرى جسرا ولا سفينة فخذ بحجزتى من ورائى وضع قدمك موضع قدمى ففعل فمشيا على الماء فقال له عيسى بالذى أراك أمر الاعمى والمقعد وسخر لك الماء من صاحب الرغيف الثالث فقال لا والله ما كان الا رغيف واحد فسكت عيسى ثم انطلقا فاذا هما بظباء ترعى فدعا عيسى بظبى فذبحه وشوى منه بعضا وأكلاه ثم ضرب عيسى بقية الظبى بعصاه وقال قم باذن الله عز وجل فاذا الظبى يعدو فقال الرجل سبحان الله فقال عيسى بالذى أراك هذه الآية من صاحب الرغيف الآخر فقال ما كان الا رغيف واحد فمرا بصاحب بقر فنادى عيسى يا صاحب البقر اجزر لنا من بقرك هذه عجلا قال ابعث صاحبك اليهودى يأخذه فانطلق اليهودى فجاء به وذبحه وشواه وصاحب البقر ينظر اليه فقال عيسى كل ولا تكسر عظما فلما فرغوا قذف بعظامه فى جلده ثم ضربه بعصاه وقال له قم باذن الله فقام العجل وله خوار فقال له عيسى يا صاحب البقر خذ عجلك قال ويحك من أنت قال أنا عيسى بن مريم قال عيسى السحار ثم فر منه فقال عيسى لصاحبه بالذى أحيا العجل كم كان معك من رغيف فقال ما كان معى الا رغيف واحد فسكت ومضيا حتى دخلا قرية فنزل عيسى فى أسفلها واليهودى فى أعلاها فاخذ اليهودى عصا عيسى وقال أنا الآن أبرئ المرضى وأحيى الموتى قال وكان ملك تلك القرية مريضا مدنفا فانطلق اليهودى ونادى من يبتغى طبيبا حتى أتى باب الملك فاخبر بوجعه فقال أدخلونى عليه فأنا أبرئه وان رأيتموه قد مات فانا أحييه فقيل له ان وجع الملك قد أعيا الاطباء قبلك وليس من طبيب يداويه ولا يشفيه الا صلبه فقال أدخلونى عليه فادخل عليه فضرب الملك بعصاه فمات فجعل يضرب الملك بالعصا وهو ميت ويقول قم باذن الله فلم يقم فاخذ ليصلب فبلغ ذلك عيسى فاقبل عليه وقد رفع على الخشبة فقال لهم عيسى أرأيتم لو أحييت لكم الملك هل تتركون لى صاحبى قالوا نعم فدعا الله عز وجل فاحياه وقام فانزل اليهودى من الخشبة فقال يا عيسى أنت أعظم الناس على منة والله لا أفارقك أبدا فقال له عيسى أنشدك الله الذى أحيا الظبى والعجل بعدما أكلناهما وأحيا هذا بعدما مات وأنزلك من على الجذع بعدما صلبك كم كان معك من رغيف قال فحلف بهذا كله وقال والله ما كان معى الا رغيف واحد فقال عيسى لا بأس فانطلقا حتى أتيا قرية عظيمة خربة فيها كنز ثلاث لبنات من ذهب قد حفرتها السباع والدواب فقال الرجل لعيسى هذا المال لك فقال عيسى أجل واحدة لى وواحدة لك وواحدة للذى أكل الرغيف الثالث فقال اليهودى لعيسى أنا صاحب الرغيف الثالث أكلته وأنت تصلى فقال عيسى هى لك كلها فانطلق عيسى وتركه ينظر وهو لا يستطيع أن يحمل منهن واحدة لثقلها عليه فقال له عيسى دعه فان له أهلا يهلكون عليه فجعلت نفس اليهودى تتطلع الى المال ويكره أن يعصى عيسى ويعجزه حمل المال فانطلق مع عيسى فبينما هو كذلك اذ مر بالمال ثلاثة نفر فأتوا عليه فقال اثنان منهما لصاحبهما الثالث انطلق الى بعض هذه القرى فائتنا بطعام وشراب ودواب نحمل عليها هذا المال فلما ذهب صاحبهما قال أحدهما للآخر هل لك أن نقتله اذا رجع ونقتسم المال بيننا قال نعم وقال الذى ذهب فى نفسه أنا أجعل فى الطعام سما فاذا أكلاه ماتا ويصير المال كله لى ففعل ذلك فلما رجع اليهما وصل قتلاه ثم أكلا الطعام الذى جاء به اليهما فماتا وان عيسى عليه السلام مر به وهم حوله مقتولين فقال لا اله الا الله هكذا تصنع الدنيا بأهلها ثم ان عيسى أحياهم باذن الله فاعتبروا ومروا ولم يأخذوا من المال شيأ فتطلعت نفس

مبديا بالجص وجلس ينظر كيف يحترق ابراهيم خليل الرحمن عليه الصلاة والسلام قال فلما أوقدوا النيران كادان يغشى لهبها المشرق والمغرب وصعد لهيبها الى ان أطبق ما بين الخافقين حتى ان الطير كان اذا طار فى الجو احرقه لهب النيران ثم أتى بابراهيم عليه الصلاة والسلام فلما نظر الى ذلك التفت يمينا وشمالا الى الكافرين وقال انى وجهت وجهى للذى فطر السموات والارض حنيفا وما أنا من المشركين قال فوضعوه فى المنجنيق ورموه فى الجو فضجت الملائكة السماء وقالوا الهنا وسيدنا ومولانا هذا عدوك فعل بخليلك ما ترى فأذن لنا أن نخسف به الارض وننجى خليلك ابراهيم فقال الجليل جل جلاله يا ملائكتى كل ذلك بعين قدرتى وأنا اللطيف الخبير ثم قال الله تعالى يا جبريل أدرك خليلى ابراهيم وسله ما يريد فأنا أقرب اليه من حبل الوريد قال فهبط اليه جبريل مسرعا وهو صاعد فى الهواء قبل هبوطه الى النار فقال السلام عليك يا ابراهيم فقال وعليك السلام يا جبريل فقال ألك من حاجة فقال له ابراهيم أما اليك فلا فقال جبريل سل من اليه حوائجك فقال ابراهيم علمه بحالى يغنى عن سؤالى فقال الله تبارك وتعالى يا نار كونى بردا وسلاما على ابراهيم فصارت تلك النار جنة

نعيم وجرت فيها عين من تسنيم وفرش فيها مهاد التنعيم ونودي بلسان التفهيم سلام قولا من رب رحيم

وكان من أمره ما كان (فلما) آن ظهور اشراق بهجة المصطفى سيد الامم طه المكرم صلى الله عليه وسلم وأينعت أغصان الاسلام وأثمرت وبزغت في ليل الشرك شمس الايمان وظهرت وولد سيد البشر وشاع ذكره وانتشر وبلغ أشده واستوى أتاه المطوق بالنور الامين جبريل عليه السلام من الملك الجليل وقال له يا محمد أجب الملك الجليل قد أتيتك بالبراق لتعلو السبع الطباق فقد دعاك لحضرته الملك الخلاق ها أنا في ركابك فوضع النبي صلى الله عليه وسلم قدما بالمسجد الحرام وقدما بالمسجد الاقصى والثالث بعنان السماء فتقدم وصلى بالانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ثم اخترق سماء بعد سماء حتى انتهى الى عرش الاستواء واخترق الحجب والاستار الى أن سمع صريف القلم على صفحات اللوح المحفوظ فعند ذلك وقف جبريل عليه السلام فقال له النبي صلى الله عليه وسلم ما بالك تركتني فقال له جبريل

ليهودي صاحب عيسى انى المال فقال أعطني المال فقال عيسى خذه لك فهو حظك في الدنيا والآخرة فلما ذهب ليحمله خسف به الارض فانطلق عيسى عليه السلام ﴿ ومنها نزول المائدة ﴾ قال الله تعالى اذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله ان كنتم مؤمنين الآية واختلف العلماء في صفة نزول المائدة وكيفيتها وما كان عليها فروى قتادة عن جابر عن عمار بن ياسر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال نزلت المائدة عليها خبز ولحم وذلك أنهم سألوا عيسى طعاما يأكلون منه ولا ينفد قال فقال لهم انى فاعل ذلك وانها مقيمة لكم ما لم تخبؤا أو تخونوا فان فعلتم ذلك عذبتم قال فما مضى يومهم حتى خانوا وخبؤا وفي بعض الروايات أن بعضهم سرق منها وقال لعلها لا تنزل أبدا فرفعت ومسخوا قردة وخنازير وقال ابن عباس قال عيسى لبني اسرائيل صوموا ثلاثين يوما ثم سلوا الله ما شئتم يعطيكموه فصاموا ثلاثين يوما فلما فرغوا قالوا يا عيسى انا ان عملنا لاحد فقضينا عمله أطعمنا طعاما وانا صمنا وجعنا فادع الله أن ينزل علينا مائدة من السماء فلبس عيسى المسوح وافترش الرماد ثم دعا الله تعالى فقال اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء الآية فاقبلت الملائكة بمائدة يحملونها عليها سبعة أرغفة وسبعة أحوات ووضعتها بين أيديهم فأكل منها آخر الناس كما أكل أولهم وروى عطاء بن السائب وغيره أنه كانت المائدة اذا وضعت لبني اسرائيل اختلفت عليها الايدي فيها كل الطعام الا اللحم وقال عطية العوفي نزلت سمكة من السماء فيها طعم كل شيء وقال قتادة كانت مائدة تنزل من السماء وعليها ثمر من ثمر الجنة وكانت تنزل عليهم بكرة وعشية حيث كانوا كالمن والسلوى لبني اسرائيل وقال وهب أنزل الله أقرصة من شعير وحيتانا فقيل لوهب ما كان ذلك يغني عنهم من شيء قال بلى ولكن الله ضعف لهم البركة فكان قوم يأكلون ثم يخرجون ويجيء آخرون فيأكلون حتى أكلوا أجمعهم وفضل وقال كعب الاحبار نزلت مائدة من السماء منكوسة تطير بها الملائكة بين السماء والارض عليها كل طعام الا اللحم وقال مقاتل والكلبي استجاب الله لعيسى عليه السلام فقال انى منزلها عليكم كما سألتم فمن أكل من ذلك الطعام ثم لم يؤمن جعلته مثلا ولعنة وعبرة لمن بعدهم قالوا قد رضينا فدعا شمعون الصفار وكان أفضل الحواريين فقال هل معك طعام فقال معي سمكتان صغيرتان وستة أرغفة فقال على بها فقطعها عيسى قطعا صغارا وقال اقعدوا في روضة وترافقوا رفاقا كل رفقة عشرة ثم قام عيسى ودعا الله تعالى فاستجاب له وأنزل فيها البركة فصار خبزا صحاحا وسمكا صحاحا ثم قام عيسى يمشي فجعل يلقي في كل رفقة ما حملت أصابعه ثم قال كلوا بسم الله فجعل الطعام يكثر حتى بلغ ركبهم فأكلوا ما شاء الله وفضل والناس خمسة آلاف ونيف وقال الناس جميعا شهدنا أنك عبد الله ورسوله ثم سألوه مرة أخرى فأنزل الله خمسة أرغفة وسمكتين فصنع بها ما صنع في المرة الاولى فلما رجعوا الى قراهم ونشروا هذا الحديث ضحك منهم من لم يشهد وقال ويحكم انما سحر أعينكم فمن أراد الله به الخير ثبته على بصيرة ومن أراد فتنته رجع الى كفره فمسخوا قردة وخنازير ليس منهم صبي ولا امرأة فمكثوا كذلك ثلاثة أيام ثم هلكوا ولم يتوالدوا ولم يأكلوا ولم يشربوا وكذلك كل ممسوخ وروي عن عطاء بن أبي رباح عن سلمان الفارسي أنه قال والله ما تبع عيسى من المساوي ولا انتهر يتيما ولا قهقه ضحكا ولا ذب ذبابا عن وجهه ولا أخذ على أنفه من شيء قط ولا عبث قط ولما سأله الحواريون أن ينزل عليهم الموائد صنوفا قال اللهم أنزل علينا مائدة من السماء الآية وارزقنا عليها طعاما نأكل وأنت خير الرازقين فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين غمامة من فوقها وغمامة من تحتها وهم ينظرون اليها وهي تهوي منقضة حتى سقطت بين أيديهم فبكى عيسى وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها مثلة وعقوبة وهم ينظرون اليها فنظروا الى شيء لم يروا مثله قط ولم يجدوا ريحا أطيب من رائحة ذلك فقال عيسى ليقم أحسنكم عملا يكشف عنها ويذكر اسم الله ويأكل منها فقال شمعون الصفار رأس الحواريين أنت أولى بذلك منا فقام عيسى وتوضأ وصلى صلاة طويلة وبكى كثيرا ثم كشف المنديل عنها وقال بسم الله خير الرازقين فاذا هو بسمكة مشوية ليس عليها فلوس ولا شوك فيها تسيل سيلانا من الدسم وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحواليها من أنواع البقول ما خلا الكراث واذا خمسة أرغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون يا روح الله أمن طعام الدنيا هذا أم من طعام الآخرة فقال عيسى عليه السلام ليس ما ترون من طعام الدنيا ولا من طعام الآخرة ولكن افتعله الله

بالقدرة

بالقدرة الغالبة كلوا مما سألتم يمددكم ويزدكم من فضله قالوا يا روح الله لو أريتنا من هذه الآية آية أخرى فقال
عيسى ياسمكة احيي باذن الله فاضطربت السمكة وعاد عليها فلوسها وشوكها ففزعوا منها فقال عيسى مالكم
تسألون أشياء اذا أعطيتموها كرهتموها ثم قال فما أخوفني عليكم أن تعذبوا ياسمكة عودي كما كنت باذن الله
فعادت السمكة مشوية كما كانت قالوا يا روح الله كن أول من يأكل منها ثم نأكل نحن فقال عيسى معاذ الله ان
آكل منها ولكن يأكل منها من سألها فخافوا أن يأكلوا منها فدعا لها عيسى أهل الفاقة والمرضى وأهل البرص
والجذام والمبتلين وقال كلوا من رزق الله ولكم الهناء ولغيركم البلاء فأكلوا منها وصدر عنها ألف وثلثمائة رجل
وامرأة من فقير وزمن ومريض ومبتلى كلهم شبعان يتجشأ ثم نظر عيسى الى السمكة فاذاهي كهيئتها حين نزلت
من السماء ثم طارت المائدة صعدى وهم ينظرون اليها حتى توارت منهم فلم يأكل منها يومئذ مريض الابرئ ولا
زمن الاصح ولا مبتلى الاعوفي ولا فقير الا استغنى ولم يزل غنيا حتى مات وندم الحواريون ومن لم يأكل وكانت اذا
نزلت اجتمعت الاغنياء والفقراء والصغار والكبار والرجال والنساء يزدحمون عليها فلبثت أربعين صباحا تنزل
ضحى فلا تزال منصوبة يؤكل منها حتى اذا فاء الفيء طارت صعدى وهم ينظرون حتى تغيب عنهم وكانت تنزل
غبا تنزل يوما ولا تنزل يوما كناقة ثمود فأوحى الله الى عيسى أن اجعل مائدتي ورزقي للفقراء دون الاغنياء فعظم
ذلك على الاغنياء حتى شكوا وشككوا الناس فيها فقالوا أترون المائدة تنزل من السماء حقا فقال لهم عيسى
هلكتم فشمروا للعذاب الله فأوحى الله تعالى الى عيسى أني شرطت على المكذبين شرطين أن من كفر بعد نزولها
عذبته عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين فقال عيسى عليه السلام ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت
العزيز الحكيم فسخ منهم ثلثمائة وثلاثون رجلا باتوا من ليلتهم على الفرش مع نسائهم في ديارهم فأصبحوا خنازير
يسعون في الطرقات والكناسات ويأكلون القاذورات في الحشوش فلما رأى الناس ذلك فزعوا الى عيسى بن
مريم فبكوا وبكى على الممسوخين أهلوهم فلما أبصرت الخنازير عيسى بكت وجعلت تطوف به فجعل عيسى
يدعوهم باسمائهم واحدا بعد واحد فيبكون ويشيرون برؤسهم ولا يقدرون على الكلام فعاشوا ثلاثة أيام ثم هلكوا
(ومنها) ماروى أن عيسى عليه السلام مر على رجل جالس عند قبر وكان يكثر المرور به فيجده جالسا فقال يا عبد الله
أراك تكثر الجلوس عند هذا القبر فقال يا روح الله هذه امرأة كان لي من جمالها وموافقتها كيت وكيت ولي عندها
وديعة قال أفتحب أن أدعو الله فيحييها لك قال نعم فتوضأ عيسى وصلى ركعتين ودعا الله عز وجل فاذا أسود قد
خرج من القبر كأنه جذع محترق فقال له من أنت فقال يارسول الله أنا رجل في عذاب منذ أربعين سنة فلما
كنت في هذه الساعة قيل لي أجب فأجبت ثم قال يارسول الله قد مر علي من أليم العذاب أمان ردني الله الى
الدنيا أعطيته عهدا أن لا أعصيه أبدا فادع الله لي فرق له عيسى عليه السلام ودعا الله عز وجل ثم قال له امض
فمضى فقال صاحب القبر يارسول الله لقد غلطت بالقبر انما قبرها هذا فدعا الله عيسى عليه السلام فخرجت من
ذلك القبر امرأة شابة جميلة فقال له عيسى أتعرفها قال نعم هذه امرأتي فدعا الله عيسى حتى ردها عليه فأخذ الرجل
بيدها حتى انتهيا الى شجرة فنام تحتها ووضع رأسه في حجرها فمر بها ابن الملك فنظرها ونظرت اليه وأعجب كل
واحد منهما بصاحبه فأشار اليها فوضعت رأس زوجها عن حجرها واتبعت الفتى فاستيقظ زوجها ففقدها فلم
يجدها فطلبها فدل عليها فتعلق بها وقال امرأتي فقال الفتى هي جاريتي فبيناهم كذلك اذ طلع عيسى عليه السلام
فقال الرجل هذا عيسى ثم قص عليه القصة فقال لها عيسى ماتقولين قالت أنا جارية هذا ولا أعرف هذا فقال لها
عيسى ردي علينا ما أعطيناك قالت قد فعلت فسقطت مكانها ميتة فقال عيسى هل رأيتم أعجب من هذا رجل أماته
الله كافرا ثم بعثه فآمن وهل رأيتم امرأة أماتها الله مؤمنة ثم أحياها فكفرت (ومنها) رفعه الى السماء اذ قال الله
ياعيسى انى متوفيك ورافعك الى ومطهرك من الذين كفروا الآية وقولهم انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول
الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم الى قوله تعالى بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيما (روى) الكلبي عن
أبي صالح عن ابن عباس أن عيسى عليه السلام استقبل رهطا من اليهود فلما رأوه قالوا قد جاء الساحر ابن الساحرة
الفاعل ابن الفاعلة فقذفوه وأمه فلما رأى ذلك عيسى دعا عليهم فقال اللهم أنت ربي وأنا من روحك خرجت
وبكلمتك خلقت ولم آتهم من تلقاء نفسي اللهم العن من سبني وسب أمي فاستجاب الله دعاءه ومسخ الذين سبوه

ياأكرم الخلق على الله تقدم على ربك وزرني فهذا مكاني متى تقدمت قدر ذرة أحرقتني أنوار الهيبة وشعاع العظمة ومامنا الا له
مقام معلوم فلما هم
المصطفى صلى الله عليه
وسلم بان يتقدم وينزل
جبريل عليه السلام
قال له ياأمين الوحي ألك
من حاجة الى الله تعالى
في هذا المقام كما تقدم
منك لابي ابراهيم فقال
له نعم ياسيد البشر
فقال وماهي فقال تسأل
لي الله عز وجل الامن
من مكره وسخطه وعقابه
قال فتقدم صلى الله
عليه وسلم الى مكان لم
يصل اليه نبي مرسل ولا
ملك مقرب فابتدأه
بالتحية والسلام ذو
الجلال والاكرام ثم دنا
فتدلى فكان قاب قوسين
أو أدنى فاوحى الى عبده
ما أوحى فقال صلى الله
عليه وسلم يارب أمتي فقال
الله عز وجل يامحمد اني
قد مننت على أمتك
بثمانية أشياء لم أمن بها
على أحد من الامم
السابقة (الاول) انى لم
أخلق خلقا في السماء
ولا في الارض أكرم
علي من أمتك (الثاني)
ان مائة ألف وأربعة
وعشرين ألفا من الانبياء
مشتاقون اليك والى
أمتك (الثالث) انى لم
أعط أمتك الكثير من
الاموال مثل ماسبق
من الامم لئلا يطول
عليهم الحساب يوم
القيامة رحمة لهم وشفقة عليهم (الرابع) انى لم أعط أمتك القوة بالاموال والاولاد مثل الامم السابقة حتى

وأمه خنازير فلما رأى ذلك رأس اليهود وأميرهم فزع لذلك وخاف دعوته فاجتمعت كلمة اليهود على قتل عيسى فاجتمعوا عليه ذات يوم وجعلوا يسألونه فقال يا معاشر اليهود ان الله يبغضكم فغضبوا من مقالته غضبا شديدا وثاروا عليه ليقتلوه فبعث الله تعالى اليه جبريل عليه السلام فادخله خوخة وواراه في سقفها ورفعه الله تعالى من روزنته فأمر رأس اليهود رجلا من أصحابه يقال له فلطيانوس أن يدخل الخوخة فيقتله فلما دخل فلطيانوس لم ير عيسى فأبطأ عليهم فظنوا أنه يقاتله فيها فألقى الله عليه شبه عيسى فلما خرج ظنوا انه عيسى فقتلوه وصلبوه * وقال وهب ان عيسى لما أعلمه الله تعالى انه خارج من الدنيا جزع من الموت وشق عليه فدعا الحواريين وصنع لهم طعاما وقال احضروني الليلة فلي اليكم حاجة فلما اجتمعوا اليه من الليل عشاهم وقام يخدمهم فلما فرغوا من الطعام أخذ يغسل أيديهم ويوضيهم ويمسح أيديهم بثيابه فتعاظموا ذلك وتكارهوه فقال ألا من رد على شيأ مما أصنع فليس مني ولا أنا منه فأقروه حتى اذا فرغ من ذلك قال لهم أما ما صنعت بكم الليلة مما خدمتكم على الطعام وغسلت أيديكم بيدي الا ليكون لكم بي أسوة وأنكم ترون أني خيركم فلا يتعاظم بعضكم على بعض وليبذل بعضكم نفسه لبعض كما بذلت نفسي لكم وأما الحاجة التي استعنتكم عليها فتدعون الله لي وتجتهدون في الدعاء أن يؤخر أجلي فلما انصبوا أنفسهم للدعاء وأرادوا أن يجتهدوا أرسل الله عليهم النوم حتى لم يستطيعوا دعاء فجعل يوقظهم ويقول سبحان الله ما تصبرون في ليلة واحدة وتعينوني فيها فقالوا والله ما ندري ما لنا لقد كنا نسهر فنكثر السهر وما نطيق الليلة سهرا وما نريد دعاء الا حيل بيننا وبينه فقال يذهب الراعي وتبقى الغنم وجعل يأتي بكلام مثل هذا يعني نفسه ثم قال ليكفرن بي أحدكم قبل أن يصيح الديك ثلاث مرات وليبيعني أحدكم بدراهم يسيرة وليأكلن ثمني فخرجوا وتفرقوا وكانت اليهود تطلبه فأخذوا شمعون أحد الحواريين فقالوا هذا من أصحابه فجحد وقال ما أنا من أصحابه فتركوه ثم أخذه آخر فجحده كذلك ثم سمع صوت ديك فبكى وأحزنه ذلك فلما أصبح أتى أحد الحواريين أولئك اليهود فقال لهم ما تجعلون لي ان دللتكم عليه فجعلوا له ثلاثين درهما فأخذها ودلهم عليه وكان شبه لهم قبل ذلك فأخذوه واستوثقوا منه وربطوه بالحبل وجعلوا يقودونه ويقولون أنت كنت تحيي الموتى وتبرئ الاكمه والابرص أفلا تفك نفسك من هذا الحبل ويبصقون عليه ويلقون عليه الشوك ثم انهم نصبوا له خشبة ليصلبوه عليها فلما أتوا به الى الخشبة ليصلبوه أظلمت الارض وأرسل الله الملائكة فحالوا بينهم وبين عيسى وألقى شبه عيسى على الذي دلهم عليه واسمه يهوذا فصلبوه مكانه وهم يظنون أنه عيسى وتوفى الله عيسى ثلاث ساعات ثم رفعه الى السماء فذلك قوله تعالى اني متوفيك ورافعك الي ومطهرك من الذين كفروا فلما صلب الذي شبه عيسى جاءت مريم أم عيسى وامرأة كان عيسى دعا لها وأبرأها من الجنون يبكيان عند المصلوب فأتاهما عيسى وقال على من تبكيان فقالتا عليك فقال ان الله تعالى رفعني فلم يصبني الاخير وان هذا شخص شبه لهم (وقال مقاتل) ان اليهود وكلوا بعيسى رجلا يكون عليه رقيبا يدور معه حيثما دار فصعد عيسى الجبل فجاءه الملك فرفعه الى السماء وألقى الله تعالى شبه عيسى على الرقيب فظن اليهود أنه عيسى فأخذوه وكان يقول لهم اني لست عيسى اني فلان بن فلان فلم يصدقوه وقتلوه وصلبوه قال قتادة ذكر لنا أن نبي الله عيسى قال لاصحابه أيكم يقذف عليه شبهي فانه مقتول فقال رجل من القوم أنا يا نبي الله فقتل ذلك الرجل ومنع الله عيسى ورفعه اليه وقيل ان الذي شبه بعيسى وصلب مكانه رجل اسرائيلي يسمى أشيوع بن قنديرا والله أعلم

﴿ذكر نزول عيسى من السماء بعد رفعه بسبعة أيام﴾

(قال وهب) وغيره من أهل الكتب لما رفع الله عيسى عليه السلام لبث في السماء سبعة أيام ثم قال الله له ان أعداءك اليهود أعجلوك عن العهد الى أصحابك فانزل عليهم وأوصهم واهبط على مريم المجدلانية فانه لم يبك عليك أحد بكاءها ولم يحزن عليك أحد حزنها فانزل عليها وأخبرها أنها أول من تلحق بك وأمرها أن تجمع لك الحواريين فتبثهم في الارض دعاة الى الله تعالى وكانت قصة مريم المجدلانية أنها كانت من بني اسرائيل في قرية من قرى انطاكية يقال لها مجدلان وكانت امرأة صالحة وكانت تستحاض فلا تطهر فخطبها أشراف بني اسرائيل فامتنعت فظنوا أنها ترفعت بنفسها عنهم ولم يكن ذلك ترفعا وانما أرادت اخفاء علتها عنهم فلما سمعت بمجيء عيسى عليه السلام وبما كان يشفي الله على يديه من المرضى والزمنى أقبلت اليه رجاء الشفاء فلما رأت عيسى وما ألبسه الله من الهيبة استحيت وانصرفت الى ورائه ووضعت يدها على ظهره فقال عيسى لقد مسني ذو عاهة بنية حسنة ولقد

كفر واوجحدوا نعمتي (الخامس) اني لم أطول أعمارهم فيجتمع عليهم الذنوب كمن تقدم من غيرهم (السادس) اني لم أعاقب أمتك عند كل ذنب كما عاقبت الامم السابقة (السابع) اني أخرتهم الى آخر الزمان وجعلتهم آخر الامم حتى لا يطول مكثهم في التراب (الثامن) اني لم أفش سرهم كما أفشيت سر الامم وأخبارهم اليك والى أمتك وانه ليس بعدك نبي ولا قرآن وهذا كله ببركتك يا محمد فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا رب ان عبدك جبريل سألني ان أسألك ان تؤمنه مكرك فلم يسمع جوابا قال فراجع ربه ثانيا في أمره حتى سمع الخطاب من الملك الوهاب يا محمد قد أمنته مكري فعاد النبي صلى الله عليه وسلم الى جبريل وهو فرح مسرور وأخبره بذلك ففرح جبريل بذلك وقال الحمد لله على كثرة انعامه ثم قال يا محمد كل ذلك ببركتك وعلو قدرك عند ربك صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما كثيرا آمين (وروى عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه) انه أتى يوما من الايام الى المسجد للصلاة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجده قد صلى فقعد حزينا في آخر المسجد لما فاته الصلاة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فهبط جبريل عليه السلام على النبي صلى

اعطاه

اعطاه الله مارجاه وطهره بطهارتي فأذهب الله عنها ما بها وبرأت وطهرت فلما أمر الله عيسى بالنزول عليها بعد سبعة أيام من رفعه هبط عليها فاشتعل الجبل حين هبط نورا فجمعت له الحواريين فبثهم في الارض دعاة الى الله ثم رفعه الله وكساه الريش وألبسه النور وقطع منه شهوة المطعم والمشرب فهو يطير مع الملائكة حول العرش فكان انسيا ملكيا أرضيا سماويا وتفرق الحواريون حيث أمرهم فتلك الليلة التي أهبط فيها هي الليلة التي تزخرفها النصارى قالوا فوجه بطرس الى رومية واندراوس ومتى الى الارض التي يأكل أهلها الناس وتوما وليا الى أرض المشرق وفيلبس ويهوذا الى القيروان وافريقية ويحيى الى افسوس قرية أصحاب الكهف واليعقوبين الى أورشليم وهي ايلياء أرض بيت المقدس وبرتولوماوس الى الاعرابية وهي أرض الحجاز وشمعون الى أرض البربر فأصبح كل واحد من الحواريين الذين بعثهم يحدث بلغة من أرسله عيسى اليهم (قال ابن اسحق) ثم عمد اليهود الى بقية الحواريين أصحاب عيسى يشمسونهم ويعذبونهم ويطوفون بهم فسمع ذلك ملك الروم وكان صاحب وثن فقيل له ان رجلا كان في هؤلاء الناس الذين تحت يدك من بني اسرائيل عدوا عليه فقتلوه وكان يخبرهم أنه رسول الله وقد أحيا لهم الموتى وأبرأ لهم الاسقام وخلق لهم من الطين كهيئة الطير ونفخ فيه فكان طائرا باذن الله وأخبرهم بالغيب وأراهم العجائب فقال ملك الروم فما منعكم أن تذكروا الي من أمره فوالله لو علمت لخليت بينه وبينهم ثم انه بعث الى الحواريين فانتزعهم من أيديهم فلما أتوه سألهم عن دين عيسى فأخبروه خبره فبايعهم على دينه واستنزل شبه عيسى والخشبة التي صلب عليها فأكرمها وصانها لما مسها منه وغزا بني اسرائيل فقتل منهم خلقا كثيرا فمن هنالك كانت أصل النصرانية في الروم (وقال أهل التوراة) حملت مريم بعيسى ولها ثلاث عشرة سنة وولدت عيسى ببيت لحم من أرض أورشليم لمضي خمس وستين سنة من غلبة الاسكندر على بابل ولاحدى وخمسين سنة مضت من ملك الاسكانين وأوحى الله اليه على رأس ثلاثين سنة ورفعه من بيت المقدس ليلة القدر من شهر رمضان وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة فكانت نبوته ثلاث سنين وعاشت أمه مريم بعد رفعه ست سنين والله أعلم

﴿ذكر وفاة مريم ابنة عمران عليهما السلام﴾

(قال وهب) لما أراد الله تعالى أن يرفع عيسى عليه السلام آخى بين الحواريين فأمر رجلين منهم يقال لاحدهما شمعون الصفار وللآخر يحيى أن يلتزما أمه ولا يفارقاها فانطلقا ومعهما مريم الى ماروت ملك الروم يدعونه الى الله تعالى وقد بعث الله تعالى اليه قبل ذلك يونس عليه السلام فلما أتوه أمر بشمعون واندراوس فقلا وصلبا منكسين وهربت مريم ويحيى حتى اذا كانا في بعض الطريق لحقهما الطلب فخافا فانشقت لهما الارض فغابا فيها وأقبل ماروت ملك الروم وأصحابه فحفر واذلك الموضع فلم يجدوا شيأ فردوا التراب على حاله وعلموا انه أمر من الله تعالى فسأل ملك الروم عن حال عيسى فأخبروه به فأسلم كما ذكرنا والله أعلم

﴿ذكر نزول عيسى عليه السلام من السماء في المرة الثانية في آخر الزمان﴾

قال الله تعالى وانه لعلم للساعة فلا تمترن بها الآية وقيل للحسين بن الفضل هل تجد نزول عيسى عليه السلام في القرآن قال نعم قوله وكهلا وهو لم يكن بكهل في الدنيا وانما معناه وكهلا بعد نزوله من السماء (أخبرنا) أبو صالح شعيب بن محمد البيهقي باسناده عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الانبياء اخوة العلات أمهاتهم شتى ودينهم واحد واني أولى الناس بعيسى بن مريم عليهما السلام لانه لم يكن بيني وبينه نبي ويوشك ان ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا وانه نازل على أمتي وخليفتي عليهم فاذا رأيتموه فاعرفوه فانه رجل مربوع الخلق الى الحمرة والبياض سبط الشعر كان رأسه تقطر ولم يصبه بلل ينزل بين ممصرتين فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويفيض المال ويهل من الروحاء حاجا أو معتمرا أو ملبيا بهما جميعا ويقاتل الناس على الاسلام حتى يهلك في زمانه الملل كلها غير الاسلام وتكون السجدة واحدة لله رب العالمين ويهلك الله في زمانه مسيح الضلالة الكذاب الدجال وتقع الامنة في الارض حتى ترتع الاسود مع الابل والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم وتلعب الصبيان بالحيات فلا يضر بعضهم بعضا ثم يلبث في الارض أربعين سنة ويتزوج ويولد له ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه في المدينة بجنب عمر اقرؤا ان شئتم وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا أي قبل موت عيسى يعيدها أبو هريرة ثلاث مرات (وأخبرنا) محمد بن القاسم الفارسي باسناده عن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أهبط الله المسيح عيسى يعيش في هذه

الله عليه وسلم وقال يا محمد السلام يقرئك السلام ويخصك بالتحية والاكرام ويقول لك ان الله سبحانه وتعالى خلقني قبل أن يخلق السموات والارض بألفي عام فكنت أسبحه وأقدسه فبينما أنا على تلك الحالة اذا قبة من نور بيضاء تتلألأ فعلت تمر مر السحاب واذا بصوت منها يقول أحد أحد فرد صمد فقلت يا رب من هذا أخلق خلقته قبلي أم خلق تخلقه بعدي فقال الله عز وجل هذا خلق أخلقه في آخر الزمان وهو نبي مكرم اسمه محمد وأمته خير الانام فقلت يا رب أسألك بحقه عليك أن تجعلني سفيرا بينك وبينه فكان كذلك فبينما أنا كذلك واذا بقبة أخرى تليها وهي تمر مر السحاب واذا بصوت منها يقول صدق صدق فقلت ومن هذا يا رب فقال رجل من أمة هذا النبي يكون أول من يصدقه يسمى الصديق فلما بعثك الله يا محمد أقام أبو بكر ينظرك قبل أمتك بأربعين عاما فلما بعثت بادر اليك وصدقك فيستحق منك أن تصبر له ساعة حتى يصلي معك وينال من بركتك ثم مضى جبريل عليه السلام فقام النبي صلى الله عليه وسلم وأخذ بيد أبي بكر وعاهده انه لم يكن ليصلي فرضا الا ان يكون خلفه رضي الله تعالى عنه وعن كل الصحابة أجمعين ﴿وحكى عنه أيضا رضي الله تعالى عنه﴾ انه قال بينما

الامة ما يعيش ثم يموت في مدينتي هذه ويدفن الى جانب قبر عمر فطوبى لابي بكر وعمر يحشران بين نبيين (وأخبرني أبي) قال حدثني الحسين بن أحمد بن محمد بن علي باسناده عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يهلك الله أمة أنا في أولها وعيسى في آخرها والمهدي من أهل بيتي في وسطها

﴿باب في قصة الرسل الثلاثة الذين بعثهم عيسى عليهم السلام الى انطاكية وذلك في أيام ملوك الطوائف﴾

قال الله تعالى واضرب لهم مثلا أصحاب القرية اذ جاءها المرسلون يعني رسل عيسى عليه السلام اذ أرسلنا اليهم اثنين واختلفوا في اسميهما فقال ابن اسحق فاروض ورماض وقال وهب يحيى ويونس وقال مقاتل يومان ومالوس وقال كعب صادق وصدوق فكذبوهما فعززنا بثالث أي فقويناهما برسول ثالث وهو شمعون الصفار رأس الحواريين في قول أكثر المفسرين وقال كعب اسمه شلوم وقال مقاتل سمعان (قالت) العلماء باخبار الانبياء بعث عيسى عليه السلام رسولين من الحواريين الى مدينة انطاكية فلما قربا من المدينة أتيا شيخا يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار صاحب يس فسلما عليه فقال من أنتما قالا رسولا عيسى عليه السلام يدعوكم من عبادة الاوثان الى عبادة الرحمن قال أمعكما آية قالا نعم نحن نبرئ المريض ونشفي الاكمه والابرص باذن الله فقال الشيخ ان لي ابنا مريضا صاحب فراش منذ سنين قالا فانطلق بنا الى منزلك فنطلع على حاله فأتى بهما الى منزله فلما نظرا الى ولد الشيخ وهو في تلك الحالة قربا اليه ودعيا له ومسحاه بيديهما فقام في الوقت باذن الله صحيحا ففشا الخبر في المدينة وشفى الله على يديهما كثيرا من المرضى وكان في مدينة انطاكية فرعون من الفراعنة يعبد الاصنام يقال له سلاحين (وقال وهب) اسمه ابطيحيس وكان من ملوك الروم قالوا فانتهى الخبر الى الملك فدعاهما اليه وقال لهما من أنتما قالا رسولا عيسى قال وما آيتكما قالا نبرئ الاكمه والابرص ونشفي المرضى باذن الله تعالى قال وفيم جئتما قالا جئناك ندعوك من عبادة ما لا يسمع ولا يبصر الى عبادة من يسمع ويبصر قال الملك أولنا له سوى آلهتنا قالا نعم قال من قالا من أوجدك بعد عدمك وآلهتك قال قوما حتى أنظر في أمركما فتبعهما الناس فأخذوهما وضربوهما في السوق (وقال وهب) بعث عيسى بهذين الرسولين الى انطاكية فاتياها فلم يصلا الى ملكها وطالت مدة مقامهما فخرج الملك ذات يوم فكبرا وذكرا الله تعالى فغضب الملك فأمر بهما فحبسا وجلد كل واحد منهما مائة جلدة قالوا فلما كذب الرسولان وضربا بعث عيسى رأس الحواريين شمعون الصفار على أثرهما لينصرهما فدخل شمعون البلد متنكرا فجعل يعاشر حاشية الملك حتى أنسوا به فرفعوا خبره الى الملك فدعاه ورضي عشرته وأنس به وأكرمه ثم قال له ذات يوم أيها الملك انه بلغني انك حبست رجلين في السجن وضربتهما حين دعواك الى غير دينك فهل كلمتهما وسمعت قولهما فقال حال الغضب بيني وبين ذلك قال فان رأى الملك دعاهما حتى نطلع على ما عندهما فدعاهما الملك فلما حضرا بين يديه قال لشمعون استخبرهما فقال شمعون لهما من أرسلكما الى ههنا قالا الذي خلق كل شيء فقال لهما شمعون فصفاه وأوجزا فقالا انه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قال شمعون وما آيتكما قالا ما تتمناه نبرئ الاكمه والابرص ونشفي المرضى والزمنى باذن الله قال فأمر الملك فجيء بغلام مطموس العينين موضع عينيه كالجبهة فما زالا يدعوان الله تعالى حتى انشق موضع البصر فأخذا بندقتين من الطين فوضعاهما في حدقتيه فصارتا مقلتين يبصر بهما فعجب الملك فقال شمعون للملك ان أنت سألت الهك حتى يصنع لك صنيعا مثل هذا فيكون لك الشرف ولالهك فقال الملك ليس لي عنك سر اعلم ان الهنا الذي نعبده لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع وكان شمعون اذا دخل الملك على الصنم يدخل لدخوله ويصلي كثيرا ويتضرع حتى ظنوا أنه على ملتهم فقال الملك للرسولين ان الهكما الذي تعبدانه يقدر على احياء ميت قالا الهنا يقدر على كل شيء فقال الملك ان ههنا ميتا قد مات منذ سبعة أيام وهو ابن الدهقان وأنا أخرته فلم ادفنه حتى يرجع أبوه وكان أبوه غائبا فجاؤا بالميت وقد تغير وأروح فجعلا يدعوان ربهما علانية وجعل شمعون يدعو سرا فقام الميت وقال لهم اني قد مت منذ سبعة أيام مشركا فأدخلت في سبعة أودية من النار وأنا أحذركم ما أنتم فيه فآمنوا بالله ثم قال ان أبواب السماء فتحت لي فرأيت شابا حسن الوجه يتشفع لهؤلاء الثلاثة فقال الملك ومن الثلاثة فقال شمعون وهذان وأشار الى صاحبيه فتعجب الملك فلما علم شمعون ان قولهم قد أثر في الملك أخبر بالحال ودعاه فآمن قوم وكان الملك ممن آمن وكفر آخرون (وقال) كعب ووهب بل كفر الملك وأجمع هو

نحن جلوس بالمسجد واذا برجل أعمى قد دخل علينا وسلم فرددنا عليه السلام وأجلسناه بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فقال من يقضيني حاجة في حب النبي صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه ما حاجتك ياشيخ فقال ان لي أهلا ولم يكن عندي ما نقتات به وأريد من يدفع لنا شيأ نقتات به في حب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فنهض أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وقال نعم أنا أعطيك ما يقوم بك في حب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال هل من حاجة أخرى فقال نعم ان لي ابنة أريد من يتزوج بها في حياتي حبا في محمد صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر رضي الله تعالى عنه أنا أتزوج بها في حياتك حبا في رسول الله صلى الله عليه وسلم هل من حاجة أخرى فقال نعم أريد ان أضع يدي في شيبة أبي بكر الصديق رضي الله عنه حبا في محمد صلى الله عليه وسلم قال فنهض أبو بكر رضي الله عنه ووضع لحيته في يد الاعمى وقال امسك لحيتي في حب محمد صلى الله عليه وسلم قال فقبض الاعمى بلحية أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه وقال يارب أسألك بحرمة شيبة أبي بكر الا ما رددت على بصري قال فرد الله عليه بصره لوقته فنزل جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم وقال

قومه على قتل الرسل فبلغ ذلك حبيب بن مرى صاحب يس (وقال) ابن عباس ومقاتل اسمه حبيب بن اسرائيل النجار وقال وهب وكان سقيما قد أسرع فيه الجذام وكان منزله عند أقصى باب من أبواب مدينة انطاكية وكان مؤمنا ذا صدقة يجمع كسبه اذا أمسى فيقسمه نصفين فيطعم نصفا عياله ويتصدق بالنصف الآخر فلما بلغه أن قومه قد عمدوا لقتل الرسل جاءهم وكان قبل ذلك يكتم ايمانه ويعبد ربه فى غار فلما أتاه خبر الرسل أظهر دينه وذكر قومه ودعاهم الى طاعة المرسلين كما أخبر الله تعالى فى كتابه وذلك قوله تعالى وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى الى قوله مهتدون فقال له قومه أو أنت مخالف لديننا ومتابع دين هؤلاء الرسل ومؤمن بالهم فقال ومالى لا أعبد الذى فطرنى واليه ترجعون الى قوله انى آمنت بربكم فاسمعون فلما قال لهم ذلك وثبوا اليه وثبة رجل واحد فقتلوه ولم يكن أحد يدفع عنه وقال عبد الله بن مسعود وطؤه بأرجلهم حتى خرج قصبه من دبره وقال السدى كانوا يرمونه بالحجارة وهو يقول اللهم اهد قومى حتى قطعوه وقتلوه (وقال) الحسن خرقوا خرقا فى حلقه وعلقوه فى سور المدينة ودفنوه فى سوق انطاكية فأوجب الله له الجنة فذلك قوله تعالى قيل ادخل الجنة فلما أفضى الى جنة الله وكرامته قال ياليت قومى يعلمون بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين قالوا فلما قتل حبيب غضب الله عليهم وعجل لهم النقمة وأمر جبريل فصاح بهم صيحة فماتوا عن آخرهم فذلك قوله تعالى وما أنزلنا على قومه من بعده من جند من السماء وما كنا منزلين على غيرهم من كفار الامم ان كانت الا صيحة واحدة فاذاهم خامدون أى ميتون (أخبرنا) أبو بكر الجمشاوى باسناده عن ابن أبى ليلى عن أبيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سباق الامم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين حزقيل مؤمن آل فرعون وحبيب النجار مؤمن آل يس وعلى بن أبى طالب كرم الله وجهه وهو أفضلهم

﴿قصة يونس بن متى عليه السلام﴾

قيل متى أمه ولم ينسب أحد من الانبياء الى أمه الا عيسى بن مريم ويونس بن متى عليهما السلام وهو الذى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه لا ينبغى لاحد أن يقول أنا خير من يونس بن متى قال الله تعالى وذا النون اذ ذهب مغاضبا الآيات قالت العلماء باخبار القدماء كان يونس رجلا صالحا يتعبد فى جبل وكان فى قرية من قرى الموصل يقال لها نينوى وكان قومه يعبدون الاصنام فبعث الله اليهم يونس بن متى عليه السلام بالنهى عن الكفر والامر بالتوحيد وكان يونس عليه السلام رجلا صالحا الا انه لا يصبر على الناس فلحق بالجبل يعبد الله تعالى فيه وكان حسن القراءة يستمع الى قراءته الوحش كما كان لداود فى زمانه وكان يعتريه حدة ولذلك نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكون مثله لخفة وعجلة ظهرت منه قال الله تعالى فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل وقال تعالى ولا تكن كصاحب الحوت لانه كان قليل الصبر على قومه والمداراة لهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يونس بن متى فيه عجلة وخفة فلما حمل أعباء النبوة تفسخ تحتها تفسخ الربع تحت الحمل الثقيل ولذلك السبب ذهب مغاضبا (واختلف العلماء) فى صفة مغاضبته وسبب ذلك ووقته فقال قوم ذهب مغاضبا لقومه وهى رواية الضحاك والعوفى عن ابن عباس قال كان يونس بن متى وقومه يسكنون فلسطين فغزاهم ملك فسبى منهم تسعة أسباط ونصفا وبقى سبطان ونصف وكانوا اثنى عشر سبطا فيهم النبوة والملك فأوحى الله تعالى الى شعياء النبى أن سر الى حزقيا الملك وقل له يوجه نبيا قويا أمينا فانى ألقى الرعب فى قلوب أولئك الاسباط حتى يرسلوا معه بنى اسرائيل فقال له الملك فمن ترى وكان فى مملكته خمسة من الانبياء فقال يونس فانه قوى أمين فدعا الملك يونس وأمره أن يخرج فقال له يونس هل أمرك الله باخراجى قال لا قال هل سمانى لك قال لا فقال ههنا غيرى أنبياء أقوياء أمناء فألحوا عليه فخرج مغاضبا للنبى والملك ولقومه فأتى بحر الروم وكان من أمره ما كان وقال الحسن البصرى انما غاضب ربه من أجل أنه أمره بالمسير الى قومه لينذرهم بأسه ويدعوهم اليه فسأل ربه أن ينظره ليتأهب للشخوص اليهم فقال له الامر أسرع من ذلك ولم ينظره حتى سأل أن ينظر الى أن يأخذ نعلا يلبسها فقيل له نحو القول الاول وكان رجلا فى خلقه ضيق فقال أعجلنى ربى أن آخذ نعلى فذهب مغاضبا وروى شهر بن حوشب عن ابن عباس قال أتى جبريل يونس عليه السلام فقال له انطلق الى أهل نينوى فانذرهم أن العذاب قد حضرهم ان لم يتوبوا قال التمس دابة قال الامر أعجل من ذلك فغضب وانطلق الى البحر فركب سفينة فكان من أمره ما كان فعلى هذه الاقوال كانت رسالة يونس بعد نجاته من بطن الحوت قال ابن عباس انما كانت رسالة

يا محمد السلام يقرئك السلام ويخصك بالتحية والاكرام ويقول لك وعزته وجلاله لو أقسم على كل أعمى بحرمة شيبة أبى بكر الصديق لرددت عليه بصره وما تركت على وجه الارض أعمى وهذا كله ببركتك وعلو قدرك وشأنك عند ربك اللهم شفعه فينا والمسلمين ﴿ومما نقل من حكايات الخلفاء الراشدين رحمهم الله تعالى﴾ حدث أبو موسى الفضل عن أبيه قال سمعت زينب بنت سليمان بن على بن عبد الله بن عباس تقول كنت عند الخيزران جارية المهدى وكان عادتها اذا كنت عندها أجلس فى عتبة باب بيت من بيوت القصر أجلس بازائها فى الصدر فى مجلس كان المهدى يجلس فيه اذ قصدنا وكان يقصدنا فى كل وقت يجلس عندنا ساعة ثم ينهض فبينما نحن جلوس اذ دخلت علينا جارية من جوارى الخيزران اللاتى يحجبنها فقالت أعز الله السيدة ان بالباب امرأة ذات جمال وخلق حسن وهى على غاية من سوء الحال تستأذن فى الدخول عليك وقد سألتها عن اسمها فامتنعت من ان تخبرنى قالت زينب فاشارت الخيزران الى وقالت ما ترين فقلت ما يضر دخولها فلا بد من فائدة أو ثواب فدخلت المرأة فاذا هى أجمل ما يكون من النساء وأكملهن فوقفت الى جانب الباب وسلمت وقالت

يونس بعد أن نبذه الحوت ودليل هذا القول أن الله تعالى ذكر قصة يونس في سورة الصافات ثم عقبها بقوله وأرسلناه الى مائة ألف أو يزيدون وقال آخرون بل كانت قصة الحوت بعد دعائه قومه وتبليغه الرسالة وانما ذهب عن قومه مغاضبا لربه اذ كشف عنهم العذاب بعدما أوعدهم به وذلك أنه كره أن يكون بين قوم قد جربوا عليه الكذب والخلف فيما أوعدهم ولم يعلم السبب الذي رفع به عنهم العذاب والهلاك فخرج مغاضبا وقال والله لا أرجع اليهم كذابا أبدا أوعدتهم العذاب في يوم ولم يأتهم وفي بعض الاخبار أن قومه كان من عادتهم أن يقتلوا من جربوا عليه الكذب فلما لم يأتهم العذاب للميعاد الذي أوعدهم خشي أن يقتلوه فغضب وقال كيف أرجع الى قومي وقد أخلفتهم الوعد ولم يعلم سبب صرف العذاب عنهم لانه قد كان خرج من بين أظهرهم لنزول العذاب قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه بعث الله يونس بن متى الى قومه وهو ابن ثلاثين سنة فأقام فيهم يدعوهم الى الله تعالى ثلاثا وثلاثين سنة فلم يؤمن به الا رجلان أحدهما روبيل وكان عالما حكيما والآخر تنوخا وكان عابدا زاهدا (قال ابن عباس) وابن مسعود وغيرهما لما أيس من ايمان قومه دعا عليهم فقيل له ما أسرع ما دعوت على قومك ارجع اليهم فادعهم أربعين ليلة أخرى فان أجابوك والا فاني مرسل عليهم العذاب فرجع ودعاهم سبعا وثلاثين ليلة فلم يجيبوه فقام خطيبا فيهم وقال اني محذركم العذاب الى ثلاثة أيام ان لم تؤمنوا ثم قال لهم ان آية ذلك أن تتغير ألوانكم فلما أصبحوا تغيرت ألوانهم فقالوا لبعضهم قد نزل بكم ما قال يونس ولم نجرب عليه كذبا فانظروا فان بات فيكم الليلة فأمنوا من العذاب وان لم يبت فيكم فاعلموا أن العذاب مصبحكم فلما كانت ليلة الاربعين ورأى يونس تغير ألوانهم علم أن العذاب نازل بهم فخرج من بين أظهرهم فلما أصبحوا تغشاهم العذاب (قال سعيد بن جبير) كما يغشى الثوب القبر اذا دخل فيه صاحبه وقال مقاتل كان العذاب فوق رؤسهم قدر ميل وقال ابن عباس قدر ثلثي ميل وقال وهب أغامت السماء غيما أسود هائلا تدخن دخانا شديدا فهبط حتى غشي مدينتهم واسودت أسطحتهم فلما رأوا ذلك أيقنوا بالهلاك والعذاب فطلبوا نبيهم يونس فلم يجدوه فقذف الله في قلوبهم التوبة وألهمهم الرجوع اليه فخرجوا الى الصعيد بأنفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم ولبسوا المسوح وأظهروا الايمان والتوبة لله وأخلصوا النية وفرقوا بين كل والدة وولدها من الناس والدواب والانعام فحن بعضها الى بعض وعلت أصواتهم واختلط حنينهم وعجوا وتضرعوا الى الله وقالوا آمنا بما جاء به يونس فرحمهم ربهم واستجاب دعوتهم وقبل توبتهم وكشف عنهم العذاب بعدما أظلهم وذلك يوم عاشوراء وقيل كان يوم الاربعاء النصف من شوال قال ابن مسعود وبلغ من توبة أهل نينوى ان ترادوا المظالم بينهم حتى ان الرجل ليأتي الى الحجر وقد وضع عليه أساس بنائه فيقتلعه ويرده (وروى) صالح المري عن عمران الجوني عن أبي خالد قال لما غشي قوم يونس العذاب مشوا الى شيخ من بقية علمائهم فقالوا له قد نزل بنا العذاب فما ترى قال قولوا يا حي حين لا حي يا حي حين تحيي الموتى لا اله الا أنت فقالوها فكشف الله عنهم العذاب ومتعوا الى حين كما قال تعالى فلولا كانت قرية آمنت أي فلم تكن قرية آمنت وضع التخصيص موضع النفي لان فيه ضربا من الجحد فنفعها ايمانها في وقت اليأس عند معاينة العذاب الا قوم يونس فلما آمنوا نفعهم ايمانهم في ذلك الوقت لما علم الله من صدقهم كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين قالوا وكان يونس قد خرج من بين أظهرهم وقام ينتظر العذاب والهلاك لقومه فلم ير شيأ وكان من كذب ولم يكن له بينة قتل قال يونس كيف أرجع الى قومي وقد كذبتهم فانطلق معاتبا ربه مغاضبا الى قومه فأتى البحر كما قال تعالى وذا النون اذ ذهب مغاضبا فظن أن لن نقدر عليه أي أن لن نقضي عليه العقوبة تقول العرب قدر الله الشيء يقدره تقديرا وقدره يقدره قدرا وقد قرئ بهما جميعا في قوله تعالى نحن قدرنا بينكم الموت وقوله تعالى الذي قدر فهدى هذا قول أكثر المفسرين وقال عطاء معناه فظن أن لن نضيق عليه الحبس من قول الله تعالى الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر أي يضيق وقوله تعالى ومن قدر عليه رزقه (وقال ابن زيد) هو استفهام معناه أفظن أن لن نقدر عليه وقال الحسن معناه فظن أن يعجز ربه فلا يقدر عليه قال وبلغني أن يونس لما أصاب الذنب انطلق مغاضبا به فاستزله الشيطان حتى ظن أن لن نقدر عليه وكان له سلف وعبادة فأبى الله أن يدعه للشيطان فلما أتى يونس البحر اذا قوم يركبون سفينة فحملوه بغير أجرة فلما دخلها احتبست السفينة ووقفت والسفن تسير يمينا وشمالا فقال الملاحون ان فيها عبدا آبقا من سيده وهذا رسم السفينة اذا كان فيها آبق لم تجر فاقترعوا فوقعت القرعة على يونس فقال أنا الآبق

أنا مرنة بنت مروان بن عبد الملك بن محمد الاموي قالت زينب فكنت متكئة فاستويت جالسة وقلت مرنة قاتلك الله ولا حياك ولا رعاك ولا سامحت ولا سلم عليك والحمد لله الذي أزال النعمة عنك وهتك سترك وأهانك بين الناس أتذكرين يا عدوة الله حين أتاك نساء بني العباس يسألنك بالله ان تكلمي أباك في دفن ابراهيم بن محمد فوثبت عليهن وأسمعتهن أخشن الكلام وأغلظ القول وخرجن على الحالة التي علمت بها قالت زينب فلما سمعت كلامي ضحكت فوالله ما أنسى حسن ثغرها وعلو صوتها بالقهقهة ثم قالت أي بنية عمي أي شيء أعجبك مما صنع الله بي حتى أردت أن تسوني بي والله لقد صنعت بنساء أهلك ما قد ذكرت ولكن حق على الله تعالى أن تكلميني ذليلة جائعة عريانة فكان هذا شكرك لله على ما أولاك ثم قالت زينب فالتفتت ونظرت فاذا هي تبكي فنادت الخيزران يا مرنة دخلت باذني فلا تخرجي الا باذني وصاحت بجواريها ردوها فرجعت وقالت ما ساقني الا الفقر والجهد وسوء الحال قال فنهضت الخيزران وقامت فعانقتها وقالت مالك في موضع من الحال الذي أنا فيه فقالت الخيزران لجواريها عليكن بالحمام على سرعة فدخلوها الحمام وأمرت بعض الجواري

فقالوا

فقالوا نلقي في الماء فاقترعوا أولا وثانيا وثالثا فخرجت القرعة على يونس فزج نفسه في الماء فذلك قوله تعالى فساهم فكان من المدحضين فلما وقع في الماء وكل الله به حوتا فابتلعه وأوحى الله تعالى الى الحوت أني لم أجعله لك رزقا بل جعلناك له حرزا ومسكنا نخذه ولا تكسر له عظما ولا تخدش له لحما وابتلع الحوت حوت آخر فاهوى به الى مسكنه في البحر فالتقمه حوت آخر وانطلق به من ذلك المكان حتى مر به على الايلة ثم مر به على دجلة ثم انطلق به الى نينوى ويقال ان الله تعالى رقق له جلد الحوت حتى كان يرى جميع ما في البحر فلما انتهى به الى أسفل البحر سمع يونس حسا فقال في نفسه ما هذا فأوحى الله تعالى اليه وهو في بطن الحوت ان هذا تسبيح دواب البحر فسبح وهو في بطن الحوت فسمعت الملائكة تسبيحه فقالوا ربنا انا نسمع صوتا ضعيفا معروفا بأرض مجهولة قال ذلك عبدي يونس عصاني فحبسته في بطن الحوت في البحر فقالوا العبد الصالح الذي كان يصعد لك منه في كل يوم وليلة عمل صالح قال نعم قال فشفعوا له عند ذلك وهو قوله فنادى في الظلمات أن لا اله الا أنت قال ابن عباس ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت سبحانك اني كنت من الظالمين (وروى) سعيد بن المسيب عن سعيد بن مالك قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اسم الله الذي اذا دعي به أجاب واذا سئل به أعطى دعوة يونس بن متى فقلت يا رسول الله هي ليونس بن متى خاصة أم لجماعة المسلمين فقال هي ليونس خاصة ولجماعة المسلمين عامة اذا دعوا بها ألم تسمع قوله تعالى فنادى في الظلمات الى قوله وكذلك ننجي المؤمنين فلما دعا به يونس وشفعت له الملائكة أمر الله الحوت فقذفه الى ساحل نينوى كما قال الله تعالى فنبذناه بالعراء أي بوجه الارض وهو سقيم أي عليل ضعيف كالفرخ الممعط (واختلفوا) في مدة مكث يونس في بطن الحوت فقال مقاتل ثلاثة أيام وقال عطاء سبعة أيام وقال الضحاك عشرين يوما وقال السدي والكلبي أربعين يوما فلما أخرجه الله من بطن الحوت أنبت له شجرة من يقطين وهو القرع فجعل يستظل بها ووكل الله به وعلة تختلف اليه فيشرب منها لبنا فذلك قوله تعالى وأنبتنا عليه أي عنده شجرة من يقطين قالوا فيبست الشجرة فبكى عليها فأوحى الله اليه أتبكي على شجرة يبست ولا تبكي على مائة ألف أو يزيدون أردت أن أهلكهم ثم ذهب يونس فاذا هو بغلام يرعى غنما فقال من أين أنت يا غلام فقال أنا من قوم يونس فقال اذا رجعت اليهم فقل لهم انك لقيت يونس فقال الغلام ان كنت يونس فانت تعلم أنه ان لم يكن لي بينة قتلت فمن يشهد لي فقال يونس تشهد لك هذه البقعة وهذه الشجرة وهذه الشاة وأشار الى شاة من غنمه فقال له الغلام فمرهم قال لهم يونس اذا جاءكم هذا الغلام فاشهدوا له قالوا نعم فرجع الغلام الى قومه ثم قال للملك اني قد لقيت يونس وانه يقرأ عليكم السلام فأمر الملك بقتله وقال كذبت فقال ان لي بينة فارسلوا معي أحدا يشهد له فارسلوا معه رجالا فأتى البقعة والشجرة والشاة وقال أنشدكم بالله هل أشهدكم يونس قالوا نعم فرجع القوم مذعورين وقالوا للملك شهدت له الشجرة والارض والشاة فأخذ بيد الغلام وأجلسه في مجلسه وقال أنت أحق بهذا المكان مني قال فاقام لهم أمرهم ذلك الغلام أربعين سنة ثم انهم خرجوا يلتمسون يونس فوجدوه ففرحوا به وآمنوا به فاقام لهم أمرهم (يروى) أن يونس عليه السلام مضى من عندهم فنزل قرية ليلا فاضافه رجل وكان ذلك الرجل قد عمل كثيرا من الفخار فأوحى الله اليه يا يونس مر صاحب هذا الفخار أن يكسر تلك الفخارات فقال له يونس ذلك فلما سمع ذلك منه شتمه وقال شيء عملته بيدي أعيش فيه وأتمتع بثمنه أنا وعيالي تأمرني بكسره فبكى يونس فأوحى الله اليه هذا عمل فخارا من طين لم تطب نفسه بكسره وأنت طبت نفسا ووطنتها على هلاك مائة ألف أو يزيدون من عبادي فمضى يونس وهبطوا واديا (قال) فلما شهدت الشجرة والارض والشاة للغلام وكانت الشاة التي كانت مع الغلام قالت لهم ان أردتم يونس فاهبطوا الى الوادي فهبطوا فاذا هم بيونس فانكبوا على رجليه يقبلونهما وسألوه أن يدخل معهم المدينة فقال لا حاجة لي في مدينتكم فبكوا وألحوا عليه فأبى عليهم الدخول فأتى له بعجلة من فضة وأجلس عليها فتمثل له جبريل عليه السلام عاضا على سبابته وهو ينادي هذا مجلس الجبارين فوثب يونس من العجلة وجعل يمشي حتى دخل معهم المدينة فمكث مع أهله وولده أربعين ليلة ثم خرج سائحا وخرج الملك معه وصار الغلام الراعي ملكا لتلك المدينة كما ذكرنا فلم يزالا سائحين يعبدان الله تعالى حتى ماتا عليهما السلام وكانت نبوة يونس في زمان ملوك الطوائف والله أعلم (باب في قصة أصحاب الكهف) قال الله تعالى أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا اختلف العلماء في الرقيم قال النعمان

يخدمنها ثم وافتها بالخلع المذهبة والطيب ثم نامت اليها الخيزران واعتنقتها وأجلستها في المجلس الذي يجلس فيه أمير المؤمنين المهدي وقدمت اليها الموائد فجعلت تأكل وهي تلقمها الى أن اكتفت فغسلت يديها ثم قالت لها الخيزران فهل عندك أحد ينتظرك فقالت مالي أحد فقالت الخيزران فقومي فاختاري لك مقصورة من مقاصيري فاسكني فيها عندي ولا نفترق حتى يفرق بيننا الموت فقامت وطافت فاختارت أوسعها وأنزهها فحول اليها جميع ما تختار اليه من الفرش والملابس الحرير والرقيق ثم قالت الخيزران ان هذه امرأة مسها الضر وأورثها الفقر ما لا تقدر عليه ولا يغسل ما في قلبها الا المال احملوا اليها خمسمائة ألف درهم فحمل اليها ذلك ثم دخل المهدي في آخر الامر فقال ما بالكم فنهضت اليه زينب وأعلمته بجميع ما جرى وما قالت حين دخلت عليها فغضب غضبا شديدا وقال هذا سجودك لله تعالى شكرا على ما أنعم عليك فوالله لولا انك حرمة لاحلفن أن لا أكلمك أبدا فقالت يا أمير المؤمنين قد طاب قلبها واعتذرت اليها وفعلت معها الخيزران كذا وكذا وفسر ذلك وقال احملوا اليها من عندي مائة ألف درهم وقال لخادم كان على رأسه بلغها مني السلام وقل لها اني ما سررت

بن بشير الانصارى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الرقيم قال ان ثلاثة نفر خرجوا يرتادون لاهليهم فبينما هم يمشون اذ أصابتهم السماء فأووا الى الكهف فانحطت صخرة من الجبل عليهم فانطبقت على باب الكهف فأوصدت عليهم فقال قائل منهم كل منكم يذكر أحسن عمل عمله فلعل الله يرحمنا فقال رجل منهم قد عملت مرة حسنة كان لى أجراء يعملون عملا لى فاستأجرت كل رجل منهم بأجرة معلومة فجاء رجل منهم ذات يوم وسط النهار فاستأجرته بشطر أصحابه فعمل فى بقية نهاره كعمل رجل منهم نهاره كله فرأيت له على من الاكرام ان لا أنقصه شيأ مما استأجرت به أصحابه لما اجتهد فى عمله فقال رجل منهم أتعطى هذا مثل ما أعطيتنى ولم يعمل الا نصف النهار فقلت له يا عبد الله لم أبخسك شيأ من شرطك انما هو مالى أحكم فيه بما شئت قال فغضب وذهب وترك أجرته فوضعت حقه فى جانب من البيت ما شاء الله ثم مر بى بعد ذلك بقر فاشتريت به فصيلة فبلغت ما شاء الله فمر بى بعد ذلك شيخ ضعيف لا أعرفه فقال لى ان لى عندك حقا فقلت له اذكره لى حتى أعرفه قال فذكره فقلت له اياك أبغى وهذا حقك وعرضتها عليه فقال يا عبد الله لا تسخر بى ان لم تتصدق على فأعطنى حقى فقلت والله ما أسخر ان هذا لحقك ومالى فيه شئ فدفعتها اليه اللهم ان كنت فعلت هذا لوجهك الكريم فافرج عنا فانصدع الجبل حتى أبصروا الضوء وقال الآخر قد عملت حسنة مرة كان لى فضل مال وأصاب الناس شدة فجاءتنى امرأة تطلب منى معروفا فقلت والله ما هو دون نفسك فأبت على وذهبت ثم انها رجعت فذكرتنى بالله فأبيت عليها وقلت والله ما هو دون نفسك فأبت على وذهبت وذكرت ذلك لزوجها فقال لها أعطيه نفسك وأغنى عيالك فرجعت الى تنشدنى بالله فأبيت عليها وقلت والله ما هو دون نفسك فلما رأت ذلك أسلمت الى نفسها فلما كشفتها وهممت بها ارتعدت من تحتى فقلت لها ما شأنك فقالت انى أخاف الله رب العالمين فقلت لها خفتيه فى الشدة ولم أخفه فى الرخاء فتركتها وأعطيتها ما تحب بما كشفتها اللهم ان كنت فعلت هذا لوجهك الكريم فافرج عنا فانصدع الجبل حتى تعارفنا وقال الآخر قد عملت حسنة مرة كان لى أبوان كبيران وكان لى غنم فكنت أطعم أبوى وأسقيهما ثم انى أرجع الى غنمى قال فأصابنى يوما غيث فحبسنى حتى أمسيت فأتيت أهلى وأخذت محلبى فحلبت غنمى وتركتها قائمة مكانها ومضيت الى أبوى فوجدتهما قد ناما فشق على أن أوقظهما وشق على أن أترك غنمى فبرحت جالسا ومحلبى فى يدى حتى أيقظهما الصبح فسقيتهما اللهم ان كنت فعلت ذلك لوجهك الكريم فافرج عنا ما نحن فيه قال النعمان لكأنى أسمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كأن الجبل طبق ففرج الله عنهم فخرجوا (وقال ابن عباس) الرقيم واد بين غطفان وأيلة دون فلسطين وهو الوادى الذى فيه أصحاب الكهف قال كعب هى قريتهم وقال سعيد بن جبير وغيره من أئمة الاخبار الرقيم لوح من حجارة وقيل من رصاص كتبوا فيه أسماء أهل الكهف وقصتهم ثم جعلوه فى صندوق ووضعوه على باب الكهف ثم ذكر الله خبر أصحاب الكهف فقال اذ أوى الفتية الى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة قال أهل التفسير وأصحاب التواريخ كان أمر أصحاب الكهف فى أيام ملوك الطوائف بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام (وأما قصتهم) فيقال لما ولى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه الخلافة أتاه قوم من أحبار اليهود فقالوا له يا عمر أنت ولى الامر بعد محمد صلى الله عليه وسلم وصاحبه وانا نريد أن نسألك عن خصال ان أخبرتنا بها علمنا أن الاسلام حق وان محمدا كان نبيا وان لم تخبرنا بها علمنا أن الاسلام باطل وان محمدا لم يكن نبيا فقال عمر سلوا عما بدا لكم قالوا أخبرنا عن أقفال السموات ماهى وأخبرنا عن مفاتيح السموات ماهى وأخبرنا عن قبر سار بصاحبه ماهو وأخبرنا عمن أنذر قومه لا هو من الجن ولا هو من الانس وأخبرنا عن خمسة أشياء مشوا على وجه الارض ولم يخلقوا فى الارحام وأخبرنا ما يقول الدراج فى صياحه وما يقول الديك فى صراخه وما يقول الفرس فى صهيله وما يقول الضفدع فى نقيقه وما يقول الحمار فى نهيقه وما يقول القنبر فى صفيره (قال) فنكس عمر رأسه فى الارض ثم قال لا عيب بعمر اذا سئل عما لا يعلم أن يقول لا أعلم وأن يسأل عما لا يعلم فوثبت اليهود وقالوا نشهد أن محمدا لم يكن نبيا وان الاسلام باطل فوثب سلمان الفارسى وقال لليهود قفوا قليلا ثم توجه نحو على بن أبى طالب كرم الله وجهه حتى دخل عليه وقال يا أبا الحسن أغث الاسلام فقال وماذاك فأخبره الخبر فأقبل يرفل فى بردة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما نظر اليه عمر وثب قائما فاعتنقه وقال يا أبا الحسن أنت لكل معضلة وشدة تدعى فدعا على كرم الله وجهه اليهود فقال سلوا عما بدا لكم فان النبى صلى الله عليه وسلم علمنى ألف باب من العلم فتشعب لى

بشيء منذ دهرى كسرورى اليوم بمقامك عندنا ولولا احتشامك لسرت اليك مسلما عليك قاضيا لحقك قال فلما مضى الخادم بالرسالة جاءت الى المهدى وسلمت عليه وقالت ما على أمير المؤمنين منى احتشام فانى صرت من جواريه فقال أمير المؤمنين لا والله بل أعز من ولدى قال فلم تزل المرأة عند الخيزران حتى ماتت رحمة الله تعالى عليها وعلى الخيزران وعلى أمير المؤمنين المهدى وجزاهم الله تعالى عن معروفهم ومكارم أخلاقهم خيرا ﴿ ولما حج أمير المؤمنين المنصور رحمة الله تعالى عليه ﴾ عرض عليه جوهر نفيس له قيمة عظيمة الثمن فعرفه وقال هذا كان لهشام ابن عبد الملك بن مروان ثم انتقل الى ابنه محمد بن هشام ومابقى من الامويين غيره ولا بد لى منه ثم التفت الى حاجبه الربيع وقال اذا كان الغد وصليت بالناس فى المسجد الحرام وجمع الناس كلهم فاغلق الابواب ووكل بها جماعة من الثقات وافتح بابا واحدا وقف عليه ولا يخرج أحد حتى تعرفه فاذا ظفرت بمحمد بن هشام فائتنى به فلما كان الغد أغلق الربيع الابواب وفعل ما أمر به المنصور وكان محمد بن هشام

من

من كل باب ألف باب فسألوه عنها فقال على كرم الله وجهه ان لى عليكم شريطة اذا اخبرتكم كما فى توراتكم دخلتم فى ديننا وآمنتم فقالوا نعم فقال سلوا عن خصلة خصلة قالوا أخبرنا عن أقفال السموات ماهى قال أقفال السموات الشرك بالله لان العبد والامة اذا كانا مشركين لم يرتفع لهما عمل قالوا فاخبرنا عن مفاتيح السموات ماهى قال شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده و رسوله قال فجعل بعضهم ينظر الى بعض و يقولون صدق الفتى قالوا فاخبرنا عن قبر سار بصاحبه فقال ذلك الحوت الذى التقم يونس بن متى فسار به فى البحار السبعة فقالوا أخبرنا عمن أنذر قومه لا هو من الجن ولا من الانس قال هى نملة سليمان بن داود قالت يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم لا يحطمنكم سليمان وجنوده وهم لا يشعرون قالوا فاخبرنا عن خمسة مشوا على الارض ولم يخلقوا فى الارحام قال ذلكم آدم وحواء وناقة صالح وكبش ابراهيم وعصا موسى قالوا فاخبرنا ما يقول الدراج فى صياحه قال يقول الرحمن على العرش استوى قالوا فاخبرنا ما يقول الديك فى صراخه قال يقول اذكروا الله يا غافلين قالوا أخبرنا ما يقول الفرس فى صهيله قال يقول اذا مشى المؤمنون الى الكافرين للجهاد اللهم انصر عبادك المؤمنين على الكافرين قالوا فاخبرنا ما يقول الحمار فى نهيقه قال يقول لعن الله العشار و ينهق فى أعين الشياطين قالوا فاخبرنا ما يقول الضفدع فى نقيقه قال يقول سبحان ربى المعبود المسبح فى لجج البحار قالوا فاخبرنا ما يقول القنبر فى صفيره قال يقول اللهم العن مبغضى محمد وآل محمد وكان اليهود ثلاثة نفر قال اثنان منهم نشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله و وثب الحبر الثالث فقال يا على لقد وقع فى قلوب أصحابى ما وقع من الايمان والتصديق وقد بقى خلة واحدة أسألك عنها فقال سل عما بدا لك فقال أخبرونى عن قوم فى أول الزمان ماتوا ثلثمائة وتسع سنين ثم أحياهم الله فما كان من قصتهم قال على رضى الله عنه يا يهودى هؤلاء أصحاب الكهف وقد أنزل الله على نبينا قرآنا فيه قصتهم وان شئت قرأت عليك قصتهم فقال اليهودى ما أكثر ما قد سمعنا قراءتكم ان كنت عالما فاخبرنى باسمائهم وأسماء آبائهم وأسماء مدينتهم واسم ملكهم واسم كلبهم واسم جبلهم واسم كهفهم وقصتهم من أولها الى آخرها فاحتبى على كرم الله وجهه ببردة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال يا أخا العرب حدثنى حبيبى محمد صلى الله عليه وسلم أنه كان بارض رومية مدينة يقال لها أفسوس و يقال هى طرسوس وكان اسمها فى الجاهلية أفسوس فلما جاء الاسلام سموها طرسوس قال وكان لهم ملك صالح فمات ملكهم وانتشر أمرهم فسمع بهم ملك من ملوك فارس يقال له دقيانوس وكان جبارا كافرا فاقبل فى عساكره حتى دخل أفسوس فاتخذها دار ملكه و بنى فيها قصرا فوثب اليهودى وقال ان كنت عالما فصف لى ذلك القصر ومجالسه فقال يا أخا اليهود ابتنى فيها قصرا من الرخام طوله فرسخ فى عرض فرسخ واتخذ فيه أربعة آلاف اسطوانة من الذهب وألف قنديل من الذهب لها سلاسل من اللجين تسرج فى كل ليلة بالادهان الطيبة واتخذ لشرقى المجلس مائة وثمانين كوة ولغربيه كذلك وكانت الشمس من حين تطلع الى حين تغيب تدور فى المجلس كيفما دارت واتخذ فيه سريرا من الذهب طوله ثمانون ذراعا مرصع بالجوهر ونصب على يمين السرير ثمانين كرسيا من الذهب فاجلس عليها بطارقته واتخذ أيضا ثمانين كرسيا من الذهب عن يساره فاجلس عليها هراقلته ثم جلس هو على السرير و وضع التاج على رأسه فوثب اليهودى وقال يا على ان كنت عالما أخبرنى مم كان تاجه فقال يا أخا اليهود كان تاجه من الذهب السبيك له تسعة أركان على كل ركن لؤلؤة تضئ كما يضئ المصباح فى الليلة الظلماء واتخذ خمسين غلاما من أبناء البطارقة فمنطقهم بمناطق الديباج الاحمر وسرولهم بسراويل القز الاخضر وتوجهم ودملجهم وخلخلهم وأعطاهم عمد الذهب وأقامهم على رأسه واصطنع ستة غلمة من أولاد العلماء وجعلهم وزراءه فما يقطع أمرا دونهم وأقام منهم ثلاثة عن يمينه وثلاثة عن يساره فوثب اليهودى وقال يا على ان كنت صادقا فاخبرنى ما كان أسماء الستة فقال على كرم الله وجهه حدثنى حبيبى محمد صلى الله عليه وسلم ان الذين كانوا عن يمينه أسماؤهم تمليخا ومكسلمينا ومحسلمينا وأما الذين كانوا عن يساره فمرطليوس وكشطوس وسادنيوس وكان يستشيرهم فى جميع أموره وكان اذا جلس كل يوم فى صحن داره واجتمع الناس عنده دخل من باب الدار ثلاثة غلمة فى يد أحدهم جام من الذهب مملوء من المسك وفى يد الثانى جام من فضة مملوء من ماء الورد وعلى يد الثالث طائر فيصيح به فيطير الطائر حتى يقع فى جام ماء الورد فيتمرغ فيه فينشف ما فيه بريشه وجناحيه ثم يصيح به الثانى فيطير فيقع فى جام المسك

فى المسجد فعرف انه المطلوب وأيقن انه مأخوذ مقتول فتحير وارتاب واضطرب فبيناهو على تلك الحالة اذ أقبل على محمد بن زيد ابن على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنهم فلما رآه متحيرا وكان لا يعرفه تقدم اليه وقال يا هذا ما بالك فقال لا شئ فقال قل ولك أمان الله على نفسك فقال أنا محمد بن هشام ابن عبد الملك فمن أنت قال محمد بن زيد بن على ابن الحسين فزاد خوفه وطار عقله وأيقن بالموت فقال لا تجزع فانك لست قاتل أبى ولا جدى وليس لى عليك ثأر وأنا أجتهد فى خلاصك ان شاء الله تعالى ولكن اعذرنى فيما أنا صانع بك من مكروه وقبيح فطرح رداءه على وجهه وغطى رأسه وجذب به الى قريب من الربيع فقال يا أبا الفضل ان هذا الخبيث جمال من أهل الكوفة أكرانى جماله فلما دفعت اليه الاجرة هرب منى وأكرى جماله لبعض أهل خراسان ولى عليه شهود وأريد منك أن توصله معى الى القاضى وتمسك جماله عن الذهاب مع الخراسانيين فوكل به الربيع رجلين وقال لا تفارقاه الى القاضى ومحمد قابض على الرداء وقد استتر به وجهه وخرجوا جميعا من المسجد فلما بعدوا من الربيع قال له محمد ويلك وما يفعل الفاجر فقال يابن بنت رسول

فيتمرغ فيه فينشف مافيه بريشه وجناحيه ثم يصيح به الثالث فيطير فيقع على تاج الملك فينفض ريشه وجناحيه على رأس الملك بما فيه من المسك وماء الورد فمكث الملك في ملكه ثلاثين سنة من غير أن يصيبه صداع ولا وجع ولا حمى ولا لعاب ولا بصاق ولا مخاط فلما رأى ذلك من نفسه عتا وطغى وتجبر واستعصى وادعى الربوبية من دون الله تعالى ودعا اليه وجوه قومه فكل من أجابه أعطاه وحباه وكساه وخلع عليه ومن لم يجبه ويتابعه قتله فاجابوه باجمعهم فأقاموا في ملكه زمانا يعبدونه من دون الله تعالى فبينما هو ذات يوم جالس في عيد له على سريره والتاج على رأسه اذ أتى بعض بطارقته فأخبره أن عساكر الفرس قد غشيته يريدون قتاله فاغتم لذلك غما شديدا حتى سقط التاج عن رأسه وسقط هو عن سريره فنظر أحد فتيته الثلاثة الذين كانوا عن يمينه الى ذلك وكان عاقلا يقال له تمليخا فتفكر وتذكر في نفسه وقال لو كان دقيانوس هذا الها كما يزعم لما حزن ولما كان ينام ولما كان يبول ويتغوط وليست هذه الافعال من صفات الاله وكانت الفتية الستة يكونون كل يوم عند واحد منهم وكان ذلك اليوم نوبة تمليخا فاجتمعوا عنده فأكلوا وشربوا ولم يأكل تمليخا ولم يشرب فقالوا يا تمليخا مالك لا تأكل ولا تشرب فقال يا اخوتي وقع في قلبي شيء منعني عن الطعام والشراب والمنام فقالوا وما هو يا تمليخا فقال أطلت فكري في هذه السماء فقلت من رفعها سقفا محفوظا بلا علاقة من فوقها ولا دعامة من تحتها ومن أجرى فيها شمسها وقمرها ومن زينها بالنجوم ثم أطلت فكري في هذه الارض ومن سطحها على ظهر اليم الزاخر ومن حبسها وربطها بالجبال الرواسي لئلا تميد ثم أطلت فكري في نفسي فقلت من أخرجني جنينا من بطن أمي ومن غذاني ورباني ان لهذا صانعا ومدبرا سوى دقيانوس الملك فانكبت الفتية على رجليه يقبلونهما وقالوا يا تمليخا لقد وقع في قلوبنا ما وقع في قلبك فأشر علينا فقال يا اخوتي ما أجد لي ولكم حيلة الا الهرب من هذا الجبار الى ملك السموات والارض فقالوا الرأي ما رأيت فوثب تمليخا فابتاع تمرا بثلاثة دراهم وصرها في ردائه وركبوا خيولهم وخرجوا فلما ساروا قدر ثلاثة أميال من المدينة قال لهم تمليخا يا اخوتاه قد ذهب عنا ملك الدنيا وزال عنا أمره فانزلوا عن خيولكم وامشوا على أرجلكم لعل الله يجعل لكم من أمركم فرجا ومخرجا فنزلوا عن خيولهم ومشوا على أرجلهم سبع فراسخ حتى صارت أرجلهم تقطر دما لانهم لم يعتادوا المشي على أقدامهم فاستقبلهم رجل راع فقالوا أيها الراعي أعندك شربة ماء أو لبن فقال عندي ما تحبون ولكني أرى وجوهكم وجوه الملوك وما أظنكم الا هرابا فأخبروني بقصتكم فقالوا يا هذا انا دخلنا في دين لا يحل لنا الكذب أفينجينا الصدق قال نعم فأخبروه بقصتهم فانكب الراعي على أرجلهم يقبلها ويقول قد وقع في قلبي ما وقع في قلوبكم فقفوا لي ههنا حتى أرد الاغنام الى أربابها وأعود اليكم فوقفوا له فردها وأقبل يسعى فتبعه كلب له فوثب اليهودي قائما وقال يا علي ان كنت عالما فاخبرني ما كان لون الكلب واسمه فقال يا أخا اليهود حدثني حبيبي محمد صلى الله عليه وسلم أن الكلب كان أبلق بسواد وكان اسمه قطمير (قال الاستاذ) اختلف العلماء في لون كلب أصحاب الكهف فقال ابن عباس كان أنمر وقال مقاتل كان أصفر وقال محمد بن كعب كان من شدة حمرته وصفرته يضرب الى الحمرة وقال الكلبي لونه كالثلج وقيل لون الهرة وقيل لون السماء واختلفوا في اسمه أيضا فروى عن علي كرم الله وجهه أن اسمه ريان وقال ابن عباس كان اسمه قطمير وهي احدى الروايات عن علي وقال شعيب الجبائي كان اسمه حمرا وقال الاوزاعي نتوى وقال مجاهد قنطورا وقال عبد الله بن سلام بسيط وقال كعب كان أصهب واسمه تفنى (وأخبرني ابن فنجويه) باسناده عن أبي حنيفة رضي الله تعالى عنه أن اسم كلبهم كان قطمور وقيل قطفير أخبرني أبو علي الزهري باسناده عن ابن عباس في قوله تعالى ما يعلمهم الا قليل قال أنا من أولئك القليل هم مكسلمينا وتمليخا ومرطليوس وبينوس وساونوس ودانوس وكشطوس وهو الراعي والكلب اسمه قطمير كلب أنمر فوق القلطي ودون الكركي وقال محمد بن أمست القلطي الكلب الصغير وقال ما بقي بنيسابور محدث الا كتب عني هذا الحديث وكتبه أبو عمرو الحيري عني (رجعنا الى الحديث) قال فلما نظر الفتية الى الكلب قال بعضهم لبعض انا نخاف أن يفضحنا هذا الكلب بنبيحه فألحوا عليه طردا بالحجارة فلما نظر اليهم الكلب وقد ألحوا عليه بالحجارة والطرد أقعى على رجليه وتمطى وقال بلسان طلق ذلق يا قوم لم تطردونني وأنا أشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له دعوني أحرسكم من عدوكم وأتقرب بذلك الى الله سبحانه وتعالى فتركوه ومضوا فصعد بهم الراعي جبلا وانحط بهم على كهف فوثب

بعدا عنه قال محمد اذهب الى سبيلك فقبل محمد بن هشام يده ورأسه وقال الله أعلم حيث يجعل رسالته ثم أخرج جوهرا قيمته كثيرة وقال لله تعالى يا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم سرني بقبول هذا فقال له اذهب بمتاعك فنحن أهل بيت لا نقبل على اصطناع المعروف مكافأ رضي الله تعالى عنهم (وقيل) للاحنف بن قيس ممن تعلمت الحلم قال من قيس بن عاصم رأيته يوما من الايام قاعدا بفناء داره متقلدا بحمائل سيفه يحدث قومه فبينما هو كذلك اذ أتى برجلين أحدهما مقتول والآخر مكتوف فقيل له هذا ابن أخيك قد قتل ابنك قال فوالله ما قطع كلامه ولا اغتاظ ثم التفت الى ابن أخيه وقال يا ابن أخي أثمت بربك ورميت نفسك بسهمك وقتلت ابن عمك ثم قال لابنه الآخر يا بني قم فادفن أخاك وحل كتاف ابن عمك وسق الى أمك مائة ناقة دية ولدها فانها غريبة منا (وروى عنه أيضا) انه جلس في داره يوما على المائدة ومعه ولد له صغير فجاءت جارية بسفود عليه شواء حار فسقط السفود منها فوقع على الولد فمات من رقته فدهشت الجارية وتغير

لونها فقال لا بأس عليك أنت حرة لوجه الله تعالى وهذا من مكارم الاخلاق رضي الله تعالى عنه ﴿ولما حج معاوية بن أبي سفيان
رضى الله تعالى عنه ﴾ لم يترك شيأ الا قدم به الى مكة والمدينة من دراهم ودنانير وثياب وطيب ودواب وغير ذلك فلما قدم المدينة قسم على أهلها أكثر من أهل مكة وبعث الى رجل من الانصار بألف درهم وعشرة أثواب وكان الرجل الانصارى من أهل بدر فأتاه الرسول بذلك العطاء فغضب وقال أما وجد معاوية من يرسل اليه بمثل هذا العطاء غيرى أردده عليه فقال الرسول لا أقدر على ذلك فدعا الانصارى ابناله وقال له يابنى أسألك بحقى عليك الا رددت هذا العطاء على معاوية وضربت بهذه الثياب وجهه فأخذها ابن الانصارى وأتى الى معاوية فعرف معاوية الشر فى وجهه فقال ما تريد فقال ان أبى يقرئك السلام ويقول أمثلى ترسل اليه بمثل هذا العطاء فقال معاوية من الرسول الى أبيك وقال فلان فقال قاتله الله انما هذا العطاء لغير أبيك وعطاء أبيك دفعه الى رجل غيره ثم قال ياغلام على بعشرة آلاف درهم وثلاثين ثوبا ووصيفاء ووصيفة مسرعا
فحضر الجميع فقال ياابن اخى خذ الجميع وعد الى أبيك واعتذر من ابيك وعرفه خطأ الرسول فقال ياأمير المؤمنين ان للوالد حقا وله أمر مطاع

اليهودى وقال ياعلى ما اسم ذلك الجبل وما اسم الكهف قال امير المؤمنين يا اخا اليهود اسم الجبل ناجلوس واسم الكهف الوصيد وقيل خيرم ﴿رجعنا الى الحديث﴾ قال واذا بفناء الكهف أشجار مثمرة وعين غزيرة فأكلوا من الثمار وشربوا من الماء وجنهم الليل فأووا الى الكهف وربض الكلب على باب الكهف ومد يديه عليه وأمر الله ملك الموت بقبض أرواحهم ووكل الله تعالى بكل رجل منهم ملكين يقلبانه من ذات اليمين الى ذات الشمال ومن ذات الشمال الى ذات اليمين (قال ابن عباس) كانوا يقلبون فى السنة مرة لئلا تأكل الارض لحومهم ويقال ان يوم عاشوراء كان يوم تقلبهم قال أبو هريرة كان لهم فى كل سنة تقليبتان ﴿رجعنا الى الحديث﴾ قال وأوحى الله تعالى الى الشمس فكانت تزاور عن كهفهم ذات اليمين اذا طلعت واذا غربت تقرضهم ذات الشمال فلما رجع الملك دقيانوس من عيده سأل عن الفتية فقيل له انهم اتخذوا الها غيرك وخرجوا هاربين منك فركب فى ثمانين الف فارس وجعل يقفو آثارهم حتى صعد الجبل وشارف الكهف فنظر اليهم مضطجعين فظن أنهم نيام فقال لاصحابه لو أردت أن أعاقبهم بشئ ما عاقبتهم بأكثر مما عاقبوا به أنفسهم ائتونى بالبنائين فأتى بهم فردموا عليهم باب الكهف بالجبس والحجارة ثم قال لاصحابه قولوا لهم يقولوا لالههم الذى فى السماء ان كانوا صادقين يخرجهم من هذا الموضع فمكثوا ثلاثمائة وتسع سنين فنفخ الله فيهم الروح وهبوا من رقدتهم لما بزغت الشمس فقال بعضهم لبعض لقد غفلنا هذه الليلة عن عبادة الله تعالى قوموا بنا الى العين فاذا بالعين قد غارت والاشجار قد جفت فقال بعضهم لبعض انا من أمرنا هذا فى عجب مثل هذه العين قد غارت فى ليلة واحدة ومثل هذه الاشجار قد جفت فى ليلة واحدة فالقى الله عليهم الجوع فقالوا أيكم يذهب بورقكم هذه الى المدينة فليأتنا بطعام منها ولينظر أن لا يكون من الطعام الذى يعجن بشحم الخنازير وذلك قوله تعالى فابعثوا أحدكم بورقكم هذه الى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاما أى أحل وأجود وأطيب فقال لهم تمليخا ياأخوتى لا يأتيكم أحد بالطعام غيرى ولكن أيها الراعى ادفع الى ثيابك وخذ ثيابى فلبس ثياب الراعى ومر وكان يمر بمواضع لا يعرفها وطريق ينكرها حتى أتى باب المدينة فاذا عليه علم أخضر مكتوب عليه لا اله الا الله عيسى روح الله صلى الله على نبينا وعليه وسلم فطفق الفتى ينظر اليه ويمسح عينيه ويقول أرانى نائما فلما طال عليه ذلك دخل المدينة فمر باقوام يقرؤن الانجيل واستقبله أقوام لا يعرفهم حتى انتهى الى السوق فاذا هو بخباز فقال له ياخباز ما اسم مدينتكم هذه قال أفسوس قال وما اسم ملككم قال عبد الرحمن قال تمليخا ان كنت صادقا فان أمرى عجيب ادفع الى بهذه الدراهم طعاما وكانت دراهم ذلك الزمان الاول ثقالا كبارا فعجب الخباز من تلك الدراهم فوثب اليهودى وقال ياعلى ان كنت عالما فاخبرنى كم كان وزن الدرهم منها فقال يا اخا اليهود أخبرنى حبيبى محمد صلى الله عليه وسلم أن وزن كل درهم منها عشرة دراهم وثلثا درهم فقال له الخباز ياهذا انك قد أصبت كنزا فأعطنى بعضه والا ذهبت بك الى الملك فقال تمليخا ما أصبت كنزا وانما هذا من ثمن تمر بعته بثلاثة دراهم منذ ثلاثة أيام وقد خرجت من هذه المدينة وهم يعبدون دقيانوس الملك فغضب الخباز وقال ألا ترضى ان أصبت كنزا أن تعطينى بعضه حتى تذكر رجلا جبارا كان يدعى الربوبية قد مات منذ ثلثمائة سنة وتسخر بى ثم أمسكه واجتمع الناس ثم انهم أتوا به الى الملك وكان عاقلا عادلا فقال لهم ما قصة هذا الفتى قالوا أصاب كنزا فقال له الملك لا تخف فان نبينا عيسى عليه السلام أمرنا أن لا نأخذ من الكنوز الا خمسها فادفع الى خمس هذا الكنز وامض سالما فقال أيها الملك تثبت فى أمرى ما أصبت كنزا وانما أنا من أهل هذه المدينة فقال له أنت من أهلها قال نعم قال أفتعرف فيها أحدا قال نعم قال فسم لنا فسمى له نحوا من ألف رجل فلم يعرفوا منهم رجلا واحدا قالوا يا هذا ما نعرف هذه الاسماء وليست هى من أسماء أهل زماننا ولكن هل لك فى هذه المدينة دار فقال نعم أيها الملك فابعث معى أحدا فبعث معه الملك جماعة حتى أتى بهم دارا أرفع دار فى المدينة وقال هذه دارى ثم قرع الباب فخرج لهم شيخ كبير قد استرخى حاجباه من الكبر على عينيه وهو فزع مرعوب مذعور فقال أيها الناس ما بالكم فقال له رسول الملك ان هذا الغلام يزعم ان هذه الدار داره فغضب الشيخ والتفت الى تمليخا وتبينه وقال له ما اسمك قال تمليخا بن فلسطين فقال الشيخ أعد على فاعاد عليه فانكب الشيخ على يديه ورجليه يقبلهما وقال هذا جدى ورب الكعبة وهو أحد الفتية الذين هربوا من دقيانوس الملك الجبار الى جبار السموات والارض ولقد كان عيسى عليه السلام اخبرنا بقصتهم وأنهم سيحيون فانهى ذلك الى الملك فركب الملك وأتى اليهم وحضرهم فلما رأى الملك تمليخا نزل عن فرسه وحمل تمليخا على عاتقه فجعل الناس يقبلون

يديه ورجليه و يقولون له ياتمليخا ما فعل بأصحابك فأخبرهم انهم فى الكهف وكانت المدينة قد وليها رجلان ملك مسلم
وملك نصرانى فركبا فى أصحابهما وأخذ اتمليخا فلما صار واقريبا من الكهف قال لهم تمليخا ياقوم انى أخاف أن
اخوتى يحسون بوقع حوافر الخيل والدواب وصلصلة اللجم والسلاح فيظنون أن دقيانوس قد غشيهم فيموتون
جميعا فقفوا قليلا حتى أدخل اليهم فأخبرهم فوقف الناس ودخل عليهم تمليخا فوثب اليه الفتية واعتنقوه وقالوا
الحمد لله الذى نجاك من دقيانوس فقال دعونى منكم ومن دقيانوس كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم قال بل
لبثتم ثلثمائة وتسع سنين وقد مات دقيانوس وانقرض قرن بعد قرن وآمن أهل المدينة بالله العظيم وقد جاؤكم
فقالوا له ياتمليخا تريد أن تصيرنا فتنة للعالمين قال فما تريدون قالوا ارفع يديك ونرفع أيدينا فرفعوا أيديهم وقالوا
اللهم بحق ما أريتنا من العجائب فى أنفسنا الا قبضت أرواحنا ولم يطلع علينا أحد فأمر الله ملك الموت فقبض
أرواحهم وطمس الله باب الكهف وأقبل الملكان يطوفان حول الكهف سبعة أيام فلا يجدان له بابا ولا منفذا
ولا مسلكا فأيقنا حينئذ بلطيف صنع الله الكريم وأن أحوالهم كانت عبرة أراهم الله اياها فقال المسلم على دينى
ماتوا أنا أبنى على باب الكهف مسجدا وقال النصرانى بل ماتوا على دينى فأنا أبنى على باب الكهف ديرا فاقتتل
الملكان فغلب المسلم النصرانى فبنى على باب الكهف مسجدا فذلك قوله تعالى قال الذين غلبوا على أمرهم
لنتخذن عليهم مسجدا وذلك يايهودى ما كان من قصتهم ثم قال على كرم الله وجهه لليهودى سألتك بالله
يايهودى أوافق هذا ما فى توراتكم فقال اليهودى ما زدت حرفا ولا نقصت حرفا ياأبا الحسن لا تسمنى يهوديا فأشهد
أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله وانك أعلم هذه الامة (وقال عبيد بن عمير) كان أصحاب الكهف فتيانا
مطوقين مسورين ذوى ذوائب وكان معهم كلب صيدهم فخرجوا فى عيد لهم عظيم فى زى وموكب وأخرجوا
معهم آلهتهم التى كانوا يعبدونها من دون الله فقذف الله فى قلوبهم الايمان وكان أحدهم وزير الملك فآمنوا
وأخفى كل واحد منهم الايمان عن صاحبه فقالوا فى أنفسهم من غير أن يظهر بعضهم لبعض نخرج من بين
أظهر هؤلاء القوم لئلا يصيبنا عقاب بجرمهم فخرج شاب منهم حتى انتهى الى ظل شجرة فجلس فيه ثم خرج آخر
فرآه جالسا وحده فرجا أن يكون على مثل أمره من غير أن يظهر لك فجلس اليه ثم خرج الآخرون فجاؤا فجلسوا
اليهم واجتمعوا فقال بعضهم لبعض ما جمعكم وكل واحد يكتم عن صاحبه ايمانه مخافة على نفسه ثم قالوا لبعضهم
ليخرج كل فتيين منكم فيخلوا ثم ليفش كل واحد منكم أمره الى صاحبه فخرج فتيان منهم فتوافقا ثم تكلما
فذكر كل واحد منهما أمره لصاحبه فأقبلا وهما مستبشران الى أصحابهما فقالا قد اتفقنا على أمر واحد واذاهم
جميعا على الايمان واذا كهف فى الجبل قريب منهم فقال بعضهم لبعض فأووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من
رحمته ويهيئ لكم من أمركم مرفقا فدخلوا الكهف ومعهم كلب صيدهم فناموا ثلثمائة سنة وتسع سنين قال
وفقدهم قومهم فطلبوهم فعمى الله عليهم آثارهم وكهفهم فلما لم يقدروا عليهم كتبوا أسماءهم وأنسابهم وكتبوا
فى لوح فلان وفلان أبناء ملوكنا فقدناهم فى يوم كذا فى شهر كذا من سنة كذا فى مملكة فلان بن فلان ووضعوا
اللوح فى خزانة الملك وقالوا ليكونن لهذا شأن ومات ذلك الملك وجاء قرن بعد قرن (وأخبرنا) الحسن بن الحسين
الثقفى باسناده عن أبى جعفر الباقر قال كان أصحاب الكهف صيارفة * وقال وهب بن منبه جاء حوارى من
أصحاب عيسى عليه السلام الى مدينة أصحاب الكهف فأراد أن يدخلها فقيل له ان على بابها صنما لا يدخلها أحد
الا سجد له فكره أن يدخلها فأتى الى حمام قريب من تلك المدينة وأجر نفسه من الحمامى وكان يعمل فيه فرأى
صاحب الحمام فى حمامه البركة ودر عليه الرزق فجعل يقوم عليه وتعلق به فتية من أهل المدينة فجعل يخبرهم
خبر السماء والارض وخبر الآخرة حتى آمنوا به وصدقوه وكانوا على مثل حاله فى حسن الهيئة وكان يشرط على
صاحب الحمام ان الليل لى لا يحول بينى وبينه أحد فيصلى فكان على ذلك الحال حتى أتى ابن الملك الحمام بامرأة
فدخل بها الحمام فعيره الحوارى وقال له أنت ابن الملك وتدخل مع هذه فاستحى ابن الملك وذهب ثم رجع مرة
أخرى فقال له مثل ذلك فسبه وانتهره ولم يلتفت اليه ثم انهما دخلا معا فماتا جميعا فى الحمام فأتى الملك وقيل له قتل
صاحب الحمام ابنك فالتمس فلم يقدر عليه فقال من كان يصحبه فسموا الفتية فالتمسوا فخرجوا من المدينة فمروا
بصاحب لهم فى زرع وهو على مثل ايمانهم فذكروا أنهم التمسوا فانطلق معهم ومعه كلبه حتى أواهم الليل الى
الكهف فدخلوا وقالوا نبيت هنا الليلة ثم نصبح ان شاء الله تعالى فترون رأيكم فضرب الله على آذانهم فخرج الملك

وقد أمرنى ان أفعل شيأ قال معاوية ماهـ ياابن أخى قال انه دفع الى الثياب وقال بحق عليك الا ضربت بها وجهه فقال معاوية
ياابن أخى أطع والدك
وارفق بعمك فتقدم الغلام
ورمى بها وجهه برفق
وتوجه الغلام الى أبيه
وأخبره بذلك وهو من
حسن أخلاقهم (وقيل)
نزل بعض اللصوص
الى دار خلف بن أيوب
وهو قائم يصلى بالليل
فجمع اللص جميع ما فى
البيت من قماش
وغيره وشده وحمله على
رأسه وخلف ينظر اليه
ولا يكلمه ثم خرج اللص
من البيت الى الحائط
يريد النهوض فلم يقدر
على ذلك فقال له خلف
ياابن أخى خذ المفتاح
وافتح الباب واخرج
فلعلك محتاج الى ذلك
فقال ان مثلك والله
لن يؤذى ثم ترك ما كان
أخذه وتاب الى الله
تعالى *(وحكى بعضهم)*
قال كان لعبد الله بن
الزبير أرض مجاورة
لارض معاوية بن أبى
سفيان وكان فى كل
أرض عبيد لعمارتها
فدخل عبيد معاوية فى
أرض عبد الله بن الزبير
وغصبوا منها قطعة
فكتب عبد الله بن
الزبير الى معاوية أما
بعد يامعاوية فان
عبيدك قد غصبوا
أرضى فأمرهم بأن
ينكفوا عنها والا كان
لى ولكم شأن فلما وقف
معاوية على كتابه دفعه الى ولده يزيد فلما قرأه قال ما ترى يايزيد قال أرى ان تبعث له جيشا أوله عنده وآخره عندنا

فى

فى اصحابه يطلبونهم حتى وجدوهم قد دخلوا الكهف وكان كلما أراد الرجل منهم أن يدخل الكهف أرعب فلم يطق أحد أن يدخله فقال قائل أليس لو كنت قدرت عليهم قتلتهم قال بلى قال فابن عليهم باب الكهف واتركهم فيه يموتوا عطشا وجوعا ففعل ذلك قال وهب فتركهم بعد ماسد واعليهم باب الكهف ومضى زمان بعد زمان ثم ان راعيا أدركه المطر عند باب الكهف فقال لو فتحت باب هذا الكهف فأدخلت فيه غنمى من المطر فلم يزل يعالجه حتى فتح الباب ورد الله اليهم أرواحهم من الغد حين أصبحوا (وقال) محمد بن اسحق مرج أهل الانجيل وعظمت فيهم الخطايا وطغت فيهم الملوك حتى عبدوا الاصنام وذبحوا للطواغيت وفيهم بقايا على دين المسيح متمسكون بعبادة الله تعالى وتوحيده فكان ممن فعل ذلك من ملوكهم ملك من الروم يقال له دقيانوس كان عبد الاصنام وذبح للطواغيت وقتل من خالفه فى ذلك ممن أقام دين المسيح وكان ينزل قرى الروم فلا يترك فى قرية نزلها أحدا يدين دين المسيح الاقتله حتى نزل مدينة أصحاب الكهف وهى أفسوس فلما نزلها كبر ذلك على أهل الايمان فاستخفوا منه وهربوا فى كل ناحية وكان دقيانوس قد أمر حين دخلها أن يتتبع أهل الايمان فيجمعوا اليه واتخذ شرطا من كفار أهلها وجعلوا يتتبعون أهل الايمان فى أماكنهم فيخرجونهم الى دقيانوس فيقدمهم الى الجامع الذى يذبح فيه للطواغيت فيخيرهم بين القتل وبين عبادة الاوثان والذبح للطواغيت فمن القوم من يرغب فى الحياة ومنهم من يأبى أن يعبد غير الله سبحانه وتعالى فيقتل فلما رأى ذلك أهل الشدة فى الايمان بالله جعلوا يسلمون أنفسهم للعذاب والقتل فيقتلون ثم يقطعون ويربط ماقطع من أجسامهم على سور المدينة من نواحيها كلها وعلى كل باب من أبوابها حتى عظمت الفتنة على أهل الايمان فمنهم من أقر فترك ومنهم من صلب على دينه وقتل فلما رأى ذلك الفتية حزنوا حزنا شديدا فقاموا وصلوا واشتغلوا بالتسبيح والتقديس والدعاء وكانوا من أشراف الروم وكانوا ثمانية نفر فبكوا وتضرعوا وجعلوا يقولون ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا شططا ربنا اكشف عن عبادك المؤمنين الفتنة وارفع عنهم هذا البلاء وأنعم على عبادك الذين آمنوا بك فبيناهم على ذلك اذ أدركهم الشرطة وكانوا قد دخلوا فى مصلى لهم فوجدوهم سجودا على وجوههم يبكون ويتضرعون الى الله تعالى ويسألونه أن ينجيهم من دقيانوس وفتنته فلما رآهم أولئك الكفرة قالوا لهم ماخلفكم عن أمر الملك انطلقوا اليه ثم خرجوا من عندهم ورفعوا أمرهم الى دقيانوس فقالوا انجمع الجميع وهؤلاء الفتية من أهل بيتك يسخرون منك ويعصونك فلما سمع ذلك أتى بهم تفيض أعينهم من الدمع معفرة وجوههم فى التراب فقال مامنعكم أن تشهدوا الذبح للآلهة التى نعبدها فى الارض وأن تجعلوا أنفسكم كغيركم ثم انهم خيروا اما أن يذبحوا لآلهتهم كما ذبح غيرهم من الناس واما أن يقتلهم الملك فقال مكسلمينا وكان أكبرهم ان لنا الها ملأ السموات والارض عظمة لن ندعو من دونه الها أبدا ولن نقر بهذا الذى تدعونا اليه أبدا ولكنا نعبد ربنا الذى له التحميد والتكبير والتسبيح والتقديس من أنفسنا خالصا أبدا اياه نعبد واياه نسأل النجاة والخير وأما الطواغيت فلن نعبدها أبدا فاصنع بنا مابدا لك ثم قال أصحاب مكسلمينا لدقيانوس مثل ماقال له قالوا فلما قالوا له ذلك أمر بهم فنزع ملبوسا كان عليهم من ملبوس عظمائهم ثم قال لهم انكم اذ فعلتم مافعلتم فانى سأؤخركم وأتفرغ لكم فانجز لكم ماأوعدتكم من العقوبة وماينبغى أن أعجل لكم ذلك لانى أراكم شبابا حديثة أسنانكم فلا أحب أن أهلككم حتى أجعل لكم أجلا فتراجعوا فيه عقولكم ثم أمر بحلية كانت معهم من ذهب وفضة فنزعت عنهم ثم أمر بهم فاخرجوا من عنده وانطلق دقيانوس الى مدينة سوى مدينتهم التى هم بها قريبة منهم لبعض أموره فلما رأى الفتية أن دقيانوس قد خرج من مدينتهم بادروا قدامه وخافوا اذا قدم مدينتهم أن يذكرهم فائتمروا أن يأخذ كل رجل منهم نفقة من بيت أبيه فيتصدقوا منها ويتزودوا بما بقى ثم ينطلقوا الى كهف قريب من المدينة فى جبل يقال له ناجلوس فيسكنون فيه ويعبدون الله تعالى حتى اذا قدم دقيانوس أتوه فقاموا بين يديه فيصنع بهم مايشاء فلما قال ذلك بعضهم لبعض عمد كل فتى منهم الى بيت أبيه وأخذ نفقة فتصدقوا منها وانطلقوا بما بقى معهم من نفقتهم واتبعهم كلب كان لاحدهم حتى أتوا ذلك الكهف فلبثوا فيه * وقال ابن عباس هربوا ليلا من دقيانوس وكانوا سبعة فمروا براع معه كلب على دينهم وقال كعب مروا بكلب فتبعهم فطردوه فتبع عليهم ففعلوا ذلك مرارا فقال لهم الكلب ماتريدون منى لاتخشوا جانبى فانى أحب أحباب الله فناموا حتى

يأتيك برأسه فبر بك منه فقال معاوية عندى خير من ذلك يابنى قال ماهو ياأبت فقال على بدواة وقرطاس فكتب فيه قد وقفت على كتاب ابن حوارى رسول الله صلى الله عليه وسلم فساءنى والله ماساءه والدنيا ومافيها هينة فى جنبك ورضاك وقد كتبت على نفسى مسطورا أشهدت فيه الله وجماعة من المسلمين على ان الارض والعبيد الذين فيها ملكك فضمها الى أرضك والعبيد الى عبيدك والسلام قال فلما قرأه عبد الله بن الزبير كتب اليه يقول قد وقفت على كتاب أمير المؤمنين لاأعدمنى الله بقاءه ولاأعدمه هذا الرأى الذى أحله هذا المحل والسلام فلما وقف معاوية على الكتاب ناوله الى ولده يزيد فلما قرأه تهلل وجهه فرحا فقال له معاوية يابنى اذا بليت بشئ من هذا الداء فداوه بمثل هذا الدواء وانا القوم لم نر فى الحلم الاخير اوضى الله عنه (وحكى أن المهلب بن أبى صفرة) مر بحى من أهل همدان فرآه شاب من أهل الحى فقال هذا المهلب قالوا نعم فقال والله مايساوى خمسمائة درهم وكان المهلب رجلا أعور فسمعه المهلب فلما كان الليل أخذ المهلب فى كمه خمسمائة درهم وأتى الى الحى فارتعب الشاب حين رآه وأتى اليه وقال له افتح حجرك ففتح الشاب حجره فصب فيه الخمسمائة درهم وقال خذ قيمة

احرسكم ﴿ رجعنا الى حديث ابن اسحق ﴾ فلبثوا فى ذلك الكهف ليس لهم عمل الا الصلاة والصيام والتسبيح وجعلوا نفقتهم الى فتى منهم يقال له تمليخا فكان يبتاع لهم من المدينة طعامهم سرا وكان من أجلدهم وأجملهم فكان تمليخا يصنع ذلك فاذا دخل المدينة يضع ثيابا كانت عليه حسانا ويأخذ ثيابا كثياب المساكين الذين يستطعمون فيها ثم يأخذ درهما فينطلق الى المدينة فيشترى طعاما وشرابا ويستمع ويتجسس لهم الخبر هل يذكر وهم بشئ ثم يرجع الى أصحابه فلبثوا كذلك ثم ما لبثوا ثم قدم دقيانوس المدينة فامر العظماء فذبحوا للطواغيت ففزع من ذلك أهل الايمان وكان تمليخا بالمدينة يشترى طعاما فرجع الى أصحابه وهو يبكى ومعه طعام فاخبرهم أن دقيانوس دخل المدينة وانهم قد ذكروا والتمسوا مع عظماء المدينة ليذبحوا للطواغيت فلما أخبرهم بذلك فزعوا ووقعوا سجدا يدعون الله تعالى ويتضرعون اليه ويتعوذون به من الفتنة ثم ان تمليخا قال لهم يا اخوتاه ارفعوا رؤسكم فاطعموا منه وتوكلوا على ربكم فرفعوا رؤسهم وأعينهم تفيض من الدمع حزنا على أنفسهم فطعموا منه وذلك عند غروب الشمس ثم جلسوا يتحدثون ويتدارسون ويذكر بعضهم بعضا فبينما هم كذلك اذ ضرب الله على آذانهم فى الكهف وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد بباب الكهف فأصابه ما أصابهم فلما كان من الغد تفقدهم دقيانوس والتمسهم فلم يجدهم فقال لبعض قومه لقد ساءنى شأن هؤلاء الفتية الذين ذهبوا لقد كانوا يحسبون أنى غضبان عليهم بجهلهم ما جهلوا من أمرى فانى لا أغضب عليهم ان تابوا وعبدوا آلهتى فقال عظماء المدينة ما أنت بحقيق ان ترحم قوما مردة عصاة مقيمين على ظلمهم ومعصيتهم قد كنت أجلت لهم أجلا ولو شاؤا لرجعوا فى ذلك الاجل ولكنهم لم يتوبوا فلما قالوا له ذلك غضب غضبا شديدا ثم أرسل الى آبائهم فسألهم عنهم وقال أخبرونى عن أبنائكم المردة الذين عصونى فقالوا أما نحن فلم نعصك ولم تقتلنا بقوم مردة وانهم خالفونا وانطلقوا الى جبل يسمى ناجلوس فلما قالوا له ذلك خلى سبيلهم وجعل لا يدرى ما يصنع بالفتية فألقى الله فى نفسه أن يأمر بالكهف فيسد عليهم وأراد الله تعالى أن يكرمهم ويجعلهم آية لامة تستخلف بعدهم وأن يبين لهم أن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من فى القبور فامر دقيانوس بالكهف أن يسد عليهم وقال دعوهم كما هم فى الكهف يموتوا جوعا وعطشا وليكن كهفهم الذى اختاروه قبرا لهم وهو يظن أنهم أيقاظ يعلمون ما يصنع وقد توفى الله أرواحهم وفاة النوم وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد بباب الكهف وقد غشيه ما غشيهم يقلبون ذات اليمين وذات الشمال * قال ثم ان رجلين مؤمنين وكانا فى بيت الملك دقيانوس يكتمان ايمانهما اسم أحدهما تندروس والآخر روباس ائتمرا أن يكتبا شأن الفتية وأنسابهم وأسماءهم وخبرهم فى لوح من رصاص ويجعلاه فى تابوت من نحاس ويجعلا التابوت فى البنيان وقالا لعل الله أن يطلع على هؤلاء الفتية قوما مؤمنين قبل يوم القيامة فيعلم من فتح عليهم خبرهم حين يقرأ هذا اللوح ففعلا ذلك وبنيا عليه فبقى دقيانوس ما بقى ومات قومه ومات قرون بعده كثيرة وخلفت الملوك بعد الملوك ثم ملك أهل تلك البلاد رجل صالح يقال له تندوسيس فلما ملك بقى فى ملكه ثمانية وثمانين سنة فتحزب الناس فى ملكه أحزابا منهم من يؤمن بالله العظيم ويعلم أن الساعة حق ومنهم من يكذب بها فكبر ذلك على الملك الصالح فشكا الى الله وتضرع اليه وحزن حزنا شديدا لما رأى أهل الباطل يزيدون ويظهرون على أهل الحق وانهم يقولون لا حياة الا الحياة الدنيا وانما تبعث الارواح ولا تبعث الاجساد وأما الجسد فيأكله التراب ونسوا ما فى الكتاب فجعل الملك تندوسيس يرسل الى من كان يظن فيه خيرا وانهم كانوا أئمة فى الحق فجعلوا يكذبون بالساعة حتى كادوا أن يحولوا الناس عن الحق وملة الحواريين فلما رأى الملك الصالح ذلك دخل بيته فاغلقه عليه ولبس مسحا وجعل تحته رمادا فدأب ليله ونهاره يتضرع الى الله تعالى ويبكى مما يرى فيه الناس ويقول أى رب قد ترى اختلاف هؤلاء فابعث لهم آية ثم ان الرحمن الرحيم جل وعز الذى يكره اختلاف العباد أراد أن يظهر لهم الفتية أصحاب الكهف ويبين للناس شأنهم فيجعلهم آية وحجة عليهم ليعلموا أن الساعة آتية لا ريب فيها وأنه يستجيب لعبده الصالح تندوسيس وأنه يتم نعمته عليه ولا ينزع عنه ملكه ولا الايمان الذى أعطاه وأنه لا يعبد الا الله ولا يشرك به شيأ وأن يجمع من كان تبدد من المؤمنين فألقى الله فى نفس رجل من أهل ذلك البلد الذى به الكهف وكان اسم ذلك الرجل أولياس أن يهدم ذلك البنيان الذى على فم الكهف فيبنى به حظيرة لغنمه فاستأجر عاملين فجعلا ينزعان تلك الحجارة ويبنيان بها تلك الحظيرة حتى نزعا ما على فم الكهف وفتحا عليهم باب الكهف وحجبهم الله عن الناس فيزعمون أن أشجع من يريد أن

عملك المهلب والله يا ابن أخى لقد منيتنى بخمسة آلاف دينار لا تنبتك بها فسمع الشيخ من أهل الحى فقال والله ما أخطأ فيك من جعلك سيدا (وقال أحمد بن أبى داود) ما رأيت رجلا عرض على الموت و رأى النطع مفروشا والسيف مسلولا ولم يكترث لذلك ولا عدل عما أراد الا تميم بن جميل وقد كان خرج على المعتصم ولقد رأيته وقد جئ به أسيرا مكتوفا وقد اجتمع الناس من الآفاق والنواحى ينظرون كيف يقتله المعتصم وكان المعتصم قد جلس له مجلسا منكرا وأمر الناس بالدخول ودخل تميم وحضر السياف وفرش النطع وكان تميم جميل الوصف تام الخلقة عذب المنطق فرآه المعتصم غير دهش ولا مكترث لما نزل به فأحب المعتصم أن يستنطقه ليعلم أين عقله فى ذلك الوقت فقال له المعتصم ان كان لك عذر يا تميم فائت به فقال أما أنت يا أمير المؤمنين فالحمد لله الذى جبر بك الدين ولم بك شعث المسلمين وأنار بك أستار الحق وأخمد بك شهاب الباطل وان الذنوب يا أمير المؤمنين لتخرس الالسن الفصيحة وتصدع الافئدة الصحيحة والله لقد كبر الذنب وعظمت الجريمة وانقطعت الحجة وساء الظن ولم يبق الا عفوك أو انتقامك وأنت الى العفو أقرب وهو بك أشبه وأليق وأنشد يقول

ينظر

أرى الموت بين السيف والنطع كامنا * يلاحظني من حيث لا أتلفت وأكثر ظني انك اليوم قاتلي ٢٣٩ * وأي امرئ مما قضى الله يفلت

ينظر اليهم يدخل من باب الكهف ثم يتقدم حتى يرى كلبهم نائما فلما نزعت الحجارة وفتح باب الكهف أذن الله تعالى ذو القدرة والعظمة والسلطان محيي الموتى للفتية أن يجلسوا بين ظهراني الكهف فجلسوا فرحين مسفرة وجوههم طيبة أنفسهم فسلم بعضهم على بعض حتى كأنما استيقظوا من ساعتهم التي كانوا يستيقظون منها اذ أصبحوا من ليلتهم التي يبيتون بها ثم انهم قاموا الى الصلاة فصلوا كالذي كانوا يفعلون لا يرون في وجوههم ولا أبشارهم ولا ألوانهم شيأ ينكرونه انما هم كهيئتهم حين رقدوا ويرون أن ملكهم دقيانوس في طلبهم فلما قضوا صلاتهم قالوا لتمليخا صاحب نفقاتهم بين لنا ما الذي قال الناس في شأننا عشية أمس عند هذا الجبار وهم يظنون أنهم رقدوا كبعض ما كانوا يرقدون وقد خيل لهم أنهم قد ناموا كأطول ما كانوا ينامون في الليلة التي أصبحوا بها حتى تساءلوا بينهم فقال بعضهم لبعض كم لبثتم قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم قالوا ربكم أعلم بما لبثتم وكل ذلك في أنفسهم يسير فقال لهم تمليخا التمستم في المدينة لتذبحوا للطواغيت أو تقتلوا قالوا فما شاء الله بعد ذلك فعل فقال مكسلمينا يا اخوتاه اعلموا أنكم ملاقو الله فلا تكفروا بعد ايمانكم اذا دعاكم غدا ثم قالوا يا تمليخا انطلق الى المدينة فتسمع ما يقال عنا بها اليوم وتلطف ولا تشعرن بك أحدا وابتغ لنا طعاما وائتنا به وزدنا على الطعام الذي جئتنا به أمس فانه كان قليلا وقد أصبحنا جياعا ففعل تمليخا كما كان يفعل ووضع ثيابه وأخذ الثياب التي كان يتنكر فيها ثم أخذ ورقا من نفقتهم التي كانت معهم التي ضربت بطابع دقيانوس وكانت كخفاف الربع فانطلق تمليخا خارجا فلما مر بباب الكهف رأى حجارة منزوعة عن باب الكهف فتعجب منها ثم مر حتى أتى باب المدينة مستخفيا بعيدا عن الطريق تخوفا أن يراه أحد من أهلها فيعرفه فيذهب به الى دقيانوس الجبار ولا يشعر العبد الصالح أن دقيانوس وأهله قد هلكوا قبل ذلك بثلثمائة سنة فلما رأى تمليخا باب المدينة رفع بصره فرأى فوق ظهر الباب علامة لأهل الايمان فلما رآها عجب وجعل ينظر اليها مستخفيا فنظر يمينا وشمالا ثم انه ترك ذلك الباب وتحول الى باب آخر من أبوابها فنظر فرأى مثل ذلك فجعل يتخيل له أن المدينة ليست بالتي كان يعرف ورأى ناسا كثيرا محدثين لم يكونوا قبل ذلك فجعل يمشي ويتعجب ويخيل اليه أنه حيران ثم انه رجع الى الباب الذي أتى منه فجعل يتعجب بينه وبين نفسه ويقول ليت شعري أما هذه عشية أمس كان المسلمون يخفون هذه العلامة ويستخفون بها وأما اليوم فانها ظاهرة لعلي حالم ثم يرى انه لم ينم فأخذ كساءه وجعله على رأسه ثم دخل المدينة فجعل يمشي بين أظهر أهل سوقها وهو يسمع ناسا يحلفون باسم عيسى بن مريم فزاده فرقا ورأى أنه حيران فقام مسندا ظهره الى جدران المدينة وهو يقول في نفسه والله ما أدرى ما هذا أما عشية أمس فليس على الارض أحد يذكر عيسى الا قتل وأما الغداة فاسمع كل انسان يذكر عيسى ولا يخاف ثم قال في نفسه لعل هذه ليست بالمدينة التي أعرفها اني أسمع كلام أهلها ولا أعرف واحدا منهم والله ما أعلم مدينة بقرب مدينتنا فقام كالحيران لا يتوجه وجها ثم انه لقي فتى من أهل المدينة فقال له ما اسم هذه المدينة يا فتى فقال أفسوس فقال في نفسه لعل بي مسا أو أمرا أذهب عقلي والله يحق لي أن أبادر الخروج منها قبل أن يصيبني شر فأهلك هذا ما يحدث به تمليخا أصحابه حتى بين لهم ما هم فيه * ثم أفاق وقال والله لو عجلت الخروج من المدينة قبل أن يفطن بي لكان أكيس لي فدنا من الذين يبيعون الطعام ثم أخرج الورق التي كانت معه فأعطاها رجلا منهم وقال يا عبد الله بعني بهذه طعاما فأخذها الرجل ونظر الى ضرب الورق ونقشها فتعجب منها ثم طرحها الى رجل من أصحابه فنظر اليها ثم جعلوا يتطارحونها بينهم من رجل الى رجل فيتعجبون منها ثم جعلوا يتشاورون ويقول بعضهم لبعض ان هذا الرجل قد أصاب كنزا في الارض منذ زمان طويل فلما رآهم يتشاورون من أجله فرق فرقا شديدا فجعل يرتعد ويظن انهم قد فطنوا به وعرفوه وانهم انما يريدون أن يذهبوا به الى ملكهم دقيانوس قال وجعل اناس آخرون يأتونه ويتعرفونه فقال لهم وهو شديد الفرق انفصلوا قد أخذتم ورقي فأمسكتموه فلا حاجة لي في طعامكم فقالوا يا فتى من أنت وما شأنك والله لقد وجدت كنزا من كنوز الاولين فأنت تريد أن تخفيه منا انطلق معنا وأرنا مكانه وشاركنا فيه نخفف عليك ما وجدت فانك ان لم تفعل نأت السلطان ونسلمك اليه فلما سمع قولهم عجب في نفسه ثم قال قد وقعت في كل شيء كنت أحذر منه ثم قالوا والله يا فتى انك لا تستطيع أن تكتم ما وجدت ولا تظن في نفسك أن سنخفي عليك فتحير في نفسه والناس يدرى ما يقول لهم وما يرجع اليهم وفرق حتى ما يخبرهم بشيء فلما رأوه لا يتكلم أخذوا كساءه

ومن ذا الذي يأتي بعذر وحجة
وسيف المنايا بين عينيه مصلت
وما جزعي من أن أموت انني
لأعلم أن الموت شيء موقت
ولكن خلفي صبية قد تركتهم
وأكبادهم من حسرة تتفتت
كأني أراهم حين أنعى اليهم
قد أخلموا تلك الوجوه وصوتوا
فان عشت عاشوا سالمين بغبطة
أذود الردى عنهم وان مت موتوا
(قال) فبكى المعتصم حتى ابتلت لحيته وقال ان من البيان لسحرا ثم قال والله يا تميم لقد غلب السيف العفو وقد وهبتك لله ولصبيتك وعفوت عن زلتك ثم أمر بقناة فعقدله على موضعه الذي كان خرج عنه ووصله بشيء كثير ﴿وحكى عن بعضهم﴾ قال قدم الى معن بن زائدة أسارى فعرضهم على السيف فقام اليه رجل منهم وقال أيها الامير نحن أسراك ونحن والله جياع من أثر الطريق فان رأيت أن تطعمنا فلكل كبد حراء أجر فأمر باطعامهم فاحضرت الموائد وعليها الطعام واجتمعوا وأكلوا ومعن ينظر اليهم فلما فرغوا قام رجل آخر وقال أيها الامير كنا أسراك وقد

صبرنا أضيافك فانظر ماذا يصنع مثالك بأضيافه نخلي سبيلهم وأنعم عليهم عفا الله تعالى عنه وعن جميع المسلمين (وعرض)

وطوقوه في عنقه ثم جعلوا يقودونه في سكك المدينة مكبلا حتى سمع به من فيها وقيل أخذ رجل عنده كنز فاجتمع
عليه أهل المدينة كبيرهم وصغيرهم وجعلوا ينظرون اليه ويقولون والله ما هذا الفتى من أهل هذه المدينة وما
رأيناه فيها قط وما نعرفه فجعل تمليخا ما يدري ما يقول لهم مع ما يسمع منهم فلما اجتمع عليه أهل المدينة فرق ولم
يتكلم ولو قال انه من أهل المدينة لم يصدق وكان مستيقنا ان أباه واخوته في المدينة وان حسبه في أهل المدينة من
عظماء أهلها وانهم سيأتونه اذا سمعوا وقد استيقن أنه عشية أمس كان يعرف كثيرا من أهلها وانه لا يعرف اليوم
من أهلها أحدا فبينما هو قائم كالحيران ينتظر متى يأتيه بعض أهله فيخلصه من أيديهم فبينما هو كذلك اذ قد اختطفوه
وانطلقوا به الى رئيسي المدينة ومدبريها وهما رجلان صالحان اسم أحدهما أرموس واسم الآخر اسطيوس فلما
انطلقوا به ظن تمليخا أنهم انطلقوا به الى دقيانوس الملك فجعل يلتفت يمينا وشمالا وجعل الناس يسخرون منه كما
يسخرون من المجنون والحيران فجعل تمليخا يبكي ثم رفع رأسه الى السماء وقال اللهم اله السموات والارض
أفرغ علي اليوم صبرا وأولج معي روحا منك تؤيدني به عند هذا الجبار وجعل يبكي ويقول في نفسه فرق بيني
وبين اخوتي يا ليتهم يعلمون ما لقيت فيأتوني فنقوم جميعا بين يدي هذا الجبار فانا كنا قد تواقفنا لنكونن معا
لا نكفر بالله ولا نفترق في موت ولا حياة أبدا يا ليت شعري ما هو فاعل بي هل هو قاتلي أم لا * هذا ما حدث به تمليخا
أصحابه عن نفسه حين رجع اليهم فانتهى به الى الرجلين الصالحين أرموس واسطيوس فلما علم تمليخا أنه لم يذهب
به الى دقيانوس أفاق وسكن ما به فأخذ ارموس واسطيوس الورق ونظرا اليها وعجبا منها ثم قال أحدهما أين
الكنز الذي وجدت يا فتى فقال ما وجدت كنزا وانما هذه الورق ورق آبائي ونقش هذه المدينة وضربها ولكن
والله ما أدري ما شأني وما أدري ما أقول لكم فقال أحدهما من أنت فقال له تمليخا قال فمن أبوك ومن يعرفك بها
فأنبأهم باسم أبيه فلم يجدوا أحدا يعرفه فقال له أحدهما أنت رجل كذاب لا تنبئنا بالحق فلم يدر تمليخا ما يقول غير
أنه نكس بصره الى الارض فقال بعض من حضر هذا رجل مجنون وقال بعضهم ليس بمجنون ولكنه يحمق
نفسه عمدا لكي ينفلت منكم فقام أحدهم ونظر اليه نظرا شديدا وقال له أتظن انا نرسلك ونصدقك بان هذا مال
أبيك ولضرب هذه الورق ونقشها أكثر من ثلثمائة سنة وأنت غلام شاب تظن ان تأفكنا وتسخر بنا ونحن شمط
كما ترى وحولك سراة هذه المدينة وولاة أمرها وخزائن هذه البلدة بايدينا وليس عندنا من هذا الضرب درهم ولا
دينار لاعذبنك عذابا شديدا ثم أوثقك حتى تعرفني هذا الكنز الذي وجدت فلما قال له ذلك قال تمليخا أنبئوني
عن شيء أسألكم عنه فان فعلتم صدقتكم عما عندي فقالوا له سل لا نكتمك شيأ قال ما فعل بالملك دقيانوس قالوا ليس
نعرف اليوم على وجه الارض ملكا يسمى دقيانوس ولم يكن الا ملك قد هلك منذ دهر طويل وهلك بعده قرون
كثيرة فقال لهم تمليخا فوالله ما أحد من الناس أحدا يصدقني على ما أقول لقد كنا فتية وان الملك دقيانوس أكرهنا
على عبادة الاصنام والذبح للطواغيت فهربنا منه عشية أمس فبتنا فلما انتبهنا خرجت لاشتري لاصحابي طعاما
وأتجسس الاخبار فاذا انا كما ترون فانطلقوا معي الى الكهف الذي في جبل ناجلوس أريكم أصحابي فلما سمع
أرموس ما يقول تمليخا قال يا قوم لعل هذه آية من آيات الله جعلها الله لكم عبرة على يد هذا الفتى فانطلقوا بنا
معه يرينا أصحابه فانطلق معه أرموس وأسطيوس وانطلق معهم أهل المدينة كبيرهم وصغيرهم نحو أصحاب
الكهف لينظروا اليهم وكان الفتية أصحاب الكهف ظنوا أن تمليخا قد احتبس عنهم لانه لم يأتهم بطعامهم
وشرابهم في القدر الذي كان يأتي فيه فظنوا أنه قد أخذ وذهب به الى دقيانوس فبينما هم يظنون ذلك ويتخوفون
اذ سمعوا الاصوات وجلبة الخيل مصعدة عندهم فظنوا انهم رسل الجبار وانه بعث اليهم ليؤتى بهم فقاموا حين
سمعوا ذلك الى الصلاة وسلم بعضهم على بعض ثم قالوا انطلقوا بنا نأت أخانا تمليخا فانه الآن بين يدي دقيانوس ينتظر
متى نأتيه فبينما هم يقولون ذلك وهم جلوس بين ظهراني الكهف لم يشعروا الا وارموس واصحابه وقوف على باب
الكهف وقد سبقهم تمليخا فدخل عليهم وهو يبكي فلما رأوه يبكي بكوا معه ثم انهم سألوه عن شأنه فأخبرهم بخبره
وقص عليهم الحديث كله فعرفوا عند ذلك أنهم كانوا نياما بأمر الله ذلك الزمان كله وانما أوقظوا ليكونوا آية للناس
وتصديقا للبعث وليعلموا أن الساعة آتية لا ريب فيها ثم دخل على أثر تمليخا أرموس فرأى تابوتا من نحاس مختوما

على الحجاج أسرى فأمر
بقتلهم فقتل منهم جماعة
ثم قال رجل منهم وقد
عرض على القتل
لاجزاك الله عن السنة
خيرا يا حجاج فانا وان كنا
قد أسأنا في الذنب
فوالله ما أحسنت في
العفو فان الله تعالى
يقول في كتابه العزيز
فاذا لقيتم الذين كفروا
فضرب الرقاب حتى
اذا أثخنتموهم فشدوا
الوثاق فامامنا بعد واما
فداء فهذا قوله في
الكفار فكيف في
المسلمين وقال الشاعر
وما نقتل الاسرى
ولكن نفكهم
اذا أثقل الاعناق حمل
القلائد
فقال الحجاج تبا لهؤلاء
الجيف والله لو قالوا مثل
ما قال هذا الرجل
ما قتلت منهم أحدا
ولكن اطلقوا سبيلهم
(ولما) ولي الحجاج
العراق قال علي بالمرأة
الحرورية فلما حضرت
قال لها أنت بالامس
في وقعة ابن الزبير كنت
تحرضين الناس على
قتل رجالي ونهب أموالي
فقالت المرأة نعم قد كان
ذلك فالتفت الحجاج
الى وزرائه وقال ما ترون
فيها قالوا اعجل بقتلها
فضحكت المرأة فاغتاظ
الحجاج وقال لها على من تضحكين قالت من وزرائك بان وزراء فرعون كانوا خيرا منهم فنظر الحجاج الى وزرائه فرآهم خجلوا فقال بحاتم

بخاتم من فضة فقام بباب الكهف ثم دعا رجالا من عظماء أهل المدينة ففتح التابوت فوجدوا فيه لوحين من رصاص مكتوبا فيهما ان مكسلمينا وتمليخا ومرطونس وكشطونش وداسيوس وتكريوس وبطونس كانوا فتية هربوا من ملكهم دقيانوس الجبار مخافة أن يفتنهم فدخلوا هذا الكهف فلما علم مكانهم ملكهم أمر بالكهف فسد عليهم بالحجارة وانا كتبنا شأنهم وخبرهم ليعلم من بعدهم ان عثر عليهم فلما قرؤه عجبوا وحمدوا الله تعالى الذى أراهم آية البعث فيهم ثم رفعوا أصواتهم بحمد الله وتسبيحه ثم دخلوا على الفتية الكهف فوجدوهم جلوسا مشرقة وجوههم لم تبل ثيابهم فخر أرموس وأصحابه سجودا وحمدوا الله الذى أراهم آية من آياته ثم كلم بعضهم بعضا وانبأهم الفتية عن الذى لقوا من ملكهم دقيانوس ثم ان أرموس وأصحابه بعثوا الى ملكهم الصالح تندوسيس أن عجل لعلك تنظر آية من آيات الله تعالى قد أظهرها الله فى ملكك فاعجل الى فتية بعثهم الله وقد كان توفاهم منذ أكثر من ثلثمائة سنة فلما أتى الخبر قام من السدة التى كان عليها وقال أحمدك اللهم رب السموات والارض تطولت على ورحمتنى برحمتك فلم تطفئ النور الذى جعلته لآبائى وللعبد الصالح قسطيطوس الملك فلما انبأ به أهل المدينة ركبوا اليه وساروا معه حتى أتوا الكهف فلما رأى الفتية تندوسيس الملك ومن معه فرحوا به وخروا سجدا لله على وجوههم وقام تندوسيس قدامهم ثم اعتنقهم وبكى وهم جلوس بين يديه على الارض يسبحون الله ويحمدونه ثم ان الفتية قالت لتندوسيس نستودعك الله ونقرأ عليك السلام وحفظك الله وحفظ ملكك وأعاذك من شر الجن والانس فبينما الملك قائم اذ رجعوا الى مضاجعهم فناموا وتوفى الله أرواحهم وقام الملك اليهم فجعل ثيابه عليهم وأمر أن يجعل لكل رجل منهم تابوت من ذهب فلما أمسوا أتوه فى المنام فقالوا انا لم نخلق من ذهب ولا من فضة ولكنا خلقنا من تراب والى التراب نصير فاتركنا كما كنا فى الكهف على التراب حتى يبعثنا الله منه فأمر الملك حينئذ بتوابيت من ساج فجعلوا فيها وحجبهم الله حين خرجوا من عندهم بالرعب فلم يقدر أحد أن يدخل عليهم وأمر الملك فجعل على باب الكهف مسجدا يصلى فيه وجعل لهم عيدا عظيما وأمر أن يؤتى كل سنة وقيل انهم لما أتوا باب الكهف قال تمليخا دعونى أدخل على أصحابى فأبشرهم فدخل وقبض الله روحه وأرواحهم وعمى عليهم مكانهم فلم يهتدوا اليه كما ذكر على بن أبى طالب كرم الله وجهه فهذا خبر أصحاب الكهف ويروى ان النبى صلى الله عليه وسلم سأل ربه أن يراهم فقال انك لن تراهم فى دار الدنيا ولكن ابعث اليهم أربعة من خيار أصحابك ليبلغوهم رسالتك ويدعوهم الى الايمان بك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لجبريل كيف أبعثهم قال ابسط كساءك وأجلس على طرف من أطرافه أبابكر وعلى الثانى عمر وعلى الثالث على بن أبى طالب كرم الله وجهه وعلى الرابع أباذر ثم ادع الريح الرخاء المسخرة لسليمان بن داود فان الله أمرها أن تطيعك ففعل النبى عليه الصلاة والسلام ما أمره به فحملتهم الريح حتى انطلقت بهم الى باب الكهف فلما دنوا من باب الكهف قلعوا منه حجرا فقام الكلب حين أبصر الضوء وهر وحمل عليهم فلما رآهم حرك رأسه وبصبص بذنبه وأومأ برأسه أن ادخلوا الكهف فدخلوا وقالوا السلام عليكم ورحمة الله وبركاته فرد الله عليهم أرواحهم فقاموا بأجمعهم وقالوا وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته فقالوا ان نبى الله محمدا بن عبد الله صلى الله عليه وسلم يقرأ عليكم السلام فقالوا وعلى محمد رسول الله السلام ما دامت السموات والارض وعليكم بما بلغتم ثم انهم جلسوا بأجمعهم يتحدثون فآمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم وقبلوا دين الاسلام وقالوا اقرؤا محمدا صلى الله عليه وسلم منا السلام ثم انهم أخذوا مضاجعهم وصاروا الى رقدتهم الى آخر الزمان عند خروج المهدى فيقال ان المهدى يسلم عليهم فيحييهم الله تعالى له ثم انهم يرجعون الى رقدتهم فلا يقومون الى يوم القيامة ثم جلس كل واحد منهم على مكانه وحملتهم الريح الرخاء فهبط جبريل عليه السلام فأخبر النبى صلى الله عليه وسلم بما كان منهم فلما أتوا النبى صلى الله عليه وسلم قال كيف وجدتموهم وما الذى أجابوكم فقالوا يا رسول الله دخلنا عليهم وسلمنا عليهم فقاموا وافردوا السلام بأجمعهم وبلغناهم رسالتك فأجابوا وأنابوا وشهدوا انك رسول الله حقا وحمدوا الله على ما أكرمهم بخروجك وتوجيه رسلك اليهم وهم يقرؤن عليك السلام فقال عليه الصلاة والسلام اللهم لا تفرق بينى وبين أصهارى وأحبابى واغفر لمن أحبنى وأحب أهل بيتى وأحب أمتى وأحب أصحابى

﴿مجلس فى ذكر جرجيس عليه السلام﴾

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن عبد الله الضبى باسناده عن وهب بن منبه اليمانى قال كان فى الموصل ملك يقال له زادانه

لها كيف ذلك فقالت لانهم قالوا ارجه وأخاه حين استشارهم فى قتل موسى وهؤلاء يستعجلونك فى قتلى قال فضحك الحجاج وأمر لها بعطاء وأطلقها ولم يشوش عليها وحضر الهرمزان العاسى بين يدى عمر بن الخطاب رضى الله عنه مأسورا فدعاه عمر الى الاسلام فأبى فأمر بقتله فقال يا أمير المؤمنين قبل أن تقتلنى اسقنى شربة ماء ولا تقتلنى ظمآن فأمر بقدح من ماء فلما صار القدح بين يدى الهرمزان قال أنا آمن حتى أشرب هذا القدح يا أمير المؤمنين قال نعم لك الامان حتى تشرب هذا الماء فألقى الاناء من يده فأراقه على الارض ثم قال الوفاء الوفاء يا أمير المؤمنين فقال عمر دعوه حتى ننظر فى أمره فلما وضع السيف عنه قال أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمدا رسول الله فقال له عمر لقد أسلمت خير الاسلام فما أخرك قال خشيت أن يقال عنى انى أسلمت خوفا من السيف فقال عمر لقد استحق بها ما كان فيه من الملك ثم ان عمر بعد ذلك كان يشاوره فى اخراج الجيوش ويعمل برأيه رضى الله تعالى عنهم أجمعين (وقيل) سرق شاب سرقة فأتى به الى المأمون فأمر بقطع يده فربطت لتقطع فأنشد يقول * يدى يا أمير المؤمنين أعيذها * بعفوك من عار عليها يشينها * فلا خير فى الدنيا ولا فى

وكان قد ملك الشام كلها ودان له أهلها وكان جبارا عاتيا وكان يعبد صنما يقال له افلون وكان جرجيس عبدا صالحا من أهل فلسطين قد أدرك بقايا من حوارى عيسى بن مريم عليه السلام وكان تاجرا كثير المال عظيم الصدقة وكان لا يأمن ولاية المشركين عليه مخافة أن يفتنوه عن دينه فخرج يوما يريد ملك الموصل ومعه مال يريد أن يهديه اليه لئلا يجعل لاحد من تلك الملوك سلطانا عليه دونه فجاءه وقد برز فى مجلس له وأمر بصنمه أفلون فنصب والناس يعرضون عليه وهو يعذب من خالفه بأنواع العذاب وقد أوقد نارا عظيمة فمن لم يسجد لافلون ألقى فى تلك النار فلما رأى جرجيس عليه السلام ما يصنع فظع منه وهاله وأعظمه وحدث نفسه بجهاده وألقى الله فى نفسه بغضه ومجاهدته له فعمد الى المال الذى أراد أن يهديه له فقسمه فى أهل ملته حتى لم يبق منه شئ وكره أن يجاهده بالمال وأحب أن يلى ذلك بنفسه فاقبل عليه وقال له اعلم انك عبد مملوك لا تملك لنفسك شيأ ولا لغيرك وان لك ربا هو الذى يملكك وغيرك وهو الذى خلقك ورزقك ويحييك ويميتك ويضرك وينفعك واذا قال لشئ كن فيكون وانك انما عمدت الى خلق من خلقه أدم لا يسمع ولا يبصر ولا ينطق ولا يغنى عنك شيأ من الله فزينته بالذهب والفضة وجعلته فتنة للناس ثم عبدته من دون الله فكان من جواب الملك له أن سأله عن حاله وأمره ومن هو ومن أين هو فقال جرجيس أنا عبد الله وابن عبده وابن أمته أذل عباده وأفقرهم اليه من التراب خلقت واليه أصير فقال له الملك لو كان ربك الذى تزعم كما تقول لرؤى أثره عليك كما رؤى أثرى على من حولى ومن هو فى طاعتى فاجابه جرجيس بتحميد الله وتعظيم أمره ثم قال له أتعدل افلون الاصم الابكم الذى لا يغنى عنك شيأ برب العالمين الذى قامت السموات والارض بأمره أم تعدل طوفليا وما نال بولايتك فانه عظيم قومك بما نال الياس من ولاية الله تعالى فان الياس كان فى بدء أمره آدميا يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق فاكرمه الله تعالى حتى أنبت له الريش وكساه النور فصار انسيا ملكيا سماويا أرضيا يطير مع الملائكة أم تعدل مخاطيس وما نال بولايتك فانه عظيم قومك بالمسيح بن مريم وما نال بولاية الله تعالى فان الله تعالى فضله على رجال العالمين وجعله وأمه آية للمعتبرين أم تعدل هذه الروح الطيبة التى اختارها الله بكلمته وفضلها على امته وما نالت بولاية الله باربيل وما نالت بولايتك فانها كانت من شيعتك وعلى ملتك فاسلمها الله مع عظيم ملكها حتى اقتحمت عليها الكلاب فى بيتها فانتهشت لحمها وولغت فى دمها وقطعت الضباع أوصالها فقال له الملك انك لتحدثنا بشئ ليس لنا به علم فائتنا بالرجلين اللذين ذكرتهما حتى أنظر اليهما فانى أنكر أن يكون هذا من أمر البشر فقال له جرجيس انما جاءك الانكار من قبل الغرة بالله تعالى وأما الرجلان فلن تراهما ولن يريانك الا أن تعمل بعملهما فتنزل منازلهما فقال له الملك أما نحن فقد أعذرنا اليك وتبين لنا كذبك لانك فخرت بأمور عجزت عنها ولم تأت بتصديقها ثم ان الملك خير جرجيس بين العذاب وبين السجود لافلون فقال له جرجيس ان كان افلون هو الذى رفع السماء ووضع الارض فقد أصبت ونصحت لى والا فاخسأ أيها النجس الملعون فلما سمعها الملك غضب وشتمه وسب الهه وأمر بخشبة فنصبت له وجعل عليها أمشاط الحديد فخدش بها جسده حتى قطع لحمه وجلده وعروقه ونضح عليه فى خلال ذلك بالخل والخردل فحفظه الله من ذلك الالم والهلاك فلما رأى الملك أن ذلك لم يقتله أمر بست مسامير من حديد فاحميت حتى جعلت نارا فسمر بها رأسه حتى سال دماغه فحفظ من الالم والهلاك فلما رأى ذلك أنه لم يقتله أمر بحوض من نحاس فاوقد عليه حتى اذا جعله نارا أمر به فأدخل فى جوفه وأطبق عليه فلم يزل فيه حتى برد حره فلما رأى ذلك لم يقتله دعا به فقال له يا جرجيس أما تجد ألم هذا العذاب الذى تعذب به فقال ان ربى الذى أخبرتك به حمل العذاب عنى وصبرنى لاحتج عليك فلما قال له ذلك أيقن بالشر وخافه على نفسه وملكه وأجمع رأيه على أن يخلده فى السجن فقال له الملا من قومه انك ان تركته طليقا فى السجن يكلم الناس أوشك أن يميل بهم عليك ولكن مر له بعذاب فى السجن فيشغله عن كلام الناس فأمر به فبطح على وجهه ثم أوتد فى يديه ورجليه أربعة أوتاد من حديد فى كل ركن منها وتد وأمر باسطوانة من رخام فوضعت على ظهره ثم انه حمل على تلك الاسطوانة ثمانية عشر رجلا فظل يومه ذلك موتدا تحت الحجر فلما أدركه الليل أرسل الله تعالى اليه ملكا وذلك أول ما أيده الله تعالى بالملائكة وأول ما جاءه الوحى فقلع عنه الحجر ونزع الاوتاد من يديه ورجليه وأطعمه وسقاه وبشره بالنصر فلما أصبح أخرجه من السجن ثم قال له الحق بعدوك فجاهده فى الله حق جهاده فان الله يقول لك اصبر وابشر فانى قد ابتليتك بعدوى هذا سبع سنين يعذبك ويقتلك فيهن أربع مرات وفى

نعيمها*اذا ما شبال فارقها بعينها* قال وكانت أم الشاب واقفة على رأسه فانكبت عليه وبكت وقالت يا أمير المؤمنين ولدى وواحدى ناشدتك الله الا رحمت قلبى وأزلت روعتى بالعفو عمن استحق العقوبة فقال المأمون هذا حد من حدود الله تعالى فقالت يا أمير المؤمنين اجعل عفوك عن ولدى ذنبا من الذنوب التى تستغفر الله منها قال فرق المأمون لها وعفا عن ولدها وأطلق سبيله عفا الله عنه (وعن عبد الملك بن مروان) انه أتى برجل من بنى مخزوم وكان من أصحاب ابن الزبير فلما حضر بين يدى عبد الملك قال أليس قد ردك الله لى بئس المرد ورجع بك الى سوء المرجع فقال له الرجل يا أمير المؤمنين ان الله ردنى الى بئس مرد ورجع بى الى سوء مرجع فأنت أخبر بنفسك فقال عبد الملك أطلقوه وأمر له بجائزة وأنعم عليه رضى الله عنه (وقيل) كان يزيد بن المهلب واليا على خراسان وكان حسن الوجه جميل الصورة فمكث مدة وانصرف عنها وتولى مكانه قتيبة بن مسلم فقال فيه بعض الشعراء

كانت خراسان أرضا اذ يزيد بها*وكل باب من الخيرات مفتوح*فبدلت بعده قردا يطوف بها* كانما وجهه بالخل منضوح فبلغ ذلك قتيبة فطلبه فهرب الشاعر منه ومضى الى أم

كل

كل ذلك اردّ اليك روحك واذا كان فى القتلة الرابعة نقلت روحك وأوفيتك أجرك فلم يشعروا الا وقد وقف جرجيس على رؤسهم يدعوهم الى الله تعالى فقال له الملك ياجرجيس من أخرجك من السجن فقال أخرجنى الذى سلطانه فوق سلطانك فلما قال له ذلك ملئ غيظا ودعا باصناف العذاب حتى لم يخل منها شيأ فلما رآها جرجيس أوجس فى نفسه خيفة وجزعا ثم أقبل على نفسه يعاتبها بأعلى صوته وهم يسمعون فلما فرغ من عتابه قال لهم الملك مدوه بين خشبتين فمدوه ثم انهم وضعوا سيفا على مفرق رأسه فنشروه حتى سقط من بين رجليه وصار جزأين ثم عمدوا الى أجزائه فقطعوها اقطاعا ودعوا له سبعة أسود ضارية كانت له فى جب وكانت صنفا من أصناف عذابه فرموا بجسده اليها فلما هوى نحوها أمر الله عز وجل فخضعت برؤسها وأعناقها وقامت على براثنها تتقيه الالم فظل يومه ذلك ميتا وكانت أول موتة ماتها فلما أدركه الليل جمع الله له جسده الذى قطعوه وضم بعضه الى بعض حتى سواه ثم رد الله اليه روحه وأرسل الله له ملكا فأخرجه من قعر الجب فاطعمه وسقاه وبشره بالنصر فلما أصبحوا قال له الملك ياجرجيس قال لبيك قال له اعلم أن القدرة التى خلق الله بها آدم هى التى أخرجتك من قعر الجب أخرج فالحق بعدوك وجاهده فى الله حق جهاده ومت موت الصابرين فلم يشعر الملك وأصحابه الآخرون الا وقد أقبل جرجيس وهم عاكفون على عيد لهم قد صنعوه فرحا بموت جرجيس فلما نظروا الى جرجيس مقبلا قال الملك ما أشبه هذا الرجل بجرجيس فقالوا كانه هو فقال الملك ليس هو حقا ألا ترون الى سكون ريحه وقلة هيبته فقال جرجيس بل هو أنا فلبئس القوم أنتم قتلتم ومثلتم فاحيانى الله تعالى بقدرته فهلموا الى الرب العظيم الذى أراكم ما أراكم فلما قال لهم ذلك أقبل بعضهم الى بعض وقالوا ساحر سحر أعينكم فجمعوا له من كان ببلاد الملك من السحرة فلما جاء السحرة قال الملك لكبيرهم اعرض على من كبير سحرك ما يسر عينى فقال ادع لى بثور من البقر فلما أتى به نفث فى احدى أذنيه فانشقت باثنتين ثم نفخ فى الاذن الاخرى فاذا هو ثوران ثم دعا ببذر فحرث وبذر ونبت الزرع وحصد ثم داس وذرى وطحن وعجن وخبز كل ذلك فى ساعة واحدة وهم يرون فقال له الملك هل تقدر أن تمسخ لى جرجيس دابة فقال الساحر أى دابة تطلب أمسخ لك قال كلبا فقال الساحر ادع لى بقدح من ماء فلما أتى بالقدح نفث فيه الساحر ثم قال للملك اعزم عليه أن يشرب فشرب به جرجيس حتى أتى على آخره فلما فرغ منه قال له الساحر ماذا تجد قال ما أجد الا خيرا كنت قد عطشت فلطف الله لى بهذا الشراب وقوانى به عليكم فلما قال ذلك أقبل الساحر على الملك وقال له اعلم أيها الملك أنك لو كنت تقايس رجلا مثلك اذا لكنت غلبته ولكنك تقايس جبار السموات والارض وهو الملك الذى لا يرام وقد كانت امرأة مسكينة من أهل الشام قد سمعت بجرجيس وما يصنع من الاعاجيب فأتته وهو فى أشد ما فيه من البلاء فقالت له ياجرجيس أنا امرأة مسكينة ولم يكن لى مال الا ثوران كنت أحرث عليهما فماتا فجئتك لترحمنى وتدعو الله أن يحيى لى ثورى فلما سمع كلامها ذرفت عيناه ثم دعا الله أن يحيى لها ثوريها ثم انه أعطاها عصا وقال لها اذهبى الى ثوريك فاقرعيهما بهذه العصا وقولى لهما احييا باذن الله تعالى فقالت له ياجرجيس ان ثورى قد ماتا منذ سبعة أيام ومزقتهما السباع وبينى وبينهما أيام فقال لها لو لم تجدى منهما الا شيأ يسيرا وقرعتيه بالعصا لانهما يقومان باذن الله تعالى فانطلقت المرأة حتى أتت مصرعيهما وكان أول شئ بدا لها من ثوريها قرن أحدهما وشعر أذن الآخر فجمعت أحدهما الى الآخر وقرعتهما بالعصا وقالت كما أمرها فقام الثوران باذن الله تعالى وعملت عليهما حتى جاءهم الخبر بذلك فلما قال الساحر للملك ما قال قال رجل من أصحاب الملك وكان أعظمهم عند الملك انكم قد وضعتم أمر هذا الرجل على السحر وأنكم قد عذبتموه فلم يصل اليه عذابكم وقتلتموه فلم يمت فهل رأيتم ساحرا يدرأ عن نفسه الموت أو أحيا ميتا قط فقالوا ان كلامك لكلام رجل قد صبا اليه فلعله استهواك اليه فقال آمنت بالله وأشهد أنى برئ مما تعبدون فقام اليه الملك وأصحابه بالخناجر فقطعوه فلما رأى القوم ذلك أتبع جرجيس أربعة آلاف آمنوا فعمد اليهم الملك فلم يزل يعذبهم بالوان العذاب حتى أفناهم فلما فرغ منهم قال لجرجيس هلا دعوت ربك فاحيا لك أصحابك هؤلاء الذين قتلوا بجريرتك فقال له جرجيس ما خلى بينى وبينهم حتى حانت آجالهم فقال له رجل من عظمائهم يقال له مخليطس انك زعمت ياجرجيس ان الملك هو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وانى سائلك أمرا ان فعلته آمنت بك وصدقتك وكفيتك نحن قوم حولنا أربعة عشر كرسيا وهذه مائدة بيننا عليها أقداح وصحاف من أشجار شتى فادع ربك ينشئ هذه الكراسى والاوانى كما بدأها أول مرة تعود

قتيبة فأخذ منها كتابا بالوصية به وقدم الى قتيبة فلما دخل عليه قال ياولدى باى وجه تلقانى قال بالوجه الذى ألقى به ربى فان احسانه الى أكثر من احسانك لى ومخالفتى له أكثر من مخالفتى لك قال فضحك قتيبة وترك سبيله عفا الله عنه (وأشرف المأمون يوما من قصره) فرأى رجلا قائما ومعه فحمة يكتب بها على حائط القصر فقال لاحد غلمانه انزل الى ذلك الرجل وامسك يده واقرأ ما كتبه فقرأه فاذا هو هذا الشعر

ياقصر جمع فيك اللؤم والشؤم
متى يعشش فى أركانك البوم
يوم يعشش فيك البوم من فرحى
أكون أول من ينعاك مرغوم

فقال له أجب أمير المؤمنين فقال له الرجل سألتك بالله ياغلام لا تذهب بى اليه فقال له الغلام انه رآك من القصر فأخذه وأوقفه بين يدى أمير المؤمنين وقال وجدته كتب كذا وكذا فقال المأمون ويلك ما حملك على هذا فقال ياأمير المؤمنين انه لم يخف عنك ما حواه قصرك من خزائن الاموال والحلى والحلل والطعام والشراب والامتعة والفرش والجوارى والخدم فمررت عليه وانا فى غاية من الجوع والفاقة فوقفت متفكرا فى امرى وقلت فى نفسى هذا القصر عامر وأنا جائع ولا

خضراء فيعرت كل عود منها النو بته وورقه وزهره فقال له جرجيس لقد سألت أمراعزيزاعلى وعليك وانه على الله لهين فدعا الله عز وجل فما برحوا من مكانهم حتى اخضرت تلك الكراسي والاواني كلها وساخت عروقها وتلبست اللحم وتشعبت وأورقت وأزهرت وأثمرت فلما نظروا الى ذلك انتدب لهم مخليطس الذى تمنى عليه ماتمنى فقال أنا أعذب لكم هذا الساحر عذابا يبطل به كيده ثم انه عمد الى نحاس فصنع منه صورة ثور له جوف واسع ثم حشاها نفطا ورصاصا وكبريتا وزرنيخا ثم أدخل جرجيس مع الحشو فى جوفها ثم أوقد على الصورة حتى التهب وذاب كل شىء فيها واختلط جرجيس فى جوفها فلما مات جرجيس أرسل الله ريحا عاصفا فملأت السماء سحابا أسود فيه رعد وبرق وصواعق وأرسل الله اعصارا ملأت بلادهم عجاجا وقتاما حتى اسود ما بين السماء والارض فمكثوا أياما متحيرين فى تلك الظلمة لا يفصلون بين الليل والنهار وأرسل الله ميكائيل فاحتمل الصورة التى فيها جرجيس حتى اذا أقلها ضرب بها الارض ففزع من روعها أهل الشأم فخروا لوجوههم صاعقين وانكسرت الصورة فخرج منها جرجيس حيا فلما وقف يكلمهم انكشفت الظلمة وأسفر ما بين السماء والارض ورجعت اليهم أنفسهم فقال له رجل يقال له طوفلا الاندرى ياجرجيس ان كنت أنت تصنع هذه الاعاجيب أم ربك فان كان ربك هو الذى يصنع فادعه يحيى لنا موتانا التى فى هذه القبور فان فيها أمواتا منهم من نعرفه ومنهم من لا نعرفه فقال له جرجيس لقد علمت أن ما يصفح الله عنكم هذا الصفح ويريكم هذه الاعاجيب الا لتكون عليكم حجة فتستوجبوا بها غضبه ثم انه أمر بالقبور فنبشت وهى عظام رفات وأقبل جرجيس على الدعاء فما برحوا من مكانهم حتى نظروا الى سبعة عشر انسانا تسعة رجال وخمس نسوة وثلاث صبية واذا فيهم شيخ كبير فقال له جرجيس ياشيخ ما اسمك فقال ياجرجيس اسمى توبيل قال متى مت قال فى زمان كذا وكذا فحسبوا فاذا هو قد مات منذ أربعمائة عام فلما نظر الملك وأصحابه الى ما فعل قالوا ما بقى من أصناف العذاب شىء الا وقد عذبتموه به الا الجوع والعطش فعذبوه بهما فعمدوا الى بيت عجوز كبيرة فقيرة كان لها ابن أعمى أصم أبكم مقعد فحصروه فى بيتها وكانوا لا يوصلون له من عند أحد طعاما ولا شرابا فلما بلغ به الجوع قال للعجوز هل عندك طعام أو شراب فقالت لا والذى يحلف به ما عهدنا الطعام منذ كذا وكذا وسأخرج ألتمس لك شيأ فقال لها جرجيس هل تعرفين الله تعالى قالت نعم قال اياه تعبدين قالت لا فدعاها الى الله فصدقته ثم انها انطلقت تطلب له شيأ وكان فى بيتها دعامة من خشب يابسة تحمل خشب البيت فأقبل على الدعاء فاخضرت تلك الدعامة وأنبتت له كل فاكهة تؤكل أو تعرف حتى كان مما أنبتت اللوبيا والليار وهو مثل البردى يكون بالشام وظهر للدعامة فرع من فوق البيت أظله من فوقه فأقبلت العجوز وهو فيما شاء يأكل رغدا فلما رأت الذى حدث فى بيتها من بعدها قالت آمنت بالذى أطعمك فى بيت الجوع فادع هذا الرب العظيم أن يشفى ابنى قال لها ادنيه منى فأدنته فبصق فى عينيه فابصر ونفث فى أذنيه فسمع فقالت له أطلق لسانه ورجليه رحمك الله فقال لها اخريه فان له يوما عظيما وكان الملك قد خرج يوما يسير فى مدينته اذ وقع بصره على الشجرة فقال انى أرى شجرة بمكان ما كنت أعرفها به فقالوا له ان تلك الشجرة نبتت لذلك الساحر الذى أردت أن تعذبه بالجوع فهو فيما شاء يأكل وقد شبع منها وأشبع العجوز الكبيرة الفقيرة وشفى لها ابنها فأمر الملك بالبيت فهدم وبالشجرة أن تقطع فلما هموا بقطعها أيبس الله الشجرة وردها كما كانت أول مرة فتركوها وأمر بجرجيس فبطح على وجهه وأوتد له أربعة أوتاد وأمر بعجل فأوقر اسطوانا وجعل فى أسفل العجل خناجر وشفارا ثم أمر بأربعين ثورا فنهضت بالعجل نهضة واحدة وجرجيس تحتها فانقطع ثلاث قطع فأمر بقطعه ان تحرق فألقيت فى النار حتى عادت رمادا فبعث بذلك الرماد وبعث معه رجالا فذروه فى البحر فما برحوا عن مكانهم حتى سمعوا صوتا من السماء يابحران الله يأمرك ان تحفظ ما فيك من هذا الجسد الطيب فانى أريد أن أعيده كما كان ثم أرسل الله الرياح فأخرجته من البحر ثم جمعته حتى صار الرماد صبرة واحدة كهيئته قبل ان يذرى فخرج منه جرجيس مغبرا ينفض رأسه فرجعوا ورجع جرجيس وأخبروا الملك خبر الصوت الذى سمعوه والريح الذى جمعته فقال له الملك ياجرجيس هل لك فيما هو خير لى ولك مما نحن فيه ولا أن يقول الناس انك غلبتنى وقهرتنى لاتبعتك وآمنت بك ولكن اسجد لافلون سجدة واحدة واذبح له شاة واحدة ثم انى افعل ما يسرك فقال له نعم مهما شئت فعلت فادخلنى على صنمك ففرح الملك بقوله وقام اليه وقبل

فائدة لى فيه فلو كان خرابا ومررت به لم اعدم منه رخامة أو خشبة أو مسمارا أبيعه وانقوت بثمنه أوما علم أمير المؤمنين ما قال الشاعر

اذا لم يكن للمرء فى دولة امرئ
نصيب ولا حظ تمنى زوالها
وما ذاك من بغض لها غير انه
يرجى سواها فهو يهوى انتقالها

فقال المأمون ياغلام اعطه ألف دينار ثم قال هى لك فى كل سنة ما دام قصرنا عامرا (وانشد فى المعنى)

اذا كنت فى أمر فكن فيه محسنا
فعما قليل انت ماض وتاركه
فكم دحت الايام ارباب دولة * وقد ملكوا اضعاف ما انت مالكه

(وروى عن موسى بن عمران صلوات الله عليه) انه خرج يوما نحو الطور واذا هو برجل واقف على الطريق فقال الى أين يانبى الله قال الى المناجاة فقال لى اليك حاجة قال فما هى قال قل له يكرمنى بقدر حبة من محبته فلما وقف موسى عليه السلام للمناجاة نسى الرسالة من حلاوة المناجاة فناداه ربه ياموسى نسيت حاجة عبدى قال يارب انت اعلم بما قال عبدك قال نعم ولكن الرسالة حق ان تؤدى ومن لم يؤد الرسالة فقد خان وأنا لا أحب الخائنين ياموسى قد وهبت له جميع ما اراد فرجع موسى فلم يجده فى مكانه فقال الهى وسيدى أين ذهب الرجل

يديه و رجليه و راسه وقال له اعزم عليك أن نظل هذا اليوم ولاتبيت هذه الليلة الا فى بيتى وعلى فراشى وفى كرامتى حتى تستريح ويذهب عنك وصب العذاب ويرى الناس كرامتك على فأخلى له بيته فظل فيه جرجيس حتى اذا أدركه الليل قام يصلى ويقرأ الزبور وكان أحسن الناس صوتا فلما سمعته امرأة الملك استجابت له فلم يشعر الا وهى خلفه تبكى فدعاها جرجيس الى الايمان فآمنت به وأمرها فكتمت ايمانها فلما أصبح الصبح غدا به الى بيت الاصنام ليسجد لها فلما سمعت العجوز بذلك خرجت تحمل ابنها على عاتقها توبخ جرجيس والناس مشتغلون عنها فلما دخل جرجيس بيت الاصنام ودخل الناس معه نظروا واذا بالعجوز وابنها على عاتقها أقرب الناس اليه مقاما فلما رآها جرجيس دعا ابن العجوز باسمه فنطق وأجابه ولم يكن يتكلم قبل ذلك قط ثم اقتحم عن عاتق أمه يمشى على رجليه ولم يكن يطأ الارض قبل ذلك بقدميه قط فلما وقف بين يدى جرجيس قال له اذهب فادع لى هذه الاصنام وهى يومئذ سبعون صنما على منابر من ذهب وهم يعبدونها ويعبدون معها الشمس والقمر فقال له الغلام كيف أدعو الاصنام فقال له قل لها ان جرجيس يسألك ويعزم عليك بالذى خلقك الا ما أجبتيه فلما قال لها الغلام ذلك أقبلت تتدحرج الى جرجيس فلما انتهت اليه ركض الارض برجله فخسف بها وبمنابرها وخرج ابليس لعنه الله من جوف صنم منها هاربا فرقا من الخسف فلما مر بجرجيس أخذ بناصيته فخضع له وكلمه جرجيس فقال له جرجيس أخبرنى أيها الروح النجسة والخلق الملعون ما الذى يحملك على أن تهلك نفسك وتهلك الناس معك وأنت تعلم أنك وجندك تصيرون الى جهنم فقال له ابليس لعنه الله لو خيرت بين ما أشرقت عليه الشمس وبين ما أظلم عليه الليل وبين هلكة واحد من بنى آدم وضلالته لاخترت هلكته على ذلك كله وانه ليقع لى من الشهوة واللذة فى ذلك مثل جميع ما يتلذذ به جميع الخلق ألم تعلم ياجرجيس أن الله تعالى أسجد لابيك آدم جميع الملائكة فسجدوا له كلهم وامتنعت من السجود وقلت أنا خير منه قال فلما قال هذا خلى سبيله جرجيس فما دخل ابليس من يومئذ جوف صنم ولا يدخله بعدها فيما يذكرون أبدا فقال الملك ياجرجيس غررتنى وخدعتنى وأهلكت آلهتى فقال جرجيس انما فعلت ذلك لتعتبر ولتعلم انها لو كانت آلهة لامتنعت منى فكيف تثق ويلك بآلهة لم تمنع نفسها منى وانما أنا مخلوق ضعيف لا أملك الا ما ملكنى ربى فلما قال هذا جرجيس أقبلت امرأة الملك وكلمتهم وكشفت لهم عن ايمانها وعددت لهم افعال جرجيس والعبر التى أراهم الله تعالى اياها وقالت لهم ما تنتظرون من هذا الرجل الا دعوة فيخسف بكم الارض كما خسف بأصنامكم الله الله أيها القوم فى أنفسكم فقال لها الملك ويحك يا اسكندرة ما أسرع ما أضلك هذا الساحر فى ليلة واحدة وأنا أقاسيه منذ سبع سنين فلم يظفر منى بشىء فقالت له أما رأيت الله كيف يظفره بك ويسلطه عليك فيكون له الفلاح والحجة عليك فى كل موطن فلما سمع كلامها أمر بها الملك عند ذلك فحملت على خشبة جرجيس التى كان علق عليها وجعلت عليها الامشاط التى جعلت على جرجيس فلما آلمها قالت ادع ربك ياجرجيس فيخفف عنى فانى قد آلمنى العذاب فقال لها انظرى فوقك فلما نظرت ضحكت فقال لها الملك ما الذى يضحكك قالت أرى ملكين فوقى معهما تاج من حلى الجنة ينتظران به خروج روحى فلما خرجت روحها زيناها بذلك التاج ثم صعدا بها الى الجنة فلما قبض الله روحها أقبل جرجيس على الدعاء وقال اللهم أنت أكرمتنى بهذا البلاء لتعطينى منازل الشهداء فهذا آخر أيامى الذى كنت وعدتنى فيه الراحة من بلاء الدنيا اللهم انى أسألك أن لا تقبض روحى ولا أزول من مكانى هذا حتى تنزل بهؤلاء المتكبرين من سطواتك ونقمتك مالا قبل لهم به حتى تشفى به صدرى وتقر به عينى فانهم ظلمونى وعذبونى فيك اللهم وأسألك أن لا يدعو بعدى داع فى بلاء وكرب فيذكرنى وينشدك باسمى الا فرجت عنه ورحمته وأجبته وشفعتنى فيه فلما فرغ من هذا الدعاء أمطر الله عليهم نارا فلما رأوا ذلك عمدوا اليه فضربوه بالسيوف غيظا من شدة الحريق ليعطيه الله بالقتلة الرابعة ما وعده ثم احترقت المدينة بجميع ما فيها وصارت رمادا فحملها الله من وجه الارض وجعل عاليها سافلها فمكثت زمانا من الدهر يخرج من تحتها نار ودخان منتن لا يشمه أحد الا سقم سقما شديدا وكان جميع من آمن بجرجيس وقتل معه أربعة وثلاثين ألفا وامرأة الملك قال الاستاذ وكانت قصة جرجيس فى أيام ملوك الطوائف والله أعلم

﴿ باب فى قصة شمسون النبى عليه السلام ﴾

صاحب الحاجة فقال ياموسى هرب منك قل لم قل من احبنا الا التفت الى غيرنا فان أردت أن تراد ياموسى فادخل هذه الغيضة قال فدخل ونظر فاذا أسد يأكله فقال الهى ما هذا فقال هذا صنعى باحبابى فى دار الفناء انظر ياموسى الى دار البقاء فنظر فاذا بقبة من ياقوتة حمراء مثل الدنيا ثلاث مرات فقال ياموسى هذه له وانا له (وقيل فى هذا المعنى شعرا)

طال اشتياقى فهل لى فيكم وطمع
كيف اصطبارى والاحشاء تقتطع
كيف الفرار الى من لافرار له
موله القلب للاحباب منقطع
يبكى الديار بدمع هامل هطل
له من الجزع أحباب وما رجعوا

(وقال ابراهيم بن أدهم نفعنا الله به ﴿ نزلت مسجدا بالشام وكانت ليلة شاتية فقال لى القيم قم واخرج حتى أغلق الباب فقلت انى غريب أبيت ههنا فقال الغرباء يسرقون القناديل والحصر وقد حلفت ان لا يبيت فيه أحد ولو كان ابراهيم بن أدهم فقلت أنا ابراهيم بن أدهم فقال كفى ما أنت فيه حتى تكذب ثم قال اخرج وجعل يجرنى من رجلى على وجهى حتى رمانى خارج المسجد بازاء حمام فرأيت شابا حسن الوجه يوقد النار فى تنور ذلك الحمام فسلمت عليه فلم يرد على السلام حتى فرغ وقال ياهذا انى اجير وخفت ان اشتغلت بالسلام

قال الله تعالى انا أنزلناه فى ليلة القدر الى قوله تعالى خير من ألف شهر (أخبرنا) أبو عمرو القرافى باسناده عن ابن أبى نجيح أن النبى صلى الله عليه وسلم ذكر رجلا من بنى اسرائيل لبس السلاح فى سبيل الله ألف شهر فتعجب المسلمون من ذلك فانزل الله تعالى انا أنزلناه فى ليلة القدر وما أدراك ما ليلة القدر ليلة القدر خير من ألف شهر التى لبس الرجل فيها السلاح فى سبيل الله تعالى (أخبرنا) عبد الله الضبى باسناده عن وهب بن منبه أن رجلا من أهل قرية من قرى الروم يقال له شمسون بن مسوح كان فيهم مسلما من أهل الانجيل وكانت أمه قد جعلته نذيرا وكان قومه أهل أوثان يعبدونها من دون الله وكان منزله منها على خمسة أميال وكان يغزوهم وحده ويجاهدهم فى الله فيقتل منهم ويسبى ويصيب الاموال وكان اذا قاتلهم لقيهم بالجحفة لا يلقاهم بغيرها وكان اذا قاتلهم وقاتلوه فتعب وعطش انفجر له من الحجر ماء عذب فيشرب منه حتى يروى وكان قد أعطى قوة فى البطش وكان لا يوثقه حديد ولا غيره فجاهدهم فى الله ألف شهر يصيب منهم حاجته ولا يقدرون منه على شئ فاحتالوا عليه وقالوا لا نأتيه الا من قبل امرأته فجعلوا لها جعلا على ذلك فأجابتهم وقالت أنا أوثقه لكم فاعطوها حبلا وثيقا وقالوا لها اذا نام فاوثقى يديه الى عنقه حتى نأتيه فنأخذه فلما نام أوثقت يديه الى عنقه بذلك الحبل فلما انتبه من نومه جذب بيديه فوقع من عنقه فقال لها لم فعلت ذلك فقالت له أجرب به قوتك ما رأيت مثلك قط فارسلت اليهم وقالت لهم انى قد ربطته بالحبل فلم يغن عنه شيأ فأرسلوا اليها بجامعة من حديد وقالوا لها اذا نام فاجعليها فى عنقه فلما نام جعلتها فى عنقه ثم أحكمتها فلما هب جذبها فوقعت من عنقه ويده فقال لها لم فعلت هذا قالت أجرب به قوتك ما رأيت مثلك قط فهل فى الارض شئ يغلبك قال لا الا شئ واحد قالت وما هو قال ما أنا بمخبرك به فلم تزل تسأله عن ذلك وكان ذا شعر طويل كثير فقال لها ويحك ان أمى كانت أخبرتنى أن لا يغلبنى شئ أبدا ولا يغيظنى الا شعرى فلما نام أوثقت يده الى عنقه بشعر رأسه فأوثقه ذلك فبعثت الى القوم فجاؤا وأخذوه فجدعوا أنفه وأذنيه وفقؤا عينيه وأوقفوه للناس بين ظهرانى المدينة وكانت مدينة ذات أساطين وكان ملكهم قد أشرف عليها هو والناس لينظروا الى شمسون وما يصنع به فدعا الله شمسون حين مثلوا به وأوقفوه على الناس أن يسلطه عليهم فأمر أن يأخذ بعمودين من عمد المدينة التى عليها الملك والناس معه فيجذبهما جميعا فجذبهما فانهارت المدينة بمن فيها فهلكوا فيها هدما وهلكت أيضا امرأته معهم ورد الله تعالى عليه بصره وما أصابوا من جسده تاما وعاد كما كان وكانت قصة شمسون فى أيام ملوك الطوائف والله أعلم

﴿ باب فى قصة أصحاب الاخدود ﴾

قال الله تعالى قتل أصحاب الاخدود النار ذات الوقود الآيات روى عطاء عن ابن عباس انه كان بنجران ملك من ملوك حمير يقال له يوسف ذو نواس بن شرحبيل فى الفترة قبل مولد النبى صلى الله عليه وسلم بسبعين سنة وكان له ساحر حاذق فلما كبر قال للملك انى قد كبرت فابعث لى غلاما أعلمه السحر فبعث اليه غلاما يقال له عبد الله بن السامرى يعلمه السحر فكره الغلام ذلك ولم يجد بدا من طاعة الملك وطاعة أبيه فجعل يتخلف عن الساحر وكان فى طريقه راهب حسن القراءة حسن الصوت فقعد الغلام عنده وسمع كلامه فاعجبه وكان يبطئ عند الراهب ويأتى المعلم فيضربه ويقول له ما الذى حبسك واذا انقلب الى أبيه يجلس عند الراهب فيضربه أبوه ويقول له ما أبطأك فشكا الغلام ذلك الى الراهب فقال له الراهب اذا أتيت المعلم فقل له حبسنى أبى واذا أتيت أباك فقل حبسنى المعلم وكان فى تلك البلاد حية عظيمة قد قطعت الطريق على الناس فر بها الغلام ورماها بحجر وقال اللهم ان كان أمر الراهب أحب اليك من أمر الساحر فاقتلها فلما رماها قتلها فاتى الراهب وأخبره فقال له الراهب أنت قتلتها قال نعم قال ان لك لشأنا وقد بلغ من أمرك ما أرى وانك ستبتلى فاذا ابتليت فلا تدل على فكان الغلام يبرئ الاكمه والابرص ويشفى المرضى وكان للملك ابن عم مكفوف البصر فسمع بالغلام وقتله الحية فجاءه معه وقال له أنت قتلت الحية قال لا قال فمن قتلها قال الله تعالى قال فمن الله قال رب السموات والارض وما بينهما ورب الشمس والقمر والليل والنهار والدنيا والآخرة قال ان كنت صادقا فادع الله أن يرد على بصرى فقال له الغلام أرأيت ان رد الله عليك بصرك تؤمن بالله قال نعم قال اللهم ان كان صادقا فاردد عليه بصره فرجع الى منزله بلا قائد ثم دخل على الملك فلما رآه تعجب منه وقال له من فعل هذا بك فقال الله قال ومن الله قال رب السموات والارض فقال له الملك أخبرنى من علمك هذا فأبى فلم يزل يعذبه حتى دله على الغلام فجئ بالغلام فقال له

عليك أن أكون خائنا فى عملى قلت بكم تعمل كل يوم قال بدرهم ودانق اتقوت بالدانق وأنفق الدرهم على أولاد أخ لى فى الله مات وتركهم قلت له هل سألت الله فى حاجة قط قال نعم منذ عشرين سنة وما قضيت قلت له وما هى قال بلغنى أن فتى تميز عن الزاهدين وفاق على العابدين يقال له ابراهيم ابن أدهم فتمنيت على الله رؤيته وأموت فقلت له أبشر يا أخى فقد قضيت حاجتك وما رضى لى بان آتيك الا سحبا على وجهى فوثب من مكانه وعانقنى وسمعته يقول قضيت حاجتى فاقبضنى فوقع ميتا (شعر)

أبدى شواهده فى قلب شاهده
وأن شاهده فيما يحاكيه
الحمد لله لا بين ولا صلة
هذا بيان لمعنى من يعانيه

(وقال عطاء السلمى رضى الله عنه) بعثنا عمر ابن الخطاب رضى الله عنه فى غزاة وكنا أربعة آلاف فحاصرنا قلعة على جبل لا تصل أسلحتنا اليه وفيها مجوس وأميرهم امرأة حسناء قال فطلعت على السور فنظرت الى عسكر الصحابة رضى الله تعالى عنهم فرأت شابا مليحا من العرب وكان جميلا فارسا شجاعا يضرب بالسيف ويطعن بالرمح فقالت ياه ياه فقالت لها جاريتها ما بالك قالت ان حصننا قد فتح فقالت الجارية وكيف ذلك فقالت ستربن بعد ساعة ثم أرسلت الى الشاب هل أجد اليك سبيلا قال نعم بشرط أن تسلمى الحصن الظاهر الينا

الملك يا بنى قد بلغ من سحرك هذا فقال الغلام انى لا أشفى أحدا وانما يشفى الله فلم يزل بعذبه حتى دله على الراهب فجىء بالراهب فقيل له ارجع عن دينك فأبى فدعا بالمنشار ووضعه فى مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقتين ثم جىء بابن عم الملك فقيل له ارجع عن دينك فأبى فوضع المنشار فشقه مثل ذلك ثم التفت الى الغلام وقال له ارجع عن دينك فأبى فدفعه الى نفر من أصحابه وقال اذهبوا به الى جبل كذا وكذا واصعدوا به الى ذروة الجبل فان رجع عن دينه والا فاطرحوه فذهبوا به الى الجبل فقال اللهم اكفنيهم بما شئت فرجف بهم الجبل فسقطوا وهلكوا ثم جاء الغلام يمشى الى الملك فقال له الملك ما فعل أصحابك فقال كفانيهم الله فغاظ الملك ذلك فدفعه الى نفر من أصحابه وقال لهم اذهبوا به فى قرقور وهى السفينة واطرحوه فى البحر ولججوا به فيه فان رجع عن دينه والا فاقذفوه فى البحر وغرقوه فذهبوا به الى البحر فقال الغلام اللهم اكفنيهم بما شئت فانكفأت بهم السفينة فغرقوا وجاء يمشى الى الملك فقال له الملك ما فعل أصحابك قال كفانيهم الله فقال الملك اقتلوه بالسيف فنبا السيف عنه وفشا خبره فى الارض وعرفه الناس وعظموه وعلموا أنه هو وأصحابه على الحق ثم ان الغلام قال للملك انك لا تقدر على قتلى الا أن تفعل ما آمرك به فقال وما هو قال تجمع أهل مملكتك وأنت على سريرك فتصلبنى على جذع وترمينى بسهم وتقول بسم الله رب الغلام ففعل الملك ذلك ثم رماه وقال بسم الله فأصابه فى صدغه فوضع يده عليه ومات فقال الناس لا اله الا الله آمنا بدين عبد الله بن الثامر ولا دين الا دينه فلما آمن الناس برب العالمين رب الغلام قيل للملك قد والله نزل بك ما كنت تحذر فغضب الملك وأغلق أبواب المدينة وأخذ أفواه السكك وخد أخدودا وملأه نارا ثم عرض الناس عليه رجلا رجلا فمن رجع عن الاسلام تركه ومن لم يرجع ألقاه فى الاخدود فاحترق وكانت امرأة قد أسلمت فيمن أسلم ولها أولاد ثلاثة أحدهم رضيع فقال لها الملك أترجعين عن دينك والا ألقيتك أنت وأولادك فى النار فأبت فأخذ ابنها الاكبر فألقى فى النار ثم أخذ الاوسط وقال لها ارجعى عن دينك فأبت فألقى أيضا فى النار ثم أخذ الرضيع وقال لها ارجعى فأبت فأمر بالقائه فى النار فهمت المرأة بالرجوع فقال لها الصبى الصغير يا أماه لا ترجعى عن الاسلام فانك على الحق ولا بأس عليك فألقى الصبى فى النار وأمه على أثره وقد روى هذا بنحو ما ذكرنا مرفوعا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (أخبرنا) أبو القاسم الحسن بن محمد بن الحسين بن جعفر المذكور باسناده عن صهيب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثل معناه وقد تكلم ستة فى المهد شاهد يوسف الصديق عليه السلام وابن ماشطة بنت فرعون ويحيى بن زكريا وعيسى بن مريم وصاحب جريج الراهب وصاحب الاخدود (وقال سعيد بن المسيب) كنا عند عمر بن الخطاب رضى الله عنه اذ ورد عليه كتاب أنهم وجدوا ذلك الغلام بنجران وهو واضع يده على صدغه فكلما مدت يده عادت الى الصدغ فكتب اليهم عمر واروه حيث وجدتموه وقال مقاتل كان أصحاب الاخاديد ثلاثة واحد بنجران اليمن وآخر بالشام وآخر بفارس حرقوا بالنار أما الذى بالشام فانطياخوس الرومى أحرق قوما من المؤمنين وأما الذى بفارس فهو بختنصر (وكانت قصته) ما أخبرنا عبد الله بن حامد باسناده عن ابن أروى قال لما هزم المسلمون أهل الاسفندهار وانصرفوا جاءهم نبى عمر فاجتمعوا وقالوا أى شئ يجرى على المجوس من الاحكام فانهم ليسوا بأهل كتاب وليسوا من مشركى العرب فقال على كرم الله وجهه بل هم أهل كتاب وكانوا متمسكين بكتابهم وكانت الخمرة قد أحلت لهم فتناولها ملك من ملوكهم فغلبت على عقله فتناول أخته فوقع عليها فلما ذهب عنه السكر ندم وقال لها ويحك ما هذا الذى أتيت وما المخرج منه فقالت المخرج منه أنك تخطب الناس فتقول أيها الناس ان الله قد أحل لكم نكاح الاخوات فاذا ذهب هذا فى الناس تناسوا حرمته عليهم فقام فيهم خطيبا فقال أيها الناس ان الله أحل لكم نكاح الاخوات فقال الناس بأجمعهم معاذ الله أن نؤمن بهذا ما جاءنا به نبى ولا أنزل علينا فى كتاب فرجع الى أخته وقال ويحك ان الناس قد أبوا على فقالت ابسط فيهم السوط فبسط فيهم السوط فأبوا أن يقروا فقال لها ان الناس قد أبوا فقالت جرد فيهم السيف ففعل فأبوا أن يقروا فقالت خد لهم الاخدود ثم اعرضهم عليه فمن تابعك خل عنه ومن أبى فاقذفه فى النار فخد الاخدود وأوقد فيه النيران وعرض أهل مملكته على ذلك فمن أبى قذفه فى النار ومن أجاب خلى سبيله فأنزل الله تعالى فيهم قتل أصحاب الاخدود الى قوله تعالى عذاب الحريق وأما الذى فى اليمن فهو يوسف ذو نواس بن شرحبيل بن تبع بن يشرخ الحميرى وقد ذكرنا قصته وذكر محمد بن اسحق بن بشار عن وهب بن منبه أن رجلا كان بقى على دين عيسى فوقع الى نجران فدعاهم فأجابوه فخيرهم ذو نواس بين النار أو

والباطن لله فقالت الظاهر فأعرفه أما الباطن فما هو قال قلبك تسامينه لله وتقربن بوحدانيته فأرسلت اليه تعال بعسكرك فلما دخل الحصن وعرض عليها الاسلام قالت انى امرأة كثيرة الهيبة هل فى عسكرك من هو أكبر منك حتى أسلم على يديه قال نعم فارتحلت مع العسكر ومعها أموال كثيرة حتى دخلت على عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقالت هل ههنا أكبر منك حتى أسلم على يديه قال نعم محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا قبره قالت لا أسلم الا على يديه فجلست عند قبره وقالت أشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله ثم قالت خرجت من دار الكفر غير أنى أخشى أن أقع بعد الاسلام فى المعصية فاسأل ربك الذى أرسلك أن لا أعصيه قال ثم وضعت خدها على حائط القبر وماتت من ساعتها فقال عمر رضى الله عنه طوبى لمن مات وجوارحه مستريحة من المعاصى رضى الله عنهم ورضى عنا بهم (وقال ذو النون المصرى رضى الله عنه) رأيت فى البادية ظلا يلوح مرة ويغيب أخرى والشخص مستور عنى فقلت بالله عليك يا صاحب الظل الا ما أظهرت نفسك لكى اراك قال فظهر فاذا هى امرأة فقالت يا ذا النون ما أكثر فضولك ما تصنع بى فقلت انى أحب الصالحين فقالت لقد أحببت سوأ فقلت انى أحبكم

اليهودية فأبوا عليه فأحرق منهم اثنى عشر ألفا وقال مقاتل انما قذف فى النار يومئذ سبعة وسبعين انسانا وقال الكلبى كان أصحاب الاخدود سبعين ألفا فلما قذفوا المؤمنين فى النار خرجت النار الى أعلى شفير الاخدود فأحرقتهم وارتفعت النار فوقهم اثنى عشر ذراعا ونجا ذو نواس فسلط الله عليهم ارياطا الحبشى حتى غلب على اليمن فخرج هاربا فاقتحم البحر فأغرقه الله فيه وفيه يقول عمرو بن معديكرب

أتوعدنى كأنك ذو رعين * بأنعم عيشة أوذو نواس
وقدما كان قبلك فى نعيم * وملك ثابت فى الناس راسى
فقدم عهده من عهد عاد * عظيم قاهر الجبروت قاسى
فامسى أهله بادوا وأمسى * ينقل فى أناس من أناس

﴿باب فى قصة أصحاب الفيل وبيان مافيها من الفضل والشرف لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم﴾

قال الله تعالى ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل الى آخر السورة قال محمد بن اسحق بن بشار كان من حديث أصحاب الفيل ماذكر بعض أهل العلم عن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس وعمن بقى من علماء اليمن وغيرهم ان ملكا من ملوك حمير يقال له زرعة ذو نواس وكان قد تهود واجتمعت معه حمير على ذلك الا ما كان من أهل نجران فانهم كانوا على دين النصرانية على حكم الانجيل ولهم رأس يقال له عبد الله بن الثامر فدعاهم الى اليهودية فأبوا فخيرهم فاختار والقتل فخد لهم الاخدود وصنف لهم أصناف القتل فمنهم من قتل صبرا ومنهم من ألقى فى النار الا رجلا من أهل سبأ يقال له دوس بن ثعلبان فذهب على فرس له يركض حتى أعجزهم فى الرمل فأتى قيصر فذكر له مابلغ منهم واستنصره فقال له بعدت بلادك عنا ولكنى أكتب لك الى ملك الحبشة فانه على ديننا فينصرك فكتب له الى النجاشى يأمره بنصره فلما قدم على النجاشى بعث معه رجلا من الحبشة يقال له ارياط فلما بعثه قال له ان دخلت اليمن فاقتل ثلث رجالها واخرب ثلث بلادها وابعث الى بثلث سباياها فلما دخلها ناوشهم القتال فتفرقوا عن ذى نواس واقتحم به فرسه فاستعرض به البحر فهلكا جميعا فكان آخر العهد به ودخلها ارياط فعمل بما أمره النجاشى فقال ذو جدن الحميرى فيما أصاب أهل اليمن

دعينى لا أبالك لن تطيقى * لحاك الله قد أنزفت ريقى
بذاعزف القيان اذا انتشينا * اذا نسقى من الخمر الرحيق
وشرب الخمر ليس على عارا * اذا لم يشكنى فيها رفيقى
وان الموت لا ينهاه ناه * ولو شرب الشفاء من النشوق
ولا مترهب فى أسطوان * يناطح جلده بيض الانوق
وغمدان الذى نبئت عنه * بنوه ممسكا فى رأس نيق
لمنهمه وأسفله حروث * وحر الموجل اللثق الزليق
مصابيح السليط يلحن فيه * اذا يمسى كومضان البروق
فأصبح بعد جدته رمادا * وغير حسنه لهب الحريق
ونخلته التى غرست اليه * يكاد البسر يهصر بالعذوق

وأسلم ذو نواس مستبينا * وحذر قومه ضنك المضيق

قال فأقام ارياط باليمن وكتب اليه النجاشى أن اثبت بجندك ومن معك فأقام حينا ثم ان أبرهة بن الصباح ساخطه فى أمر الحبشة حتى انصدعوا صدعين فكانت معه طائفة ومع أبرهة طائفة ثم تزاحفا فلما دنا بعضهم من بعض أرسل أبرهة الى ارياط انك لا تصنع شيأ فلا تلق الحبشة بعضها الى بعض ولكن اخرج الى فأينا قتل صاحبه انضم اليه الجند فأرسل اليه انك قد أنصفت ثم انهما خرجا وكان ارياط جسيما عظيما وسيما فى يده حربة وكان أبرهة رجلا قصيرا حادرا لحيما وكان ذا دين فى النصرانية وكان خلف أبرهة وزير له يقال له عتودة فلما دنوا رفع أرياط الحربة فضرب بها رأس أبرهة فوقعت على جبينه فشرمت عينه وجبينه وأنفه وشفته فلذلك سمى أبرهة الاشرم فلما رأى عتودة ذلك حمل على أرياط فقتله فاجتمع الجيش على ابرهة فبلغ النجاشى ماصنع أبرهة فغضب عليه وحلف لايدع ابرهة حتى يجز ناصيته ويطأ بلاده ثم انه كتب الى أبرهة انك عدوت على أميرى فقتلته بغير أمرى وكان أبرهة رجلا ماردا فلما بلغه قول النجاشى حلق رأسه وملأ جرابا من تراب أرضه وكتب الى النجاشى أيها الملك انما كان ارياط عبدك وأنا عبدك اختلفنا فى أمرك وكنت أعلم بأمر الحبشة وأسوس لها وكنت أردته أن يعتزل فأبى فقتلته وقد بلغنى الذى حلف عليه الملك وقد حلقت رأسى وبعثت به اليك وملأت جرابا من تراب أرضى وبعثته اليك ليطأه الملك فيبر قسمه فلما انتهى اليه ذلك رضى عنه وأقره على عمله وكتب اليه بان اثبت بمن

تقربا الى الله تعالى فقالت وأى فرق بينك وبين عبدة الاصنام اذقالوا انما نعبدهم الاليقربونا الى الله زلفى قال فتعجبت من كلامها فبينما نحن فى الحديث اذ قالوا جاءت الخيل لنهب القافلة فبكى الناس وهى تضحك فقلت لها الناس يبكون وانت تضحكين فقالت ماضحكى الامن مخافتهم من مخلوق فقلت قد وجب عليك ان تسألى الله لنا فقالت نعم ثم رفعت طرفها الى السماء وقالت يارافع السماء بلاعماد ويامن هو على فكرة العباد بحق ماتعلم من ودادى الا كفيتهم مؤنة الاعادى قال فما تم كلامها حتى أذهب الله الاعداء وجاء الامان وذهب الردى ثم غابت عنى فلم أرها رضى الله تعالى عنها (وقيل) انه كان فى بنى اسرائيل شاب مسرف على نفسه بالمعاصى فاخرجوه من بينهم فحضرته الوفاة وهو فى خربة على باب البلد فأوحى الله تعالى الى موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام ياموسى ان وليا من أوليائى قد حضره الموت فى مكان كذا فاحضره وغسله وكفنه وصل عليه وقل لمن كان معك ان يصلى عليه فنادى موسى فى بنى اسرائيل فحضروه فلما نظروا اليه عرفوه وقالوا يانبى الله هذا فلان الفاسق الذى أخرجناه

فتعجب موسى من ذلك فأوحى الله تعالى اليه أنهم صدقوا لكنه لما حضرته الوفاة في هذه الخربة أنظر يمينا وشمالا فلم ير أحدا ورأى نفسه غريبة وحيدة ذليلة منكسرة فرفع بصره الى وقال الهي وسيدي ومولاي عبد من عبيدك غريب في بلادك فلو علمت ان عذابي يزيد في ملكك لم أسألك المغفرة وليس لي رجاء الا أنت وقد سمعت فيما أنزلت تقول انى أنا الغفور الرحيم أكان يحسن أن أرده يا موسى وقد توسل بي وتضرع الى وعزتي وجلالي لو سألني في المذنبين من أهل الارض لوهبتهم له وأنا الغفور الرحيم (وروى) انه ٢٤٩ كان في بني اسرائيل ملك جبار وكان يكره الفقراء والصدقة ونادى في المدينة كل من تصدق بشئ قطعت يده وكان في المدينة امرأة صالحة مات زوجها ومعها ولدان فكانت تغزل وتشتري كل يوم دقيقا وتعمل منه ثلاثة أقراص لها وللولدين فبينما هي على تلك الحالة اذ مر سائل ببابها فاعطته قرصها صدقة وقالت له لا تأكل عند أحد خوفا عليه من الملك فأخذه ومضى فلما كان في بعض الطريق أخرج القرص ليأكله فلقيه بعض أعوان الملك وقال له من أين أتاك هذا الرغيف فقال اعطتنيه امرأة فقبض عليه ورجع به الى الملك وأخبره بقصته فقال امضوا به الى موضعها وائتوني بها والفقير يحسب أنه يريد أن يعطيها شيأ عوضا عن صدقتها فاحضروها عند الملك فقال لها أما سمعت النداء ثم أمر بقطع يدها فقطعت وعلقت في عنقها فجاءت الى منزلها وأقامت تعبد الله وكانت صائمة قائمة الى أن أفطرت ونامت وهي شاكرة لله تعالى فلما أصبح الصبح مرفقير وقال يا من يتصدق بصدقة تنفعه فأعطته قرصا من أقراص أولادها فذهب وهو يقول جزى الله عنى هذه المرأة خيرا كما انها تصدقت على فسمعه أحد خدام الملك فقبض عليه وأتى به الى الملك فأمر باحضارها فحضرت بين يديه فأمر بقطع يدها الاخرى فقطعت وباتت بمنزلها واذا سائل يقول من يتصدق على الجائع المسكين الذي طاف هذه المدينة فلم يعطه أحد من أهلها لقمة واحدة قال فلما سمعته أخذ رجت اليه قرصا فأخذه ومضى فاذا برجل من أعوان الملك فقبض عليه وأتى به الى الملك فأخبره بالمرأة فقال هي لم تنته وأمر بقطع

معك من الجند ثم ان أبرهة بنى كنيسة بصنعاء يقال لها القليس ثم انه كتب الى النجاشي انى قد بنيت لك بصنعاء كنيسة لم يبن الملك مثلها قط ولست منتهيا حتى أصرف اليها حج العرب فسمع بذلك رجل من بني مالك بن كنانة فخرج الى القليس فدخلها ليلا فقعد فيها ولطخها بالعذرة وتغضب للكعبة فبلغ ذلك أبرهة ويقال انه أتاها ناظرا اليها فدخلها فوجد العذرة فيها فقال من اجترأ على هذا فقيل فعل هذا رجل من العرب من أهل ذلك البيت الذى يحجونه سمع بالذى قلت فصنع هذا الخلاف أبرهة عند ذلك ليسيرن الى الكعبة حتى يهدمها فخرج سائرا من الحبشة الى مكة وأخرج معه الفيل فبلغ ذلك العرب فعظموه وفظعوا به ورأوا جهاده حقا عليهم فخرج ملك من ملوك حمير يقال له ذو نفر بمن أطاعه من قومه فقاتله فهزمه وأخذ ذو نفر وأتى به أبرهة فقال له أيها الملك لا تقتلني فان استبقاءك لى خير لك من قتلى فاستحياه وأوثقه وكان أبرهة رجلا حليما ثم خرج سائرا حتى اذا دنا من ديار خثعم خرج اليه نفيل بن حبيب الخثعمي في قبيلتي خثعم وهما شهران وناهش ومن اجتمع اليه من قبائل اليمن فقاتلوه فهزمهم وأخذ نفيلا أسيرا فقال له أيها الملك انى دليلك بأرض العرب فلا تقتلني وهذا أنا أنادى على قومى بالسمع والطاعة لك فاستبقاه وخرج معه يدله حتى اذا مر بالطائف خرج اليه مسعود بن مغيث الثقفي في رجال من ثقيف وقال له أيها الملك انما نحن عبيدك فليس لك عندنا خلاف وليس بيتنا هذا الذى تريد يعني به اللات انما تريد البيت الذى بمكة ونحن نبعث معك من يدلك عليه فبعثوا أبا رغال مولاهم فخرجوا حتى اذا كانوا بالمغمس مات أبو رغال فهو الذى ترجم قبره العرب وبعث أبرهة من المغمس رجلا من الحبشة يقال له الاسود بن مقصود على مقدمة خيله فجمع اليه أموالا وأصاب لعبد المطلب جد رسول الله صلى الله عليه وسلم مائتى بعير ثم ان أبرهة بعث حناطة الحميرى الى أهل مكة سفيرا فقال له سل عن شريفها ثم أبلغه أنى لم آت لقتال انما جئت لاهدم هذا البيت فانطلق حناطة حتى دخل مكة فلقى عبد المطلب بن هاشم فقال له ان الملك أرسلنى اليك لاخبرك انه لم يأت لقتال الا أن تقاتلوه انما أتى لهدم هذا البيت ثم الانصراف عنكم فقال عبد المطلب سنخلى بينه وبين ماجاء له فان هذا بيت الله الحرام وبيت خليله ابراهيم عليه السلام فان يمنعه فهو بيته وحرمه وان يخل بينه وبين ذلك فهو كذلك فوالله ما لنا به قوة قال فانطلق معي الى الملك فزعم بعض العلماء أنه أردفه على بغلة له كان راكبا عليها وركب معه بعض بنيه حتى قدم المعسكر وكان ذو نفر صديقا لعبد المطلب فأتاه فقال له ياذا نفر هل عندك من غناء فيما نزل بنا فقال ما غناء رجل أسير لا يأمن من أن يقتل بكرة أو عشية ولكنى سأبعث لك الى أنيس سائس الفيل فانه صديق لى فاسأله أن يصنع لك عند الملك ما استطاع اليه من الخير ويعظم منزلتك وحظك عنده قال فأرسل الى أنيس فأتاه فقال له ان هذا سيد قريش صاحب عير مكة يعطى ويطعم الناس من السهل والجبل والوحش والطير في رؤس الجبال وقد أصاب له الملك مائتى بعير فان استطعت ان تنفعه عنده فانفعه فانه صديق وانى أحب ما يصل اليه من الخير ثم ان أنيسا دخل على أبرهة هو وعبد المطلب فقال له أيها الملك هذا سيد قريش وصاحب عير مكة الذى يطعم الناس في السهل والجبل والطير والوحش في رؤس الجبال وقد جاء ناغير ناصب لك حربا ولا مخالف عليك يستأذن عليك وأنا أحب ان تأذن له فيكلمك فأذن له وكان عبد المطلب رجلا جسيما وسيما فلما دخل عليه جلس بين يديه فأقامه وأجلسه معه على السرير ثم قال لترجمانه قل له ما حاجتك فقال له الترجمان ذلك فقال له عبد المطلب حاجتى أن يرد على مائتى بعير أصابها لى فقال أبرهة لترجمانه قل له لقد كنت أعجبتنى حين رأيتك ولقد زهدت فيك الآن فقال له ولم قال حيث جئت الى بيت هو دينك ودين آبائك لاهدمه لم تكلمنى فيه وتكلمنى في مائتى بعير أصبتها فقال له عبد المطلب قل له أنا رب هذه الابل ولهذا البيت رب سيمنعه منك قال

رجلها وأقامت تلك الليلة واذا بسائل يقول يا من يتصدق على الفقير المسكين الذى له مدة وهو مسافر وليس له قوت الا نبات الارض فزحفت
وأعطته قرصا فرآه نديم الملك فأخبره بما كان من المرأة فأمر بقطع رجلها الاخرى فأقامت الى ان أفطرت فلما جاء الفجر زحفت الى البحر
لتتوضأ وكان قريبا من بابها فاستيقظ أولادها فلم يروها فصاروا يحبون حتى خرجوا من الدار واذا بذئب واقف على الباب فخطف أحدهما فى فيه
فلما رأته أمه زحفت خلف الذئب فلم تلحقه فرجعت وهى صابرة حامدة شاكرة فرأت الولد الآخر صار يحبو الى البحر حتى انقلب فيه ولم تدركه
أمه فقالت اللهم انى استودعتكهما يا من لا تخيب عنده الودائع يا أرحم الراحمين قال فما استتم دعاؤها حتى فتحت أبواب السماء وضجت الملائكة
بالتسبيح والتقديس لله رب العالمين فأمر الجليل جبريل فنزل اليها وقال لها يا أمة الله أمرنى رب العالمين ان أرد يديك ورجليك وولديك ببركة
الصدقة ثم أخذ يديها ورجليها وألصقهما بقدرة من يقول للشئ كن فيكون فقامت باذن الله تعالى ورد الله تعالى عليها ولديها من الذئب
والبحر فبلغ ذلك الملك
فأحضر المرأة بين يديه
وتعجب فى صنع الله
تعالى فقالت له ان الذى
تصدقت من أجله رد على
يدى ورجلى وأولادى
فقام على قدميه وقال
آمنت بالذى خلقك
وسواك وصار يعبد الله
تعالى حتى توفاه الله هو
والمرأة فى يوم واحد
ووضعا فى قبة من الجنة
وارتفعت بهما الى
السماء حتى خفيت عن
الابصار نفعنا الله بهما
وببركاتهما فى الدنيا
والآخرة آمين * وقيل
كان ببغداد رجل
يعرف بابن الرومى
وكان له زوجة وأولاد
فنزل بالناس مجاعة
عظيمة فأقام الفتى
وعياله ثلاثة أيام لم
يعرفوا الطعام واشتد
بهم الامر فلما كان فى
اليوم الرابع قالت زوجته
وكانت بنت عمه يا ابن عمى
أنا وأنت نصبر على الجوع
فكيف الحيلة فى هؤلاء الاطفال فقال لها هل تعرفين شغلا فقالت نعم اعمد الى سوق البنائين فلو عملت بنصف درهم كان أين
فيه قوت الاطفال فقال حبا وكرامة قال فأخذ فأسا وزنبيلا وخرج يطلب سوق البنائين فوجد فى طريقه مسجدا مهجورا فدخله وقال
وعزتك وجلالك لا عملت اليوم الا لك وكان بوضوء صلاة الفجر قال فاستقبل القبلة ولم يزل راكعا وساجدا يومه كله فقرأ فى ذلك اليوم فى
صلاته سورة الاخلاص أحد عشر ألف مرة ثم صلى المغرب وهم بالخروج فقال فى نفسه كيف أمشى الى أهلى وماذا أقول لهم ان قالوا ماذا
عملت وعزتك وجلالك لا برحت حتى أصلى العشاء الاخيرة ولم يزل راكعا وساجدا حتى صلى العشاء الاخيرة ومشى الى منزله فسمع ضحكا

ما كان ليمنعه منى فقال له أنت وذاك ثم أمر له بابله فردت عليه قال محمد بن اسحق وكان فيما يزعم بعض أهل
العلم أن عبد المطلب قد ذهب الى أبرهة بعمرو بن معدى كرب بن الديل بن بكر بن عبد مناف بن كنانة وهو
يومئذ سيد بنى كنانة وخويلد بن واثلة الهذلى وهو يومئذ سيد هذيل فعرضوا على أبرهة ثلث أموال تهامة
على ان يرجع عنهم ولا يهدم البيت فأبى أن يرجع قال فلما ردت الابل على عبد المطلب رجع فأخبر قريشا الخبر
وأمرهم أن يتفرقوا فى الشعاب ويتحرزوا فى رؤس الجبال تخوفا عليهم من معرة الجيش اذا دخل ففعلوا اذ ذاك
ثم أتى عبد المطلب الى الكعبة فأخذ حلقة الباب وجعل يقول

يارب لا أرجو لهم سواكا * يارب فامنع منهم حماكا ان عدو البيت من عاداكا * فامنعهم أن يخربوا قراكا

وقال أيضا لاهم ان المرء يمنع رحله فامنع رحالك وانصر على آل الصليب وعابديه اليوم آلك

لا يغلبن صليبهم * ومحالهم أبدا محالك جروا جموع بلادهم * والفيل كى يسبوا عيالك

عمدوا حماك بكيدهم * جهلا وما رقبوا جلالك ان كنت تاركهم وكعبتنا فأمر ما بدا لك

ثم ان عبد المطلب ترك الحلقة وتوجه فى بعض الوجوه مع قومه وأصبح أبرهة بالمغمس وقد تهيأ لدخول مكة
وعبى جيشه وهيأ فيله وكان اسم الفيل محمودا وكان من قبل النجاشى بعثه الى أبرهة وكان فيلا لم ير مثله فى الارض
عظما وقوة وجسما وقال الكلبى لم يكن عندهم الا ذلك الفيل الواحد فلذلك قال الله تعالى ألم تر كيف فعل ربك
بأصحاب الفيل وقال الضحاك كانت الفيلة كثيرة ويقال كان معه اثنا عشر فيلا (١) وانما وجه على هذا التأويل
لوفاق رؤس الآى ويقال نسبهم الى الفيل الاعظم قالوا فأقبل نفيل الى الفيل الاعظم فأخذ باذنه وقال أبرك محمود
وارجع راشدا من حيث جئت فانك فى بلد الله الحرام فبرك الفيل فبعثوه فأبى أن يقوم فضربوه بالمعول فى رأسه
فأبى فأدخلوا محاجنهم تحت مراقه ومرافقه ورفعوه ليقوم فأبى فوجهوه راجعا الى اليمن فقام يهرول ثم وجهوه
الى الشام ففعل مثل ذلك ثم وجهوه الى المشرق ففعل مثل ذلك فصرفوه الى الحرم فبرك وأبى أن يقوم ثم ان نفيلا
خرج من عندهم وصعد فى الجبل وأرسل الله تعالى طيرا من البحر كأمثال الخطاطيف مع كل طير منهم ثلاثة
أحجار حجران فى رجليه وحجر فى منقاره أمثال الحمص والعدس فلما غشيت القوم أرسلتها عليهم فلم تصب تلك
الحجارة أحدا الا هلك وليس كل القوم أصابت فذلك قوله تعالى طيرا أبابيل أى متفرقة من ههنا وههنا قال ابن
عباس كان لها خراطيم كخراطيم الطيور وأكف كأكف الكلاب وقال عكرمة كان لها رؤس كرؤس السباع
ولم تر قبل ذلك ولا بعده وقال ربيع لها أنياب كأنياب السباع وقال سعيد بن جبير طير خضر لها مناقير صفر وقال
أبو الجوزاء أنشأها الله فى الهواء فى ذلك الوقت ترميهم بحجارة من سجيل أى سنك كل (٢) قال ابن مسعود
صاحت الطير ورمتهم بالحجارة وبعث الله ريحا فضربت الحجارة فزادتها قوة فما وقع منها حجر على جنب رجل
الا خرج من الجانب الآخر واذا وقع على رأس رجل خرج من دبره فجعلهم كعصف مأكول أى كزرع قد
أكل حبه وبقى تبنه فلما رأت الحبشة ذلك خرجوا هاربين يبتدرون الطريق الذى جاؤا منه ويسألون عن نفيل
بن حبيب ليدلهم على الطريق فقال نفيل بن حبيب حين رأى ما أنزل الله بهم من نقمته

---

١ (قوله وانما وجه الخ) المراد أن الافراد فى الآية على هذا القول لوفاق رؤس الآى ٢ (قوله أى سنك كل) لفظ فارسى معرب به سجيل

عظيما فظن فى نفسه شرا وقال انا لله وانا اليه راجعون غبت عن المرأة ومعها الاطفال وهم فى شدة عظيمة من الجوع فليت شعرى ما جرى عليهم ثم بكى بكاء شديدا وقرع الباب فخرجت اليه زوجته مسرعة وقالت له أهلا وسهلا وهى فرحة مسرورة ثم قالت ما كان يوملك الا مباركا أشبع الله بطنك كما أشبعت بطوننا فدخل المنزل فرأى فيه نورا عظيما فالتفت فاذا بمائدتين عظيمتين على كل مائدة منديل حسن فقال ما هاتان المائدتان قالت يا ابن عمى أنا جالسة فى وقت الغروب وقد أجهدنى الجوع والاطفال يتجرعون الموت واذا بطارق يطرق الباب فنهضت الى الباب ففتحته فاذا بغلام شاب وعليه حلتان خضراوتان ومعه اثنان معهما مائدتان ٢٥١ فقال أيتها الجارية هذا منزل ابن الرومى قلت نعم قال هذه صرة فيها ألف دينار ادفعيها البعلك وقولى له مولاك يقرئك السلام ويقول لك زد فى العمل أزدك فى الاجرة وهذا عشاؤه ذلك فأخذت ذلك منه وانصرف ثم دخلت وكشفت المائدتين فوجدت عليهما طعاما طيبا وخبزا كثيرا ونعمة عظيمة ما رأيت مثلها قط فبالله يا ابن عمى عند من عملت اليوم قلت لها عند ملك كريم ما رأيت قط أسخى منه ولا أكرم عملت عنده شيأ يسيرا فأعطانى هذا الخير الكثير فقالت يا ابن عمى قد أكلت أنا والاولاد فكل أنت ونم فقال ان على صلاة فاذا أديت صلاتى نمت ثم أقبل الى المحراب ولم يزل راكعا ساجدا حتى مضى من الليل أكثره فغلبه النوم فنام فرأى فى النوم كأنه واقف بين يدى الله تعالى وهو يقول يا ابن الرومى كيف رأيت معاملتنا قلت خير المعاملة فقال يا ابن الرومى قد رفعت لك عشرة آلاف درجة وكتبت لك عشرة آلاف حسنة ومحوت عنك عشرة آلاف سيئة فهل أنت عنى راض قلت نعم يا رب فقال يا ابن الرومى اسألنى أعطك قلت يا رب أسألك أن تقبلنى على ما أنا فيه وعليه من قبل أن تقبضنى اليك فقال الله تعالى انى مقدر الآجال لا أزيد فيها ولا أنقص وقد بقى من عمرك تسعة أيام قلت الهى احفظنى حتى تتوفانى مسلما فقال حفظتك قلت وعزتك لا أزيد فى العمل فقال الله وعزتى وجلالى لأعطينك براءة من النار ولاسكننك جوارى فى دار القرار قال فانتبهت من نومى فحدثت زوجتى بما رأيت فحزنت حزنا شديدا ثم انى اشتريت لها وللاولاد منزلا يأوون فيه وخادما يخدمهم ودع اخوانه وأهله يوم التاسع ومضى الى محرابه وصلى فيه ما شاء الله ثم جعل وجهه الى الكعبة وقضى نحبه ولحق بربه رحمة الله تعالى عليه ﴿ و روى عن بعض الصالحين رضى الله

أين المفر والاله الطالب * والاشرم المغلوب غير الغالب

وقال أيضا فى ذلك

ألا حييت عنا يا ردينا * نعمنا كم مع الاصباح عينا
ردينة لو رأيت ولم تريه * لدى جنب المحصب ما رأينا
اذا لعذرتنى وحمدت أمرى * ولم تأس على ما فات بينا
حمدت الله اذ عاينت طيرا * وخفت حجارة ترمى علينا
وكل القوم يسأل عن نفيل * كأن على للحبشان دينا

وذكر زياد عن عبد الله بن عمر أن طيرا أبابيل كانوا أقبلوا من قبل البحر رجال الهند ترميهم بحجارة أصغرها مثل رؤس الرجال وأكبرها كالابل البزل ما رمت أصابت وما أصابت قتلت ونفيل ينظر اليهم من بعض تلك الجبال وقد خرج القوم وصاح بعضهم على بعض فخرجوا يتساقطون بكل طريق ويهلكون على كل منهل وبعث الله تعالى على أبرهة داء فى جسده فجعل تتساقط أنامله كلما سقطت أنملة أتبعتها أنملة وقيح ودم فانتهى الى صنعاء وهو مثل الفرخ الطائر فما بقى من أصحابه فمات حتى انصدع صدره عن قلبه ثم هلك وزعم مقاتل بن سليمان أن السبب الذى جر حديث أصحاب الفيل هو أن فئة من قريش خرجوا تجارا الى أرض النجاشى فساروا حتى دنوا من ساحل البحر وفى سندها حقف من أحقافها بيعة للنصارى تسميها قريش الهيكل ويسميها النجاشى وأهل أرضه الماسرخسان فنزل القوم فى سندها فجمعوا حطبا وأججوا نارا واشتووا لحما فلما ارتحلوا تركوا النار كما هى فى يوم صائف فعجت الرياح فاضطرم الهيكل نارا وانطلق الصريخ الى النجاشى فاخبروه فأسف عند ذلك غضبا للبيعة فبعث أبرهة لهدم الكعبة وكان بمكة يومئذ أبو مسعود الثقفى وكان مكفوف البصر يصيف بالطائف ويشتو بمكة وكان رجلا نبيها نبيلا عاقلا وكان لعبد المطلب خليلا فقال عبد المطلب يا أبا مسعود هذا يوم لا نستغنى فيه عن رأيك فقال أبو مسعود لعبد المطلب اعمد الى مائة من الابل فاجعلها هديا لله تعالى وقلدها نعلا وأثبتها فى الحرم لعل بعض هؤلاء السودان يعقر منها فيغضب رب هذا البيت فيأخذهم ففعل ذلك عبد المطلب فعمد القوم الى تلك الابل فحملوا عليها وعقروا بعضها وجعل عبد المطلب يدعو فقال أبو مسعود ان لهذا البيت ربا سيمنعه فقد نزل تبع ملك اليمن بصحراء هذا البيت وأراد هدمه فمنعه الله وابتلاه وأظلم عليه ثلاثة أيام فلما رأى ذلك تبع كساه القباطى البيض وعظمه ونحر له جزرا ثم قال أبو مسعود لعبد المطلب انظر الى بحر اليمن هل ترى شيأ فقال أرى طيرا بيضا نشأت من جانب البحر وحلقت على رؤسنا فقال له هل تعرفها فقال عبد المطلب والله ما أعرفها ما هى بنجدية ولا تهامية ولا عربية ولا شامية وانها لطير بأرضنا غير مؤنسة قال ما قدرها قال أمثال اليعاسيب فى مناقيرها حصى كأنها حصى الخزف قد أقبلت كالليل المظلم يتبع بعضها بعضا أمام كل فرقة طير يقودها أحمر المنقار أسود الرأس طويل العنق فجاءت حتى اذا حازت عسكر القوم ركدت فوق رؤسهم فلما توافت الرجال كلها بحيالهم أهالت الطير ما فى مناقيرها على من تحتها مكتوب على كل حجر اسم صاحبه ثم انها رجعت من حيث جاءت فلما أصبح عبد المطلب وأبو مسعود انحطا من ذروة الجبل فمشيا ربوة فلم يؤنسا أحدا ثم انهما مشيا فلم يسمعا حسا فقالا لبعضهما بات القوم سامدين فاصبحوا نياما فلما دنوا من معسكر الفيل فاذا هم خامدون وكان الحجر ينزل على بيضة أحدهم فيفجرها ويقطع فى دماغه ويخرق الفيل والدابة ويغيب الحجر فى الارض من شدة وقعه ثم ان عبد المطلب أخذ فأسا وحفر حتى أعمق الارض فملأها من الذهب الاحمر والجوهر الجيد ثم حفر لصاحبه حفرة فملأها ثم قال لابى مسعود هات خاتمك وأخبرك فاختر ان شئت أخذت حفرتى وان

شئت أخذت حفرتك وان شئت فمالك معافة لك قال له أبو مسعود اختر لى على نفسك فقال عبد المطلب انى جعلت أجود المتاع فى حفرتى فهو لك ثم جلس كل واحد منهما على حفرته ونادى عبد المطلب فى الناس فرجعوا وأصابوا من فضلها حتى ضاقوا بذلك ذرعا وساد عبد المطلب بذلك على قريش وأعطته الرياسة فلم يزل أبو مسعود وعبد المطلب غنيين من ذلك المال الى ان ماتا (وقال الواقدى) باسانيده غزا النجاشى ارياط فى أربعة آلاف الى اليمن فغلب عليها فأكرم الملوك واستذل الفقراء فقام رجل من الحبشة يقال له أبرهة الاشرم أبو يكسوم فدعا الى طاعته فأجابوه فقتل ارياط وغلب على اليمن فرأى الناس يتجهزون أيام الموسم للحج فسأل أين تذهب الناس فقيل يحجون بيت الله بمكة قال فما هو قالوا من حجر قال فما كسوته قالوا ما يأتى من ههنا من الوصائل فقال والمسيح لابنين خيرا منه فبنى لهم بيتا بالرخام الابيض والاسود والاحمر والاصفر وحلاه بالذهب والفضة وحفه بالجواهر وجعل له أبوابا عليها صفائح الذهب ومسامير الذهب ورصعها بالجواهر وجعل فيها ياقوتة حمراء وجعل لها حجابا وكان يوقد بالمندل ويلطخ جدرانه بالمسك حتى تغيب الجواهر وأمر الناس بحجه فحجه كثير من قبائل العرب سنين ومكث فيه رجال يتعبدون وينسكون فامهل نفيل الخثعمى حتى كان ليلة من الليالى لم ير أحدا يتحرك فجاء بعذرة فلطخ بها قبلته وألقى فيه الجيف فاخبر أبرهة بذلك فغضب أبرهة غضبا شديدا وقال انما فعلت العرب ذلك غيظا لاجل بيتهم ثم انه قال لانقضنه حجرا حجرا ثم انه كتب الى النجاشى يخبره بذلك ويسأله أن يبعث اليه بفيله محمود وكان فيلا لم ير مثله فى الارض عظما وجسما وقوة فبعثه اليه فغزا البيت كما ذكرنا الى أن قال أقبلت الطير من البحر أبابيل مع كل طير ثلاثة أحجار حجران فى رجليه وحجر فى منقاره فقذفت الحجارة عليهم لاتصيب شيأ الاهشمته وبعث الله سيلا أتى عليهم فذهب بهم الى البحر فالقاهم فيه وولى أبرهة ومن معه هاربا فجعل أبرهة يسقط عضوا عضوا حتى مات وأما محمود فيل النجاشى فربض ولم يشجع على الحرم فنجا وأما الفيل الاخر فتشجعت فحصبت وهلكت وهو أول وقت رؤى عليه الجدرى والحصبة وقال أمية بن أبى الصلت فى ذلك

ان آيات ربنا بينات * مايمارى بهن الا الكفور
حبس الفيل بالمغمس حتى * ظل يحبو كانه معقور
حوله من رجال كندة فتيان * مصاليت فى الحروب صقور
غادروه وقد تولوا سراعا * كلهم عظم ساقه مكسور

وقال الكلبى لما أهلكهم الله بالحجارة لم يفلت منهم الا أبرهة الاشرم بن يكسوم فسار وطائر يطير فوقه ولم يشعر به حتى دخل على النجاشى فاخبره بما أصابهم فلما استتم كلامه حتى رماه الطائر فسقط ميتا فأرى الله النجاشى كيف كان هلاك أصحابه (وقال الواقدى) كان أبرهة جد النجاشى الذى كان فى زمن النبى صلى الله عليه وسلم وآمن به (واختلفوا فى تاريخ عام الفيل) فقال مقاتل كان أمر الفيل قبل مولد النبى صلى الله عليه وسلم باربعين سنة وقال عبيد بن عمير والكلبى كان قبل مولده بثلاث وعشرين سنة وقال آخرون كانت قصة الفيل فى العام الذى ولد فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى هذا أكثر العلماء وهو الصحيح يدل عليه ما أخبرنا أبو بكر الجوزقى قال حدثنا عبد العزيز بن أبى ثابت حدثنا الزبير بن موسى عن أبى الجوزاء قال سمعت عبد الملك بن مروان يقول لغياث بن أشيم الكنانى ياغياث أنت أكبر أم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أكبر منى وأنا أسن منه ولد رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الفيل ووقفت بى أمى على روث الفيل ويدل عليه أيضا ما روى أن عائشة رضى الله عنها قالت رأيت قائد الفيل وسائسه بمكة أعميين مقعدين يستطعمان فلما كفى الله أمر أصحاب الفيل عظمت العرب قريشا وقالوا هم أهل الله وان الله قاتل عنهم وكفاهم مؤنة عدوهم والله عز وجل أعلم وأحكم وحسبنا الله ونعم الوكيل آمين

قد تم بعونه تعالى طبع الكتاب المسمى بالعرائس تاليف العلامة أبى اسحق أحمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبى
وبهامشه كتاب مختصر روض الرياحين فى مناقب الصالحين للامام اليافعى تغمدهما الله برحمته
وأسكنهما فسيح جنته آمين وذلك بالمطبعة العامرة الشرفية التى مركزها بشارع الخرنفش بمصر
المحميه سنة ١٣٢٥ هجريه على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحيه

عنهم* ان أسدا دخل فى قرية فى بنى اسرائيل فأخذ منها صبيا فألقاه على ظهره وأتى به الى مكانه ليأكله فعلمت أمه بذلك فتبعته صائحة مستغيثة فبينما هى كذلك اذ ظهر فارس وعليه ثوب أبيض وعمامة بيضاء وبيده رمح فقال للاسد يا أبا الحرث ضع الولد وامض بسلام فلما سمع الاسد ذلك منه ألقى الولد على ظهره ودخل مكانه ولم يتعرض له بسوء فقالت أمه للفارس من أنت الذى أحييت ولدى فقال الملك الموكل بالرحمة أرسلنى الله عز وجل الى هذا الاسد لاخلص ولدك منه كما رحمت يوم كذا وكذا مسكينا وتصدقت عليه بقرص من الخبز لقمة بلقمة ففرحت المرأة بذلك وأخذت ولدها وانصرفت *(وروى)* أن النبى صلى الله عليه وسلم قال ان الصدقة لتدفع البلاء المبرم النازل من السماء *(وروت عائشة رضى الله عنها)* عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال السخاء شجرة أصلها فى الجنة وأغصانها متدلية فى الدنيا فمن تعلق بغصن منها جره الى الجنة وان البخل شجرة أصلها فى النار وأغصانها متدلية فى الدنيا فمن تعلق بغصن منها جره الى النار (وقال) صلى الله عليه وسلم البخيل بعيد من الله بعيد من الجنة قريب من النار والسخى قريب من الله قريب من الجنة بعيد من النار* أجارنا الله منها ومن عذابها ومن كل عمل يقربنا اليها آمين

[illegible]